

كتاب

الدر المنثور في طبقات ربات الخدور

تأليف

الاديبة الفاضلة والبارعة الكاملة السيدة زينب فواز بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن ابراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي السورية مولدا وموطنا المصرية منشأ

ومنها

كتابي تبدّى جنة في قصورها * تروّح روح الفكر حور التراجم
خدمت به جنسي اللطيف وانه * لاكرم ما يهدى لغر الكرائم

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣١٢
هجرية

(ثمن النسخة الواحدة خمسون غرش صاغ)

فهرست

الدر المنثور

في طبقات ربات الخدور

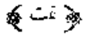
فهرسة الدر المنثور في طبقات ربات الخدور

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفه



كتاب

الدر المنثور في طبقات ربات الخدور

تأليف

الاديبة الفاضلة والبارعة الكاملة السيدة زينب بنت علي بن
حسين بن عبيد الله بن حسن بن ابراهيم بن محمد بن
يوسف فواز العاملي السورية مولدا
وموطنا المصرية منشأ

وبكذا

كتاب تبدى جنة في قصورها ... تروح روح الفكر حور التراجم
خدمت به جنس اللطيف وإنه ... لأكرم ما يهدى لغر الكرائم

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١٢

هجرية

تقريظ جميل لهذا الكتاب جادت به فكرة ملتزمه الماجد الامثل
حضرة محمد أفندى زهران قال حفظه الله

من أمعن فكره ونظر بنبراس عقله علم جليا أن من أهم ما يقتنى وأنفس ما يدخر نشر المنافع العمومية والسعي وراء الخدمة الانسانية فان بها يتحقق معنى الانسان ويكون قد ارتقى أوج الكمال واستحق أن يلقب بالعضو النافع لجسم الهيئة الاجتماعية فينال الذكر الحسن والثناء الجميل ويكون عاملا بقول القائل

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وكذا ينال الجزاء العظيم من العزيز الحكيم فى دار الخلود والنعيم كما وعد بذلك جل وعلا فى قرآنه الكريم لاسيما اذا كانت المنافع متعلقة بالعلوم الادبية المؤيدة بالمبادئ التاريخية فانها تكون أجل وأسمى لان الشئ يشرف بشرف متعلقه وناهيك بالعلم شرفا ولما كان كتاب الست المصونة ربة اليراع البارع وصاحبة الذهن اللامع نادرة العصر وغرة جبين الدهر (زينب فواز) المسمى بالدر المنثور فى طبقات ربات الخدور فائقا فى هذا الباب أحببت أن أشاركها فى ذلك الفضل فالتزمت بطبعه على نفقتى قياما بواجب الانسانية ومعاونة لحضرتها على البر عملا بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ورغبة فى شهرة هذا الكتاب بين ذوى الالباب لاسيما ذوات الحجاب عسى أن يسرن بسيرها وينسجن على منوالها فانه وايم الحق كتاب جليل قد اشتمل على حكم جليلة ومزايا جزيلة بها يهتدى الى الرشد وتستنير به العقول وفى ذلك فليتنافس المتنافسون اﻫ محمد زهران

وبعد أن انتهى تأليف هذا الكتاب المستطاب ورد لنا هذا التقريظ الجليل من حضرة الاديب الفاضل والفيلسوف العاقل العالم النحرير والكاتب الشهير حسن بك حسنى صاحب جريدة النيل فادرجناه فى فاتحة هذا الكتاب وشكرنا حضرته على ما أولانا من الثناء وهو هذا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملهم الصواب والصلاة والسلام على منبع الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه الاطهار الانجاب ﴿وبعد﴾ فقد أحطت خبرا بجمل هذا الكتاب الجزيل الفائدة الجليل العائدة النبيل المقصد الشريف المبدا والغاية فاذا هو مسدد المآل غنى المضمون عالى الامل مبرور العمل جمع الى رشاقة الاسلوب انطباق المفاد وضم الى حسن السياق والترتيب جمال العبارة وكمال التراكيب فجاء اسمه (الدر المنثور فى تراجم ربات الخدور) عنوانا على مسماه تجلى عرائس الافكار فى أعالى قصور الاعتبار مجلى السطور بجواهر المعانى مسترقا أسرار الاذهان برشاقة المبانى قد اشتمل على تراجم العدد العظيم من ربات الخدور وسيدات القصور وأميرات العصور على سياق غير مسبوق المثال فى متقدمى الاجيال فسبحان من وفق ووهب وأقام للسيدات امرأة فضل وأدب والحق أحق أن يقال ويسمع ان هذا الموضوع من أهم ما يجب أن يعتنى به العالم المدنى لاشتماله على قسم عظيم من تراجم شهيرات نصف العالم البشرى وهن القسم الوحيد على تربية الملكات الاولى والشريك الامين فى الاعمال الحياتية وناهيك ما هنالك من الاهمية التهذيبية التى تستفاد بتداول مثل هذه الآثار النفيسة خصوصا وقد قامت بأداء هذا الواجب حضرة المحتشمة الفاضلة البارعة الكاتبة الشهيرة ذات العفاف

السيدة زينب فواز فجادت وأجادت في هذا الكتاب بما يروق ذوي العقول ويشوق أرباب الألباب ولا غرابة فاشتهارها بالفكر والقلم اللذين طالما زينا الاوراق وطار بجناحي شهرتها الفاضلة في الآفاق وسابقا الشمس في السير والاشراق فنثني على هذه السيدة ثناء الجزيل ونشكر مسعاها الجميل بكل لسان شكر جميل فلا برحت زينة العلم والادب ولا زالت مشكورة الايادي العالية عند كل من قال وكتب

بدا درها المنثور بالفضل زينب * فيا حبذا الدر النثير المرتب
بدت لعيون الفكر آثار حكمة * عرائسها تزهى وبالفضل تخطب
حكى الفلك الاعلى فكل صحيفة * به أفق فيه اسنى الزهر كوكب
حوى حسنات الدهر بين سطوره * وقومها ذاك اليراع المهذب
فلا برحت للفضل بالفضل زينب * تقول مقال الفاضلين وتكتب

﴿ حسن حسني ﴾

وصل لنا هذا التقريظ من حضرة شاعرة العصر ربة الفضل السيدة عائشة التيمورية فقبلناه مع الشكر والممنونية لحضرتها

جيدت لعزة بالمديح تجول * لما تحلى جيدها المصقول
لمعت لآلي العقد تزهو نثرة * كسنا الجبين راق فيه نحول
دعني زمانا التقطوه من بحر طمى * فمن اذى طبق القياس جهول
هذا هو الدر الذي غواصه * بعزيز آيات الثناء مشغول
اذ ذاك من صدف وهذا جوهر * لفظته أذهان ذكت وعقول
در حكت دري زهت أنواره * يشهد بها المعقول والمنقول
هنوا ذوات الخدر بالفوز الذي * يعلو على سحب البها ويطول
ولقد علت طبقاتهن وزانها * يتفاخر بعد الخمول قبول
طبقات منثور بريق ضيائها * كشعاع شمس بالسها موصول
كم أمطرت غيث الدموع عيونها * تاج الفخار وهل اليه وصول
نالت سراء سعدها مالم تكن * رؤياه في سنة الكرى مأمول
لله در طباق زينب أصبحت * بدرا له بين الانام هلول
مذ أسفرت عن أصل جوهر عنه * قد كان قبل سطورها مجهول
فعلى العقيلات الثناء لفضلها * ما جددت في العالمين فصول

عائشة عصمت

التيمورية بمصر

وأتانا هذا التقريظ أيضا من حضرة شاعر عصره وأديب دهره عبد الله أفندي فريج الشهير فتلقيناه بغاية الشكر والممنونية

الشرق لا تعجبوا أن عمه النور * فالشرق بالنور منذ الدهر مشهور
لاسيما في زمان ساد ملك * بالحلم والعلم والآداب محبور
عباس باشا الذي عمت مآثره * فالكل منها بفضل الله مغمور
بعهده مصر كالجنات يانعة * فراح يحمدها الولدان والحور

والعلم اذ خفقت أعلامه شرفا * به انجلى عن ظلام الجهل ديجور

ألم تروا قاصرات الطرف كيف غدا * محض الثناء عليها وهو مقصور

أضحت تبارى رجالا فى العلوم ولم * تثنه بحجب وذيل الفخر مجرور

وقد سمت بيننا اليوم غانية * وحظها فى بنى الآداب موفور

أعنى كريمة فوّاز التى رجحت * بالفضل فينا ومنها السعى مشكور

لم ينكر الفضل منها فى الورى أبدا * الا حسود حليف الغى مغرور

وحسبنا خدمة منها قد اشتهرت * تذكرها فى جميع الكون منشور

مؤلف فيه بالسحر الحلال أتت * فكل رائيه فى الناس مسحور

يدرى فاضلات الشرق من عرب * كل لها خبر فى العلم مأثور

لها جزيل الثنا منا عليه كما * لها من الله أجر فيه مأجور

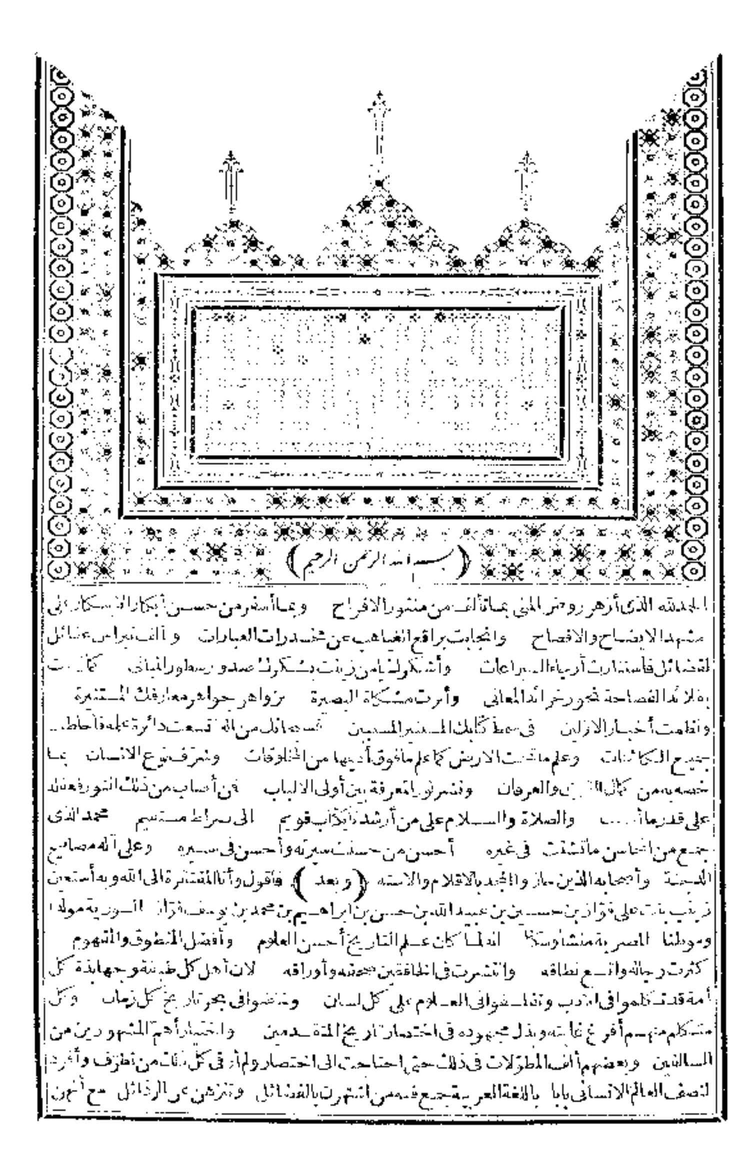
والآن اذ جمعه وفق تمثاله * والكل منتبه لدى وهو مسرور

شدا فؤادى بأبيات يقرظه * وبيت تاريخه بالدر معمور

أبهى كتاب سما جاها لفاضلة * بالسعد فيه بهى الدر منثور

١٨ ٤٣٢ ١٠١ ١٠ ١٢٤١   ١٣٧ ٩٥ ١٧ ٢٣٥ ٧٩٦

سنة ١٨٩٣ مسيحية   سنة ١٣١٠ هجرية



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أزهر روض المنى بما تألف من منثور الافراح وعما أسفر من حسن أبكار الافكار في مشهد الايضاح والافصاح وانجابت براقع الغياهب عن مخدرات العبارات والتمس عرائس الفضائل فاستنارت أرجاء المسراعات وأشكر له ما من زينت بشكرك صدور سطور المباني كما زانت به قلائد الفصاحة نحور خرائد المعاني وأنارت مشكاة البصيرة بزواهر جواهر معارفك المستنيرة ونظمت أخبار الاولين في سمط كتابك المبين المستبين سبحانك من إله تسعت دائرة علمه فأحاط بجميع الكائنات وعلم ما تحت الارض كما علم ما فوق أديمها من المخلوقات وشرف نوع الانسان بما خصه به من كمال الادراك والعرفان ونشر لواء المعرفة بين أولي الالباب فمن أصاب من ذلك النور فقد فاز على قدر ما أصاب والصلاة والسلام على من أرشد بكتاب قويم الى صراط مستقيم محمد الذي جمع من المحاسن ما تشتت في غيره أحسن من حسنت سيرته وأحسن في سيره وعلى آله مصابيح الدجنة وأصحابه الذين حازوا المجد بالاقلام والاسنة (وبعد) فأقول وأنا المفتقرة الى الله وبه أستعين زينب بنت علي فواز بن حسين بن عبد الله بن حسن بن ابراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملية السورية مولدا وموطنا المصرية منشأ ومسكنا انه لما كان علم التاريخ أحسن العلوم وأفضل المنطوق والمفهوم كثرت رجاله واتسع نطاقه وانتشرت في الخافقين صحفه وأوراقه لان أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة قد تكلموا في الادب وتداولوا في العلوم على كل لسان وخاضوا في بحر تاريخ كل زمان وكل متكلم منهم أفرغ غايته وبذل مجهوده في اختصار تاريخ المتقدمين واختيار أهم المشهورين من السالفين وبعضهم ألف المطولات في ذلك حتى احتاجت الى الاختصار ولم أر في كل ذلك من تطرف وأفرد لنصف العالم الانساني بابا باللغة العربية يجمع فيه من اشتهرت بالفضائل وتنزهت عن الرذائل مع أنهن

نسج منوال سيدات لهن المؤلفات التي ما كتبها أعاظم العلماء وعارضن فحول الشعراء فلحقتني الحمية والغيرة النوعية على تأليف سفر يشتمل على محاسن ذوات الفضائل من الآنسات والعقائل وجمع شتات تراجمهن بقدر ما وصل اليه الامكان وايراد اخبارهن من كل زمان ومكان ولما كانت هذه الطريقة صعبة المسالك عسرة على كل سالك خصوصا على من كانت مثلي ذات حجاب ومتقنعة من المنعة بنقاب فقد استعنت على هذا التأليف بما جاء في التواريخ العمومية والمجلات العلمية ووضعته على الحروف الهجائية حتى يلفى غريبا في بابه فسيحا في رحابه وقد سميته (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) وجعلته خدمة لبنات نوعي بعدما أفرغت فيه وسعي مجتنبة كل ما يؤدي الى الملل مختصرة عن الاسانيد والعنعنة والامكنة والازمنة وقد ابتدأت في تأليفه في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٠٩ هجرية الموافق ٧ اكتوبر سنة ١٨٩١ افرنجية وقد جمعته من كتب جمة تاريخية وأدبية منها الكتب الآتية وهي

تاريخ الكامل لابن الاثير
تاريخ الكامل للمبرد
تاريخ الوفيات والاعيان لابن خلكان
تاريخ نفح الطيب لاحمد المقري
تاريخ أخبار الاول فيمن تصرف في مصر من الدول للاسحاقي
كتاب العبر لابن خلدون
كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني
كتاب دائرة المعارف لبطرس البستاني
كتاب السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي
كتاب السيرة النبوية للسيد أحمد زيني دحلان
كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه
كتاب تزيين الاسواق للشيخ داود الانطاكي
كتاب المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين أحمد الابشيهي
كتاب ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي
كتاب قطف الزهور في تاريخ الدهور ليوحنا ابكاريوس
كتاب أسد الغابة بمعرفة الصحابة لابن الاثير الجزري
كتاب نور الابصار في مناقب أهل بيت المختار للشيخ سيد مؤمن الشبلنجي
كتاب ألف با ليوسف بن محمد البلوي
خطط مصر التوفيقية للامير علي باشا مبارك
ديوان الحماسة لابي تمام
ديوان الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمي
رسالة الشيخ الصبان
تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوي
الفتح الوهبي على تاريخ أبي النصر العتبي
روض الرياحين للشيخ عفيف الدين

تحفة النظار في غرائب الأمصار لابن بطوطة
مشاهير النساء تركي لمحمد ذهني
الطبقات الكبرى للشيخ عبد الوهاب الشعراني
قصص الانبياء المسمى بالعرائس للشيخ أحمد الثعلبي
حديقة الافراح
فتوح الشام للواقدي
اللطائف لشاهين مكاريوس
المقتطف ليعقوب صروف وفارس نمر
خزانة الادب لابن حجة الحموي
الروضتين في أخبار الدولتين
الفتح القدسي للعماد الكاتب
بدائع هرون لسليم شحادة
سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون
مروج الاخبار في مناقب الابرار

وهذا خلاف ما جمعته من المجلات العلمية والجرائد الدورية وما التقطته من مقالات لبنات هذا العصر اللاتي تربين أحسن التربية وتعلمن العلم في المدارس العالية وصار لهن شهرة في هذا العالم الانساني واني ذاكرة بعض مقالاتهن في مقدمة هذا الكتاب ليعلم قرائي أن عصرنا هذا نبغ فيه نساء لم يتقدمهن أحد من نوعهن في الاعصر الخالية وما ذاك الا باعتنائهن بحقوقهن من ذويهن الذين عرفوا الحق واتبعوه ولنبتدئ أولا بما قالته حضرة الآنسة الاديبة السيدة سارة نوفل كريمة الفاضل نسيم أفندي نوفل من الاقتراحات التي اقترحتها على علماء اللغة العربية قالت

نحن في عصر سطعت فيه شموس العلوم والآداب فأنارت بأشعتها مدارك ذوي الالباب فلا غرو اذا سميناه بعصر الاختراعات والاكتشافات وقد رأينا فيه من فعل البخار والنور أعجب العجائب ومن قوة البرق والكهرباء أغرب الغرائب حتى لم يبق فيه محل للغرابة اذ دخلنا في هذا المقام على حضرات العلماء وأرباب الفضل الالباء باقتراح يوجب الحصول على نتيجته والوصول الى فائدته كلامهم للبنات المشرفات اللواتي [illegible] ما كان لهن من الحق المسلوب وما عليهن من الواجب المفروض فأقول بعد الاستئذان من ذوي الفضل والآداب

قد علم السادة الاعلام أن الاوربيين وغيرهم من الامم الاخرى لما قد عقدوا العزائم واتفقت الخواطر سواء كان في محافلهم العلمية ومجتمعاتهم الادبية أو في نواديهم العمومية وهيئاتهم الاجتماعية وقرروا وجوب احترام المرأة ومعرفة قدرها [illegible] بما في جنسهم التكوين للارتقاء وحسن التربية

ولما عم في أرجائهم هذا القرار العادل وصار نظاما مرعيا بين الخاص والعام أخذت المرأة بالتقدم الى مراتب الوجود ومقام الكمال الانساني حتى بلغت ما بلغته من المعارف والواجبات وقد رفعت بواسطتها علم السلام بين أولادها وذويها وتمكنت بسببها من عقد نطاق الحب والولاء بين كل من أفراد عائلتها الى غير ذلك مما تراه من آثار آدابها في أكثر الشعوب الغربية

ولم يكتف الغربيون بهذه الاهمية حتى استنبطوا للتمييز بين البنت العذراء والمرأة المتزوجة ألفاظا اصطلاحية قائمة بذاتها كقولهم في اللغة الفرنساوية للمرأة مدام (وللعذراء مدموازيل) وفي الانكليزية مسس ومس

وباليونانية كرياسبينيس وبالايطالية سنيوره وسنيورينه أومادام وهكذا في غيرها من اللغات
الاجنبية الاكثر انتشارا في وقتنا الحاضر

أما نحن الشرقيين عموما والعربيين خصوصا فقد أغمضنا الجفن عن هذا التخصيص رغما عن اتساع اللغة
العربية وتسابقنا الى انتحال أكثر عوائد الغربيين وأزيائهم واشتراكنا في معظم هيئاتهم ومنتدياتهم
واستحسان أخلاق البعض منهم الا أنا لسوء الحظ لم نحذ حذوهم باعطاء البنات هذا التمييز الاحترامي
والاشارة الخاصة بهن عندهم

والاغرب من هذا أنا للوقت ما وجدنا لغتنا التي يتكلمها ما بين مائة مليون نفس وأكثر من الناطقين بالضاد لما وجدنا فيها كلمة
واحدة تقوم مقام المدام والمادموازيل في مباحثاتنا ومعاملاتنا وان قيل ان لنا ست وستيته يستعملان بمعنى
مدام ومدموازيل في الفرنساوية الا أن هاتين الكلمتين ليستا فصيحتين على ما نظن وفضلا عن ذلك فان
التصغير في ستيته هو للاحتقار لا للاختصار خلافا للمعنى المقصود بالمادموازيل كما لا يخفى على كل لبيب أديب
نعم عندنا كلمتان مترادفتان وهما السيدة والخاتون ولكن نراهما غير وافيتين بالمرام لانهما تطلقان على
العذراء والمتزوجة في آن واحد بلا استثناء وليس في احداهما صفة خاصة تدلنا على معرفة الموصوفة
باحداهما معرفة حقيقية والدليل على ذلك أنا لو عثرنا على مقالة لاحدى السيدات والخواتين الشرقيات
في احدى الجرائد العربية لما قدرنا أن نحكم ما اذا كانت المحررة فتاة أو امرأة بل نقف بالالتباس حيارى
بين هذه وتلك الى ما شاء الله

هذا وان شئنا أن نعرب كلمتي مدام ومدموازيل ونستخدمهما كما هما في كتاباتنا لوجدنا أمامنا ثقاف
الملامة ممن درسوا مفردات اللغة ولسان حالهم يقول (كل الصيد في جوف الفرا) فنحتاج وقتئذ الى أحد
أمرين اما المباحثة والجدال الطويل واما أن نسكت ونتراجع جهرا كأنما نخجل حين لا نرى في كتب اللغة
كلمة واحدة تميز بها العذراء من المتزوجة خلافا لما نراه في اللغات المذكورة آنفا فرجاؤنا من أئمة اللغة
وجهابذة الفضل من أبناء هذا العصر أن يجدوا لنا من كلمة عربية تقوم مقام المادموازيل بوضعها ومعناها
بحيث تصير عامة بين الرفيع والوضيع لفظا وكتابة والا فلا لوم علينا ولا تثريب اذا لجأنا الى لغات الاعاجم
باستخدام هاتين الكلمتين وغيرها مما لا مثيل له في لغتنا العربية التي ان طال عليها مطال هذه الاستعارات
أصبحت يوما ما لغة مختلطة اختلاطا وامتزاجا

ولا ننكر أن في زمن تدوين اللغة العربية كانت المرأة في عين الرجل حقيرة ذليلة وليست بأكثر من أدوات
البيت أو آلة من الادوات تمرح خارجا حين ينام الليل ولذلك لم يخطر ببال أحد من ذلك العصر أن يستنبط في
اللغة كلمة مثل هذه تدل على المرأة دلالة صريحة باحترام ووقار ولكن نحن الآن في عصر تنوعت فيه أنواع
الاستنباطات فلا يعسر على أئمة اللغة ابتكار كلمة كالمادموازيل للدلالة والتمييز مع حفظ صفة
الاحترام والاعتبار وحبذا لو أسند الى اللغة ما لم يوجد فيها من الكلمات المستحدثة ولكن هذا يحتاج
الى معاضدة حكومية باقامة مجمع علمي (أكاديمي) وليس من خصائصي أن أبحث فيه وأحث عليه في هذا
المقام هذا وأرجو من جمهور الادباء وأصحاب الفضل الاذكياء أن يسبلوا جلباب العفو والمعذرة على
ما تقدم من مخاطبات حالهم اذ لا قصد لي من هذا الاقتراح الا أن أرى الاسهاب في هذا الشان
والاستفادة من نفثات أصحاب الفضل وخير الناس من أفاد وبناء على هذا الاقتراح استنبط بعض علماء
اللغة لفظة آنسة للبنت وعقيلة للزوجة وتبعها أكثر الجرائد

وقالت حضرة الآنسة جليلة كريمة الدراج بطشقند خطبة على لزوم تربية الاولاد والبنات لاجل تحسين
حالة نسائهم وهذا ما قالت

لقد علم كل انسان بأن كل ما يراه الولد فى صغره يستقر راسخا فى ذهنه أيام حياته كلها فعلى الوالدين أن يجتهدوا فى تربية أولادهم وأن يكون اجتهادهم هو القاعدة الوحيدة لتثقيفهم وقد أجمع على أن المرأة هى علة الترقى والنجاح وأنها قابلة للتقدم فمن ثم لا بد أن يكون لتربيتها أثر عظيم فقد رأينا الولد الانسان مدى حياته قائما على محور التربية التى رباها فى طفوليته وحداثته ولما كان فى نعومة أظفاره على الفطرة كان قابلا أن يتخلق بأخلاق الخير أو بأخلاق الشر على ما يربيه والداه وما يسمعه ويراه منهما من التصرف فهل من مناسبة بين من تربى أولادها بالاستبداد والشتائم والكذب والحيل ومن تربيهم بطول الأناة والنصائح والارشاد والصدق فمن تربى على الخير قام بأعماله حق قيام مكرما فى حياته وما سوفا عليه بعد مماته والعكس بالعكس فمن أراد أن يحيا بمقتضى النواميس الأدبية والمدنية يجب أن يحيد عن طريق الشر ويسير بحسب الاستقامة فاذا أخل بشئ كان من الخاسرين قيل (ومن يشابه أبه فما ظلم)

ففى ذلك دليل على اتباع الاولاد أثر والديهم صلاحا أو طلاحا وقيل ربّ الولد على مخافة الله فمتى شاخ لا يحيد عنها وذلك برهان على رسوخ التربية فى الأحداث ففى حسن التربية سعادة الوالدين والاولاد معا

ويجب على الوالدين أن ينظروا الى طرق أولادهم وأن ينصحوهم وينذروهم لكيلا يسلكوا طرقا معوجة ولا ينهمكوا فى الشهوات ولا يتورطوا حبا فى الدنيا وغرورها بل يقصون هذه الشجرة فى صغرها

فكم من الاولاد يتعلمون القذف والشتائم والكلام القبيح قبل أن يتفوهوا بالصالحات ولا يخفى على الوالدين أنهم مسؤلون فى أولادهم عند الله وعند السلطة والامة معا فان الاولاد للآخرة ولوطنهم ولابناء جلدتهم

فاذا فطن الآباء الى تهذيب أولادهم فى صغرهم ارتاحوا وأراحوا مدى الحياة فخير للوالدين أن يشددوا على أولادهم فى صغرهم من أن يطلقوا لهم العنان فيندموا ويوقعوا أولادهم فى ورطات عظيمة

فمن الناس من يرى ولده عليلا ولا يبادر الى دفع الاذى عنه أو جريحا ولا يسعى فى مداواة كلومه فاذا كانت هذه غيرتهم على علل أولادهم الجسدية فكم يتعدى من الزمن فى مداواة أمراضهم النفسية فمن أحب ابنه أدبه فليس التأديب اهانة وذلا بل شفاء وخلاصا

فقد نهى تعالى شعبه عن الامتزاج بالامم لفسادها وسن له نواميس الاصلاح حتى انه أذن بأن يتيهوا فى البرية ويهلك جيلهم فرارا من أن يدخلوا أرض الميعاد بفسادهم

فعلى المرأة الراغبة فى تربية أولادها أن تكون على جانب وافر من الادب وحبذا لو كانت ذات معارف وصاحبة تدبير ففى ذلك تهذيب أولادها وراحة قرينها فعلى المرأة تدبير المنزل فتساعد قرينها فى الاقتصاد فكم من امرأة بددت بيتها بسوء تدبيرها وكم من امرأة أحيت موات منزلها بحسن ادارتها فلا فائدة للغنى مع الاسراف ولا للفقير مع التبذير وهى خلال اذا تربى عليها الاولاد زاد البلاء بلاء وما نفع أبو العائلة اذا سعى وجد وحرص وأحرز اذا كانت المرأة تبدد أمواله وتفسد تربية أولاده بعدم تعقلها وترويها فمن رام الاصلاح علم الفتيات وغرس فى فؤادهن المبادئ الصالحة وزين عقولهن بالحكمة وحملهن على حب الفضيلة ولله در من قال (لو كانت الآداب بالعقود والقلائد والاساور والخواتم لكان المال انما هو نفس التمدن) فأليق الامم من حبب الله فيهم الحكمة والادب فأول شئ يقتضى غرسه فى فؤاد الولد من أنثى وذكر حب الله وحب الوالدين وحب السلطة وحب الترتيب فمن رسخت فى فؤاده هذه المبادئ وتربى عليها أفلح ومال الى الشغل وكد واجتهد وكان أديبا حسن السلوك والتدبير فى الدرس والمطالعة والمجالسة والمعاشرة حسن الحديث ولين الجانب ولطيف الاخلاق ودماثتها

هذا ولا بد لكل أنثى أو ذكر من مهنة يهتم بها فقيمة المرء ما يحسنه فعليه باحكام صناعته وأن يحرص على

حاله ويستعيدها فالصناعة تكسبه مالا وتجيره على نبذ الكسل وعلم الحساب يقيه من الخطا وأعمال اليد تساعده على ترتيب المعيشة وثمرة السعي الترتيب وحسن النظام

أوليس الاليق بنا التخلق بالاخلاق الحميدة وأن نزدان بالعلوم والمعارف ونعكف على الشغل والعمل من أن نمضي الاوقات فيما لا طائل تحته من الاحاديث بل بالقدح والطعن والنميمة والثلب والتعصب والاغراض فعلينا أن نكون كالرياحين زهرا وزهاء لا كالارض البورة رطبا وعوسجا

وقالت حضرة الاديبة الفاضلة العقيلة هنا كورانى مظهرة واجب الزوجة نحو الرجل واليك ما قالت

والحق اذا علا والفضل اذا سما والصلاح اذا بدا والعقل اذا ارتقى فهناك مقام البهجة والحبور ومرتع الانبساط والسرور ومجتمع السلام والهناء وملتقى الراحة والصفاء في منزل من سارت به زوجة لاقيك بوجه طلق ومحيا بشوش وتهدي اليك من رقة أنغام صوتها لطفا وحلاوة يأخذان منك بمجامع القلوب وتنظر اليك بألحاظ الفطنة والذكاء فتعيرك نشاطا جديدا وتهديك طريقا وعبارات التي رسم التعقل والحلم والرصانة على جبينها آيات عما لها من الفضل والعفاف وكريم المبادئ ومعلنات بذات الزوجة كانها ولي مدبرة العالم الانساني وعليها يترتب أمر التقدم والانحطاط وذلك لانها ربة المنازل وسيدة المساكن من قصر باذخ يناطح برأسه السحاب الى كوخ على جانب كبير من الفقر ورثة الحال ولهذا كان مركزها في غاية قصوى من الاهمية جديرا بأن يعار معظم الاعتبار وخليقا بأن تحوم حوله دوائر صائبي الافكار لتسلم من شر عواقبه الوبيلة على العباد أجارنا الله منه

اذا تأملنا في أحوال ما حوالنا من البشر ووقفنا على دقائق أمورهم نرى بعين آسفة أن معظم الشقاء والتعاسة والآلام التي نصادفها صادرة عن جهل اللاتي يتخذن مقام الزوجة بما يترتب على ذلك من الواجب واللازم فيه ودفي مساكنهن الخصام والشقاق وتفر الراحة من أمامهن على جناح السرعة الى مقام السلام وتكون حياتهن مع أزواجهن عبارة عن سلسلة متصلة حلقاتها بالمرارة والويلات مرتبطة أجزاؤها بالمصائب والتنهدات مع أنه كان بوسعهن لو دبرن أو أردن أن يتقين ذلك البلاء الاعظم الذي يفقدك بهجة الحياة ورونقها

ولا واقي لذلك الداء العضال الذي لا ملجأ من آلامه مدى الحياة سوى عمل الزوجة بما يفرضه عليها الدين والادب حتى الطبيعة من الواجب نحو رجلها فالزوجة التي هي شريكة حياة الرجل يجب أن تتأكد بان مسرتها ومسرته وحياتها متوقفات على محبتها الحقيقية له وخدمتها الامينة لجميع حاجاته كأنه يدور بخدمتها ويفعل ما به يطيب خاطرها ويشترط عليها أن تعمل ما يقلب فرحا اذ لا أحب الى الرجل من الزوجة البشوشة لان البشاشة تنير وجهها وان يكن غير جميل فالفتاة الجميلة الفاتنة التي تصنع بعد زواجها حضرة كدرة لا تقدر أن توجه لوما الا على نفسها اذا غاب رجلها كثيرا عن المنزل لانه من طبع الرجل كراهة الوجه المنقلب والسحنة الشكسة

وعلى المرأة أن تدرس طباع وأخلاق رجلها درسا جيدا لتستطيع السلوك معه بحسب مشتهاه لانها ان فعلت ذلك لا ريب تصيب لديه المنزلة الاولى والمقام الاجل فتصبح ارادته رهن رضاها ومناه تلبية أمرها اللهم الا اذا كان بعيدا من الانسانية بشيء لا يخفى داخل جسده البشري ذا قلب وحشي لا يلين ومن أهم واجب الزوجة الذي قلما تكترث به المحافظة على حسن صحتها في الاعتدال في المأكل والمشرب والملبس لئلا تبتلى بداء يرميها العمر على فراش السقام فتكون حملا لا يطاق على عاتق رجلها فضلا عن أنها تخسر محبته الاولى وهذا أمر بديهي اذ الرجل لم يقترن بالمرأة لمرضها بل لتكون عونه وشريكته في حمل أثقال الحياة ومتاعبها

الجمة وماقصدت بهذا أن يراد الرجال الذين لايعتنون بنسائهم كلا لانه من أول واجب الرجل أن يبذل مستطاعه فى تطبيب زوجته اذا فاجاها مرض أو بلاء بل لاذكرا المرأة بأمر ربما لم يخطر لها ببال فتستفيد للاستقبال حقا وأجبا

ان واجب الزوجة نحو رجلها فرض مقدس سن من قبل الخالق والوجود فاهماله يعود عليها بشقاء مستمر اذ انها تخسر محبة زوجها وثقته بها وبالعظم الخسارة فيصرفان حياتهما فى تعسر وتكدير بخلاف ما اذا قامت بمطلوبات مركزها بجهد وأمانة فالسعادة تظلها بأجنحتها والبركة والسلام يأويان منزلها وكم قد أطنب الشعراء والكتبة فى وصف الزوجة الصالحة ورفعوا من منزلتها وأكثروا من مدحها وذلك دلالة على سمو شأنها وعز رفعتها فى عالم الوجود

والزوجة الصالحة هى التى تمتاز بافكارها الطاهرة الشريفة وبشعورها الدقيق اللطيف وباخلاقها البهجة الانيسة وبصبرها الجميل وعريكتها اللينة وعفتها النقية فتراها مرتدية النظافة واللياقة ثوبا ومعتنية مع عائلتها على حدود الاعتدال والاقتصاد تلك التى تمر يدها بالعمل وتكرر رجليها التجتر فتنهض فى الصبح باكرا متسربلة القوة والنشاط لترتيب أشغال النهار والقيام بمهام منزلها فتكون ينبوع سعادة رجلها وفخر أولادها الذين يسمعون أناشيد مدحها فيموجون طربا ويزيدون من اكرامها شيأ عظيما هذه هى المرأة التى ترفع شأن الانسانية وأعمل فى تقدم الجنس البشرى أشرف وأجل عملا والتى فوائدها لا تحصى وآثارها لا تستقصى فانها تفعل فى ارتقاء العالم أكثر جدا من التعليم والانذار والتوبيخ وبدونها لا تفيد وسائل التقدم شيأ مذكورا ولذلك كانت حاجتنا نحن الذين أخذنا نتدرج سلم المعالى لمثلها شديدة فانى أرى البلاد ظمأى لتأثيرها الحى وماآثرها الغراء فرجائى أن يصيب مقالى فى قلوب نسائنا ثرى ثريا ليجتنين تكرا ويزددن فضلا ويثمرن معروفا فتسمو بهن البلاد والعباد والله وليتنا وبه نتوفق الى خير الاحوال

وقالت حضرة الكاتبة الاديبة مريم خالد فى مقالتها التى عنوانها

(وجوب تعليم البنات ردا على معترض هذا المقصد)

لاأدرى ما الذى دفع بالمعترض الى هذا القول ولا أعلم ما هذا الغشاء الذى قام أمام عينيه فلم يعد ينظر من ورائه الفوائد الحاصلة التى لا ينكرها الامن أعماه الجهل وخيم فوق رأسه الغرور وكأنى به وقد رأى كلا يبدى رأيا ويتكلم بما يعن له من محسنات ومسببات النجاح كقوله هل تقصد أن ترسل ابنتك للمكتب . . . أراد أن يتكلم فبحث فى زوايا دماغه وفتش مخبآت فكره فلم ير الا أن تعلمنا صورة خارجية وضرر عظيم فهل يظن أن العلم خلق للرجل لعمرى انه فى ضلال مبين وخطأ عظيم

ولنفرض أننا سلمنا اعتقاده وجاريناه على قصده حسب زعمه أن العلم لا ينفع البنات بل ينتج المضار فاهى يا ترى أيحسب أن أولها النفقات التى تبذل لوضعهن فى المدارس

ثم ان المدارس بادعة البنات من رتب وطبائع مختلفة فتدخل الابنة بسيطة لا تعرف الحق من الباطل فتستنير بعدئذ وتتغلب عليها آفة الغيرة فتجرب أن تجارى البنات اللواتى هن أعظم منها رتبة وغنى بالملابس والزينة الخارجية وتقتبس كل عوائدهن حتى يصعب على الانسان أن يرى الفرق بين الغنية والفقيرة وتمرن على الراحة والرفاهية حتى متى رجعت الى البيت تراها شامخة بانفها معجبة بنفسها الا يحم العجب ولا تمارس الاشغال البيتية فتخسر والديها مبالغ لا طائل تحتها فكان الاجدر بها أن تبقى فى البيت مثل هذه حجة المعترض لكن وا أسفاه على المعترض لا يعلم أن هذا الغلط غير لاحق بالبنات فقط بل بالشبان أيضا فانى قريب هذا الغلط ولكنه ليس عموميا ألا يعلم أن للناس طبائع وأميالا مختلفة فالبعض يميلون الى الاسراف

والتبذير والبعض الى العلم والتهذيب والبعض لغرور العالم وشهواته فلا خوف على ابنة واقعة تحت ظروف كهذه فهما كانت طائشة وميالة للاسراف لابد من أن يعلق فى ذهنها أثر التهذيب والتى لا يفعل فيها التهذيب المدرسى لا يفعل فيها ولو لازمت البيت فكفى أن المدرسة تربى فيها ميلا للعلم والادب وتدربها فى أعمال الحياة بعد خروجها من المدرسة ودخولها فى العالم ومن جهة الاشغال البيتية لا يلزمها أفكار وتعب جزيل لتتعلم ممارستها فعليك أيها المعارض أن تتشجع ولا تخاف من هذه المضار بل أن تصوب آمالك للفوائد الجمة التى تنتج من تعليم البنات ولا تحتقر عقلهن فانك بذلك تحتقرهن ولا تنس أن المرأة هى المحور الذى تدور عليه أسباب النجاح وهى سبب التقدم والفلاح وهى حافظة الهيئة الاجتماعية ومرآة الآداب العمومية

لامشاحة أنها تبلغ فى العالم مبلغ الرجل أحيانا فلذلك يجب تعويدها على اطلاق أعنة الاقلام فى ميادين التصورات العقلية لتجتنى من الطبيعة عسلها الشهى وبذلك يعلم العالم أنها على شئ وينطق لسان الابكم بفضلها ويشهد اذ تبكم الالسنة القائلة بحطة عقلها وسحق حقوقها أما أنا فعندى أن صرير أقلامنا الحائرة سيدوى فى وديان سوريا ويؤثر فى آذان الهيئة الاجتماعية فعلينا أيتها السيدات بالتحفظ من كل أمر يحط شأننا وملازمة الخطة التى ترفع قدرنا ومقامنا واعلمن بأن الانظار تراقبنا والاصلاحات تنتظرنا والمرأة مرآة الوطن فيها يظهر هيكله ومنها يعرف كيف هو وربما آن أن تكون نحن الراجحات والمعترضون الخاسرين وأخيرا يجب علينا الشكر لله ولوفرة اهتمام الحضرة العلية الشاهانية فى ترقى البلاد والرعية وأكثر الآباء الآن أدركوا أهمية تعليم بناتهن حتى صار تعليمهن عند البعض أمر الازما فاطلقوا قيودهن حتى بادرن على نزر المساعدة المبذولة لهن الى مجاراة الرجال

وقالت حضرة الاديبة الآنسة استير ازهرى مقالتها التى عنوانها (الاحسان الكتابى)

المرء بعد الموت أحدوثة * يفنى وتبقى منه آثاره
وأحسن الحالات حال امرئ * تطيب بعد الموت أخباره

وماذا يفضل حالة من يكرس نفسه لنشر الآداب واعلاء منارها وأى خير نشره أطيب ممن يصل سواد ليله ببياض نهاره ساعيا وراء هداية غيره سبيل المعرفة متخليا عن بصره الله كاشفا عواطفه الا بأخذ بذلك ملل ولا بناله كلل أجل أليست هذه حالة العلماء والفلاسفة منذ نشأ العلم الى اليوم أشغلوا جل أوقاتهم بكتابة الكتب التى تعود على عموم العالم بالنفع وتدرأ عنهم المضار وبهذه الواسطة لم تقصر افاداتهم على الجيل الذى عاشوا معه أو البقعة التى قضوا فيها حياتهم بل لن تزال منتشرة فى كل قطر مدت المعرفة سماءها عليه لابسة من الحياة ثوبا قشيبا لا تبليه الايام ولا يؤثر به كرور الاعوام تخلدت أسماؤهم وكانت خير أثر ومن رغب فى أن يأتى بالاحسان الكتابى لا يحتاج أن يجمع الشعب من حوله ليلقى عليهم معارفه كما كانت تفعل العلماء فى سالف الايام بل خولته التقدمات العصرية مقدرة على وضع أفكاره وتعاليمه فى كتاب ينشره بين الملا فتتناوله الايدى ويقطف أثماره القاصى والدانى ويرى تأليفه يقوم مقامه فى كل عصر حتى اذا فنى المؤلف ولعبت الديدان فى جسده بقى كتابه بين أيدى الذين بعده يغذون عقولهم بمواده وعليه نرى الاحسان الكتابى آلة يستخدمها المحسنون لاذاعة الآداب واستمرارها فتغنى الطلاب عن الاساتذة فكم من الناس الذين لم تسمح لهم أحوالهم بالدخول الى المدارس وجدوا هذا الاستاذ ينادى بصوته الجهورى قائلا تعالوا يا محبى المعرفة وراغبى التقدم فها أنا أستقبلكم على الرحب والسعة وسترون منى أستاذا شفوقا محبا محسنا أرغب فى تقدمكم واعلائكم لا أطلب منكم أجرا ولا تعويضا فلا أترك

غامضا في السماء أو تحت الثرى الا وأحلوه لكم وأظهروا مخبآته فلا يأخذكم بذلك ملل بل ثابروا على خطتكم واجتهدوا بالثبات فيها تروني طلق المحيا لأمام عند ما يتعذر عليكم فعل أمر وها أنا أهدي الشاب منكم صراطا سويا وأعد شيخكم بالتقدم ممثلا بقول الشاعر

لا تقل قد ذهبت أربابه * كل من سار على الدرب وصل

فاطاعوا دعوته وولجوا حدائقها الناضرة ومروجها الخضراء فاقتطفوا منها ما طاب لهم وعادوا ظافرين فعند إذ شعروا بفضل ومنة من أحسن اليهم بتآليفه التي أنارت عقولهم فاقتدوا به وبدؤا بتآليف الكتب التي تخفف على الغير مشاق الدرس الذي لزمهم فاحسنوا كما أحسن اليهم ومن يتأمل المتاعب التي تحدق بالعلماء لا يتبعد عن اكرامهم وتبجيلهم ما أمكن فضلا عن الاضطهادات التي كان يجازى بها من صرح بحقيقة لم يدركها زملاؤه في الاجيال الغابرة وكفى (بغاليلو) برهانا فانه لما صادق على قول (كوبرنيكوس) بكون الشمس ساكنة والارض متحركة نفي الى سجن مدينة غريبة بعيدا عن أهله وخلانه ومات فيه وعليه فغاليلو كان أسير الاعتصاب كما قال ملتن الشاعر الانكليزي عند شكاياته عنه الا أن أضداده لم يقدروا على سجن الحقيقة التي أذاعها غاليلو وعليه فكم يجب علينا أن نقدم الشكر لله تعالى الذي أوجدنا في هذا العصر الحميدي تاج العصور الغابرة فنحن في ظله للعلماء اشتغال بث حقائقهم بين الشعوب فكان ذلك أكبر نصير لتقدم العلوم وأعظم عاضد لنشرها ومما نرى أن العلماء لم يكن يستفزهم وعد أو يرهبهم وعيد بل كانوا يقبلون الموت فداء لحقائقهم فكانوا يساقون لتناول ضروب العذاب كي يذهب ايمانهم كأيمان الفلاسفر ولولا ذلك لانفقت المعرفة وعم الفساد واذا رغبوا في الحياة لا تكون غايتهم منها سوى نفع الغير فينكرون ذواتهم في سبيل الاحسان ويؤيد ذلك ما قاله (ملتون) عندما كان يؤلف كتابه المسمى (بدفاع الانكليز) عندما أنذره الاطباء بالعمى ان لم يكف عن الدرس والتأليف فقال (ان كثيرين يبتاعون الخير الصغير بالشر الكبير أما أنا فحسبي أن أبتاع الخير الكبير بالشر الصغير) حاسبا عمى عينيه شرا صغيرا في جنب الخير الكبير الذي هو خير بلاده

وعلى الراغب بالاحسان كتابة أن لا يرهب في الحق لومة لائم بل يذيع الصواب منتصرا لمبكتيه ولو خالته المسكونة باسرها مبتعدا عن أن يطوي عليه كشحا واذا فعل ذلك لا يكون قد أدى المعارف حق خدمتها ولكن عليه أن يراعي ذوق الجمهور بالبحث عن كل ما يرى منهم الاقبال عليه فاذا أراد مثلا ردعهم عن طرق ألفوها وهي مضرة لهم لبعدهم عن التقدم فعليه أن يظهر وجوه المضار التي تحصل منها والوسائط للابتعاد عنها ولا يؤخذ من كلامه لهجة الامر بل كمريد الاصلاح وعليهم حسن الاختيار وعند ذلك يكونون قد قاموا بالخدمة المطلوبة منهم

وقالت حضرة الكاتبة الاديبة الآنسة استير ازهوري في مقالتها التي عنوانها (الروايات) التي تلتها في دار المدرسة الاسرائيلية عند تمثيل رواية (المسرف)

الروايات والكل تعلمون حقائق لابل فوائد ملبسة بلباس الهزل ومنافع قدمت في معرض المجون تلذ للسامع وتخول الناظر وتحكم بين صحيح الامور وفاسدها فتراها بعين الخبرة وقد أميط النقاب عن مؤداها ويسبر غور تجارب أخذت قسما عظيما من الزمن بما يشوق القليل منه فتحنكه بلا تعب ولا كد وربما عن غير قصد في معرض اللذة التي ينالها عند تمثيلها فتفيده وبالحري تربيه بالوقائع التي يشاهدها كأنها مرت عليه وقد قال الشاعر

تعطي التجارب حكمة لمجرب * حتى ترى فوق تربية الاب

وفوائدها أعظم من أن تحصر بخطاب يدونه قلم عاجز نظيري ومقالة يحصرها يراع قاصر مثلي بيد أني وجدت للكلام مجالا فعملت بقول من قال (وان وجدت قائلا فقل)

فاذا تعمقنا في الروايات منذ نشأتها الى عهدنا هذا نرى أنها كانت عنوان فضائل الاجيال الغابرة أو أنذالها بحسب الموضوع الذي كتبت فيه ولكن عند ابتداء عهدها كانت لعقاب المجرمين واعدام الاسرى فكانت تمثل في ذلك الوقت بهيئة تقشعر منها الابدان وتشمئز منها النفوس بحيث ان ممثليها قلما يستطيعون أن يلعبوا ادوارهم بعد ذلك في رواية الحياة الكبرى

ثم سمت غايتها بعد اذ فاستعملت لاظهار بعض العقائد الدينية ثم صارت لتسلية الملوك والامراء الى أن تحسنت أكثر فأكثر وصارت غايتها العظمى اصلاح ما فسد من العوائد والاخلاق وبيان مصير تابعيها الى النتائج الرديئة التي تكدر كأس صفاء حياتهم وتعبث براحتهم من كل جانب واظهار ما للفضائل من المزايا الحسنى لكي نقتدي بها ولا يجب أن يعزب عن بالنا ما لها من الفوائد التاريخية فتخبر الجمع الحاضر بكل ما جرى فيما سلف من الزمان

وهي مفيدة لتلامذة المدارس بما ليس دون فائدتها في الناس بل أسمى وأجل لان تأثير الحوادث في مخيلة الاحداث يفوق عبارات تأثير الكلام المجرد فيها فاذا راجع كل منا تاريخ حياته يرى صحة قولي وناهيك بالفوائد التي يجنيها المشخصون أنفسهم من عبارات يلقنونها وأمثال يحفظونها وحكم يستوعبونها فكلما نظروا الى الفتى الذكي يرون ما الذي وعوه فيها من الآثار ولا حاجة أن نقول ان وقوفهم وهم في هذا السن في محفل حافل كهذا يجعل وقوفهم في المستقبل بأحسن مما رون منى الا (تصفيق) وللروايات شروط لو عدمتها لسقطت فوائدها وعبث بالمقصود منها غير أني أضرب عن تعدادها الآن ولدينا رواية تنطق باوضح ما يعبر عنه لسان موضوعها من أحسن المواضيع ومادتها من أغزر المواد ومغزاها أحسن مغزى فهي قد خاضت بحر الشعر والنثر فالتقطت منها أنفس الدرر وتقلدت بها زينة وبهاء فنشكر الناسج بردها أفاض فأجاد ولساعي رئيس المدرسة لهمام ومدحا للفتية نجباء أحسنوا التمثيل وأجادوا الالقاء نسأل الله دائما تمتعنا بأمثاله فهو المجيب السميع

وقالت حضرة الاديبة سارة نوفل تحت عنوان (الصحة أفضل من المودة) (الزي)

هرعت نساء الغرب الى دائرة التفنن بأنواع البهارج وأساليب الزخارف وأخذن بمناظرة بعضهن في اختراع الازياء والتلاعب في صورها وأشكالها تباهيا وافتخارا حتى وصلن بها الى ما هي عليه في الوقت الحاضر من الوضع والتركيب ولسان حالهن يقول

لم يرق لي منزل بعد النقا * لا ولا مستحسن من بعدي

ولما كانت هذه الازياء بعيدة عنا غريبة منا كانت نساؤنا وبناتهن قانعات بما ورثنه من التقاليد والعوائد سواء كانت بديعة المبنى أو سقيمة المبنى راضيات بما يختاره رجالهن وآباؤهن من الازياء وأشكالها والاثواب وألوانها وكن بحالتهن هذه متمتعات بتمام الرفاهية والهناء وكمال الصحة والصفاء

ولكن لم نلبث أن تقدمت نحونا تلك المناظرة بخيلها ورجلها ودخلت بلادنا ضيفا غير محتشم واستمالت قلوب النساء والبنات الى الاخذ بناصرها فتغيرت الحالة الاولى بضدها واستحالت عوائدنا القديمة الى عكسها وارتفع علم المودة (أي الزي الجديد) في ربوعنا حتى راجت بضاعته ونال من أفئدتنا بغيته وما كان رافعه الابعض اللواتي أغمضن الجفن عما يتخلل هذه المودة من الاضرار بالصحة العمومية وأقدمن بحكم التشبه والتمثل ببنات جنسهن من الغربيات الى الانقياد لحكم الازياء الجديدة التي لو عرضناها على الاقدمين

لظنوهامن أثواب الهزل كأثواب المساخر التي تلبسها الآن بعض النساء في أيام المرافع لما فيها من اعداد التقاطيع والاشكال وعدد الصور والالوان ولو تصفح هذا البعض كتب الحكمة وقانون الصحة لحكمن على نفوسهن بالخطا وعلمن كيف تورطن باهوائهن الى ماعس الواجب المفروض عليهن في نظام الصحة العامة التي يترتب على سلامتها نموالجنس البشرى وصيانته من آفة الامراض الوراثية

ومن البديهى المقرر في الاذهان أن الاثواب الضيقة جدا هى وحدها عثرة للدورة الدموية في جسم لابسها ومتى اختل نظام هذه الدورة الطبيعى كان الجسم معرضا لكثير من الامراض فكيف لو شدت النساء خصورهن بشد موسوم بلغة الافرنج (بكورسيه) أو (بوسطورى) حبال متينة وأضلاع حديدية لايقوى على احتمال فوتها الضاغطة جسم أوضممن أرجلهن وأصابعهن بأحذية لا نقدر أن نشبهها في التشبيه الا بقولنا بالاحذية الصينية صغرا وقالبا حتى لا يستطعن بعد ذلك أن يأكلن بلذة أو يمشين مستقيمات بحرية بل نرى الواحدة منا مع هذه المضايقة وذاك الاسر متمسكة بأذيال هذه العادة الوخيمة صاغرة لاحكامها الصارمة قانعة بأمرها الى ماشاء الله

واذا سألنا احدى اللواتى ربين في مهد الفضيلة والآداب وتثقفت عقولهن في مدارس الحكمة حتى عرفن أن الكمال اعاذهو عادمن الاعمال أن أى الثوبين الآتى ذكرهما أحسن نفعا وأكثر فائدة وألطف منظرا أثوب بسيط منسوج من الصوف أو من القطن أو الحرير أو الكتان يوافق كلا من فصول السنة الاربعة ويجر بذيله عنوان العفة والوقار وسمات الطهارة والقناعة ثم يحفظ بوسعه القليل راحة المرأة وصحتها مدى الحياة أو ثوب من أثواب الازياء الجديدة الحاكمة علينا بالخضوع لاحكام التقليد واستبداده فضلا عما يلهيها من الاسراف والتبذير لقالت

وماعن رضا كانت سلمى بديلة * بليلى ولكن للضرورة أحكام

ثم تقدر أن نلومك أيتها القائلة اذا كنت متوسطة الوجاهة والثروة ولا ننكر عليك حكم الضرورة التى أشرت اليها لانك معذورة بعدم انفرادك عن زميلاتك والاقتداء بذات جلدتك على أننا نلوم ولا نعذر تلك المرأة الوجيهة الغنية التى نفح الدهر عليها بواسع الخيرات وغاية الوجاهة ولم تثن عزما عن مناظرة اللواتى هن أقل منها رتبة ومقاما وأضعف حالا وثروة لانها قادرة أن تجعل نفسها نبراس الفضائل ليقتدى بها النساء اللواتى هن أصغر منها منزلة وهكذا تقتدى الصغرى بالكبرى تدريجا حتى تصل الى حيث المطلوب والمقصود المرغوب

أما الآن فنرى المسئلة معكوسة من جميع وجوهها حيث نجد المثريات منا اللواتى ينبغى أن يكن قدوة لجمعيات تسابقن في ميدان المودة ويبرزن بحللهن وحليهن تيها واعجابا ويتفاخرن كل يوم بثوب جديد اعلاما بأنفسهن واسرافهن الى غير ذلك مما تتجدد في نفوس عامة النساء روح الغيرة والاقتدار ويحملهن على اقدامهن على نحو هذا التقليد المضر بصالحهن المادى والأدبى فضلا عن اضراره بصحتهن وراحتهن وقد سمعت يوما من احدى السيدات المثريات ما يعرب عن ميلها الى استئصال المودة ومضارها الصحية والمادية حيث قالت انى أود من صميم فؤادى أن أحذو حذو السيدات الامريكيات في زيهن لما فيها من اللطافة واللياقة والراحة لكنى أخاف أن أكون البادئة لئلا ينسب الى البخل والتقتير أو الاخلال بشرفى وجاهى وثروتى أو يظن بى الفقر وعدم الاقتدار على مجاراة نسيبتى دعد وحبيبتى وصاحبتى أسماء وحبيبتى سلمى وهذا أمر يزرى بالمجد ويمس التمدن ولكن بحكم الوهم على أنى لو رأيت واحدة من أمثالى تقدمت قبلى الى نبذ أحكام المودة لكنت وايم الله تابعتها والله عليم بذات الصدور

فالى ذوات الاثر والمآثر وربات الفضل والمبادى الصحيحة أرفع مقالتى هذه بعد أن ألتمس من منازل الطفهن

حلماً ومن واسع آدابهن عفواً للعلى أفوز عن تحمد من هذين الامرين مالا يقبل النقض والابرام والتبكيت
والتبكيت لان التطرف بالمودة قد أوصلنا الى منازل لا تحمد عواقبها والتشبه يقضي بين الاحساب
والانساب والاقران والامثال بأن يتفننوا كل غال حبا للمساواة بين المقلد والمقلد وكم من امرأة قد باعت
ما لديها من الحلى والعقار وابتاعت بقيمته قبعات وأثوابا ومراوح الى غير ذلك من لوازم المودة العائدة
بخراب بلادنا والمنفعة لغيرها من البلاد التي تختلق لنا لزوم مالا يلزم فنتهافت الى ابتياعه ولا تتهافت الجياع
الى القصاع حالة كوننا موجودين في عصر كثرت فيه احتياجات الانسان كما قلت موارد الرزق وسدت أبواب
المصالح تجاه وجوه أربابها ولم يبق من سبيل للتخلص من الضنك المستحوذ على أكثر الشعوب الا الاقتصاد
بعدم الالتفات الى مهالك الازياء فعلينا أن نترك التقاليد الافرنجية ونتمسك بأحاسن العوائد التي يمكننا
أن نقتطفها من مجموع عوائد الغربيين والشرقيين وحبذا لو اقتدينا بعقائل نساء الافرنج اللواتي لا يملن
الا الى الجدة والصالح وحسبنا شاهدا اللواتي نراهن كل عام يرحلن من جهة الى جهة ثانية ومن قارة الى
قارة أخرى تبديلا للهواء وتنشطا لاعمال الفكر بما في الوجود من المناظر والغرائب والآثار والعوائد وهن بغاية
البساطة في ملابسهن وتقليداتهن ومن المستحيل أن نرى واحدة منهن لابسة ذلك المشد الحديدي الذي
يستلزمه المودة لضم أضلاع الصدور وتوسيع دائرة الخصر الى حد لا تطيقه المعدة والمعدة بيت الداء كما لا يخفى
وبناء على ذلك يجدر ببنات الشرقيات أن نقتبس من أدبيات الاجانب ونقتدي بفاضلاتهن ولا نتجرع
كأس الضرر ونحن على علم بأن السم في الدسم ويجب علينا أن نقدم من الآن فصاعدا على نبذ كل عادة
مضرة بأجسامنا وبصالحنا ونعرف ما لنا من الحقوق وما علينا من الواجبات فهلم يا بنات سوريا الاديبات
يا من سطعت بكن شموس ذوات الخدور فغنيتن بالضياء عن البدور الى نشر هذه المبادي في جرائد الوطن
ولسان الحال لكي تصير علما ونفوز بالامنية ونستأصل من بين ظهرانينا آفة الاقتداء بغيرنا ممن لا يهمهم
همنا ولا يسرهم وفاقنا والسلام ولنبدأ الآن بسرد التراجم والله المعين في البداية والنهاية

(حرف الالف)

آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة
ابن كعب بن لؤي بن غالب أم النبي صلى الله عليه وسلم

قال القرماني أعطاها الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى به كريمة قومها وكانت من الفصاحة
والحكمة والبلاغة على جانب عظيم لم يسبقها اليه أحد من نساء العرب توفيت بعد مولد النبي صلى الله عليه
وسلم بست سنوات ودفنت بالابواء قال ياقوت في معجمه والسبب في دفنها هناك أن عبد الله والد رسول الله
كان قد خرج الى المدينة يمتار تمرا فمات بالمدينة فكانت زوجته آمنة تخرج الى المدينة تزور قبره فلما أتى على
رسول الله ست سنوات خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله فلما صارت
بالابواء منصرفة الى مكة ماتت بها ويقال ان أبا طالب زار أخواله بني النجار بالمدينة وحمل معه آمنة فلما
رجع منصرفا الى مكة ماتت آمنة بالابواء وقيل دفنت بدار رائعة وهو موضع بمكة وقيل بمكة في شعب
أبي دب وكانت من شاعرات العرب المجيدات ومن شعرها قولها وهي في نزع الموت وكانت نظرت الى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بجانبها فتأسفت على تركه صغيرا وانه سينشأ يتيما من الاب والام ولكن
تأسفت بما ناله من الفخر والمجد في قومه وفي العالم بأسره بما رأته منه في حال صغره وهذا ما قالته

بارك الله فيك من غلام * يا ابن الذي في حومة الحمام
نجا بعون الملك العلام * فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت في المنام

فانت

فأنت مبعوث الى الانام * تبعث في الحل وفي الحرام
تبعث بالتوحيد والاسلام * دين أبيك البر ابراهام
فالله أنهاك عن الاصنام * أن لا تواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكري باق وسلمت روحها وقيل ان بعضهم رثاها بهذه الابيات

نبكي الفتاة البرة الامينه * ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه * أم نبي الله ذي السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه * صارت لدى حفرتها رهينه
لو فوديت لفوديت ثمينه * وللمنايا شفرة سنينه
لا تبق ظعانا ولا ظعينه * الا أتت وقطعت وتينه
أمادلت أيها الحزينه * عن الذي ذو العرش يعلي دينه
فكلنا والهة حزينه * نبكيك للعطلة أو للزينه

آمنة ابنة عتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعي

كانت شاعرة من شاعرات العرب في الجاهلية اللاتي يشار اليهن بالبنان وكان شعرها قليلا الا أنه ذو بلاغة عجيبة وكان أبوها عتيبة قتله ذؤاب بن ربيعة الاسدي يوم خو من أيام العرب ثم أسر ذؤاب وقتل فورا بعتيبة ولآمنة في أبيها مراث كثيرة لم يصل الينا منها الا قولها

على مثل ابن مية فانعياه * بشق نواعم البشر الجيوبا
وكان أبي عتيبة شمريا * فلا تلقاه يدخر النصيبا
ضروبا بالكمي اذا اشمعلت * عوان الحرب لا ورعا هيوبا

آمنة ابنة أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ولها يقول نابغة بني جعدة

وشاركنا قريشا في تقاها * وفي أنسابها شرك العنان
بما ولدت نساء بني هلال * وما ولدت نساء بني أبان

وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس معاصرا لعبد المطلب بن هاشم جد النبي فولدت لامية العاص وأبا العاص وأبا العيص والعويص وصفية وتوبة وأروى بني أمية وقد سموا بالاعياص وكانت دائما تفتخر بهم فلما مات تزوجها بعده ابنه أبو عمرو وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده فولدت له أبا معيط فكان بنو أمية من آمنة اخوة أبي معيط وعمومته وقيل ان ابنها أبا العاص زوجها أخاه أبا عمرو وكان هذا نكاحا تحكمه الجاهلية فأنزل الله تعالى تحريمه قال الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) سمي نكاح المقت وكانت آمنة مسموعة الكلمة مطاعة عند قومها وكانت موصوفة بالشجاعة والمنعة وطالما افتخرت على باقي العرب في عزها ورجالها

آمنة الرملية رضي الله عنها

كانت من أهل القرن الثالث للهجرة وكانت من الزاهدات العابدات المنقطعات للتبتل وكان أكثر زهاد زمانها يترددون عليها ويتبركون بها وكان بشر بن الحرث رضي الله عنه يزورها ومرض بشر مرة فعادته

آمنة من الرملة فبينما هي عنده إذ دخل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه يعوده كذلك فنظر إلى آمنة فقال لبشر من هذه فقال له بشر هذه آمنة الرملية بلغها مرضي فجاءت من الرملة تعودني فقال أحمد لبشر فاسألها أن تدعو لنا فقال لها بشر ادعي الله لنا فقالت اللهم إن بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين قال الإمام أحمد فلما كان من الليل رأيت فيما يرى النائم أن طرحت لي رقعة من الهواء مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد فعلنا ذلك ولدينا مزيد رضي الله عنهم

﴿ آن لويز جرمان ابنة الكونت نكر وزير مالية فرنسا ﴾

ولدت هذه الشهيرة بباريس سنة ١٧٦٦ وتولت أمها تعليمها ولكنها كانت تجهل مقتضيات التربية ومراعاة حال الأولاد من حيث مزاجهم وميلهم واتجاه عواطفهم فشددت على ابنتها في التعليم واتخذت الصرامة ديدنا في التربية والتأديب فلذلك لم يتعلق قلب ابنتها بها ولا كان لكلامها وقع قبول في نفسها ومن جملة ما بين ذلك أنها كانت تحب اللعب بما يشبه التشخيص في المراسح وتميل إلى ذلك ميلا شديدا فتعمل ملوكا وملكات من الورق وتشخص لها مواقع من فكرتها وتتكلم في التشخيص عنها وكانت أمها تكره المراسح والتشخيص وتمنعها من اللعب بتلك الصور غير مراعية ميلها الشديد إلى ذلك فكانت ابنتها تختبئ وتلعب خفية عنها ولا تكاشفها بشيء مما يخطر ببالها من ذلك وأما أبوها فكان أوفر من أمها حكمة وأكثر معرفة في معاملة ابنته فيلاطفها ويمازحها ويحدثها حتى تأنس إليه وتكشف له قلبها وكان رجلا عظيما وزيرا على مالية لويس السادس عشر ملك فرنسا بعيد الصيت والسطوة والنفوذ يختلف إلى بيته عظماء فرنسا وعلماؤها وشعراؤها فكانت أمها تأتي بها وهي صغيرة السن إلى قاعة الاستقبال وتجلسها على كرسي مستدير بجانبها وتوصيها من حين إلى حين بالجلوس مستقيمة لئلا تكون حدباء الظهر متى كبرت فتجلس هناك شاخصة إلى الزوار وتلتقط كل كلمة تخرج من أفواههم وتصغي أتم الإصغاء إلى أحاديثهم وتذوق معانيهم حتى يرى الناظر من علامات وجهها أنها لا تدع فائدة تفوتها وأنها تبتلع المعاني ابتلاعا على صغر سنها وكانوا كلهم يحدثونها كما يحدثون كبار السن ويباحثونها فيما تعلمته ويحثونها على درس ما لم تتعلمه فلم تكثر عليها السنون حتى بلغت قوى عقلها مبلغا قلما تدركه العقول في سنها ولم تجئ عليها السنة الخامسة عشرة حتى شرعت في التأليف واشتد حبها للعلماء والعظماء فكان قلبها ينبض شديدا عند رؤيتهم وصيتهم يستفزها إلى مجاراتهم ومسابقتهم ولما بلغت عشرين سنة من عمرها شاع ذكرها في الآفاق وانطلقت الألسنة بوصفها تزوجت بسفير أسوج في فرنسا واسمه روستايل سنة ١٧٨٦ فانفتح أمامها باب السياسة وكانت في بداية عمرها تعتبر فلسفة جان ياك روسو اعتبارا عظيما ولما ابتدأت الثورة الفرنساوية وكان أبوها قد أخمد حزب الثائرين مالت إليها حاسبة أنها الطريقة الوحيدة لسعادة فرنسا ونعيمها ولكن لما تفاقم خطبها ورأت فظائعها وعلمت أن أحسن أهل وطنها يتلفون بها نفرت منها وجعلت همها تخليص الذين قد وقعوا في حبالها من الموت فسعت في نجاة العائلة الملكية وفرارها إلى بلاد الإنكليز ولكنها خابت مساعيها فعمدت إلى تخليص غيرهم وكانت كلما خلصت شخصا لا تستريح حتى تخلص كل من يتعلق به من الأقرباء والأصدقاء وتخاطر بنفسها لخلاص غيرها مخاطرة أعظم الناس بأسا واتفق أن الدول المتحالفة ضيقت على الحكومة الثورية سنة ١٧٩٢ فقال رجال هذه الحكومة لا نأمن على أنفسنا إن لم نقتل كل من له ضلع مع الملكية في باريس فاستباحوهم قتلا ونهبا وكان لمدام روستايل أصدقاء كثيرون منهم تخلصت بواسطتهم حياة كثيرين وبقي رجل اسمه رومونتسكيو فعزمت على أن تخرج به من باريس لتسلم له فلقيها الثائرون في الطريق فأنزلوها من مركبها كرها

وذهبوا

وذهبوا بها الى زعيمهم فاخترقت الصفوف مرتجفة والسيوف والبنادق قد سدت الآفاق من حولها
ولو زلت قدمها لقتلت دوسا ولكنها ثبتت على ضعفها ست ساعات تسمع صراخ القتلى وأنين المعذبين حتى
أطلق سبيلها فخرجت من فرنسا فرحة بأنها قد لقيت ما لقيت فداء نفس خلصتها من الموت وكتبت كتابا
بليغا في الدفاع عن الملكة ماري انطوانيت ولكنه لم يأت بالفائدة المقصودة فجزعت على قتلها جزعا شديدا
وفي سنة ١٧٩٧ عادت من سويسرا حيث كانت متوجهة الى باريس فوقع الخلاف بينها وبين نابليون
بونابارت لانها أوجست منه السوء بعد تعرفها به بقليل قالت اني لما تعرفت به أعجبني خلقه وعقله وقلت انه
قد انفرد بنصرائه وأنه رجل معتدل الطباع من أهل الجد والوقار بعكس زعماء الثورة ذوي
الطباع الصعبة الذين كانوا يحكمون قبله ولكن لما هدأ انتعاشي من اعجابي به وعدت الى نفسي شعرت
بنفور عظيم منه لما وجدته فيه فانه كالسيف البارد الماضي يجمد جمودا على حين يجرح جرحا وعلمت أنه
يحتقر الامة التي يريد أن يملك عليها وجاهرت بمعاندته فكانت ترى قاعتها غاصة بجماهير النافرين من بونابارت
الناقمين عليه فأوجس بونابارت خيفة منها وحاول أن يرشوها بالمال لترجع عن معاندته فوعدها بأن يدفع اليها
مليوني لبرة كانا لابيها على الدولة فرفضت قبول تلك الرشوة فقال لها جوزف بونابارت قولي اذا ماذا تشتهين
قالت لا أشتهي شيئا وان سيري هذا طبق لما أعتقده وكانت تحب باريس محبة شديدة وتخاف النفي
منها جدا ولا تسر الا بمعاشرة الادباء محفوفة بأهل الفضل والاصدقاء وكان نابليون بونابارت يعلم ذلك فلما
رأى اصرارها على معاداته أبى الا أن ينتقم منها فنفاها الى مدينة سويسرا ولم يسمح لها بالاستبعاد عن
منزلها أكثر من ميلين وحرمها من العودة الى باريس فكان ذلك عليها مصيبة لا تطاق فقضت باقي أيامها
حزينة على فراق باريس وتولت تربية أولادها فكانت تعلمهم أكثر النهار ولم تنقطع عن ذلك في أشد أيامها
حزنا وكآبة ولذلك كان أولادها يحبونها حبا عظيما ويخاطرون بأنفسهم دفاعا عنها كما روى ذلك كثيرون
من المؤرخين المشهورين وقد اشتهرت مدام روستايل بمحامد كثيرة ظهر بعضها فيما مر ونزيد عليه محبتها
للحق والوقوف على حقائق الامور ولذلك كانت تبذل جهدها في تعلم كل شيء ولو مهما كلفها من المشقة
وكانت تقول جهل الناس للحق والحقائق أكبر دليل على انحطاطهم وقالت عن بونابارت اني علمت بانحطاطه
منذ رأيته لا يهتم بحقائق الامور وكانت تحب الموسيقى وتلهو بها عن أشغال التأليف وتزيد السامعين طربا
بحلاوة صوتها وكان لها ميل شديد الى التشخيص وموهبة عظيمة فيه فكانت تعرف كل المراسح الاجنبية
جيدا وتعلمت في كبرها اللغات التي فاتها تعلمها في صغرها ومن أقوالها ان درس اصطلاحات اللغة أحسن
المشتقات للعقل وأسهل السبل لمعرفة أخلاق أهلها كما هي وأعظم ما اشتهرت به كتبها التي بلغ عددها ثمانية
عشر مجلدا في كل فن مستظرف حتى سموها فولتير النساء لكثرة المباحث التي بحثت فيها وقد قصدت
مؤلفاتها ثلاث غايات من أسمى الغايات احداها توسيع علم الجمال كما كان في زمانها والثانية مهاجمة فلاسفة
فرنسا الملحدين كديدرو ودولباش وكندلالك وغيرهم مهاجمة عنيفة زعزعت أركان فلسفتهم والثالثة بث
روح الحرية في صدور قومها اذ أبانت لهم أن الحرية أعظم شرط لسلامة الآداب والديانة الصحيحة وكانت
فاضلة تقية ورعة غير متطرفة وماتت في ١٤ تموز (يوليو) سنة ١٨١٧ بعد أن ساحت زمانا في النمسا
وروسيا وأسوج وبلاد الانكليز الذين كانت تعتبرهم اعتبارا عظيما

﴿ ايت كجك ابنة السلطان أوزبك ﴾

قال ابن بطوطة في رحلته اسمها ايت كجك وايت (بكسر الهمزة وياء مد وتاء مثناة وكجك بضم الكاف
وضم الجيم) وقال انه لما كان عند السلطان أوزبك طلب منه أن يزور نساءه وبناته وخواص ممالكه

على حسب عادة أهل ذلك الزمان فأذن له وكان من ضمن بنائه كجبك هذه قال انه لما توجه الى هذه الخاتون وهي في محله منفردة على نحو ستة أميال عن محلة والدها أمرت باحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايخ والفقراء وحضر زوجها الامير عيسى فقعد معها على فراش واحد وهو مختل بالنقرس لا يستطيع السعي على قدميه ولا ركوب الفرس وانما يركب العربة واذا أراد الدخول على السلطان أنزله خدمه وأدخلوه الى المجلس محمولا ورأى من هذه الخاتون ابنة السلطان من المكارم وحسن الاخلاق ما لم يره من سواها وأجزلت له الاحسان وأفضلت وأما معارفها وعلومها وكرمها فلا يدناها فيها أحد سواها من نساء زمانها

﴿ اتالانتا ابنة شيني ملك سكروس (مملكة يونانية) ﴾

كانت شديدة التكلف بالصيد فاكتسبت من ذلك سرعة في العدو لا مزيد عليها حتى انها لم يكن لاحد من الرجال الاقوياء السريعي الجري أن يجاريها في الميدان وقتلت بالنشاب حيوانين كبيرين تبعاها ليقتلاها وكانت ذات جمال باهر فتان فطلبها كثيرون للاقتران بها وألحوا عليها فأقسمت أن لا تقترن الا بالذي يسبقها في الميدان بشرط أن يكون عاريا من السلاح ويكون بيدها حربة تضربه بها اذا أدركته فهلك بسابقتها كثيرون من طلابها وأتاها إيومان وكان من المقربين عند الكهنة والفائزين بعنايتها فتسابقا ولما وصلا الى نصف الميدان أخذ إيومان ثلاث تفاحات من ذهب كانت قد أعطته اياها الكهنة المذكورون فرماها على الارض بعيدة وبلياقة فتشاغلت اتالانتا بها فتمكن من سبقها وتنزلت له النوز فاقترن بها وبعد ذلك غضب عليهما الكهنة لانهما دنساهيكل الزهرة فقتلوهما وقد قيل في اتالانتا هذه غير ذلك وهو أنها ولدت في اركاديا وأنها ابنة ياسيوس كان أبوها قد طلب الى معبوداته أن ترزقه ولدا ذكرا فولدت اتالانتا فاغتاظ من ولادتها وألقاها على الجبل البرتناني فرضعت من دبة وأخذت تنمو حتى بلغت مبلغ النساء وحافظت على بكارتها وصارت أسرع الناس جريا على قدميها فقتلت الحيتين المتقدم ذكرهما واشتركت مع الابطال في قتل خنزير كاليدون وكان لها مواقع في الالعاب البلمانية ثم رضي عنها أبوها وألح عليها بأن تتزوج فكان من أمرها ما تقدم ولعل الرواية الاولى أصح

﴿ اديتا ابنة ادغر ملك انكلترا ﴾

ولدت سنة ٩٦١ للميلاد ربتها أمها في دير ولتون بالقرب من سلزبري ولما كانت السنة الخامسة عشرة من عمرها صارت راهبة وبعد ذلك بثلاث سنين قتل أخوها ادورد الذي خلف أباها وذلك بأمر رابته الفريدا فعرض عليها تاج الملك فرفضته بانقطاع مسيحي وآثرت تخصيص نفسها للقربة الفقراء والايتام على تخت الملك وصرفت أيامها في ذلك الى أن توفيت سنة ٩٨٤ ودفنت في كنيسة سان دنيس التي بنتها في حياتها وتعتبرها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وليا تعيد لها تذكارا في ١٦ أيلول (سبتمبر) من كل سنة

﴿ اديلينه دبياق المغنية ﴾

ان هذه المغنية كانت تربت من صغرها في المراسح وتخرجت بضروب الغناء وساعدها الحظ بحسن صوتها وبجمالها الذي جذب اليها الانظار ولما آنست رشدها بلغت من الشهرة ما لم يبلغه غيرها من مغنيات الافرنج وزادت شهرة في بلادها على شهرة مغنيات الخلفاء في مدة العباسيين والامويين ونالت من الثروة ما يبلغ دخلها السنوي المليون فرنك وقد حازت جملة نياشين افتخار من ملوك أوروبا وملكاتها والذي زاد افتخارها انشرف ملوك أوروبا بوضع امضاآتهم على مروحتها لانها كانت تحمل مروحة فريدة في نوعها وبلا مثيل في العالم فان جميع الملوك والمعاصرين لها كتبوا عليها بخط أيديهم أقوالا مختلفة تتضمن

الثناء عليها والرضاء عنها فكتب القيصر الروسي (لاشئ يسكن مثل غنائك) وكتب امبراطور المانيا (الى بلبل جميع الازمان) وكتبت الملكة خرستينات في اسبانيا (ملكة تفتخر بان تحسبك في جملة رعاياها) وكتبت فكتوريا ملكة انكلترا (اذا صدقت كلمات الملك ليار القائل ان الصوت العذب موهبة تكونين أنت يا عزيزتي أديلينه أغنى النساء) والامبراطور اتمساوي والملكة ايزابيلا وضعا امضاءهما أيضا وكتبت ملكة البلجيك صورة المشرع الاول لاغنيتها الشهيرة ثم يوجد في وسط المروحة هذه الكلمات (أمدالله بدى بالمليكة الطرب) مذيلة بهذا الامضاء تيرس رئيس الجمهورية الفرنساوية ان هذا الافتخار وهذا الاعتبار لم ينلهما أحد في العالم وما ذلك الا لحسن الآداب من هذه المرأة التي بها اجتذبت اليها قلوب أكبر أهل الارض

﴿ ارجى ابنة ادرستوس ﴾

هي زوجة بولينيكوس اشتهرت بحبها لزوجها فانها بعد انهزام الرؤساء السبعة أمام طيوه عاصمة المصريين القدماء ذهبت مع انتيقونه امرأة أخيها لتقدم لزوجها الواجبات الاخيرة فقتلت بأمر كريون ملك ذلك الزمان وماتت صابرة حبا في زوجها لكي تدفنه في حفرته

﴿ ارا كه ملكة قسطيله ﴾

هي بكر الفونس السادس وأخت تريسة زوجة ملك البرتوغال تزوجت أولا بريمون البرغوني الذي جعله الفونس السادس كونت جليقة ثم تزوجت سنة ١١٠٩ بالفونس لوبا تليو دملك نوارة وأراغون ثم كرهها زوجها لهذا الابتذال الحرية في سلوكها واعتمادها في طلب حقوق الملك ارثا عن أبيها الفونس السادس ثم خلعت نائب ملك قسطيلة بواسطة زوجها الذي اتخذه حزبا قويا هنالك فاسرت وحجز عليها في اراغون لكنها فرت من السجن وطلبت الى الكرسي فسخ عقد زوجيتها فصالحها الفونس موقتا ثم طلقها ثانيا سنة ١١١١ فلجأت الى محاربته لتطرده من مملكتها فانكسرت ومضت الى جليقة وكان ابنها من زوجها الاول ولدا لفونس الثامن فنادت باسمه ملكا سنة ١١١٢ وحكمت باسم محبوبها كونت لاراء في سنة ١١١٢ لكن عمه كبار قسطيلة ونادوا باسم الفونس الثامن فلم تقبل ذلك اراكه الا بعد معاركة انشبت بينها وبين ابنها فاسرت وحجز عليها في دير سردتها فماتت فيه بعد أربع سنوات

﴿ أريا الرومانية ﴾

قد اشتهرت بشجاعتها وذلك أن ابن زوجها دخل في مؤامرة ضد الامبراطور فحكم عليه بان يقتل نفسه فلكي تشجعه أخذت خنجرا وطعنت به نفسها ثم ناولته اياه وقالت خذه فانه لا يؤلم ففعل مثلها وماتا معا فهذه لعمري هي المحبة الزائدة التي تفضي الى الهلاك من جنس النساء خصوصا

﴿ ارسلان خاتون ﴾

هي خديجة ابنة داود أخي السلطان طغرلبك السلجوقي تزوجها الخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة ٤٤٨ هجرية ثم لما وقعت الوحشة بينهما أخذها طغرلبك صحبته الى الري سنة ٤٥٥ ثم أعيدت الى بغداد سنة ٤٥٩ واستقبلها الوزير فخر الدولة بن جهير على بعد فرسخ وهي التي دعتها امرأة السلطان ملك شاه في تزويج ابنتها بالخليفة المقتدي من غير اشتراط المهر لانها كانت تعززت واشترطت جعل مهرها أربعمائة ألف دينار فاشارت عليها ارسلان خاتون بان تزوجها له بدون اشتراط مهر فوثقت بكلامها وفعلت ما أرادت وكانت المترجمة من النساء الكريمات الخيرات محبة للعلماء واهل الجهالة أوقاف على جهات خيرية مثل

جوامع وتكايا وبيمارستانات ومدارس وخلافها في بغداد وغيرها من الممالك الاسلامية

﴿ارسولا العذراء﴾

هي من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قيل انها ابنة أمير مسيحي من بريطانيا وقد اختلفوا في تاريخ استشهادها فقيل سنة ٢٣٧ بعد الميلاد وقيل سنة ٣٨٣ وقيل سنة ٤٥١ وسبب ذلك قيل ان أميرا طلب أن يتزوجها فأجابته في الظاهر خوفا على بيت أبيها من شره لكنها اشترطت أن يعطيها فرصة ثلاث سنوات واحدى عشرة سفينة وعشر رفيقات من بنات الاشراف ولها ولكل واحدة منهن ١٠٠٠ عذراء فلما أعطيت ذلك أخذت تدرس معهن فن سلك البحار ولما دنا وقت زفافها تضرعن الى الله فأرسل لهن عاصفة قذفت سفنهن الى مصب نهر الرين ومن هناك الى بازل فتركن السفن ومضين ماشيات الى رومية وبينما هن راجعات صادفن في كولونيا جيشا من الهونيين فلما رآهن أمير الجيش دعاهن اليه فلما حضرن أعجبته أرسولا فطلب أن يقترن بها فأبت عليه فأمر بقتلهن جميعا وتركوهن وانصرفوا فوارى أهل كولونيا أشلاءهن في التراب وأقيم لتذكارهن بعد ذلك معبد مخصوص الى الآن يوجد في ذلك المعبد مجموع عظام يقال انها عظام ارسولا ورفيقاتها وجعل لأرسولا عيد في ٢١ ت١ (اكتوبر) من كل سنة

﴿ارسينوى ابنة بطليموس الاول ملك مصر﴾

تزوجت ليسيماخوس ملك تراقية بعد أن طلق امرأة لاجلها فحاولت ارسينوى أن يكون الملك لولدها بعده فسعت بقتل اغاثوكليس ابن زوجها وهربت امرأته باولادها الى سورية ملتجئة الى سلوقس وطلبت اليه أن يأخذ بثارها فنشأت عند ذلك حرب بين ملك تراقية وملك سورية قتل بها ليسيماخوس سنة ٢٨١ قبل الميلاد فمضت ارسينوى الى كسندرية من مدن مكدونية وبقيت هي وأولادها مدة تحت ظل الامان فلما قتل بطليموس سيرونوس سلوقس واستولى على مكدونية سنة ٢٨٠ طمعا في الزواج بارسينوى ليقتل أولاد ليسيماخوس فلما أجابته الى الزواج واستولى على كسندرية قتل الاولاد بين يدي أمهم فهربت هي الى تراقة ومنها الى مصر فقبلها بطليموس فيلاذ بالاكرام ثم تزوج بها

﴿ارسينوى ابنة بطليموس اوليتوا وأخت كليوباترا الشهيرة﴾

أقامها الاسكندريون ملكة بعد أن أسر القيصر الروماني أخاها بطليموس دينيسيوس سنة ٤٧ قبل الميلاد ثم وقعت هي أيضا في قبضة القيصر المذكور سنة ٤٦ فأرسلها الى رومية افتخارا بأسرها غير أن حسن سلوكها مال بالرومانيين اليها فارجعت الى مصر ولما هربت من وجه اختها كليوباترا الى هيكل ديانا أخرجها منه انطونيوس بأمر كليوباترا وقتلها في ذلك سنة ٤١ قبل الميلاد

﴿ارسينوى ابنة بطليموس افرجيه﴾

تزوجها أخوها فيلوباتر ورافقته في حربه مع انطيوخوس الكبير سنة ٢١٧ ميلادية وبعد سنين قليلة قتلها فيلوبون أحد خواص الملك فنهض أنصارها وقتلوه بثارها مع كل عائلته وارسينوى هذه هي أم بطليموس أبيفانوس فيلوباتر وقد اشتهرت بحسن سياستها وخبرتها بالاحكام وخصوصا في الفنون الحربية ولذلك كان زوجها دائما يرافقها في غزواته وقد انتصر على أعدائه جملة مرار وكل ذلك بآرائها الصائبة

﴿اريانو ابنة مينوس ملك اكريت﴾

هي ابنة مينوس من زوجته باسيفا قال أوفيدوس أحبت تيسيوس لما أتى اكريت لمقابلة منيوتو ودمع

الاثينيين الذين أتوا ليقدموا له الجزية وأعطته ربطة من الخيطان استعان بها على الخروج من البربى التي دخلها لقتل مينوتور فعرض عليها تيسيوس أن يتزوجها مقابلة لها على صنيعها فأجابته اريانوا الى ذلك وسافرت معه الا أنهما لما وصلا الى جزيرة نكسوس تركها تيسيوس ورجع الى بلاده فقاست الا ان التي لم يكن لها خبر في وطنها وأهلها لم يكن لها خبر في غيره وبقيت هنالك الى أن ماتت جوعا

﴿ اريانو ابنة لاون ملك اليونان ﴾

تزوجت زينون الذي جلس على تخت الملك سنة ٤٧٤ للميلاد وساءها ما بدا من فواحش زوجها وخطاه ويقال انها دفنته في الارض حيا وهو سكران وتزوجت انسطاس وأجلسته على تخت الملك بدلا عنه وكانت وفاتها سنة ٥١٥ للميلاد ولها جملة مآثر في مملكتها

﴿ اردوجا خاتون زوجة السلطان أوزبك ﴾

اسمها أردوجا (بضم الهمزة واسكان الراء وضم الدال المهملة وجيم وألف) واردو بلسانهم المحلة وسميت بذلك لولادتها في المحلة وهي ابنة الامير الكبير عيسى بك أمير الالوس (بضم الهمزة واللام) ومعناه أمير الامراء قال ابن بطوطة في رحلته لما مررت بتلك البلاد وزرت السلطان أوزبك وامرأته ووزراءه وكان ذلك الامير حيا وهو متزوج ببنت السلطان آيت كججك وابنة اردوجا خاتون من أفضل الخواتين وألطفهن شمائل وأشفقهن وهي التي بعثت الي لما رأت بيتي على التل عند جوار المحلة ولما دخلنا عليها رأينا من حسن خلقها وكرم نفسها ما لا مزيد عليه وأمرت بالطعام فأكلنا بين يديها ودعت بالشراب فشرب أصحابنا وسألت عن حالنا فأجبناها وانصرفنا من عندها ونحن شاكرون معروفها ولها مآثر وخيرات دارة على مساجد وتكايا ومدارس في بلادها وكانت مقربة عند السلطان لتقرب أبيها منه ومسموعة الكلمة عنده

﴿ أروجا ملكة كيلوكري في بلاد طوالس ﴾

هذه الملكة بنت ملك طوالس وهي بلاد واسعة مجاورة لبلاد الصين كان أبوها يفتح الفتوحات ويضم فيها من يشاء من أولاده ولما فتح كيلوكري وضع ابنته أوروجا عليها لعلمها بالسياسة وشغفها بالحرب واقدامها على الاهوال قال ابن بطوطة في رحلته لما وصلنا الى كيلوكري ورسينا بمينائها استدعت هذه الملكة الناخودة أي (الصمدان) صاحب المركب والكراني وهو الكاتب والتجار والرؤساء والتندبل وهو مقدم الرجال وسباه سالار وهو مقدم الرماة لضيافة صنعتها لهم على عادتها ورغب الناخوذة مني أن أحضر معهم فأبيت الذهاب فلما حضروا عندها قالت لهم هل بقي احد منكم لم يحضر فقال لها الناخوذة لم يبق الا رجل واحد بخشي (وهو القاضي) بلسانهم (وبخشي بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء وكسر الشين المعجمة) وهو لا يأكل طعامكم فقالت ادعوه فجاء جنادرتها وأصحاب الناخوذة فقالوا أجب الملكة فأتيتها وهي بمجلسها الاعظم وبين يديها نسوة بأيديهن الازمة يعرضن ذلك عليها وحولها النساء القواعد وهن وزيراتها وقد جلسن تحت السرير على كراسي الصندل وعليه صفائح الذهب وبالمجلس مصاطب خشب منقوش وعليها أواني ذهب كثيرة من كبار وصغار كالخوابي والقلال والبواقيل أخبرني الناخوذة أنها مملوءة بشراب مصنوع من السكر مخلوط بالافاويه يشربونه بعد الطعام وانه عطر الرائحة حلو المطعم يفرح ويطيب النكهة ويهضم فلما سلمت على الملكة قالت لي بالتركية ما معناه كيف حالك كيف أنت وأجلستني بالقرب منها وكانت تحسن الكتابة العربية فقالت لبعض خدمها آتني دواة وقرطاسا

فأتى بذلك فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم فقالت ما هذا فقلت لها تنضرى تنكرى نام (وتنضرى بفتح التاء الفوقية وسكون النون وفتح الضاد وراء وياء) ونام (بنون وألف وميم) ومعنى ذلك اسم الله فقالت جيد ثم سألتنى من أى البلاد قدمت فقلت لها من بلاد الهند فقالت بلاد الفلفل فقلت نعم فسألتنى عن تلك البلاد وأخبارها فأجبتها فقالت لابد أن أغزوها وآخذها لنفسى فانى يعجبنى كثرة مالها وعساكرها فقلت لها افعلى وأمرت لى بثواب وحمل فيلين من الارز وبجاموستين وعشرين من الضأن وأربعة أرطال جلاب وأربعة مرطبانات وهى ضخمة مملوءة بالزنجبيل والفلفل والليمون والعنبا كل ذلك مملوح مما يعد للبحر وأخبرنى الناخودة أن هذه الملكة لها فى عسكرها نسوة وخدم وجوار يقاتلن كالرجال وأنها تخرج فى عساكر من رجال ونساء فتغير على عدوها وتشاهد القتال وتبارز الابطال وأخبرنى أنه وقع بينها وبين أعدائها قتال شديد وقتل كثير من عسكرها وكادوا ينهزمون فدفعت بنفسها وخرقت الجيوش حتى وصلت الى الملك الذى كانت تقاتله فطعنته طعنة كان فيها حتفه فمات وانهزم عسكره وجاءت برأسه على رمح فافتكه أهله منها بمال كثير فلما عادت الى أبيها ملكها تلك المدينة التى كانت بيد أخيها وأخبرنى أن أبناء الملوك يخطبونها فتقول لا أتزوج الا من يبارزنى فيغلبنى فيحتشمون مبارزتها خوف المعرة ان تغلبهم ولهذه الملكة غارات ووقائع غريبة مع ملوك الهند وملوك الصين من المسلمين وعبدة الاوثان وما زالت مالكة تلك البلاد مدة من الزمان حتى توفى والدها وأخوها جميعا وملكت سائر ملك أبيها وأخيرا قتلت بفراشها بدسيسة أحد ملوك الصين وانتزعت مملكتها بموتها

﴿ اربلاى المؤلفة ﴾

مدام دوارابلاى مؤلفة انكليزية ولدت سنة ١٧٥٢ وتوفيت سنة ١٨٤٠ وكانت فى حداثتها قليلة الكلام حيية لكنها اكتسبت تهذيبا لعلم أخلاقها فكتبت سنة ١٧٧٨ قصة تشهد ببراعتها وطول باعها فى هذا الفن ثم كتبت عدة روايات غيرها واتخذتها الملكة خادمة بالخصوصية وبعد أن خدمت ٥ سنوات ألجأها ضعف جسمها الى الاستعفاء واقترنت سنة ١٧٩٣ برجل فرنسى واستمرت على التأليف حتى ان مؤلفاتها ازدادت جدا وبقيت بعدها سامية باثورتها حتى أعقبتهم غير تأثير الحد وطبعت جميع مؤلفاتها وانتشرت فى جميع أنحاء العالم الغربى

﴿ ارتمسيا ملكة هاليكرناسوس من كاريا ﴾

هذه الملكة كانت من ذوى الحكمة والدراية بالامور الحربية والسياسية ولما تبع خورش ملك فارس لما هاجم بلاد اليونان اشتركت معه لكونها كانت خاضعة له وأخذت معها أسطولا مؤلفا من خمس سفن واشتهرت بما كان منها من البسالة والحكمة فى معركة سلاميس التى انتشبت سنة ٤٨٠ قبل الميلاد وذكر فى رواية مشكوك فى صحتها أنها شغفت بحب شاب من أبيدوس اسمه دردانوس الا أنه لم يشاركها فى حبها فسملت عينيه لكنها ندمت فيما بعد على قساوتها واستشارت المعبودات فيما يجب أن تعمل كفارة عن ذنبها فقالت لها من الواجب أن تطرح نفسها فى البحر عن صخر جزيرة لوكاريا ففعلت ذلك وماتت غريقة

﴿ أرجوان جارية أبى العباس الذخيرة ﴾

وهو محمد بن القائم بالله العباسى بسببها بقيت الخلافة فى ولد القائم لانه لم يكن له ولد سوى أبى العباس هذا وتوفى فى حياة أبيه ولم يعقب فحزن القائم فى أواخر أيامه حزنا لا مزيد عليه وانقطع أمل الناس من خلافة

عقبه وظنوا أن دولة البيت القادري قد انقرضت وكان أبو العباس يختلف الى هذه الجارية فاتفق أنها حملت منه فلما رأى الناس هذه الحالة وما ألم بالقائم من الهم والحزن أعلنت حملها فتعلقت آمال الناس بها وتوجهت الافكار اليها ثم انها ولدت بعد وفاة مولاها بستة أشهر غلاما ففرح القائم فرحا مفرطا وفرح الناس لبقاء الخلافة في بيته وهذا هو الذي لقب بالمقتدر وكان من أمره ما جاء في تاريخه وأرجو أن هذه أم ولد أرمينية تدعى قرة العين وأدركت خلافة ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله

﴿ أروى ابنة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكرها أبو جعفر في الصحابة وذكر أيضا أخواتها كذا ابنة عبد المطلب قال محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي لما أسلم طليب بن عمير دخل على أمه أروى بنت عبد المطلب فقال لها قد أسلمت وتبعت محمدا أو تبعته فقد أسلم أخوك حمزة قالت أنظر ما تصنع أخواتي ثم أكون احداهن قال فقلت انى أسألك بالله الا أتيته وسلمت عليه وصدقته وشهدت أن لا اله الا الله قالت فانى أشهد أن لا اله الا الله محمد رسول الله ثم كانت بعد تعضد النبي صلى الله عليه وسلم وتعينه بلسانها وتحض ابنها الى نصرته والقيام بأمره وكانت من الشاعرات الاديبات والمتكلمات في العرب * ومن قولها ترثي والدها عبد المطلب مع باقي اخواتها حين طلب منهن ذلك قبل موته ليعلم قولهن في الرثاء

بكت عيني وحق لها البكاء * على سمح سجيته الحياء
على سهل الخليقة أبطحي * كريم الخيم نيته العلاء
على الفياض شيبة ذي المعالي * أبيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيظمي * أغر كأن غرته ضياء
أقب الكشح أروع ذو فضول * له المجد المقدم والثناء
أبي الضيم أبلج هبرزي * قديم المجد ليس له خفاء
ومعقل مالك وربيع فهر * وفيصلها اذا التمس القضاء
وكان هو الفتى كرما وجودا * وبأسا حين تنسكب الدماء
اذا هاب الكماة الموت حتى * كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قدما بذي رأى مصيب * عليه حين تبصره البهاء

وقد أسنت وماتت في خلافة عمر بن الخطاب ودفنت بما يليق بها من الاكرام

﴿ أروى ابنة الحرث بن عبد المطلب بن هاشم ﴾

كانت فريدة زمانها وبليغة عصرها وأوانها اذا خطبت أعجزت وان تكلمت أوجزت ولا غرو فانها ابنة البلاغة ومعدن الفصاحة والحصافة
قيل انها وفدت على معاوية بن أبي سفيان لما ولى الخلافة وكانت عجوزا كبيرة فلما رآها معاوية قال مرحبا بك وأهلا يا خالة فكيف كنت بعدنا فقالت يا ابن أخي لقد كفرت يد النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة في الاسلام بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتعس الله منكم الجدود وأضرع منكم الخدود ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابتكم من رسول الله ونحن أقرب اليه منكم وأولى بهذا الامر فكنا فيكم

بمنزلة بنى اسرائيل فى آل فرعون وكان على بن أبى طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار فقال لها عمرو بن العاص كفى أيتها العجوز الضالة وأقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك فقالت له وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة فى مكة وآخذهن للاجرة ادعاك خمسة نفر من قريش فسئلت أمك عنهم فقالت كلهم أتانى فانظروا أشبههم به فألحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به فقال مروان كفى أيتها العجوز وأقصرى لما جئت له فقالت له وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم ثم التفتت الى معاوية فقالت والله ما جرأ على هؤلاء غيرك فان أمك القائلة فى قتل حمزة

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لى عن عتبة من صبر * وشكر وحشى على دهرى
حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابتها ابنة عمى وهى تقول

خزيت فى بدر وبعد بدر * يا ابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك فقالت مالى اليك حاجة وخرجت عنه وبعد خروجها التفت معاوية الى أصحابه وقال لهم والله لو كلمها كل من فى مجلسى لأجابت كل واحد منهم بجواب خلاف الآخر بدون توقف وهكذا فان نساء بنى هاشم أصعب فى الكلام من رجال غيرهن وأمر لها بجائزة تليق بمقامها وبقيت مكرمة بين قومها الى أن توفيت بالمدينة بخلافة معاوية

﴿أروى ابنة كريز بن عبد شمس﴾

كذا نسبها ابن منده وأبو نعيم والصواب ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهى أم عثمان بن عفان وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم ماتت فى خلافة عثمان وكانت عاقلة ورعة لها صحبة بالنبى صلى الله عليه وسلم وروت عنه الحديث وحدثت أناسا كثيرين

﴿أزرميدخت ابنة أبرويز﴾

كانت من أجمل النساء وجها وأحسنهن ذكاء وأوفرهن عقلا وأليقهن فعلا وتعلق الفرس بحبها ورغبتهم فى علوهمتها ملكوها عليهم بعد قتل خشنشده من بنى عم أبرويز والدها الا بعد بين وكان عظيم الفرس يومئذ هرمز اصبهبذ خرسان فارسل اليها يخطبها فقالت ان التزوج للملكة غير جائز وغرضك قضاء حاجتك منى فسر الى وقت كذا فنفعل وسار اليها تلك الليلة فتقدمت الى صاحب حرسها أن يقتله فقتله وطرح فى رحبة دار المملكة فلما أصبحوا رأوه قتيلا فغيبوه وكان ابنه رستم وهو الذى قاتل المسلمين بالقادسية خليفة أبيه بخراسان فسار الى العراق فى عسكر حتى نزل بالمدائن وحاصرها حتى ضاقت به ذرعا فطلب أهلها منه الامان فأمنهم بشرط تسليم الملكة اليه فقبلوا منه ذلك ودخل المدينة وألقى القبض على أزرميدخت وسمل عينيها وقتلها وقيل بل سمت نفسها وكانت مدة ملكها ستة عشر شهرا

﴿أسباسيا زوجة بركليس﴾

كانت من أشهر نساء اليونان حسنا وجمالا وعقلا وفصاحة وبلاغة وأدبا وفطنة وخطابا لها اليد الطولى على جميع نساء عصرها وافقتها الزوجها حتى انها كانت تسير معه أين سار وتشاركه فى كل أعماله العقلية والفعلية والالعاب الرياضية وميادين النزال وتعمل أعمالا يعجز عنها أقوى الرجال حتى انها اكتسبت بذلك

شجاعة وشهرة لم يسبقها عليها أحد من نساء اليونان وتقاطرت على بابها العلماء والشعراء والفلاسفة والرياضيون والبلغاء وكان ناديها أحسن ناد جمع فيه العلم والادب ولذلك وصفتها المؤلفة الشهيرة مدام أودن في كتابها المشتمل على سير أبطال النساء عند ترجمتها اذ قالت ان بيتها أعظم بيت من بيوت عظماء الاثينيين فلذلك لو نظرت الى جدرانه تجدها مرصعة بتماثيل الرجال العظام وأمام بابه رواق رفيع العماد وعلى الباب أسجاف الارجوان وبجانبه أفاريز من المرمر الاصفر وكوى البيت مشبكة كلها بقضبان النحاس على أشكال وضروب شتى وأرضه مغطاة بالفسيفساء البديعة الاشكال وعليها أرائك من القرمز والارجوان أهدابها مطرزة بالذهب وفي البيت مكتبة من الخشب الثمين علوءة بالدروج من الرق والحلفاء فلو نظر القارئ في الصباح الى هذا البيت يرى اسباسيا قد نزلت من غرفتها على درج من المرمر الابيض ومشت في الصحن وخرجت الى الرواق الجنوبي الذي يطل على بستان البيت لتستنشق نسيم الصباح متضمخا بأريج الازهار والرياحين وخرج بركليس وهو ماش بجانبها وتجاذبا أطراف الحديث في السياسة والفلسفة وهي طويلة القامة ممشوقة القد جعدة الشعر شقراؤه نجلاء العينين حوراواهما شماء الانف صغيرة الاذنين حمراء الوجنتين والشفتين

تفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

لابسة رداء أبيض على ردنيه أبازيم من الذهب وفوقه رداء قصير من الارجوان بل أردان أذياله مطرزة بالذهب وعلى كتفيها رداء ثالث مسدول عليها مسدلا والنسيم يعبث به في ذهابها وايابها فتخالها ملكا ناشرا جناحيه للطيران وفي أصابعها خواتم الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ولم تكن اسباسيا من ربات الغنج والدلال اللواتي يباهين بالحلي والحلل بل من أهل الجد المربين مع الفلاسفة والحكماء وكان بيتها هذا ناديا تتقاطر اليه الفلاسفة ورجال السياسة كسقراط وأفلاطون وغيرهما فتباحثهم في أسماء المواضيع الفلسفية والسياسية حتى اذا كل عصب الدماغ منها ومنهم أدارت أزمة الحديث الى الفكاهات واللطائف تديرها عليهم صرفا فتسكرهم بعذوبة كلامها كما أسكرتهم بسمو معانيها وكان سقراط الحكيم يعترف بفضلها عليه ويشهد بانها هذبت أخلاقه وكملت معارفه وبركليس زوجها كان ينسب اليها كل شهرته في الخطابة وقال انه تعلم منها البلاغة والسياسة وكانت نساء أثينا يترددن على بيتها أيضا ويتعلمن منها التهذيب واللباقة وكانت الفنون الجميلة كالتصوير والبناء والنقش في أوج مجدها فعند تم السياسيا بيتها أوسعت جهدها في رفع شأن ذويها ولم تكن هذه الفاضلة من الاثينيات ولذلك لم تحسب زوجة شرعية لبركليس لان شريعة الاثينيين كانت تحرم على الاثينيين اتخاذ الزوجات من الاجانب الا أن جمالها المفرط وسمو عقلها وغزارة معارفها وكثرة فضائلها ألجمت ألسن الناس عن الطعن عليها زمانا طويلا والحسد وقاك الله منه عدو ألد لا يبهره الجمال ولا تتغلب عليه الفضائل فنفخ في آذان بعض ذويه فقاموا عليها واتهموها باحتقار الاثينيات وبلغت القحة منهم حتى طعنوا في عرضها واتهموا معها انكسوراس الفيلسوف وفيدياس النقاش فنفوا أحدهما ونفوا الآخر نفيا مؤبدا وحامى بركليس عنهما بكل جهده فلم يستطع انقاذهما ولما وصل الدور الى اسباسيا صار كله ألسنة وبلاغة فدافع عنها في مجمع أريوس باغوس وكان من أفصح أهل زمانه لسانا وأثبتهم جنانا وأقواهم حجة ولما عجز لسانه عن اقوال اربه دافع عنها بدموع عينيه حتى قيل انه أنقذها من الموت بالدمع ولم يكن من ضعاف العزائم الذين تفيض دموعهم عند أخف النكبات ولا كان من المتعلقين بحبال الهوى المنقادين بزمام الشهوات فانه لما فشا الوباء واختطف ابنيه البكر وأخته وكثيرين من أقاربه تحمل هذه النكبة الشديدة بصدر أرحب من البيد وصبر أغزر من البحر ولم يسكب عليهم دمعة ولكنه لما رأى الفضيلة مهانة باهانة زوجته والعفة والطهارة مهتوكة أستارهما ظلما وعدوانا

لم يتمالك عن البكاء وكذا لما اختطفت أيدي المنون ابنته الصغرى وجلل اكليل الزهر ابكال به جبينه
غلبت عليه الشفقة الابوية ففاضت دموعه رغماً عنه وكانت ولادة اسباسيا بمليتوس سنة ٤٧٠ قبل الميلاد
واقترن بها بركليس بعد أن هجر زوجته الاولى وانقاد اليها أشد الانقياد حتى قال ارستوفانيس انها هي التي
حملته على اثارة حرب ساموس وبالوبونيسوس ولكن فلوطرخس المؤرخ الثقة نفى عنها هذه التهمة وتوفي
بركليس بالطاعون فتزوجت اسباسيا بعده رجلاً من التجار فصار بسببها من مشاهير أثينا وخطبائها

﴿استير ستنهوب ابنة كارلوس الثالث في عائلة ستنهوب﴾

امرأة انكليزية شريفة ذات أطوار غريبة ولدت في لندن في ١٢ آذار (مارس) سنة ١٧٧٦ وتوفيت
في جون التابعة لاقليم الخروب من جبل لبنان في ٢٣ حزيران (جونيو) سنة ١٨٣٩ وكانت أكبر أولاد
كارلوس الثالث لارل ستنهوب من زوجته استير ابنة ارل تشتام دخلت في السنة العشرين من عمرها
بيت عمها وليم بت فكان يعتمد عليها ويكاشفها أسراره واستمرت عنده الى أن مات سنة ١٨٠٦ وقبل وفاته
أوصى بها الامة الانكليزية فعين لها معاش سنوي قدره ٢٠٠ ليرا انكليزية غير أن المبلغ لم يكف لسد
المصاريف التي كان يقتضيها امر كرمها وسخائها فانفردت في والس ثم تركتها وطافت أوروبا وكانت حينئذ
فتية نضرة جميلة غنية ففتنت في البلدان التي زارتها بالتكريم والتعظيم اللذين تقتضيهما صفاتها الا أنها
أبت الزواج مع أن خاطبيها كانوا من أهالي الرفعة والشأن وبعد أن زارت أكبر عواصم أوروبا لاح لها أنها
تحصل في الشرق على امر كبير عظيم فسارت الى القسطنطينية وأقامت فيها بضع سنين واختلف الناس في
سبب خروجها من بلادها فذهب بعضهم الى أنه حملها على ذلك حزنها على جنرال انكليزي شاب قتل في
اسبانيا وكانت خطيبته فأثر فيها موته تأثيراً شديداً حتى لم تطب لها الاقامة بعده في انكلترا وذهب آخرون الى
أن الذي حملها على ذلك انما هو ميلها الى القيام بعظائم الامور وحب الشهرة ثم خرجت من القسطنطينية
قاصدة سوريا سنة ١٨١٠ في سفينة انكليزية كان فيها قسم كبير من ثروتها وأنواع كثيرة مختلفة من
الحلي والتحف فلما وصلت السفينة الى جون مكري تجاه جزيرة رودس صدمت صخراً فتحطمت على
مسافة بعض أميال من الساحل وغرقت أمتعة استير ستنهوب وأموالها ولم تنج هي من الموت الا بعد عناء
شديد فحملت على زورق السفينة الى جزيرة صغيرة قفرة فقامت فيها ٢٤ ساعة لم تذق طعاماً ولم يكن لها
منقذ ولا مجير الا أن جماعة من صيادي مرمريس وجدوها في تلك الجزيرة في أثناء تفتيشهم على بقايا
السفينة فساروا بها الى رودس وهنالك أخبرت قنصل انكلترا فجمعت ما بقي لها من المتاع وباعت قسماً
من أملاكها ببخس الاثمان وركبت سفينة ملأتها تحفاً نفيسة وهدايا ثمينة لأهل البلدان التي عزمت
على السياحة فيها فلم يصادفها في مسيرها عائق وأتت اللاذقية فأقامت هناك وتعلمت اللغة العربية
وعرفت عادات الاهالي وطباعهم وجهزت قافلة كبيرة وحملت الى البدو هدايا نفيسة على ظهور الجمال
وطافت أنحاء سوريا كلها فزارت القدس ودمشق وحمص وبعلبك وتدمر ولما وصلت الى تدمر اجتمع
اليها كثيرون من قبائل البدو ومكنوها من الوصول الى تلك المدينة وكان عددهم حينئذ من ٤٠ الى ٥٠
ألفاً وكانوا كلهم يعجبون من جمالها ولطفها وأخيراً بايعوها ملكة لتدمر وعاهدوها على أن جميع
الافرنج الذين يحصلون على حمايتها يمكنهم أن يزوروا بعلبك وتدمر آمنين على أرواحهم ولكن بشرط أن
يدفع كل منهم ضريبة قدرها ألف قرش واستمرت تلك المعاهدة مدة طويلة يعمل بها وعند رجوعها من تدمر
عزمت قبيلة قوية من البدو عدوة لتدمر التعدي عليها غير أن أحد حشمها أنبأها في الحال بوقوعها
في ذلك الخطر الجسيم فاختفت في الليل وكان خيلها من أجود الخيل فاجتازت في مدة ٢٤ ساعة

مسافة طويلة وبذلك تمكنت هي ومن معها من النجاة وأتت دمشق وأقامت فيها أشهرا عند الوالي العثماني
الذي كان الباب العالي قد وصاه بإكرامها وإعزازها وصرفت زمانا طويلا في التطواف والتجوال في البلاد
الشرقية وأذهل الاهالي ما شاهدوه من أعمالها وغناها فكانوا يعاملونها كملكة وكانت هي تحاول
بحذاقتها أن تضاهي زنوبيا ملكة الشرق في أعمالها وفي سنة ١٨١٣ استوطنت دير القديس الياس
المهجور الواقع في جوار قرية على مسافة ساعة من صيدا فبنت هنالك عدة بيوت محاطة بسور أشبه بالاسوار
التي كانت تبنى في القرون المتوسطة وأنشأت هنالك بستانا على نسق البساتين التركية فغرست فيه الازهار
والاشجار والفاكهة وكروما وأقامت كشوكا مزينة بالنقوش والصور العربية وجعلت للماء قنوات
من الرخام وكانت تنبعث من نوفرات وسط بلاط من الرخام مزين بأنواع النقوش أيضا وكانت أشجار
البرتقال والتين والاترج الملتفة تزيد ذلك البستان جمالا ونزهة ولم يمكث ذلك الدير حتى صار حصنا وملجأ
يلتجئ اليه المظلومون فتجيرهم فبقيت هنالك عدة سنين في أبهة شرقية محاطة بتراجمة سوريين وأوروبيين
وحاشية كبيرة من النساء وجماعة من العبيد السود وكانت تلبس لبس أمير وتتقلد السلاح وتدخن
وكان لها علائق ودية وسياسية مع الباب العالي وعبد الله باشا والامير بشير الشهابي [illegible] والشيخ
بشير جان بلاط ومشايخ البدو في براري سوريا وبغداد ثم اتخذت لها مسكنا في بيت أخذته من رجل دمشقي
مسيحي غني واقع على مرتفع يعرف بظهر جون نسبة الى قرية جون التابعة لمديرية اقليم الخروب
من جبل لبنان على مسافة ٨ أميال من صيدا ووسعت دائرة ذلك البيت وأقامت حوله جنينة وسورا
وبقيت فيه الى أن توفيت ثم أخذت ثروتها العظيمة تتناقص لعدم انتظام مصالحها التي لم يكن من يحسن
القيام عليها في غيابها فبلغ دخلها السنوي ١٣٠٠٠٠ ألف فرنك وكان مع ذلك غير كاف لسد المصاريف
التي تقتضيها أحوالها غير أنه مات بعض الذين يحبونها من الافرنج وتركها البعض الآخر وخمدت محبة الاهالي
لها لان توددها كان موقوفا على مواساتهم بالهدايا والعطايا فأمست منفردة وقلت علائقها مع الناس
ولكن ظهر منها في هذه الاحوال ما يدهش الخواطر ويحير العقول لانها صبرت وتجلدت ولم تنظر البتة
أن ترجع عن الاعمال التي أقبلت عليها ولم تأسف على ما فاتها ولا على العالم أجمع ولم يحزنها ترك خلانها
وثروتها وميلها الى الشيخوخة فأقامت وحدها من غير كتب ولا جرائد ولا رسائل من أوروبا ولم يكن
عندها صديق يؤنسها ولا سمير تسامره بل بقي لها فقط جماعة من الجواري السود وعبيد سود صغار السن
وبضعة فلاحين سوريين يعتنون بشأنها وخيلها ويسهرون عليها من الطوارق وقد تحققت أن ما امتازت
به من الصبر والعزم والحزم لم يكن ناشئا عن طباعها فقط بل عن مبادئها الدينية المؤذنة بالشطط وكان في
تلك المبادئ ما يدل على أنها جمعت بين الحقائق وعوائد شرقية خرافية ولا سيما غرائب فن التنجيم وعجائبه
وقصارى الكلام انها حصلت بأعمالها على شهرة عظيمة في الشرق وزهدت أوروبا كلها وكان الاهالي عموما
يدعونها بالست الانكليزية وأما الافرنج فتعرف عندهم بلادي ستنهوب ولما عزم ابراهيم باشا على فتح
سوريا سنة ١٨٣٢ اضطره الامر الى أن طلب اليها أن تكون على الحياد ويقال انه بعد حصار عكا في
السنة نفسها آوت مئتين من الفارين وكانت تتعاطى فن التنجيم وغيره من الفنون السرية واستمسكت
ببعض عقائد دينية مستغربة فلم تعدل عنها حتى مماتها ومما يدل على أن عقلها لم يخل من الاختلال في
بعض الامور أنها ربت حجرتين في اسطبل لتركب المسيح واحدة منها عند مجيئه الى الارض وتركب هي
الاخرى مرافقة له الى القدس وفي السنين الاخيرة من حياتها كان قد بلغ أهلها في انكلترا ما كان من
أمرها واسرافها فقطعوا عنها الامدادات المالية فتراكمت عليها الديون التي كانت تقترضها من الاهالي
بسعي رجل يعرف بالتمجي فتوفيت ولم تقدر على وفائها وهكذا الذين كانوا يحسبون أنهم في القرب منها

رجالهم آل الامر الى خسارتهم ويقال ان مضايقاتها المالية مما كان بينها وبين الامير بشير الشهابي من الاختلاف والضغينة وقد سبب ذلك فيها من الخوف الذي أوقعها في مرض عضال قضت به نحبها ولم يكن عندها حال وفاتها أحد من الافرنج بل أحاط بها جماعة من خدامها من أهل البلاد فنهبوا بيتها حالما أدركتها المنية وعند وفاتها احضر قنصل الانكليز من بيروت لاجل دفنها ودفنت بالبستان المجاور لدارها وقد روى الاهالي عنها قصصا كثيرة غريبة تكاد أن تكون من الخرافات لا يوثق بها وكتب الدكتور مريون الذي بقي عندها بضع سنين طبيبا لها سيرة حياتها بالانكليزية في ثلاث مجلدات رواية عنها وقصة أسفارها في ثلاث مجلدات طبعت بالانكليزية بعد وفاتها بمدة قصيرة

وقد زارها كثير من السياح الاوربيين ومن جملتهم دولامرتين الشاعر الفرنساوي المشهور فانه لما كان في سوريا سنة ١٨٣٢ يطوف في نواحيها ويتفرج على بلدانها ومناظرها ارغب في زيارة تلك الخاتون الا انه كان في ذلك الوقت من أصعب الامور على الافرنج أن يقابلوها ولاسيما الانكليز ومن كانوا من ذوي قرابتها فبعث اليها مع رسول بالرسالة الآتية ترجمتها

سيدتي من مثلي في الشرق وغريب في هذه الديار جاءها ليتأمل في مناظر الطبيعة وآثارها وأعمال الله فيها وقد وصل الى سورية منذ مدة مع عائلته وهو يحسب يوما يتمكن فيه من مقابلة امرأة هي نفسها من عجائب الشرق الذي جاء زائرا من أجمل أيام سياحته والذهاب اذا شئت أن تقابليني فاذكري لي اليوم اللائق لذلك وقولي لي أينبغي أن أجيء وحدي أو يمكنني أن أستصحب جماعة من خلاني يرغبون مثلي كل الرغبة في التشرف بمقابلتك وأرجو يا سيدتي أن لا يكون هذا الطلب سببا لتكدير ما ترومينه في عزلتك فاني أعرف من نفسي قيمة الحرية ومحاسن الانفراد ولذلك لا يسوءني البتة رفضك مقابلتي بل أتلقى ذلك بالتوقير والاحترام الى آخره

وفي ٣٠ أيلول (سبتمبر) من السنة نفسها أرسلت اليه طبيبها ودعاه الى جون فذهب مع الدكتور ليونردي والموسيو بورسيقال ولما وصلوا انزل كل منهم في غرفة ضيقة لا نوافذ لها ولا أثاث فيها ولم يتمكنوا من مقابلتها حالا وصرحوا لهم لانها لم تكن تقابل الناس قبل الساعة الثالثة بعد الظهر فلما حان الوقت أتاه غلام أسود وأدخله غرفتها قال وكان الظلام قد أسبل عليها ذيله فلم أتمكن بسهولة من أن أتبين هيئتها اللطيفة المؤذنة بالهيبة والجلال وذلك الوجه الابيض الحسن فنهضت وهي في زي الشرقيين ودنت مني ومدت الي يدها مسلمة علي فامعنت بها النظر واذا فيها من لطف المعاني ما لا تستطيع السنون محوه ثم ان نضارة الوجه واللون والرونق تفنى مع الفترة الا انه متى كان الجمال في القد وهيئة الوجه مع العظمة والجلال وطرأ عليه تقلبات باختلاف أزمان الحياة لا يزول تماما وهذا كله على لادي ستنهوب وكان على رأسها عمامة بيضاء وعلى جبهتها عصابة من الكتان أرجوانية اللون طرفاها مرسلان على كتفيها وعلى بدنها شال من الكشمير الاصفر وفستان تركي كبير من الحرير الابيض كماه متدليان وهو مشقوق عند الصدر يظهر من تحته فستان آخر من نسيج الفرس تتصاعد منه أزهار تكاد أن تصل الى عنقها وهي مرتبطة بعضها ببعض بخرز من اللؤلؤ وكان في رجليها خفان تركيان أصفران وهي تحسن لبس ذلك جميعه كأنها تعودته من صغرها وبعد السلام قالت لي قد أتيت من مكان بعيد وكانت مشاق السفر لتريني فاهلا بك واني قلما يزورني الاجانب فيراني منهم في السنة واحد أو اثنان في الاكثر غير أن مكتوبك أعجبني ووددت أن أعرف انسانا يحب الله والطبيعة والانفراد وذلك نفس ما أحبه ولاح أيضا أن نجمينا متحابين وانا نتوافق في المشرب ويسرني الآن اني لم أخطئ في ظني وقد توسمت فيك عندما رأيتك أمورا تجعلني أن لا أندم على رغبتي في مشاهدتك وناهيك أني لما سمعت وقع قدميك ورأيتك داخلا خالجني نفس تلك الخواطر فاجلس ودعنا

نتحدث

تحدث لانك قد سررت لى صديقا فقلت لها يا سيدتى وكيف تشرفين بهذا اللقب رجلا لا تعرفين اسمه
ولا سيرته قالت نعم انى لا أعرف حالك قدام الله ولا تحسبنى مجنونة كما يسميني العالم في الغالب لان صدرى
قد انشرح لك فلا أستطيع أن أخفى عليك شيأ وقد نشأ في الشرق علم ضاع الآن في بلادكم غير أنه لم يزل
باقيا الى الآن في البلاد الشرقية وقد تعلمته وأتقنته فانى أرصد الكواكب وأدرك أسرارها فلكل منا ولد
نجم من تلك النيران السماوية التى تولت أمر ولادتنا وتأثيرها ما حسن وما ردى وهو يظهر في عيوننا
وجباهنا وهيئتنا وأسارير أيدينا وشكل أرجلنا وحركاتنا ومشينا وبذلك عرفتك حق المعرفة كأننا معا منذ
قرن كامل مع أنى لم أرك الا منذ بضع دقائق فقلت باسما مه لا يا سيدتى انى لا أنكر ما أجهل ولا أثبت
ما لا يوجد في الطبيعة المنظورة والغير المنظورة التى تتجاذب فيها الاشياء أو يرتبط بعضها ببعض كائنات
كالانسان دونه الكائنات الكبرى تحت سلطة كائنات أعظم منها كالكواكب والملائكة الا أنى
أحتاج الى وحى لاعرف نفسى التى هى عبارة عن فساد وسقم وشقاوة وأما أسرار مستقبلى فاحب أن
لا أعرفها لاعتقادى أنى أتجاوز على الله الذى أخفاها عنى اذا طلبت الى مخلوق أن يوضحها لى فأمر المستقبل
بيد الله وانى لا أعتقد الا فيه وفي الحرية والفضيلة قالت مالى ولهذا فاعتقد بما يحلو لك أما أنا فارى انك
خلقت تحت سلطة ثلاثة أنجم سعيدة قادرة صالحة فاعتقد مثل تلك الصفات وهى تشوقك الى غاية يمكننى
أن أكشفها لك الآن اذا شئت ذلك وقد أرسلك الله الى لانير عقلك وأنت من الرجال الذين حسنت نواياهم
وطابت سريرتهم وستنفذ منك انبياء انفاذ الاعمال العجيبة التى يريد أن يجريها بين الناس [illegible]
وبعد أن أطال الجدال في هذا الباب قالت له وهل ترى في سياسته ودينه ومعشره كامل الانتظام ولا تشعر
بما يشعر به العالم أجمع من أنه لا بد من موح وفاد وهو المسيح الذى تنتظره وتطير شوقا اليه فلا ترى أحدا
موافقا لك في ذلك وأن العالم أجمع محتاج الى الاصلاح وانى أتوقع أكثر من الناس كلهم قدوم مصلح يقوم
المسالك ويرشد الناس الى سواء السبيل فان كان ذلك المصلح هو ما تسميه مسيحا فهذا أنتظره مثلك وأرجو أن
يظهر بعد أمد وجيز وأطالت الكلام في هذا الباب وقالت لى اعتقد كما تشاء أما أنا فعندى أنك رجل من
الذين كنت أنتظرهم وقد أرسلتك العناية لى وسيكون لك دخل كبير في العمل المزمع حدوثه وسترجع
أوروبا لان أوروبا قد مضى زمانها وبقى لنا نساو حدها أن تقوم بعمل عظيم وستشترك فيه ولم أعلم بعد كيف
يكون ذلك ولكننى ان شئت أذكر لك في هذا المساء عندما أستشير أنجمك ولم أعرف الى الآن أسماءها كلها
فقد رأيت منها أكثر من ثلاثة فهى أربعة أو خمسة وربما كانت أكثر ولا شك أن عطاردا من جملتها فهو
يهب العقل نورا واللسان طلاقة وطلاوة وأنت شاعر لا محالة لان في عينيك والقسم الاعلى من وجهك ما يدل
على ذلك الى أن قالت ستشكر الله على هذه النعمة لانه قلما ولد تحت سلطة أكثر من نجم واحد من كان نجمه
سعيدا واذا ... بعد فقلما يخلو من مفاعيل نجم آخر خبيث يقارنه أما أنت فقد كثرت نجومك وأجمعت
كلها على أن تخدمك وهى تتعاون على ذلك فاسمك فذكرت لها اسمى قالت هذه أول مرة سمعت به ثم
ذكرت لها أما تسمع من الشعر وان اسمى مشهور عند أهل العلم في أوروبا الا أنه لم يتمكن من اجتياز البحور
والجبال حتى يصل الى الشرق قالت سيان عندى كونك شاعرا أو غير شاعر فانى أحبك ولى فيك أمل
أتحقق أننا سوف نلتقى ثانية فانك سترجع الى الغرب ولكن لا تلبث حتى تعود الى الشرق فانه وطنك قلت ان
لم يكن وطنى فهو ميدان أفكارى قالت دع عنك المزح فانه وطنك الحقيقى ووطن آبائك وقد تحققت ذلك
الآن فانظر الى رجليك فانها أشبه برجل رجل عربى وما زلنا نتحادث حتى دخل عبد أسود فخر على وجهه
ساجدا أمامها ويداه على رأسه وخاطبها بكلمات عربية لم أفهمها فالتفتت الى وقالت قد حضر الطعام
فاذهب فكل أما أنا فلا آكل أحدا الان عيشتى عيشة نسكية فاغتذى بالخبز والثمار عندما أحس بالجوع

ولذلك لا ينبغي لي أن أذكر ضيقي على شجاراتي وبعد أن فرغت من مناولة الطعام استدعتني اليها فلما حضرت
وجدتها تدخن بقضيب طويل واستحضرت لي قضيبا لادخن أيضا قال وكنت قد رأيت أجل نساء الشرق
وأظرفهن يدخن مثلها فلم أستغرب ذلك وكان الدخان ينبعث من شفتيها اللطيفتين على شكل أعمدة
فتعطرت به الغرفة وأقمنا نتحدث في أمورها وأطلت فيها التفكر فتبين لي أنها أشبه بالساحرات القديمات
المشهورات وهي أشبه بسر سره معبودة الاقدمين وان عقائدها الدينية وان كانت غامضة فهي مقتبسة
بحذق من أديان مختلفة فقد جمعت بين أسرار الدروز وتسليم المسلمين واعتقادهم القدر وانتظار اليهود مجيء
المسيح وعبادة النصارى للمسيح وممارسة تعاليمه وآدابه وزد على ذلك التصورات البعيدة الغريبة الناشئة عن
فكر مشغوف بالشرق ومشوق بطول العزلة والانفراد وبعض ابتهالات أوحتها اليها النجوم العربيون فاذا
تصورت ذلك كله انجلى لك شيء من هذا السر العظيم المستغرب الذي يؤثر في الانسان ما يسميه جنونا بخلاص
من مشقة البحث وامعان النظر فيه والحق أولى ان يقال ان هذه المرأة غير مجنونة فان للجنون أمارات
واضحة تظهر في العينين وليس له أثر البتة في تلك الالحاظ اللطيفة ويظهر الجنون أيضا في الكلام فان
صاحبه كثيرا ما ينقطع عن الحديث فترى فيه اختلالا وشططا أما حديثها فسامي المعاني رمزي متسلسل
مرتبط متسق قوي وفي مذهبي أن جنونها اختياري وانها تعرف نفسها حق المعرفة ولها أسباب تحملها
على التظاهر بما فقدته من رشدها وما أخذته القبائل العربية المجاورة للجبال من العجب من حذقها وبراعتها
يدل دلالة واضحة على أن ما ترجم به من الجنون الخادع وسيلة لبلوغ بعض مآرب ولا يخفى أن سكان أرض
أجريت فيها العجائب وكثرت فيها النذور والسحارين ونشأت أمور راقتهم بألوان جوهم لا يصغون سمعا
الا الى كلام نبي أو الى كلام من كان كالأنبياء مستهوبا فانهم يميلون الى فن التنجيم والنبوات والوحي وما
أشبه وقد عرفت الليدي المذكورة ذلك واتخذت لها الخديعة لما هي عليه من قوة الحذق ولكن ربما ساقتها
القوة المذكورة كما هو الغالب في أمثالها الى الاعتداد الى مذهب وتعتقد تفسيرها وبعد أن بالت بهذه
التصورات في فكري قلت لها لا أزمع الا على أمر واحد وهو أنك حسبت للحوادث حسابا فعاقك ذلك
عن الوصول الى مركز كان في طاقتك أن تصلي اليه […] لم تكن تعتقد اعتقادا صحيحا في
الارادة البشرية […] وشك في فعل القدر فتوكل على جانبه لم ينفعه أني أنتظر سنوح الفرصة ولا أحذق
[…] وتيقنت أمسيت وحيدة مهجورة من هذا […] فالتجيء […] بطرق منزلي فينهب
أمتعتي وحولي جماعة من الخدم الطامعين والعبيد الناكرين وهم يسرقون في كل يوم ويهددون حياتي
أحيانا وفي المدة الأخيرة لم ينجني من الموت الأحمر الا هذا الخنجر (وأرتنا إياه) الذي اضطرني الأمر الى
استخدامه للدفاع عن عبد أسود أشهر سيفه في وجهي ومع ذلك تراني سعيدة بقولي الله كريم وأتوقع المستقبل
الذي أخبرك به […] ولو كنت حققته مثلي وبعد أن باحثتنا كثيرا وشربنا القهوة التي كان يأتي بها
العبيد كل ربع ساعة مرة قالت لي […] سأسير بك الى مكان مقدس لا يدخله أحد من البشر وهو بستاني
فدخلناه وجلسنا فيه مسروري الفؤاد لانه من أجل البساتين الشرقية التي رأيتها ودام وقت الى آخر
نجلس في الكشك براحة ونتحدث على النسق الأول فلبثنا مدة على هذه الحالة ثم التفتت الي وقالت اذا
كان القدر قد ساقك الى هذا المكان وما بين شمسنا من الاتفاق يمكنني من مكاشفتك بأمور أخفيها عن
كثير من بني البشر سأريك […] من غرائب الطبيعة لا يعرف حقيقتها الا أنا واتباعي وهي التي
ذكرها الانبياء الشرقيون منذ قرون وتعدد بدنوها […] ثم فتحت بابا من أبواب البستان يشرف على حوش
صغيرة وقع نظري فيها على فرسين عربيتين جميلتين من أطيب أصل وأكمل شكل فقالت لي هيا انظر هذه
المهرة الكميت ألم تجدها الطبيعة بكل ما هو مكتوب عن المهرة التي ينبغي أن يركبها المسيح (وستولد مسرجة)

فأمعنت بها النظر فرأيت فيهما من غرائب الطبيعة ما يقوي ذلك الاعتقاد عند قوم لم يزح عنهم الجهل ستارته لان لهما في مكان المسكين تجويفا عميقا واسعا يشبه السرج وشيأ أشبه بركابين في مكان ركوبهما من دون سرج صناعي ولاح لي أن تلك المهرة أحسنت عالهما من المنزلة والاعتبار عند لاري ستنهوب وعبيدها بما سيكون من أمرهما في المستقبل لانهما لم تركب البتة وقد عهدت سياستهما الى سائسين عربيين يسهران عليهما ليلا ونهارا ولا يفارقانها لحظة وبالقرب منهما مهرة أخرى بيضاء أجمل منها تشاركها في مالها من المنزلة عند اللادي المذكورة وهي كأختها لم يركبها أحد وفهمت من كلام مضيفتي أنه وان كان مستقبل المهرة البيضاء دون مستقبل المهرة الكميت قداسة فهو سري وهي وان كانت لم تقل لي ذلك قولا صريحا استنتجت منه أنها تركبها هي حين تسير بجانب المسيح الى أورشليم ثم أمرت السائسين أن يخرجا الجرتين الى مرج خارج السور ففعلا وبعد أن أطلت النظر فيهما وتأملت في محاسنهما رجعت الى الدار وطلبت منها بالحاح أن تأذن لمسيو برسيفال بمقابلتها فانه كان صديقي وتبعني رغما عني وأقام منذ الصباح ينتظر صدور الاذن بمقابلتها وهي تجفل عليه بذلك فأجابتني الى طلبي بعد التردد مدة ودخلنا جميعا الى غرفتها المتصرف فيها ليلتنا فأقمنا ندخن ونشرب القهوة وبعد مباحثة طويلة دارت بيننا في أمور السياسة ونظام الحكومات فانتقلت أنا منها الى أمور مزحية عن طريقة تبينها فال وأردت أن أختبرها فسألتها عن سائحين أو ثلاثة من أصحابي مروا بها منذ ١٥ سنة فأدهشني كلامها عن اثنين منهم لاني رأيتها مصيبة في حكمها كل الاصابة ومن العجب العجاب أنها وصفت بحذق وبلاغة لا مزيد عليهما واحدا من ذينك الاثنين كنت أعرفه حق المعرفة مع أنه من أصعب الامور أن يعرف انسان طباعه من أول وهلة لان له ظواهر تؤذن ببساطة تامة ويخدع أبعد الناس عن الانخداع ومما أدهشني أيضا قوة ذاكرتها لان السائح المذكور لم يصرف عندها الا ساعتين ومضى بين زيارتي لها وزيارته ١٦ سنة كاملة فلا جرم أن العزلة تجمع قوى النفس وتقويها وقد تحقق ذلك الانبياء والقديسون وأكابر رجال الدنيا والشعراء فكانوا يطلبون البراري والقفار ويعتزلون الناس وهم بينهم ثم تكلمنا عن بونابرت وعن مواضيع أخرى بحرية تامة ومازلنا على تلك الحالة الى أن مضى أكثر الليل قال ولما حان الافتراق ظهر الحزن والكدر على وجهينا فقالت لي لا تودعني لاننا سنلتقي مرارا في هذه السياحة ونلتقي كثيرا في سياحات أخر لم تخطر لك ببال بعد فاذهب واسترح واذكر أنك قد تركتني في قفار لبنان ثم مدت الي يدها فوضعت يدي على قلبي على عادة العرب مودعا وكان ذلك خاتمة اجتماعنا

هذا ملخص ما دار بينها وبين لامرتين من الكلام والمقام يضيق دون ما ذكره بالتفصيل أما بيتها في جون فقد استولى عليه صاحبه الدمشقي الذي مات بعدها بقليل فانتقل الى ابن له وحيد مسلم ثم أفضى به الامر الى أن شنق نفسه فأخذت امرأته تبيع كل ما يمكن بيعه من أدوات البناء خوفا من أن يؤخذ البيت منها وهكذا عجلت خراب تلك الدار الجميلة حتى أمست الآن خاوية على عروشها يأوي اليها البوم وينعق فيها الغراب وكذلك تكاد آثار الضريح الذي أقيم لها تمحى وهكذا لم يبق لتلك المرأة التي حاولت أن تضاهي ملكة الشرق ولا لاعمالها أثر في بطون التواريخ التي حفظت ذكرها ليكون عبرة لمن يعتبر وتذكرة لاولي الالباب

﴿ أسماء ابنة أبي بكر الصديق ﴾

هي أسماء ابنة أبي بكر الصديق وأمها قتيلة بنت عبد العزى وهي أخت عائشة لابيها تسمى ذات النطاقين لانها صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما لما هاجر فلم تجد ما تشده به فشقت نطاقها وشدت به الطعام فدعيت ذات النطاقين تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عبد الله وعدة أبناء وكان عبد الله أول مولود ولد

فى الاسلام بعد الهجرة ثم طلقها الزبير فكانت مع عبد الله ابنها بمكة المشرفة حتى قتل ابنها فبلغت من العمر مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة سنة ٧٣ هجرية و ٦٩٢ ميلادية ولها شعر قليل فى رثاء زوجها وابنها ومن كلامها لابنها عبد الله حين قاتل الحجاج اذ دخل عليها وقال لها يا أماه قد خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ولم يبق معى الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت أعلم بنفسك ان كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بنى أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن معك وان قلت كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين لم خلودك فى الدنيا القتل أحسن فقال يا أماه أخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى قالت يا بنى ان الشاة لا تتألم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأيى والذى خرجت به رائيا الى يومى هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله وان تستحل حرماته ولكنى أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتنى بصيرة فانظرى يا أماه فانى مقتول فى يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلمى الامر الى الله فان ابنك لم يتعمد ايثار منكر ولا عمل بفاحشة ولم يجر فى حكم الله ولم يغدر فى أمان ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شىء آثر عندى من رضا ربى اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسى ولكنى أقوله تعزية لامى حتى تسلو عنى فقالت أمه انى لأرجو أن يكون عزائى فيك جميلا ان تقدمتنى احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك أخرج حتى أنظر الام يصير أمرك فقال جزاك الله خيرا فلا تدعى الدعاء قالت لا أدعه لك أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل وذلك النحيب والظما فى هواجر مكة والمدينة وبره بابيه وبى اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبنى فيه ثواب الصابرين الشاكرين فتناول يدها ليقبلها فقالت هذا وداع فلا تبعد فقال لها جئت مودعا لانى أرى هذا آخر أيامى من الدنيا قالت امض على بصيرتك وادن منى حتى أودعك فدنا منها فعانقته وقبلته فوقعت يدها على الدرع فقالت ما هذا صنيع من يريد ما تريد فقال ما لبسته الا لأشد منك قالت انه لا يشد منى فنزعها ثم درج لمته وشد أسفل قميصه وجبته تحت أثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه تقول له البس ثيابك مشمرة فخرج وهو يقول مرتجزا

انى اذا أعرف يومى أصبر * وانما يعرف يومه الحر

اذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعته فقالت تصبر ان شاء الله أبواك أبو بكر والزبير وأمك صفية ابنة عبد المطلب ثم حمل على القوم وقاتل حتى قتل وصلب وطلبته أمه من الحجاج فأبى عليها العطاء فكتبت لعبد الملك فسمح لها بذلك فغسلته ودفنته وبقيت بعده قليلا وماتت بعد ما أضرت وذلك فى سنة ٧٣ هجرية ومن قولها فى زوجها الزبير بن العوام حين قتله عمرو بن جرموز المجاشعى وهو منصرف من وقعة الجمل بوادى السباع

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم الهياج وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمك ان قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

﴿ أسماء ابنة سلمة وقيل سلام بن مخرمة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم التميمية الدارمية ﴾

وهى أم الجلاس قاله أبو عمر وقال ابن منده وأبو نعيم أسماء ابنة مخربة التميمية وهى أم الجلاس وأم عياش وعبد الله بن ربيعة روى عنها عبد الله بن عياش والربيع بن معوذ وذكر ابن منده وأبو نعيم حديث

عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم بعض بيوت آل أبي ربيعة أما للعيادة مريض أو لغير ذلك فقالت له أسماء التميمية وكانت تكنى أم الجلاس وهي أم عياش بن أبي ربيعة يا رسول الله ألا توصيني قال ائتي الى أختك ما تحبين أن تأتي اليك ثم أتى بصبي من ولد عياش به مرض فجعل يرقي الصبي ويتفل عليه وجعل الصبي يتفل على النبي صلى الله عليه وسلم وجعل بعض أهل البيت ينهى الصبي وقال أبو عمر وذكر نسبها كما تقدم وقال كانت من المهاجرات هاجرت مع زوجها عياش ابن أبي ربيعة الى أرض الحبشة وولدت له بها عبد الله بن عياش ثم هاجرت الى المدينة وتكنى أم الجلاس روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها عبد الله بن عياش وجماعة من التابعين وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب

﴿أسماء ابنة عميس بن معبد بن الحرث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل وهو خثعم﴾

وأمها هند ابنة عوف بن زهير بن الحرث الكنانية أسلمت أسماء قديما وهاجرت الى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له بالحبشة عبد الله وعونا ومحمدا ثم هاجرت الى المدينة فلما قتل عنها جعفر بن أبي طالب تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى لا اختلاف في ذلك وزعم ابن الكلبي أن عون بن علي أمه أسماء بنت عميس ولم يقل ذلك غيره وأسماء أخت ميمونة ابنة الحرث زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وأخت أم الفضل امرأة العباس وأخت أخواتها لامهم وكن عشر أخوات لام وقيل تسع أخوات وقيل ان أسماء تزوجها حمزة بن عبد المطلب فولدت له بنتا ثم تزوجها بعده شداد بن الهاد ثم جعفر وهذا ليس بشيء وانما التي تزوجها حمزة سلمى ابنة عميس أخت أسماء وكانت أسماء ابنة عميس أكرم الناس أصهارا فمن أصهارها النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة والعباس رضي الله عنهما وغيرهم روى عن أسماء عمر بن الخطاب وابن عباس وابنها عبد الله بن جعفر والقاسم بن محمد وعبد الله بن شداد بن الهاد وهو ابن أختها وعروة بن الزبير وابن المسيب وغيرهم وقال لها عمر بن الخطاب نعم القوم أنتم لولا أنا سبقناكم الى الهجرة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لكم هجرتان الى أرض الحبشة والى المدينة قال عبيد الله بن رفاعة الزرقي ان أسماء ابنة عميس قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفأسترقي لهم قال نعم وقد توفيت في خلافة علي رضي الله عنه

﴿أسماء ابنة النعمان بن شراحيل﴾

وقيل أسماء ابنة النعمان بن الاسود بن الحرث بن شراحيل بن النعمان قاله أبو عمرو وقال ابن الكلبي أسماء بنت النعمان بن الحرث بن شراحيل بن كندي بن الجون بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحرث الاكبر الكندية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعاذت منه ففارقها وقال يونس عن أبي اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أسماء ابنة كعب الجونية فلم يدخل بها حتى طلقها قال أبو عمر أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها واختلفوا في سبب فراقه لها فقال قتادة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل اليمن أسماء بنت النعمان بن الجون فلما دخل عليها دعاها فقالت له تعال أنت فطلقها وقال وزعم بعضهم أنها قالت أعوذ بالله منك قال قد عذت بمعاذ وقد أعاذك الله مني فطلقها وقيل ان التي قالت له كانت امرأة من بلعنبر من سبي ذات الشقوق كانت جميلة فخاف نساؤه أن تغلبهن على النبي صلى الله عليه وسلم فقلن لها انه يعجبه أن يقال نعوذ بالله منك وذكر نحو ما تقدم في فراقها قال وقال أبو عبيدة كلتاهما

عاذتا بالله منه وقال عبد الله بن محمد بن عقيل ونكح رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من كندة وهي الشقية فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردها الى أهلها ففعل وردها مع أبي أسيد الساعدي وكانت تقول عن نفسها الشقية وقيل ان التي قال لها انساء النبي صلى الله عليه وسلم استعيذي بالله منه هي الكندية ففارقها فتزوجها المهاجر بن أبي أمية المخزومي ثم خلف عليها قيس بن مكشوح المرادي قال وقال آخرون ان التي تعوذت بالله منها امرأة من سبي العنبر وذكر قوم أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لها نحو ما تقدم قال وقال آخرون وكانت بها وضح كالعامرية ففارقها وقيل انه قال لها هبي لي نفسك قالت وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى بيده اليها فاستعاذت منه ففارقها قال أبو عمر الاختلاف في الكندية كثير جدا منهم من يسميها أسماء ومنهم من يسميها أمية واختلفوا في سبب فراقها على ما ذكرناه والاختلاف فيها وفي صواحباتها اللواتي لم يجتمع بهن عظيم

أسماء ابنة يزيد الانصارية

من بني عبد الاشهل هي رسول النساء الى النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها مسلم بن عبيد أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت بأبي وأمي أنت يارسول الله أنا وافدة النساء اليك ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبالهك وانا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقتضى شهواتكم وحاملات أولادكم وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا ثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في هذا الاجر والخير فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله ثم قال هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه فقالوا يارسول الله ماظننا ان امرأة تهتدي الى مثل هذا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم اليها فقال افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله فانصرفت وهي تهلل حتى وصلت الى نساء قومها من العرب وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن وآمن جميعهن وسميت المترجمة رسول نساء العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم

استير ابنة أبي حائل بن شمعي بن قيس ملكة الفرس

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأبهاهن منظرا وكمالا وأعذبهن منطقا ومقالا تزوجت بالملك أحشويروش ملك الفرس الذي ملك من الهند الى كوش على مائة وسبع وعشرين كورة وكانت في ابتداء أمرها بدار رجل اسرائيلي يدعى مردخاي وهو ابن عمها لان أباها وأمها توفيا فأخذها هو وجعلها ابنة لنفسه وكان في شوشن القصر الذي هو كرسي ملك أحشويروش لانه سبي من أورشليم مع السبي الذي سبي مع يكنيا ملك يهوذا الذي سباه بنوخذنصر ملك بابل وسبب زواجها بالملك أحشويروش المذكور أنه جلس ذات يوم على كرسي ملكه الذي في شوشن القصر وعمل وليمة لجميع رؤسائه وعبيده جيش فارس وأخذت هذه الوليمة مائة وثمانين يوما وعند قضاء هذه الوليمة عمل لجميع الشعب الموجودين في شوشن القصر من الكبير الى الصغير وليمة سبعة أيام وفي اليوم السابع لما طاب قلبه أرسل الى وشتي الملكة زوجته أن تأتي أمامه بتاج الملك ليري الشعوب والرؤساء جمالها لانها كانت حسنة المنظر فأبت أن تأتي حسب أمر الملك فاغتاظ جدا واشتعل غضبه وقال لمن حوله من العارفين بالازمنة ماذا أعمل بالملكة وشتي لانها لم تفت

أوامري فقال أحدهم ليس الى الملك وحده أساءت بل اساءتها عمت جميع الرؤساء وجميع الشعوب الذين في كل بلدان الملك وسوف يبلغ خبرها الى جميع النساء حتى يحتقرن أزواجهن في أعينهن عندما يقال ان الملك أحشويروش أمر أن يؤتى بالملكة وشتي الى أمامه فلم تأت فان رأى الملك فليكتب أمرا من عنده أن لا تأتي وشتي أمامه مطلقا وليعط ملكها لمن هي أحسن منها فرأى الملك والرؤساء ذلك صوابا فأرسل كتبا الى كل بلدانه يخبرهم بذلك

وبعد ما خمد غضب الملك أحشويروش قيل له فليطلب للملك فتيات عذارى حسنات المنظر ويوكل وكلاء في كل بلاده ليجمعوهن بشوشن القصر ويعين عليهن خصيا ويرتب لهن لوازمهن مما يحتجن اليه وبعد ذلك يختار منهن التي توافقه ويملكها مكان وشتي فرأى ذلك حسنا فأمر بجمع البنات حتى اجتمع عنده منهن شيء كثير فلما سمع مردخاي مربي استير أمر الملك وقد اجتمعت فتيات كثيرات الى شوشن القصر أخذ استير الى بيت الملك وسلمها الى حارس النساء فلما نظرها الحارس استحسنها ونالت نعمة بين يديه فبادرها بأدهان عطرها بها ونقلها الى أحسن مكان في بيت النساء ولم تخبر استير عن شعبها وجنسها لان مردخاي أوصاها بذلك واستمرت استير مقيمة الى أن بلغت نوبتها للدخول الى الملك بعد أن أقامت اثني عشر شهرا لانه هكذا كانت تكمل أيام تعطرهن ستة أشهر بزيت المر وستة أشهر بالطياب فلما دخلت عليه ونظرها أحبها أكثر من جميع النساء ووجدت نعمة واحسانا أمامه أحسن من جميع العذارى فوضع التاج على رأسها وملكها مكان وشتي وعمل وليمة عظيمة لجميع رؤسائه وعبيده ودعاها وليمة استير وأعطى عطايا حسب كرم الملوك

وفي تلك الايام بينما مردخاي جالس في باب الملك اذ علم بقتيين ورئيس الخصيان في دار الملك أراد أن يغتالاه فعلم الامر عند مردخاي فأخبر استير وهي أخبرت الملك باسم مردخاي ففحص عن الامر فوجده محققا فأمر بصلبهما فصلب كل منهما على خشبة وازداد اعتبار مردخاي في عيني الملك وقربه منه قربا عظيما وبعد هذه الامور قدم الملك أحشويروش وزيره هامان وجعل كرسيه فوق جميع الرؤساء الذين معه فكان كل من بباب الملك يسجد لهامان كما أوصى به الملك وأما مردخاي فلم يسجد له فقال عبيد الملك الذين ببابه لمردخاي لماذا تتعدى أمر الملك ولم تسجد لهامان فقال لا أسجد لغير الملك واني أعلم ما لا تعلمون فأخبروا هامان بذلك وأعلموه بأنه يهودي ولما رأى هامان ذلك امتلأ غضبا وأسرف نفسه على اهلاك مردخاي وشعبه ولما أمكنته الفرصة قال للملك انه موجود شعب متشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكتك وسنتهم مغايرة لجميع الشعوب وهم لا يعملون بسنن الملك فلا يليق بالملك تركهم فاذا رأى الملك فليكتب بأن يبادروا وأنا أزن عشرة آلاف وزنة من الفضة تعطى للذين يعملون العمل من مالي الخاص فلما سمع الملك كلامه نزع الخاتم من يده وأعطاه لهامان وقال له الفضة قد أعطيت لك من الخزينة الملكية والشعب أيضا فافعل به ما تريد فاستدعى بالكتاب وكتب الى جميع عمال البلاد يأمرهم بابادة جميع اليهود من الطفل الى الشيخ وان يسلبوا أموالهم غنيمة وختم الكتب بخاتم الملك وسلمها الى السعاة وخرجت بها ولما علم مردخاي كل ما عمل شق ثيابه ولبس مسحا برماد وخرج الى وسط المدينة وصرخ صرخة عظيمة وجاء الى باب الملك وكانت مناحة عظيمة عند اليهود وصياح وبكاء ونحيب فلما رأى جواري استير ذلك دخلن عليها وأخبرنها فاغتمت غما شديدا وأرسلت ثيابا لمردخاي لاجل نزع مسحه عنه فلم يقبل فدعت استير واحدا من خدامها وأمرته أن يذهب الى مردخاي ويأتيها بالسبب فذهب الخادم اليه وأخبره مردخاي بكل ما أصابه وأعطاه صورة الكتب التي صدرت من الملك لجميع الجهات لكي يريها لاستير ويخبرها ويوصيها أن تدخل الى الملك وتتضرع اليه وتطلب منه العفو عن شعبها فرجع الخادم الى استير وأخبرها بكلام

مردخاى فأمرت الخادم بأن يرجع اليه ويعلمه بأن كل عبيد الملك وشعوب بلاده يعلمون أن كل شخص دخل الى الملك بالدار الداخلية بدون اذن لم ينج من القتل الا الذى يمد اليه الملك قضيب الذهب فجيء وأخبره الخادم بذلك فقال له اخبر استير بأنك لا تفتكرى فى نفسك انك تنجين فى بيت الملك من دون اليهود انك ان سكت فى هذا الوقت يكون الفرج والنجاة لليهود من مكان آخر واما أنت وبيت أبيك فتبادون فقالت استير للخادم اخبر مردخاى بأن يجمع اليهود الموجودين فى شوشن القصر ويصوموا من جهتى ولا يأكلوا ولا يشربوا ثلاثة أيام ليلا ونهارا وأنا أيضا أصوم كذلك وهكذا أدخل على الملك ولعل الله أن يمد الى يد المساعدة فانصرف مردخاى وعمل على حسب ما أوصته به استير وفى اليوم الثالث لبست استير ثيابا ملكية ووقفت فى دار بيت الملك الداخلية مقابل الملك وهو جالس على كرسى ملكه فلما رأى استير واقفة مد لها قضيب الذهب الذى بيده فدنت ولمست رأس القضيب فقال لها الملك مالك يا استير وما هى طلبتك اذا كانت نصف مملكتى نعطى لك فقالت له اذا رأى الملك فليأت ومعه هامان اليوم الى الوليمة التى عملتها فقال الملك أسرعوا بهامان ليفيد الكلام استير فحضر وابه وأتى الملك وهامان الى الوليمة التى عملتها استير فقال لها الملك عند شرب الخمر ما هو سؤالك وما هى طلبتك فيعطى لك فقالت ان سؤالى أن يأتى الملك وهامان الى الوليمة التى أعملها لهما غدا وهناك أطلب طلبى فخرج هامان فى ذلك اليوم فرحا وفى اليوم الثانى جاء الملك وهامان عند استير فقال الملك لاستير ما هو سؤالك يا استير وما هى طلبتك فأجابته ان كنت قد وجدت نعمة فى عين الملك فيعطى لى الملك طلبى بالعفو عن شعبى لانه قد صار بيعنا أنا وشعبى للهلاك والقتل ولو كنت بعنا عبيدا واماء لكنت سكت مع أن العدو لا يعوض عن خسارة الملك فقال الملك لاستير من هو وأين هو الذى يتجاسر بقلبه على أن يعمل هكذا قالت هو رجل خصم وعدو وهذا هامان الردىء الخبيث فارتاع هامان أمام الملك والملكة فقام الملك بغيظه عن شرب الخمر الى جنة القصر ووقف هامان يتوسل لنفسه أمام استير الملكة لانه رأى أن الشر قد أعد عليه من قبل الملك ولما رجع الملك من جنة القصر الى بيت شرب الخمر وهامان متواقع على السرير الذى كانت استير عليه قال وهل أيضا يدخل على الملكة معى فى البيت وأمر بصلبه فصلبوه على خشبة ارتفاعها خمسون ذراعا وسكن غضب الملك

وفى ذلك اليوم أعطى الملك لاستير بيت هامان وأتى مردخاى أمام الملك لان استير أخبرته بذلك فنزع الملك خاتمه الذى أخذه من هامان وأعطاه لمردخاى وأقامت استير مردخاى فى بيت هامان ثم عادت استير وسقطت عند رجلى الملك وتضرعت اليه أن يزيل شر هامان الذى دبره على اليهود فأجاب طلبها وقال لها ولمردخاى اكتبا أنتما ما يحسن فى أعينكم باسم الملك واختماه بخاتمى لان الكتابة التى كتبت أولا لا ترد فدعا كتاب الملك فى ذلك الوقت وكتب حسبما أمر به مردخاى وختم عليه الملك وأرسل الى كل الجهات وخرج مردخاى من أمام الملك بلباس ملكى وتاج من ذهب وكان اليوم عند اليهود يوم بهجة وفرح وصار عيدا يعيدون فيه وهو الثالث عشر من شهر أذار فى كل سنة

﴿ اسكندره ملكة اليهود ﴾

وهى زوجة اسكندر ملك يهوذا ملكت وحدها بعد وفاة زوجها وذلك فى مدة قصر ابنها هرقانوس الثانى وقد ارتكب الفريسيون فى عهدها مظالم كثيرة وقد ذكرها ابن خلدون فقال وأوصى اسكندر امرأته الاسكندره قبل وفاته بكتمان موته حتى يفتح الحصن (وهو حصن كان خرج لحصاره ولم يذكر ابن خلدون اسمه) ويسير بشلوه الى القدس فتدفنه فيه وتسامح الربانيين على ولدها (هو هرقانوس الثانى) فملكه لان العامة أميل اليه ففعلت ذلك واستدعت من كان نافرا من الربانيين وجمعتهم وقدمتهم للمشورة واستبدت

بالملك وكان لها ابنان من الاسكندر واسم الاكبر منهما هرقانوس والآخر ارستبلوس وكانا صغيرين عند موت أبيهما فلما كبرا عينت هرقانوس للكهنوتية وقدمت أرستبلوس على العساكر والحروب وضمت اليه الربانيين وأخذت الرهن من جميع الامم وسألها الربانيون في الاخذ بثارهم من القرائين وكانوا احتملوا كثيرا وجاء القرائون الى ابنها الكهنوت يشكرونه ذلك وانه اذا فعل بهم ذلك وقد كانوا سيفا لابيه الاسكندر وقد تحدث النفرة من سائر الناس وسألوه أن يلتمس اذنها في الخروج عن القدس والبعد عن الربانيين فاذنت له رغبة في انقطاع الفتنة وخرج معه وجوه العسكر ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها او يقال ان ظهور عيسى صلوات الله عليه كان في أيامها وفيما ذكره ابن خلدون في آخر هذه القصة ان ظهور السيد المسيح كان في أيام الاسكندرة مخالفة لم تتفق عليه المؤرخون المحققون والصحيح أنها توفيت سنة ٧١ أو سنة ٧٠ قبل الميلاد

﴿ أسماء معشوقة جعد بن مهجع العذري ﴾

هي من بني كلاب ولم أعثر لها على اسم الا من قوله

لعمرك ما حبي لاسماء تاركي * صحيحا ولا أقضي به فأموت

وكان سبب عشقه اياها أن له أخوالا من كلاب حول ماله اليهم خشية التلف فأقام عندهم ثم خرج يوما على فرس وقد صحب شرابا فاشتد الحر وظهرت له دوحة فقصدها ونزل تحتها فاستتر حتى بان له شخص عليه درع أصفر وعمامة سوداء يطارد صحلة وأتانا فقتلهما وقصد الدوحة ونزل بها فاذا هو فتى في ألفا له غذو بلاقدر وخلب عقله فدعاه الى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه فتبرج الدرع عن ثدي كحق العاج فقال امرأة أنت قالت نعم ولكن شديدة العفاف حسنة الاخلاق والمفاكهة فعلقها من تلك الساعة وسألها الزيارة فذكرت أن اباها الخوف شرسة وأبا كذلك ثم مضت ولازم الوساد سنة كاملة ثم شكى الى أحد أصحابه فأشار عليه أن يخطبها من أبيها ومضى معه حتى نزلا بالشيخ فأحسن ملتقاهما فقال له هذا ابن خاطبا قال فوق الكفاءة وزوجه بها في ليلته فلما كان الغد جاء صاحبه فقال كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال أبدت لي كثيرا مما أخفته عني قديما وسألتها عن ذلك فانشدت

كتمت الهوى انى رأيتك جازعا * فقلت فتى بعد الصديق يريد

وان تطرحني أو تقول فتية * يضر بها برح الهوى فتعود

فوريت عما بي وفي الكبد والحشا * من الوجد برح فاعلمن شديد

فبارك لهما وانصرف وكان ينشد

يا رب كل غدوة وروحه * من محرم يشكو الضحى والرحه

أنت حسيب الخصم يوم الروحه

﴿ أسماء ابنة حصن ﴾

هي ابنة حصن بن حذيفة الفزارية قد استودعها عامر بن الطفيل درعه في يوم الرقم فأدتها اليه بعد ذلك وذكرها في شعره الذي هجا فيه بني غطفان اذ قال

قد سألت أسماء وهي خفية * نصاحها أطردت أم لم أطرد

فلا يغنكم انصاد عوارضا * ولاقبلن الخيل لابة ضرغد

ولابرزن عيالك وعيالك * وأخي المروآت الذي لم يسند

وهي طويلة اقتصرنا على هذا المقدار فاجابه نابغة بني ذبيان يلومه على تعريض عقائلهم في شعره فقال

فان يك عامر قد قال جهلا * فان مطية الجهل الشباب
فانك سوف تحلم أو تباهى * اذا ما شبت أو شاب الغراب
فكن كأبيك أو كأبي براء * توافقك الحكومة والصواب
فلا تذهب بحلمك طامسات * من الخيلاء ليس لهن باب

أسماء ابنة رويم

كانت من النساء العاقلات الحكيمات الاديبات الولودات وكانت تسمي أولادها بأسماء الوحوش الضارية قيل انه مر بها وائل بن ساقط فرآها منفردة في خبائها فهم بها فقالت والله لئن هممت بي لأدعون أسبعي فقال ما أرى سواك في الوادي فصاحت بنيها يا كلب يا ذئب يا فهد يا دب يا سرحان يا سبع يا ضبع يا نمر فجاؤا يتعادون بالسيوف فقال وائل ما هذا الا وادي السباع فلزم هذا الاسم ذلك الوادي وقالوا لها ما شأنك قالت انه نزل بنا ضيف فاحببت أن تكرموه فاكرموا كرامه أكرموه إذا ما أتاه ذا وانصرف وهو يتعجب من ذريتها ومن حضور بديهتها التعمل العذر الذي أبدته لاولادها

أسماء ابنة محمد بن صصري

هي أخت قاضي القضاة نجم الدين بن صصري كانت شيخة مسندة جليلة مباركة كثيرة البر سمعت العلماء وحدثت وحجت مرارا وكانت تلازق المصحف وتفيد الفائدة التامة لمن يسمع منها ومما قيل فيها

كذلك فلتكن أخت ابن صصري * تفوق على النساء حسبا وشيبا
طراز القوم أنثى مثل هذي * فلا التأنيث لاسم الشمس عيبا

أسماء العامرية

كانت فصيحة ظريفة أديبة لطيفة عذبة المنطق سلسة الالفاظ لها أشعار رائقة ومعانيها شائقة وقصائد مطولة تمدح فيها خلفاء زمانها وتترسل بحسن لطيف العبارة فمن ذلك الرسالة التي أرسلتها الى عبد المؤمن ابن علي التي تمت اليه بنسبها العامري وتسأله رفع الضريبة عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالي * رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها

رويتم علمه فعلمتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

فلما اطلع على قصيدتها ومقالها أجابها بالاسعاف في جميع ما سألته عنه

آسية ابنة مزاحم امرأة فرعون

كانت من خيار النساء المعدودات تزوجت بفرعون موسى ملك مصر ولم تلد منه مدة حياتها معه وكان يحبها مستمعا لكلامها مطيعا

وكان فرعون رأى مناما قد هاله فاحضر الكهنة والمفسرين من أرباب دولته وقص عليهم رؤياه ففسروه من مولود يولد في ذلك العام ويكون هو سببا لخراب ملكه فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في ذلك العام من بني اسرائيل وكان في دار فرعون بستان فيه نهر كبير فخرجت الجواري اليه ذات يوم

لتغتسل فيه فوجدت تابوتا فأخذته وظنت ان فيه مالا فحملته على حالته حتى أدخلته الى آسية فلما فتحته
رأت فيه غلاما فألقى الله عليه محبة منه فرحمته آسية وأحبته حبا شديدا فلما بلغ الذباحين ان في دار الملك
غلاما استأذنوه بان يدخلوا داره ويذبحوا الغلام تنفيذا للامر فأذن لهم بذلك فأقبلوا على آسية بشفارهم
ليذبحوا الغلام فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا ليس من بني اسرائيل فان أبى فرعون استوهبته
منه فان وهبه لي كنتم أحسنتم وان أمركم بذبحه فلا مانع من ذلك ثم انها أتت به الى فرعون وقالت له ليس
لي ولا لك ولد فلا تقتلوا هذا عسى أن ينفعنا فسمح به اليها أن تربيه فلما أمنت آسية عليه سمته موسى
وأحضرت المراضع فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية عليه أن يمتنع
من اللبن فيموت فأمرت باخراجه الى السوق ترجو أن يصيب امرأة يرضع من ثديها الى أن أتت أمه
وأعطته ثديها فرضع منها فانطلق البشير الى آسية يبشرها بانه وجد لابنها امرأة مرضعة فأمرت باحضارها
وقالت لها امكثي عندي لترضعي ابني هذا فاني لم أحب شيأ مثل حبه قط فقالت لها لا أستطيع أن أدع بيتي
وولدي فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به الى بيتي فيكون معي ولا آلوه الا خيرا فعلت
والا فاني غير تاركة بيتي فأعطتها اياه فأخذته ورجعت الى بيتها فلما ترعرع قالت آسية لام موسى أحب أن
تريني ابني فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت آسية لخزانها وجواريها الا يبقى منكن أحد الا استقبل ابني بهدية
ومكرمة فاني باعثة بأمينة تحصي ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن
خرج من بيت أمه الى أن دخل على آسية فلما دخل عليها أكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن
أثرها عليه ثم قالت لها انطلقي به الى فرعون ليكرمه فلما دخل عليه أكرمه ووضعه في حجره فتناول الغلام
لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعرات فغضب غضبا شديدا وتخوف منه وقال هذا عدوي
المطلوب فأرسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك آسية فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بالك في هذا الصبي
الذي وهبته لي فأخبرها بما فعل فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيما بيني
وبينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل
فاذبحوه وان أخذ الجمر علمت انه صبي ثم وضعت له طشتا فيه الياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد الغلام يده الى
الجوهر ليقبض عليه فزاغت عينه الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فمه فجاءت على لسانه فأحرقته
فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وأنه صبي لا يعقل فكف عن قتله

وكانت يوما مستطلعة من كوة في قصر فرعون اذ نظرت الى الماشطة امرأة حزقيل تعذب وتقتل فبينما هي
كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت آسية الويل لك
يا فرعون فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت ما اعتراني جنون ولكني آمنت
بالله ربي وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم
انه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالهها فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت
تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تعذب
حتى ماتت ولسانها لا يفتر عن ذكر الله وهي تقول رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله
رحمها الله رحمة واسعة

﴿ اعتماد زوجة المعتمد بن عباد ﴾

هي أم أولاده وتشتهر بالرميكية وسبب اتصالها بالمعتمد هو كما قيل ان المعتمد ركب في النهر ومعه ابن عمار وزيره
وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لوزيره أجز (صنع الريح من الماء زرد) فأطال الوزير الفكرة فقالت

امرأة من الموجودات على ضفة النهر (أى درع القتال لو جد) فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاذا هى غاية فى الحسن والجمال فأعجبته فسألها أذات بعل أنت قالت لا فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء

ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة فى المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله والقصيدة أولها

ألا حى بالغرب حيا حلالا * أناخوا جمالا وحازوا جمالا
وعرّس بيومين أم القرى * ونم فعسى أن تراها خيالا

ويومين قرية باشبيلية كانت منها أوّلية بنى عباد

ومنها
تخيرتها من بنات الهجان * رميكية ما تساوى عقالا
فجاءت بكل قصير العذار * لئيما يجارين عما وخالا
قصار القدود ولكنهم * أقاموا عليها قرونا طوالا
أتذكر أيامنا بالصبا * وأنت اذا لحت كنت الهلالا
أعانق منك القضيب الرطيب * وأرشف من فيك ماء زلالا
وأقنع منك بدون الحرام * فتقسم جهدك أن لا حلالا
سأهتك عرضك شيئا فشيئا * وأكشف سترك حالا فحالا

ومنها
فيا عامر الخيل يا زيدها * منعت القرى وأبحت العيالا

ولما خلع المعتمد وسجن بأغمات قالت له

يا سيدى * لقد هنا هاهنا

فقال
قالت لقد هنا هاهنا * مولاى أين جاهنا
قال لها الاهنا * صيرنا الى هنا

﴿ أغسطينا عذراء سرقسطه ﴾

عذراء توفيت فى كوتا من اسبانيا فى شهر حزيران سنة ١٨٥٧ بعد أن طعنت فى السن كانت فى صباها تبيع مشروبات فى سرقسطه فلما حاصر الفرنسيون المدينة المذكورة سنة ١٨٠٨ وسنة ١٨٠٩ اشتركت فى المدافعة وأظهرت عند ذلك من الشجاعة وثبات الجنان ما أوجب العجب لانها نزعت فتيلة من ابن طوبجى كان فى حالة النزع وأطلقت المدفع على المحاصرين ومكافأة لها على خدمتها فى وقت الحصار وجهت اليها قيادة فرقة من العساكر الاسبانيولية مع عدة نياشين واستمرت فى القتال حتى حازت النصر مرارا بفرقتها على الفرنساويين

﴿ افروسين القديسة ﴾

ولدت بالاسكندرية لمصر سنة ٤١٣ للميلاد وكان أبوها من الاغنياء وتربت هى على العبادة والتقوى ونذرت نفسها للبتولية وأنها لا تتخذ زوجا لها الا الكنائس فلما بلغت مبلغ النساء أراد أبوها أن يزوجها بأحد أقربائها فلما أيقنت ذلك لبست ثوب رجل وفرت من بيت أبيها وجاءت الى أحد النساك ثم مضت الى أحد الاديرة وسمت نفسها زمرد فقبلها الرهبان ولم يعرفوا أمرها فاخذ أبوها يبحث عنها حتى جاء الدير وأخبر الرئيس بالخبر وهى حاضرة تسمع بدون أن يعرفها أبوها ولا الرئيس فكانت تخاف أن تعرف وعلى

الخصوص ان أباها تردد كثيرا الى ذلك الدير وكان يشكو للرئيس أمرها واستمرت على هذه الحالة ١٨ سنة وقيل ٣٠ سنة وهي ملازمة للصلاة والصوم والتقشفات والعبادة الحارة حتى مرضت وعرفت أن أجلها قد اقترب فدعت والدها وكشفت له أمرها وتوسلت اليه أن يفرح بذلك ثم توفيت

﴿ افروسيني امبراطورة الشرق ﴾

هي امرأة الكسيس الثالث الملقب انجلوس (أي الملاك) ودبرت على وضعه على تخت الملك عوضا عن أخيه اسحق انجلوس سنة ١١٩٥ غير أنها هي التي ملكت بالحقيقة وكانت موصوفة بجودة العقل والشجاعة والفصاحة غير أنها كانت متكبرة وسيرتها غير مرضية فعلم بذلك الكسيس سنة ١١٧٨ وخشي حدوث فتنة شديدة فطردت افروسيني من البلاط وحبست في دير وسنة ١١٨٤ استدعاها الامبراطور الى البلاط غير أنها لم تهنأ بالملك ثانية من جراء ثورة الكسيس الملقب بالشاب وهو ابن أخي الكسيس الامبراطور فانه ثار على الامبراطور بعد خذلانه في حرب البلغاريين واستنجد الجيوش الصليبية فأتت لمساعدته ولما استولى الفرنسويون في الحرب الصليبية الخامسة على القسطنطينية هربت افروسيني وطافت مدة مع زوجها في آسيا ثم قبض على زوجها وحبس فبقيت منفردة من سنة ١٢١٠ الى أن توفيت سنة ١٢١٥

﴿ أفذوكسيا زوجة الامبراطور اركاديوس ﴾

ابنة الكونت بوتون الفرنجي قائد تيودوسيوس الكبير زوجها اطروبيوس الخرجي بالامبراطور اركاديوس وباسم اركاديوس ملك كلاهما ولما سقط اطروبيوس من الملك حكمت افذوكسيا باسمه بين الناس ولم تقبل رشوة البتة كعادة ملوك ذلك الزمان ولما نفت القديس يوحنا فم الذهب سنة ٤٠٣ لانه وعظ عن زينة النساء وأبطل زهوهن وشغب عليها الشعب فاستدعته بعد أشهر ثم نفته سنة ٤٠٤ لانه وبخ الشعب بقوة على ما حدث من الامور الغير اللائقة عند نصب تمثال افذوكسيا ثم توفيت افذوكسيا وكانت قد ولدت لاركاديوس تيودوسيوس الثاني

﴿ أفذوكسيا ابنة الفيلسوف ليونتيوس اليوناني ﴾

امرأة تيودوسيوس الثاني كان اسمها قبل أن تعمدت وتزوجت اثيناس وكان أبوها قد علمها العلوم الفلسفية والمعارف والآداب وكانت فوق ذلك بديعة الجمال ولما رأها أبوها في درجة عالية من حسن العقل والخلق حرمها من ميراثه اعلمه بكفايتها في تحصيل أكثر مما يلزمها فتوجهت الى القسطنطينية تطلب حقها من الامبراطور بلكيريوس فتعجب من علمها وحسن تصرفها وزوجتها بأخيه تيودوسيوس سنة ٤٢١ فتممت العلوم واشتهرت بها وتشبهت افاردجت على بابها أقدام العلماء وأحبها واحد منهم يقال له بولينوس فقتله تيودوسيوس غيرة اذ رأى كثرة اتصالهم بها واسقط منزلة أفذوكسيا فطلبت الرحيل الى بيت المقدس فأذن لها وأتبعها الملك بالرقباء وأمر والي أورشليم بقتل خوري وشماس كانا يترددان اليها فغضبت أفذوكسيا وقتلت الوالي فنزع عنها الملك كل شرف واستحقاق ملكي وكانت أفذوكسيا قد تبعت رأي أوطيخا غير أنها ارتدت بارشادات القديس أفتيموس وتوفيت باورشليم سنة ٤٦٠ بعد أن برأت نفسها بالاقسام من التهم التي اتهمها بها الامبراطور وكانت قد أسست أديرة وكنائس وألفت عدة تآليف وكتب سيرة حياتها فاليقوروا المؤرخ الشهير

﴿ أفذوكسيا ابنة افذوكسيا زوجة فالنتينيانوس ﴾

كانت أفذوكسيا امرأة تيودوسيوس وتلقب بالفتاة ولدت في القسطنطينية سنة ٤٢٢ ولما قتل

زوجها كان شخص يدعى مكسيموس شريكا فى قتله وهى لم تعلم ذلك فتزوجته وزوجت ابنتها بابنه لكنها المساعدات الامر من نفى مكسيموس استدعت الى ايطاليا جنسريك ملك الفندال فاكتسح رومية وأبقى أفذوكسيا عنده سبع سنين ثم رجعت الى القسطنطينية سنة ٤٦٢ وأكملت حياتها بالرياضات والعبادة

﴿ أفذوكسيا زوجة الامبراطور قسطنطين دوكاس ﴾

دعت لنفسها بالملك بعد وفاة زوجها سنة ١٠٦٧ لتثبت لاولادها حق الملك وأراد بعض كبراء الدولة ان يخلعها من السلطنة ففكرت بقتله غير أنه لما رأته خاب ابها عمالها غضت عنه وجعلته قائد جيوش المشرق ثم تزوجته سنة ١٠٦٨ بعد أن احتالت على البطريك كسيفيلوس وأخذت منه صكا كانت قد تعهدت فيه لزوجها الاول انها لاتتزوج بعد موته طول حياتها ولما تولى الامبراطورية ابنها ميخائيل بعد ثلاث سنين من زواجها حبسها فى دير وكانت أفذوكسيا قد تضلعت من العلوم وألفت تآليف معتبرة منها التأليف فى نسب المعبودات والابطال من رجال ونساء وهو كتاب لطيف جدا وكتاب فى تعليم النساء وكتاب فى شغل الاميرات وكتاب فى عيشة الرهبانية الى غير ذلك من الكتب العلمية والتاريخية التى خلدت لها ذكرا فى بطون الاوراق

﴿ أفذوكسيا لابوخين امبراطورة روسيا ﴾

هى أول امرأة لبطرس الاكبر وأم الكسيس المنكود الحظ اتهمها زوجها بمواصلة رجل من الاشراف اسمه كابو وهجرها ثم نفاها الى دير بالقرب من بحيرة لادوغا وأما كابو فحكم عليه بالموت تحت العذاب الشديد ومع ذلك لم ينطق الا ببراءة أفذوكسيا ثم استرجع الامبراطور امرأته وماتت بعد ذلك بقليل

﴿ اكتافيا شقيقة الامبراطور اوغسطوس ﴾

زوجة مرقس انطونيوس توفيت سنة ١١ قبل الميلاد تزوجت أولا بكلوديوس مرشلوس وكان يوليوس قيصر يرغب فى فصلها عنه لتزوجها بومباى الا ان بومباى أبى ذلك فبقيت مع زوجها ولما توفى سنة ٤١ قبل الميلاد تزوجها مرقس أنطونيوس فتمكن بذلك الاتحاد بينه وبين أوكتافيوس وصحبت زوجها الجديد فى حروبه بالشرق وبواسطتها ازال ما كان بينه وبين أخيها من الخلاف سنة ٣٧ قبل الميلاد ثم سار مرقس أنطونيوس لمحاربة البرتيين فشغف بحب كلوباترة ولما أتت اكتافيا الى بلاد الشرق سنة ٣٥ قبل الميلاد بنجدات ومهمات ونقود لزوجها قبل ما أتته به ولكنه أبى مقابلتها فرجعت الى ايطاليا ولم ترغب قط فى مقابلة زوجها بل أقامت فى بيته وكانت تربى أولاده الا أن أخاها أوغسطوس ساءه ذلك وعزم على الاخذ بالثار فشهر الحرب على انطونيوس وكسره فى موقعة اكتيوم المشهورة غير أن مرقس بعث الى اكتافيا بكتاب الطلاق سنة ٣٢ قبل الميلاد فانتقلت الى بيت أخيها أوغسطوس وبعد وفاة زوجها المذكور جعلت أولاده من فولفيا وكلوباترة مع أولادها فكانت تربيهم تربية واحدة من دون فرق بينهم وكان لها خمسة أولاد ثلاثة من مرشلوس وابنتان من مرقس انطونيوس اسم كل منهما أنطونيا احداهما تزوجت بدومتيوس أهنوبربوس ذرية الذين جلسوا على تخت الامبراطورية الرومانية وماتت اكتافيا حزنا على ابنها مرشلوس الذى ولدته من زوجها الاول فانه توفى فى عنفوان شبابه بعد أن كان أوغسطوس قد زوجه ابنته جوليا وعينه وارثا له فى الامبراطورية

وكانت اكتافيا على جانب عظيم من التهذيب وحسن الاخلاق وجودة العقل وسعة المعارف وقد أجمع أهل زمانها على أنها كانت أجمل من كليوباتره

﴿اكتافيا ابنة الامبراطور كلوديوس﴾

من زوجته مسالينا خطبها الوسيوس سيلانوس حفيد أوغسطوس الا أن أمها أبطلت تلك الخطبة وزوجتها بابنها نيرون من زوجها دوميتيوس أهينوبربوس فطلقها الملك جالس على تخت الملك مدعيا انها عاقر وتزوج بوبيا وبعد ذلك نفاها الى كمبانيا لان بوبيا اتهمتها بعشق عبد مصري شاب اسمه أوساروس كان يحسن الغناء بالمزمار فاضطرب لذلك رعاياه وساءهم هذا الظلم جدا فاضطر الى أن يطفيء غيظهم نيرون فاستدعى اكتافيا الى رومية فقابلها الشعب باكرام وسرور لا مزيد عليهما وكسروا تماثيل بوبيا فعزمت هذه على الانتقام وحرضت نيرون بتذمرها على ذلك الظلم فأمر انيسيتوس قاتل أمه أن يصرح انه ضاجع اكتافيا فنفاها الى جزيرة بانداتاريا وهناك قطعت عروقها لتقتلها بنزف دمها فمنعت الرعشة جريان الدم فخنقت ببخار حمام حار وأرسل رأسها الى بوبيا سنة ٦٢ للميلاد وكان لها من العمر حينئذ ٢٠ سنة فقط

﴿اليصابات زوجة زكريا﴾

هي أم القديس يوحنا المعمدان وقد ولدته في شيخوختها بعد أن كانت عاقرا وكان أبوها من نسل هرون وامها من سبط يهوذا ولذلك كانت من ذوات قرابة السيدة مريم العذراء وقد زارتها السيدة المذكورة في حبرون (الخليل) في أيام حملها وذهب القديس بطرس الاسكندري الى انها تركت تلك المدينة عند ما قتل هيرودس الاطفال والتجأت مع ولدها الى كهف في جبال يهوذا فماتت هناك بعد أربعين يوما من دخولها الكهف المذكور وتركت القديس يوحنا وحده من دون معين فأقام على هذا الحال مدة طويلة وقد أطنب المؤرخون في تعداد فضائلها ووصف تقواها

﴿اليصابات ابنة هنري الثامن ملكة انكلترا﴾

ولدت لهنري من زوجته حنة بولين وآخر من ملك من بيت تودور ولدت سنة ١٥٣٣ وتوفيت سنة ١٦٠٣ جعلت ولية للعهد حال ولادتها وذلك بموجب قرار صدر من المجلس العالي وبه حرمت أختها ماري ابنة كاترينا الاراغونية من الملك مع انها كانت أكبر منها بسبع عشرة سنة وفي السنة الثالثة من عمرها حدث ما أفضى الى قتل أمها فصرح بانها ابنة غير شرعية وتبدل ما كان لها من الاعتبار بالاحتقار وتعلمت اليصابات اللغات اللاتينية والفرنسوية والايطاليانية والاسبانيولية والفلمنكية وترجمت مؤلفا من اللغة الايطاليانية الى الانكليزية وجعلته تقدمة لرابتها غير انها كانت تفضل التاريخ على ما سواه من العلوم وشاركت أخاها في الدروس التي ألقاها عليه رجل من أوفر أهل انكلترا علما وأوسعهم معرفة ولما توفي هنري الثامن في سنة ١٥٤٧ أوصى بالملك من بعده لابنته ماري واليصابات من بعدها وعين لليصابات مرتبا وافرا وكان الناس حينئذ يحسبونها مناظرة لاختها ماري ورئيسة للحزب البروتستانتي كما كانت ماري رئيسة للحزب الكاثوليكي وسنة ١٥٥٤ تزوجت ماري بفيليب الثاني ملك اسبانيا وأمست تؤمل أن ترزق منه ولدا يرث الملك من بعدها وكان فيليب يعامل اليصابات باللطف ويظهر لها الوداد وتمكنت الصداقة والمحبة بين الاختين في الاشهر الاخيرة من حياة ماري ولما توفيت ماري سنة ١٥٥٨ خلفتها اليصابات على تخت الملك من دون مانع وبعد ستة أشهر من جلوسها على التخت أبطلت السلطات الكاثوليكية من كنيستها

الخصوصية وأبت في أول الامر أن تلقب برئيسة الكنيسة البروتستانتية وسمت نفسها واليها الا أنها
أنفذت فيها سلطتها أخيرا ولم يكن لها معارض فيما تفعله وكان القوم في فرنسا يدعون لمارى ستوارت
ملكة سكوتلاندا بحق التملك على انكلترا وكانت هذه الدعوى من شأنها أن تاتى بنتائج رديئة وتسوق الى
الحرب وأخذت اليصابات تتداخل في أمور سكوتلاندا وتحمى الحزب البروتستانتى فيها بمساعدتها وحاول
البابا بيوس الرابع أن يرد المملكة الى الدين الكاثوليكى فخبط سعيه وأرجعت قيمة المسكوكات الانكليزية
الى ما كانت عليه سنة ١٥٦٠ فنشأ عن ذلك الاصلاح خير عظيم ونجاح البلاد وأرسلت الى الهوغنو
الفرنسويين امدادا من المال والسلاح والرجال وأمدت أيضا بروتستانت الفلمنك سرا ولما طلبت مارى
ملكة سكوتلاندا أن يسمح لها أن تنطلق بأمان من فرنسا الى سكوتلاندا لم تجبها اليصابات الى طلبها ويقال
انها حاولت القاء القبض عليها وسنة ١٥٦٣ طلب اليها المجلس العالى أن تتزوج لان مسئلة ارث الملك مما
يهم رعاياها وخطبها كثيرون من انكلترا والبلدان الاجنبية وكان من أعظم الانكليز الذين رغبوا في
الاقتران بها (هنرى فتزلان) ثامن عشر أرلات ارندل وآخرهم وطلب اليها أيضا أن تعترف بمارى ستوارت
ولية للعهد فأبت ولم تبرم المسئلة وخطبها شارل التاسع ملك فرنسا فلم تجبه الى سؤاله ومن جملة الذين رغبوا في
الاقتران الارشيدوق كارلوس ابن أمبراطور المانيا وكانت محبة الارشيدوق تنمو يوما فيوما في قلبها وكان
الناس ينتظرون يوما فيوما اقتران الملكة بخطيبها وساء اليصابات تزوج دارنلى بمارى ستوارت وتكاثر
الانكليز غموما من ولادة ولدهما لان ذلك يدل على أن الملك سينتقل فيما بعد الى كاثوليكى وفى تلك الاثناء
حدثت قلاقل داخلية جديدة واشتدت المصاعب الخارجية على الدولة لان قبول المضطهدين الفارين
من الفلمنك في انكلترا وتأمينهم على أرواحهم ساء اسبانيا فأهينت الراية الانكليزية في خليج مكسكو
وكذلك سفيرها في مدريد فاستولت الملكة على مال لاسبانيا وجدته في سفن اسبانيولية التجأت الى مرافئ
انكلترا ولما حجز الذين يملكون أملاك الانكليز في الفلمنك وهن أصحابها ألقت القبض على كل الاسبانيول
المقيمين في انكلترا وعلى سفيرهم أيضا وخاطبت فيليب الثانى في ذلك رأسا فأجابها بكبرياء وتهددها
بالحرب وكان دوق نرفلك قد انحاز الى مارى ستوارت وتعلق بها فحذرته اليصابات من ذلك ثم ألقت
عليه القبض وحبسته وسنة ١٥٦٩ حدثت الثورة الشمالية العظيمة تحت رياسة ارلى وستمورلاند
ونورثمبرلاند الكاثوليكيين فأخمدها ورسكس في الحال وقتل ٨٠٠ من العصاة وسنة ١٥٧٠ حرم البابا
بيوس الخامس الملكة اليصابات وعلق رجل من الكاثوليك ورقة تتضمن صحيفة من الحرم على باب قصر
الاسقفية في لندن فقبض عليه وقتل صبرا وبعد أن حبط سعى القوم في عقد الزواج بينها وبين الارشيدوق
كارلوس عرض عليها أن تتزوج بدوق انجو الذى صار فيما بعد ملكا لفرنسا وسمى هنرى الثالث وكان آخر
رجل من بيت فالوا ثم ألقيت المسئلة على ديوان المشورة قال بعض الاعضاء ان الدوق لا يلائم الملكة لانه
أصغر منها سنا (كان عمره ٢٠ سنة وعمرها ٣٧) وأغضبها ذلك جدا ويستدل من هذه الحادثة وما
أشبهها انها لم تكن تراعى جانب الخلوص في مثل هذه الامور وانها كانت تغتاظ غيظا شديدا عندما ترى
أحدا من خاطبيها يتزوج بغيرها بعد أن ييأس منها وجعلت (سيسل لورد بورليغ) وزيرا لها ووجهت اليه
ادارة الخزينة والى السر توماس سميث مستشارية الدولة وحصل لهاتون أهمية كبرى لان الملكة أحبته
كثيرا لكمال صفاته وجماله واتهمها الناس انها تعشقته وحبا بنفعه نزعت من اسقف ايلى كثيرا من الاوقاف
وبعثت اليه برسالة في ثلاثة أسطر غاية في الشدة وفى أثناء الكلام عن اقترانها بدوق انجو عرضت
عليها أمه أن تتزوج بأخيه الدوق وكان أصغر منها باثنين وعشرين سنة قبيح الخلق والخلق ثم انقطعت
المراسلات بين اليصابات وانجو وخطب اليها الامبراطور مكسيمليان الثانى أن تتخذ ابنه رودلف بعلا لها مع

انها كانت فى العمر أكبر من أمه وعرض عليها أيضا هنرى دو نوارة الا أن قلبها كان لم يزل متعلقا بدوق انجو وأظهرت انها عدلت عنه لاسباب دينية وحاول فيليب الثانى أن يقتلها فتواطأ على ذلك كلا من نرفلك ومارى ستوارت فكشفت المؤامرة وقتل نرفلك ثم استأنف الكلام عن اقترانها بالنسون أخى دوق انجو وأصدر المجلس العالى قرارا بقتل مارى ستوارت فلم تسلم اليصابات بذلك وفى تلك الاثناء حدثت ملحمة سنت برتلماوس سنة ١٥٧٢ فاشتد غيظ الانكليز وهاجوا على مارى وطلبوا قتلها فلم تجبهم اليصابات الى ذلك رأسا بل قبلت بتسليمها الى السكوتلانديين الذين كان الانكليز يعتقدون أنهم يقتلونها حالما يقبضون عليها وسنة ١٥٧٥ طلب الهولانديون الى اليصابات أن تملك عليهم لانهم كانوا يعتبرونها من نسل فيليبا دوهينو فلم تجبهم الى ذلك ولا ساعدتهم ولكنها قبلت سنة ١٥٧٨ أن تمدهم بالمال والرجال واشترطت عليهم شروطا يمكنها بها أن تسترجع ما تنفقه عليهم وحدث فى ايرلاندا ما أتعبها وأقلقها وكان الايرلانديون يسمون الحرب التى أقامها اللورد منجوى هنالك حرب الساحرة استهزاء بالملكة وتكاثرت المؤامرات حولها وكان محورها مارى ستوارت وكان اليسوعيون يدفعونهم وتمت مداخلة مندوزا سفير اسبانيا فى احداها فأكره على الخروج من انكلترا وقتل وسجن كثيرون من المتآمرين أما فيليب هوردا ارل ارندل وابن دوق نرفلك فحكم عليه بالقتل وبعد أن حبس مدة طويلة مات فى السجن وألفت جمعية لوقاية الملكة من مساعى المتآمرين الثانويين وأثبت المجلس العالى ذلك بقرار أصدره وعزم على قتل مارى ستوارت اذا سعت فى قتل اليصابات ثم كشفت مؤامرة تحت رئاسة انطونى بابنتون كان فى نيتها قتل الملكة واطلاق سبيل مارى فعاد ذلك بالويل على مارى بدلا من أن يجر منه نفعا فجرت محاكمتها واختلف القضاة فى ذلك اختلافا عظيما غير أنه حكم عليها بالاشتراك فى المؤامرة وقتلت فى فوترنغاى فى ٨ شباط (فبراير) سنة ١٥٨٧ فحزنت عليها اليصابات ظاهرا حزنا شديدا وقد تقرر رسميا بعد واتضح جليا أن توقيعها على الحكم الصادر بقتل مارى كان محض تزوير ومما لا ريب فيه أنها أرسلت الى قلعة فوترنغاى من دون علمها ولا أمرها وكانت أحوال فرنسا مما لا يوجب الخوف من هذا القبيل الا أن البابا وملك اسبانيا كانا من أعداء اليصابات الالداء يرغبان فى تنكيلها وقهرها فحرمها البابا سكستوس الخامس وشهر عليها حربا صليبية وادعى فيليب الثانى بتاج الملك وبنى دعواه على انه وارث شرعى لبيت لانكستر لكونه من سلالة ابنتى جون اف غونت اللتين ملكتا بورتوغال وقسطيلة وتجهز جهارا للحصول على مطاليبه ووعده البابا بمساعدات كثيرة شرطية وفى تلك الاثناء أغار دراك على سواحل اسبانيا فعاث فيها ونهب سفنها وهجم على ميناء قادس فالحق بسفنها ضررا كبيرا وتهيأ الانكليز بسرعة لملاقاة عسكر فيليب فنزعوا الشقاق من بينهم واتحد الكاثوليك والبروتستانت وباقى الشعب فكانوا يدا واحدة وجهزوا اسطولا مؤلفا من ١٨٠ سفينة تحت قيادة اللورد هوردا اف افنغام وقيادة دراك وفروبشر وهوكنس وجمعوا جيشين مؤلفين من ٦٠ ألف مقاتل أما الاسطول الاسبانيولى فسار من اسبانيا فى ٢٩ أيار (مايس) سنة ١٥٨٨ لغزو انكلترا ولكن هبت زوبعة شديدة أكرهته على الرجوع ولم يلتق الاسطولان الا فى شهر تموز (جولية) فتقاتلا بقرب ساحل انكلترا وبعد أن استمرت الحرب بينهما مدة سبعة أيام انكسر الاسبانيون وتبدد شملهم وسنة ١٥٨٩ أرسلت اليصابات جيشا لتخليص البورتوغال من أيدى الاسبانيول فصادف فشلا مع انه خرج من الجزر ووصل الى نواحى ليسبون وأمدت هنرى الرابع ملك فرنسا بالمال والرجال لانه كان يحارب اسبانيا والاتحاد المشهور بين سنة ١٥٩٠ وسنة ١٥٩١ وسنة ١٥٩٣ التأم المجلس العالى وبعد مشاحنة جرت لمنع الملكة خضع لها ولما علمت اليصابات عزم هنرى الرابع على ترك المذهب البروتستانتى وكشفت مؤامرة عقدها جماعة أرادوا أن يدسوا اليها السم فى شراب أو غيره وقتلت رودريا

غولويس وهو يهودي اسبانيولي الاصل كان في خدمتها عدة سنين وذلك لاشتراكه في تلك المؤامرة وفي ذلك الوقت تمت الاضطهادات الدينية انكلترا كلها وقتل كثيرون من وجوه البيورتيانة وكانت الحرب مع اسبانيا سابارية على قدم وساق وسنة ١٥٩٦ فتح قادس اسطول وجيش انكليزيان تحت قيادة هوردا في افنغام واسكس وكان اسكس حينئذ أكثر أهل انكلترا نفوذا وسطوة الا أنه اقتصر عقله وسوء تدبيره لم يعد عليه مركزه ولا اعتبار المالكة له بأقل نفع وكثرت الدسائس في البلاط الملكي فامسى اسكس وهو أكرم رجال الدولة وأقلهم دراية آلة في أيدي أهل الغايات والمطامع وأرسل اسكس لمحاصرة الاسبانيين في بلادهم وفي الاقيانوس الاتلنتيكي ان فيليب الثاني حاول ان يجعل نفسه ملكة لانكلترا فلم يفعل شيأ فاغضب ذلك الملكة ولكن لم تلبث أن رضيت عنه وتمكن من مقاومة بورليغ ومضادته الى أن عرف بورليغ المذكور ان بينه وبين ملك سكوتلاندا مراسلة ولما عزم هنري الرابع على عقد الصلح مع اسبانيا ورأى ان ذلك مما يغيظ اليصابات عرض على انكلترا واسبانيا عقد الصلح وتوسط الخلاف بينهم فصادق بورليغ على ذلك وخالفه اسكس وفي مجلس من الوزراء عقدته الملكة للنظر في مصالح ارلاندا حول اسكس قفاه للملكة باستخفاف فصفعته وقالت له اذهب لا سلمك الله فاغلظ لها ارل اسكس الكلام وهاج وماج وخرج من المجلس وبينما كان قوم يحاولون مصالحتهما توفي بورليغ في ٤ اب (أغسطوس) سنة ١٥٩٨ وبعد ذلك بستة أسابيع توفي فيليب الثاني فرجع اسكس الى البلاط الملكي وبعد مدة وجيزة انتخب لوردا واليا لارلاندا وكانت تلك البلاد حينئذ في حال تعيسة ولم يوجه اليه ذلك المنصب عن حب بل عن غيظ وسعي له فيه أعداؤه المدبرون على هلاكه وكان هو من أهل السياسة الدولية لا من المضطلعين بسياسة الاهالي ومن أهل الشرف لا من رجال الحرب فحبطت مساعيه في ارلاندا فرجع منها من دون اذن وسلك طريق التهور والشطط فكانت العاقبة على حتفه وطالته فسيق الى دكة المجرمين فقتل عليها سنة ١٦٠١ وأمسى السر روبرت سيسل بن بورليغ أكثر وزراء اليصابات نفوذا وكان بينه وبين ملك سكوتلاندا مراسلة وطلبت الملكة أن هنري الرابع ملك فرنسا يزورها في دوفر لانه كان في كالي الا انه أرسل اليها سفيره موسيو دي روسني فقابلته ودار بينهما حديث مهم فانها تكلمت في أول الامر عن ملك سكوتلاندا وقالت له انه سيخلفها في الملك ويصير ملكا لبريطانيا العظمى كلها وهي أول من لقبه بهذا اللقب ثم أرسل اليها هنري الرابع سفارة أخرى فاحسنت ملتقاها وكان آخر اجتماعات المجلس العالي في أيامها في شهر تشرين أول (اكتوبر) سنة ١٦٠١ فقاوم الامتيازات الجائرة التي كانت قد منحتها قبلا مقاومة شديدة ولكن ادرأت أن مقاومتها له لا تجدي نفعا عدلت عن أمر يجد لا يلتبس فيه شرفها وفي أوائل سنة ١٦٠٣ ورد عليها تشكيات شتى فاعتلت لذلك صحتها الا ان سبب موتها هو أنه أصابها ارق في رئتها فتوفيت فيها ودفنت في ٢٨ نيسان هذا وان الحوادث التي جرت في عهدها هي من أهم الحوادث التي جرت في انكلترا والعصر اليصاباتي في التاريخ الانكليزي هو من أزهى الاعصر وأزهرها وفيه جملة لرجال السياسة والحرب والفلاسفة المكثيرون الذين نبغوا فيه من غيرهم من أهل الحذق والدراية مما فاق تاريخ العالم لم يتجاوزه عصر البتة والحوادث المهمة التي جرت في حياة اليصابات مقررة ثابتة لا تدافع فيها اثنان أما أوصافها فقد اختلف فيها المؤرخون وهذه ترجمة ما ذكره عنها فرود في آخر تاريخه قال ان مركزها من أول الامر كان متعبا جدا وتعلقها بالبيت المالك مشؤوما أو غير مرغوب جعلها تكره الزواج وما حل بها من اليأس زاد أطوارها غرابة ولم تحزب الاصلاح عن طيب خاطر بل ظروف زمانها حكمت عليها بذلك فاضطرتهم الى وقاية الاراتقة والعصاة مع أنه لم يكن لها صالح في مقاصدهم ولا كانت تؤمن بتعاليمهم وكانت تشعر بالضرورة بال خضوعها لها وما بدا منها من التردد نشأ عن جلها رغما عنها على سلوك طريق تكرهه المسير فيه وكانت حاذقة

جداً تدرك دقائق الامور الا أنها لم تكن تهتم كثيراً بالامور الخطيرة وكانت خالية عن الانفعالات النفسية التي تجعل للطبع البشري قوة وثباتاً غير أنه كان لها صفة أدبية سامية جداً وهي الشجاعة فاستمرت ثلاثين سنة عاكفة على قتل الناس ولم يلحق بعقلها من جراء ذلك خلل ولا هالها أمر القساوة وكانت تحتقر النعم والحلم في غير موضعهما وتحب البساطة في المعيشة وتقوم بأشغال صعبة وتسلك مسلك الاقتصاد في بيتها ومع أن غرورها لم يقف عند حد لم يجعل لها التملق البتة وكانت اذا سمعت غيرها يتكلم بالكذب لا تنفر منه ولذلك هان عليها ارتكاب الكذب وكانت كثيرة الدهاء والحيل لا تلوح عليها البساطة الا عندما تخاتل وتخادع وكانت اذا وعدت بشرفها تنسى ما وعدت به فضلا عن أنه لم يظهر من سيرتها البتة ما يدل على أنها تفهم معنى الشرف ولاغترارها بدرايتها وفهمها كانت لا تقوم بتغيرات يسندها اليها أولياؤها من دون أن تلحق ضرراً بالمملكة وبنفسها معاً ولم تعدل عن مقاومة أو مضادة الا بعد وقوعها في المشاكل وكانت حذاقتها وتبليغ المذكور وحذاقة ولسنفهام عما لا يكاد يكفي لتخليصهما منها والنتائج العظيمة التي حصلت عليها الممالك في أيامها لم تنشأ عن سياستها بل عن سياسة رجالها التي كان من رأيها أن تضعفها وتوهنها مع أن الامور كانت تقتضي عزماً وحزماً واجماعاً ولم تركب في ابرام الامور متن الثبت والعجلة وتنسب ذلك الى حكمتها الا انه طالما كانت له نتائج حميدة فرجحت بذلك وقتاً وأعقدتها كلها ما كان حل الامر ضيا مما يقدر عليه الوقت فقط وكانت تحب أن تتلك بالراحة الى حين وفاتها تاركة للاجيال التابعة حل ما يعرض فيها من المشاكل وكانت ترغب كل الرغبة في أن تشتهر بالحلم والرأفة التي عاملت بها المتأمرين هي من الامور الغريبة التي لم يبارها فيها أحد الى الآن وكان بينها وبين أبيها في هذا الباب بون عظيم فانه كان يعاقب رؤساء المتأمرين ويعفو عن أتباعهم أما اليصابات فقلما تمكنت من حمل نفسها على امضاء أمر بقتل بعض الاشراف على أنها كانت تستطيع أن تأمر بخنق فلاحي يوركشير عشرات بموجب النظام الحربي من دون أن يؤاخذها ضميرها في ذلك والحاصل أنها طالما كانت صارمة عند وجود الحلم وحليمة عند وجود الصرامة وسبب نجاحها سلامة العامة وانقسام أعدائها وضعفهم لا حكمتها وثبات عزمها

اليصابات ملكة اسبانيا

ولدت سنة ١٦٠٢ وتوفيت سنة ١٦٤٤ وهي ابنة هنري الرابع ملك فرنسا من زوجته ماريا روسيدي زفت الى فيليب بن ملك اسبانيا سنة ١٦١٥ وسنة ١٦٢١ جلس زوجها على تخت الملك وسمي فيليب الرابع فعهد زمام المملكة الى كونت أوليفارز وانهمك في اللذات والملاهي فحاولت اليصابات أن تنبهه من غفلته وتحمله على مقاومة سياسة وزيره التي كان من شأنها أن تفضي بالبلاد الى الخراب فخاب مسعاها وسنة ١٦٤٠ حدثت ثورة في قطلونيه وانفصلت البورتوغال عن اسبانيا وساعدت عساكر فرنسا العصاة فاستفزت الملكة أهالي قسطيلة للقتال وفي مدة بضعة أسابيع جمعت جيشاً مؤلفاً من خمسين ألف مقاتل ثم سارت الى القصر الذي كان يتنعم فيه الملك في بونرتيرو فاخذت ولدها من يده وقالت للملك سيدي ان هذا الغلام ولدنا الوحيد سيكون أفقر انسان في أوروبا ان لم تعزل حالاً الكونت الخائن وزيراً ساق اسبانيا الى الخراب فنفى أوليفارز ودبت الحماسة موقتاً في عروق فيليب أما اليصابات فقطعت كل علاقتها مع بيت أبيها لانهم أمسوا ألداء أعداء اسبانيا وقبضت على زمام المملكة بيدها وأخذ فيليب يحاول في مقدمة عساكره استرجاع ما خسره من بلاده فلم يصادف نجاحاً وأبدت اليصابات في ادارة مصالح البلاد حكمة وشجاعة ووطنية وفتت بين الاحزاب بانذاراتها وفصاحتها وباعت حليها وقللت مصاريف بيتها كثيراً مساعدة للخزينة حتى حسب الاسبانيول وفاتها مصيبة وطنية وحزنوا عليها حزناً شديداً

﴿اليصابات بتروفنا امبراطورة روسيا﴾

هي ابنة بطرس الكبير من زوجته كاترينا الاولى ولدت سنة ١٧٠٩ وتوفيت سنة ١٧٦٢ تولت الملك بعد وفاة أبيها بطرس الثاني بن الكسيس (سنة ١٧٢٧ أو ١٧٣٠) وابنة عمها حنة ايفانفنا بنت أكبر أولاد بطرس الكبير (سنة ١٧٣٠ أو ١٧٤٠) ولم تكن اليصابات تميل الى التملك بل كانت تقول ان لذة الحب أشهى شيء اليها الا أن حنة جعلت ايفان ابن أنطوني أولريك دوق برنسويك ولي عهدها تحت وصاية أمه حنة لانه كان ولدا لم يبلغ من العمر الا بضعة أشهر وأوصت أن تكون وكالة الملك مدة قصيرة في يد محبوبها بيرون فحرمت اليصابات الملك بذلك ثانية ولم تقف الامور عند هذا الحد بل أمست حرية اليصابات في خطر لان الحسد الذي ربى في عروق أم الغلام الذي جعل وليا للعهد حملها على أن تتبصر في التخلص من وكيل الملك ومن اليصابات نفسها فأشارت عليها أن تترهب الا أن لستوق جراحها ومحبها واطأ جماعة على رد كيد أعدائها في نحورهم وساعده على ذلك الحزب الروسي الوطني ودماتس سفير لويس الخامس عشر ملك فرنسا فأفضى الامر بالمتآمرين الى حمل السلاح والخروج على الحكومة فغلبوا حنة وايفان ونصبوا اليصابات أمبراطورة في شهر كانون الاول (دسمبر) سنة ١٧٤١ وجعلت حنة مع زوجها وكثيرين من حزبها في السجن وحبس ايفان في قلعة شلسلبرغ فلم يخرج منها فيما بعد وعهدت مصالح الدولة والبلاد الى جماعة من رجال اليصابات كانوا مثلها خالين عن الشهامة والدراية واستوت فيها محبة البطل والشهوات وبدا منها أحيانا ما دل على شدة قساوة وتوحش الا أنها كانت مرارا حليمة وكانت كريمة الاخلاق وقد رقت الى المناصب العالية رجالا وسيين من الافاضل وأهل السياسة وعينت بطرس ابن أختها حنة وشيس هلستين غتربب المتوفاة وليا للعهد وانتصرت في حرب جرت لها مع اسوج وانتهت بمعاهدة صلح انعقد في آبو سنة ١٧٤٣ ثم كشفت مؤامرة أقيمت عليها فألقت القبض على المتآمرين وقاصتهم قصاصا شديدا وأمدت مريا تريزا بجيش جرار بفردريك الكبير فساعدت بذلك على عقد معاهدة صلح في اكس لاشابل سنة ١٧٤٨ ثم حركها كل من شوفالوف وبستوزف ضد بروسيا وكان قد ساءها استهزاء وقع عليها من ملكها فحالفت النمسا وفرنسا عليه في الحرب المعروفة بحرب السنين السبعة وقامت عساكرها تحت امرة سولتيكوف وتوتلبن وأبراكسين وفرمور بأعمال جرت ويلات كثيرة على بروسيا فانتصروا في موقعتي غروس ياغرندرف وكورنسدرف كلتيهما واستولوا على كلبرغ وحلوا في نفس برلين ولما توفيت الامبراطورة تخلص فردريك من عدوة قوية وترجى أن يلقى مساعدة من خلفها بطرس الثالث أما الفساد الذي وقع في بلاطها فاستمر فيه الى وفاتها وكان رازوموفسكي في الاصل من الشرق الجهول الحسب والنسب فجعلته من بعض خدمها ثم جعلته نديمها ووجهت اليه رتبة فلدمارشال واتخذته لها بعلا في السر ويقال انه أب لثلاثة من أولادها ومن الاعمال الخطيرة التي تذكر بها اليصابات تأسيسها المدرسة الكائنة في موسكو واكاديمية الفنون المستطرفة في بطرسبرج وكانت تحب نشر الفنون المذكورة وجرى لها مع فولتير المشهور مراسلة مكنته بها من الحصول على المواد اللازمة لتاريخ أبيها

﴿اليصابات ملكة بوهيميا﴾

ولدت سنة ١٥٩٦ وتوفيت سنة ١٦٦٢ وهي ابنة جمس الاول ملك انكلترا كانت حسنة الصفات أديبة خطبها كثيرون فآثرت هي وأبوها فردريك الخامس المنتخب البلاتيني لانه كان على مذهب البروتستانت فعقد الزواج باحتفال عظيم سنة ١٦١٣ بلغت مصاريفه ٥٣ ألف ليرا وكان المهر ٤٠

ألف اسير انكليزية وكان زوجها رأس الحرب البروتستانتي في المانيا ولما عرض عليه عصاة بوهيميا سنة ١٦١٩ أن يملك عليهم ألحت عليه باجابتهم الى ذلك وقالت له ان كنت تخشى أن تصير ملكا فلماذا تزوجت ابنة ملك ثم دخلت براغ وجلست على تخت الملك بأبهة غير أن مدة ملكهما لم تطل لان الجنود الامبراطورية تقدمت الى أملاك فردريك الاصلية وأغارت على بوهيميا أيضا وبعد موقعة براغ سنة ١٦٢٠ اضطر الامر كلا من فردريك وزوجته الملكة الى الفرار فأمنهما عمه موريس دوناسو في هاغ وولدت هناك أكثر أولادها ومن جملتهم البرنس روبرت المشهور في تاريخ الحروب الاهلية الانكليزية وأما صغرى أولادها فصارت أميرة منتخبة (لهانوفر) وهي جدة البيت الملكي الانكليزي الحالي وولدت سنة ١٦٣٠ بعد ولادة شارل الثاني ابن أخيها ورجعت اليصابات الى انكلترا سنة ١٦٦٠ فأقامت نحو ستة أشهر في بيت اللورد كراڤن وتوفيت به بعد وفاة زوجها سنة ١٦٣٨ وكان بينهما مودة عظيمة وقد تغزل السير هنري ووتن بمحاسنها في بعض أشعاره

﴿اليصابات دو قالوا أو ايزابلا دو قالوا ملكة اسبانيا﴾

ولدت في فونتينبلو في ١٣ نيسان (افريل) سنة ١٥٤٥ وتوفيت في مدريد في ٣ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٥٦٨ وهي ابنة هنري الثاني ملك فرنسا من زوجته كاترينا دومديشي خطبت بموجب معاهدة عقدت في انجلس سنة ١٥٥١ لادورد السادس ملك انكلترا الا أن ادورد المذكور توفي قبل قيام عقد الزواج ثم خطبت بموجب مقدمات معاهدة الصلح التي أبرمت في كاتو كمبريسيس للدون كارلوس بن ملك اسبانيا وفي ٣ نيسان (افريل) سنة ١٥٥٩ قررت المعاهدة ولكن اذ كانت زوجة فيليب الثاني والد الدون كارلوس قد توفيت اتخذها زوجة له عوض ابنه وسنة ١٥٦٠ أقيم في توليدو باحتفال عظيم للعرس

﴿اليونورا غويانه﴾

هي ابنة وليم العاشر آخر دوقات اكويتانيا ووارثته ولدت سنة ١١٢٢ وفي سنة ١٥ من عمرها تزوجت لويس الثامن ملك فرنسا فجعلت دوقية غويانه وغسكونيا وسنتونج وبواتو وبيارن مهرا لها الا أن طيشها وميلها الى الخلاعة والملاهي ساء لويس زوجها واشتد الخلاف بينهما في أثناء الحرب الثانية الصليبية وكانت قد صحبته فيها سنة ١١٤٧ فاستأذن مجمع بوجنسي في طلاقها فسمح له بذلك فطلقها سنة ١١٥٢ وبعد ذلك ... أسابيع تزوجت هنري بلانتاجنت كونت انجو ودوق نورمنديا الذي صار بعد ذلك ملكا لانكلترا وسمي هنري الثاني سنة ١١٥٤ فانتقلت بذلك ولايات اكويتانيا الى انكلترا الا أن زواجها هذا لم يكن خيرا من الاول لان نساء البلاط الملكي حسدنها كثيرا وقتلت روزمند احداهن وألقت الرعب في قلوب أهل البيت الملكي وحركت البنين على آبائهم فلما ... هنري بأعمالها فسجنها في دير سنة ١١٧٣ فلم تخرج من سجنها الا عندما جلس ابنها رتشرد الملقب بقلب الاسد على تخت الملك وذلك سنة ١١٨٩ وعهدت اليها ادارة المملكة مدة غياب رتشرد المذكور في الحرب الثالثة الصليبية وبعد رجوعه الى انكلترا بمدة وجيزة دخلت دير فونتفرو وبقيت فيه الى أن ماتت سنة ١٢٠٣

﴿اليونورا دي غوزمان﴾

امرأة اسبانيولية كانت تعتبر في زمانها أجمل نساء اسبانيا عشقها الفونس الحادي عشر ملك قسطيلة الملقب بالمنتقم واستعرت في قلبه نيران الغرام فغاب عن الهدى وافتضح فيها افتضاح العاشقين وخلع

العذار وتصامم عن كلام العاذلين وكان يعاملها معاملة زوجة فلا يستحي في هواها ولا يخشى لوم لائم ولولا أسباب سياسية مهمة جداً لطلق زوجته البرتوغالية واتخذها له زوجة بدلا منها غير أن الينوره لم تكن دون الملكة الا في اللقب فقط واستمرت ٢٠ سنة مالكة قلب الفونس وولد له منها توأمان أحدهما هنري روترنستامار الذي جلس على تخت الملك والآخر فردريك رئيس كافلير به ماريوحنا ولما توفي الملك سنة ١٣٥٠ أرادت الملكة أن تنتقم من عشيقته فألقت عليها القبض في اشبيلية سنة ١٣٥١ ولم يتمكن ولداها من انقاذها مع أنهما بذلا في ذلك السبيل ما في وسعهما فقتلت خنقا في قصر الملكة على مرأى منها ومن والدها بطرس الملقب بالعاس

﴿ الينورا زوجة دون جوان دوا كنيا ﴾

كانت بديعة الجمال وكان زوجها غنيا الا أنه كان دونها في الشرف وأكبر منها سنا سار بها الى بلاط ليسبون ولما رآها فردينند والاول أسره حسنها ودلالها وحرمه حبها لذيذ المنام فأخذ يلاطفها ويغازلها ويؤانسها وطلب اليها أن تكون له عشيقة فأبت فحمل زوجها على أن يطلقها واتخذها له زوجة بعد أن فسخ ما كان بينه وبين بنت الملك قسطيلة من العلائق فنشأ عن ذلك ثورة في ليسبون ولكنها أخمدت في الحال وجعلت الينور املكة سنة ١٣٧١ وكانت على جانب عظيم من الكبرياء والطمع فوجهت الى ذوي قرابتها أسمى المناصب وخشيت أن يقع بينها وبين أختها زوجة الانفنت دون جوان منازعة على تخت الملك فحملت دون جوان المذكور على قتلها وقتلت أيضا باقي أعدائها وغمرت المقربين لها بالعطايا والاموال ثم جعلت الدون جوان اندير ومن أعيان قسطيلة رئيس الوزارة ووجهت اليه لقب كونت أورين وذلك لانها كانت تحبه أكثر من زوجها وجعلها فردنند وقبل وفاته وكيلة للملك فأشركت حبيبها المذكور في ادارة المملكة الا أن الوقت لم يصف لهما لان الدون جوان أراد أن ينزع الوكالة من يدها فدخل قصرها وقتل أنديروفي حضنها سنة ١٣٨٣ وتفاقم غيظ الشعب من سلوكها فخافت على نفسها وخرجت من ليسبون ولم تزل سائرة الى أن وصلت الى شنترين فاستدعت صهرها فرديننند وملك قسطيليه وتخلت له عن الملك وكانت تؤمل أن يأخذ بثارها من سكان ليسبون فانها كانت تمقتهم جدا الا أنه هو أيضا خشي عواقب خبثها وطمعها فحبسها في دير تورديزيلاس قرب بلادالوليد فتوفيت فيه سنة ١٤٠٥ بعد أن مزق الحزن فؤادها

﴿ امستريس زوجة دارا ملك فارس ﴾

اشتهرت بشدة انتقامها من امرأة شقيق زوجها اردانيت وكان زوجها قد عشقها وكان من عادة ملوك فارس أن يجودوا ويجابوا سؤالهم في بعض الاحتفالات أي شيء طلبته فانتهزت امستريس تلك الفرصة وطلبت ان تدفع اليها اردانيت فأجابها الى ذلك فقطعت أنفها وأذنيها وحاجبيها ولسانها وثدييها وطرحت شلوها للكلاب فضرمت الغيظ في قلب زوجها ماسستس وعزم على أن يأخذ بثارها فلم تمهله امستريس بل أنقذت اليه من قتله ولكي تؤدي للآلهة شكرها على ما أولتها من نجاح مقاصدها الفظيعة قربت لها ١٤ شابا من أشراف فارس أمرت باحراقهم أحياء * انظر الى هذه العظمة والكبرياء التي كانت أول خراب ملك دارا حتى صار كما أرانا التاريخ

﴿ امستريس ابنة أخي داريوس ﴾

وامرأة ديونيسيوس طاغية هرقلية البنطش يظن انها أسست مدينة امستريس المسماة الآن امصري

أو حسنتها ويقال انها ابنة الملك داريوس لا ابنة أخيه كانت ذات جمال فائق وعقل رائق حتى سلبت عقول اليونان بحسن سياستها وتدبير أعمالها حالة كونها ابنة ألد أعدائهم وتوفيت وهم راضون عنها حتى ان بعضهم كان يمثلها مثل المعبودات

﴿اليصابات كارمن سيلفا ملكة رومانيا﴾

هو الاسم الذي اتخذته لنفسها وأصل اسمها اليصابات أوتيلي لويز رونويد ولدت هذه الملكة في ٢٩ خلت من دسمبر سنة ١٨٤٣ ببلدة موتربو بقرب نويد اقترن بها في الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٩ البرنس شارل دي هوهنزلرن الذي ألقيت اليه مقاليد الحكم برومانيا فتبدل وجعل هذه الامارة من عداد الممالك المشهورة وذلك بعد حرب الترك والروس سنة ١٨٧٧ وقد رزقه الله في بادئ الامر بنت بسحر جمالها الالباب وتأخذ بباهتها وذكائها بالقلوب ولكن لم يكن لها من طول الحياة نصيب حيث قصمت المنية عود شبابها وقد سببت موتها لوالدتها من الآلام المرة ما لا يمكن الفهم وصفه ومحا من مخيلتها ما هي فيه من العز والجاه واختاروا لها الحق في أن تقدم نفسها ضحية على مذبح الهموم والاكدار لان بنتها وقطعة كبدها حلت من الادب والعلم الى درجة قل أن يدرك شأوها من كان أكبر منها سنا من الذكور والاناث وكان للملكة ميل غريزي للشعر كامن فيها فلما توفيت بنتها برز هذا الميل وقالت من الشعر الرقيق واللفظ الرشيق حتى انها حازت بين قومها شهرة لم يسبقها اليها من انتهى اليه علم الشعر وكانت لها المشاركة الكلية في علم الادب والوقوف التام على كلام الفصحاء وأما خصالها الحميدة وأفعالها المحمودة فحدث ولا حرج فانها هي التي استحوذت على قلوب قومها واستولت على عقول عشيرتها بما لها من لين الجانب ودماثة الاخلاق والشفقة على المساكين من الرعايا والاحسان اليهم ومما يساعدنا على ذلك انها لما كان زوجها يحارب تحت أسوار مدينة بلفنا بشجاعته المشهورة وشهامته التي لا تنكر كانت هي من جهة أخرى تواسي من أصيب بالجرح من العساكر وتسليه بالالفاظ التي لو كان به هما كان نام على قدم الصحة وشاركهم في طريق العافية والشفاء ولما عمل عقد السلم وانقشعت سحب الحرب عادت الى مقر وحدتها ومركز عزلتها وهو قصر السماية لتسلم نفسها في مخالب الحزن والهم على بنتها وتقطع حبل الوقت بمواصلة الليل بالنهار في المطالعة

والى هاته السيدة الآن نهضة أهل رومانيا في العلوم الادبية لاسيما في الشعر منها وطالما شددت أزر الشاعر المشهور اسكندر باشيلي الذي هو الآن معتمد رومانيا في باريس ومدت اليه يد المساعدة في الاعمال الفكرية والمؤازرة الشعرية ومؤلفات الملكة عديدة كثيرة التباين والاختلاف فمنها ما هو نثر ومنها ما هو شعر وقد اشتهرت مثلها في البلاد الفرنساوية فأخذ علماء عدة البارز في ترجمة مؤلفاتها النفيسة فقد ترجم الكاتب الشهير لويز أولباك كتابا لها عنوانه (خطرات أفكار ملكة) وترجم الكاتب سال مؤلفاتها الشعرية والحوادثية وممن تصدى الى كتابة تاريخ حياة هذه الملكة باللغة النمساوية جناب البارون هكلارج وقد طبع تاريخ حياتها بعدة مرات وكانت الطبعة الخامسة بمدينة هردلبرق سنة ١٨٨٩ وجناب الموسيو ميت كرمنتز طبعه بمدينة برسلونة ١٨٨٢ ومتصل ترجمة حياتها أيضا بقلم الموسيو سرجي طبع في باريس سنة ١٨٩٠ ولم تشتهر ترجمة ملكة مثل ترجمة هذه الملكة

﴿أم السعد ابنة عصام الحميري﴾

وتعرف بسعدونة من أهل قرطبة روت عن أبيها وجدها وغيرهما وأنشدت لنفسها في تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها هذا البيت

سألتم القمّال ان لم أجـــد * الثم نعل المصطفى من سبيل

وهي قولها

لعـــلي أن أحظى بتقبيله * في جنة الفردوس أسنى مقيل

في ظـل طوبى ساكنا آمنا * أسقى بأكواب من السلسبيل

وأمسح القلب به عــــله * يسكن ما جاش به من غليـل

فطالما استشفى باطـلال من * يهواه أهل الحب في كل جيل

أم العلاء بنت يوسف الحجاريه

كانت شاعـرة لبيبة فصيحة أديبة ذات حسن وجمال وأدب وكمال لها قصائد طنانة وموشحات رنانة ذكرها صاحب المغرب وقال انها من أهل المائة الخامسة فمن شعرها قولها

كل ما يصـدر منكم حسن * وبعلياكم تحـــلى الزمـن

تعطف العين على منظركم * وبذكـراكم تلـذ الاذن

من يعش دونكم في عمره * فهو في نيـــل الاماني يغبن

وعشقها رجل أشيب فكتبت اليه

الشيب لا يخدع فيـه الصبا * بحيـــلة فاسمـع الى نصحي

فلا تكن أجهل من في الورى * يبيت في الجهل كما يضحي

ولها أيضا

افهم مطارح أحوالي وما حكمت * به الشواهـد واعذرني ولا تلم

ولا تكلني الى عــذر أبينه * شر المعاذير ما يحتاج للكلم

وكل ما جئته مـن زلة فبما * أصبحت في ثقة من ذلك الكرم

وتوفيت في بلدها وادي الحجارة بالاندلس

أم الكرام

هي ابنة المعتصم بن صمادح ملك المرية كانت تنظم الشعر وتقول العروض ولها الباع الطويل بالموشحات الاندلسية وقد افتخرت بها أبناء العرب وكانت عشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه

يا معشر الناس ألا فاعجبوا * مما جنته لوعة الحب

لولاه لم ينزل ببدر الدجى * من أفقه العلوي للترب

حسبي بمن أهواه لو أنه * فارقني تابعـــه قلبي

أم الهناء ابنة القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية

سمعت من أبيها وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولها تأليف في القبور ولي أبوها القضاء في المرية دخل داره مرة وعيناه تذرفان وجدا لمفارقة وطنه فأنشدته تمثلا

يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين في فرح وفي أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات وهي

جاء الكتاب من الحبيب بانه * سيزورني فاستعبرت أجفاني

غلب السرور علي حتى انه * من عظم ما قد سرني أبكاني

وبعده البيت السابق وبعد هذا البيت الآتي

فاستقبلي بالبشر يوم لقائه * ودعي الدموع لليلة الهجران

﴿أم بسطام بن قيس النصراني سيد بني شيبان﴾

كانت من نساء العرب المتقدمات في الادب ذات شعر رائق ومعنى فائق فمن قولها ترثي ولدها بسطام حين قتل يوم الشقيقة قتله بنو ضبة

ليبك ابن ذي الجدين بكر بن وائل * فقد بان منها زينها وجمالها

اذا ما غدا فيها أغدون كأنهم * نجوم سماء بينهن هلالها

فلله عينا من رأى مثله فتى * اذا الخيل يوم الروع هب نزالها

عزيز مكر لا يهد جناحه * وليث اذا الفتيان زلت نعالها

وحمال أثقال وعائذ محجر * تحل لديه كل ذاك رحالها

سيبكيك عان لم يجد من يفكه * ويبكيك فرسان الوغى ورجالها

وتبكيك أسرى طالما قد فككتهم * وأرملة ضاعت وضاع عيالها

مفرج حومات الخطوب ومدرك الـحروب اذا صالت وعز صيالها

تغشى بها حينا كذاك ففجعت * تميم بها أرماحها ونبالها

فقد ظفرت منا تميم بعثرة * وتلك لعمري عثرة لا تقالها

أصيبت به شيبان والحي يشكر * وطير ترى ارسالها وحبالها

﴿أم حكيم ابنة عبد المطلب الهاشمية الملقبة بالبيضاء﴾

كانت من النساء الحكيمات العاقلات في بني هاشم جمعت مع الحكمة وفرة الادب ومع البلاغة فصاحة العرب كانت مع أخواتها رثت أباها في حياته كطلبه بهذه الابيات

ألا يا عين جودي واستهلي * وبكي ذا الندى والمكرمات

ألا يا عين ويحك أسعديني * بدمع من دموع هاطلات

وبكي خير من ركب المطايا * أباك الخير تيار الفرات

طويل الباع شيبة ذا المعالي * كريم الخيم محمود الهبات

وصولا للقرابة هبرزيا * وغيثا في السنين الممحلات

وليثا حين تشتجر العوالي * تروق له عيون الناظرات

عقيل بني كنانة والمرجى * اذا ما الدهر أقبل بالهنات

ومفزعها اذا ما هاج هيج * بداهية خصيم المعضلات

فبكيه ولا تسمي بحزن * وبكي ما بقيت الباكيات

﴿أم حكيم ابنة قارظ﴾

هي حليلة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كانت من فصحاء نساء العرب واحسنهن أدبا وجمالا وأثبتهن جنانا وكانت تقول الشعر وأكثر أشعارها رثاء على ولديها وكانا صغيرين اسم أحدهما عبد الرحمن والآخر

ثم لما فاز معاوية بعد تحكيم الحكمين بعث بالضحاك بن قيس وبسر بن أرطاة بجيش وأمرهما أن يقتلا كل من كان من شيعة علي بن أبي طالب حتى الأطفال والحرم فذهب بسر إلى اليمن وكان عبيد الله ابن العباس عاملا هناك فلما سمع به أغار على بيته فعثر بولديه المذكورين فذبحهما بشفرة كانت معه فجزعت أمهما عليهما جزعا شديدا أدى إلى ذهاب عقلها بعض الزمن فصارت لا تعقل ولا تعي ولا تصغي إلى قول داع ولا تقبل على نصح بل علقت تطوف الأحياء وتقصد المنتديات في المواسم وحيثما رأت جمعا رفعت صوتا يقطعه البكاء وتنشد مراثي يرق لها الجلمود ومن مراثيها قولها

يا من أحس بابني اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بابني اللذين هما * سمعي وقلبي فقلبي اليوم مزدهف
يا من أحس بابني اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مختطف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة * مشحوذة وكذاك الإثم يقترف
حتى لقيت رجالا من أرومته * شم الأنوف لهم في قومهم شرف
فالآن ألعن بسرا حق لعنته * هذا لعمر أبي بسر هو السرف
من دل والهة حرى مولهة * على صبيين ضلا إذ غدا السلف

فكان كل من يسمعها تنفجر منابع عينيه حزنا عليها وتتفطر مرارته فقد سمع مراثيها رجل يماني ذو نفس أبية ونخوة جاهلية فذهب إلى بسر وتلطف بالتزلف إليه حتى وثق به فخرج يوما بولديه إلى وادي أوطاس وقتلهما ثم فر وأنشد

يا بسر بسر بني أرطاة ما طلعت * شمس النهار ولا غابت على الناس
خير من الهاشميين اللذين هما * عين الهدى وسمام الأسوق القاسي
ماذا أردت إلى طفلي مولهة * تبكي وتنشد من أثكلت في الناس
أما قتلتهما ظلما فقد شرقت * من صاحبيك قناتي يوم أوطاس
فاشرب بكأسهما ثكلا كما شربت * أم الصبيين أو ذاق ابن عباس

ومن قولها أيضا

ألا يا من بني الأخويـ * ـن أمهما هي الثكلى
تسائل من رأى ابنيها * وتستسقي فما تسقى
فلما استيأست رجعت * بعبرة واله حرى
تتابع بين ولولة * وبين مدامع تترى

وقيل إنه لما بلغ علي بن أبي طالب قتل بسر ابنيه جزع لذلك جزعا شديدا ودعا على بسر بقوله اللهم اسلبه دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله فأصابه ذلك وفقد عقله وصار يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه حتى يسأم وقيل دخل عبيد الله بن العباس على معاوية بن أبي سفيان وعنده بسر بن أرطاة فقال له عبيد الله أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ قال نعم أنا قاتلهما فقال عبيد الله لوددت أن الأرض كانت أنبتتني عندك فقال فقد أنبتتك الآن عندي فقام فقال عبيد الله ألا سيف فقال له بسر هاك سيفي فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر أخزاك الله شيخا قد كبرت وذهب عقلك وذاك رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنيه تدفع إليه سيفك إنك لغافل عن قلوب بني هاشم والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك قال عبيد الله أجل والله وكنت أثني به

﴿ أم خالد النميرية ﴾

كانت من نساء العرب المشهورات بالعقل والذكاء والتدبير في قبيلتها بني نمير وهي مشهورة بأم خالد وشهرتها غلبت اسمها ولذلك لم تأت الرواة عليه ولها أبيات في ولدها خالد وكان توفي في بعض الغزوات ودفن في الغربة وهي

اذا ما أتتنا الريح من نحو أرضه * أتتنا بريّاه فطاب هبوبها
أتتنا بمسك خالط المسك عنبر * وريح خزامى باكرتها جنوبها
أحنّ لذكراه اذا ما ذكرته * وتنهل عبرات تفيض غروبها
حنين أسير نازح شدّ قيده * واعوال نفس غاب عنها حبيبها

وقالت وهو يروى لأم الضحاك المحاربية

وكيف يساوى خالد أو شكله * خميص من التقوى بطين من الخمر

﴿ أم الخير ابنة الحريش بن سراقة البارقية ﴾

كانت من المتكلمات الخطيبات البليغات من نساء العرب وفدت على معاوية كما قال عبد الله بن عمر الغساني عن الشعبي ان معاوية كتب الى واليه بالكوفة أن يحمل اليه أم الخير ابنة الحريش ورحلها وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا وبالشر شرا بقولها فيه فلما ورد عليه كتابه ركب اليها فأقرأها كتابه فقالت أما أنا فغير زائغة عن طاعته ولا معتلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها يا أم الخير ان أمير المؤمنين كتب الي أنه مجازيني بالخير خيرا وبالشر شرا فما عندك قالت يا هذا لا يطمعك برك بي أن أسرك بباطل ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية فأنزلها مع الحرم ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال لها وعليك السلام يا أم الخير بحق ما دعوتني بهذا الاسم قالت يا أمير المؤمنين لكل أجل كتاب قال صدقت فكيف حالك يا خالة وكيف كنت في مسيرك قالت لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى سرت اليك فأنا في مجلس أنيق عند ملك رفيق قال معاوية بحسن نيتي ظفرت بكم قالت يا أمير المؤمنين يعيذك الله من دحض المقال وما تردي عاقبته قال ليس هذا أردنا أخبرينا كيف كان كلامك اذ قتل عمار بن ياسر قالت لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد وانما كانت كلمات نفثها اللسان عند الصدمة فان أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت فالتفت معاوية الى جلسائه فقال أيكم يحفظ كلامها فقال رجل منهم أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين قال هات قال كأني بها بين بردين زئبريين كثيفي النسيج وهي على جمل أرمك وبيدها سوط منتشر الضفيرة وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ان الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبيل ورفع العلم ولم يدعكم في عمياء مدلهمة فأين تريدون رحمكم الله أفرارا عن أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف أم رغبة عن الاسلام أم ارتدادا عن الحق أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يا رب أزمة القلوب فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق الى أهله هلموا رحمكم الله الى الامام العادل والرضي التقي والصديق الأكبر انها احن بدرية وأحقاد جاهلية وثب بها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس ثم قالت فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان

انهم لعلهم ينتهون صبرا يا معاشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة لا تدرى أين يسلك بها من فجاج الارض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وعما قليل ليصبحن نادمين حين تحل بهم الندامة فيطلبون الاقالة ولات حين مناص انه من ضل والله عن الحق وقع فى الباطل ألا ان أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها واستطابوا الآخرة فسعوا لها فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق وتعطل الحدود وتقوى كلمة الشيطان فالى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وأبى سبطيه خلق من طينته وتفرع من نبعته وجعله باب دينه وأبان ببغضه المنافقين وها هو ذا مفلق الهام ومكسر الاصنام صلى والناس مشركون وأطاع والناس كارهون فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزيه وأفنى أهل أحد وهزم الاحزاب وقتل الله به أهل خيبر وفرق به جمع أهوائهم فيا لها من وقائع زرعت فى القلوب نفاقا وردة وشقاقا وزادت المؤمنين ايمانا قد اجتهدت فى القول وبالغت فى النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله فقال معاوية يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام الا قتلى ولو قتلتك ما حرجت فى ذلك قالت والله ما يسوءنى أن يجرى قتلى على يد من يسعدنى الله بشقائه قال هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين فى عثمان بن عفان رحمه الله قالت وما عسيت أن أقول فى عثمان استخلفه الناس وهم به راضون وقتلوه وهم له كارهون قال معاوية يا أم الخير هذا أصلك الذى تبنين قالت لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا ولكن كان سابقا الى الخير وانه لرفيع الدرجة غدا قال وما تقولين فى الزبير قالت وما أقول فى ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأنا أسألك بحق الله يا معاوية فان قريشا تحدثت أنك أحلمها أن تعافينى من هذه المسائل وتسألنى عما شئت من غيرها قال نعم ونعمة عين قد عفيتك منها ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة الى الكوفة وبقيت فى عز الى أن توفاها الله

﴿أم سلمة زوجة السفاح﴾

هى ابنة يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومى وكانت ذات أدب وجمال ومال تزوج بها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها ثم كانت عند هشام فهلك عنها وسبب زواجها بالسفاح هو أنها بينما كانت ذات يوم جالسة فى منزلها اذ مر بها أبو العباس السفاح وكان جميلا وسيما فسألت عنه فنسب لها فارسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها وقالت لها قولى له هذه سبعمائة دينار أوجه بها اليك وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم فأتته المولاة فعرضت عليه ذلك فقال أنا مملق لا مال عندى فدفعت اليه المال فانعم لها وأقبل الى أخيها فسأله التزويج بها فزوجها اياه فاصدقها خمسمائة دينار وأهدى لها مائة دينار ودخل عليها من ليلته واذا هى على منصة فصعد عليها فاذا كل عضو منها مكلل بالجوهر فلم يصل اليها فدعت بعض الجوارى فنزلت وغيرت لبسها ولبست ثيابا مصبغة وفرشت له فرشا على الارض دون ذلك فلم يصل اليها فقالت لا يغرنك هذا كذلك كان غيرك يصيبه مثل ما أصابك فلم تزل به حتى وصل اليها من ليلته وحظيت عنده وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى فولدت له محمدا وريطة وغلبت على أمره غلبة شديدة حتى انه كان لا يقطع أمرا الا بمشورتها حتى آلت الخلافة اليه فلم يكن يدنو من غيرها لا حرة ولا أمة ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها فبينما كان ذات يوم فى خلافته اذ خلا به خالد بن صفوان فقال يا أمير المؤمنين انى فكرت فى أمرك وسعة ملكك وقد ملكت نفسك امرأة واحدة فان مرضت مرضت وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ واستطراف الجوارى ومعرفة أخبارهن والتمتع بما تشتهى

منهن فان منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء والغضة البيضاء والعقيقة الادماء والدقيقة السمراء والبربرية العجزاء من مولدات المدينة تفتن بمحادثتهن وتلذ بخلوتهن وأين أمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ما عندهن وحسن الحديث منهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء والسمراء اللعساء والصفراء العجزاء والمولدات من البصريات والكوفيات ذات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المطرفة والعيون المكحلة والثدي المحققة وحسن زيهن وزينتهن وشكلهن لرأيت شيأ حسنا وجعل خالد يجيد في الوصف ويجد في الاطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه فلما فرغ كلامه قال له أبو العباس ويحك يا خالد ما صك مسامعي والله قط كلام أحسن مما سمعته منك فأعد علي كلامك فقد وقع مني فأعاد عليه خالد أحسن من الاول ثم انصرف وبقي أبو العباس متفكرا فيما سمع منه فدخلت عليه أم سلمة امرأته فلما رأته متفكرا مغموما قالت اني لانكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك خبر فارتعت منه قال لم يكن من ذلك شيء قالت فما قصتك فأخبرني عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت فما قلت لابن الفاعلة قال لها سبحان الله ينصحني وتشتميه فخرجت من عنده مغضبة وأرسلت الى خالد عشرة من الخدم ومعهم العصي وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضوا صحيحا قال خالد فانصرفت الى منزلي وأنا في غاية السرور بما رأيت من أمير المؤمنين واعجابه بما ألقيت اليه ولم أشك أن صلته ستأتيني فلم ألبث حتى صار أولئك الخدم وأنا قاعد على باب داري فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة والصلة حتى وقفوا علي فسألوا عني فقلت ها أنا ذا خالد فبادر الي أحدهم بهراوة كانت معه فلما أهوى بها الي وثبت فدخلت منزلي وأغلقت الباب علي واستترت ومكثت أياما على تلك الحال لا أخرج من منزلي ووقع في خلدي أني أوتيت من قبل أم سلمة وطلبني أبو العباس طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم قد هجموا علي وقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت فركبت وليس علي لحم ولا دم فلما وصلت اليه أومأ الي بالجلوس ونظرت فاذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أرخيت وحركة خلفها فقال يا خالد لم أرك منذ ثلاث قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين فقال ويحك انك وصفت لي في آخر دخلة من أمر النساء والجواري ما لم يخرق سمعي قط كلام أحسن منه فأعده علي قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر وان أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة الا كان في جهد فقال ويحك لم يكن هذا في الحديث قلت بلى والله يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأثافي قدر يغلي عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت منك هذا في حديثك الاول قال وأخبرتك أن الاربعة من النساء شر صرف يجمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويسقمنه قال ويلك والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت قال خالد بلى والله قال ويلك أتكذبني قال أو تريد أن تقتلني قال مر في حديثك قال وأخبرتك أن أبكار الجواري رجال ولكن لا خصي لهن قال خالد فسمعت الضحك من وراء الستر قلت نعم وأخبرتك أيضا ان بني مخزوم ريحانة قريش وأنت عندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء قال خالد فقيل لي من وراء الستر صدقت والله يا عماه بهذا حدثت أمير المؤمنين ولكنه بدل وغير ونطق عما في نفسه عن لسانك فقال له أبو العباس ما لك قاتلك الله وأخزاك وفعل بك وفعل قال فتركته وخرجت وهو يشتم وقد أيقنت بالحياة فلما وصلت منزلي أخذت راحتي وصرت أفكر فيما حصل فما أشعر الا ورسل أم سلمة قد صاروا الي ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام فأخذتها وانصرفوا وبقيت أم سلمة عند السفاح الى أن توفاه الله وهي مالكة قلبه

﴿ أم سنان ابنة خيثمة ﴾

كانت من شاعرات العرب الموصوفات بالأدب اللائى لهن اليد الطولى بالنظم والنثر مع رقة المعنى ودقة المبنى والحماسة الزائدة التى تقصر عنها حماسة الرجال وناهيك ما قالته فى مدح آل البيت وتحريض آل مذحج على نصرتهم وقد وفدت على معاوية كما قال سعيد بن أبى حذافة قال ان مروان بن الحكم وهو والى المدينة حبس غلاما ليثيا فى جناية جناها فأتته جدة الغلام وهى أم سنان ابنة خيثمة المذحجية فكلمته فى الغلام فأغلظ لها مروان فخرجت الى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال لها مرحبا يا ابنة خيثمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتميننا وتحضين علينا عدونا قالت ان لبنى عبد مناف أخلاقا طاهرة وأحلاما وافرة لا يجهلون بعد علم ولا يسفهون بعد حلم ولا ينتقمون بعد عفو وان أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنت قال صدقت نحن كذلك فكيف قولك

عذب الرقاد فمقلتى لا ترقد * والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا * ان العدو لآل أحمد يقصد
هذا علىّ كالهلال تحفه * وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد * ان يهدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذ شهر الحروب مظفرا * والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو أن تكون لنا خلفا فقال رجل من جلسائه كيف يا أمير المؤمنين وهى القائلة

اما هلكت أبا الحسين فلم تزل * بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك سلام ربك ما دعت * فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفا كما * أوصى اليك بنا فكنت وصيا

قالت يا أمير المؤمنين لسان صدق وقول حق ولئن تحقق فيك ما ظننا فحظك الأوفر والله ما أورثك الشنآن فى قلوب المسلمين الا هؤلاء فأدحض مقالتهم وأبعد منزلتهم فانك ان فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا قال وانك لتقولين ذلك قالت سبحان الله والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتذر اليه بكذب وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا كان والله علىّ أحب الينا منك وأنت أحب الينا من غيرك قال فمن قالت من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص قال وبما استحققت ذلك عندك قالت بسعة حلمك وكريم عفوك قال فانهما يطمعان فى ذلك قالت هما والله من الرأى على مثل ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله قال والله لقد قاربت فما حاجتك قالت يا أمير المؤمنين ان مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة يتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين حبس ابن ابنى فأتيته فقال كيت وكيت فألقمته أخشن من الحجر وألعقته أمر من الصبر ثم رجعت الى نفسى باللائمة وقلت لم لا أصرف ذلك الى من هو أولى بالعفو منه فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون فى أمرى ناظرا وعليه معديا قال صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته اكتبوا لها باطلاقه قالت يا أمير المؤمنين وأنى لى بالرجعة وقد نفد زادى وكلت راحلتى فأمر لها براحلة وخمسة آلاف درهم وانصرفت الى قومها

﴿ أم عقبة زوجة غسان بن جهضم ﴾

كانت ابنة عمه وكان مفتونا بها لانها كانت من أجمل النساء وأحسنهن وأفضلهن خصالا ولما حضرته

الوفاة

الوفاة جعل ينظر إليها ويبكي ثم قال لها إني منشدك أبياتا أسألك فيها عما تصنعين بعدي وأعزم عليك أن تصدقيني فقالت قل فوالله لا أكذبك فأنشد

أخبري بالذي تريدين بعدي * ما الذي تضمرين يا أم عقبه
تحفظيني من بعد موتي لما قد * كان مني من حسن خلق وصحبه
أم تريدين ذا جمال ومال * وأنا في التراب رهن سجن وغربه

فأجابته

قد سمعنا الذي تقول وما قد * خفته يا خليل من أم عقبه
سوف أبكيك ما حييت بشجو * ومراث أقولها وبندبه

فقال

أنا والله واثق بك لكن * ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت الأزواج يا خير من عو * شر فارعي حقي بحسن وفاء
انني قد رجوت أن تحفظي العهـ * ـد فكوني ان مت عند رجائي

فلما مات وافد عليها الخطاب فقالت

سأحفظ غسانا على بعد داره * وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشر
واني لفي شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلي من الناس يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة * تجري على الخدين مني فتكثر

فلما طالت الايام وكثر الحاح الناس أجابت الخاطب فلما كانت الليلة التي زفت فيها جاءها غسان في النوم فأنشد

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة * ولم تعرفي حقا ولم تحفظي عهدا
ولم تصبري حولا حفاظا لصاحب * حلفت له يوما ولم تنجزي وعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها فقالت النساء لها ما دهاك قالت ما ترك غسان لي في الحياة أربا ولا في السرور رغبة أتاني في المنام وأنشدني هذه الابيات ثم جعلت ترددها وتبكي فشاغلنها بالحديث فلما غفلن عنها أخذت شفرة فذبحت نفسها ووفت لزوجها

﴿ أم عمران ابنة وقدان ﴾

كانت من النساء المخمسات في الجاهلية وكلامها يغلب عليه الهجاء بين العرب قيل انه لما قتل بعض رجال قومها قالت تحرضهم على أخذ ثاره وتوبخهم على تغافلهم عنه

ان أنتم لم تطلبوا بأخيكم * فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق
وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا * نقب النساء فبئس رهط المرهق
ألهاكم أن تطلبوا بأخيكم * أكل الخزير ولعق أجرد أمحق

﴿ أم قيس الضبية ﴾

لها في ابن سعد زوجها مراث روى منها صاحب الحماسة قولها

من للخصوم اذا جد الضجاج بهم * بعد ابن سعد ومن للضمر القود
ومشهد قد كفيت الغائبين به * في مجمع من نواصي الناس مشهود

فرجته بلسان غير ملتبس * عند الحفاظ وقلب غير مزؤود
اذا القناة امرئ أزرى بها الخور * هز ابن سعد قناة صلبة العود

﴿ أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب ﴾

أمها فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت قبل وفاة النبي خطبها عمر بن الخطاب الى أبيها علي فقال انها صغيرة فقال عمر زوجنيها يا أبا الحسن فاني أرصد من كرامتها ما لم يرصده أحد فقال له علي أنا أبعثها اليك فان رضيتها فقد زوجتكها فبعثها اليه ببرده فقال لها قولي له هذا البرد الذي قلت لك عليه فقالت ذلك لعمر فقال لها قولي له قد رضيت رضي الله عنك ووضع يده عليها فقالت له أتفعل هذا لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم جاءت أباها فأخبرته وقالت له بعثتني الى شيخ سوء قال يا بنية انه زوجك فجاء عمر فجلس الى المهاجرين في الروضة وكان يجلس فيها المهاجرون الاولون فقال رفؤني فقالوا بماذا يا أمير المؤمنين قال تزوجت أم كلثوم بنت علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي وصهري وكان لي به عليه الصلاة والسلام النسب والسبب فأردت أن أجمع اليه الصهر فرفؤه فتزوجها على مهر أربعين ألفا فولدت له زيدا ورقية وتوفيت أم كلثوم وابنها زيد في وقت واحد وكان زيد قد أصيب في حرب كانت بين بني عدي خرج ليصلح بينهم فضربه رجل منهم في الظلمة فشجه وصرعه فعاش أياما ثم مات هو وأمه وصلى عليهما عبد الله بن عمر وقدمه الحسن بن علي وذلك بعد وفاة عمر بن الخطاب ولما قتل عنها عمر تزوجها عون بن جعفر وقيل لما تأيمت أم كلثوم بنت علي من عمر بن الخطاب دخل عليها الحسن والحسين أخواها فقالا لها انك من قد عرفت سيدة نساء المسلمين وبنت سيدتهن وانك والله ان أمكنت عليا من رمتك لينكحنك بعض أيتامه ولئن أردت أن تصيبي بنفسك مالا عظيما لتصيبنه فوالله ما برحا حتى طلع علي يتكئ على عصا فجلس فحمد الله وأثنى عليه وذكر منزلتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد عرفتم منزلتكم عندي يا بني فاطمة وأثرتكم على سائر ولدي لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتكم منه قالوا صدقت رحمك الله جزاك الله عنا خيرا فقال أي بنية ان الله عز وجل قد جعل أمرك بيدك وأنا أحب أن تجعليه بيدي فقالت أي أبت اني امرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء وأحب أن أصيب مما تصيب النساء من الدنيا وأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي فقال لها لا يا بنية ما هذا من رأيك وما هو الا رأي هذين ثم قام فقال والله لا أكلم رجلا منهما أو تفعلين فأخذا بثيابه فقالا اجلس يا أبانا فوالله ما على هجرتك من صبر فقالا لها اجعلي أمرك بيده فقالت قد فعلت قال فاني قد زوجتك من عون بن جعفر وانه لغلام وبعث لها بأربعة آلاف درهم وأدخلها عليه وبقيت معه حتى مات عنها قتيلا في وقعة كربلاء وهي مع أخيها الحسين ورجعت مع السبايا من العراق الى الشام ثم الى المدينة وذلك في قصة مشهورة وتوفيت في المدينة

﴿ أم كلثوم ابنة عقبة بن أبي معيط ﴾

أسلمت وهاجرت وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت هجرتها سنة ٧ هجرية وتزوجها زيد بن حارثة فقتل عنها يوم مؤتة ثم تزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب وطلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له ابراهيم وأحمد وغيرهما ومات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده وكانت أول مهاجرة من مكة الى المدينة قيل مشت على قدميها من مكة الى المدينة ولما عزمت على المهاجرة أتى أخواها عمارة والوليد يطلبانها فنزلت الآية (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار) وكانت أم كلثوم أخت عثمان

ابن عفان لأمه وقد نزلت فيها (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن
الى آخرها

﴿ أم كلثوم ابنة عبدود ﴾

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأوفرهن عقلا وكمالا ذات أدب وفصاحة وكياسة وملاحة ولها باع طويل في الشعر ولما قتل أخوها يوم الخندق وكان قد خرج في نفر من القرشيين الى المسلمين وقال لهم من يبارز فبرز له علي بن أبي طالب فقال له يا عمرو انك آليت على نفسك انه لا يدعوك أحد الى احدى ثلاث الا أجبته واني أدعوك الى الاسلام فقال لا حاجة لي بذلك فقال أدعوك الى الانصراف فان كان محمد صادقا تقربت عنده بذلك وان كان كاذبا قفاه ليك من كذبه شيء و يقع بيد غيرك فقال كيف تقول عني نساء قريش اني تركت النزال و رجعت فقال له اني أدعوك الى النزال فقال هذه ما كنت أظن أحدا من العرب يتجاسر أن يدعوني اليها ولكن يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فقال له علي لكنني أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي سنة ٥ للهجرة و ٦٢٧ للميلاد وذلك في خبر طويل

ولما نعي عمرو الى أخته أم كلثوم سألت من قاتله فقيل لها علي بن أبي طالب فقالت لم يأت يومه الا على يد كفء كريم وأنشدت

أسدان في ضيق المكر تجاولا * وكلاهما كفؤ كريم باسل
فتخالسا سلب النفوس كلاهما * وسط المجال مجالد ومقاتل
وكلاهما حسر القناع حفيظة * لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله * قول سديد ليس فيه تحامل

وأنشدت أيضا

لو كان قاتل عمرو غير قاتله * لكنت أبكي عليه آخر الابد
لكن قاتله من لا يعاب به * من كان يدعى أبوه بيضة البلد
من هاشم في ذراها وهي صاعدة * الى السماء تميت الناس بالحسد
قوم أبى الله الا أن يكون لهم * مكارم الدين والدنيا بلا أمد
يا أم كلثوم ابكيه ولا تدعي * بكاء معولة حرى على ولد

ولما بلغت أبياتها النبي صلى الله عليه وسلم علم وفور عقلها وأنها مائلة الى الاسلام فدعاها الى ذلك فلبت طلبه وكان ذلك يوم فتح مكة وبقيت الى أن توفيت في حياته

﴿ أم موسى الهاشمية ﴾

هي امرأة أديبة عاقلة حكيمة ذات مكر ودهاء وفطنة قد جعلها المقتدر كهرمانة داره سنة ٢٩٨ هجرية فكانت تؤدي الرسائل من المقتدر وأمه الى الوزير وكان لها كلمة نافذة وهي التي تسببت في عزل علي بن عيسى عن وزارة المقتدر سنة ٣٠٤ هجرية وذلك أنها أرادت الدخول عليه لتتفق معه على ما يحتاج حرم الدار والحاشية من الكسوات والنفقات فوصلت اليه وهو نائم فقال لها صاحبه انه نائم فلا أحد يوقظه فاجلسي في الدار ساعة حتى يستيقظ فغضبت من هذا وعادت فاستنقصت علي بن عيسى في الحال وأرسل اليها حاجبه وولده يعتذر اليها فلم تقبل ودخلت على المقتدر وتحرشت على الوزير عنده وعند أمه فعزله وأعيد

أبو الحسن على بن الفرات ثم عزلها المقتدر سنة ٣١٠ وذلك لانها زوجت ابنة أختها من أبى العباس أحمد بن محمد بن اسحق بن المتوكل وأكثرت من النثار والدعوات وخسرت أموالا جليلة فسعى بها أعداؤها الى المقتدر وقالوا انها قد سعت لابى العباس فى الخلافة وحلفت له القواد وكثر القول عليها فقبض عليها المقتدر وأخذ منها أموالا جسيمة وجواهر نفيسة

﴿ أم نبه زوجة بدر بن حذيفة ﴾

كانت عقيلة قومها كريمة بيتها مسموعة كلمتها وكان ولدها نبه يكنى أبا قرافة قد قتله قيس بن زهير العبسى فى حرب داحس والغبراء فقالت ترثيه وتلوم زوجها بقبول الدية

حذيفة لا سلمت من الاعادى * ولا وقيت شر النائبات
أيقتل نبه قيس وترضى * بأنعام ونوق سارحات
أما تخشى اذا قال الاعادى * حذيفة قلبه قلب البنات
فخذ ثأرا باطراف العوالى * أو البيض الحداد المرهفات
والا خلنى أبكى نهارى * وليلى بالدموع الجاريات
لعل منيتى تأتى سريعا * وترمينى سهام الحادثات
أحب الى من بعل جبان * تكون حياته أردى الحياة
فما أبقى على المقتول ظلما * وقد أمسى قتيلا فى الفلاة
ترى طير الاراك ينوح مثلى * على أعلى الغصون المائلات
وهل تجد الحمائم مثل وجدى * اذا رميت بسهم من شتات
فيا يوم الرهان جمعت فيه * بشخص جازعن حد الصفات
ولا زال الصباح عليك ليلا * ووجه البدر مسود الجهات
والخيل السباق سقيت سما * مدا باقى المياه الجاريات
ولا زالت ظهورك مثقلات * بعصيان الجبال الراسيات
لانسبابكم أنى علينا * هموما لا تزال الى الممات

﴿ اماتونسا ابنة تيودوريك ﴾

وأمها أود بغليدا أخت كلوفيس ملك فرنسا وكانت اماتونسا بيدها أزمة أحكام البلاد الايطالية وذلك لانه لم يكن لتيودوريك ابن يرث ملكه من بعده فزوج ابنته هذه بفتى سليل أحد أعضاء العائلة الملكية الذى فر هاربا الى اسبانيا فرقاه الملك المتوفى الى رتبة قنصلية وأمير ولكن ذلك الفتى لم يتمتع زمانا طويلا بلذة ارتقائه واقترانه باماتونسا بل مات تاركا طفلا يدعى أتالاريك فتولت زوجته بعد وفاته وموت أبيها أحكام البلاد بالنيابة عن ابنها القاصر واشتهرت هذه بجمالها البديع وحسنها الباهر كما أنها العظيم وسعة معارفها وكثرة عوارفها وكان لها التقدم الاول فى المباحث العلمية والفلسفية قيل انها درست اللغة اليونانية واللاتينية والقوثية وتمكنت منها حتى أصبحت قادرة أن تتكلم بكل منها بفصاحة وبلاغة ولاريب أنها كانت حسنة المبادى كريمة النفس لانها عاملت الرومانيين سكان روميا وايطاليا الاصليين معاملة رعاياها وأشفقت عليهم خلافا للقوثيين الذين لم يزالوا يعتبرونهم أعداء وعبيدا
وكان ابنها أتالاريك طفلا يبغض العلم والمعارف ويتأفف من الدرس ومشقاته واجهاد العقل فى سبيل

التحصيل وينفر من والدته لاكراهها اياه على المواظبة والاجتهاد فحدث ذات يوم ان القوثيين كانوا مجتمعين في قصرها فما نفر هذا الامير الفتى من غرفة أمه وانتصب بين الجميع وهو يذرف عبرات الغضب والكبرياء وشكا الى الحاضرين قساوة أمه وضربها اياه بسبب عصيانه وعناده فأثر هذا الكلام باولئك المتوحشين وتوهموا أن الملكة راغبة في اهلاك ابنها واختلاس سرير ملكه وطلبوا اخلاص الفتى وتربيته كأجداده ورجال امته في ميادين القتال والعراك لينشأ بطلا وقدروا بتظاهرهم والحاحهم أن يحرموا الغلام وسائل التمدن والتهذيب فتركوه وشأنه يقضي أوقاته في السكر والملاهي وارتكاب الفواحش ولما رأت الملكة عصيان ابنها وزيغه وأحاطت الاعداء بها من كل جانب خابرت يوستنيان بقصد السكن في بلاده وأرسلت الى مدينة دارخيوم في اقليم ابيروس ٤٠ ألف دينار غير أن حب التسلط على الناس كان متسلطا على فؤادها فأعارت صبوة الطمع أذنا صاغية وقلبا واعيا وحينما أزمعت على مبارحة ايطاليا نجحت بدسائسها وقدرت ان تهلك بعضا من كبار الرؤساء الثائرين عليها وتمكنت بموت هؤلاء من الاستبداد بالاحكام والقبض على أزمة البلاد بالنيابة عن ابنها كما كانت أولا غير أن هذا الفتى الجاهل لم يعش زمانا طويلا لان الفسق والفواحش واللذات أضنته فمات بافه لم يتجاوز السادسة عشرة من العمر فاضطرت اذ ذاك الى مشاركة ابن عمها سيبودوتس الجبان الجاهل فثار القوثيون عليها ونفوها الى جزيرة صغيرة في بحيرة بولسينا وهناك قتلوها سنة ٥٣٨ بالحمام خنقا وهكذا انتهت حياة هذه الملكة الفاضلة

﴿أمامة ابنة أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد مناف القرشية الهاشمية﴾

أمها زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت على عهد جدها صلى الله عليه وسلم وكان يحبها ويحملها في الصلاة وكان اذا ركع أو سجد تركها واذا قام حملها وروى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال لأدفعنها الى أحب أهلي الي فدعا أمامة ابنة زينب فعلقها في عنقها ولما كبرت أمامة تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد موت فاطمة عليها السلام وكانت فاطمة أوصت عليا أن يتزوجها فلما توفيت فاطمة تزوجها من الزبير بن العوام لان أباها قد أوصاه بها فلما جرح علي خاف أن يتزوجها معاوية فأمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أن يتزوجها بعده فلما توفي علي وقضت العدة تزوجها المغيرة فولدت له يحيى وبه كان يكنى فهلكت عند المغيرة

﴿أمامة ابنة حمزة بن عبد المطلب﴾

أمها سلمى بنت عميس وهي التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد رضي الله عنهم لما خرجت من مكة وسألت كل من مر بها من المسلمين أن يأخذها فلم يفعل فاجتاز بها علي فأخذها فطلب جعفر أن تكون عنده لان خالتها أسماء ابنة عميس عنده وطلبها زيد بن حارثة أن تكون عنده لانه كان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر لان خالتها عنده ثم زوجها رسول الله من سلمة ابن أم سلمة وسماها الواقدي عمارة وأخواها لامها عبد الله وعبد الرحمن ابنا شداد وهي من الصحابيات المحدثات اللاتي أخذ عنهن جماعة من مشاهير المحدثين

﴿أمامة المريدية﴾

كانت شاعرة من شاعرات نساء العرب الا أن شعرها قليل ولم يكن في وقتها من جمع الشعر وكانت صحابية محدثة أخذ عنها جماعة من المحدثين وممن روى عنها أنها قالت لما قتل سالم بن عمر أيا عين أحدي عرون

عوف وكان من المنافقين وظهر نفاقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لي من هذا الخبيث فخرج اليه سالم بن عمير فقتله فقالت في ذلك

تكذب دين الله والمرء أحمدا * لعمري الذي أمناك أن بئس ما يمنى
حباك حنيف آخر الدهر طعنة * أبا عامك خذها على كبر السن

﴿أمامة ابنة ذي الاصبع﴾

أبوها ذو الاصبع العدواني الشاعر الفارس المشهور وكانت أمامة شاعرة مشهورة يشار اليها بالبنان أخذت العلم والشعر عن والدها وهي أصغر أولاده وكان يحبها حبا عظيما وتحبه أحبها جميع قبيلتها واهلها يقول ورأته قد نهض وسقط وتوكأ على العصا فبكت فقال

جزعت أمامة اذ مشيت على العصا * وتذكرت اذ نحن ملفتيان
فلقبلما رام الاله بكيده * إرما وهذا الحي من عدوان
بعد الحكومة والفضيلة والنهى * طاف الزمان عليهم بأوان
وتفرقوا وتقطعت أشلاؤهم * وتبددوا فرقا بكل مكان
خربوا البلاد فأعقمت أرحامهم * والدهر غيرهم مع الحدثان
حتى أبادهم على أخراهم * صرعى بكل تقسيرة ومكان
لا تعجبن أمام من حدث عرا * فالدهر غير نامس الازمان

ومن شعرها قولها ترثي قومها

كم من فتى كانت لهم منعة * أبلج مثل القمر الزاهر
قد مرت الخيل بحافاتهم * من غيث جبل عاطر
قد لقيت فيهم عدوانها * قتلا وهلكا آخر الغابر
كانوا ملوكا سادة في الورى * دهرا لها الفخر على الشاعر
حتى تساقوا كأسهم بينهم * بغيا فيا للشارب الخاسر
بادوا فمن يخلل بأوطانهم * يخلل برسم مقفر داثر

﴿أمة العزيز ابنة دحية الاندلسية الشريفة الحسنية﴾

كانت ذات قناع تفرعت من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها في السماء وتجردت من سلالة أكابر وأشراف رقاة أمرتمنابر من بني عبد مناف تصرفت في أنشاء شبيبتها بين دراسة معارف وافاضة عوارف لها أشعار رائقة معانيها بديعة مبانيها منها ما قاله الحافظ أبو الخطاب بن دحية في المطرب من أشعار المغرب قال أنشدتني أخت جدي الشريفة الفاضلة أمة العزيز الحسنية لنفسها

لحاظكم تجرحنا في الحشا * ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذي أوجب جرح الصدود

قال العلامة المقري في كتابه نفح الطيب هذا السؤال يحتاج الى جواب وقد رأيت للقاضي الامام الفاضل أبي الفضل قاسم العقباني التلمساني رحمه الله تعالى جوابه والغالب أنه من نظمه وهو قوله

أوجبه مني يا سيدي * جرح بخدلبس فيه جحود
وأنت فيما قلته مدع * فاين ما قلت وأين الشهود

﴿ أمة ابنة خالد بن سعيد ﴾

ابن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية الاموية تكنى أم خالد مشهورة بكنيتها ولدت بارض الحبشة مع أخيها سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس وأمها أمية بنت خلف تزوج أم خالد الزبير بن العوام وولدت له عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير وبه كانت تكنى وهى من المحدثات المشهورات بالصدق وقد روى عنها جملة من التابعين منهم موسى وابراهيم ابنا عقبة وكريب بن سليمان الكندى وغيرهم وروى عنها انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب القبر

﴿ أميمة ابنة رقيقة ﴾

ابنة خويلد بن أسد أخت خديجة بنت خويلد فاميمة ابنة خالة أولاد النبى من خديجة وهى أميمة بنت عبد ابن بجاد بن عمير بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة وكانت من المبايعات المحدثات روى عنها محمد بن المنكدر وابنتها حكيمة بنت أميمة وروى عن محمد بن المنكدر أنه سمع أميمة بنت رقيقة تقول بايعت النبى صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن قلت الله ورسوله أرحم بنا منا بانفسنا وعما روته حكيمة بنت أميمة عن أمها بنت رقيقة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يبول فيه يضعه تحت السرير فجاءت امرأة اسمها بركة فشربته فطلبه فلم يجده فقيل شربته بركة فقال لقد احتظرت من النار بحظار

﴿ أميمة ابنة قيس بن أبى الصلت الغفارية ﴾

كانت عابدة زاهدة محبة للخير صانعة للمعروف ناهية عن المنكر لها صحبة حسنة وروت أحاديث كثيرة وروى عنها جملة من التابعين وكانت شفيقة على المجاهدين ودائما تحضر الوقائع وتداوى الجرحى وتدور بين القتلى وكانت تحث الناس على ذلك فقالت يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءته فى نسوة من غفار انا نريد أن نخرج معك فى وجهك هذا فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بركة الله وكان ذاهبا الى خيبر فذهبن معه وصرن يداوين الجرحى ويوارين القتلى وهى تهديهن لما يلزم لذلك حتى انتهى الحرب ورجع المسلمون منصورين فنالت بذلك رضاربها ومدح قومها

﴿ أم جعفر ابنة عبد الله بن عرفطة بن قتادة بن معد بن غياث بن نداح ابن عامر بن عبد الله بن خطمة بن مالك بن جشم بن الاوس ﴾

كانت ذات حسن وادب وعفة وكان يشبب بها الاحوص ولم يرها قط فلما كثر تشبيبه وشاع ذكره توعده أخوها أيمن وهدده ولم ينته فاستعدى عليه والى المدينة فربطهما فى حبل ورفع اليهما سوطين وقال لهما تجالدا فتجالدا فغلب أخوها الاحوص وأتبعه أيمن حتى فاته الاحوص هربا وقد كان الاحوص قال فيها

اشهد منعت معروفها أم جعفر * وانى الى معروفها لفقير
وقد أنكرت بعد اعتراف زيارتى * وقد وغرت فيها على صدور
أدور ولولا أن أرى أم جعفر * بابياتكم مادرت حيث أدور
أزور البيوت اللاصقات بيتها * وقلبى الى البيت الحبيب يزور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى * اذا لم يزر لابد أن سيزور
أزور على أن لست أنفك كل ما * أتيت عدوا بالبنان يشير

فقال السائب بن عمر يعارض الاحوص فى هذه الابيات ويعيره بفراره

وقد منع المعروف من أم جعفر * أخو ثقة عند الجلاد صبور
علاك بمتن السوط حتى اتقيته * بأصفر من ماء الصفاق يفور

فقال الاحوص

اذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه * فمن ذا الذي يغفر له ذنبه بعدي
أريد انتقام الذنب ثم تردني * يد لأدين ثم مباركة عندي

ولما أكثر الاحوص من ذكرها جاءت متنقبة فوقفت عليه وهو فى مجلس قومه ولا يعرفها فقالت له اقض عن الغنم التى ابتعتها منى قال ما ابتعت منك شيأ فاظهرت كتابا قد وضعته عليه وبكت وشكت حاجة وفاقة وقالت يا قوم كلموه فلامه قومه وقالوا اقض المرأة حقها فخلف أنه ما رآها قط ولا يعرفها فكشفت عن وجهها وقالت ويحك أما تعرفنى فجعل يحلف أنه ما يعرفها ولا رآها قط حتى اذا استفاض قولها وقوله واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار وكثر لغطهم وأقوالهم قامت ثم قالت أيها الناس اسكتوا فسكت الناس ثم أقبلت عليه وقالت يا عدو الله صدقت والله ما لى عليك حق ولا تعرفنى وقد حلفت على ذلك وأنت صادق وأنا أم جعفر وأنت تقول قلت لام جعفر وقالت لى أم جعفر فمن أين قلت لك وقلت لى وأنت لم ترنى الا هذه الساعة فخجل الاحوص وانكسر عن ذلك وبرأت عندهم

﴿ أميمة أم تأبط شرا ﴾

وهى من بنى القين بطن من فهم ولدت خمسة نفر تأبط شرا وريش لغب وريش نسر وكعب جدر والاترا كى وقيل انها ولدت سادسا واسمه عمرو وتأبط شرا لقب به لانه كان رأى كبشا فى الصحراء فاحتمله تحت ابطه فجعل يبول عليه طول طريقه فلما قرب من الحى ثقل عليه الكبش فلم يقله فرمى به فاذا هو الغول فقال له قومه ما تأبطت يا ثابت قال الغول قالوا لقد تأبطت شرا فسمى بذلك وقيل بل قالت له أمه كل اخوتك يأتينى بشئ اذا راح غيرك فقال لها سآتيك الليلة بشئ ومضى فصاد أفاعى كثيرة من أكبر ما قدر عليه ووضعهن فى جراب وذهب متأبطا به فألقاه بين يديها ففتحته فتساعين فى بيتها فوثبت وخرجت فقال لها نساء الحى ماذا أتاك به ثابت فقالت أتانى بافاعى فى جراب قلن كيف حملها قالت تأبطها قلن لقد تأبط شرا فلزمه هذا اللقب

وكانت شاعرة من شاعرات العرب وقولها منسجم وله طلاوة رأغلبه مراث فى ولدها تأبط شرا وخلافه ومن ذلك قولها فيه

طاف يبغى نجوة * من هلاك فهلك
ليت شعرى ضلة * أى شئ قتلك
أمريض لم تعد * أم عدو ختلك
أم تولى بك ما * غال فى الدهر السلك
والمنايا رصد * للفتى حيث سلك
أى شئ حسن * لفتى لم يك لك
كل شئ قاتل * حين تلقى أجلك
طالما قد نلت فى * غير كد أملك
ان أمرا فادحا * عن جوابى شغلك
سأعزى النفس اذ * لم تجب من سألك

ليت قلبي ساعة * صبره عنك ملك
ليت نفسي قدمت * بالمنايا بدلك

ولها فيه أيضا

بثابت ابن جابر ابن سفيان * نعم الفتى غادرته بترخمان
يحدو ويروى ظمأ الندمان * رواه من يحمي حمى الاخوان

ولها مراث وأشعار كثيرة غير ذلك

أميمة ابنة خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة ابن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة الخزاعية

وهي عمة طلحة بن عبد الله بن خلف الملقب طلحة الطلحات وهي زوجة خالد بن سعيد بن العاص هاجرت معه الى أرض الحبشة وكانت من السابقات الى الاسلام وقيل اسمها أمينة وقيل همينة وولدت بالحبشة سعيد بن خالد وأمة بنت خالد ولها صحبة حسنة وعشرة لطيفة ورجعت مع من رجع من مهاجري الحبشة الى المدينة

أميمة ابنة عبد شمس الهاشمي بن عبد مناف القرشي

وأمها تغمر بنت عبيد بن دوس بن كلاب كانت ذات مجد أثيل وبيت أصيل وباع طويل تزوجها حارثة ابن الاوقص السلمي فولدت له أمية بن حارثة وقتل أبو سفيان بن أمية بن عبد شمس أخاها في يوم عكاظ من حرب الفجار وكان بعد أبو سفيان واخوته من العنابس وهي الاسد فقالت أميمة ترثيه وترثي من قتل في حرب الفجار من قريش

أبى ليلي أن يذهب * ونيط الطرف بالكوكب
ونجم دونه الاهوا * ل بين الدلو والعقرب
وهذا الصبح لا يأتي * ولا يدنو ولا يقرب
بعقر عشيرة منا * كرام الخيم والمنصب
أحال عليهم دهر * حديد الناب والمخلب
فحل بهم وقد أمنوا * ولم يقصر اذا يشطب
وما عنه اذا ما حل * من منجى ولا مهرب
ألا يا عين فابكيهم * بدمع منك مستغرب
فان أبكي فهم عزي * وهم ركني وهم منكب
وهم أصلي وهم فرعي * وهم نسبي اذا أنسب
وهم مجدي وهم شرفي * وهم حصني اذا أرهب
وهم رمحي وهم ترسي * وهم سيفي اذا أغضب
فكم من قائل منهم * اذا ما قال لم يكذب
وكم من ناطق فيهم * خطيب مصقع معرب
وكم من فارس منهم * كمي معلم محرب
وكم من مدره فيهم * أريب حوله مغلب

وكم من جحفل فيهم * عظيم النار والموكب
وكم من خضرم فيهم * نجيب ماجد منجب

﴿ أميمة ابنة عبد المطلب الهاشمية ﴾

كانت صاحبة جمال وجلال وفصاحة وذكاء وبلاغة وسخاء وشعر ونثر ونسب وفخر قال لها أبوها يوما مع اخوتها أسمعيني شعرك رثاء لي كأني ميت فقالت له أعيذك من ذلك فقال لابد من أن تقولي فقالت

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد * وساقي حجيج الله حامي عن المجد
ومن يألف الضيف الغريب بيوته * اذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى * فلم تنفكك تزداد يا شيبة الحمد
أبو الحارث الفياض خلى مكانه * فلا تبعدن اذ كل حي الى بعد
فاني لباك ما بقيت وموجع * وكان له أهلا لما كان من وجد
سقاك ولي الناس في القبر ممطرا * وسوف أبكيه وان كنت في اللحد
وقد كان زينا للعشيرة كلها * وكان حميدا حيث ما كان من حد

﴿ أم هرون رضي الله تعالى عنها ﴾

كانت من الخائفات العابدات وكانت تأكل الخبز وحده وكانت تقول ما أنشرح الا بدخول الليل فاذا طلع النهار اغتممت وكانت تقوم الليل كله فتقول اذا جاء السحر دخل قلبي الروح وصرخت مرة فسمعت قائلا يقول خذوها فوقعت مغشيا عليها وما دهنت رأسها بدهن مدة عشرين سنة وكانت اذا كشفت رأسها وجد شعرها أحسن من شعر النساء وكانت اذا عرض لها الاسد في البرية قالت له ان كان لك في شيء فكل فيولي راجعا عنها رضي الله عنها

﴿ أمة الجليل رضي الله عنها ﴾

كانت من العابدات الزاهدات واختلفت مرة العابدون في تعريف الولاية على أقوال فقالوا امضوا بنا الى أمة الجليل فقالوا لها ما الذي عندك من تعريف الولاية فقالت ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا ليس للولي في الدنيا ساعة يتفرغ منها الشيء دون الله عز وجل ثم قالت لو احد منهم من حدثكم أن أولياء الله تعالى لهم شغل بغير الله تعالى فكذبوه رضي الله عنها

﴿ أناس خليلة شارل السابع ملك فرنسا ﴾

ولدت في قرية فرومنتو من توربن نحو سنة ١٤٠٩ وتوفيت نحو سنة ١٤٥٠ وهي ابنة (سوريل دوسان جيرار) أحد أعوان الكونت (دوكليرمون) كانت في أول أمرها رفيقة (لايزابو دوسورينة) دوقة انجو وسنة ١٤٣١ صحبت سيدتها الى باريس وزارت بلاط شارل الرابع فلما رآها شارل المذكور فتن بجمالها وبهر بمحاسنها فأبقاها عنده وجعلها رفيقة للملكة ثم اتخذها عشيقة بعد أن ماطلته وردت مطالبه وبلته بهيام شديد ويقال انها لم تستخدم ما كان لها عليه من السطوة الا لانهاض همته واثارة الحمية في صدره لانه كان قد استغرق في اللذات بينما كان الانكليز يفتحون بلاده وبذلك أنقذت فرنسا من وبال عظيم وخطر جسيم فتمكن حبها من قلب شارل فأجزل لها العطاء ووهب لها كثيرا كافيا لها قلبه فوهبها القصر المسمى بالفرنساوية بوتي ومعناه الجمال وهو على ضفة نهر المرن بقرب سانفور ولذلك لقبت بمادام لو بوتي ومعناه سيدة بوتي أو الجمال وفي ذلك من التورية ما لا يخفى وكانت الملكة تنسم اخبارها وتكرم مثواها

الآن غناها وتنعمها حلا لرجال البلاط والامة على كرهها وسنة ١٤٤٥ أساءاليها ابن الملك شارل السابع فتركت البلاط الملكي وأقامت في قصر كان قد بناءلها الملك في لوس وسنة ١٤٥٠ سارت الى جوميات لمقابلة عاشقها فتوفيت هنالك فجأة وظن الناس أن ابنه دس اليها السم في بعض المشروبات وكان قد ولد لها من شارل السابع ثلاث بنات فاعترف بهن ورباهن وكن يعرفن ببنات فرنسا

﴿أولغا امرأة ايغور دوق كييف﴾

بالث غراندوق روسي وكانت تلقب بالقديسة أولغا ولدت من عائلة فقيرة في قرية بقرب بسكوف وكانت ذات جمال بارع وذكاء سام فتزوجها ايغور سنة ٩٠٣ وجلس معها على كرسي الملك سنة ٩١٢ ومات عنها سنة ٩٤٥ فحكمت بعده بالنيابة عن ابنها (سفياتوسلاف) وقد انقسمت حياتها من ذلك الوقت الى حين وفاتها الى قسمين ممتازين خصص أحدهما بالسياسة والآخر بالدين والتعبد وسبب وفاة زوجها هو أنه جمع عسكرا وخرج به ليغزو قبيلة (الدريفليان) ويجمع منهم الضريبة السنوية وبعد أن جمعها رجع ظافرا وبينما هو على الطريق خطر له أن ما جمعه يسير فأمر عسكره بالرجوع ليجمع ضريبة أخرى فأبت العسكر أن ترجع معه فعاد بشرذمة يسيرة فلما رأت تلك القبيلة انه ماذا يطلب فأمرها بجمع الجلود والعسل والمال فلما سمعوا ذلك احتدوا غيظا وهجموا عليه وقتلوا من معه وأما هو فمسكوه وأحنوا شجرتين وربطوه بطرفيهما وتركوهما فرجعتا الى مكانهما فمزق الاميرا رباوسات شهيد الطمع فلما قتل الدريفليان انتخبوا منهم عشرين رجلا وأرسلوهم الى امرأة ايغور يطلبون اليها أن تتزوج أميرهم فلما أتى اليها الرسل سألتهم ماذا يطلبون فأجابوا انا قتلنا زوجك لانه خرب أرضنا والآن نطلب أن تقبلي أميرنا زوجا لك فقالت حسنا تقولون أحب طلبكم وانما أريد أن أعظمكم في أعين شعبي فارجعوا الى سفينتكم وعندما يأتيكم رسلي اطلبوا اليهم أن يحملوكم على أكتافهم وبعد انصراف الرسل أمرت أولغا أن يحفروا خندقا وراء قصرها وأرسلت رسلها وأمرتهم أن يحملوهم ويطرحوهم في الحفرة فلما أتى رسل أولغا اليهم قالوا لهم أولئك لا نذهب مشاة ولا نمتطي صهوات الجياد ولا نركب العجلات احملونا على أكتافكم فأجابوا طلبهم وعندما أتوا القصر طرحوهم في الحفرة المعدة لهم ووار وهم التراب وبعد ذلك أرسلت أولغا تقول لهم اذا كنتم ترغبون حقيقة أن أكون امرأة لاميركم فأرسلوا رؤساء قومكم لاحضر معهم فلما أتوا أمرتهم أن يغتسلوا في الحمام فلما دخلوه أمرت باحراقه فماتوا عن آخرهم وعند ذلك أرسلت تقول للدريفليان استعدوا للاستقبال وهيئوا المشروبات على قبر زوجي فاني عازمة على أن أبكي هنالك ومن ثم أتزوج بأميركم فأجابوا طلبها ولما قدمت اليهم سألوها أين رسلنا فأجابتهم سيحضرون مع عسكر زوجي وبعد ذلك أولمت وليمة عظيمة و لما لعبت الخمر في رؤس الدريفليان بطش بهم رجال أولغا وقتلوا منهم خمسة آلاف رجل ورجعت على الاعقاب الى مدينتها وبعد مضي سنة جمعت عسكرا وأخذت ابنها وغزت الدريفليان وحاصرت عاصمتهم ولما لم تقدر أن تأخذها أرسلت تقول لهم أعازمون أن تموتوا جوعا أعطوا الجزية والى جزيتي وأنا أرحل عنكم وأنا أطلب منكم جزية خفيفة وهي ثلاث حمامات وثلاثة عصافير من كل بيت فسروا سرورا عظيما وحالا جمعوا المطلوب وأرسلوه على جناح السرعة فأمرت أولغا عساكرها بان يربطوا باذنابها خرقا ملوثة بمواد ملتهبة وعندما يبدو لهم الظلام يشعلون الخرق ويطلقون الحمام والعصافير ففعلوا ذلك ورجع كل طير الى عشه فالتهمت النار البيوت وفرارا من الحريق هرب سكان المدينة فالتقتهم أولغا بعسكرها وفرقتهم أيدي سبا ونهبت أرضهم ودمرت عدة قبائل وضربت عليهم الضرائب الثقيلة ورجعت الى كييف ثم سافرت الى (نوفوغورود) فاستمالت بحكمتها كل القلوب وسنة ٦٥٥ سلمت زمام

الملك لابنها المذكور وتفرغت لامور العبادة فاعتنقت المذهب المسيحي وعمدها في القسطنطينية في السنة المذكورة البطريرك بحضور الامبراطور قسطنطين (پورفيروجينيتوس) وحاولت اقناع ابنها بالاقتداء بها فلم يغن اجتهادها شيأ وماتت سنة ٩٦٨ فاسف عليها الناس جدا واحترمها الروس احترام قديسة وفي أيامها ذاع اسم روسيا في الاقطار الاوروبية الشاسعة

﴿أولمپياس ابنة نيوبتوليمس ملك أبيروس وامرأة فيلبس المكدوني وأم اسكندر الكبير﴾

اشتهرت بكثرة قبائحها وتسليمها نفسها الى شهواتها فهجرها فيلبس فمضت الى ابيروس ودست الى زوجها من قتله وهو (پوسانياس) ثم رجعت الى مكدونيا وأعلنت فرحها بقتل زوجها واحتفلت بجنازة پوسانياس قاتله بلا وجل ولا خجل ولما ملك ابنها الاسكندر حاولت أن تشاركه في الملك غير أن حكمته حالت دون مطامعها ولما مات اسكندر طمعت في الاستيلاء على المملكة غير أن ثبات (انتيباتر) وزيره اضطرها الى الرجوع الى ابيروس فدعاها (پوليسپرخون) الذي خلف (انتيباتر) ولقبها نائبة الملك فلم تلبث أن قتلت (اريدوس) وهو ابن فيلبس من امرأة أخرى وعددا كثيرا من أعوانه فكانت مثالا لسفك دم عائلة الاسكندر وقتلت نيكانور (أخي كاسندروس) فأتى اليها كاسندروس وحاصرها في (پدنا) وحصلت معها حفيدها اسكندر ابقوس بن الاسكندر الاكبر أملا في معاونة الامة لها اذا رأوه معها فلم يلتفت اليها أحد فاستسلمت فلم يجسر (كاسندروس) أن يقتلها بنفسه وهي أم سيده فوكل بقتلها جماعة من النابغة المكدونيين غير أن هيبتها وتذكرهم مجدا بنها منعاهم عن اتمام العمل فدعا كاسندروس الذين قتلت أولمپياس أبناءهم وأقرباءهم فذبحوها بدون تردد وذلك سنة ٣١٧ قبل المسيح

﴿أوجيني ملكة الفرنسيس﴾

هي حليلة شارل لويس بن لويس نابليون الذي تولى سدة الملك باسم نابليون الثالث كانت في صباها المشار اليها بالبنان والمثنى عليها بكل شفة ولسان ولما أودعها الله من الحسن واللطف وحسن التربية مع الكياسة والرقة والظرف رقت في عصر زوجها مقاما تحسدها عليه السبع الطباق وبلغت شأوا أطار ذكرها في الآفاق وناهيك أنها تصدرت في مائدة جمعت ملوك الارض وكلهم يحسب احترامها كالسنة وتعظيمها كالفرض وحسبك أنها لما أتت مصر عام الاحتفال بفتح خليج السويس كان عزيز مصر في خدمتها ولفيف من أمراء الشرق والغرب في عداد حاشيتها ولما قدمت القسطنطينية استقبلها ساكن الجنان السلطان عبد العزيز حتى المرفأ وأبدى لها من التحية والتبجيل ما يعز عن المثيل واذ كانت نار الحرب بين الفرنسيس والالمان أقامها الامبراطور خليفة له على العرش تنظر في أمره وتقضي في سالتي خلو خره ونحرج قائد الجيش يصدم به العدو ولسان حالهما يقول

هي الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار من بطشي وفتكي

فلا يغرركم مني ابتسام * فقولي مضحك والفعل مبكي

فان الدهر بعد أن سقاها سلسبيلا ودار عليها من الصفو أكوابا كان مزاجها زنجبيلا في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود عاد لها بالزقوم والغسلين وهبط بها من أعلى عليين الى أسفل السافلين فغادرها حموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وذلك أن زوجها بعد أن كان حالفه النصر في معركة (سادوا) وأمل العالم لامة الفرنسيس بالفتح المبين والفوز المكين خالفه التوفيق في سائر المعارك فقهره أعداؤه أي قهر وكسروه مسا جلوه أي كسر حتى اذا زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر

دخل الى الاستئمان بعد واقعة (سيدان) التي حدثت في أربعة أيلول عام ١٨٧٠ فاخترط حسامه وسلمه الى الملك غليوم عدوة الالد مكتفيا من النصر بالاسر مع ثمانين ألفا من جيشه ومابرح أسورا في قاسة فاليا من بلاد الالمان حتى حيث انتهى الحرب بين الفريقين ثم لم يأت حين من الدهر حتى أبعد ابيدا في المثانة عياء ذهب به الى دار الفناء بعد أن أذاقه صنوف الويل وأفانين البرحاء تاركا ورائه الملكة أوجين على فراش من القتاد ووسادة من الرمضاء ولم يكتف بهذا الدهر الظالم حتى نكلها في وحيدها وبقية آمالها البرنس أمبريال شهيدا في بلاد الفرولوس الافريقية مطعونا بأسنة أمة بربرية وهو يانع في نضارة العمر وريعان الشباب وبقيت بعده كالغرالة الناقرة من زرود جزعا على خشفها العزيز تنثر لآلئ الدمع على يواقيت الخدود وتغرس عقيق الشفاه ببرد الثغر البرود ولسان حالها يقول لقد جئت يا دهر شيأ فريا ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا تحاول الاعتصام بالصبر على ما انتابها به الايام وهو بعيد عنها بعد المسجد الاقصى عن المسجد الحرام وبقيت على ذلك الى هذه الايام

﴿ ايريني أمبراطورة بيزنطية ﴾

ولدت في أثينا سنة ٧٥٣ وتوفيت في جزيرة (لسبوس سنة ٨٠٣) واشتهرت بالعقل والجمال فاختارها قسطنطين كوبرونيموس زوجة لابنه المعروف (بلاون) الرابع فاستولت على قلبه كل الاستيلاء ولما مات عهد اليها وصاية ابنه قسطنطين الخامس سنة ٧٨٠ فقامت بأعباء الملك حق القيام حتى اذا ساعدها القدر وخدمها السعد بطرت واستكبرت وداخلها الطمع فعقدت مع هارون الرشيد صلحا غير موافق لاستقلالها به وسنة ٧٨٧ عقدت جمعا في نيقية أمرت فيه بعبادة الايقونات وألغت انشقاق الكنيسة الشرقية فلما رشد ابنها سنة ٧٩٠ نفاها وهجرها في قصر لكنها تخلصت بعد خمس عشرة سنة واتصل بها الامر لكي تستبد بالمملكة الى ان سملت عيني ابنها بلا خوف ولا خجل ولكي تنسي الناس هذا العمل الفظيع شرعت بأعمال عظيمة فقيل انها عرضت نفسها على شارلمان ليتزوجها أو قبلت بالاقل أن تزوج احدى بناتها بأحد أولاده لكن قبل أن يتم لها ذلك حجر عليها (نيقيفوروس) خازنها الاكبر سنة ٨٠٢ ونفاها الى جزيرة لسبوس فظلم بها الدهر هنالك حتى احتاجت أن تأكل من غزل يدها وهنالك ماتت سنة ٨٠٣ فتأثر اليونان لمصائبها وجعلوها قديسة وأقاموا عيدا تذكارا لها في ١٥ آب من كل سنة واسمها في بعض كتب العرب أريني

﴿ ايزابلا الاولى الملقبة بالكاثوليكية ملكة قسطيلية ولاون ﴾

ولدت سنة ١٤٥١ وتوفيت سنة ١٥٠٤ كانت بنت يوحنا الثاني ملك قسطيلية من ايزابلا البرتوغالية زوجته الثانية وفي السنة الرابعة من عمرها توفي أبوها فخلفه في الملك ابنه هنري من ماريا الاراغونية زوجته الاولى واستمرت ايزابلا مع أمها الى سنة ١٢ من عمرها كاتمتين في بلدة اريفالو فلما ولدت جوانا نقلها هنري الى بلاطه محاولا بذلك أن يمنع تألف حزب يمكنها ارث الملك من بعده بدل المرتقب من جوانا المذكورة وكان حصولها على تاج الملك أمرا مستبعدا الان أخاها البكري كان ملكا وله بنت وكان لها أيضا أخ أصغر منها في قيد الحياة غير أن أكابر مملكة أوراد أبوها خاطبين أملا بمستقبلها قال بريسكوت وكان فرديناندو أول من خطبها وهو الذي تزوجها بعد أن حال دون ذلك مصاعب شتى فانها خطبت في السنة الحادية عشرة من عمرها لاخيه كارلوس وكان قد بلغ الاربعين فدفع عنها ذلك المكر بموت كارلوس بالسم وسنة ١٤٦٤ وعدها أخوها هنري الفونس ملك البرتغال فعارضته في ذلك مدعية أن بنات ملوك قسطيلية لا يتزوجن الا بموافقة أشراف المملكة ثم حدثت ثورة تحت رئاسة مركيز فلينا وعمه رئيس أساقفة

طليطلة وكان من بواعثها اعتقاد كثيرين من الاشراف أن البرنسيس جوانا التى أقسم لها أكابر الدولة بالطاعة بناء على طلب الملك لم تكن من صلبه بل من صلب بلتران دولاكويا عشيق الملكة فاعلن الثائرون انتقال الملك من هنرى الى أخيه الفونس وجمعوا جيشا لاجراء ذلك فحاول الملك اسكات رؤسائهم بتزويج ايزابلا بالدون بدرو جيرون الفاسق أخى مركيز فلينا أما هى فقالت لاخيها ان زوجتنى به أشق صدره بخنجر وأرفع عن نفسى العار غير أن الدون المذكور مات فى طريقه الى العرس وبعد ذلك بسنتين أى سنة ١٤٦٨ توفى الفونس فعرض الثائرون تاج الملك على ايزابلا فرفضته وآثرت أن تجعل وارثة لاخيها فعاهد العصاة هنرى على أن يطلق الملكة ويعترف بان ايزابلا وارثة لمملكتى قسطيلة وليون وأن لها حق اختيار بعل تتزوجه برضاها ولم يلبث المجلس العالى أن قرر حق ايزابلا فى الارث أما هنرى فلا يبالى بشروط المعاهدة وحاول اكراه أخته على الاقتران بملك البورتغال غير أن السياسة والحب استمالاها الى فردنندو برنس أراغون فتهددها أخوها بالحبس فلم تعبأ به وعزمت على أن تباشر الامر بنفسها فردت الرسول الاراغونى بجواب مرضى ووقع فردنندو على عقد الزواج فى سرفيرا وذلك سنة ١٤٦٩ وضمن لعروسه جميع حقوقها الملكية الاصلية فى قسطيلة وليون فانفذ هنرى فى الحال فرقة من العساكر لالقاء القبض على شقيقته فهربت الى بلاد الوليد وأرسلت الى فردنندو تحثه على أن يوافيها بسرعة لاتمام الزواج فلم يتمكن فردنندو من أن يسير بعسكر لان أباه كان يحارب عصاة قطالونيا وكان بيت المال فارغا فلبس ثوب خادم وسار متنكرا مع ستة رفقاء استأمنهم فلم يعرفه العساكر الذين أقامهم هنرى لمنعه المرور وخرج من تلك المدينة برى لانى فاغذوا السير الى بلاد الوليد وتزوج ايزابلا سنة ١٤٦٩ فاعلن هنرى أن أخته أضاعت جميع الحقوق التى تقررت لها بموجب المعاهدة وجعل جوانا وارثة عهده فانقسمت البلاد الى قسمين كبيرين متحاربين وعضدت فرنسا الملك غير أن ايزابلا كانت بحكمتها وفضائلها تستميل اليها أهالى قسطيلة شيأ فشيأ وتكتسب طاعتهم وأمانتهم وفى سنة ١٤٧٤ توفى هنرى وبعد يومين من وفاته أقيمت ايزابلا ملكة فى سيغوفيا فاقسم لها كثيرون من الاشراف بالطاعة الا أن حزب جوانا كان قويا فلم تعترف البلاد كلها بها ملكة الا بعد حرب جرت لها مع الفونس ملك البورتغال وكان قد خطب جوانا ومن ثم شرعت فى أعمال تحلى بها تاريخ اسبانيا فأصلحت قوانين البلاد وأدارت المملكة الداخلية وعضدت الآداب والصنائع وبذلت جهدها فى تغيير تصرفات زوجها لانها كانت قرينة القساوة والخداع ومع أنها كانت روح الحرب التى شهرت على العرب وكانت تحارب فيها بنفسها وتلبس درعا لم يزل محفوظا الى الآن فى مدريد كانت تقاوم القساوة التى اتخذها الاسبانيول فى تلك الايام سياسة لهم والامة المذكورة ولم تأمر بطرد اليهود من قسطيلة ولا سلمت على غير ارادتها باجراء التفتيش الدينى الا لاعتقادها ان سلامة الدين الكاثوليكى تتوقف على ذلك وزادها شهرة مساعدتها كرستوفورس كولمبوس فاتح أميركا على انفاذ مقاصده فان الاسطول الذى اكتشف به أميركا جهز على نفقتها وخالفت استرقاق الهنود الاميركان فلما وصل الاسرى الذين أرسلهم اليها كرستوفورس المذكور أمرت بارجاعهم الى بلادهم وبمساعدة الكردينال كسيمنس أصلحت الراهبات وبذلك جعلت للكنيسة فى اسبانيا نظاما لا يقل اعتبارا عن النظام الذى سنته للدولة ولم يكن المال ولا علو المرتبة يشفعان عندها بالمذنبين بل كان سيف العدل يعلو رقاب المجرمين من الاكابر والاصاغر والاكليروس على حد سواء وكانت ايزابلا جامعة بين عقل الرجال ومحاسن النساء وفضائل نادرة عديمة النظير فباتت موضوعا محبوبا للمؤرخين فى الاعصر التالية والاسبانيول الآن يحبون ذكرها كما كان رعاياها منهم يحبون شخصها أما الموت الفجائى الذى أصاب كلا من الدون كارلوس والدون بادرو جيرون وأخيها الفونس فلم يوقع عليها أقل شبهة مع أنه نالها به نفع عظيم وكانت تحب زوجها حبا شديدا لا يعتريه

فتور

فتور البتة غير أنه لم يكن يقابلها دائماً بمثل ذلك وكانت تشواهها الطبيعية تزين كل أعمال حياتها وكان
جمال خلقها يعادل حسن خلقها وكانت صافية اللون ذات عينين زرقاوين وشعر أسمر وولد لها خمسة أولاد
وهم ايزابلا التى تزوجت عمنوئيل ملك البرتغال وجوان وكان أميراً فاضلاً توفى سنة ١٤٩٧ وله من العمر
٢٠ سنة وجوانا التى تزوجت فيليب أرشيدوق أوستريا وولدت لها منه الامبراطور كارلوس الخامس
وماريا التى تزوجت عمنوئيل بعد وفاة أختها وكاترينا زوجة هنرى الثامن ملك انكلترا

﴿ايزابلا الثانية ملكة اسبانيا﴾

ولدت فى مدينة مدريد سنة ١٨٣٠ وهى بكر بنات فردينندو السابع من ماريا كرستينا رابع زوجاته نشأ
عن مسئلة ارثها الملك بعد أبيها حرب أهلية شديدة لانه لم يكن لابيها ولد ذكر يخلفه ففى ٢٩ آذار (مارس)
سنة ١٨٣٠ أبطل القانون الذى وضعه فيليب الخامس وما به حرم الاناث تخت الملك وجعل بنته خليفة
له وبذلك حرم أخاه الدون كارلوس ولى العهد مما كان له من الحق المقرر بموجب القانون المذكور وفى سنة
١٨٣٣ توفى فردينندو وكانت ايزابلا فى السنة الثالثة من عمرها فأقيمت ملكة فشهر الدون كارلوس السلاح
وعضده حزب كبير سمى بالكارلوسى نسبة اليه وما تلبث دائرة الخلاف أن اتسعت وصارت الى حرب أهلية
رديئة وانحاز الاكليروس الى الدون كارلوس أما حزب الملكة فسمى بحزب الحرية أو بالحزب النظامى
لان أم الملكة التى استولت على زمام الملك بالنيابة عن ابنتها تعهدت بوضع قانون أساسى لاسبانيا وكان
معظم الشعب من حزب ايزابلا وفى سنة ١٨٣٤ أجمع أكثر أعضاء المجلس العالى على حرمان الدون كارلوس
ونسله الملك وفى سنة ١٨٣٩ عقد الصلح بين الجنرال ماروتو الكارلوسى والجنرال اسبرتيرو النظامى وهرب
الدون كارلوس الى فرنسا وفى أثناء الحرب كانت الملكة النائبة تتردد بين حزب المحافظين أو المعتدلين
وحزب الحرية أما وزارة منديزابال فغيرت النظام ووسعت دائرة قانون الانتخاب وقامت باصلاحات أخرى
غير أن ديوان المشورة الكبير لم يكتف بذلك وطلب اعادة النظام الذى تقرر سنة ١٨١٢ فحصل عليه أخيرا
ثورة حدثت فى مدريد سنة ١٨٣٧ وفى سنة ١٨٣٩ حدثت ثورتان كبيرتان فى برشلونا ومدريد فاكرهت
أم الملكة على الفرار الى فرنسا وفى سنة ١٨٤٠ تولى اسبرتيرو زمام البلاد وفى سنة ١٨٤١ جعل وكيلا
للملك غير أن أصدقاء كرستينا والمحافظين ثاروا عليه واضطروا الى الاستعفاء وكانت الملكة قد ناهزت سن
الرشاد ولم يبق الا ١١ شهرا لبلوغها السن القانونية فضرب عنها المجلس العالى صفحا وأجلسها على تخت الملك
فى ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٨٤٣ وفى سنة ١٨٤٤ وجهت رياسة الوزارة الى الجنرال نرفايز الذى
كان قد تولى رياسة الثائرين وفى السنة التالية غير النظام تغييرا غير موافق لاهل الحرية وفى سنة ١٨٤٦
تزوجت ايزابلا بابن عمها الدون فرنسسكو دواسيس وفقا لمشورة الملك لويس فيليب وفى الوقت نفسه تزوجت
أختها ماريا فردينندا بدوق منبنسيا غير أن زواج الملكة أدى الى تأويلات مستهجنة ووقع الخلاف
بين الزوجين وكثرت الاشاعات فذهب قوم الى أن الملك ليس كفوا للملكة وكان آخرون يتهمون الملكة بخيانة
زوجها وعقدت ايزابلا الصلح مع النمسا وروسيا وفى سنة ١٨٤٩ أنفذت جيشا لمساعدة البابا وفى سنة ١٨٥٢
حاول بعضهم قتلها فحملها الحزب المحافظ على فض المجلس العالى واتخاذ وسائل مشددة ونفى كثيرون من
جنرالية الحزب النظامى وفى سنة ١٨٥٤ قام الجنرال اودونل والجنرال دلشى بثورة عسكرية ومدنية فى
مدريد وتمكن من اقامة حكومة محلية فهربت أم الملكة ثانية الى فرنسا أما ايزابلا فصرحت بالعفو التام
وفتحت مجلسا عاليا جديدا وأباحت بيع الاوقاف وفى سنة ١٨٥٦ حاول أودونل أخذ القوة بالبطش
وأخمدت الملكة ثورات حدثت فى جنوب اسبانيا فتوطد سلطانها وأعادت النظام الذى تقرر سنة ١٨٤٥

فأدى الى نهج سياسة مضادة لاهل الحرية وكانت نتيجة ذلك سقوط وزارة ترفاير في السنة التالية وقيام وزارة أخرى تميل الى الحزب النظامي وذلك في سنة ١٨٥٧ وتولى أودونل قيادة العساكر التي أنفذت لمحاربة مراكش فاستظهر على المراكشيين وانتهت الحرب سنة ١٨٦٠ ثم تداخلت ايزابلا مع فرنسا في أمور مكسيك وأرسلت اليها جيشا تحت قيادة الجنرال بريم سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٢ الا أن الجنرال المذكور لم يلبث أن قصر حبل المداخلة وحاولت الملكة الاستيلاء على سنتو دومنغو وبيرو وشيلي ففشلت وفي سنة ١٨٦٦ استعفى وزراؤها فاضطر الامر الى تقرير قرار مبطل لنظام سنة ١٨٦١ الذي بموجبه ضمت جمهورية دومينيكا الى المملكة وفي السنة نفسها أمرت ببيع جميع الاملاك المختصة بافراد البيت المذكور وصرفت أثمانها في أمور نافعة للامة وفي سنة ١٨٦٦ حملها الاكليروس والوزارة الجديدة التي تألفت تحت رياسة ترفاير على ابطال حرية المطبوعات وجعل التعليم العمومي في أيدي خدمة الدين فحدثت ثورات تولى قيادة بعضها بريم وذلك في السنة نفسها والسنة التالية وكان الثائرون منتشرين في جهات مختلفة من البلاد غير أن مساعيهم هبطت لعدم انتظامهم وخلف ترفاير في رياسة الوزارة غنزالز برافو فضاد أهل الحرية أكثر من سالفه غير أنه سنة ١٨٦٨ ابتدأت الثورة في قادس فانتشرت في الحال في اسبانيا كلها ونشأ عنها فرار الملكة الى فرنسا مع أولادها وعشيقها مرفوري وقسيسها كلاريت فقدم لها نابليون الثالث قصر بو فاه صدرت منه اعلانا الى الشعب الاسبانيولي فأقامت به الحجة على الثورة وفي سنة ١٨٦٨ صرح في مدريد بخلعها فاستوطنت باريز غير أنها أقامت مدة في جنيفا في أثناء الحرب التي جرت بين فرنسا وجرمانيا وفي ٢٥ حزيران (جون) سنة ١٨٧٠ تنازلت عن تخت الملك لابنها الفونس فسمي نفسه الفونس الثاني عشر في اسبانيا

﴿ايزابلا فيليب لوبل الملقبة بالفرنساوية ملكة انكلترا﴾

والدها فيليب ملك فرنسا ولدت سنة ١٢٩٢ وتوفيت سنة ١٣٥٨ وتزوجت أدورد الثاني ملك انكلترا سنة ١٣٠٧ غير أنه أهملها لان ندماءه الاشرار كانوا قد ملكوا قلبه فكان يوافقهم في جميع آرائهم ومشوراتهم فصرحت بخلعه بمساعدة أخيها شارل لوبل واستولت على زمام الملك بالوكالة عن ابنها ادورد الثالث سنة ١٣٢٦ الا أن عشيقها مورتيمر أهلك أدورد الثاني في السنة التالية بعد أن أذاقه أمر العذاب فاغتاظ ابنها وخلع نيرها وأمر بقتل مرتيمر (سنة ١٣٣٠) أما هي فحبسها في سجن ماتت فيه بعد ٢٨ سنة وقد زعم أدورد الثالث وخلفاؤه ان لهم حقا في ملك فرنسا لان ايزابلا المذكورة كانت من البيت الملكي الفرنساوي وقيل انها لما توجهت الى فرنسا لتسوية الخلاف الذي وقع بين أخيها وزوجها رأت كثيرين من الانكليز الهاربين وهم من أصحاب (ارل لنكستر) وكان أكثرهم اقداما ونشاطا شاب اسمه روجر مرتيمر فجمعتهم اليها وقر رأيهم على خلع أدورد وفي شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٣٢٦ وصلت الملكة الى ساحل سفلك بعساكر أجنبية مؤلفة من ٣٠٠٠ مقاتل تحت قيادة (روجر مرتيمر وجون منهنو) فاسرع الملاقاتها أكابر الاشراف والقسوس واستنجد ادورد برعاياه فلم ينجده أحد ففر هاربا الى تخوم ولس فاقتفت الملكة أثره وقبضت عليه في دير نيث من كونتيه كلامرغان وأرسلته الى قلعة كنيلورث وفي تلك الاثناء ألقي القبض على (هيو دسبنسر) وقتل شنقا واجتمع المجلس العالي بأمر ايزابلا ومرتيمر فاصدر قرارا في شهر ينيو سنة ١٣٢٧ يؤذن بسقوط (أدورد اف كرنارفون) ونقله الى قلعة بركلي وكان حرسه من الاوباش فبقي فيها الى أن وجد في ٢١ أيلول عند الصباح ملقى ميتا على فراشه وكان قد سمع صراخ وأنين من غرفته ولم تبق جثته على حالتها الطبيعية فدل ذلك على أنه قتل قتلا ذريعا والمظنون ان أمعاءه أحرقت بحديد محمى

بالنار

بالنار ولما بلغ ادورد الثالث من العمر اثنتى عشرة سنة أخذته والدته الملكة ايزابلا المذكورة الى فرنسا ولبثت مدة فى ولايتى غيناو نيتيو اللتين وهبهما ابنها شارل الرابع ملك فرنسا ادورد الثانى وهنالك عقدت الملكة ايزابلا بين أدورد و بنت فيليب عقد زواج فتزوجها فى ٢٤ يونيو سنة ١٣٢٨ ولما أسر ادورد الثانى وسمى ادورد الثالث ملكا لانكلترا أمرت الملكة ايزابلا بتعيين أربعة أساقفة وعشرة أشراف لكى يقرروا وكالة الملك وكان أكثرهم من حزبها فقرروا لها ولمورتمر الذى صار ارل مرتش حق ادارة المملكة من تلك الاثناء فنقض روبرت بروس شروط الهدنة التى كانت بينه وبين مملكة انكلترا وأنفذ جيشا عظيما تحت قيادة رندولف ودغلاس فحملوا فى كتيبة كبرلاند وأوقعوا بها الخراب والدمار فارسلت ايزابلا ولدها ادورد الى الشمال بجيش يزيد عن الاربعين ألف مقاتل وهنالك حصل بينه وبين الاسكوتسيين وجرى له معهم موقعتان وهم فى حرب كر منيعة جدا فلم يتمكن من التغلب عليهم ويقال انه بكى لما رأى جماعة يسيرة قد استظهروا عليه وانتهت الحرب المذكورة فعقد معاهدة اعترف فيها باستقلال اسكوتسيا تماما وهذه الحالة ألقت المسؤلية على ايزابلا ومرتمر وكانا قد غاظا الشعب بافعالهما ضد ارل اف كنت فاتهما سعيا فى قتله لخيانة كبرى اتهمته بها وذلك سنة ١٣٣٠ وفى السنة نفسها استبد ادورد بالسلطة وتخلص من طاعة أمه ومحبها وقتل مرتمر لخيانة بدت منه وأما ايزابلا فامر بحبسها طول حياتها فى قصر رشنغ حتى توفيت كما تقدم

﴿ايزابلا البافارية ملكة فرنسا﴾

وهى ابنة دوق بافاريا ولدت سنة ١٣٧١ وتوفيت سنة ١٤٣٥ تزوجت شارل السادس سنة ١٣٨٥ فلما جن سنة ١٣٩٢ جعلت رئيسة لمجلس الوكالة الملكية وكان من أعضائه دوق أورليان أخو الملك وجان دوق بورغونيا الملقب بعديم الخوف فحصل بين هذين الاميرين مناظرة شديدة نشأ عنها الخصام الذى جرى بين البورغونيين والارمنياكيين وكانت ايزابلا تميل الى دوق اورليان ويقال انه كان بينهما علائق حبية فانتصر لها دوق برغونيا الشهير وقتل خصمه سنة ١٤٠٧ رغبة فى الانتقام منها فخفها الامر جدا ولكنها رضيت بمعاهدة القائل بحفظ لنفسها السلطات ولما قتل دوق برغونيا نفسه سنة ١٤١٩ واطأت خلفه فيليب لو بون على تسليم فرنسا اليد أجنبية حارمة بذلك من الملك نفس ابنها شارل السابع ووقعت على معاهدة تروا التى بموجبها وجهت تخت فرنسا الى هنرى الخامس ملك انكلترا وذلك سنة ١٤٢٠ وفقدت أهميتها بعد وفاة شارل السادس وهنرى الخامس سنة ١٤٢٢ فلم تكن تتداخل فى الاحكام وفى سنة ١٤٣٥ توفيت ... بتاحتقار الشعب غيرمأسوف عليها

﴿ألمس﴾

المغنية الشهيرة التى فاقت كافة أرباب الالحان وآلات الطرب وحازت شهرة عظيمة لا مزيد عليها وقد جمعت أموالا كثيرة حتى قيل فيها انها سلبت أموال القطر المصرى برقة صنعتها وحلاوة صوتها الشجى وكانت ابنة رجل فقير يتعاطى صنعة الصباغة وكان ظهورها فى أواخر أيام سعيد باشا وأوائل حكم اسماعيل باشا الخديوى وكانت فى ذلك الوقت سائدة على مغنيات مصر لاسيما كنة المغنية الشهيرة وكانت قد أسنت وكانت ألمس صغيرة لا تتجاوز على ما يلغنى الثانية عشرة من سنيها وكان اسمها الحقيقى سكينة ولكنها فى مبادى ظهورها لقبت باسم (ألمس) وقد غلب على الاسم الاصلى فشهرت به وفى أول ظهورها قد طلبت احدى سيدات العائلة الخديوية جملة بنات من بنات الاهالى حسنات الاصوات لاجل تعليمهن الالحان فجاءتها احدى أتباعها بما طلبت ومن جملتهن ألمس فاختبرت أصوات الجميع فلم يرق لها سوى صوت المترجمة

فطلبت اليها الاقامة عندها فامتنعت واعتذرت أنها لا تقدر على ترك والدها الفقير فقبلت عذرها بكل أسف وأنعمت عليها بشئ من النقود وانصرفت ثم بعد ذلك اشتهرت بين سيدات مصر وذواتها فكثر طلبها وتحدث بذكرها الرجال والنساء ولما رأت ساكنة المغنية ذلك خافت على مركزها وشهرتها ان تسترها ألمظ بما منحها الله من حسن الصوت ورقة الصنعة فضمتها اليها وصارت من ضمن أتباعها فاستمر الالتفات الكلي من الاهالي وولاة الامور لجهة ألمظ وصارت ساكنة لا يعبأ بها اذا خلا لها الحسد والحقد فساءت معاملتها ولما رأت المترجمة ذلك انفصلت عنها وجعلت لها تختا خصوصيا وكبر شأنها وطلبها ولاة مصر وذواتها وتركت ساكنة ونسي أمرها فازداد الحقد والحسد لها من جميع مغنين ومغنيات مصر وكان عبده الحمولي المغني الشهير هو المشهور بين الرجال في ذلك الوقت فأخذه الخوف على شهرته وارتعب من اطنابهم كما حصل لساكنة فاظهر لالمظ في بادئ الامر العداوة ووقع الخلاف حتى صار اذا أراد أحد أن يزين أفراحه ويجعل لها رونقا جمع ما بينهما في سامر واحد فيتبارى كل منهما بما عنده من حسن الصنعة ورقة الصوت فيطرب السامعين ويصح فيهم المثل السائر ﴿ تشاحنت المراكب بعمدا الركاب ﴾ ولما رأى ذلك عبده الحمولي وان الاهالي متجهة أفكارها الى جهة ألمظ وكثر مادحوها وقل الالتفات الى جهته عمد الى الحيلة والمكر اللذين يتهم بهما النساء وأظهر لها الحب والود الذي لا يشك فيه وطلب اليها الاقتران وبذل جهده في اتقان الحيلة حتى قبلت اقترانها به وكانت من قبل تزوجت برجل ايراني وانفصلت منه لا أعلم ان كان بموت أو بالحياة ولما دخلت على عبده كان آخر العهد بها فمنعها عن الغناء وتقدم هو فرجعت له شهرته الاولى اذ لم يبق غيره في القطر المصري وأسف الاهالي جميعا من غياب ستاه ألمظ عن عيونهم وحزن الكثير من هذا الاقتران

ولما صارت تحت حكمه سلمت له كل مالها وما تملكه ففتح محل تجارة وحيث انه كان مسرفا في بذل الاموال لم تدم تجارته الا قليلا فقفل محله التجاري وكابدت المترجمة جملة منه ولم تلبث ان توفاها الله بحملها وهي في نضارة الشباب وعنفوان الصبا فأسف عليها المصريون كل الاسف وكان لها يوم مشهود جمع أكابر مصر وأصاغرها واحتفل بمشهدها ونقلها أعناق الرجال وتسقي الارض بانهر من الدمع المدرار

وحزن عبده عليها الحزن الشديد ولحقه الندم على ما فرط منه في معاملتها بالقسوة وحيث انه كان يعاملها بكل فظاظة وهجر حتى قيل انه كان يقصد خسارة أمرها فيركب العربة تقلها الخيل الجياد من خيلها فلا يحملانه أكثر من الاسبوع وخسرت الخسارة ما يفوق عن الثلاثين ألف جنيه وغير ذلك من الخسائر الباهظة فيما عاملها به من الهجر والاعراض فلحقها الهم وندمت من حيث لا ينفع الندم حتى قيل ان ذلك كان سبب موتها لما لحقها من الكدر

فأثر هذا الامر في عبده بعد موتها وثابر على الحزن مدة من الزمن وغنى عليها بالحان محزنة نذكرها على سبيل الاستئناس وهو

﴿ مذهب ﴾

شربت الصبر من بعد التصافي * ومر الحال ما عرفتش اصافي
يغيب النوم وأفكاري توافي * عدمت الوصل آه يا قلبي علي

﴿ دور ﴾

يقضي لوم يكفاني ملامه * وزادني الحال يا الله السلامه
منيت بجمعة فؤادي بالندامه * عدمت الوصل آه يا وعدي علي

﴿ دور ﴾

﴿دور﴾

على عيني بعاد الحلو ساعه * ولكن للقضا سمعا وطاعه
لان الروح في الدنيا وداعه * عدمت الوصل آه يا قلبي علي

﴿دور﴾

زمان الانس راح عني وودع * وصرت اليوم من واشي مولع
وبعد الهجر هو الصبر ينفع * عدمت الوصل آه يا قلبي علي

هذا ما بلغني من ترجمة ألمس ولم أجد من يطلعني على شيء من نوادرها وملحها الكثيرة

(حرف الباء الموحدة)

﴿بافو الملقبة بالطاهرة زوجة السلطان مراد الثالث﴾

هي امرأة من البندقية كانت ذات فكر ثاقب وجمال بارع أسرها اللصوص البحريون سنة ١٥٨٠ وهي سائرة مع أبيها من البندقية الى كورفو فسيقت الى القسطنطينية وصارت فيها من جواري السلطان مراد الثالث ثم تزوجها وجعلها سلطانة واحتد حبها بجامع قلبه فنفذت كلمتها وكانت لها سطوة عجيبة في أيام ابنها السلطان محمد الثالث فكان يستشيرها في مصالح السلطنة غير أن حفيدها السلطان أحمد نقم عليها سنة ١٦٠٣ للميلاد ووضعها في السراية القديمة الى أن ماتت

﴿بثينة حبيبة جميل بن معمر العذري﴾

هي بثينة بنت حبا بن ثعلبة بن الهوذ بن عمرو بن الاحب بن حن بن ربيعة كذلك نسبها صاحب الاغاني وهي من بني عذرة هام بها وذكرها في شعره جميل بن عبد الله بن معمر فعرف بها حتى انه لا يعرف الا جميل بثينة تزوجها رجل يقال له نبيه بن الاسود وبقي جميل يتردد عليها بالريبة وكانت بثينة من أحسن النساء وأكملهن أدبا وظرفا وأطيبهن حديثا ولها مع جميل نوادر وأشعار ومغازلات كثيرة كلها مستورة بالعفة والادب فمنها ان سبب ما علق بها جميل انه أقبل يوما بابله حتى أوردها واديا يقال له بغيض فاضطجع وأرسل ابله ترعى وأهل بثينة بذنب الوادي فأقبلت بثينة وجارة لها واردتين الماء فمرتا على فصال له بروك فنفرتهن بثينة (أي أنفرتهن) فقال قد نفرتهن وكانت اذ ذاك جويرية صغيرة فسبها جميل فبادلته السب وشتمته هي أيضا فاستحسن سبابها وهام بها من ذلك الحين وفي ذلك يقول

وأول ما قاد المودة بيننا * بوادي بغيض يا بثين سباب
وقلنا لها قولا فجاءت بمثله * لكل كلام يا بثين جواب

وخرجت بثينة في يوم عيد وكانت النساء اذ ذاك يتزين ويتجمعن ويبدو بعضهن لبعض ويبدون للرجال في كل عيد فجاء جميل فوقف على بثينة وأختها أم الحسين في نساء من بني الاحب فرأى منهن منظرا لطيفا وتعجب معهن ثم انصرف وكان معه فتيان من بني الاحب فعلم أن القوم قد عرفوا في نظره حب بثينة ووجدوا عليه فراح وهو يقول

عجل الفراق وليته لم يعجل * وجرت بوادر دمعك المتهلل
طربا وشاقك ما لقيت ولم تخف * بين الحبيب غداة برقة مجول
وعرفت أنك حين رحت ولم يكن * بعد اليقين وليس ذلك بمشكل
لن تستطيع الى بثينة رجعة * بعد التفرق دون عام مقبل

ولما سمعت بثينة أن جميلا شبب بها حلفت بالله أن لا يأتيها على خلوة الا خرجت اليه ولا تتوارى منه فكان يأتيها عند غفلات الرجال فيتحدث معها ومع أخواتها حتى نمى الى رجالها أنه يتحدث اليها وكانوا أصلافا (أى غيارى) فرصدوه بجماعة نحو من بضعة عشر رجلا وجاء على الصهباء ناقته حتى وقف ببثينة وأم الحسين وهما يحدثانه وهو ينشدهما قوله

حلفت برب الراقصات الى منى * هوى القط يجتزن بطن دفين

لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقيا * سليمى ولا أم الحسين لحين

فليت رجالا فيك قد نذروا دمى * وهموا بقتلى يا بثين لقونى

فبينما هو على تلك الحال اذ وثب عليه القوم فاطلق عنان الناقة فخرجت من بينهم كالسهم ووعدت جميلا يوما أن يلتقيا فى بعض المواضع فاتى لوعدها وجاء أعرابى يستضيف القوم فانزلوه وقروه فقال لهم قد رأيت فى بطن هذا الوادى ثلاثة نفر متفرقين متوارين فى الشجر وأنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض ابلكم فعرفوا أنه جميل وصاحباه فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده فلما أسفر الصبح انصرف كئيبا سيئ الظن بها ورجع الى أهله فجعل نساء الحى يقرعنه بذلك ويقلن له انما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر وغيرها أولى بوصلك منها كما أن غيرك يحظى بوصلها فقال فى ذلك

فرب عارضة علينا وصلها * بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها فى القول بعد تستر * حبى بثينة عن وصالك شاغلى

لو كان فى صدرى كقدر قلامة * فضلا وصلتك أو أتتك رسائلى

ويقلن انك قد رضيت بباطل * منها فهل لك فى اجتناب الباطل

ولباطل ممن أحب حديثه * أشهى الى من البغيض الباذل

ليزلن عنك هواى ثم يصلننى * واذا هويت فما هواى بزائل

أبثين انك قد ملكت فاسجحى * وخذى بحظك من كريم واصل

وفى وعدها بالتلاقى وتأخرها يقول أيضا قصيدته الرائية التى أولها

يا صاح عن بعض الملامة أقصر * ان المنى للقاء أم المسور

(ومنها)

وكأن طارقها على علل الكرى * والنجم وهنا قد دنا لتغور

يستاف ريح مدامة معجونة * بذكى مسك أو سحيق العنبر

(ومنها)

انى لأحفظ غيبكم ويسرنى * اذ تذكرين بصالح أن تذكرى

ويكون يوم لا أرى لك مرسلا * أو نلتقى فيه على كأشهر

يا ليتنى ألقى المنية بغتة * ان كان يوم لقائكم لم يقدر

أو أستطيع تجلدا عن ذكركم * فيفيق بعض صبابتى وتفكرى

لو قد تجن كما أجن من الهوى * لعذرت أو لظلمت ان لم تعذرى

والله ما للقلب من علم بها * غير الظنون وغير قول المخبر

لا تحسبى أنى هجرتك طائعا * حدث لعمرك رائع أن تهجرى

فلتبكين الباكيات وان أبح * يوما بسرك معلنا لم أعذر

يهواك ما عشت الفؤاد فان أمت * يتبع صداى صداك بين الأقبر

إني إليك بما وعدت لناظر * نظر الفقير إلى الغني المكثر
يعد الديون وليس ينجز موعدا * هذا الغريم لنا وليس بمعسر
ما أنت والوعد الذي تعدينني * إلا كبرق سحابة لم تمطر
قلبي نصحت له فــرد نصيحتي * فمتى هجرتيه فمنه تكثري

والتقت بجميل بعد طول تهاجر كان بينهما طالت مدته فتعاتبا طويلا ثم قالت له ويحك يا جميل أتزعم أنك تهواني وأنت القائل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى * وفي الغر من أنيابها بالقوادح

فأطرق طويلا وهو يبكي وينتحب ثم رفع رأسه وقال بل أنا القائل

ألا ليتني أعمى أصم تقودني * بثينة لا يخفى علي كلامها

فقالت ويحك ما حملك على هذه المنى أوليس في سعة العافية ما كفانا جميعا

وسعت جارية من جواري بثينة بهما إلى أبيها وأخيها وقالت لهما إن جميلا عندها الليلة فأتياها مشتملين سيفهما فرأياه جالسا إليها يحدثها ويشكو إليها وجده بها وشوقه لها ثم قال لها يا بثينة أرأيت ودي إياك وشغفي بك ألا تجزينه قالت بماذا قال بما يكون بين المتحابين فقالت له يا جميل أهذا تبغي والله لقد كنت عندي بعيدا منه ولئن عاودت تعريضا بريبة لا رأيت وجهي بعدها أبدا فضحك من كلامها وقال والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه ولو علمت أنك تجيبيني إليه لعلمت أنك تجيبين غيري ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي أو هجرتك إن استطعت إلى الأبد أوما سمعت قولي

وإني لأرضى من بثينة بالذي * لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى * وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي * أواخره لا نلتقي وأوائله

فقال أبوها لأخيها قم بنا فما ينبغي بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها فانصرفا وتركاهما وقال جميل يوما لأحد أترابه هل لك في مساعدتي على لقاء بثينة فمضى معه حتى كمن له في الوادي وأرسل معه خاتمه إلى راعي بثينة ودفعه إليه فمضى به إليها ثم عاد بوعدها إليه فلما جن الليل جاءته فقعد طويلا حتى أصبحا ثم ودعها وركب ناقته وهي باركة قالت له بثينة ادن مني يا جميل فدنا منها وقال

إن المنازل هيجت أطرابي * واستعجمت آياتها بجوابي
قفر تلوح بذي اللجين كأنها * أنضاء رسم أو سطور كتاب
رزمت بها القلوص تبادرت * مني الدموع لفرقة الأحباب
وذكرت عصرا يا بثينة شاقني * وذكرت أيامي وشرخ شبابي

وقال كثير لقيني جميل مرة فقال لي من أين أقبلت قلت من عند أبي الحبيبة أعني بثينة فقال وإلى أين تمضي قلت إلى الحبيبة أعني عزة فقال لا بد أن ترجع عودك على بدئك فتستجد لي موعدا من بثينة فقلت عهدي بها الساعة وأنا أستحي أن أرجع فقال لا بد من ذلك فقلت متى عهدك بها فقال في أول العيد وقد وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم فخرجت ومعها جارية لها تغسل ثيابها فلما أبصرتني أنكرتني وضربت بيدها إلى ثوب في الماء فالتحفت به (تسترا) وعرفتني الجارية فأخبرتها فتركت الثوب في الماء وتحدثنا حتى غابت الشمس وسألتها الموعد فقالت أهلي سائرون وما وجدت أحدا غيرك يا كثير حتى أرسله إليها فقال له كثير فهل لك في أن آتي الحي فأنزع بأبيات من الشعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها قال ذلك الصواب فأرسله إليها فذهب وقال انتظرني حتى أعود ثم سار حتى أناخ بهم فقال له أبوها

ما ردك يا كثير قال ثلاثة أبيات عرضت لي فأحببت أن أعرضها عليك قال هاتها قال كثير فأنشدته وبثينة تسمع من وراء الخدر

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي * اليك رسولا والموكل مرسل
بأن تجعلي بيني وبينك موعدا * وان تأمريني بالذي فيه أفعل
وآخر عهدي منك يوم لقيتني * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فضربت بثينة صدرها وقالت اخسأ اخسأ فقال أبوها مهيم يا بثينة قالت كلب يأتينا اذا نام الناس من وراء هذه الرابية ثم التفتت الى الجارية وقالت أبغينا من الدومات حطبا لنذبح لكثير شاة ونشويها له فقال كثير أنا أعجل من ذلك وخرج وراح الى جميل فأخبره فقال له جميل الموعد الدومات بعد أن تنام الناس وكانت بثينة قد قالت لاختها أم الحسين وليلى ونجيات خالتها اني قد رأيت في نحو نشيد كثير أن جميلا معه وكانت قد أنست اليهن واطمأنت بهن وكاشفتهن بأسرارها فخرجن معها وكان جميل وكثير جاءا الى الدومات (اسم محل) وجاءت بثينة ومن معها فما برحوا حتى برق الصبح فكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن من ذلك المجلس ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر ولم أدر أيهما كان أفهم

ولما اهدر أهل بثينة دم جميل وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل فكان يصعد بالليل كثيب رمل ويتنسم الريح من نحو حي بثينة ويقول

أيا ريح الشمال أما تريني * أهيم وانني بادي النحول
هبي لي نسمة من ريح بثن * ومني بالهبوب الى جميل
وقولي يا بثينة حسب نفسي * قليلك أو أقل من القليل

فاذا ظهر الصبح انصرف وكانت بثينة تقول لجوار من الحي عندها ويحكن اني لأسمع أنين جميل من بعض الغيران فيقلن لها اتقي الله فهذا شيء يخيله لك الشيطان لا حقيقة له واجتمع كثير بجميل يوما فقال له يا جميل أترى بثينة لم تسمع بقولك

يقيك جميل كل سوء أما له * لديك حديث أو اليك رسول
وقد قلت في حبي لكم وصبابتي * محاسن شعر ذكرهن يطول
فان لم يكن قولي رضاك فعلمي * هبوب الصبا يا بثن كيف أقول
فما غاب عن عيني خيالك لحظة * ولا زال عنها والخيال يزول

فقال جميل أترى عزة يا كثير لم تسمع بقولك

يقول العدا يا عز قد حال دونكم * شجاع على ظهر الطريق مصمم
فقلت لها والله لو كان دونكم * جهنم ما راعت فؤادي جهنم
وكيف يروع القلب يا عز رائع * ووجهك في الظلماء للسفر معلم
وما ظلمتك النفس يا عز في الهوى * فلا تنقمي حبي فما فيه منقم

قال فبقيا ليلتهما الى أن بزغ الصباح ثم انصرفا وخرج جميل لزيارة بثينة ذات يوم فنزل قريبا من الماء يترصد أمة لبثينة أو راعية ليتخذها واسطة لتبليغ رسالته واذا بأمة حبشية معها قربة واردة على الغدير وكانت عارفة به ولما رأته سلمت عليه وجلست معه وجعل يحدثها ويسألها عن أخبار بثينة ويخبرها بما ناله من ألم الفراق ويحملها رسائل الى بثينة ثم أعطاها خاتمه وسألها أن تدفعه لها وأن تأخذ عليها موعدا يجتمع له فيه ومكث ينتظر رجوعها وذهبت الجارية الى أهلها وقد أبطأت عليهم فلقيها

أبو بثينة وزوجها وأخوها فسألوها عما أبطأ بها فالتوت عليهم ولم تخبرهم بشيء مما حصل لها مع جميل وتمللت عليهم فضربوها ضربا مبرحا ومن ألم الضرب أعلمتهم بما لها مع جميل ودفعت اليهم نمائقه وصدف أنه مر بها في تلك الحالة فتيان من بني عذرة فسمعا القصة جميعها وعرفا الموضع الذي فيه جميل فأحبا أن يدرآ عنه هذا الخطر فقالا للقوم انكم ان لقيتم جميلا وليست بثينة معه ثم قتلتموه لزمكم في ذلك كل مكروه وكان أهل بثينة أعز بني عذرة فدعوا الامة وأعطوها الخاتم وأمروها أن توصله الى بثينة وحذروها من أن تخبرها أنهم علموا القصة ففعلت ولم تعلم بثينة بما جرى ومضى الفتيان فأنذرا جميلا وقالا انهم عند نافي يوتاحتى يهدأ الطلب ثم نبعث اليها فتزورك وتقضي من لقائها وطرا وتنصرف سليما فقال أما الآن فابعثا اليها من ينذرها فأتيا براعية لهما وقالا لها قل بحاجتك فقال ادخلي اليها وقولي لها اني أردت اقتناص ظبي فحذره ذلك جماعة اعتوروه من القناص ففاتني الليلة فمضت فأعلمتها ما قال لها فعرفت قصته وبحثت عنها فعلمتها فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصدوها فلم تبرح من مكانها ومشوا يقتفون أثره فوجدوا ناقته فعرفوا انه قد فاتهم وفي ذلك يقول جميل

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما * على عذبة الانياب طيبة النشر

ألما بها ثم اشفعا لي وسلما * عليها سقاها الله من سائغ القطر

﴿وقال﴾

أبى القلب الا حب بثنة لم يرد * سواها وحب القلب بثنة لا يجدي

اذا ما دنت زدت اشتياقا وان نأت * جزعت لنأي الدار منها وللبعد

سلي الركب هل عجنا لمغناك مرة * صدور المطايا وهي موقرة تخدي

وهل فاضت العين الشروق بمائها * من أجلك حتى اخضل من دمعها بردي

واني لأستجري لك الطير جاهدا * لتجري بيمن من لقائك من سعدي

واني لأستبكي اذا الركب غردوا * بذكراك أن يحيا بك الركب اذ يحدي

فهل تجزيني أم عمرو بودها * فان الذي أخفي بها فوق ما أبدي

وكل محب لم يزد فوق جهده * وقد زدتها في الحب مني على الجهد

ولما ضاقت برهط بثينة الحيل اتفقوا عليها وزاملهم يثقون بها يقال لها أم منظور رقباءها جميل وقال لها أريني بثينة فقالت لا والله لا أفعل وقد اتفقوا علي فيها فقال أما والله لأضرنك فقالت المضرة والله في أن أريكها فخرج من عندها وهو يقول

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت * بالحجر يوم جلتها أم منظور

ولا انسلابتها خرسا جبائرها * الي من ساقط الاوراق مستور

قال فما كان الا قليل حتى انتهى اليهم هذان البيتان فتعلقوا بأم منظور فحلفت لهم بكل يمين فلم يقبلوا منها وعاقبوها على ذلك هكذا رواه صاحب الاغاني عن الزبير بن بكار وفي رواية أخرى أن رجلا أنشد مصعب ابن الزبير البيت الاول من البيتين المذكورين فقال مصعب لوددت أني عرفت كيف جلتها فقيل له ان أم منظور هذه حية فكتب في حملها اليه مكرمة فحملت اليه فقال لها أخبريني عن قول جميل

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت * بالحجر يوم جلتها أم منظور

كيف كانت هذه الجلوة قالت ألبستها قلادة بلح وخنقة بلح في وسطها تفاحة وضفرت شعرها وجعلت في فرقها شيأ من الخلوق ومر بنا جميل راكبا على ناقته فجعل ينظر اليها بمؤخر عينه ويلتفت اليها حتى غاب عنا

فقال لها مصعب فإني أقسم عليك إلا جلوت عائشة بنت طلحة مثل ما جلوت بثينة ففعلت وركب مصعب ناقته وجعل ينظر إلى عائشة بمؤخر عينه مثل ما فعل جميل ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع

وجاء جميل إلى بثينة ليلة وقد تزيا بزي راع لبعض الحي فوجد عندها ضيفانا لها فانتبذ ناحية وجلس فيها فسألته من أنت فقال مسكين مكاتب فقعدت ضيفانها وعشته وحده ثم جلست هي وجارية لها تجاه النار تصطليان واضطجع القوم منتحين فقال جميل

هل البائس المقرور دان فمصطل * من النار أو معطى لحافا فلابس

فقالت لجاريتها صوت جميل والله اذهبي فانظري فذهبت ثم رجعت وقالت هو والله جميل فشهقت شهقة سمعها القوم فأقبلوا يجرون وقالوا ما لك فطرحت بردا لها من حبرة في النار وقالت احترق بردي فرجع القوم وأرسلت جاريتها إلى جميل فجاءتها به فحبسته عندها ثلاث ليال ثم ودعها وخرج

ورصدها ليلة في جمع لبني عذرة حتى إذا صادف منها فرصة وهي مارة مع أترابها في ليلة ظلماء ذات رعود وأمطار فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها ففزعت وقالت والله ما حذفني في مثل هذا الوقت إلا الجن فقالت لها بثينة وقد فطنت انصرفن إلى منازلكن حتى نذهب إلى النوم فانصرفن وبقي مع بثينة أم الحسين وأم منظور فقامت إلى جميل فأخذته إلى الخباء معها وتحدثا طويلا ثم اضطجع واضطجعت إلى جانبه فذهب بهما النوم حتى أصبحا وجاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به إليها زوجها (يظهر من تواريخ العرب أنهم كانوا على الطريقة التي اتخذها الافرنج في وقتنا هذا بأن الزوج لا يرقد وزوجته في محل واحد بل كل منهما في محل) فلما رآها نائمة مع جميل مضى لوجهه حتى يخبر سيده فرأته ليلى والصبوح معه وكانت قد عرفت خبر بثينة وجميل فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعثت بجاريتها إليها وقالت حذري بثينة وجميلا فجاءت الجارية فنبهتهما فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء والناس منتشرين ارتاعت وقالت يا جميل نفسك نفسك فقد جاءني غلام زوجي بصبوح من اللبن فرآنا نائمين فقال لها وهو غير مكترث لما خوفته منه

لعمرك ما خوفتني من مخافة * بثين ولا حذرتني موضع الحذر

فأقسم لا يلفي لي اليوم غرة * وفي الكف مني صارم قاطع ذكر

فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت النضد وقالت إنما أسألك ذلك خوفا على نفسي من الفضيحة لا خوفا عليك ففعل ما أمرته به ونامت كما كانت وضجعت أم الحسين إلى جانبها وذهبت خادمة ليلى وأخبرتها الخبر فتركت العبد يمضي إلى سيده فمضى والصبوح معه وقال إني رأيت جميلا مع بثينة في فراش واحد مضطجعا إلى جانبها فمضى إلى أخيها وأبيها وأخبرهم الخبر وأخذهما وأتى بهما إلى خباء بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب فإذا أم الحسين إلى جانبها نائمة فخجل زوجها وسب عبده وقالت ليلى لأخيها وأبيها قبحكما الله أفي كل يوم تفضحان فتاتكما ويلقاكما هذا الأعور فيها بكل قبيح قبحه الله وقبحكما معه وجعلا يسبان زوجها ويقولان له كل قول قبيح وأقام جميل عند بثينة حتى جن الليل ثم ودعها وانصرف وخافت بثينة مما جرى فتحامت لقاءه مدة فقال في ذلك

أأن هتفت ورقاء ظلت سفاهة * تبكي على جمل لورقاء تهتف

فلو كان لي بالصرم يا صاح طاقة * صرمت ولكني عن الصرم أضعف

لها في سواد القلب بالحب منعة * هي الموت أو كادت على الموت تشرف

وما ذكرتك النفس يا بثن مرة * من الدهر إلا كادت النفس تتلف

وإلا اعترتني زفرة واستكانة * وجاد لها سجل من الدمع يذرف

وما استطرفت نفسي حديثا لخلة * أسر به إلا حديثك أطرف

وهي قصيدة طويلة منها قوله

ولست بناس أهلها حين أقبلوا * وجالوا علينا بالسيوف وطوّفوا
وقالوا جميل بات في الحي عندها * وقد جردوا أسيافهم ثم وقفوا

ولما اشتهرت بثينة بحب جميل اياها اعترضه عبيد الله بن قطبة أحد بني الاحب وهو من رهطها الاقربين فهجاه وبلغ ذلك جميلا فأجابه وتطاولا فغلبه جميل وكف عنه ابن قطبة واعترضه عمير بن رمل رجل من بني الاحب أيضا واياه عنى جميل بقوله

اذا الناس هابوا خزية ذهبت بها * أحب المخازي كهلها ووليدها
لعمر بجور طرقت بالخنى * عمير بن رمل لابن حرب أقودها
بنفسي فلا تقطع فؤادك ضلة * كذلك حزني وعثها وصعودها

قال فاستعدوا عليه عامر بن ربعي وكان الحاكم على بلاد عذرة وقالوا يهجونا ويغشى بيوتنا وينسب بنسائنا فأباحهم دمه وطلبه فهرب وغضبت عليه بثينة لهجائه أهلها جميعا فقال جميل

وما صائب من نابل قذفت به * يد وممرّ العقدتين وثيق
له من خوافي النسر حم نظائر * ونصل كنصل الزاعبي فتيق
على نبعة زوراء أما خطامها * فمتن وأما عودها فعتيق
بأوشك قتلا منك يوم رميتني * نوافذ لم تظهر لهن خروق
تفرق أهلانا بثين فمنهم * فريق أقاموا واستمر فريق
فلو كنت خوارا لقد باح مضمري * ولكنني صلب القناة عريق
كأن لم نحارب يا بثين لو انه * تكشف غماها وأنت صديق

وبعد ذلك بمدة وقع الصلح بينه وبينهم وأخذ منهم وعدا باللقاء فوجدوه عندها فأعذروا اليه وتوعدوه وكرهوا قتله خوفا من أن تنشب بينهم وبين قومه حرب بسببه وكان قومه أشد بأسا من قوم بثينة فأعادوا الشكوى الى السلطان فطلبه طلبا شديدا فهرب الى اليمن فأقام بها مدة ومن شعره وهو في اليمن

ألم خيال من بثينة طارق * على النأي مشتاق الي وشائق
سرت من تلاع الحجر حتى تخلصت * الي ودوني الاشعرون وغافق
كأن فتيت المسك خالط نشرها * تغل به أردانها والمرافق
تقوم اذا قامت به عن فراشها * ويغدو به من حضنها من تعانق

ولم يزل في اليمن الى أن عزل ذلك الوالي وانتقل أهل بثينة الى ناحية الشام فرجع اليهم فشكا أكابر الحي الى أبيه وكان ذا سن وفضل وقدر في أهله فناشدوه الله والرحم وسألوه كف ابنه عن فتياتهم وعن تشبيبه بهما وما يفضحهم به بين الناس فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع ثم انصرفوا فدعا به وقال له يا بني حتى متى أنت أعمى في ضلالك ألا تأنف من أن تتعلق في ذات بعل يخلو بها وأنت عنها بمعزل تغرك بأقوالها وخداعها وتريك الصفاء والمودة وهي مضمرة لبعلها ما تضمر الحرة لمن ملكها فيكون قولها لك تعليلا وغرورا فاذا انصرفت عنها عادت الى بعلها على حالتها المبذولة ان هذا لذل وضيم وما أعرف أخيب سهما ولا أضيع عمرا منك فأنشدك الله الا كففت وتأملت في أمرك فانك تعلم أن ما قلته حق ولو كان اليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها ولكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدر له وفي النساء عوض فقال له جميل الرأي ما رأيت والقول كما قلت ولكن هل رأيت قبلي أحدا قدر أن يدفع هواه عن قلبه أو ملك أن يسلي نفسه أو استطاع أن يدفع ما قضي عليه والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت

ولا سبيل الى ذلك وانما هو بلاء بليت به لحين قد أتيح لى ولكن أنا أمتنع من طروق هذا الحى والالمام به ولو مت كمدا وهذا جهدى ومبلغ ما أقدر عليه وقام وهو يبكى فبكى أبوه ومن حضر جزعا لما رأوا منه من حب بثينة ثم أنشد

ألا من لقلب لا يمل فيذهل * أفق فالتعزى عن بثينة أجمل
سلا كل ذى ود علمت مكانه * وأنت بها حتى الممات موكل
فما هكذا أحببت من كان قبلها * ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل
فيا قلب دع ذكرى بثينة انها * وان كنت تهواها تضن وتبخل
وقد أيأست من نيلها وتجهمت * ولليأس ان لم يقدر النيل أمثل
والا فسلها نائلا قبل بينها * وأبخل بها مسؤلة حين تسئل
وكيف ترجى وصلها بعد بعدها * وقد جذ حبل الوصل ممن تؤمل
وان التى أحببت قد حيل دونها * فكن حازما والحازم المتحول
ففى اليأس ما يسلى وفى الناس خلة * وفى الارض عمن لا يواتيك معزل
بدا كلف منى بها فتثاقلت * وما لا يرى من غائب الوجد أفضل
هبينى بريئا نلته بظلامة * عفاها لكم أو مذنبا يتنصل
قناة من المران ما فوق حقوها * وما تحته منها نقا يتهيل

والتقى جميل بعمر بن أبى ربيعة فقال له يا جميل قم بنا نذهب الى زيارة بثينة قال قد أهدر اهم السلطان دمى ان وجدونى عندها وها هى تلك أبياتها فاذهب اليها فأتاها عمر حتى وقف على أبياتها فقال يا جارية أنا عمر بن أبى ربيعة فأعلمى بثينة مكانى فأعلمتها فخرجت اليه فى مباذلها وقالت والله يا عمر لا أكون من نسائك اللاتى يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك فانكسر عمر وقال لها قول جميل

وهما قالتا لو ان جميلا * عرض اليوم نظرة فرآنا
بينما ذاك منهما وأتانى * أعمل النص سيره زفيانا
نظرت نحو تربها ثم قالت * قد أتانا وما علمنا منانا

فقالت انه استملى منك فما أفلح وقد قيل (اربط الحمار مع الفرس فان لم يتعلم من جريه تعلم من خلقه) فخجل من قولها وانصرف

ولما ضاقت بجميل الحيل وأراد الخروج الى الشام هجم ليلا على بثينة وقد وجد غفلة فى الحى فقالت له أهلكتنى والله وأهلكت نفسك ويحك أما تخاف فقال لها هذا وجهى الى الشام وانما جئتك مودعا فحادثها طويلا ثم ودعها وقال يا بثينة ما أرانا نلتقى بعد هذا وبكى بكاء طويلا وبكت ثم قال وهو يبكى

ألا لا أبالى جفوة الناس ما بدا * لنا منك رأى يا بثين جميل
وما لم تطيعى كاشحا أو تبدلى * بنا بدلا أو كان منك ذهول
وانى وتكرارى الزيارة نحوكم * بثين بذى هجر بثين يطول
وان صباباتى بكم لكثيرة * بثين ونسيانيكم لقليل

وخرج الى الشام وطال غيابه فيها ثم قدم وبلغ بثينة خبره فراسلته مع بعض نساء الحى تذكر شوقها اليه ووجدها به وطلبها للحيلة فى لقائه وواعدته لموضع يلتقيان فيه فسارا اليها وحدثها وبث اليها أشواقه وأخبرها خبره بعدها وقد كان أهلها رصدوها فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما فوثب جميل وانتضى سيفه وشد عليهما فاتقياه بالهرب وناشدته بثينة الله الا انصرف وقالت له ان أقمت فضحتنى

ولعل الحي أن يلحقوا بك فأبى وقال أنا مقيم وامض أنت وليصنعوا بي ما أحبوا فلم تزل تنشده حتى انصرف وقد هجرته وانقطع التلاقي بينهما مدة وفي ذلك يقول

أ لم تسأل الربع الخلاء فينطق * وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق
وقفت بها حتى تجلت عمايتي * ومل الوقوف الارحبي المنوق
تعزوان كانت عليك كريمة * لعلك من رق لبثنة تعتق
لعمرك ان البعاد لشائق * وبعض بعاد البين والنأى أشوق
لعلك محزون ومبد صبابة * ومظهر شكوى من أناس تفرقوا
وبيض غريرات تثنى خصورها * اذا قمن أعجاز ثقال وأسوق
غرائر لم يلقين بؤس معيشة * يجن بهن الناظر المتنوق
وأغفلت من وجد اليمين بعدما * سريت وأحشائي من الخوف تخفق
معي صارم قد أخلص القين صقله * له حين أغشيه الضريبة رونق
فلولا احتيالي ضقن ذرعا بزائر * به من صبابات الهوى أولق
تسوق بقضبان الاراك مفلجا * يشعشع فيه الفارسي المروق
أبثنة للوصل الذي كان بيننا * نضا مثل ما ينضو الخضاب فيخلق
أبثنة ما تنأين الا كأنني * بنجم الثريا ما نأيت معلق

وأقام مرة لا يلم بها ثم انى ابن عمه روقا ومسعدا فشكا اليهما ما به وأنشدهما قوله

زورا بثينة فالحبيب مزور * ان الزيارة للمحب يسير
ان الترحل أن تلبس أمرنا * واعتاقنا قدر أحم بكور
انى عشية رحت وهي حزينة * تشكو الى صبابة لصبور
وتقول بت عندي فديتك ليلة * أشكو اليك فان ذاك يسير
غراء مبسام كأن حديثها * در تحسدر نظمه منثور
محطوطة المتنين مضمرة الحشا * ريا الروادف خلقها ممكور
لا حسنها حسن ولا كدلالها * دل ولا كوقارها توقير
ان اللسان بذكرها لموكل * والقلب صاد والخواطر صور
ولئن جزيت الود مني مثله * انى بذلك يا بثين جدير

فقال له روق انك لعاجز ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وترك الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود من هو أجمل منها وانك منها بين فجور أرفعك عنه أو ذل لا أحبه لك أو كمد يؤديك الى التلف أو مخاطرة بنفسك لقومها ان تعرضت لها بعد اعذارهم اليك وان صرفت نفسك عنها وغلبت هواك فيها وتجرعت مرارة الحزم وتصبرت نفسك عليها طائعة له أو كارهة ألفت ذلك وسلوت فبكى جميل وقال يا أخي لو ملكت اختياري لكان ما قلت صوابا ولكني لا أملك لي اختيارا ولا أنا الا كالاسير لا يملك لنفسه نفعا وقد جئتك لامر أسألك أن لا تكدر ما رجوته عندك فيه باللوم وأن تحمل على نفسك في مساعدتي فقال له فان كنت لا بد مهلكا نفسك فاعمل على زيارتها ليلا فانها تخرج مع بنات عمها الى ملاعب لهن فأجيء معك حينئذ سرا ولي أخ من رهط بثينة من بني الاحب نأوي عنده نهارا فأسأله مساعدتك على هذا فتقيم عنده أياما نهارك وتجتمع معها بالليل الى أن تقضي أربك فشكره ومضى روق الى الرجل الذي من رهط بثينة فأخبره الخبر واستعهده كتمانه وسأله مساعدته فيه فقال له لقد جئتني باحدى العظائم ويحك ان في هذا معاداة الحي جميعا ان

فطن به فقال أنا أتحرز في أمره من أن يظهر فواعده في ذلك ومضى الى جميل فأخبره بالقصة فأتيا الرجل ليلا فأقاما عنده وأرسل الى بثينة بوليدة له بخاتم جميل فدفعته اليها فلما رأته عرفت فتبعتها وجاءته فتحدثا ليلتهما وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودعها وقال لها عن غير قلى والله ولا ملال يا بثينة كان وداعي لك ولكني قد تذممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقومه وقد أقمت عنده ثلاثا ولا مزيد على ذلك ثم انصرف وقال في عذل روقه

لقد لامني فيها أخ ذو قرابة * حبيب اليه في ملامته رشدي

وقال أفق حتى متى أنت هائم * ببثنة فيها قد تعيد وقد تبدي

فقلت له فيها قضى الله ما ترى * علي وهل فيما قضى الله من رد

فان يك رشدا حبها أو غواية * فقد جئته ما كان مني على عمد

لقد لج ميثاق من الله بيننا * وليس لمن لم يوف لله من عهد

فلا وأبيها الخير ما خنت عهدها * ولا لي علم بالذي فعلت بعدي

وما زادها الواشون الا كرامة * علي وما زالت مودتها عندي

أفي الناس أمثالي أحب فحالهم * كحالي أم أحببت من بينهم وحدي

وهل هكذا يلقى المحبون مثل ما * لقيت بها أم لم يجد أحد وجدي

قيل وقع بين بثينة وجميل هجر في غيرة تغايرا عليها من فتى كان يتحدث اليهما من بني عمها فكان جميل يتحدث الى غيرها فيشق ذلك على بثينة وعلى جميل وجعل كل واحد منهما يكره أن يبدي لصاحبه شأنه فدخل جميل يوما وقد غلب عليه الامر الى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بثينة فلما رأته جاءت الى البيت ولم تبرز له تجزع لذلك وجعل كل واحد منهما يطالع صاحبه وقد بلغ الامر من جميل كل مبلغ فأنشأ يقول

لقد خفت أن يغتالني الموت عنوة * وفي النفس حاجات اليك كما هيا

واني لتثنيني الحفيظة كلما * لقيتك يوما أن أبثك ما بيا

ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني * أظل اذا لم أسق ريقك صاديا

فرقت له بثينة وقالت لمولاة لها كانت معها ما أحسن الصدق بأهله ثم اصطلحا فقالت له أنشدني قولك

تظل وراء الستر ترنو بلحظها * اذا مر من أترابها من يروقها

فأنشدها اياها فبكت وقالت كلا يا جميل ومن ترى أنه يروقني غيرك

وروى بعضهم عن عجوز من بني عذرة قالت كنا على ماء لنا بالجناب وقد تجنبنا الجادة لجيوش كانت تأتينا من قبل الشام تريد الحجاز وقد خرج رجالنا لسفر وخلفوا معنا أحداثا فانحدروا ذات عشية الى صرم قريب منا يتحدثون الى جوار منهم فلم يبق غيري وغير بثينة اذ انحدر علينا منحدر من هضبة تلقاءنا فسلم ونحن مستوحشون وجلون فتأملته ورددت السلام فاذا جميل فقلت أجميل قال اي والله واذا به لا يتماسك جوعا فقمت الى قعب لنا فيه أقط مطحون والى عكة فيها سمن ورب فعصرتها على الاقط ثم أدنيتها منه وقلت أصب من هذا فأصاب منه وقمت الى سقاء فيه لبن فصببت عليه ماء باردا فشرب منه وتراجعت نفسه فقلت له لقد بلغت ولقيت شرا فما أمرك قال أنا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاث ما أريمها أنتظر أن أرى فرجة فلما رأيت منحدر فتيانكم أتيتكم لأودعكم وأنا عامد الى مصر فتحدثنا ساعة ثم ودعنا وشخص فلم تطل غيبته أن جاءنا نعيه وروي عن رجل كان شاهد جميلا لما حضرته الوفاة بمصر قال انه دعاه فقال هل لك في أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئا أعهده اليك قال فقلت اللهم نعم قال اذا أنا مت فخذ حلتي هذه التي في عيبتي فاعزلها جانبا ثم كل شيء سواها لك وارحل الى رهط بني الاحب من عذرة وهم رهط بثينة فاذا

صرت اليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرف وصح بهذه الابيات وخلاك ذم ثم أنشدني هذه الابيات

صدع النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول

ولقد أجر الذيل في وادي القرى * نشوان بين مزارع ونخيل

قومي بثينة فاندبي بعويل * وابكي خليلك دون كل خليل

قال فلما قضى وواريته أتيت رهط بثينة ففعلت ما أمرني به جميل فما استتممت الابيات حتى برزت الي امرأة يتبعها نسوة قد فرعتهن طولا وبرزت أمامهن كأنها بدر قد برز في دجنة وهي تتعثر في مرطها حتى أتتني فقالت يا هذا والله لئن كنت صادقا لقد قتلتني ولئن كنت كاذبا لقد فضحتني قلت والله ما أنا الا صادق وأخرجت حلته فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها واجتمع نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشيا عليها ساعة ثم قامت وهي تقول

وان سلوي عن جميل لساعة * من الدهر ما حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر * اذا مت بأساء الحياة ولينها

وقيل انها كررت هذين البيتين حتى ماتت بعد ثلاثة أيام من سماعها بموت جميل وله فيها أشعار كثيرة ولو أنه لم يقل فيها سوى هذين البيتين لكفاها شهرة وفخرا وهما قوله من قصيدة طويلة هي من ثمين أشعاره

هي البدر حسنا والنساء كواكب * وشتان ما بين الكواكب والبدر

لقد فضلت بثن على الناس مثل ما * على ألف شهر فضلت ليلة القدر

﴿بثينة ابنة المعتمد بن عباد﴾

أمها الرميكية كانت بثينة هذه نحوا من أمها في الجمال والنادرة ونظم الشعر ولما أحيط بأبيها ووقع النهب في قصره كانت في جملة من سبي ولم يزل المعتمد والرميكية عليها في وله دائم لا يعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليهما وكان أحد تجار اشبيلية اشتراها على أنها جارية ووهبها لابنه فنظر في شأنها وهيئت له فأراد الدخول عليها فامتنعت وأظهرت نسبها وقالت لا أحل لك الا بعقد وان أذنت بخاطبة والدي بذلك فعلت واني أحب أن أكون قرينتك في سنة الله تعالى فوقع عنده كلامها موقعا عذبا وداخله سرور زائد لكونه صاهر المعتمد بن عباد وان كان في نكبته وأذن لها بما أرادت فكتبت لابيها تستأذنه وكان الذي كتبته بخطها ما صورته

اسمع كلامي واستمع لمقالتي * فهي السلوك بدت من الاجياد

لا تنكروا أني سبيت واني * بنت لملك من بني عباد

ملك عظيم قد تولى عصره * وكذا الزمان يؤول للافساد

لما أراد الله فرقة شملنا * وأذاقنا طعم الاسى من زاد

قام النفاق على أبي في ملكه * فدنا الفراق ولم يكن بمرادي

فخرجت هاربة فحازني امرؤ * لم يأت في اعجاله بسداد

اذ باعني بيع العبيد فضمني * من صانني الا من الانكاد

وأرادني لنكاح نجل طاهر * حسن الخلائق من بني الامجاد
ومضى الملك بسوم رأيك في الرضا * ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعسالك يا أبتي تعرفني به * ان كان ممن يرتجى لوداد
وعسى ومسكية الملوك بفضلها * تدعو لنا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها الابيها وعرف ما تحمله واقع في شراك الكروب والازمات سر هو وأمها بحياتها ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتها اذ علما ما آل اليه أمرها وجبر كسرها اذ ذاك أخف الضررين وان كان الكرب قد ستر القلب منه بحجاب وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الشاب المذكور وكتب اليها أثناء كتابه

بنيتي كوني به برة * فقد قضى الدهر باسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد وقد أضربنا عنها خوف الخروج عن الموضوع

﴿بدور وقيل قدور الساحرة﴾

هي امرأة مصرية ساحرة كانت في زمان دلوكة وكانت السحرة تعظمها وتقدمها ولما حل ما حل بفرعون والمصريين من الغرق في البحر الاحمر عند اتباعهم بني اسرائيل ولم يبق في مصر من الرجال المقدمين والابطال من يقدر على حفظ البلاد بعثت دلوكة الى بدور تقول لها انا قد احتجنا الى سحرك وفزعنا الملوك ولا نأمن أن يطمع فينا الملوك فاعملي لنا شيأ نغلب به من حولنا وقد كان فرعون يحتاج اليك فكيف وقد ذهب أكابرنا وبقي أقلنا فبنت بدور بربى من حجارة في وسط مدينة منف وجعلت لها أربعة أبواب الى جهة القبلي والبحري والشرق والغرب وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم عملا يهلك به كل من أرادكم من أي جهة تؤتون منها برا وبحرا وهذا يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنة من أتاكم من كل جهة فانهم ان كانوا في البر على خيل أو بغال أو ابل أو في سفن أو رجالة تحركت هذه الصور فيصيبهم في أنفسهم قيل ولم تزل تلك العجوز تدبر مصر نحو أربعمائة سنة وكلما انهدم من تلك البربى شئ لم يقدر على اصلاحه الا هي أو ولدها أو ولد ولدها ولما انقرض بيتها تهدمت البربى ولم يقدر أحد على اصلاحها ذكر ذلك المقريزي

﴿بديعة ابنة السيد سراج الدين الرفاعي﴾

كانت ذات عرفان ويقين وبكاء وحنين أخذت عن أبيها وسمع منها الامام محمد الوتري وغيره وحدثت ولها شعر عجيب ومنه قولها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

رسول الهدى أدعوك والقلب خاشع * هلوع فيا الغارة الاحمدية
عليك تحياتي ولولاك همتي * محيطة حد عن مقام التحية
فانك مصباح الوجودات كلها * وشمس أسارير الهدى البرية

ولها كرامات ومناقب وأحوال ظاهرة وكانت من احياء الدين وعلم الشرع بمنزلة رفيعة وتوفيت رضي الله عنها سنة ٨٩٠ هجرية

﴿بذل المغنية﴾

هي من مولدات المدينة ربيت بالبصرة وهي من المتقدمات الموصوفات بكثرة الرواية للاغاني قيل كانت تغني ثلاثين ألف صوت ولها كتاب في الاغاني يشتمل على ١٢ ألف صوت وكانت طريقة الوجه لطيفة المحاضرة وأخذت عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وابن جامع وابراهيم الموصلي وطبقتهم وقرأت على جحظة البرمكي واشتراها جعفر بن محمد الهادي فوصفت لمحمد الامين بن الرشيد فبعث الى جعفر يسأله أن يريه اياها فأبى فزاره محمد الى بيته فسمع شيأ لم يسمع مثله فقال لجعفر يا أخي بعني هذه الجارية فقال ياسيدي مثلي لا يبيع جارية قال فهبها لي قال هي مدبرة منزلي فاحتال عليه محمد حتى أسكره وأمر ببذل فحملت معه الى الحراقة وانصرف بها فلما انتبه جعفر سأل عنها فأخبر بخبرها فسكت فبعث اليه محمد من الغد فجاءه وبذل جالسة فلم يقل شيأ فلما أراد جعفر أن ينصرف قال محمد أوقروا حراقة ابن عمي دراهم فأوقرت قيل كان مبلغ المال ألف ألف درهم وبقيت بذل في دار محمد الى أن قتل ثم خرجت فكان ولد جعفر وولد محمد يدعون ولاءها فلما ماتت ورثها عبد الله بن محمد الامين وقيل وهب لها محمد من الجواهر شيأ لم يملك أحد مثله فكانت تخرج منه الشيء بعد الشيء فتبيعه بالمال العظيم فكان ذلك معتمدها مع ما يصل اليها من الخلفاء الى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة ولم تقبل أن تتزوج وقد رغبت اليها وجوه القواد والكتاب والهاشميين وكان يهواها علي بن هشام ويكتم ذلك وهجرته مدة فاسترضاها وكان ابراهيم بن المهدي يعظمها ويتوافى لها ثم تغير بعد ذلك استغناء بنفسه عنها فسارت اليه فدعت بعود وغنت في طريقة واحدة وايقاع واحد واصبع واحد تسعمائة صوت لم يعرف ابراهيم منها صوتا واحدا ثم وضعت العود وانصرفت فلم تدخل داره بعد ذلك حتى طال طلبه لها وتضرعه اليها في الرجوع اليه وقيل ان اسحاق بن ابراهيم الموصلي خالف بذلا في نسبة صوت غنته بحضرة المأمون فامسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات وسألت اسحاق عن صانعها فلم يعرفه فقالت والله يا أمير المؤمنين هي لابيه أخذتها من فيه فاذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره فاشتد ذلك على اسحاق حتى رؤي في وجهه

﴿برقا جارية علاء الدين البصري﴾

قال الرياشي اشترى علاء الدين البصري جارية على أرفع ما يكون من الجمال والفصاحة فكلف بها وكان مسرفا فانفق ماله عليها ولم يبق شيأ فاشارت عليه بان يبيعها لشدة ما عليه فلما احضرها الى السوق أخذت الى ابن معمر وكان عاملا على البصرة فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قبض المال وهم بالانصراف أنشدت

هنيأ لك المال الذي قد حويته * ولم يبق في كفي غير التذكر
أقول لنفسي وهي في غم وكربة * أقلي فقد بان الحبيب أو اكثري
اذا لم يكن للامر عندي حيلة * ولم تجدي شيأ سوى الصبر فاصبري

فاشتد بكاء مولاها وأنشد

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شيء سوى الموت فاصبري

أروح بهم في الفؤاد مبرح * أناجي به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذها ولك المال فانصرفا راشدين فوالله لا كنت سببا الفرقة محبين (انظر الى كرم هذا الامير) وبقيت عند مولاها الى أن ماتت وهما في نعمة وأمان وقد أعاد الله اليهما بعدهما ولبقيا أحسن مما كانا عليه حين اشتراها

﴿ بربارة القديسة ﴾

كانت عذراء ذات شهرة معتبرة في الكنيسة اليونانية والرومانية يقال انها نالت اكليل الشهادة في اليوبوليس سنة ١٣٠٦ للميلاد وفي تقويم ديا من تشيناسنة ١٢٢٥ وانها ولدت في اليوبوليس من مصر من أبوين وثنيين وان أباها حبسها في برج خوفا من أن تؤخذ منه بجمالها البارع فبينما كانت في الحبس سمعت بوعظ أوريجانوس فكتبت اليه طالبة منه أن يعلمها الديانة المسيحية فأرسل اليها أحد تلاميذه فعلمها الديانة المسيحية وعمدها وقيل انه لما بلغ أباها ذلك سلمها الى الوالي فعذبها عذابا مبرحا فتهيأ لها الهرب الى أحد الجبال فجد في طلبها والدها الى أن أدركها فاحتز بالسيف رأسها ويقال انه أصيب وهو راجع بصاعقة مات بها قصاصا له ومن ثم اتخذت حامية للملاحين في البر وللطبجية وتصور غالبا وبجانبها برج ولها عيد يحتفل به في ٤ كانون الاول ومن عادة أهالي الشرق أن يتخذوا ليلة عيدها حلويات من قطائف وعوامات ونحوها وأن يطوفوا على البيوت مساخر مؤلفة من أولاد ورجال قد غيروا زيهم وصبغوا وجوههم بالسواد ولا يعلم بالتحقيق أصل هذه العادة وربما كانت تذكارا للسعي أيام جماعة من الشرط في طلبها وربما كان الشرط من السودان فيكون ذلك أصلا لصبغ الوجوه بالسواد

﴿ برنيقة ابنة لاغوس وانتيفونه ﴾

كانت من أجمل وأعقل نساء زمانها صاحبة رأى صائب وفكر ثاقب ولما تزوج بطليموس الاول باوريديق بنت ملك سوريا توجهت في موكبها برنيقة وكان لها احتفال عظيم ومن جمالها ومهارتها واتقانها تزوج بها بطليموس وصارت زوجة ثالثة له وأقنعته بأن يجعل ابنها بطليموس فيلادلفوس خليفة له دون ابن آخر له أكبر منه من أوريديق وقد شهر حكمتها وفضلها كل من جلوترخوس وشيوكرأوس وبعد وفاتها قضى بها بأكرامات الهية

﴿ برنيقة ابنة بطليموس الثاني ﴾

الملقب فيلاذلفوس وزوجة انطيوخس الثاني ملك سورية الملقب بتوس فان انطيوخس عقد معاهدة سنة ٢٩٤ قبل الميلاد قبل بموجبها أن يطلق زوجته لبوديكة ويتزوج برنيقة لكن عند موت فيلاذلفوس بعد ذلك بسنتين أرجع انطيوخس لبوديكة وطلق برنيقة في دورها ولكن لبوديكة لم تركن الى انطيوخس فدست اليه سما مات به وهربت برنيقة من وجه لبوديكة الى دفنى فقتلها هناك مع ابنها واتباعها قوم من حزب لبوديكة

﴿ برنيقة ابنة ماغاس ملك القيروان ﴾

هي زوجة بطليموس الثالث ملك مصر الملقب افرجيتس وعدها أبوها بطليموس هذا ومات بعد ذلك بقليل وأما أمها فكانت راغبة جدا عن اتخاذ هذا القرين لابنتها ولكي تمنع تزويجها به عرضتها على ديمتريوس بوليورستس ولكن عند وصول ديمتريوس الى القيروان ليتخذها زوجة علق قلب أمها به فغاظ برنيقا تفضيل ديمتريوس لامها عليها فسعت في قتله وهو على ذراعي الملكة وحينئذ ذهبت الى مصر وتزوجت بافرجيتس وعند رجوع زوجها من سفره الى سوريا فاءت بنذر كانت نذرته فقدمت شعرها الى الزهرة ولما علم ابنها بطليموس الرابع الملقب بفيلوباتر هذه التقدمة أمر بقتلها فقتلت وذلك عند جلوسه على سرير الملك

﴿ برنيقة ابنة بطليموس الثامن ﴾

الملقب لاسيروس ملك مصر وسمي أيضا كليوباتره وهي زوجة اسكندر الثاني أي بطليموس العاشر أجلسها أهل الاسكندرية على تخت الملك بعد وفاة أبيها سنة ٨١ قبل الميلاد فقبل اسكندر الذي جعل ملكا السلاليان بأن يتخذها زوجة ويشاركها في الملك الا انه بعد أن تزوج بها بتسعة عشر يوما سعى في قتلها ويقال ان ذلك غاظ أهالي الاسكندرية جدا فخرجوا عليه وقتلوه

﴿ برنيقة ابنة بطليموس الحادي عشر ﴾

الملقب بافليتس وهي أكبر أخت لكليوباتره المشهورة نودي باسمها ملكة عند خلع أبيها سنة ٥٨ قبل الميلاد وكانت تحب أن تتزوج بأمير من دم ملكي فأرسلت الى سورية في طلب سلوقس كيبوسا كتس الذي كان يدعي أنه من سلالة السلوقيين الملكية ولما وجدت ما كان عليه من الدناءة أمرت بخنقه بعد ذلك بأيام قليلة ثم تزوجت بارخيلاوس من كومونا الذي كان يدعي أنه ابن متريداتس أوباتور وان أفلوس غابينوس الذي كان يحاول رد افليتس الى تخت الملك حاربها فكسرها هي وزوجها في ثلاث معارك متوالية سنة ٥٥ قبل الميلاد وقتل ارخيلاوس وأول أعمال افليتس بعد جلوسه على تخت الملك أنه أمر بقتل ابنته المذكورة

﴿ برنيقة ابنة كوستوبارس وسالومي ﴾

هي أخت هيرودس الكبير ملك اليهودية تزوجت بابن عمها ارسطوبولس فعيرها ارسطوبولس بدناءة أصلها فشكته الى أمها فزاد بذلك العدوان على زوجها وبعد أن قتل سنة ٦ قبل المسيح تزوجت بثورلاس خال أنتيباتر وهو أكبر ابن لهيرودس وبعد وفاة ثورلاس ذهبت مع أمها الى رومية وبقيت هناك الى أن أدركتها المنية وهي أم أغريبا الاول

﴿ برنيقة ابنة أغريبا الاول ﴾

تزوجت هيرودس ملك كلخيدة فرزقت منه ولدين وعند موته سنة ٤٧ بعد الميلاد بقيت مع أخيها أغريبا مدة ثم تزوجت بوليمون ملك كليكية ثم تركته وكانت مقيمة في بيت أخيها عندما احتج بولس الرسول

أمامه فى قيسريا وفى حصار أورشليم رآها تيطس فسباه حسنها فأخذها معه الى رومية فرغب أن يتزوج بها ولكن اضطره الرأى العام فى رومية الى ارجاعها الى اليهودية ضد ارادته وارادتها وقد بنى راسين على فراقهما ترجيدية مشهورة

﴿ بريجيتا القديسة ﴾

ولدت فى أسوج سنة ١٣٠٢ للميلاد وتوفيت فى رومية فى ٢٣ تموز سنة ١٣٧٣ ويظن انها ابنة برجر وهو برنس أسوجى من سلالة ملوك الغطيط ولما كان عمرها ١٦ سنة تزوجت باولفو فكان لها منه ثمانية أولاد والكبيرة منهم جعلت فى درج القديسين الروماني باسم القديسة كاترينا الاسوجية ثم نظر الوالدان العفة وبنيا مستشفى خيرية كانا يخدمان فيه بنفسهما وسافرا الزيارة سنتياغو دى كومبستلا وبينما كانا راجعين عزم أولفو على دخول دير القسترى وتوفى سنة ١٣٤٤ وحينئذ قسمت زوجته الاملاك بين أولادها وشيدت ديرا كبيرا فى وتستينا جعلت فيه ٢٥ راهبا وستين راهبة وذلك على قانون مار أوغسطينوس فصرفت هناك سنتين منفردة لا تقابل أحدا ثم ذهبت الى رومية فبنت هناك منزلا للمسافرين والطلبة من الاسوجيين وذهبت الى أورشليم لزيارة الاماكن المقدسة ثم رجعت الى رومية فثبتها البابا بونيفاشيوس التاسع سنة ١٣٩١ والكنيسة الرومانية تعيد لها فى ٨ تشرين الاول وكانت بريجيتا مشهورة فى رومية على الاكثر بواسطة اعلاناتها وعلى الخصوص المتعلقة بالام يسوع المسيح والحوادث التى كانت مزمعة أن تجرى فى بعض الممالك وقد كتبت عن لسانها ولكن طعن برسون فى تلك الاخبار بعبارات قاسية الا أن مجمع باسل ثبتها بعد أن فحصها بالتدقيق جون دوتركريماتا ومن جملة كتاباتها خطاب فى مدح مريم العذراء وصلوات عن ام المسيح ومحبتها

﴿ بريرة مولاة عائشة ﴾

بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكانت مولاة لبعض بنى هلال وقيل كانت مولاة لابى أحمد بن جحش وقيل كانت مولاة أناس من الانصار فكاتبوها ثم باعوها من عائشة فأعتقتها ولما أرادت عائشة أن تشترى بريرة اشترطوا عليها الولاء فقال النبى صلى الله عليه وسلم الولاء لمن أعطى الثمن أولى ولى النعمة وكان اسم زوجها مغيثا وكان مولى فخيرها رسول الله فاختارت فراقه وكان يحبها فكان يمشى فى طرق المدينة وهو يبكى واستشفع اليها رسول الله فقال لها فيه فقالت أتأمر قال بل أشفع قالت فلا أريده وكان عبدا وقد جعل النبى عدة بريرة حين فارقها زوجها عدة المطلقة وروى عن عبد الملك بن مروان انه قال كنت أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لى يا عبد الملك انى أرى فيك خصالا وانك لخليق أن تلى هذا الامر فان وليته فاحذر الدماء فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد ان ينظر اليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق

﴿ بركة خوند والدة السلطان الاشرف ﴾

كانت أمة مولدة فلما أقيم ابنها فى مملكة مصر عظم شأنها وحجت سنة ٧٧٠ بتجمل كثير وبرج زائد وعلى محفتها العصائب السلطانية والكوسات تدق معها ومعها ما يجل وصفه من ذلك قطار جمال محملة

محائر وقد زرع فيه البقل والخضراوات وعند قدومها خرج السلطان بعساكره الى لقائها وسار الى البويب حتى تقابل معها وسار بركابها حتى وصلت الى مصر وكانت خيرة عفيفة لها بر كثير ومعروف تحدث الناس بحجتها مدة سنين لما كان لها من الافعال الجميلة فى تلك المشاهد الكريمة وكان لها اعتقاد فى أهل الخير ومحبة فى الصالحين ومن مآثرها المدرسة المشهورة بمدرسة أم السلطان خارج باب زويلة بقرب القلعة بمصر يعرف خطها الآن بخط التبانة وكان موضعها مقبرة أنشأتها سنة احدى وسبعين وسبعمائة وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهى من المدارس الجليلة وفيها دفن الملك الاشرف بعد ذلك وبقيت مدة تجتمع فيها الطلبة والمدرسون يدرسون فيها جميع العلوم حتى صارت أخيرا جامعا بمعرفة أحد ولاة مصر وهو مقام الشعائر لغاية الآن

وتوفيت الست المشار اليها سنة ٧٧٤ هجرية ودفنت بمدرستها المذكورة واتفق حين ماتت أنه أنشد الاديب شهاب الدين أحمد بن يحيى الاعرج هذين البيتين

في ثامن العشرين من ذى القعدة * كانت صبيحة موت أم الاشرف

فالله يرحمها ويعظم أجرها * ويكون فى عاشور موت اليوسفى

فكان كما قال وغرق الجائى يوسف فى شهر محرم سنة ٧٧٥

﴿برة ابنة عبد المطلب الهاشمية﴾

كانت من الشاعرات الاديبات ذوى المعانى الرائقة والالفاظ الموزونة المتناسقة رثت أباها عبد المطلب فى حال حياته مع أخواتها بناء على طلبه بقولها

أعينى جودا بدمع درر * على طيب الخيم والمعتصر

على ماجد الجد وارى الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر

على شيبة الحمد ذى المكرمات * وذى المجد والعز والمفتخر

وذى الحلم والفضل فى النائبات * كثير المكارم جم الفخر

له فضل مجد على قومه * منير يلوح كضوء القمر

أتته المنايا فلم تشوه * بصرف الليالى وريب القدر

﴿بصبص جارية ابن نفيس﴾

كانت أعجوبة وقتها فى الحسن والغناء ويتمنى كل من سمع بها رؤيتها ولو بذهاب نفسه ولشدة رغبة الناس فى سماع صوتها قال بعضهم فيها هذه الابيات

بصبص أنت الشمس مزدانة * فان تبذلت فأنت الهلال

سبحانك اللهم ما هكذا * فيما مضى كان يكون الجمال

اذا دعت بالعود فى مشهد * وعاونت يمنى يديها الشمال

غنت غناء يستفز الفتى * حذقا وزان الحذق منها الدلال

وتذاكروا بخل مزيد أبى اسحق فى مجلسها يوما وكان من جلسائهم ابن مصعب فقالت أنا آخذ منه درهما فقال مولاها ان فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشى واولمت لك يوما فقالت اوقع الغيرة فقال ان رفع رجليك

لم أقل شيأ فخرج ابن مصعب فرآه في مسجد بالمدينة فقال له يا أبا اسحاق أما تحب أن ترى بصبص جارية ابن نفيس فقال امرأتي طالق ان لم يكن الله ساخطا علي فيها وان لم أكن أسأله أن يرنيها منذ سنة قال يفعل فقال له اليوم اذا صليت العصر فوافني ههنا قال امرأتي طالق ان برحت من هنا حتى تجيء صلاة العصر قال فانصرفت في حوائجي حتى العصر فدخلت المسجد فوجدته فيه فأخذته بيده وأتيتهم به فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا فأقبلت بصبص على مزيد فقالت له يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة

لقد حثوا الجمال ليهـ * ـربوا منا فلم يئلوا

فقال امرأتي طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ قال فغنته ثم سكتت ساعة وقالت يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي أن تقوم فتجلس الى جانبي وتقرصني قرصات وأغنيك

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

فقال امرأتي طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب الانفس غدا وبأي أرض تموت فغنته ثم قالت برح الخفاء أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني وأغنيك هزجا

أنا أبصرت بالليل * غلاما حسن الدل

كغصن البان قد أصبـ * ـح مسقيا من الطل

فقال أنت نبية مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا أبا اسحاق أرأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجونني اليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا أبا اسحاق هلم درهما أشتري به ريحانا فوثب وصاح واحرباه أي زانية أخطأت استك الحفرة انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى اليك وغلغط القوم وعلوا أن حيلتها لم تنفذ فيه ثم خرج ولم يعد اليهم وأعاد القوم مجلسهم فكان أكثر شغلهم في حديث مزيد والضحك منه وبقيت بصبص في عز واقبال مدة حياتها وهي تتفنن في ضروب الاغاني حتى فاقت أهل زمانها

بلقيس ملكة سبا

المشهورة قصتها مع النبي سليمان بن داود وورد ذكرها في الكتب المنزلة واشتهرت في كتب التواريخ وضرب بها المثل في الجد والسلطان والجمال وقد شرح العلماء تفاصيل سيرتها وسبب ورودها الى سليمان بأقوال متباينة مرجعها الى ما يأتي قال المؤرخون في نسب بلقيس انها بلقمة بنت يشرح بن الحارث بن قيس ابن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل أبوها شرح بن تبع ذي الاذعار بن تبع ذي المنار بن تبع الرائش ويلقب هادد أو هدهاد وقيل اسمه الحارث بن سبا وقيل الشيصبان وقيل شراحيل وقال كثير من الرواة ان أمها كانت جنية ابنة ملك الجن واسمها رواحة أو ريحانة بنت السكن وقيل بلقمة بنت عمرو بن عمير الجني وسبب اتصال أبيها بالجن أنه كان ملكا عظيم الشأن اخر أربعين ملكا من ملوك اليمن وملك كل تلك الاقاليم ولم يكن في ملوك الارض من هو كفؤ له فكان يقول لهم ليس أحد منكم يدانيني وأبى أن يتزوج من الانس لرفعة شأنه فكان يخرج الى الصيد ويصطاد الجان بصورة الظباء فيخلي عنها فظهر له ملك الجن وشكره على صنيعه فاغتنمها فرصة وخطب ابنته فأجابه وقيل بل خرج مرة فوجد حيتين

سوداء وبيضاء تقتتلان وقد ظفرت السوداء على البيضاء فأمر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء
حتى أفاقت فأطلقها وعاد الى داره فجلس منفردا واذا بجانبه شاب جميل فذعر منه فقال له لا تخف أنا الحية
التى أحييتها وانى مكافئك بالمال أو علم الطب فقال أما المال فلا حاجة لى به وأما الطب فقبيح بالملوك
ولكنى أختار ان كان لك ابنة أن أخطبها اليك فأجابه بشرط أنه لا يعترض عليها شيئا تعمله فاذا غير عليها فارقته
وشرط أيضا أن يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين الى عسدن فاذعن لذلك ثم تزوج بالجنية فولدت له غلاما
وألقته فى النار فجزع لذلك ولكنه سكت للشرط ثم ولدت جارية فألقتها الى كلبة فعظم عليه الامر ولكنه
صبر ثم عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره فسار ليقاتل وهى معه فلما سار وافى مفازة رأى جميع
ما معهم من الزاد يخلط بالتراب والماء ينصب من أفواه القرب فأيقن بالهلاك وعلم أنه فعل الجن بأمر زوجه
فضاق ذرعا عن حمل ذلك الجور فأتى وجلس أمامها وأومأ الى الارض وقال يا أرض صبرت لك على احراق
ابنى واطعام ابنتى للكلب ثم الآن قد فجعتنا بالزاد والماء حتى أشرفنا على الهلاك فقالت له لو صبرت لكان
خيرا لك فان عدوك خدع وزيرك فجعل السم فى الزاد والماء وتحقيق ذلك أنه يمتنع من شرب شئ من الماء
الفاضل فأمر وزيره بالشرب فامتنع فقتله ثم دلته على نبع ومبرة يمتارها ثم قالت وأما ابنك فقد سلمته الى
حاضنة تربيه وقد مات وأما ابنتك فهى باقية واذا بجويرية قد خرجت من الارض وهى بلقيس وفارقته
زوجته وسار الى عدوه فظفر به وفوض اليها أبوها الملك فملكت بعده وقيل بل مات بلا وصية فاختلف
الناس بعد موته وافترقوا فرقتين فرقة بايعتها وفرقة بايعت ابن أخ أبيها فساء السيرة فى الرعية وكان
فاحشا خبيثا فاسقا لا يبلغه عن بنت جميلة الا أحضرها وهتكها فأراد قومه خلعه فلم يقدروا فلما رأت
بلقيس ذلك أخذتها الغيرة وقد طلب منها الحضور اليه فقالت له بل احضر أنت عندى وأعدت له رجالا
يقتلونه اذا دخل قصرها فلما حضر قتلاه فأحضرت وزراءه ووبختهم وقالت أما كان فيكم من يأنف
لكريمته وكرائم عشيرته ثم أرتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه فقالوا لا نرضى بغيرك وقيل بل
هى عرضت نفسها عليه فقال ما منعنى الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجال
قومى واخطبنى اليهم ففعل فسألوها فقالت قد أجبت فلما زفت اليه سقته الخمر حتى سكر فحزت رأسه
وانصرفت الى منزلها وأمرت أن تعلق رأسه على باب دارها فلما رأى الناس ذلك علموا الحيلة فملكوها
عليهم وقال قوم ان أباها لم يكن ملكا بل وزير ملك وكان الملك خبيثا يفعل ما تقدم ذكره فقتلته بلقيس
فملكوها عليهم فعظم شأنها وكثر جندها واتسع نطاق ملكها حتى قال بعضهم انه كان تحت يدها أربعمائة
ملك كل ملك منهم على كورة وله ٤٠٠٠٠ مقاتل وكان لها ٣٠٠ وزير يدبرون ملكها وكان لها ١٢
قائد يقود كل واحد ١٢ ألف مقاتل وبالغ بعضهم فى ذلك وأما عرشها الوارد ذكره فى القرآن الحكيم
فقيل كان سريرا ضخما من ذهب وفضة مرصعا بالجواهر النفيسة وكان فى جوف سبعة بيوت عليها سبعة
أغلاق كل بيت داخل الآخر وهو فى آخرها وقيل كان مقدمه من الذهب منضدا بالياقوت الاحمر والزمرد
الاخضر ومؤخره من فضة مكللا بانواع الجواهر واللآلى وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من
ياقوت أصفر وقائمة من زبرجد أخضر وقائمة من در أبيض وصفائح السرير من ذهب وقيل أنفقت بلقيس
على الكوة التى تدخل منها الشمس فتسجد لها ثلاثمائة ألف أوقية من الذهب قال ابن الاثير قد تواطؤا

على الكذب والتلاعب بعقول الجهال حتى يصدقوا المحال لان أوصاف عرشها وعدد جيوشها من الامور
التى لا يمكن تصديقها وأما سبب مجيئها الى سليمان واسلامها على يده فروى أن سليمان رأى يوما رهجا قريبا
منه ولم يكن يبدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فسأل عن ذلك الرهج فقالوا هو عرش بلقيس فقال
(يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من
مقامك) قال أريد أسرع من ذلك فقال آصف ابن برخيا (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) وقيل ان أحد
بنى اسرائيل قال لسليمان أنت أقرب الناس الى الله فلو طلبت اليه لاحضره بأسرع ما يكون فصلى سليمان
واذا بالارض انشقت وظهر العرش يتلألأ وقيل ان سليمان فى بعض مغازيه احتاج الى الماء من تحت
الارض فطلب الهدهد فلم يره وقيل بل أصابت الشمس سليمان فنظر ليرى من أين نفذت اليه لان الطير
كانت تظله فرأى موضع الهدهد فارغا (فقال لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين)
وكان الهدهد قد مر على قصر بلقيس فرأى بستانا لها خلف القصر فمال الى الخضرة فرأى هدهدا فقال
له أين أنت من سليمان وما تصنع هنا فقال له ومن سليمان فذكر له حاله فقال وأين أنت من هذه الدنيا
الواسعة والحدائق الانيقة والقصور الشاهقة والرياض البهيجة فقال ولمن هذا كله فقال هو لبلقيس
صاحبة العرش العظيم ووصف له عرشها فأتى الهدهد الى سليمان وأخبره بخبره فكتب لها سليمان
كتابا وقال له (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم) فوافاها وهى فى قصرها فرمى الكتاب فى حجرها فقرأته
وأرسلت الى أعيان قومها بذلك واذا بالكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين) فقال
قومها (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين) قالت انى مرسلة اليهم بهدية فان
قبلها فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى وان لم يقبلها فهو نبى من الله وانى أمتحنه بها ثم وجهت
اليه الهدية وكانت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن وخمسمائة جارية على زى الغلمان كلهم
على سروج الذهب والخيل الموسومة وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالياقوت والمسك والعنبر
وحقا فيه درة يتيمة وخرزة منقوبة معوجة الثقب وأرسلتها مع أشراف رجالها المنذر بن عمرو وآخر ذى رأى
وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت
للمنذر ان نظر اليك نظر غضب فهو ملك فلا يهولك أمره وان رأيت شيئا لطيفا فهو نبى فأعلم الله سليمان بذلك
فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشت فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان
حائطا مشرفة شرفة من ذهب وشرفة من فضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر أن يربطوها عن يمين الميدان
ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على كرسيه والكراسى عن يمينه ويساره
واصطفت الشياطين والجن والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم
منهم نظروا فرأوا الدواب تروث على الذهب فرموا ما معهم منها فلما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق ثم قال
(أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم) ثم قال أين الحق الذى فيه كذا وكذا فقدموه بين يديه فأمر الارضة
فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة وأمر دودة بيضاء وقد حملت خيطا بفيها فمرت فى ثقب الخرزة ثم دعا بالماء وأمر
الغلمان والجوارى أن يغسلوا أيديهم ووجوههم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى وتضرب
به وجهها والغلام كان يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فرجع القوم وأخبروها بما شاهدوا فعلمت أنه نبى
وأرادت الشخوص اليه فى اثنى عشر ألف قيل فلما قربت من مكانه قال حينئذ من يأتينى بعرشها قبل أن

يأتوني مسلمين فأتى به كما تقدم وكان بين سليمان والعرش مسيرة شهرين للمجد فلما علم الجن أنها آتية وأن سليمان ربما تزوجها فتفشى له أخبار الجن لأنها تربت عندهم وأنها اذا ولدت ولدا انتقل الملك اليه فلا ينفكون من تسخير سليمان وولده أساؤا فيها القول وقبحوها له وقالوا انها غير عاقلة ولا تميز وان رجليها كحافر الفرس وهي شعراء الساقين فأراد سليمان أن يمتحن ذلك فنكر عرشها بأن جعل تبديلا في الجواهر حتى ينظر هل تعرفه وأمر أن يبني له صرح من زجاج وأجرى تحته الماء وجعل فيه من دواب البحر حتى اذا رأته حسبته ماء فتكشف عن ساقيها فيتحقق الامر وقيل بل بني الصرح من قوارير زجاج أخضر وجعل له طوابق من قوارير زجاج أبيض وتحت الطوابق صور دواب فصار كأنه البحر وجلس سليمان على سرير في صدر المكان فلما وصلت بلقيس (قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو) واقتدر كأنه في حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء ههنا وقيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها فلم تقل نعم خوفا من الكذب ولا لا خوفا من التكذيب فعلم سليمان كمال عقلها ثم (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) لتخوضها وقد قالت في نفسها ان سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون علي من هذا فلما رآها سليمان صرف نظره عنها (وقال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي) ثم دعاها سليمان الى الاسلام فأجابت فأراد أن يتزوجها وكره كثرة شعر ساقيها فسأل عن شيء يزيله ولا يضر الجسد فعملت له الشياطين النورة وأشاروا بالحمام قيل فكان ذلك أول ظهور النورة فتزوجها وأحبها حبا شديدا وردها الى ملكها باليمن وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام فولدت له غلاما سماه داود ومات في حياة سليمان وقيل أمرها سليمان أن تتزوج برجل من قومها فأنفت من ذلك فقال لا يكون في الاسلام الا ذلك فقالت ان لم يكن بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها بها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها على الملك وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستعملهم ذا تبع في بناء عدة قصور حصينة منها سلحين وقيل سلحين ومرواح وفلبون وهنيدة وبينون وقصر غمدان أشهرها فلما مات سليمان لم يطع الجن ذا تبع فانقضى ملكه وملك بلقيس بموت سليمان وقيل ان بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وانه دفنها بتدمر وأخفى قبرها عن الناس

﴿بكارة الهلالية﴾

كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والاقدام والفصاحة والشعر والنثر والخطابة حضرت مع علي ابن أبي طالب حرب صفين ولها هناك مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يتقدم على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب وقد دخلت على معاوية يوما وهو يومئذ بالمدينة وكانت قد أسنت وغشي بصرها وضعفت قوتها ترتعش بين خادمين لها فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال كيف أنت ياخالة قالت بخير ياأمير المؤمنين قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غير من عاش كبر ومن مات قبر فقال عمرو بن العاص هي والله القائلة ياأمير المؤمنين

يازيد دونك فاحتفر من دارنا * سيفا حساما في التراب دفينا
قد كنت أذخره ليوم كريهة * فاليوم أبرزه الزمان مصونا

وقال مروان وهي والله القائلة ياأمير المؤمنين

أترى ابن هند للخلافة مالكا * هيهات ذاك وان أراد بعيد

منتك نفسك في الخلاء ضلالة * أغراك عمرو للشقا وسعيد

وقال سعيد بن العاص وهي والله القائلة

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى * فوق المنابر من أمية خاطبا

فالله أخر مدتي فتطاولت * حتى رأيت من الزمان عجائبا

في كل يوم للزمان خطيبهم * بين الجميع لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا فقالت يا معاوية كلامك أعشى بصري وقصر حجتي أنا والله قائلة ما قالوا وما خفي عليك مني أكثر فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك اذكري حاجتك قالت أما الآن فلا وانصرفت فوجه اليها معاوية بجائزة سنية

﴿ بلنش ملكة فرنسا ﴾

ولدت سنة ١١٨٧ وتوفيت سنة ١٢٥٢ وهي ابنة القونس التاسع ملك قسطيلة من زوجته اليونورا الانكليزية ابنة هنري الثاني وكانت مقتدرة في الامور السياسية ولما دعا الامراء الثائرون زوجها سنة ١٢١٦ للجلوس على تخت انكلترا أخذت عليه بالنيابة عنهم وأرسلت اليه مالا ونجدات ولكن نشأ عن موت الملك يوحنا وجلوس ابنه على تخت الملك خضوع الامراء للحكومة وعند وفاة فيليب أوغسطوس وجلوس زوجها على التخت باسم لويس الثامن كانت تقوده بحكمتها وحسن ادارتها وقد رافقته في الحرب الصليبية التي أقيمت على الالبيجوا وعند وفاته جعلت نائبة للملك في مدة قصر ابنها لويس التاسع وسنة ١٢٣٤ زوجت ابنها وهو في سن ١٩ بمرغريتا البروفنسية وكان عمرها ١٣ سنة وسنة ١٢٣٦ تنازلت عن نيابتها لابنها المذكور وكانت المملكة في أيامها زاهرة زاهية وقد ألحق بها أرض كبيرة مهمة وكان ابنها يعتمد رأيها ولا يفعل بدونها فارقها اذ قد دخل ضد ارادتها في الحرب الصليبية لانقاذ الارض المقدسة وفي مدة غيابه تسلمت زمام الاحكام وقابلت بحكمتها واقتدارها المعتادين الصعوبات الجديدة التي حدثت في تلك الايام وكانت على الدوام ترسل المال والنجدات الى ابنها لتساعده في تلك الحركة المشؤومة ولما انكسر هو واخوته وأسروا في منصورة ارادت أن تقوم بدفع فدية بليغة لانقاذهم فنشأ عن ذلك ضرائب جسيمة خسرت بها البلاد ثروتها ومع ارتباكاتها وتقواها كانت تقاوم تعديات خدمة الدين بنشاط عظيم وقد حمت منهم بنجاح حقوق التاج الملكي وقد ناحت البلاد عموما ولبست الحداد عند موتها وهي تحسب من أشهر من حكم فرنسا

﴿ بمبادور خليلة لويس الخامس عشر ﴾

ولدت سنة ١٧٢١ في باريس وتوفيت في فرساليا سنة ١٧٦٤ وهي ابنة جزار وقد ربتها أمها تربية حسنة وزوجتها سنة ١٧٤١ بملتزم أعشار وبعد ذلك بقليل رآها الملك وهو يتصيد في غابة سنرت فعلق قلبه بها ولكن لم يظهر ذلك الا بعد وفاة مادام دهشاتورو وسنة ١٧٤٤ وقد رافقت لويس في حرب فونتنوا في ايار سنة ١٧٤٥ وعند رجوعها عرفت بمركيزة بمبادور وكانت تعضد العلوم والصنائع وساعدة فولتير وبرنيرات أعمالا زاهرة حتى انها بعد أن ضعف حب الملك لها حافظت على سطوتها بجعلها نفسها ضرورية لراحته ثم

بعد قليل أخذت ترجعه من أتعاب الاحكام وكانت تتداخل فى المالية وتعزل وتولى الوزراء وتقرب اليها الجنسينين والكويتيين والكفار والمجلس كالاف دوم ملكى يكون لها عضد من جميع الاحزاب وقد تملقتها مدام باتريزا بارسالها اليها كتابا بخط يدها وغضبت من فردريك الثانى لطعنه فى حكومتها فعقدت محالفة بين فرنسا والنمسا ضد بروسيا نشأ عنها حرب السبع سنين المهلكة وسنة ١٧٥٧ حاول داميان قتل الملك فاضطرها الامر أن تخرج من البلاط ولم يمض الاقليل حتى دعيت اليه ثانية فسعت فى معاقبة الوزراء الذين أشاروا بطردها وكانت سطوتها فى تعيين المأمورين العسكريين من أعظم أسباب فشل العساكر فى الحرب فتوفيت محصوبة ببغض الشعب وعدم أسف الملك وكان لها زيادة على مرتبها السنوى الباهظ مداخيل جسيمة فى العقارات وكانت تعطى الفقراء بسخاء وتساعد المخترعين والصناع وأصحاب المعارف وجمعت كمية عظيمة من أعمال الصناعة والتحف وكانت ماهرة فى التصوير والنقش وقد كتب كثيرون سيرة حياتها وينسب اليها ترجمات ورسائل ليست لها

﴿ بنلوبا زوجة عولس اليونانى ﴾

هى أم تلماك ابنة ايكاريوس وقد خطبها كثيرون ولكن أباها وعد بها من يغلب فى سباق العدو فغلب عولس ولما ألح عليها أبوها أن تبقى معه ولا ترافق زوجها الى اثيكى سمح لها زوجها بان تفعل كما تشاء فاظهرت عزمها على مرافقته بسترها وجهها بمنديل خجلا ولما كان عولس فى حصار تروادة أحاط بها عشاق كثيرون ألحوا عليها بان تتزوج بأحدهم فوعدتهم بقبولها الطلب أن تكمل كفنا كانت تنسجه لعمها الشيخ قبل أن يقرأها الا انها كانت تحل ليلا كل ما كانت تنسجه نهارا فلما عرف عشاقها بمكيدتها كان عولس قد رجع بعد أن غاب ٢٠ سنة فقتلهم جميعا وقد أشاع بعض المؤلفين انها ولدت بنتا من عشاقها فطلقها زوجها عند رجوعه من تروادة فذهبت عند ذلك الى اسبرطه ومنها الى منتينا وقد استدل قوم على قبرها هناك بعد ذلك بزمان طويل

﴿ بهية ابنة عبد الله البكرى ﴾

من بكر بن وائل وفدت مع أبيها الى النبى صلى الله عليه وسلم فبايع الرجال وصافحهم وبايع النساء ولم يصافحهن قالت فنظر الى ودعا لى ومسح رأسى ودعا لى ولولدى ولما رجعت وتزوجت كثرت على الاولاد وامتلأ المنزل وخشيت الفقر من كثرة العيال وكان عدد أولادى ستين ولدا أربعون رجلا وعشرون امرأة فاستشهد منهم عشرون فى الجهاد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة ولم يعلم بامرأة ولدت ستين ولدا غير هذه فسبحان الخالق الرازق

﴿ بوديسيا ملكة الايسينه ﴾

هى أم قبيلة بريطانيا كان موطنها ما يدعى الآن ببلاد كمبروج وسفولك ونورفولك وهرد فرد توفيت نحو سنة ٦٢ بعد المسيح ولما توفى زوجها براسوتاغوس ملك الايسينه جعل ابنتيه مع الامبراطور نيرون ورثة لثروته العظيمة لانه كان يأمل أنه بذلك يحفظ عائلته ومملكته من تعديات الغزاة ولكن حالما مات أخذ قائد المائة الرومانى مملكته وجلدت الملكة البريطانية جهارا الذنب حقيق أو وهمى وتركت بناتها لشهوة العبيد

فاستغنمت بوديسيا فرصة غياب سوتيونيوس باولينوس الحاكم الروماني بن تلك الجهة من انكلترا وجمعت كل القوة العسكرية من شيعتها البرابرة وثارت في مقدمتهم على مستعمرة المدن الرومانية وقتلت بالسيف في تلك المستعمرة والاماكن المجاورة لها سبعين ألفا على الاقل من الرومان والتجار والايطاليان وغيرهم من رعايا المملكة فبادر سوتونيوس الى محل تلك الفظائع وكان تحت قيادة ملكة الايسينه ١٢٠ ألف جندي وكان عددهم يتزايد شيئا فشيئا حتى بلغوا ٢٣٠ ألف حال كون سوتونيوس لم يكن قادرا أن يأتي الى ميدان القتال بعشرة آلاف جندي فاشتبت نيران القتال وأظهرت بوديسيا شجاعة عظيمة ولما قهرت عساكر الرومانية المنتظمة عساكرها أخذت سما وابتلعته فماتت به وأما الغالبون فلم يعفوا عن شئ فانهم قطعوا الاولاد والدواب والكلاب جميعا اربا ويقال انه ذبح في ذلك اليوم ثمانون ألف بريتوني وأما العساكر الرومانية فلم يقتل منها الا ٤٠٠ شخص وجرح بقدرهم

﴿بوران ابنة ابرويز بن هرمز﴾

كانت من أحسن نساء بني الترك والفرس وملكت الناس بعد شهريار بن أبرويز وأصلحت القناطر والجسور وردت خشبة الصليب الى ملك الروم ولما جلست على السرير قالت ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد ولا بمكايدهم ينال الظفر وانما ذلك بعون الله وقدرته وأقامت سبعة أشهر ويقال ان فيروز بن رستم صاحب خراسان خطبها فقالت لا ينبغي للملكة أن تتزوج علانية وواعدته أن يقدم عليها سرا في ليلة عينتها له فجاءها في تلك الليلة فقتلته فسار اليها رستم فقتلها وذلك بخبر طويل في تاريخ الفرس

﴿بوران ابنة الحسن بن سهل﴾

كانت أحسن نساء زمانها وأجملهن وأكرمهن أخلاقا وأفضلهن أدبا وأوفرهن عقلا لها المام بصناعة الطرب تربت في بيت أبيها أحسن تربية وخالطت نساء الرشيد وتأدبت من آدابهن ولما ولي المأمون الخلافة افتتن بها وخطبها من أبيها الحسن وكان وزيره بعد أخيه الفضل بن سهل وقد زفت اليه بناحية فم الصلح (بلدة من العراق) في شهر رمضان سنة ٢١٠ هجرية

فلما دخل عليها كانت عنده حمدونة بنت الرشيد وزبيدة بنت جعفر وأم الفضل والحسن جدة بوران فنثرت عليه أم الفضل ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون فأمر بجمعها فجمعت فأعطاها لبوران وقال هذه نحلتك وسلي حوائجك فأمسكت فقالت لها جدتها سلي سيدك فقد أمرك أن تسأليه فسألته الرضا عن ابراهيم ابن المهدي فقال قد فعلت وسألته الاذن لزبيدة في الحج فأذن لها وبنى بها في ليلته وأوقدوا في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعون منا وأنفق الحسن على المأمون مالا جزيلا قيل انه أقام عند الحسن تسعة عشر يوما يعد له في كل يوم ولجميع من كان معه ما يحتاجون اليه فكان مبلغ النفقة عليه خمسين ألف ألف درهم وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم وأقطعه فم الصلح المذكور فجلس الحسن وفرق المال على قواده وحشمه وعسكره وقيل احتفل أبوها بأمرها وعمل من الولائم والافراح ما لم يعهد مثله في عصر من الاعصر فانه نثر على الهاشميين والقواد والوجوه بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وجوار ودواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت بيد رجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة فاذا علم ما فيها ذهب الى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها اليه ويستلم ما فيها ثم نثر على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر على

المأمون وقواده وجميع أصحابه وأجناده وأتباعه وكانوا خلقاً لا يحصون وعلى الحمالين والمكارية والملاحين وكل من شمله عسكره فلم يكن في العسكر من يشتري شيئاً لنفسه أو لدابته وقد قالت الشعراء والخطباء في ذلك الزفاف أشياء كثيرة ومما يستطرف في ذلك قول محمد بن حازم الباهلي

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن

يا امام الهدى ظفرت * ولكن ببنت من

وبقيت بوران عند المأمون الى أن توفي سنة ٢١٨ وتوفيت هي سنة ٢٧١ وعمرها ٨٠ سنة

﴿ بيلون زوجة السلطان أزوبك ﴾

قال ابن بطوطة في رحلته اسمها بيلون وهي ابنة ملك القسطنطينية العظمى السلطان تكفور قال لما صرنا ببلاد السلطان أوزبك ودخلنا عليه التزمنا بعدنا وجئنا من عنده أن ندخل على الملكة بيلون زوجته حسب عادة تلك الديار أنه متى زار أحد الملك يلزم أن يزور أزواجه وعائلته وأكابر مملكته فدخلنا في هذه الخاتون وهي قاعدة على سرير مرصع قوائمه فضة وبين يديها نحو مائة جارية روميات وتركيات ونوبيات منهن قائمات وقاعدات والفتيان على رأسها والحجاب بين يديها من رجال الروم فسألت عن حالنا ومقدمنا وعن بعد أوطاننا وبكت ومسحت وجهها بمنديل كان في يدها رقة منها وشفقة وأمرت بالطعام فأحضر وأكلنا بين يديها ولما أردنا الانصراف قالت لا تنقطعوا عنا وترددوا علينا وطالعونا بحوائجكم وأظهرت مكارم الاخلاق وبعثت في أثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودراهم وكسوة جيدة وثلاث من جياد الخيل وعشرة من سواها قال وبقيت هذه الخاتون عند السلطان أوزبك مدة طويلة وهي تتفقد بخيراتها ومبراتها حتى قصدت الذهاب الى القسطنطينية فذهبت معها وكان ذهابها لاجل زيارة أهلها ومكثت هناك ولم ترجع لزوجها الى أن ماتت

(حرف التاء)

﴿ تحفة الزاهدة ﴾

هي جارية لبعض تجار بغداد كانت بارعة في الجمال تحسن صنعة العود وكان سيدها يسرف عليها ماله وزاد في تعليمها وتهذيبها وكان قد رزقها عليه بعشرين ألف درهم وغايته الربح فيها مثل ثمنها لحسن صنعتها وكمال أدبها واستقامتها في دينها يوماً جالسة والعود في حجرها وهي تغني وتقول

وحقك لا نقضت الدهر عهداً * ولا كدرت بعد الصفو ودا

ملأت جوانحي والقلب وجداً * فكيف أَلذُّ أو أسلو وأهدا

فيا من ليس لي مولى سواه * تراك تركتني في الناس عبدا

ثم كسرت العود وقامت وبكت ونحبت فاتهمها سيدها بحبة انسان فاستقصى عن ذلك فلم يجد له أثراً فخاف سيدها في أمره ولم يجد لها سلوى عن الاكتئاب والهيام وقيام الليل ومشاهدة الاشعار وطول التذكار وتشتت الافكار فسألها عما أصابها فأنشدت تقول

خاطبني الحق من جناني * فكان وعظي على لساني

قربني منه بعد بعد * وخصني الله واصطفاني

أجبت لما دعيت طوعا * ملبيا للذى دعانى
وخفت مما جنيت قدما * فأوقع الحب بالامان

ولما أعيت الحيل ذهب بها الى المارستان راجيا أن تشفى مما أصابها ولما دخلت البيمارستان أودعوها في حجرة مغلولة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأت ذلك بكت بكاء مرا وأنشدت تقول

أعيذك أن تغل يدى * بغير جريمة سبقت
تغل يدى الى عنقى * وما خانت وما سرقت
وبين جوانحى كبد * أحس بها قد احترقت
وحقك يا منى قلبى * يمينا برة صدقت
فلو قطعتها قطعا * وحقك عنك ما رجعت

ويروى عن السرى السقطى أنه قال دخلت يوما على تحفة فى المارستان فوجدتها أنضر الناس وجها وعليها أطمار حسنة فشممت منها رائحة عطرية وهى تفوح شذاها الى خارج المارستان فسألت القيم عنها فقال هى جارية مملوكة قد اختل عقلها فحبسها مولاها لعلها تنصلح فلما سمعت كلامه اغرورقت عيناها بالدموع ثم أنشدت

معشر الناس ما جننت ولكن * أنا سكرانة وقلبى صاحى
أغللتم يدى ولم آت ذنبا * غير جهدى فى حبه وافتضاحى
أنا مفتونة بحب حبيب * لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحى الذى زعمتم فسادى * وفسادى الذى زعمتم صلاحى
ما على من أحب مولى الموالى * وارتضاه لنفسه من جناح

قال السرى فسمعت ما أقلقنى وأشجانى وأحرقنى وأبكانى فلما رأت دموعى قالت يا سرى هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق معرفته ثم أغمى عليها فلما أفاقت جعلت تقول

ألبستنى ثوب وصل طاب ملبسه * فأنت مولى الورى حقا ومولائى
كانت بقلبى أهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبى حزين على ما فات من زللى * والنفس فى جسدى من أعظم الداء
والشوق فى خاطرى منى وفى كبدى * والحب منى مصون فى سويداء
اليك منك قصدت الباب معتذرا * وأنت تعلم ما تحويه أحشائى

فقال لها السرى يا جارية سمعتك تذكرين المحبة فلمن تحبين قالت لمن تعرف الينا بنعمائه وجاد علينا بجزيل عطائه فهو قريب الى القلوب مجيب لطلب المحبوب سميع عليم بديع حكيم جواد كريم غفور رحيم ثم أنشدت

قلبى أراه الى الاحباب مرتاحا * سكران من راح حب بالهوى باحا
ياعين جودى بدمع خوف هجرهم * فرب دمع أتى للمغرم فتاحا
ورب عين رآها الله باكية * بالخوف منه تنال الروح والراحا

لله عبد جنى ذنبا فأحزنه * فبات يبكي ويذري الدمع سفاحا
مستوحش خائف مستيقن فطن * كأن في قلبه للنور مصباحا

قال السري فبينما نحن كذلك اذا بسيدها أقبل فقال القيم أين تحفة قال هي داخل وعندها السري السقطي رضي الله عنه ففرح سيدها ودخل وسلم عليه وعظمه فقال له السري هي أولى بالتعظيم مني فالذي تنكره منها حتى حبستها ههنا فقال أمور كثيرة وجعل يعدد له خصالها فقال له السري على الثمن وأزيدك فصاح سيدها وافقراه من أين لك ثمن هذه الجارية وأنت رجل فقير فقال له لا تعجل دعها في المارستان حتى آتي بثمنها ثم ذهب باكي العين رأفة على الجارية حتى طرق باب أحمد بن المثنى فأخبره بالخبر فدفع له ثمنها ومثله معه فلما كان الغد أقبل الى المارستان فقال له قد جئتك بثمن الجارية ومثله معه فقال لا والله لو أعطيتني الدنيا ما قبلت بل هي حرة لوجه الله تعالى فلما سمعت ذلك بكت بكاء مرا وأنشأت تقول

هربت منه اليه * بكيت منه عليه
وحقه هو مولى * لازلت بين يديه
حتى أنال وأحظى * بما رجوت لديه

وتوجهت الى مكة وهناك دخلت الكعبة وجعلت تقول

محب الله في الدنيا سقيم * تطاول سقمه فدواه داه
سقاه من محبته بكأس * فأرواه المهيمن اذ سقاه
فهام بحبه وسما اليه * فليس يريد محبوبا سواه
كذلك من ادعى شوقا اليه * يهيم بحبه حتى يراه

ثم مكثت على ذلك مدة وهي بين الخوف والرجاء الى أن توفاها الله بمكة المكرمة وبعدما خرجت من المارستان سأل السري السقطي مولاها عن سبب عتقه لها وعدم قبوله ثمنها بعدما كان مشددا على لزوم استلام الثمن ان وجد من يدفعه اليه ولما عرض عليه ازدراه واستهزأ بقوله فلانا أنه لا يقدر على ثمنها فقال له مولى الجارية انه بعدما حصل منه ذلك راجع صوابه وقال ان السري السقطي مع ضيق ذات يده وعدم اقتداره على ثمن جارية مثل هذه تعهد بأن يحضر ثمنها ولا بد ذلك أن يكون من أهل الخير وليس هو بأكرم مني حالة كوني قادرا على فعل الخير بدون أن يحصل لي ضرر وغلب علي الكرم ففعلت ما فعلت وأرجوك الدعاء فدعا له السري بصلاح حاله وزيادة البركة في ماله وتصدق بثمن الجارية الذي استحضره من أحمد بن المثنى المار ذكره

تذكار باي خاتون

هي ابنة الظاهر بيبرس كانت تقية صالحة محبة للخير مقربة للفقراء وأخصهن النساء الصالحات حتى انها من محبتها لهن بنت لهن رباطا وسمته رباط البغدادية ووصفه المقريزي بقوله ان هذا الرباط بداخل الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس حيث كان المنحر ومن الناس من يقول رواق البغدادية وهذا الرباط بنته الست الجليلة تذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٨٤ للشيخة الصالحة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية فأنزلتها به ومعها النساء الخيرات ومابرح الى وقتنا هذا (أي وقت المقريزي)

يعرف مكانه من النساء بالخير ولهذا أنها شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن وآخر من أدركنا فيه الشيخة الصالحة المسيدة نساء زمانها زينب بنت فاطمة بنت عباس البغدادية توفيت سنة ٧١٤ فى ذى الحجة وقد أنافت على الثمانين وكانت فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة باليسير عابدة واعظة حريصة على النفع والتذكير ذات إخلاص وخشية وأمر بالمعروف انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر وكان لها قبول زائد ووقع فى النفوس وصار بعد كل من قام بمشيخة هذا الرباط من النساء يقال لها البغدادية أقامت به عدة سنين على أحسن طريقة الى أن ماتت يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٧٩٦ وأدركنا هذا الرباط ويودع فيه النساء اللاتى طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى أزواجهن صيانة لهن لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات

ثم لما فسدت الاحوال من عهد حدوث المحن بعد سنة ٨٠٦ تلاشت أمور هذا الرباط ومنع مجاوروه من اقامة النساء المتعبدات فيه وهذا الرباط قد زال بالكلية وبنى فى محله الآن الحوانيت المتسعة على باب الدرب الاصفر

﴿ تركان خاتون الجلالية ابنة طفغاج خان من نسل فراسياب التركى ﴾

هى زوجة السلطان ملكشاه ووالدة السلطان محمود بن ملكشاه كانت من النساء العاقلات الدينات والحكيمات المدبرات شهدت لها التواريخ وألسنة الاقلام بالحكمة والتدبير وعلو الهمة والاقدام وكانت مطاعة فى أوامرها مسموعة الكلمة عند أمراء المملكة محبوبة لديهم وكانت تبذل لهم العطايا والاقطاعات وكان زوجها لا يرد لها طلبا وهى المالكة والمشاركة له فى الملك وكانت من حسن سياستها وتدبيرها توصلت لان تصاهر الخليفة المقتدى بأمر الله العباسى وذلك من كثرة ترددها على حريم الخلافة ومعها ابنتها خاتون وهى كانت من الجمال على جانب عظيم وصفوها للمقتدى فأحبها على الوصف وأراد الاقتران بها فأرسل الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جهير الى السلطان ملكشاه يخطب ابنته ولما سار فخر الدولة الى أصبهان ووصل الى السلطان يخطب منه ابنته للخليفة فقال له ان ذلك مما يزيدنى شرفا ولكن الامر فى ذلك الى والدتها تركان خاتون فيجب أن تذهب اليها وأمر نظام الملك أن يمضى معه الى تركان خاتون ويتكلم معها فى هذا المعنى فمضيا اليها فخاطباها فقالت ان ملك غزنة وملوك الخانية وماوراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فلم أرض فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فبلغ الخبر أرسلان والدة الخليفة فتأثرت من ذلك وأرسلت الى تركان خاتون تقول ان ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة لم يحصل لاحد غيرها وكلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه مال فأجابت الى ذلك وشرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وأنه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فأجيبت الى ذلك فأعطى السلطان يده فعاد فخر الدولة الى بغداد وفى محرم نقل جهازها الى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى وكان أكثر الاحمال من الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وستين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكى وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيهما من الجواهر والحلى وبين يدى البغال ثلاث وثلاثون فرسا من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومن عظيم

أكسية الذهب وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر أهل نهر معلى عليهم
الدنانير والثياب وكان السلطان خرج من بغداد متصيدا ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع الى تركان
خاتون وبين يديه نحو الثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق في الحريم غرفة الا وقد شعلت فيها الشمعة
والاثنتان وأكثر من ذلك وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها وقال الوزير لما وصل الى تركان
خاتون ان سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن في نقل
الوديعة الى داره فأجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع
والمشاعل شيء كثير وجاء نساء الامراء والكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها
وبين أيديهن الشموع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد
الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شيء وقد أحاط بالمحفة مائة جارية من الاتراك بالمراكب
العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء
السلطنة وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر في العسكر وأرسل الخلع الى تركان خاتون والى جميع الخواتين
وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك وبعد ما مكثت مدة في دار الخليفة وولدت منه ولدا لم يطب لها المقام
معه فأخبرت والدتها بذلك وهي أرسلت الى الخليفة تطلب ابنتها طلبا لابد منه وسبب ذلك أن الخليفة أكثر
الاطراح لها والاعراض عنها فأذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول سنة ٤٨٢ وسار معها ابنها من
الخليفة أبو الفضل جعفر بن المقتدي بأمر الله ومعهما سائر أرباب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة
كوهرائين وخدم دار الخلافة الاكابر وخرج الوزير وشيعهم الى النهروان وعاد وسارت الخاتون الى أصبهان
فأقامت بها الى ذي القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة أيام وأكثر الشعراء مراثيها ببغداد
وبعسكر السلطان وسار ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر
رمضان سنة ٤٨٥ ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير واتفق أن السلطان خرج الى الصيد وعاد ثالث
شوال مريضا وأنشب الموت أظفاره فيه وكان سبب مرضه أنه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستكثر اخراج
الدم فثقل مرضه وكانت حمته محرقة فتوفي ليلة الجمعة في النصف من شوال سنة ٤٨٥ ولما ثقل نقل
أرباب الدولة أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفي سترت زوجته تركان خاتون موته وكتمته وأعادت
جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان الى أبيه المقتدي بأمر الله وسارت الى بغداد والسلطان معها محمولا
وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وأرسلت قوام الدولة
كربوقا الى أصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر أن السلطان أمره بذلك ولم
يسمع بسلطان مثله ولم يصل عليه أحد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة ٤٧٦ وكان من أحسن الناس
صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام من أقصى بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن
وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل وعدل مطرد وما
ذلك الا باتحاده مع تركان خاتون وعدم اتباعه أمرا الا برأيها ومشورتها حتى دانت لهما العباد وذلت
لسلطانهما البلاد ولما مات ملكشاه وفعلت زوجته كما ذكر أرسلت الى الخليفة المقتدي في أمر الخطبة
بان يخطب لولدها محمود فأجابها بشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون مدبر زعامة
الجيوش الامير انر يصدر عن رأي تاج الملك وهو الذي يدبر الامر بين يدي تركان خاتون فلما جاءت رسالة

الخليفة الى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها ان ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان مخاطبها الغزالى فأذعنت له وأجابته اليه ولقب ناصر الدنيا والدين وأرسلت تركان خاتون الى أصبهان فى القبض على بركيارق أكبر أولاد السلطان خيفة أن ينازع ولدها فى السلطنة فقبض عليه فلما ظهر موت ملكشاه وثبت المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك بأصبهان فأخذوه وساروا من البلد وأخرجوا بركيارق من الحبس وملكوه بأصبهان وكانت والدته زبيدة بنت ياقوتى بن عم ملكشاه خائفة على ولدها من تركان خاتون أم محمود فأتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى أصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالاموال فوعدهم فلما وصلوا الى قلعة برجين صعد اليها لينزل الاموال منها فلما استقر فيها عصى على تركان خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيأ ولما وصلت تركان خاتون الى أصبهان لحقها تاج الملك واعتذر اليها بأن مستحفظ القلعة حبسه وانه هرب منه اليها فقبلت عذره وأما بركيارق فانه لما قاربت تركان خاتون وابنها محمود أصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الرى فلقيهم أرغش النظامى فى عساكره وصار واياهم يدا واحدة فلما اجتمعوا حاصروا قلعة طبرق وأخذوها عنوة وسيرت تركان خاتون العساكر الى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الامراء والذين فى عسكر خاتون الى بركيارق منهم الامير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم وآخر ذى الحجة اشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا الى أصبهان وصار بركيارق فى أثرهم فحصرها بأصبهان

وكان تاج الملك فى عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب الى نواحى بروجرد فأخذ وحمل الى عسكر بركيارق وهو محاصر أصبهان وكان يعرف كفاءته فأراد أن يستوزره فشرع تاج الملك فى اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتى ألف دينار سوى العروض فزال ما فى قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الاصاغر على الاستغاثة وأن لا يقنعوا الا بقتل قاتل صاحبهم فقتلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وقطعوه أجزاء وكان قتله فى محرم سنة ٤٨٦ وحمل الى بغداد احدى أصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى جميع محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذى بنى تربة الشيخ أبى اسحق الشيرازى وعمل المدرسة التى الى جانبها ورتب بها الشيخ أبا بكر الشاشى وكان عمره حين قتل سبعا وأربعين سنة

وفى شعبان سنة ٤٨٦ أرسلت تركان خاتون الى اسماعيل بن ياقوتى بن داود خال بركيارق وابن عم ملكشاه تطمعه أن تتزوج به وتدعوه الى محاربة بركيارق فأجابها الى ذلك وجمع خلقا كثيرا من التركمان وغيرهم أصحاب سرهنك ساوتكين فى خيل وأرسلت اليه تركان خاتون كربوقا وغيره من الامراء فى عسكر كثير مددا له فجمع بركيارق عساكره وسار الى حرب خاله اسماعيل فالتقوا عند الكرج فانحاز الامير يلبرد الى بركيارق وسار معه فانهزم اسماعيل وعسكره وتوجه الى أصبهان فأكرمته تركان خاتون وخطبت باسمه وضربت اسمه على الدنانير بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الامر فى الوصلة يتم بينهما فامتنع الامراء عند ذلك لاسيما الامير انز وهو مدبر الامر ورئيس الجيش وآثر وا خروج اسماعيل عنهم وخاف هو أيضا منهم ففارقهم وأرسل يستأذن أخته زبيدة والدة بركيارق فى اللحاق بهم فأذنت له فى ذلك فوصل اليهم وأقام عندهم أياما يسيرة ثم خلا به كمشتكين الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوا له فى القول فأطلعهم على سره وأنه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه

وفي سنة ٤٨٦ أرسلت تركان خاتون جيشا مع الامير انز لقتال توران شاه بن قاورت بك حاكم بلاد فارس فسار اليه وحاربه وأخذ أكثر بلاده وبقي بها حاكما عليها ولما لم يحسن الامير انز تدبير بلاد فارس استوحش منه الاجناد واجتمعوا مع توران شاه وهزموا انز ومات توران شاه بعد انكسارهم بشهر من سهم أصابه فيها وبقيت تركان خاتون في عز ورفعة ومنعة لم يقدر عليها أحد من الملوك والسلاطين وطالما حاول بركيارق اذلالها وأخذ السلطنة منها فلم يقدر عليها وذلك من كثرة حكمتها وكرمها وحسن ادارتها فان جميع الامراء كانت تحبها وتسعى في خدمتها الى أن توفيت في رمضان سنة ٤٨٧ بأصبهان

وكانت قد برزت من أصبهان لتسير الى تاج الدولة تتش لتتصل به فمرضت وعادت وماتت وأوصت الى الامير انز والى الامير سرمز شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة أصبهان ومعها عشرة آلاف فارس أتراك وكان لها جملة آثار مثل بناء مساجد وأضرحة ومدارس وبيمارستانات وخلاف ذلك في جميع أنحاء المملكة وأسف الناس عليها أسفا شديدا تغمدها الله برحمته

﴿ تقية ابنة أبي الفرج ﴾

ذكرها الحافظ السلفي في تعليقه وأثنى عليها وأخذت عنه العلم بثغر الاسكندرية وفاقت الرجال فيه ولها زيادة على ذلك الباع الطولى في الشعر والادب ولطائفها الادبية مع الحافظ المذكور كثيرة منها أنه كان مارا بمنزلها فعثر فجرح باطن قدمه فقطعت جارية من الدار قطعة من خمارها وعصبت بها قدمه فأنشأت تقية تقول

لو وجدت السبيل جدت بخدي * عوضا عن خمار تلك الوليده
كيف لي أن أقبل اليوم رجلا * سلكت دهرها الطريق الحميده

ومن غرائبها في الادب أنها مدحت الملك المظفر بن أخي السلطان صلاح الدين بقصيدة خمرية فقال ممازحا أتعرف الشيخة هذه الاحوال من صباها فبلغها ذلك فنظمت قصيدة أخرى حربية وصفت فيها الحرب وما تتعلق به أحسن وصف وبعثتها اليه وقالت علمي بهذا كعلمي بذاك وهي في القرن السادس من الهجرة

﴿ تماضر الشهيرة بالخنساء ﴾

هي ابنة عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة وقيل نهية بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وتكنى أم عمرو والخنساء لقب غلب عليها وهي الظبية وكان دريد بن الصمة رآها يوما وهي تهنأ جملا فعلق بها وقال فيها

حيوا تماضر واربعوا صحبي * وقفوا فان وقوفكم حسبي
أخناس قد هام الفؤاد بكم * وأصابه تبل من الحب

وخطبها بعد ذلك الى أبيها فقال له أبوها مرحبا بك أبا قرة انك لكريم لا يطعن في حسبه والسيد لا يرد عن حاجته ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها وأنا ذاكر لها ثم دخل عليها وقال يا خنساء أتاك فارس هوازن وسيد بني جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ودريد يسمع قولها فقالت يا أبت أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غدا وأنشأت تقول

أتخطبني هبلت على دريد * وتطرد سيدا من آل بدر

معاذ الله ينكحني حبركى * يقال أبوه من جشم بن بكر
ولو أمسيت في جشم هديا * لقد أمسيت في دنس وفقر

فخرج إليه أبوها فقال يا أبا قرة قد امتنعت ولعلها أن تجيب فيما بعد فقال دريد قد سمعت ما دار بينكما وانصرف غضبان وقال يهجو الخنساء

لمن طلل بذات الخمس أمسى * عفا بين العقيق فبطن ضرس
أشبهها غمامة يوم دجن * تلألأ برقها أو ضوء شمس

وهي طويلة أشير بها فيها فقيل للخنساء ألا تجيبينه فقالت لا أجمع عليه أن أرده وأهجوه ولما ردت دريدا خطبها رواحة بن عبد العزى السلمي فولدت له عبد الله ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر فولدت له يزيد ومعاوية وبنتا اسمها عمرة حكى بعضهم أنه لما كانت ليلة زفاف عمرة كانت أمها الخنساء ملتفة بكساء أحمر وقد هرمت وهي تلحظ ابنتها لحظا شديدا فقال القوم يا عمرة ألا تحرشت بأمك فإنها الآن تعرف بعض ما أنت فيه فقامت عمرة تريد شيئا فوطأت على قدمها وطأة أوجعتها فقالت لها وقد اغتاظت حسن الملك يا حمقاء كأنما تطئين أمة ورهاء أنا كنت أكرم منك عرسا وأطيب ورسا وذلك زمان إذ كنت فتاة أعجب الفتيان لا أذيب الشحم ولا أرعى البهم كالهرة الصنع لا مضاعة ولا عند مضيع فضحك القوم من غيظها وكانت الخنساء من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم وهي تعد من الطبقة الثانية في الشعراء وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر وكان معاوية أخاها لأبيها وأمها وكان صخر أخاها لأبيها وأحبهما إليها واستحق صخر ذلك منها لأنه كان موصوفا بالحلم مشهورا بالجود معروفا بالتقدم والشجاعة محظوظا في العشيرة وأجل رجل في العرب فلما قتل جلست الخنساء على قبره زمانا طويلا تبكيه وترثيه وفيه جل مراثيها وكانت في أول أمرها تقول البيتين أو الثلاثة حتى قتل أخوها معاوية وصخر وقد أجمع الشعراء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها وقيل لجرير من أشعر الناس فقال أنا لولا هذه الخبيثة يعني الخنساء قال بشار لم تقل امرأة شعرا إلا تبين الضعف في شعرها فقيل له أوكذلك الخنساء فقال تلك فوق الرجال وكان الأصمعي يقدم ليلى الأخيلية عليها قال المبرد كانت الخنساء وليلى فائقتين في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول وكان النابغة الذبياني يجلس للشعراء في سوق عكاظ وتأتيه الشعراء فتنشده أشعارها فأنشدت الخنساء في بعض المواسم قصيدتها الرائية التي في أخيها صخر فأعجبه شعرها وقال لها اذهبي فأنت أشعر من كانت ذات ثديين ولولا هذا الأعمى أنشدني قبلك يعني الأعشى لفضلتك على شعراء هذا الموسم فإنك أشعر الإنس والجن وكان ممن عرض شعره في ذلك الموسم حسان بن ثابت فغضب وقال أنا أشعر منك ومنها فقال ليس الأمر كما ظننت ثم التفت إلى الخنساء وقال يا خناس خاطبيه فالتفتت إليه الخنساء وقالت ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفا قال قولي فيها

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت ضعفت افتخارك وأنزرته في ثمانية مواضع في بيتك هذا قالت قلت لنا الجفنات والجفنات ما دون العشر ولو قلت الجفان لكان أكثر وقلت الغر والغرة بياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعا وقلت يلمعن واللمع شيء يأتي بعد شيء ولو قلت يشرقن لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان وقلت بالضحى ولو قلت بالدجى لكان أكثر طراقا وقلت أسياف والأسياف ما دون العشرة ولو قلت سيوفا لكان أكثر

وقالت يقطرن ولو قلت يسلن لكان أكثر وقلت دما والدماء أكثر من الدم فسكت حسان ولم يرد جوابا وكان في أثناء ذلك ظهور الاسلام فقدمت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت واستنشدها فأنشدته فأعجب بشعرها وهو يقول هيه يا خنساء ثم انصرفت

وقيل ان عمر بن الخطاب سألها ما أقرح مآقي عينيك قالت بكائي على السادات من مضر قال يا خنساء انهم في النار قالت ذلك أطول لعويلي عليهم انى كنت أبكي لهم من الثار وأنا اليوم أبكي لهم من النار وقيل انها أقبلت في خلافته حاجة فنزلت بالمدينة بزي الجاهلية فقام اليها عمر في أناس من الصحابة فدخل عليها فاذا هي كما وصفت له فعذلها ووعظها وقال لها ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام وان الذين تبكين هلكوا في الجاهلية وهم أعضاء اللهيب وحشو جهنم فقالت اسمع مني ما أقول في عذلك اياي ولومك لي فقال هات فأنشدته من شعرها في أخويها فتعجب من بلاغتها وقال دعوها فانها لا تزال حزينة أبدا وقيل انها أتت عائشة فنظرت اليها وعليها الصدار وهي محلوقة الرأس تدب من الكبر على عصى فقالت لها عائشة أخناس فقالت لبيك يا أماه قالت أتلبسين الصدار وقد نهي عنه في الاسلام فقالت لم أعلم بنهيه قالت ما الذي بلغ بك ما أرى قالت موت أخي صخر قالت عائشة ما دعاك الى هذا الاصطناع من جميله فصفيه لي قالت نعم ان لشعاري سببا وذلك أن زوجي كان رجلا متلافا للاموال يقامر بالقداح فأتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا فأسأله فأتيته فشكوت اليه حالنا وقلة ذات أيدينا فشاطرني ماله فانطلق زوجي فقامر به فقمر حتى لم يبق لنا شيء فعدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالنا فصار لي بمثل ذلك فأتلفه زوجي فلما كان في الثالثة أو في الرابعة خلت بصخر امرأته فعذلته ثم قالت ان زوجها مقامر وهذا ما لا يقوم به شيء فان كان ولا بد من صلاتها فأعطها أخس مالك فأنا هو متلف والخير فيه والشر سيان فأنشأ يقول لامرأته

والله لا أمنحها شرارها * وهي حصان قد كفتني عارها

ولو هلكت مزقت خمارها * واتخذت من شعر صدارها

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه فلما هلك اتخذت هذا الصدار والله لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حييت وكان للخنساء أربعة بنين فلما ضرب البعث على المسلمين بفتح فارس صارت معهم وهم رجال وحضرت وقعة القادسية سنة ١٦ هجرية وسنة ٦٣٨ ميلادية وأوصتهم من الليل بقولها يا بني انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة فلما أضاء لهم الصبح باكروا الى مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغ الخبر اليها فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنيها الاربع وكان لكل منهم مائة درهم حتى قبض وأخبار الخنساء كثيرة وهي أشهر من أن تذكر ومن شعرها قولها في أخويها معاوية وصخر وأبيهما عمرو

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة * قليل اذا نام الخلي هجودها

وصفوى لا أنسى معاوية الذى * له من سراة الحرتين وفودها

وصخرا ومن ذا مثل صخر اذا غدا * بسلهبة الآطال قرم يقودها

وقولها فى أخويها

من حس بالأخوين كالـ * ـغصنين أو من راهما

قرمين لا يتظالما * ن ولا يرام حماهما

ويلى على الأخوين والـ * ـقبر الذى واراهما

رمحين خطيين فى * كبد السماء تراهما

ما خلفا اذ ودعا * فى سودد شرواهما

سادا بغير تكلف * عفوا بفيض نداهما

وقولها ترثى أخاها معاوية

ألا لا أرى فى الناس مثل معاويه * اذا طرقت احدى الليالى بداهيه

بداهية يصغى الكلاب حسيسها * وتخرج من سر النجى علانيه

ألا لا أرى كالفارس الورد فارسا * اذا ما علته جرأة وعلانيه

وكان لزاز الحرب عند شبوبها * اذا شمرت عن ساقها وهى ذاكيه

بلينا وما تبلى تعار وما ترى * على حدث الايام الا كما هيه

فأقسمت لا ينفك دمعى وعولتى * عليك بحزن ما دعا الله داعيه

وقولها أيضا فيه وكان مقتله فى بنى مرة

ألا ما لعينيك أم ما لها * لقد أخضل الدمع سربالها

أبعد ابن عمرو من آل الشريد * حلت به الارض أثقالها

فأقسمت آسى على هالك * وأسأل نائحة ما لها

سأحمل نفسى على آلة * فاما عليها واما لها

نهين النفوس وهون النفو * س يوم الكريهة أبقى لها

ورجراجة فوقها بيضها * عليها المضاعف أفنالها

ككرفئة الغيث ذات الصبيـ * ـر ترمى السحاب ويرمى لها

وقافية مثل حد السنا * ن تبقى ويهلك من قالها

نطقت ابن عمرو فسهلتها * ولم ينطق الناس أمثالها

فان تك مرة أودت به * فقد كان يكثر تقتالها

تزول الكواكب من فقده * وجللت الشمس اجلالها

وأما مراثيها فى أخيها صخر فكثيرة جدا كافلنا وأشهر ما قالت فيه قولها عند ما مات

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل * دراك ضيم وطلاب بأوتار

قد كنت تحمل قلبا غير مؤتشب * مركبا فى نصاب غير خوار

فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة * وما أضاءت نجوم الليل للسارى

شدوا المآزر حتى تستعادلكم * وشمروا انها أيام تشمار
وابكوا فتى الحي لاقته منيته * وكل حي الى وقت ومقدار

وقولها

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي * على موتاهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن * أعزي النفس عنه بالتأسي

وقولها

أعيني جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرئ الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد * ساد عشيرته أمردا
اذا القوم مدوا بأيديهم * الى المجد مد اليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم * الى المجد ثم مضى مصعدا
يحمله القوم ما عالهم * وان كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهوي الى بيته * يرى أفضل الحمد أن يحمدا
وان ذكر المجد ألفيته * تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقولها

قذى بعينيك أم بالعين عوار * أم أقفرت اذ خلت من أهلها الدار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت * ودونه من جديد الترب أستار
لابد من ميتة في صرفها غير * والدهر في صرفه حول وأطوار
يا صخر وراد ماء قد تناذره * أهل الموارد ما في ورده عار
مشي السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان أنياب وأظفار
فما عجول على بو تطيف به * لها حنينان اصغار واكبار
ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت * فانما هي اقبال وادبار
لا تسمن الدهر في أرض وان رتعت * فانما هي تحنان وتسجار
يوما بأوجد مني يوم فارقني * صخر وللدهر احلاء وإمرار
فان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار
لم تره جارة يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجار
ولا تراه وما في البيت يأكله * لكنه بارز بالصحن مهمار
مثل الرديني لم تنفد شبيبته * كأنه تحت طي البرد أسوار
في جوف رمس مقيم قد تضمنه * في رمسه مقمطرات وأحجار

طلق اليدين لفعل الخير ذو فخر * ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
في رفقة حار حاديهم بمهلكة * كأن ظلمتها في الطخية القار
كأن دمعي لذكراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي خناس على صخر وحق لها * اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار

وتوفيت الخنساء في البادية في خلافة معاوية بن أبي سفيان رحمة الله عليها

﴿تماضر زوجة زهير﴾

كانت من بنات بني عبس الاكابر الذين ورثوا المجد كابرا عن كابر تزوجت بالملك زهير العبسي على محبة ووفاق وزادت به شرفا وتماما واجلالا واكراما وولدت له جملة أولاد نجباء منهم قيس ومالك ابنا زهير وزوجها زهير ملك بني عبس وأحرق قلبها في ولدها مالك قتله حذيفة بن بدر ومن قولها

كأن العين خالطها قذاها * لغيبتكم فلم تعط كراها
على ولد وزين الناس طرا * اذا ما النار لم تر من صلاها
لئن حزنت بنو عبس عليه * فقد فقدت بنو عبس فتاها
فتى للضيف ان هبت شمال * مزعزعة تجاوبها صداها
أسيدكم وحاميكم تركتم * على الغبراء متهدما رجاها
ترى الشم الجحاجح من بغيض * تمد جمعها يوما ازاها
فيتركها اذا اضطربت بطعن * وينهيها اذا اشتجرت قناها
حذيفة لا سلمت من الغوادي * ولا زارتك هاطلة نداها
كما أفجعتني بفتى كريم * اذا وزنت بنو عبس وفاها
فدمعي بعده أبدا هطول * وعيني دائم أبدا بكاها

﴿تنوسة جارية علية بنت المهدي العباسي﴾

كانت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وأدب ماله مثال تعلمت الغناء حتى صارت أحسن المغنين والمغنيات وساعدها على ذلك صوتها وحدة ذهنها وشدة استحضارها وكانت تختلف الى الامير محمد بن عبد الله بن طاهر وترتاح لمنادمته وهو يشتاق لسماع صوتها وقيل ان محمد بن عبد الله جلس يوما في مجلس أنسه وكان عنده صديقه الحسن بن محمد بن طالوت وكان أخص الناس به فقال له لا بد لنا في يومنا هذا من ثالث نطيب بمعاشرته ونلتذ بصحبته ومؤانسته حتى نسمع صوت تنوسة فمن ترى أن يكون طاهر الاعراق غير دنس الاخلاق فأعمل فكره الحسن وأمعن أنظاره وقال أيها الامير قد خطر ببالي رجل ليست علينا في مجالسته كلفة قد خلا من ابرام المجالسة وبرئ من ثقل المؤانسة خفيف الرقعة اذا أحببت سريع الوثبة اذا أمرت قال ومن ذلك قال ماني الموسوس قال أحسنت والله تقدم الى أصحاب الارباع بطلبه فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب ربع الكرخ فسار به الى باب الامير فأدخل الحمام وأخذ من شعره وألبس ثيابا نظافا ثم أدخل عليه فقال السلام عليك يا أمير فقال عليك السلام يا ماني ألم يأن أن

تزورنا على حين توقان منا اليك ومنازعة قلوبنا نحوك فقال مان الشوق شديد والمزار بعيد والحجاب عتيد والبواب فظ عنيد ولو سهل الاذن لسهلت علينا الزيارة قال لقد أطلقت في الاستئذان فلا تمتنع في أي وقت جئت من ليل أو نهار ثم أذن له فجلس ثم دعا له بالطعام فأكل ثم غسل يديه وأخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى السماع من تنوسة جارية ابنة المهدي فأحضرت فكان أول ما غنت

ولست بناس إذ غدوا فتحملوا * دموعي على الاحباب من شدة الوجد

وقولي وقد زالت بليل حمولهم * بواكر تحدى لا يكن آخر العهد

فقال مان أحسنت والله ألا أزيدك فيه

أقت أناجي الفكر والدمع حائر * بمقلة موقوف على الجهد والسهد

ولم يعدني هذا الامير بعزه * على ظالم قد لج في الهجر والبعد

فاندفعت تغنيه فرق محمد بن عبد الله وقال أعاشق أنت يا مان قال فاستحيا وغمزنا ابن طاهر أن لا يبوح له بشيء فيسقط من عينه فقال بل هلع وطرب أعز الله الامير وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد المشيب من صبوة ثم اقترح محمد على تنوسة هذا الصوت من شعر أبي العتاهية

حجبوها عن الرياح لأني * قلت يا ريح بلغيها السلاما

لو رضوا بالحجاب هان ولكن * منعوها يوم الرحيل الكلاما

فغنته فطرب محمد ثم دعا برطل فشربه فقال مان ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه

فتنفست ثم قلت لطيفي * آه لو زرت طيفها إلماما

خصها بالسلام سرا والا * منعوها الشقوق أن تناما

فكان أدخل للصبابة بين الاحشاء وألطف تغلغلا على كبد الظمآن من زلال الماء مع حسن تأليف نظامه وانتهائه الى غاية تمامه قال محمد أحسنت والله يا مان ثم أمر تنوسة بالحاقها هذين البيتين بالاولين ففعلت ثم غنت هذين البيتين من شعر أبي نواس

يا خليلي ساعة لا تريما * وعلى ذي صبابة فأقيما

ما مررنا بدار زينب الا * فضح الدمع سرنا المكتوما

فاستحسنه محمد فقال مان لولا رهبة التعدي لاضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذي لب الا صدا استحسانه لهما فقال محمد الرغبة فيما أتى به مان دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالغزال لو تلحظ الصخـ * ـر بطرف لغادرته هشيما

واذا ما تبسمت خلت ما يبدى * من الثغر لؤلؤا منظوما

قال محمد أحسنت والله يا مان

لم تطب اللذات الا بمن * طابت له لذات تنوسه

غنت بصوت أطلقت عبرة * كانت بحسن الصبر محبوسه

﴿ فقال مان ﴾

وكيف صبر النفس عن غادة * تظلمها ان قلت طاووسه

وجرت ان شبهتها بانة * في جنة الفردوس مغروسه

ثم سكتت فقال محمد فأعدلي وصفك لها فقال

وغير عدل ان قرنابها * جوهرة في التاج مغروسه
جلت عن الوصف فما فكرة * تلحقها بالنعت محسوسه

فقالت تنوسة وجب علينا اليمان بشكرك فساعدك دهرك وعطف عليك الفلك وفارقك سرورك وفارقك محذورك والله تعالى يديم لنا السرور ببقائه اجمع شملنا فانشأ يقول

ليس لي الف فيقطعني * فارقت نفسي الاباطيل
أنا موصول بنعمة من * حبله بالحمد موصول
أنا مشمول بنعمة من * منه في الخلق مبذول
أنا مغبوط بزورة من * ربعه بالحمد مأهول

فأومأ اليها ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول

ملك عز النظير له * زانه الغر البهاليل
طاهر في مركبه * عرفه للناس مبذول
دم من يشقى بسارحه * مع هبوب الريح مطلول

فقال محمد وجب جزائك لشكرك على غير نعمة سلفت منا اليك ثم أقبل على ابن طالوت فقال يا هذا ليس خساسة ثوب المرء واتضاع المنظر وشوائن يذهب بجوهر الادب المركب فيه ولله در صالح بن عبد القدوس حيث يقول

لا يعجبنك من يصون ثيابه * حذر الغبار وعرضه مبذول
فلربما افتقر الفتى فرأيته * دنس الثياب وعرضه مغسول

﴿ ثم قال وهو واقف ﴾

مدمن التحقيق موصول * ومطيل اللبث مملول

وأنا أستودعكم الله ثم انصرف فأمر له محمد بن عبد الله بصلة سنية قال ابن طالوت فما رأيت أحدا أحضر ذهنا منه اذ تقول له الجارية عطف عليك الفلك فيغنيها بقوله ليس لي الف فيقطعني البيت قال ولم يزل محمد يجريا عليه رزقا سنيا الى أن مات وبقيت تنوسة معززة مكرمة في منزل علية بنة المهدي الى أن ماتت بعد ما عرفت ولم يتغير شيء من صوتها وجمالها

(حرف الثاء)

﴿ ثبيتة ابنة الضحاك بن خليفة الانصارية الاشهلية ﴾

ولدت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت على جانب عظيم من الجمال والكمال واللطافة والادب وعزة النفس وكان يضرب بها المثل في الجمال بين نساء العرب وكانت كلما خرجت من منزلها تمايل اليها الانظار وتهوي اليها القلوب بالابصار وكان مرة سهل بن أبي حثمة مارا في الطريق فرأى محمد بن مسلمة يطارد ثبيتة بنظره فقال له أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم اني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول اذا ألقى الله عز وجل فى قلب رجل خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر اليها ومن ذلك يتضح أن من أراد الخطبة فله أن ينظر مخطوبته قبل زواجه بها وبقيت ثبيتة محط أنظار شبان الصحابة حتى تزوجت وهى فى غاية العفة والصيانة ولم يمد اليها أحد يده بسوء ولها صحبة حسنة وأحاديث نبوية

﴿ثبيتة ابنة مرداس بن خقفان العنبرى﴾

كانت من شاعرات العرب وكرمائهن اللاتى يضرب بهن المثل وكان زوجها كريما لم يوجد أكرم منه فى زمانه قيل انه أتاه أخواص أنه يوما فأعطاه بعيرا من ابله وقال لامرأته هاتى حبلا يقرن به ما أعطيناه الى بعيره ثم أعطاه بعيرا آخر وقال هاتى حبلا ثم أعطاه ثالثا فقال هاتى حبلا فقالت ما بقى عندى حبل فقال على الجمال وعليك الحبال فرمت اليه خمارها وقالت اجعله حبلا لبعضها فانشأ يقول

لا تعذليـــنى فى العطاء ويسرى * لكل بعير جاء طالبـــه حبلا
فانى لا تبكى عـــلىّ افالها * اذا شبعت من روض أوطانها بقلا
فــلم أر مثل الابل مالا لمقتـــن * ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا

فاجابته فورا

حلفت يمينا يا ابن خقفان بالذى * تكفل بالارزاق فى السهل والجبل
تزال حبال محصدات أعــدتها * لها ما مشى منها على خفه جمـــل
فأعطى ولا تبخل لمـــن جاء طالبا * فعندى لها خطم وقد زالت العلل

﴿ثبيتة ابنة يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الانصارية﴾

كانت من المهاجرات الاوائل ومن فاضلات النساء الصحابيات وهى امرأة أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة وهى مولاة سالم مولى أبى حذيفة قتل سالم يوم اليمامة
وكانت ثبيتة من النساء الاديبات العابدات الزاهدات الصابرات على العبادة مشهورة بحسن صحبتها ولها رواية مثبوتة عند المحدثين

﴿الثريا ابنة عبد الله بن الحرث بن أمية الاصغر﴾

كانت من شهيرات نساء قريش وأبرعهن جمالا وكمالا وكان عمر بن أبى ربيعة مستهاما بها وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغدو اليها كل غداة اذا كانت بالطائف على فرسه فيسائل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن أخبارها فلقى يوما بعضهم فسأل أحدهم عن أخبارهم فقال ما استطرفنا خبرا الا أنى سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحا على امرأة من قريش اسمها اسم نجم من السماء وقد سقط على اسمه فقال عمر الثريا قال نعم وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلة فوجه فرسه على وجهه الى الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريق كداء وهى أحسن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوق له وتتشوف فوجدها سالمة ومعها أختاها رضيا وأم عثمان فاخبرها الخبر فضحكت وقالت والله أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فى ذلك فقال هذا الشعر

تشكى الكميت الجرى لما جهدته * وبين لو يسطيع أن يتكلما

فقلت له إن ألق للعين قرة * فهان على أن تكل وتسأما

لذلك أدنى دون خيل رباطه * وأوصى به أن لا يهان ويكرما

عدمت إذا وفرى وفارقت مهجتى * لئن لم أقل قرنا ان الله سلما

وسأل مسلمة بن إبراهيم أيوب بن مسلمة أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة فقال وفوق الصفة كانت والله كما قال عبد الله بن قيس

حبذا الحج والثريا ومن با * لخيف من أجلها وملقى الرحال

يا سليمان إن تلاقى الثريا * تلق عيش الخلود قبل الهلال

درة من عقائل البحر بكر * لم يشنها مثاقب اللآلى

وحجت رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية فقال فيها عمر

أصبح القلب فى الحبال رهينا * مقصدا يوم فارق الظاعنينا

قلت من أنتم فصدت وقالت * أمبد سؤالك العالمينا

نحن من ساكنى العراق وكنا * قبله قاطنين مكة حينا

قد صدقناك إذ سألت فمن أنـ * ـت عسى أن يجر شأن شؤونا

ونرى أننا عرفناك بالنعـ * ـت بظن وما قتلنا يقينا

بسواد الثنيتين ونعت * قد نراه لناظر مستبينا

وبلغت الأبيات الثريا فبلغتها إياها أم نوفل فقالت إنه لوقاح صنع اللسان ولئن سلمت له لأردن من شأوه ولأثنين من عنانه ولأعرفنه نفسه وتحرت عمر فلما عيرته قال فى ذلك

من رسولى إلى الثريا فإنى * ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

سلبتنى مجاجة المسك عقلى * فسلوها ماذا أحل اغتصابى

وهى مكنونة تحير منها * فى أديم الخدين ماء الشباب

أبرزوها مثل المهاة تهادى * بين خمس كواعب أتراب

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد القطر والحصى والتراب

فلما سمع ابن عتيق قوله (من رسولى إلى الثريا فإنى) قال إياى أراد وبى نوه لا جرم والله لا أذوق أكلا حتى أشخص فأصلح بينهما ونهض قال بلال مولى ابن أبي عتيق فركب وركبت معه فسار سيرا شديدا فقلت أبق على نفسك فإن ما تريد ليس يفوتك فقال ويحك * أبادر حبل الود أن يتقضبا * وما حلاوة الدنيا إن تم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج إليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته فقال له اركب أصلح بينك وبين الثريا فأنا رسولك الذى سألت عنه فركب معه وقدموا الطائف وقد كان عمر أرضى أم نوفل فكانت تطلب له الحيل لإصلاحها فلم يمكنها فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمنى المسير من المدينة إليك فجئتك به معترفا لك بذنب لم يجنه معتذرا من إساءة إليك لم يأتها فدعينى من التعداد والترداد فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله ورجعوا إلى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل وزاد عمر فى أبياته فقال

أرهقت أم نوفل إذ دعتها * مهجتي ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها أجيبي فقالت * من دعاني قالت أبو الخطاب
فاستجابت عند الدعاء كما* رجال يرجون حسن الثواب

وكانت أم نوفل دعتها لابن أبي عتيق ولو دعتها لعمر ما أجابت

وأتى عمر الثريا يوما ومعه صديق له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر فلما كشفت الثريا الستر وأرادت الخروج اليه رأت صاحبه فرجعت فقال لها انه ليس ممن أحتشمه ولا أخفي عنه شيئا واستلقى فضحك وكان النساء اذ ذاك يتختمن في أصابعهن العشرة فخرجت اليه فضربته بظاهر كفها فأصابت الخواتم ثنيته العليين وكادت أن تنقلعهما فعالجهما فاشتدتا واسودتا وكان يفتر بهما ويقول أعز بهما عنده وواعدت الثريا عمر أن تزوره فجاءت في الوقت الذي ذكرته فصادفت أخاه الحرث قد طرقه وأقام عنده ووجه به في حاجة له ونام مكانه وغطى وجهه بثوب فلم يشعر الا بالثريا قد ألقت نفسها عليه تقبله فانتبه وجعل يقول اعزبي عني فلست بالفاسق أخزاكما الله فلما علمت بالقصة انصرفت ورجع عمر فأخبره الحرث بخبرها فاغتم لما فاته منها وقال أما والله لا تمسك النار أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال الحرث عليك وعليها لعنة الله

وتزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان وكان عمر بن أبي ربيعة أخرجه مسعدة بن عمرو الى اليمن في أمر عرض له وتزوجت الثريا وهو غائب فلما رجع وجدها قد نقلت في ذلك اليوم الى الشام فأتى المنزل الذي كانت فيه وسأل عنها فأخبر أنها رحلت من يومئذ فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين وكانت قبل ذلك مهاجرة له لأمر أنكرته عليه فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه الى غلامه ومشى متنكرا حتى مر بالخيمة فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته فقالت لحاضنتها كلميه فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه فاعتذر وبكى فبكت الثريا وقالت ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل فحادثها الى طلوع الفجر ثم ودعها وبكيا طويلا وقام فركب فرسه ووقف ينظر اليهم وهم يرحلون ثم أتبعهم بصره حتى غابوا وأنشأ يقول

يا صاحبي قفا نستخبر الطللا * عن حال من حله بالأمس ما فعلا
فقال لي الربع لما أن وقفت به * ان الخليط أجدوا البين فاحتملا
وخادعتك النوى حتى رأيتهم * في الفجر يحتث حادي عيسهم زجلا
لما وقفنا نحييهم وقد صرخت * هواتف البين واستولت بهم أصلا
صدت بعادا وقالت للتي معها * بالله لوميه في بعض الذي فعلا
وحدثيه بما حدثت واستمعي * ماذا يقول ولا تعيي به جدلا
حتى يرى أن ما قال الوشاة له * فينا لديها الينا كان منتحلا
وعرفيه به كالهزل واحتفظي * في بعض معتبة أن تغضبي الرجلا
فان عهدي به والله يحفظه * وان أتى الذنب ممن يكره العذلا
لو عندنا اغتيب أو نيلت نقيصته * ما آب مغتابه من عندنا جذلا
قالت سمعي فلقد أبلغت في الطف * وليس يخفى على ذي اللب من هزلا
هذا أرادت به بخلا لأعذرها * وقد أرى أنها لن تعدم العللا
ما سمي القلب الا من تقلبه * ولا الفؤاد فؤادا غير أن عقلا

أما الحديث الذي قالت أتيته * فما عتبت به اذ جاءني تبـلا
ما ان أطعت بها بالغيب قد علمت * مقالة الكاشح الواشي اذا محلا
اني لأرجعه فيها بسخطته * وقد درى أنه قد غر بي زللا

وهي قصيدة طويلة وقال فيها أيضا

أيها الطارق الذي قد عناني * بعد ما نام سامر الركبان
زار من نازح بغير دليل * يتخطى الى حتى أتاني
أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يماني

وكتب اليها يوما وقد غلبه الشوق

كتبت اليك من بلدي * كتاب موله كمد
كئيب واكف العينين * بالحسرات منفرد
يؤرقه لهيب الشو * ق بين السحر والكبد
فيمسك قلبه بيد * ويمسح عينه بيد

وكتبه في قوهية وشنفه وحسنه وبعث به اليها فلما قرأته بكت بكاء شديدا ثم تمثلت

بنفسي من لا يستقل بنفسه * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

وكتبت اليه تقول

أتاني كتاب لم ير الناس مثله * أمد بكافور ومسك وعنبر
وقرطاسة قوهية ورباطة * بعقد من الياقوت صاف وجوهر
وفي صدره مني اليك تحية * لقد طال تهيامي بكم وتذكري
وعنوانه من مستهام فؤاده * الى هائم صب من الحزن مسعر

ولما مات عنها سهيل خرجت الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق في قضاء دين عليها فبينما هي عند أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان اذ دخل عليها الوليد فقال من هذه فقالت الثريا جاءتني أطلب اليك قضاء دين عليها وحوائج لها فأقبل عليها الوليد فقال أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيأ قالت نعم يرحمه الله كان عفيفا أروى قوله

ما على الرسم بالبليين لو بين * رجع السلام أو لو أجابا
فالى قصر ذي العشيرة فالصا * ئف أمسى من الأنيس يبابا
اذ فؤادي يهوى الرباب واني الـ * ـدهر حتى الممات أنسى الربابا
وبما قد أرى به حي صدق * ظاهري العيش نعمة وشبابا
وحسانا جواريا خفرات * حافظات عند الهوى الأحسابا
لا يكثرن في الحديث ولا يتـ * ـبعن ينعقن بالبهام الظرابا

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت فلما خلا الوليد بأم البنين قال لها لله در الثريا أتدرين ما أرادت بانشادها ما أنشدتني من شعر عمر قالت لا قال اني لما عرضت لها به عرضت لي بأن أمي أعرابية وأم الوليد

وسليمان ولادة بنت العباس بن جزى بن الحرث بن زهير بن جذيمة العبسي فلما ماتت الثريا أتى الغريض المغني الى كثير بن كثير السهمي فقال له قل لي أبيات شعر أنح بها على الثريا فقال له هذين البيتين

ألا يا عين مالك تدمعينا * أمن رمد بكيت فتكحلينا
أم انت حزينة تبكين شجوا * فشجوك مثله أبكى العيونا

وكانت قد ربت الغريض المغني وعلمته النوح بالمراثي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرة

﴿ تيودورا زوجة الملك يوستينيان ﴾

هي ابنة اكاسيوس القبرصي حارس الادباب في الملعب فلما مات أبوها باتت مع أختيها كوميتو وانسطاسيا في حالة فقر يرثى لها وجميعهن صغيرات في السن لا يتجاوز عمر الكبرى سبع سنوات وكانت تيودورا جميلة حسناء فقيرة فلم تجد سبيلا للتكسب الا الانخراط في سلك الممثلات فأعجبت الناس بمهارتها واتخذت خلانا وبذلت أجمل لتعيش في راحة وهناء قيل انها كانت في بلاد بافلاغونيا فخاب أملها واستصغرت أمر الملك فوى فعادت الى القسطنطينية مسرعة وتابت واتخذت لها بيتا عاشت فيه بالبر والطهارة والتقوى تشتغل الليل والنهار باشغال يدوية للتعيش وتساعد المساكين فعلم بها يوستينيان وتلطف فتيمه هواها وشغفه جمالها الباهر وأعجبه نشاطها وعزم اقترانه بها على رغم مضادة أمه ونسائه والشرائع القديمة التي تحظر على الشريف أن يقترن بعبدة أو ممثلة أو زرية وأغرى عمه يستين على اصدار أمر يخالف القانون ويحلل ويفتح سبيلا للمونسات الهوى وأملهن بالارتقاء الى أعلى الدرجات وذروة المجد والفخار ولما تولى يوستينيان العرش شاركته امرأته بالملك وأجلسها على عرشه ووضع التاج القيصري على هامته وهامة تيودورا الممثلة بنت اكاسيوس حارس الادباب ولم تنس هذه الملكة تيودورا تمثيلها والعالمين فرشقتها ألسنة المبغضين المعادين بسهام الاحتقار والتنديد وجعلوا في تذكيرها حالتها الاولى ونكايتها بكل أوان فهجرت لذلك مدينة القسطنطينية وعاشت بقصورها وجنانها الواقعة على شاطئ البوسفور واعتزلت الناس وانتقمت منهم ما استطاعت وكان زوجها يتمادى بحبها ويضاعف جودها في جميع الاموال ليمكنها أن تعيش بما عززته بعده مكرمة والحق يقال ان تيودورا كانت امرأة ذكية فاضلة أتت أعمالا عظيمة مبرورة مشكورة وساعدت زوجها في السياسة أشد المساعدة بآرائها وحكمتها ولكن الشعب اليوناني أبغضها لاتباعها مذهب اقتسام وحمايتها بعض الاساقفة وفي حزيران سنة ٥٤٨ ماتت بعلة رديئة كست جسمها بثور اوقروح بعد تملكها ٢٢ سنة

ومن أعمالها الحميدة ما كان منها في وقت الثورة المشهورة التي حدثت في القسطنطينية في أيام ملك يوستينيان وقد اجتمع الملك والوزراء والعلماء على أن يخرجوا بالهرب خلاصا فنهضت الملكة تيودورا وقالت اني أحتقر الفرار الامن الراحة والسلام فان الموت مصير الانسان وحياة الامراء المالكين كالعدم بعد فقدهم العز والملك فاطلب الى الله أن لا يجعلني يوما واحدا عارية من التاج وأدوات الزينة الملكية بل يميتني قبل خلعي وسقوطي من منصة الفخر والمجد واذا اعتمدت أيها الملك على الهرب فجميع وسائله ميسورة لك فهذه خزائنك ملأى بالذهب والجواهر وهذا البحر مغطى بالسفن المواخر ولكن خف من يوم تعيش به عيشة دنيئة حقيرة في المنفى أما أنا فاعجبني قول القدماء القائلين ان العرش

شريع مجد وأحيت هذه المرأة بكلامها وشجاعتها شجاعة زوجها فرفض الفرار وعاد الى التفكير والتدبير فتيسرت له وسائل اقناع الاقوام بخطئهم فاذعنوا اليه خاضعين وبخضوعهم ذل الآخرون فتمكنت الحكومة من قهرهم وراق الوقت للملك بوسنيان بسبب مشورة هذه الفاضلة وحسن آرائها

حرف الجيم

(جان دارك)

وتسمى لابوسل وتعرف بالسيدة أورليان هي فتاة فرنساوية كانت نقية البشرة مهتوتة القوام دعجاء العينين ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها يلوح على محياها الصبيح سيم الحياء واللطف والدعة وتبدو من مخايلها أمارات مضاء العزيمة وبعد الهمة وثبات الجأش ولطالما امتطت الفرس فسابقت عليه وهو غير مسرج ولا مشكوم بجراءة وفروسية وكانت ذات كلام بالغ بين الرشد وأفعال دائرة على محور الاستقامة والصلاح ولدت في دومرمي من مقاطعة لورين سنة ١٤١١ للميلاد من راع يدعى جاك وكان قد رباها الفقر وهذبها الدين فنشأت كثيرة الهواجس الدينية ولما بلغت الخمس سنوات اخذت ترى في حلمها رؤيا علوية زاعمة أن الملائكة والاولياء تتجلى عليها بظهر نوراني فلما آنس أبوها منها ذلك أراها من القسوة والعنف ما حداها الى الفرار والالتجاء الى أرملة من ربات الفنادق فأقامت في خدمتها زمنا تبذل عندها من الاخلاص في السعي والاقدام في العمل والعفاف في المسلك ما تذكر به فتشكر ثم عادت الى أبيها زمان اذ كانت فرنسا في شفا حفرة من الدمار والانكليز يذيقونها من حروبهم شر نقيع الويل الممزوج بالشنار وكان قد مر بقريتها فريق من الاعداء فاكتسحوها واستاقوا أمر اهلها قسموها وتركوها خاوية على عروشها ينعق فيها لسان الخراب ويأوي الى أطلالها البوم والغراب فصدع فؤادها الشغاف ذل قومها وبوارهم وانكسارهم للعدو المفضي الى دمارهم فعاودتها الاحلام والرؤيا وزعمت أنها مأمورة بالالهام بانقاذهم وبلادهم من الهلكة والمعرة وانتشال قومها من هوة المذلة والاثرة وبعد تردد واحتمال روية سارت الى شارل ملك فرنسا وذلك في شهر شباط سنة ١٤٢٩ ميلادية وكان عليها أن تقطع مسافة ١٥٠ فرسخا في أقطار مشحونة بالكمائن للانكليز ومحفوفة بالأخطار والاهوال حتى تبلغ مدينة شينون حيث يقيم الملك فقريت برى فارس وعلت جوادها بعد أن تقلدت حساما بتارا واخترقت تلك المهامه حتى اذا أشرفت على مقر الملك بعثت تنبئه بقدومها وتخبره بأنها ستكون منقذة العرش ورافعة الحصار عن (أورليان) وانها ستهديه سبيل التتويج في (رانس) فلما قدم عليه البشير بذلك النبأ لبث ذرياعن قلب يتحمل بالغيظ ثم استشار مع وزرائه في شأنها ثلاثة أيام فكان فريق يستحقرونها ويضحك عليها وفريق يؤيدونها ويرى القاء المقاليد اليها والملك بين ذلك من حزب لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء حتى أشار الرأي بن اتخانها فلبس الملك ثياب أحد أتباعه وألبسه ثوبه الملكي اختبارا لامرها ثم أذن لها فجاءت تخترق صفوف الحشم والحاشية حتى وقفت بازائه فانحنت جاثية لديه قائلة بلسان ذرب حييت وحييت أيها الملك الحليم فقال لها أخطأت فان الملك هو ذاك مشيرا الى من ألبسه ثوبه فقالت ما الملك الا أنت وما أنت الا الملك واني لمأمورة أنا العذراء المتكلمة من الروح الامين بمد آزرك والذب لاعداء بنصرتك وما على الرسول الا البلاغ فخلا بها الملك حينا من الدهر ثم نادى وزراءه فقال لهم انها أحاطت أمرا الله علما بسرائري وأدركت ما لا يدركه بعد الله الا نفسي واني

لا أشك أن أكون من أمرها على ثقة ولكن لا بأس من التأني ريثما تمتحن ثم أتاها رهط من مهرة الاطباء وأساطين العلماء حاولوا أن يفقروها بمسائل مشكلات وغوامض حتى اذا أعيتهم الحيل وعادوا بالخيبة والفشل عززها الملك بكتيبة من خواص فرسانه فبرزت أمام الجيش شاكة السلاح معتقلة بيدها رمحا وبالأخرى راية وأخذت تشد وتعدو على جوادها متفننة في أنواع الفروسية حتى حيرت الناظرين فهتفوا ترحيبا بها واستحسانا لها وإعجابا بها ثم صارت تنهب الأرض هملجة وخببا حتى بلغت العسكر في أورليان واذا بأرواح القوم تكاد تبلغ التراقي والعدو يحيط بالمدينة احاطة الهالة بالبدر وأهلها في شدة من ضيق الخناق فأمرت بادئ بدء أن يتطهر العسكر من عواهر النساء وحضت الرجال على الاستمساك بالتقوى والاعتصام بالرجاء ثم زحفت على البلد فاستولى الرعب على قلوب الانكليز وقالوا ما هذه بشر ان هي الا ملاك كريم أو ساحر أثيم وكانت ترتدي بحلة بيضاء وتركب جوادا أشهب وتنشر فوقها راية بيضاء فاذا بصر بها الانكليز وهي في هذا الهندام فروا من أمامها كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وما برحت تصدق الحملة تلو الحملة وتبلي بالعدو البلاء الحسن وهي تخرج من انحراف جيشها عنها وعدم انقياده لها أنواع الغصص وضروب الاحن حتى استتب لها الفوز فشعر الانكليز واستكانوا وضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا فألجؤوا الى الجلاء عن أورليان فكفوا عن حصارها في ١٨ أيار سنة ١٤٢٩ وانهزموا لا يلوون على شيء فسارت جاندارك الى شارل السابع الملك عندما أوقعت على يدها من النصر وكان الفرنسويون في تلك الاصقاع يتسابقون لمرآها ويتزاحمون على لثم أقدامها ولمس ثراها فأكرم رجال البلاط وفادتها ودعاها الملك الى وليمة فأبت قائلة ان الوقت وقت جهاد وثبات لا وقت قصف ولذات وان الروح أنبأني بأن الموت قد دنا فندلى حتى صار على قاب قوسين وانه لم يبق لي ويلا أكثر من عامين فاذهب بحقك الى رام حيثما أتوجك بيدي وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء وسارت أمامه بفصيلة من الجيش حتى اذا بلغت جارجو اعترضتها العدو فهاجمته ورقت حاملة سلما لها على السور فرميت من أعلاه بحجر نداها من الخندق فصرعت ولكنها أفاقت بعد قليل وجعلت قائدة الجيش تستنهض همة العساكر بكلام أرق من السحر وأفعل في الرؤوس من نشوة الخمر وهي تعالج آلاما مبرحة فدبت النخوة في صدور الرجال وحملوا حملة صادقة أذاقت العدو الازرق بلاء أسود وأرته من بريق النصل الابيض موتا أحمر فاستولت على البلد عنوة بعد أن أسرت وطار الخبر الى الامم تلبوت قائد الانكليز العام أخلى سائر المدن وكر قافلا الى باريس وما برحت جاندارك آخذة في سيرها وظافرة بشرذمة فتكت بهم حتى بلغت مدينة رام وهناك تم تتويج شارل في ١٧ تموز سنة ١٤٢٩ وكانت جاندارك ممسكة بسيفه وعلمها أثواب الكماة وبعد انقضاء الحفلة جثت عند قدميه وعانقتهما باكية ثم قالت اليوم أكملت لكم نصركم وأنجزت كل ما وعدتكم فأطلقوا سراحي فأعود الى أبي قرية العين حيثما أرعى الماشية وأغزل الصوف جريا على سنة تربيت فيها ونشأت عليها فامتنع الملك قائلا كيف أغادر من بها نجاة الامة واليها يرجع أمر استتباب راحتها وعليها يتوقف استكمال سعادتها ذلك لان الناس كانوا قد ازدادوا بها اعتقادا وعلقوا على رسالتها وقدومها آمالا طوالا حتى كانوا يرون حول رايتها أرواحا من الفراش البراق فساءها امتناع الملك وعرتها من تلك الساعة الكآبة والحزن وفارقها ذلك الرشد والنشاط وذهبت عنها تلك الحمية والبسالة وانقطعت عنها أحلامها الروحانية حتى أصبحت أعمالها رهينة الحيرة والفشل وأقوالها قرينة الوهم والارتباك وكانت ترى أبدا حائرة النفس

دافعة البكا ولما الح عليها الالحاح رفضا استعادت من معبد رامس سلاحها وبرزت ثانية في زي الابطال غير أن كبراء القادة وأمراء الجيش كانوا قد أثر بهم بغضها وأثر بهم الحسد والضغينة فصاروا يشنعون عليها ويسيئون معاملتها ويغرون العساكر على تثبيطها ويلقبونها بالالقاب المستهجنة ويتهمونها بهتك حجابها ويدفعونها أمام الهجوم فكانت تردهم أقبح الردود وتجالس الامراء والنساء ومحبوبات الابكار ولا تنام الا مع امرأة تخفرها فلم يبد أحد فيها محلا للوم والقذف ومع أنها جرحت جراحات لم يثبت كونها سفكت بيدها دم أحد ثم أشارت على الملك بالشخوص الى باريس ليستخلصها من يد الانكليز فسار وأوجاندرك سائرة في ركابه حتى اذا بلغها بعد شق الانفس أمرها بالهجوم على قوبورست أونورى حيث يقيم الاعداء فأثخنت في تلك الواقعة جراحا وصرعت عدة صرعات ولما استعادت رشدها قامت فعلقت درعها وسألت الملك الانصراف فأبى ووعدها بأعظم قربها من المراتب ومنحها براءة جليلة فعاودت الخدمة مرغمة وفي سنة ١٤٣٠ انتدبها الملك الى اجلاء الانكليز من كومبين فسارت متدرعة بالاقدام بيد أنها لما أرادت الايقاع بالحاصرين خذلها أتباعها فرميت بسهم فصرعت واستسلمت الى الاسر فقدموها وذلك في ٢٤ ايار سنة ١٤٣٠ فذاع خبر أسرها في تلك الاصقاع وأقبل الناس لرؤيتها ثم بيعت للانكليز وخذلها الملك شارل جاحدا جميلها كافرا نعمتها وأمانتها وخسة أصل وتمادى الناس في حديثها وكان أهل باريس يشددون عليها النكير ويغرون الانكليز على اتلافها فلبثت محبوسة في قلعة بان دولكسنبرغ حتى أقيمت عليها الدعوى في ١٣ شباط سنة ١٤٣١ تحت رياسة (كوشون) مطران (بوفه) من صنائع هنري السادس عامل الانكليز فسيقت الى المحكمة عشرة مرة أبدت في خلالها ثباتا عجيبا ودفاعا مفحما على انهم حكموا أخيرا بأنها مبتدعة ساحرة وبان تحبس في الحبس الابدي مقصورا قوتها على الخبز والماء ثم أرغموها على الحلف بأن لا ترتدي بعد ذلك بلباس الرجال ثم نصبوا لها شركا بأن بدلوا ثيابها بثياب رجل فلما أرادت ترك فراشها لم تجد سوى تلك الثياب فلبستها مضطرة فهوجست وسيقت الى الحاكم بهذا الزي فحكم بانها حانثة تستحق الاحراق فقالت بثبات وجلال اني أستأنف حكمك الى عرش الحكيم العظيم ولكنها لما أخرجت الى حيث أعدت المحرقة تذكرت خوفها فأتت مذعنة ولما حمي الوطيس والمع لسان اللهيب فيه جعلت تدعو وتبتهل بلسان أبكى أعداءها وحمل الكردينال (بوفور) فحول وجهه عنها باكيا والدموع تتحدر من مآقيه كالسواقي وقد تم هذا الاستشهاد الاثيم في ٣١ ايار سنة ١٤٣٠ في ساحة تسمى موضع البكر وذري رمادها بالهواء فوق نهر السين ثم بعد عشرين عاما نقض مطران باريس ومطران (رام) هذا الحكم وأثبتا براءتها وفي سنة ١٨٢٠ أقيم لها تمثال في موطنها (دومري) وآخر في محل احراقها (دون) ثم آخر في باريس وهو أجل تماثيلها وفي سنة ١٨٥١ نصب لها أهل أورليان تمثالا في مدينتهم وهم يعيدون تذكارها في ٨ ايار في كل عام وقد عاب الرأي العام (فولتير) بقصيدته التي أودعها ذم جان دارك وتسويد صحيفتها بأنواع السب الظالم والقذف الغادر وكان لا يشعر بذلك من أوقف حياته على تقويض عمد الديانات وتزييف أوليائها وقد ألف كتبة الافرنج بموضوع قصتها عدة تآليف وروايات محزنة من النوع المعروف (بالتراجيدي) أي الناجعة وهي مما يذيب تمثيلها القلوب ويشق المرائر فيا قاتل الله الانسان اما كافر

ليت السباع لنا كانت مجاورة * وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا

ان السباع لتهدا عن فرائسها * والناس ليس يهادنهم أبدا

جليلة

﴿جليلة بنت مرة الشيباني﴾

هي أخت جساس قاتل كليب بن ربيعة أخي المهلهل وكانت جليلة تزوجت بكليب فلما قتل جساس أخوها كليبا زوجها اجتمع نساء الحي للمأتم فقلن لأخت كليب أخرجي جليلة عن مأتمك فان قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب فقالت لها يا هذه اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا فخرجت وهي تجر أعطافها فلقيها أبوها مرة فقال لها ما وراءك يا جليلة فقالت ثكل العدد وحزن الابد وفقد حليل وقتل أخي عن قليل وبين ذلك غرس الاحقاد وتفتت الاكباد فقال لها أو يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات فقالت جليلة أمنية مخدوع ورب الكعبة أبالبدن تدع لك تغلب دم ربها قال ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فبلغ جليلة قولها فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله خيرا أختي أفلا قالت نفرة الحياء وخوف الاعتداء ثم أنشدت تقول

يا ابنة الاقوام ان لمت فلا * تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا أنت تبينت الذي * يوجب اللوم فلومي واعذلي
ان تكن أخت امرئ ليمت على * شفق منها عليه فافعلي
جل عندي فعل جساس فيا * حسرتي عما انجلت أو تنجلي
فعل جساس على وجدي به * قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فديت عين سوى * أختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين أذى العين كما * تحمل الام أذى ما تفتلي
يا قتيلا قوض الدهر به * سقف بيتي جميعا من عل
هدم البيت الذي استحدثته * وانثنى في هدم بيتي الاول
ورماني قتله من كثب * رمية المصمى به المستأصل
يا نسائي دونكن اليوم قد * خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى * وأراني ولظى من أسفل
ليس من يبكي ليومين كمن * انما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدرك بالثار وفي * دركي الثار ثكل المثكل
ليته كان دمي فاحتلبوا * دررا منه دمي بأكحلي
انني قاتلة مقتولة * ولعل الله أن يرتاح لي

﴿جميلة الخزرجية﴾

هي مولاة بني سليم التي قيل فيها

ان الدلال وحسن الغنا * ء وسط بيوت بني الخزرج
وتلك جميلة زين النسا * ء اذا هي تزدان للمخرج

كانت جامعة بين أجل طبقات الغناء والجمال وأسمى مراتب العفاف والكمال وقورة الصمت رخيمة الصوت بهية الشارة فتانة الملامح رزينة الحصاة عذبة الكلام وجيزة العبارة أجمع مجيدو عصرها مثل الغريض وابن سريج وابن محرز ومعبد بن يامع وحبابة وابن عائشة وسلامة وزمين وخليدة وعقيلة العقيقية على كونها امام هذا الفن ومجلى مضمار السبق فيه شرقا وغربا بين الانس والجن وكان معبد يقول لولا جميلة لم نكن نحن مغنين ولطالما تحاكمنا لديها ولولا الذين اخذوا عنها من مكيين ومدنيين ومصريين فقضت بينهم قضاء آخذا بناصية الانصاف مأمونا به جانب الحيف والاجحاف قيل حجت ذات سنة فخرج الى لقائها كبراء مكة وساداتها ومشاهير مغنيها وقيناتها فكثر الزحام وازدحمت في أرجاء الحرم الاقدام والتفت الساق على الساق حتى كأنه يوم التلاق ولما انقضى الحج اقترح عليها الامراء عقد مجلس للغناء فقالت ما كنت بالذي اخلط الجد بالهزل ثم عادت الى يثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبلها امراؤها وأشرافها تتقدمهم الاطفال والنساء وكان قد صحبها قوم من خيار مكة وأعيانها فلما حلت دارها أتاها الجميع مهنئين بالعطف والايناس فغصت الساحات والسطوح بخلائط الناس واصطف المغنون طبقتين متساويتين فكانت كلما صدحت وشدت علا من الخلق ضجيج يناطح عنان السماء واذن السمع سداه الخلق يقولون ما رأينا ولا سمعنا مثل هذا ثم اقترحت على المغنين أن يغنوا شفعا ووترا ففعلوا فكانت تصلح لكل أغلاطه وتريه وجه الاصابة من الطرب طريقة حتى أبهجت الناس بحسنها وحيرتهم حتى أبكتهم طربا وصبابة فانصرفوا يقولون اللهم غفرا فسبحان من جعلها في كل معنى غاية انه ولي التوفيق

﴿جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح الانصارية﴾

هي أخت عاصم بن ثابت امرأة عمر بن الخطاب تكنى أم عاصم بابنها عاصم بن عمر بن الخطاب سمته باسم أخيها وكان اسمها عاصية فلما أسلمت سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة تزوجها عمر سنة ٧ من الهجرة فولدت عاصما ثم طلقها عمر فتزوجها يزيد بن جارية فولدت له عبد الرحمن بن يزيد فهو أخو عاصم لامه وقيل ان عمر ركب الى قبا فوجد ابنه عاصما يلعب مع الصبيان فحمله بين يديه فأدركته جدته الشموس بنت أبي عامر فنازعته اياه حتى انتهى الى أبي بكر الصديق فقال له أبو بكر خل بينه وبينها فما راجعه وسلمه اليها لكونها حاضنته وكانت جميلة اذ ذاك متزوجة بيزيد بن جارية

﴿جنان جارية عبد الوهاب الثقفي﴾

كانت بمنزلة عظيمة من الحب عند أبي نواس وقال انه لم يصدق بحب امرأة غيرها وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة تعرف الاخبار وتروي الاشعار رآها أبو نواس بالبصرة عند مولاها المذكور فاستحلاها وقال فيها أشعارا كثيرة وقيل له يوما ان جنان عزمت على الحج فقال اني سأحج على هذا ان أقامت على عزمها فلما علم أنها خارجة سبقها وما كان نوى الحج ولا أحدث عزمه الا لخروجها وقال لما عاد من حجه

ألم ترني أفنيت عمري * بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سببا اليها * يقربني وأعيتني الامور

حججت وقالت قد حججت جنان * فيجمعني وإياها المسير

وقد أرسل إليها أبو نواس حين عاد من حجه بهذه الأبيات

إلهنا ما أعدلك * مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك * لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك * والليل لما أن حلك
والسابحات في الفلك * على مجاري المنسلك
ما خاب عبد أملك * أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك * كل نبي وملك
وكل من أهل لك * سبح أو لبى فلك
يا خاطئا ما أغفلك * عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك * لبيك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك * والعز لا شريك لك

وقيل كانت جنان قد شهدت عرسا في جوار أبي نواس فانصرفت منه وهو جالس فلما رآها أنشد بديها

شهدت جلوة العروس جنان * فاستمالت بحسنها النظاره
حسبوها العروس حين رأوها * فإليها دون العروس الإشاره

وغضبت يوما جنان من كلام كلمها به فأرسل يعتذر إليها فقالت للرسول قل له لا برح الهجران ربعك ولا بلغت أملك من أحببته فرجع الرسول إليه فسأله عن جوابها فلم يخبره فقال

فديتك فيم عتبك من كلام * نطقت به على وجه جميل
وقولك للرسول عليك غيري * فليس إلى التواصل من سبيل
فقد جاء الرسول له انكسار * وحال ما عليه من قبول
ولو ردت جنان مرد خير * تبين ذاك في وجه الرسول

قيل ولم تكن جنان تحبه أولا فما زال بها حتى استمالها بحسن حيله فصارت تحبه بعد بغضها له قوله

جنان إن جدت يا منايا بما * آمل لم تقطر السماء دما
وإن تمادى ولا تماديت في * منعك أصبح بقفرة رمما
علقت من لو أتى على أنفس الـ * ماضين والغابرين ما ندما
لو نظرت عينه إلى حجر * ولد فيه فتورها سقما

وقال الجماز كنت عند أبي نواس جالسا إذ مرت بنا امرأة من داخل الثقفيين فسألها عن جنان والحف في المسألة فاستقصى فأخبرته خبرها وقالت قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أني أسمع ويحك قد آذاني هذا الفتى وأبرمني وأحرج صدري وضيق علي الطرق بحدة نظره وتهتكه فقد أهم قلبي بذكره والفكر فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته ثم التفتت فأمسكت عن الكلام ففرح أبو نواس بذلك فلما قامت المرأة أنشأ يقول

يا ذا الذي عن جنان ظل يخبرنا * بالله قل وأعد يا طيب الخبر

قال اشتكيتك وفات ما ابتليت به * أراه مني حيثما أقبلت في أثري
ويعمل الطرف نحوي ان مررت به * حتى ليخجلني من حدة النظر
وان وقفت له كيما يكلمني * في الموضع الخلو لم ينطق من الحصر
ما زال يفعل بي هذا ويدمنه * حتى لقد صار من همي ومن وطري

وقيل أرسلت جنان تقول لابي نواس قد شهرتني فاقطع زيارتك عني أياما ليقطع بعض القالة ففعل وكتب اليها

انا هجرنا الناس اذ فطنوا * وبيننا حين نلتقي حسن
تدافع الامر وهو مقتبل * فشب حتى عليه قد مرنوا
فليس يفدي عينا معاينة * له وما ان تعيبه أذن
ويح ثقيف ما ان يضرهم * لو كان لي في ديارهم سكن
أريب ما بيننا الحديث فان * زدنا فزيدوا فانما ثمن

وقيل كتب اليها من بغداد

كفى حزنا أن لا أرى وجه حيلة * أزور بها الاحباب في مكان
وأقسم لولا أن تنال معاشر * جنانا بما لا أشتهي بجنان
لأصبحت منها داني الدار لاصقا * ولكن ما أخشى فديت عداني
فواحزنا حزنا يؤدي الى الردى * فأصبح مأثورا بكل لسان
أراني انقضت أيام وصلي منكم * وآذن فيكم بالوداع زماني

وقيل بلغه أن امرأة ذكرت لجنان عشقه اياها فشتمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر فقال في ذلك

وابأبي من اذا ذكرت له * وطول وجدي به تنقصني
لو سألوه عن وجه حجته * في سبه لي لقال يعشقني
نعم الى الحشر والتنادي نعم * أعشقه أو ألف في كفني
أصبح جهرا لا أسر به * عشقي فيه من يعنفني
يا معشر الناس فاسمعوه وعوا * ان جنانا صديقة الحسن

فبلغها ذلك فهجرته وأطالت هجره فرآها الليلة في منامه وأنها قد صالحته فكتب اليها

اذا التقى في النوم طيفانا * عاد لنا الوصل كما كانا
يا قرة العينين فما بالنا * نشقى ويلتذ خيالانا
لو شئت اذ أحسنت لي في الكرى * أتممت احسانك يقظانا
يا عاشقين اصطلحا في الكرى * وأصبحا غضبى وغضبانا
كذلك الاحلام غدارة * وربما تصدق أحيانا

وقيل رآها يوما في دار ثقيف فقابلته بما كره فغضب وهجرها مدة فأرسلت اليه تصالحه فرده ولم يصالحها فرآها في النوم تطلب صلحه فقال

دست له طيفها كيما تصالحه * في النوم حين تأبى الصلح يقظانا

فلم يجد عند طيفي طيفها فرجا * ولا رثى لتشكيه ولا لانا
حسبت أن خيالي لا يكون لما * أكون من أجله غضبان غضبانا
جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا * فلم يكن هينا منك الذي كانا

ومن قوله فيها

أما يفنى حديثك عن جنان * ولا تبقى على هذا اللسان
أكل الدهر قلت لها وقالت * فكم هذا أماهذا بفان
جعلت الناس كلهم سواء * اذا حدثت عنها في البيان
عدوك كالصديق وذا كهذا * سواء والاباعد كالاداني
اذا حدثت عن شأن توالت * بجانبه أتتم بشان
فلو موهت عنها باسم أخرى * علمنا اذ كنيت من أنت عاني

ومن ظريف ما كتبه اليها قوله

أكثرى المحو في كتابك واحيه * فاذا ما محوته باللسان
وامرى بالمحاء بين ثنايا * لك العذاب المفلجات الحسان
انني كلما مررت بسطر * فيه محو لطعته بلساني
تلك تقبيلة لكم من بعيد * أهديت لي ومابرحت مكاني

ورآها يوما في مأتم سيدها تندبه باكية وهي مختضبة فقال مرتجلا

يا قمرا أبرزه مأتم * يندب شجوا بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب
لا تبك ميتا حل في حفرة * وابكي قتيلا لك بالباب
أبرزه المأتم لي كارها * برغم دايات وحجاب
لا زال موتا دأب أحبابه * ولا تزل رؤيته دابي

ودخل على أبي نواس بعض أصحابه يعودونه وهو مريض فوجدوا به خفة قالوا فانبسط معنا فقال من أين جئتم فقلنا من عند جنان تبكي أو كانت عليك فقلنا نعم وقد عوفيت الآن فقال والله أنكرت علتي هذه ولم أعرف لها سببا غير أني وهمت أن ذلك لعلة نالت بعض من أحب ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعا أن يكون الله عافاها منها قبلي ثم دعا بدواة وكتب الى جنان

اني حممت ولم أشعر بحمك * حتى تحدث عوادى بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني * من غير ما سبب الا بحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم * عافاني الله منها حين عافاك
حتى اذا اتفقت نفسي ونفسك في * هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك

وقيل ان أبا نواس حاول مرارا أن يتزوج بها ولم ينل ذلك وتوفى قبلها وبقيت هي في منزل سيدها معززة مكرمة الى أن ماتت بعد أبي نواس بمدة قليلة ويقال ان سبب وفاتها حزنها على أبي نواس لكونهم لم تتمثل به

﴿ جنفياف ابنة دوق برابنت من أعمال فرنسا ﴾

ولدت في فرنسا سنة ٦٨٠ ميلادية وكانت من أبدع نساء عصرها جمالا ورقة وأكثرهن لطفا ورزانة وأبدعهن حديثا ومعاشرة أحبها (سغفريد) (كونت بالاتين) وأحبته فاقترنا سنة ٧٠٠ وقبل أن يمضي على قرانهما عام انتدب (شارل مارتل) زوجها لقيادة كتيبة من جيشه المقاتلة لمحاربة العرب في المغرب فأجاب سؤاله وغادر جنفياف الى عناية الكافلين (غولو) وكيل أملاكه الذي لما خلا له الجو تربص لها الخناس مراودة سيدته ومطارحتها الوجد فأبت من عفافها سورا من حديد لا تخرقه هجمات الماكرين ولا تفعل به مجانيق الختالين ولما قنط وأعيته الحيلة عدل لؤما وخبث طينة الى اتهامها بالفحشاء زاعما أنها جاءت بعد ترحال زوجها خيانة ولما كان بعلها ساذج القلب نزيه الضمير دخلت عليه وشاية أمينه الخائن وحدثته الحمية والانفة الى توقيع أمر باتلافها مع وليدها الطفل على زعمه بيد أن غولو خدع من عهد اليهم قتلها فتركت مع طفلها في غاب لرحمة الله تعالى فحنت على ولدها وأخذت ترضعه وتدأب على تربيته حتى ترعرع ولما عاد زوجها من غزوته علم أنها بريئة من الوصمة والعار فندم على فعلته ندم الفرزدق على طلاق نوار فخرج ذات يوم متجولا في ذلك الغاب لتقتنص ترويحا لكربه واقراحا عن قلبه فلقي جنفياف عرضا فخيل له أن روحها مثلت لديه لتشتد النكير عليه ولم يبد له أنها حية حتى نادته بأسمائه من رقتها وأزاحت له الستر عما يعلم من مسئلة قتلها وحيلتها فخجلت له الدنيا اذ ذاك بثوب بهجة وثغر الفرح أهداب أماقيه فأسبلت الدموع وضم محبوبته وابنه الى صدره ضمة كادت تستفرغ بهما الفؤاد لو لم تحل دونه حنايا الضلوع وذهب بهما الى قصره الجميل القائم بين مروج أفيح وماء سلسبيل وقال لهما كلاما منها رغدا حيث شئتما لا جناح بعد اليوم عليكما فبنت جنفياف حيث كانت في الغاب معبدا حمدا لله على حياتها وشكرا وهو لا يزال حتى اليوم عبرة للناظرين وذكرى فشيدوا فيه أخيرا مذبحا نقش عليه خلاصة ما كان ونصب تمثال بعد ذلك العروسان وقد نظم بلغاء الافرنج المهم من حوادث جنفياف الجميلة شعرا وألف كتبتهم في أنبائها روايات نثرية عرب احداها وطبعت ونشرت تمثلها وهي على علاتها تثير الاشجان وتهيج الاحزان وتتلو على قارئها (كل من عليها فان)

﴿ جنفياف القديسة ﴾

حامية لباريس ولدت في بلدة نتتر نحو سنة ٤٢٢ ميلادية وتوفيت في باريس سنة ٥١٢ حسب أشهر التقاليد كان أبواها (سفيروس) (وجيرونتيا) فقيرين جدا وكان عملها وهي صغيرة أن ترعى الماشية على قمة جبل فاريان حتى يدعى باسمها وكذلك نبع ومغارة عند حضيضه ولما كان عمرها ١٥ سنة أقامها للخدمة الدينية القديس جرمانوس الاوستري وقد تنبأت سنة ٤٤٩ بمداهمة الهون تحت قيادة أطيلا ولما تهدد هذا القائد سنة ٤٥١ أن يهاجم باريس يقال ان شجاعتها وبراعتها خلصت المدينة وكذلك في أثناء حصار الفرنك لباريس تحت قيادة كلوفيس كانت تقوي الاهالي وتشجعهم واتخذت طريقة لادخال المؤنة الى المدينة ولما أخذت باريس خلصتها شفاعة جنفياف من الاعمال القاسية وكان كلوفيس يعتبرها وقد دفنت بالقرب منه في كنيسة القديسين بطرس وبولس التي بناها وقد سميت تلك الكنيسة مع الدير المجاور لها باسمها وتابوتها الذي يقال انه من عمل (سان الوا) جعل مكانه في القرن الثالث عشر تابوت

أكبر وأثمن وكان يحسب زمانا طويلا بملجأ أهل باريس وقد أرسل الى دار الضرب سنة ١٣٩١ وأحرقت الذخائر التي كانت فيه

﴿جنوب أخت عمرو ذي الكلب الهذلي﴾

كانت شاعرة أديبة فصيحة لبيبة بليغة المعاني ذات ألفاظ رائقة ومعان فائقة لها في أخيها مراث قالتها لما قتله بنو كاهل منها ما رواه الجوهري

أبلغ بني كاهل عني مغلغلة * والقوم من دونهم سعيا ومركوب
والقوم من دونهم أين ومسغبة * وذات ريد بها رضع وأسكوب
أبلغ هذيلا وأبلغ من يبلغها * عني حديثا وبعض القول تكذيب
بأن ذا الكلب عمرا خيرهم حسبا * ببطن شريان يعوي حوله الذيب

وقالت تمدحه في خلال مراثيها

فأقسم يا عمرو لو نبهاك * اذا نبها منك داء عضالا
اذا نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه * وكنت دجى الليل فيه الهلالا
لقد علم الضيف والمرملون * اذا اغبر أفق وهبت شمالا
تخلت عن أولادها المرضعات * ولم تر عين لمزن بلالا
بأنك ربيع وغيث مريع * وأنك هناك تكون الثمالا
وحرب وردت وثغر سددت * وعلج شددت عليه الحبالا
ومال حويت وخيل حميت * وضيف قريت يخاف الوكالا

﴿جهان﴾

(والدة السلطان شمس الدين ملك دهلي في بلاد الهند) وأم السلطان تدعى المخدومة جهان وهي من أفضل النساء كثيرة الصدقة عمرت زوايا كثيرة وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر وهي مكفوفة البصر وسبب ذلك انه لما ملك ابنها جاءها جميع الخواتين وبنات الملوك والامراء في أحسن زي وهي على سرير الذهب المرصع بالجوهر فخدمن بين يديها جميعا فذهب بصرها للحين وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع وولدها أشد الناس برا بها ومن بره أنها سافرت معه مرة فقدم السلطان قبلها بمدة فلما قدمت خرج لاستقبالها وترجل عن فرسه وقبل رجلها وهي في المحفة بمرأى من الناس أجمعين قال ابن بطوطة في رحلته ولما انصرفنا من عند السلطان شمس الدين المذكور خرج الوزير وخرجنا معه الى باب الصرف وهم يسمونه باب الحرم وهنالك سكنى المخدومة جهان فلما وصلنا بابها نزلنا عن الدواب وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله ودخل معنا قاضي قضاة المماليك كمال الدين بن البرهان فخدم الوزير والقاضي عند بابها وخدمنا كخدمتهم وكتب كاتب بابها هدايانا ثم خرج من الفتيان جماعة وتقدم كبارهم الى الوزير فكلموه سرا

ثم عادوا الى القصر ثم رجعوا الى الوزير ثم عادوا الى القصر ونحن وقوف ثم أمرنا بالجلوس فى سقيف هنالك ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلال من الذهب يسمونها السبى (بضم السين والياء آخر الحروف) وهى مثل قدور ولها مرافع من الذهب تجلس عليها يسمونها السبك (بضم السين والباء الموحدة) وأتوا بأقداح وطسوت وأباريق كلها ذهب وجعلوا الطعام سماطين وعلى كل سماط صفان ويكون فى رأس الصف كبير القوم الواردين ولما انتهى الطعام خدم الحاجب والنقباء وخدمنا لخدمتهم ثم أتوا بالشربة فشربنا وقال الحاجب بسم الله ووقف الوزير ووقفنا معه ثم أخرجوا من داخل القصر ثيابا غير مخيطة من حرير وكتان وقطن فأعطى كل واحد منا نصيبه منها ثم أتوا بتيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة وتيفور مثله فيه الجلاب وتيفور ثالث فيه التنبول ومن عادتهم أن الذى يخرج له ذلك يأخذ التيفور بيده ويجعله على كاهله ثم يخدم بيده الاخرى الى الارض فأخذ الوزير التيفور بيده قصد أن يعلمنى كيف أفعل ايناسا منه وتواضعا ومبرة جزاه الله خيرا ففعلت كفعله ثم انصرفنا الى الدار المعدة لنزولنا بمدينة دهلى وبمقربة من دروازة وبعد وصولنا بعثت لنا الضيافة وهى مع جزار وطحان وأمرتهما أن يعطونا مقدارا معينا كل يوم وذلك مدة اقامتنا فى بلادها وكان وزن اللحم مقدار وزن الدقيق ومكثنا نستلم ضيافتها الى أن انصرفنا من بلادها ولم أر مثلها فى نساء الملوك لما حوته من العز والجاه والكرم العديم المثال

﴿ جورج سند دوقان ﴾

كانت صاحبة روايات فرنساوية تسمت نفسها جورج سند ولدت فى باريس سنة ١٨٠٤ ميلادية وتوفى أبوها موريس دوبين ولم يكن لها من العمر سوى أربع سنوات فربتها جدتها الكونتس دوهدن وبعد أن صرفت نحو سنتين فى مدرسة يومية فى باريس رجعت الى نوهان سنة ١٨٢٠ وعند وفاة جدتها بعد ذلك بأمد قليل سكنت مع أصحاب عائلتها فى ملون حيث تعرفت بكزمير دوقان فتزوجت به سنة ١٨٢٢ وسكنت فى نوهان ولم يمض الا قليل حتى ظهر لهما ما بينهما من الاختلاف فى الطباع والاخلاق والذوق وزاد النفور بينهما الارتباك المالى الذى وقع فى سنة ١٨٣١ ولما كانت هى راغبة فى امتحان حظها فى التأليف حصلت رخصة من زوجها بأن تصرف ثلاثة أشهر من كل ستة أشهر فى باريس فنشرت بذلك نبذا فى جرنال الفيغارو وظهر لها أنها غير قادرة على الكتابة فى الجرائد لما يلزم لذلك من سرعة الخاطر والعمل وكان زوجها قد عين لها ١٥٠٠ فرنك راتبا سنويا فطلبت الاقتصاد ورغبة فى الدخول الى المكاتب والملاعب العمومية دون ملاحظة لبست لبس رجل وفى تلك الاثناء كتبت بمساعدة صديقها جول سند رواية عنوانها روزوبلانش تحت اسم جول سند فصادفت قبولا فنوى ذلك عزمها على نشر رواية أخرى من القلم نفسه ولكن لم تجد عند جول المذكور رواية مجهزة الا أنها كانت قد أكملت رواية عنوانها آن ديانا نشرت فى باريس سنة ١٨٣٢ تحت اسم جورج سند فصادفت قبولا تاما ومما زادها قبولا ما شاع من أنها من قلم امرأة ثم أردفتها بعد قليل برواية عنوانها فالنتين وهى أحسن من الاولى وصادفت قبولا ثم صارت بعد ذلك كاتبة روايات الجريدة الريفودى ردموند وسنة ١٨٣٣ نشرت رواية عنوانها ليليا أثرت فى العموم تأثيرا بليغا لما تضمنته من مبادئ الكفر والخلل فى الهيئة الاجتماعية ومن ذلك الوقت أخذ كثيرون من الذين كانوا يعتبرون مؤلفاتها ينظرون اليها بعين استخفاف فذهبت حينئذ الى ايطاليا طلبا لتبديل الهواء

ورافقها ألفرد دوموسه الشاعر ولكنهما افترقا في البندقية فرجع الى فرنسا وبقيت هي وكتبت هنالك عدة كتابات وعند رجوعها الى فرنسا في أوائل سنة ١٨٣٥ التقت بالمشرع الفصيح (ميشال دوبورج) فساقها الى الامور السياسية ومع (لامني) الذي وقع جدال بينه وبينها في أمور دينية ومع (بيير لورو) الذي علمها المبادئ الاشتراكية وظهر تأثيرهم فيها في كثير من مؤلفاتها وكان حينئذ قد ازداد النفور بينها وبين زوجها فحصلت على أمر يؤذن لها بتركه وبيدها ادارة أمورها بنفسها وتربية أولادها وبعد ذلك جعلت نوهان مكانا للاجتماع بأصدقائها واعتنت بتربية أولادها وسنة ١٨٣٨ صرفت الشتاء في جزيرة (ميورقة) حيث رافقها (شوبين) معلم البيانو فبقيت فيها الى سنة ١٨٤٧ حين اضطرتها ثورة سنة ١٨٤٨ أن تعود ثانيا الى ميدان السياسة ويقال انها عضدت بكتاباتها كثيرا من الاعمال التي اتخذها (لدرو رولان) وكان حينئذ عضو الحكومة المؤقتة ثم رجعت الى نوهان وسنة ١٨٥٤ نشرت في جريدة برس ترجمة حياتها المحتوية على بعض الحوادث التي تخللتها وهي تاريخ لافكارها واحساساتها ونشرت نحو ٦٠ رواية منها كتب ونبذ في الجرائد ولها تآليف أخرى كثيرة مطبوعة باللغات الافرنجية

﴿جوزفين ابنة الكونت تشاوي لاباجري الفرنسوي﴾

من مقاطعة بالقرب من بلو وأمها فرنسوية الاصل أيضا من مستعمرات جزيرة القديس دومينيكو التابعة لفرنسا عرفها الكونت تشاوي لما هاجر الى تلك الجزيرة سنة ١٧٦٠ ليكون مأمورا بحريا تحت قيادة المركيز واهرني والي الجزيرة وقتئذ فتزوج بها ورزق منها جوزفين المذكورة آنفا وتوفي والدها بعيد ولادتها ثم ماتت زوجته وتركا جوزفين طفلة يتيمة الوالدين فاعتنت بها عمتها القاطنة في تلك الجزيرة وكانت هي وزوجها من أصحاب الاملاك الكثيرة والثروة الطائلة وعلى جانب عظيم من اللطف والدعة حتى أكرمهما أهالي الجزيرة واشتهرا بكل منقبة ومحمدة حتى كان خدمهما ينظرون اليهما نظر الآلهة وأحبهما جميع معارفهما حبا عظيما

فهذان اعتنيا بجوزفين وربياها على المبادئ الادبية منذ الصغر وغرسا في قلبها الحنو واللطف فكانت تعامل بمثل ذلك العبيد القاطنين في ذلك المكان فأحبوها كثيرا وكانوا يعتقدون انها كملكة عليهم ولم يكن لها في تلك الجزيرة من تلعب معه من الاولاد سوى أولاد العبيد فهؤلاء كانوا أصدقاءها في الصغر أما أصحاب عمتها وزوجها فكانوا من خاصة الفرنسويين القاطنين في تلك الجزيرة وهم جماعة من المهذبين العارفين بالآداب والفنون المتمسكين بعوائد بلادهم واصطلاحاتها الحسنة ومن السياح الاوروبيين الذين يأتون الجزيرة ويجولون في أقطار العالم وكانت جوزفين تسمع أحاديثهم وتستوعبه في عقلها الصغير وتحفظ منه أمورا كثيرة لمستقبل الايام ولذلك ظن الناس بعدما اقترنت بنابوليون ومطالعة رسائلها الانيقة انها تعلمت في أحسن المدارس ودرست كل الفنون على أنها لم تدرس شيئا منها درسا قانونيا ما عدا الموسيقى والتصوير والرقص وأما ما بقي فاكتسبته اكتسابا بجدها واجتهادها وتوقد ذهنها وشدة ميلها الى الدراسة
وكانت تضرب القيثار بحذاقة غريبة وتغني بصوت رخيم يأخذ بمجامع القلوب واذا قرأت أثرت في عقول السامعين وسحرتهم بحسن بيانها ورقة كلامها وقد اشتهرت بمحبة الازهار ودرس علم النبات والرقص وبرعت في الخياطة وسائر فنون النساء غير أنها لم تكن تهتم بأمر الملبس اهتماما خاصا ولا كانت تباهي

بحسن قوامها وجمال محياها شأن كثيرات من النساء وكانت صديقتها الحميمة في الصغر احدى البنات الحبشيات اللون ويقال انها ابنة الكونت تشاي والد جوزفين قبل اقترانه الشرعي وهي أكبر منها بسنتين ولم تفارقها لفرط محبتها لها وتعلقها بها

وبينما هما ذاهبتان للنزهة ذات يوم وجدتا عددا من العبيد حول امرأة سوداء طاعنة في السن تزعم أنها من أهل الكرامات الذين يتنبؤون بالغيب فوقفت جوزفين مع البنات ودنت الى المرأة وسألتها أن تنبئها بمستقبل أمرها فقبضت المرأة على يدها وهزتها فقالت جوزفين أظنك اطلعت على شيء من مستقبلي فقالت المرأة انها نعم قالت جوزفين متبسمة فهل تصيبني السعادة أو التعاسة فأجابتها المرأة التعاسة ثم سكتت وقالت ثم تتلوها السعادة فقالت جوزفين أظنك غلطت فانظري ثانية فرفعت المرأة نظرها الى السماء وعلامات الكدر تلوح على وجهها وقالت لا يسوغ لي أن أقول أكثر من ذلك فسألتها جوزفين بالحاح أن تنبئها بمستقبلها فأجابتها المرأة أخاف أن لا تصدقيني فألحت عليها فقالت انك تتزوجين عن قريب ثم لا يمضي الا القليل حتى يموت زوجك ولكنك ستصيرين ملكة فرنسا عدة سنين ثم تموتين في مستشفى وسط اضطرابات أهلية

وفي تلك الاثناء هاجر الى تلك الجزيرة عائلة انكليزية وسكنت بالقرب من بيت عمة جوزفين وبين أفراد هذه العائلة شاب اسمه وليم يقارب عمره عمر جوزفين فأحب كل منهما الآخر حتى صار أهلهما يلمحون الى ذلك وظنوا انهما سيتزوجان عند بلوغهما سن الرشد الا أن الفتى عاد الى بلاده مع عائلته لاسباب قضت بذلك فشق عليه فراق جوزفين وشعر أن حياته منغصة فتعاهدا معها على المحبة والثبات على المودة الى حين اللقاء

وكان عمر جوزفين وقتئذ أربع عشرة سنة وهي في معظم البهاء والجمال أسيلة الخد معتدلة القد واتفق في ذلك الحين أن رجلا فرنسويا يلقب بالكونت فيس اسكندر بواهرني زار عم جوزفين لاشغال له وهذا الرجل مولود في جزيرة دومينيكو وقد نال الوسامات وألقاب الشرف على شجاعته في الحرب التي نشبت بين المستعمرات والممالك الاصلية وهو من المشهورين بالبسالة والنخوة ومساعدة المستعمرات فصيح اللسان ثابت الجنان أنيس المعشر لطيف الحضر وقد حضر وقتئذ الى الجزيرة لاثبات حق له على أملاك من جملتها قسم في حوزة عم جوزفين واضطر الى البقاء عدة أيام في بيت عم جوزفين لانجاز أشغاله وهناك علق قلبه بجوزفين وسحرت عقله بلطفها وكمالها حتى لم يعد يستطيع فراقها ولما رأت عمتها وزوجها ميل هذا الشاب اليها ورغبته فيها وهما يعلمان عظم منزلته وغناه سرا من ذلك وصارا يسكتان عنها كل الرسائل الواردة عليها من خطيبها الاول والمرسلة منها اليه مدة سنة من الزمان

أما جوزفين فحارت في عدم وصول رسائل خطيبها ولم تنثن عن محبته وولائه مع ما أظهره لها الكونت بواهرني من شديد المحبة وكانت تنظر اليه كضيف كريم في بيت عمها

وفي بعض الايام كلمها عمها في أمر زواجها ببواهرني ولما كانت تعلم أنه لا قبل لها برفض ذلك وليس لها الا ابداء رأيها في الامر حسب عادة تلك الايام قالت وكيف ذلك وقد وعدت وليم بان أتزوجه فأجابها ان وليم نسيك وبواهرني أفضل منه ثم ذكر لها بعض مناقبه فاضطرت الى الصمت والتسليم

وبعد أيام رجع بواهرني الى باريس ثم بعد أشهر قليلة عزمت جوزفين أيضا على الذهاب الى فرنسا وكانت

في تلك المدة تفتكر بوليم وتؤمل أن تسمع عنه شيأ ولكنها اقطعت آمالها منه قبل وصولها الى باريس ولما وصلت الى باريس وجدت بواهرني في انتظارها مع بعض رفقائه ومعارفها فذهبت برفقتهم وعلمت وقتئذ أن وليم وأباه في ذلك المكان ثم أتيا بعد وصولها بقليل لزيارتها وفي اليوم التالي أتى وليم وحده لزيارتها فرفضت مقابلته فأرسل اليها رسالة يلومها على عدم محافظتها على العهد ويذكرها الرسائل العديدة التي أرسلها اليها وعدم اجابتها عن شيء منها ويطلب الافادة عن كل ذلك فلما قرأت الرسالة ساءها ذلك كثيرا وتأكدت أنه لايزال يحبها كما كان وان عمتها وزوجها خدعاها بتزويجها ببواهرني وقد أخذ منها الغيظ كل مأخذ فطلبت الى أصحابها أن يسمحوا لها بالذهاب الى دير تقضي فيه مدة من الزمن فأجابوا طلبها وتوجهت الى دير قضت فيه بضعة أشهر بالحزن والقلق

وكان وليم في تلك المدة يترقب الفرص ليراها ولو مرة فلم ينل مرامه فيئس منها وقطع الرجاء من الاقتران بها وتزوج بفتاة غنية فقضى واياها حياة تعيسة

أما بواهرني فقصدها الى الدير وسعى له أن يكلمها من نوافذ غرفتها ولما رأت أنه لاسبيل لها الا الاقتران به حسب رغبة عمتها وزوجها وأن وليم تزوج بغيرها طلبت الرجوع من الدير واقترنت بالفيكونت اسكندر بواهرني المذكور ولها من العمر ست عشرة سنة وكانت الهيئة التي تجتمع بها بعد زواجها مؤلفة من أعلى طبقة من الامراء والاشراف وكانت ترضي جميع الناظرين اليها برقة حديثها وجودة أخلاقها أما زوجها فكان معجبا بجمالها وقد عرفها بالبلاط الملكي وبالملكة ماري انتوانت هناك في قصر فرساليه وقضت ماري انتوانت وجوزفين الاولى ابنة ماريا تريزا أمبراطورة النمسا من سلالة قياصرة استوريا وقد أتت من وسط البلاط النمسوي لتكون ملكة فرنسا وزينة البلاط الفرنسوي والثانية جوزفين ابنة رجل مزارع ولدت في جزيرة بعيدة عن العالم وقد دربت بين الزروع ومن كان يظن أو يخطر له ببال أن ماري انتوانت تنحط الى أسفل دركات الذل وتقتل بالسيف وجوزفين تستوي على عرش لم يجلس عليه القياصرة في أيامهم

وفي تلك الايام بدأت الثورة وعم الكفر والالحاد بلاد فرنسا واستخفوا بالديانة المسيحية فكثر الفساد وزاد البلاء ولم يعد للازواج الشرعي أقل احترام بل شاع الطلاق الى درجة مستهجنة ولما رأت جوزفين أن زوجها بواهرني لايعتقد بالدين ولا يراعي حرمة الآداب وقد تلطخ بالمفاسد على أنواعها بخلاف ما كانت تعتقده فيه كبر عليها الامر وأظهرت له كدرها بلطيف العبارة خوفا من غيظه منها

وفي سنة ١٧٨٠ ولدت ابنة وسمتها هورتنس فحببت ولادتها جوزفين الى زوجها ولما كان بواهرني على ما تقدم من الاوصاف لايعرف من الانصاف والطهارة الا اسمهما كان يلوم جوزفين لانكارها عليه سوء تصرفه ناسبا انه ليس لها حق في الكلام معه في هذا الشأن مادام يعاملها باللطف والمعروف ومن ثم لم تعد جوزفين ترى يوما سعيدا وزادت تعاستها يوما بعد يوم ولم تجد لها سلوا سوى ابنتها الصغيرة

وفي سنة ١٧٨٢ ولدت ابنا وسمته أوجين فصار لها ولدان تعزت بهما عن جفاء والدهما الذي لم يزل عاكفا على المنكرات ومما زاد غيظ جوزفين فساد المرأة التي بواهرني يميل اليها فانها جاءت مرة الى جوزفين وهي غير عالمة أنها عشيقته وأخبرتها انه لايستحق محبتها ثم ذكرت لها محبة وليم لها وما زالت تكلمها بمثل ذلك حتى

اضطرتها الكتابة رسالة الى عمها وعمتها ذكرت فيها انها لولا الاولاد لتركت فرنسا الى الابد وأن واجباتها تقضي عليها بان تسلم وليم ولكنها ما لبثت ان قبلتها بلا تكن تعيسة كما هي الآن الى غير ذلك من مثل هذا الكلام فاختلست تلك الخادمة الكتاب وارسلته لبواهرني مبرهنة له أن بين وليم وجوزفين مثل ما بينه وبينها فكره جوزفين من أجل ذلك كرها عظيما وحاولت أن تبرئ نفسها مما اتهمها به ظلما وعدوانا فلم يصغ اليها بل طردها وأخذ ابنها منها وطلب من المجلس طلاقها فأخذت ابنتها وذهبت الى دير هناك لتقضي مدة من الزمان ريثما تنتهي محاكمتها ويالها من مدة قضتها بالعزلة ومرارة العيش والقلق الذي ساء عليه من مزيد على أن المجلس برأها من كل ما اتهمت به بعد محاكمة طالت سنة من الزمان وحكم على بواهرني أن يقوم بنفقتها ونفقة ابنتها وأن تنفصل عنه انفصالا

وحدث في ذلك الوقت أنها تلقت رسالة من عمها وعمتها من مرتينيكو يطلبان منها الذهاب اليهما فأخذت ابنتها معها وتوجهت الى هناك فقابلاها بالمحبة والاعزاز وقضت ثلاث سنين في مرتينيكو مغمومة حزينة لا سلوى لها سوى المطالعة وتعليم ابنتها والتصدق على من حولها وكان يغلب عليها الافتكار بولدها وما جرى لها مع زوجها فتذهب الى الاماكن المنفردة وتبكي بكاء مر اذا تعس حظها وسوء حالها

أما بواهرني فانغمس في السرور وانهمك في الشهوات محاولا نسيان امرأته وابنته فجلب ذلك له عارا وكثر تحدث الناس بأمره حتى صار مضغة في الافواه ولم ير من يدمحه على أعماله فتذكر زوجته الامينة وحنوها وكمالها وجمالها فندم على قسوته وسوء معاملته لها وأحب أن ترجع اليه ثانيا فكتب لها مظهرا أسفه على مافرط منه في الماضي واعدا أن يسلك معها بالمحبة والامانة ولا يعود في المستقبل الى ما كان عليه مؤكدا لها احترامه لصفاتها الشريفة راجيا أن ترجع اليه مع ابنتها ليتجمع شمل تلك العائلة المشتتة

فلما اطلعت جوزفين على رسالة زوجها جذبها الوجد والشوق الى ابنها البعيد عنها وتصورت انها استخدمه اليها فأبتهجت بمجرد التصور والتفكر ولكنها لم تكن قد نسيت الاتعاب والاحزان التي قاستها وقد كرت أمرها لاصدقائها وأظهرت لهم انها لولا شوقها الى ولدها لما كانت تترك الجزيرة طول عمرها فألحوا عليها أصدقاؤها بالبقاء فلم ترض بل ودعتهم ورجعت الى فرنسا ولما وصلت اليها قابلها زوجها بالترحاب وكان قد اختبر قيمة العيشة الاهلية واللذة الطاهرة النقية وفرحت جوزفين بزوجها وابنها وسر زوجها من اجتماع الشمل بعد التفرق وتناسيا الايام التعيسة الماضية وصمما على المعيشة بالصفاء والسعادة ولكن الدهر في الناس قلب فان صفاءهما لم يطل لما حدث من الاضطرابات عند نشوب نار الثورة الفرنساوية فان البلاد كانت وقتئذ تائهة فاقدة والملك والملكة كانا في السجن وكان بواهرني في ابتداء الثورة من أشد أنصار حزب الحرية وانتخب معتمدا للجمعية التي أقامها ذلك الحزب فكان نائبا لها بكل متعلقاتها ثم انحل عقد الجمعية فرجع الى الجيش ولما انتظمت جمعية اتفاق الامة انضم الى عضويتها هذه الجمعية وانتخب رئيسا لها مرتين

وانقسمت فرنسا في ذلك الوقت الى حزبين حزب مؤلف من العوام وآخر من الاشراف وقوي حزب العوام على حزب الاشراف وكان قائده رجلا قاسيا يدعى دوبس بيرفقبض واعلى جمهور غفير من حزب الاشراف وأودعوهم السجن ليقتلوهم بعد المحاكمة وكان في الجملة جوزفين وزوجها فانهم قبضوا عليهما بعنف وساقوهما الى السجن ووضعوا كلا منهما في مكان بعيد عن الآخر ولم ير والهتهما الصغيرين

وكانا في صباح اليوم الذي سجنت جوزفين فيه أتتها رسالة من بعض الاصدقاء يخبرونها بما سيجرى عليها ويحضونها على الهرب وطلب النجاة فلما اطلعت جوزفين على الرسالة جعلت تتأمل في أمر نجاتها ونجاة أولادها أيضا ولكنها لم تر بابا للهرب حتى سمعت قرع الباب الخارجي والضوضاء أمامه ففهمت سبب ذلك وأسرعت الى الغرفة التي كان الولدان نائمين فيها ودنت منهما وهما نائمان والدموع تتساقط على وجنتيها ثم أكبت عليهما وقبلتهما قبلة الوداع وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب ثلاث دقائق ودخلت غرفة الاستقبال فرأت فيها عصبة من العساكر لما لمحتها أغلظوا لها الكلام ثم سلبوا ما في يديها وساقوها الى السجن الذي قتل فيه ثمانية آلاف شخص منذ أشهر قليلة

أما الولدان فلما استيقظا ووجدا أنفسهما منفردين في البيت مع الخدم سألا عن أمهما فأجابهما واحد أنه قد قبض عليها وأخذت الى السجن فبكيا وانتحبا وطلبا أن يذهبا الى السجن ويقيما مع أبيهما وأمهما وكان لهما عمة فلما علمت بسجن جوزفين أخذتهما اليها

أما بواهرني وجوزفين فكان كل منهما في سجن مظلم من سجون القتلى وقد تلطخ كل منهما بآثار الذين قتلوا في تلك السجون وكانا لا ينفكان عن الافتكار والبكاء بسبب ما جرى لهما وما سيؤول اليه أمرهما وما آل اليه بيتهما من الخراب ويتشوقان الى استماع شيء عن ولديهما وأحوالهما وبينما هما في السجن اذ وصلت الاخبار الى جوزفين عن أمر سلامتهما ففرح قلبها بتلك الاخبار السارة وأما بواهرني فلم يمكنه أن يسمع شيئا وكان هذا الحادث الهائل هو العاصف الثاني الذي لاقته جوزفين في بحر هذه الحياة العجاج

أما السجن الذي كانت جوزفين مسجونة فيه فكان دير الكرمليين وقد اشتهر في تلك الايام بكونه مسرح الظلم والعدوان وكان متسعا وفيه عدة غرف وله أسراب مظلمة حتى لقد وجد داخل جدرانه عشرة آلاف مسجون في وقت واحد وكان كل قسم من هذا البناء العظيم ملطخا بدماء القتلى الذين قتلوا في تلك الاثناء وكانت الرجال والنساء البائسون يجرون الناس الى السجون بالمئات والالوف وكان كثير منهم من الكهنة الذين ساقوهم أمام مذبح الكنيسة للاستهزاء برسوم الدين وهناك قتلوهم وكان في سجون فرنسا حينئذ نحو الثمانية آلاف مسجون وكلهم من الابرياء ينتظرون ساعة قتلهم ولم يكن فيهم أحد من سوقة الناس وجهالهم بل كانوا جميعا من أشراف فرنسا ومهذبيها أما سجن جوزفين فكان في كنيسة هذا الدير مع مائة وستين نفسا من الرجال والنساء وكانت تظهر البشاشة بقدر الامكان بين هؤلاء الرفاق وهي موقنة أنه لا ينالهما سوء وراجية أنهما سيخرجان قريبا ويرجعان الى بيتهما وكانت تكاتب الى زوجها وأولادها تشجعهم وتشدد عزائمهم وتجذب جميع من في السجن اليها بحسن أخلاقها ورقة شمائلها حتى امتلكت قلوب المسجونين في زمن قصير فاختاروها لتقرأ لهم الجريدة اليومية لمهارتها في القراءة وكونها ذات صوت رخيم يأخذ بمجامع القلوب وكانوا يرون العجلات من نوافذ السجن مشحونة بالمسجونين المسوقين الى الذبح كل يوم فالبعض يرين رجالهن والبعض أولادهن وغيرهم من الاعزاء عندهم فيقعون على الارض فاقدي الشعور وفي صباح يوم من الايام حلمت جوزفين انها خرجت من السجن وجلست مع زوجها وأولادها فسمعت مناديا ينادي بالحضور أمام الحكام فتأكدت من ثم قرب أجلها لانها علمت أن لا رادة للعدو في تلك الشدة العديمة الشفقة والرحمة وأن نداء هذا المنادي ليس الا الخطوة الاولى لاعدام حياتها وليس بعدها الا المذبحة فقطعت آمالها أي انقطاع من فقد الرجاء الى

الغيظ واليأس وجذبها الوجد الى زوجها وأولادها وغلب الى هنيهة حنو المرأة على شجاعتها ولكنها
رجعت الى نفسها واستعدت الى المحاكمة بقدر ما يمكن من الهدو والسكينة ثم سيقت من سجنها الى
دار المحكمة الملطخة بدماء القتلى وأدخلت احدى غرفها هي وآخرون أيضا لكي ينتظروا نوبتهم للمحاكمة
التي نتيجتها اما الحياة واما الموت العاجل وبينما كانت جوزفين جالسة في هذه الغرفة تنتظر نوبتها اذ فتح
باب من الجهة المقابلة ودخل منه فرقة من العساكر المسلحين ومعهم عدد من الاسرى وكانوا قد أتوا بهم
من سجن آخر وكانت عيون الجميع محدقة بهم وهم داخلون واحدا بعد آخر فنظرت جوزفين فرأت
رجلا مهزولا ذكرها بزوجها فأعادت النظر اليه والتقت العين بالعين فعرفت شكله منهما الاسير فنهض
وركضت مسرعين وتذكر بواهرني عند ذلك عدم أهمية الكرم أخلاق جوزفين ومحبتها له فحنى رأسه
المتصدع على كتفها وبكى بكاء الندامة والتوبة فبعد أن قضيا بضع دقائق على تلك الحالة أتى الجنود وجروا
بواهرني الى المحاكمة وكانت هذه المرة الاخيرة التي رأى فيها جوزفين ورأته ثم أرجعوه الى السجن ولم يثبت
عليه شيء الا انه كان من الاشراف والاكابر وعلى ذلك استحق الموت ثم أدخلت جوزفين في نوبتها ولم يثبت
عليها شيء أيضا سوى أنها كانت امرأة رجل من الاشراف وصاحبة ماري انطوانت وكانت ذات امتيازات
خاصة بها في القصر الملكي وعلى ذلك استحقت الذبح هي أيضا فردت الى السجن ولكنها لم تعلم شيئا من الحكم
الذي صدر عليها ولا على زوجها وكانت واثقة أنهما سيحضران قريبا اذ يدري خلدها انه يحكم عليهما
بالموت من غير أن يثبت عليهما ارتكاب جريمة وكانوا يأتون الى السجن في كل مساء بجريدة أسماء الذين
تصيبهم الذبح في الصباح التالي وحدث بعد محاكمة جوزفين وزوجها بأيام قليلة في مساء أربعة وعشرين
يوليو سنة ١٧٩٤ أن بواهرني رأى اسمه بين أسماء الذين سيساقون الى الذبح عند الصباح فلما علم
ذلك وتذكر جوزفين وأولاده حزن وعزت عليه الحياة ولكنه تجلد واستعد للذبح ثم أخذ وكتب رسالة
طويلة الى جوزفين مفعمة بعواطف المحبة وأكد لها اعتقاده ببرائتها وطهارتها وحسن صفاتها وشكر لها صبرها
لاجل مسامحتها اياه القلبية عن كل ما صدر منه عندما كان مقيما حين رجع وطلب محبتها وطلب منها
أيضا أن تربي ولديه وتعلمهما محبة أبيهما حتى يبقى ذكره بينهما وحبه في قلوبهما بعد الممات وبينما كان
يكتب الرسالة أتى اليه الجلادون وقصوا شعره لكيلا يبقى شيء معارض للسيف عن قطع رأسه فالتقط خصلة
صغيرة منه لكي يرسلها الى جوزفين تذكارا أخيرا فمنعه الجلادون القساة ولم يسمحوا له بذلك ولكنه اشترى
منهم بضع شعرات وأرسلها ضمن الرسالة وفي الغداة كانت عجلات المذنبين واقفة على باب السجن وكان قد
حكم في ذلك اليوم باعدام عدد كثير من المسجونين ولما كانت العجلات مارة في أسواق باريس مشحونة
بالابرياء المحكوم عليهم كانت عيون الشعب شاخصة اليهم وقد اشمأزت من هذه المظالم ولما وصلوا الى المكان
المعين لقتلهم قتلوهم جميعا بالاشنقة حتى اذا أفضت النوبة الى بواهرني صعد الى المذبحة وهو رابط الجأش
ثابت الجنان فضربوه بالسيف ضربة كانت القاضية أما جوزفين فلم تكن موقنة بما سيقع على بعلها ولا
عارفة بشيء من ذلك ولما أتت جريدة الاخبار اليومية الى السجن اجتهد بعض السيدات العالمات بذلك
أن يخفينها عنها فلم تنفك عن طلب الجريدة حتى أخذتها وأول شيء وقع نظرها عليه أسماء الذين قتلوا
فلما وجدت اسم زوجها بينهم سقطت الى الارض مغشية وبقيت مدة فاقدة الحواس ولما استفاقت
صرخت في وسط حزنها آه يا الهي أمتني أمتني لانه لا سلام لي الا في القبر فاجتمع أصدقاؤها حولها وجعلوا

يعزونها

يحرسونها ويسألونها الحرص على حياتها كرامة لولدها ولكنها لم تجد لها سلوى ولا غمض لها جفن في تلك الليلة ولما بزغ الفجر أتى عصبة من الثائرين المنتسبة الى البلدية المنضمة الى السجن بالاخبار التي كانت تفرح جوزفين لولا خشيتها على ولدها وأمانتها إياها وكان من تلك الاخبار أنهم استساقوها هي أيضا الى القتل بحجة الخيانة وقصوا شعرها استعدادا لقطع الرأس كما كانوا يفعلونه بالمحكوم عليهم وقالوا لها انك لا تحتاجين الى هذا الشعر فيما بعد فاجتمع أصدقاؤها حولها وطفقوا يبكون وينوحون أمامها فكانت رابطة الجأش ليس عليها شيء من ملامح الحزن والخوف والرعب ولما رأت أصدقاءها وما هم عليه من الحزن والغم التفتت اليهم وقالت لهم ما بالكم تنوحون وتبكون فأنا لم أقتل كما تظنون بل اني سأصير ملكة فرنسا لان ذلك مكتوب لي في صحف الحوادث فلما سمع أصحابها ذلك ازدادوا بكاء وعويلا ظانين أنها أصيبت بالجنون ونظرت اليها احدى السيدات وقالت اذا لماذا لا تعينين الحواشي والخدم لقصرك فقالت لها جوزفين صدقت فانك أنت تكونين وصيفتي في القصر وكان كذلك بعد إذ ولما أرخى الليل سدوله على ذلك السجن شمل الهدو والسكون داخله ثم بزغت شمس الظهيرة في وسط قتام الليل وعلا هتاف الفرح والسرور بين المسجونين من كل جانب ووقع كثيرون على الارض فاقدي الشعور غير مصدقين بما سمعوه من البشرى وذلك أن دوبسبير القاضي القلب كان قد أسلم وقتل وقام حكام آخرون وفتحت أبواب السجون التي كانت مفعمة بالاسرى وأطلقوا سبيل الجميع

أما سبب اسقاط دوبسبير وقتله فهو أن رجلا يقال له تاليان من المقتدرين مع ذوي الجاه والسطوة كان يحب سيدة فاتنة وهي سيدة بارعة الجمال وكانت مسجونة مع جوزفين وكان يذهب كل يوم الى السجن ليراها فحدث ذات يوم أنه اتصل بسمعه أنه قد قرب ذبحها فلما عرفت ذلك انتظرت وقت حضور تاليان الى دار السجن ولما حضر اقتربت هي وجوزفين من نافذة السجن المشبكة بالحديد ورمت ورقة ملفوفة (كرمية) كتبت عليها قد دنت ساعتي والموت مؤكد فاذا كنت تحبني كما تقول فابذل كل ما تستطيعه لانقاذي وانقاذ فرنسا ثم جعلتا تشيران اليه حتى فهم قصدهما والتقط الورقة الملفوفة من الارض ولما قرأها دار ثائره ونهض لانقاذها وذهب حالا الى أصدقائه وجعل يحثهم ضد دوبسبير وأتباعه وكان الشعب قد مل من مظالم دوبسبير فوافقه على ذلك حزب كبير منهم وثار ثورة عظيمة في باريس على دوبسبير فدارت الدائرة عليه وعلى أتباعه فقبضوا عليهم وقتلوهم وخلصوا البلاد من ظلمهم وعدوانهم ثم فتحوا أبواب السجون وأخرجوا جميع الذين كانوا فيها وعددهم نحو خمسمائة ألف مسجون وأي قلم أو أي لسان يستطيع أن يعبر عما شمل الفرنساويين من الفرح والابتهاج لما انتشرت الاخبار في البلاد باعدام ذلك الظالم الغشوم وانقاذ أحبائهم من يده وتخلصت جوزفين بهذه الواسطة من حتفها مثل كثيرين ولكنها لم تخرج من ظلام السجن الا الى عالم أشد ظلاما وأكثف غماما لان زوجها كان قد قتل وبيتها قد نهب وأملاكها قد نالها الناس وكثيرون من أصدقائها قد هلكوا فأمست وهي أرملة فقيرة ليس عندها شيء ولا لها من تذهب اليه وتطلب معونته ولم تستطع أن تتعاطى عملا من الاعمال تكتسب به القيام بمعاشها ومعاش ولديها الصغيرين فقاست بالاضطرابات الكثيرة ولم يزد ذلك إلا بسط كفها للسؤال وكان ما تختبره في هذه المدة من أمر ما ذاقت وأصعب ما لاقت في كل أيام حياتها في حين لما بلغت جوزفين الى أسمى درجة لا يمكن أحدا من الناس أن يتصورها ولا في منامه

فلما ان دو بسبير قتل وقام مكانه حكام آخرون وفتحوا أبواب السجون للاسرى الا أن دم القتلى لم يزل جاريا كما كان لان هؤلاء الحكام قصدوا قطع شأفة الاشراف من البلاد فكانوا يجزرون الناس القتل ذكورا واناثا كبارا وصغارا حتى انهم كانوا يذهبون الى المدارس ويجرون التلامذة صبيانا وبنات ويقتلونهم فلما رأت جوزفين ذلك ارتعدت فرائصها جزعا على ابنها وحاولت اخفاءه فأرسلته الى أحد النجارين وظل يعمل عنده بمهنة عدة أشهر وهو فرح بذلك

أما جوزفين فلم تبق على هذه الحالة وحيث السيدة كبيرة النفس كريمة الاخلاق حميدة السجايا مثل جوزفين أن تترك بين جماعات البشر ولا يلتفت اليها بل تفتح صدور المنازل وتعطى كل ما تحتاج اليه فان كل أحد كان يشعر أن ينال شرفا عظيما بصاحبتها وكانت امرأة تدعى دوميلين وهي سيدة عظيمة ذات ميراث عظيم وقد اتفق خلاصها وخلاص أموالها من جور فرنسا فهذه دعت جوزفين الى بيتها وبذلت لها كل ما تحتاج اليه وكذلك مدام فانشاي وهي السيدة التي خلصت نفسها وعددا كبيرا معها بذكائها الى تاليان على ورقة الموقف وكان بعد خلاصها من السجن أنها اقترنت بتاليان وهي أيضا كانت من أعز صديقات جوزفين وكانت تبذل لها ما تحتاج اليه مع كثير من غيرها

ثم ان جوزفين قامت تطالب بحقوقها مع جمعية اتفاق الاسرة وهي استرجاع أملاكها المحجوزة وذلك على يد تاليان فمضى مسعاها بعد مدة طويلة وأتعاب جسيمة واسترجعت جانبا من أملاكها التي استولوا عليها فرجعت بذلك ثانية الى بيتها الخاص وجمعت اليها ولديها هورتنس وأوجين وكانت مخالطة باصدقائها الخلصين وصفت لها الايام وسالمتها الليالي رويدا وحدث ذات يوم أنها دعت ابنها الى غرفتها وأعطته صورة أبيه المقتول وقالت له خذ هذه يا ولدي الى غرفتك واجعلها غاية تأملك ونموذج حياتك الدائم فان صاحبها كان أول محبوب بين الناس ولو بقي حيا لكان أحسن والد فأخذ أوجين الصورة من أمه وخرج وهو يقبلها والدموع تتساقط من عينيه ثم عاد في المساء الى والدته ومعه بعض من أصدقائه وقد وضعوا على أعناقهم شرائط بيضا وسودا على مثال صورة بوهارني فنظر أوجين الى أمه وقال انظري يا أماه الى مؤسسي نظام جديد في الفراسة وهذا اقتبسنا الحافظ لنا وأشار الى صورة والده وهؤلاء هم أعضاؤها الاولون ثم عرفها بكل منهم وقال ان اسم هذا النظام نظام المحبة البنوية فاذا كنت تحبين أن تكوني شاهدة على افتتاحها فادخلي المجلس الصغير مع هؤلاء الشبان فدخلت جوزفين معهم واذا جدران الغرفة مزينة تزيينا جميلا بأكاليل الورد والغار وكانوا قد أخذوا ونسقوا ذلك من مقالات لبوهارني كانت قد طبعت قبلا وكانت الغرفة مستنيرة أيضا بالشموع المضيئة وفي أحد حيطانها مذبح كبير عليه صورة بوهارني التي كانت بقدر جسمه تماما وقد زين بالازهار الجميلة وعلق باطار الصورة ثلاثة أكاليل معقودة من الورد الابيض والاحمر وأمامها مجمرة من الطيوب ثم رتبوا أنفسهم حول المذبح بكل هدوء واستلوا سيوفهم من أغمادها عند ابداء اشارة معينة ثم تعاهدوا على المحبة والدوام ومساعدة بعضهم بعضا والمحاماة عن بلادهم ولما فرغوا من معاهدة بعضهم بعضا تقدمت جوزفين اليهم ودموع الفرح من عينيها ممزوجة بالتبسمات الوالدية ثم أخذت يد كل منهم وأظهرت فرحها بتأسيس هذه الجمعية

وكانت جوزفين مع كل ما أصابها لا تزال على ما كانت عليه من اللطف والبشاشة والنزاهة والفكاهة وذلك ما جذب كثيرين من الاصدقاء اليها وكانت هيئات باريس الاجتماعية قد انقلبت من التقلبات السياسية

وقد استبد الشعب اذ ذاك في ائتلافه من عثرتها ولكنها انقسمت الى دائرتين عظيمتين الواحدة مؤلفة من
بقايا الاشراف الذين رجعوا الى باريس وجمعوا بقايا عيالهم وأموالهم وعاشوا بالاقتصاد والثانية من التجار
والصيارفة الذين حصلوا ثروة عظيمة في وسط زوابع الثورة وكانت نيران الحرب قد استعرت وقتئذ بين
فرنسا وبقية دول أوروبا اذ تحالف جميع دول أوروبا على محاربة فرنسا واقتسامها فيما بينهم وذلك على تلك
الحرب الاهلية التي أثارها الاهالي بسبب سوء سياسة جمعية اتفاق الامة فحار رئيس الجمعية في أمره ولكنه
قال أنا أعرف من القادر على المحاماة فهو ذلك الشاب الكورسيكي نابوليون بونابرت الذي طرد جيوش
الانكليز من طولون واسترجع المدينة فدعوا نابوليون لمواجهة الجمعية وكان بمدينة فالنس في بداية
الثورة في رتبة قائم مقام وكان حاد الطبع قليل الكلام والحركة كثير التفكر شديد الميل الى المطالعة فلما
دعته جمعية اتفاق الامة لبى الدعوة ومثل لديها فسأله الرئيس اذا كان يقبل أن يأخذ على نفسه
المحاماة عن البلاد فقال نعم ثم سأله ان كان يعلم عظم هذه التبعة فأجاب انه يعلم ذلك حق العلم فذاعت أخبار
ذلك على الاثر وشعر هو بالتبعة التي ألقيت عليه وأرسل فاستدعى كل قواد الجمعية من جهات البلاد الى
داخل باريس وشهر الحرب على العصاة وأرجعهم الى الطاعة فذاع اسم نابوليون بونابرت في أطراف باريس
وتعددت نوادره وباعته في كل قصر وبيت وحانوت وفي الازقة وعلى الطرقات ولقبه البعض بخاص
الكونفانسيون أي اتفاق الامة والبعض بعفريت الحرب وفي مساء يوم من الايام كانت جوزفين في بيت
أحد أصدقائها وبينما هي تنظر من نافذة الى بعض أزهار البنفسج اذ دخل نابوليون ولم تكن تعرفه ولكن
كانت قد سمعت عنه اذ كانت شهرته قد ملأت الدائرة ولما دخل سر الجميع به وأحدقت العيون اليه فسلم
على الجميع ثم تقدم وأخذ مكانا بالقرب من جوزفين وجعلا يتحدثان في أمر المعركة الجديدة التي جرت
في أسواق باريس وهذه كانت أول مواجهة بينهما ولم يمض على ذلك مدة قصيرة حتى أمر نابوليون بجمع
كل الاسلحة من الاهالي وأخذ بالجملة سيف بوهارنيه فلما علم أوجين بذلك ذهب من الغد الى نابوليون وكان
عمره حينئذ اثنتا عشرة سنة وطلب منه استرجاع سيف والده فسر نابوليون من جراءة الولد وحماسته
وسمح له به في الحال وأرادت جوزفين اظهار شكرها لنابوليون فذهبت اليه بنفسها وشكرته على ذلك فسر
منها أضعاف سروره من الولد ومن ثم صارا يلتقيان كثيرا ولم يخف عن جوزفين ميله اليها وحدثته نفسه
من ذلك الوقت بالاقتران بها وأحبها حبا عظيما وكانت هي المرأة الوحيدة التي أحبها في حياته ولم يعدل عن
حبها مع كثرة ما طرأ عليه من الحوادث والغير

أما جوزفين فكانت في ريب من أمر اقترانها به وقد قالت ذات مرة لبعض أصدقائها انها لم تر في زمانها
انسانا شجيعا مثله وانها شغفة بشجاعته وسعة اختباره ولكنها لم تكن تحبه مقدار ما كان يحبها بل كانت
ترهبه وتبتعد من نظره اليها وقد قالت مرة لاحدى صديقاتها الا تخافين من أن يجعلها نابوليون السرية
الخفية التي لا يفهمها حتى مديرونا وكتبت مرة الى أخرى تقول قد تقضى شرخ شبابي وحل بي جد ريحانه
بعد في المطل الكثير رغبة نابوليون في على غير استحقاق مني لها أولا يعتريني بما يكون قد احتمل من أجلي اذا
كان يترك محبتي بعد اقتراننا ماذا أصنع وماذا أجيب اذا كتبني الى حالا ولا تخافي أنه مخطئ اذا وجدت
انني مخطئة وأنت تعرفين ان كل ما خططه براعته مقبول ان باراس أكد لي اني اذا اقترنت بنابوليون يوليه

على ايطاليا فلذا نحول عن هذا الانتقاد الى انتهى وكانت عواصف الثورة قد خمدت وقتئذ ولكن أوربا كلها كانت لم تزل ثائرة بالسلاح على فرنسا وكان الحكم غير ثابت والشرائع غير محترمة فوقف هذا القائد الحديث السن كل أيامه على خدمة الجمهورية ولكنه كان يخصص كل مساء لجوزفين ولم يذق في أيامه شيأ من أفراح الشبان ومسراتهم لأن رغبته في حب الارتقاء غلبت على كل شيء ولكن لم يكن عنده مع كل ذلك شيء أسعد وأبهج من الساعات التي كان يقضيها وحده مع جوزفين ماباً الاحاديث الشيقة واماباً المطالعة النافعة وكانت محبته لها ورغبته فيها تزداد يوماً فيوماً ولم تكن صفات النساء في فرنسا وقتئذ تعد في منزلة عالية وكان نابوليون قليل الاحترام لهذا الجنس ويقول ان كل النساء لا يشبهن جوزفين وقد كان معتاداً أن يرى في بيت جوزفين بعضاً من الاصدقاء المخلصين الذين كانوا يحبونها محبة خالصة ويرغبون في ترقية نابوليون كرامة لها أما نابوليون فكان ذا عواطف قوية ولكن حبه للارتقاء والارتفاع كان أقوى وأما جوزفين فكانت قانعة بخالص محبته لها وشدة غرامه بها وما زال الاثنان يظهران الحب والتودد بعضهما حتى كان التاسع من ادار (مارس) سنة ١٧٩٦ للميلاد فاقترن نابوليون بجوزفين

وفي تلك الاثناء تولى نابوليون قيادة العساكر الفرنساوية في ايطاليا فترك عروسه بعد زفافهما باثني عشر يوماً وأسرع الى الجيش وكان كأنه لم يشعر بتعب ولا نوع ولا نعاس وهو على ظهر جواده نهاراً وليلاً ولم يمض على تولية قيادة الجيش خمسة عشر يوماً حتى أحرز الغلبة في ست وقائع وغنم احدى وعشرين راية وخمسة وخمسين مدفعاً وعدة أماكن حصينة وأغنى جهات أرض بارمونت وأسر خمسة عشر ألف أسير وقتل وجرح عشرة آلاف جندي وطرد النمساويين من ايطاليا وأرجعهم الى بلادهم فان ايطاليا كانت في تلك الايام مقسومة الى عدة ممالك وولايات صغيرة مستقلة أكثرها تابع للنمسا ولما علمت جوزفين بانتصار زوجها أتت اليه لكي تشاركه في أفراحه واتخذ قصر مثبلو في ميلان مسكناً لهما فقضت جوزفين هنالك عدة من الشهور في سعادة ورخاء فكان لها كل معدات الثروة والغنى بعدما كانت أرملة فقيرة فأصبحت زوجة قائد ظافر قد طبقت شهرته آفاق أوربا وبعدما كانت أسيرة يحكمون عليها بالموت وجدت نفسها محاطة بالاشراف والامراء وكان لها منزلة عالية في قلب كل ميلاني وقد قال نابوليون ذات مرة مشيراً الى ذلك اني تسلطت على الممالك وأما جوزفين فقد تسلطت على القلوب ولما أخضع نابوليون كل ايطاليا ضرب عليها الضرائب ووضع لها النظامات الجمهورية وعقد العهود مع دولها وتقدم الى محاربة النمسا في أراضيها فانتصر هنالك أيضاً انتصاراً عظيماً وفتح أكثر مدنها فطلبت دولة النمسا الصلح فعقد نابوليون معها صلحاً عاد على فرانسا بالفوائد العظيمة ثم قفل راجعاً الى باريس تاركاً جوزفين وأولادها في ميلان لكي تحفظ له انقيادهم اليه بأنسها وبشاشتها وحسن معاملتها فكانت تدعوهم غالباً الى بيتها وتفتح أنديتها لهم فما هاأهل ميلان ملكة لهم وكثيراً ما كانت تحبس من أجلهم ولكنها لم تكن تعباً بالتعب اكراماً لزوجها وحبا له وكان نابوليون يكتب اليها يومياً وهي كذلك وقد قال في نهاية حياته انه مدين لها في كل دقيقة سعيدة حصل عليها على وجه هذه البسيطة

وكانت جوزفين في أثناء اقامة نابوليون بباريس تسهر على مصالح الجمهور وتجتهد باتفاق الحافظة على مصلحة نابوليون وتوطيد سطوته وكانت محبة بتقدمه راغبة في ازدياد شوكته ومع أن معاشرتها كانت من الامراء والاشراف كان العامي لم يشعر أنها بعيدة عنه ولا انفصرت أنهم الا التفتت اليه بل شعروا جميعاً بقربها

منهم والتفاتها اليهم الفقير كالغني والصعلوك كالامير وكانت اذا صادقت صديقا أقامت على صداقتها مدى العمر والذي مكنها من ذلك قواها العقلية وخلوص نيتها وسهولة الاقتراب منها ولولا مساعدتها لنابوليون ما أوصلته بسالته الى الدرجة التي وصل اليها فانها لما كانت جوزفين رفيقته ومعينته كان ظافرا منصورا ولما تركها كسر وخذل

وأقامت جوزفين سنة ونصفا في ميلان ثم رجعت الى فرنسا حيث نابوليون كانت حكومة الديركتوار خائفة منه فأرادت أن تبعده عنها فعرضت عليه أن يتقلد قيادة الاسطول المعين لغزو انكلترا فكل التأهبات بعد فحص نابوليون بنفسه أحوال ثغور انكلترا وقضى عشرة أيام ثم رجع الى باريس وقال ان النجاح غير مؤكد ولكنه أبدى لهم رأيا بفتح الديار المصرية والسورية لتكون بابا للهند ثم يتقدم الى فتح الهند وطرد الانكليز منها وتجنيد عساكر من الاهالي وجعل ضباط من الاوروبيين عليهم ففرحت الحكومة بهذا الرأي وأجابت طلبه حالا لا رغبة في فتح البلدان بل في ابعاد نابوليون عن فرنسا متوقعين أن يهلك و يتخلصون منه لانهم أمسوا جميعا خائفين سطوته فجهزت الحكومة له ثمانية وعشرين بارجة وأربعمائة سفينة تنقل مهمات الحرب وأربعين ألف جندي وفي صباح التاسع عشر من ايار (ماي) سنة ١٧٩٨ كان في سيناطولون طالبا الديار الشرقية وكانت جوزفين قد رافقته الى طولون وقد رغبت كل الرغبة في الذهاب معه الى مصر ولكنه لم يسمح لها ووعدها انه اذا نجح يبعث اليها بأخذها ولما أقلعوا كانت جوزفين واقفة في شرفة البيت وعيناها مغرورقتان بالدموع شاخصتان الى ذلك المنظر البهيج المحزن ثم حولت عينيها وثبتتهما في المركب الكبير الذي كان يقل زوجها وابنها اذ رأتهما وسط المخاطر وصار المركب يبعد عنها ويصغر شيئا فشيئا حتى اختفى أخيرا بين مياه البحر المتوسط فدخلت غرفتها وشعرت بانفرادها ووحدتها

وكان نابوليون قبل ذهابه الى مصر قد عين بلوسيار صديقا لجوزفين ريثما يرسل في طلبها

ولما رأت جوزفين أنها منفردة أرسلت فطلبت ابنتها من المدرسة لتقيم معها مدة بعدها عن زوجها وابنها وكانت تأمل أنه سيأتي بلاد مصر بغير وعد او بنقلها الى وادي النيل ولم تمض أيام طويلة حتى كتب اليها بان تتأهب للسفر فما قرب يوم تصل اليها البارجة المرسلة بمونتي لتعبر بها البحر المتوسط الى مصر ولكن اتفق في صباح يوم من الايام انها كانت جالسة وابنتها في يدها وحولها عدد من السيدات صديقاتها واتفقت امور ثم دعت احدى السيدات الى الشرفة لتنظر كلبا قريبا مارا في الزقاق ودعتهن ليرينه فنزلن الى الشرفة ولما وصلن اليها هبطت بهن الى الارض وأصبن جميعا فاضطر كثير منهن الى ملازمة الفراش مدة طويلة وفي جملتهن جوزفين فانه مضى عليها مدة أشهر ما أمكنها الخروج من البيت ولكن هذه الحادثة من عظمها كانت قد نجتها من أخرى أعظم منها فان البارجة التي كان قد أرسلها نابوليون لتأخذها الى مصر كانت قد أخذت في البحر وأرسلت الى لندن

فلما علم نابوليون بما وقع لجوزفين وانه لا يمكنها الحضور بعد الى مصر كتب اليها بان تشتري مسكنا خارجا عن باريس وتنتقل اليه وانها اذا لم يمكنها أن تصل اليه اقربها فاشترت جوزفين قصرا جميلا يبعد عشرة أميال عن باريس وخمسة أميال عن فارسالي اسمه مالمازون بمائة ألف ريال وأضافت اليه أراضي واسعة من كل الجهات وكانت مولعة بالكثرة مما يشرف عليه من المناظر الطبيعية ولما حضر نابوليون من مصر أحبه أكثر منها وكانت من أحب الاماكن اليهما وفي أول عمل الماريه أخذت جوزفين تعاني

مما أصابها فتركت باريس وأتت الى مالميزون مع ابنتها وعدد من السيدات وكان يزورها أصحابها الاشراف
والادباء وكانت تكتب الى نابوليون بكل ما يجري في القصر حتى الاحاديث التي تدور بينها وبين زوارها فيسر
باخبارها ويطلب منها أن تجتهد في توثيق رابطات المحبة والمودة بينه وبين أصدقائه القدماء وأن تبذل
جهدها في مصادقة آخرين غيرهم وكان لجوزفين تأثير عظيم في أعضاء الديركتوار وقد خلصت كثيرين من
الضيق وردت الى كثيرين آخرين الاملاك التي أخذت منهم ولما رأى البعض تأثير جوزفين في نابوليون
أرادوا أن يحولوا بينهما لغايات سياسية فاستعملوا لذلك نفس الاسباب التي كانت هي تستعملها لكي تكتسب
له أصدقاء ونسبوا اليها الخفة والطيش وكان لهؤلاء الاعداء تأثير عظيم في نابوليون فجعلوا يوسوسون في
صدره ويهيجونه عليها فأثر كلامهم فيه لحدة مزاجه وكتب من فوره فكتب اليها رسالة ضمنها قوارص الكلام
فلما اطلعت جوزفين عليها تأثرت تأثرا عظيما وقامت فكتبت اليه كتابا طافحا رقة قلما يسبق له نظير في
التلطف والرقة وكانت محبتها وصفاء قلبها ظاهران في خلال كل سطر من سطوره ولكن جرت هذه
الرسالة نصيب أختها فلم تصل الى نابوليون وكانت المراكب الانكليزية وقتئذ مراقبة فرنسا وقد
منعت كل مراسلة بينها وبين الجيوش في مصر وكانت كل يوم تصل الى جوزفين أخبار سيئة عن أحوال
الجيوش في مصر ومرة وصل اليها خبر ان زوجها مات فاشتغل بالها وأمست في قلق وبلبال وقد كانت
تخاف دائما أن زوجها ربما يترك جيشه ابعد رجوعه محرضا على ذلك بسعي المفسدين والوشاة ولكنها
لم تزل تبذل غاية جهدها في كل ما يؤول الى خيره ونجاحه ومع أن قلبها كان تعبا وخاطرها مكدرا كانت
تفعل كل ما تقدر عليه لكي تظهر البشاشة للجميع حسب عادتها وكانت تسلي نفسها بالازهار والرياحين
وتقضي جانبا من وقتها مع ابنتها هورتنس في الحديقة ومعولها ومن شغلها في دهانها كانت تقضي جانبا
كبيرا من وقتها في زيارة بيوت الفلاحين حوالها وكان كثيرا ما تدخل منازل المحتاجين فتتصدق
عليهم وتفرح لافراحهم وتحزن لاحزانهم ولما وجدت امرأة مرابطة على سرير الالم هؤلاء الفلاحون أحبوها حبا
عظيما ودعوا لها بطول البقاء وحسبوها أحد الملائكة في هذا المقام وهكذا قضت جوزفين مدة أشهر
بعضها في البلولان بين هؤلاء الفلاحين وبعضها في القصر بين الاشراف والامراء في انتظار استماع
الاخبار من نابوليون

وفي ذلك الوقت ابتدأت سنة ١٧٩٩ ميلادية فلاح أنها من بدء تولى سياسة شؤم على فرنسا فان الفرنساويين
كانوا قد تعبوا من نظام الثورة وكانت حركة الاشغال واقفة والجوع عاما في البلاد وكان النمساويون قد
دخلوا ايطاليا ثانية وأوقعوا بالفرنساويين من كل جهة وكانت الصلات بين الجيوش في مصر وبين فرنسا
مقطوعة وأخبار سوء نابوليون ذائعة في كل البلاد وأما حكومة الديركتوار فكانت مؤلفة وقتئذ من
خمسة قد نشأوا في غضون الثورة من بين عامة الناس واستلموا زمام الحكم وكانوا قساة ظالمين لا يعرفون
شيئا من العدل والانصاف وكان الشعب قد سئم منهم وكره الاستمرار على هذه الحالة وتمنى يدا قوية لاصلاح
الاحوال السياسية وارجاع الحكم والنظام الى البلاد وفي مساء التاسع من أكتوبر (تشرين الثاني)
من تلك السنة دعا رئيس الديركتوار الى بيته أكابر باريس ووجهاءها وكانت جوزفين في جملة
المدعوين وبينما هم يأكلون على المائدة عند منتصف الليل اذ وصلت رسالة برقية الى الرئيس حاوية أخبار
وصول نابوليون الى فريجي (وهي مدينة صغيرة على شاطئ البحر المتوسط) فلما سمعت جوزفين ذلك

أسرعت الى بيتها وركبت مركبها وسارت مسرعة لملاقاة زوجها وكانت راغبة في الوصول اليه قبل أن
يصل اليه الاعداء ويسمعوه التهم والوشايات الباطلة فسارت نهارا وليلا بلا أكل ولا نوم حتى اذا وصلت الى
ليون أخبرت أن نابوليون ترك المدينة الى باريس منذ يومين فساءها ذلك كثيرا وجعلت تضرب أخماسا
لاسداس وتقول ماعسى أن يقول الاعداء حتى اذا وصل نابوليون الى باريس ولم يجدها في البيت وكان من
أخص هؤلاء الاعداء اخوة نابوليون ونساؤهم وذلك أنهم لما رأوا النجاح الذي وصل اليه نابوليون بتأثير
جوزفين فيه وأن زمام الامور يصبح في قبضة يده عما قريب ويكونون هم أنامل الملك حسدوه وحاولوا أن
يقفوا في سبيله فلم يجدوا سوى القاء البغض والفساد بينه وبين جوزفين ولما وصل الى باريس في العاشر
من (تشرين الثاني) أكتوبر اجتمعوا حواليه وصاروا يشكون اليه أعمال جوزفين وينسبون اليها الخفة
والطيش والاسراف وعدم الاكتراث به وغير ذلك فلما سمع نابوليون ذلك هاج غضبه وقال بصوت عال انى
لا اطلقها فالتفت اليه أحد الحضور وقال له الآن تأتيك معتذرة بلسانها الفصيح وكلامها العذب فتصفح
عنها وتعود الى ما كنتما عليه فأجاب نابوليون وهو يتمشى في الغرفة ذهابا وايابا انى أصفح عنها وأنت
تعرفني ولا تعرف العاقبة فلم يعد هذا الجواب وأتبعه في النار وبمثل ذلك عزم نابوليون أن يلاقي جوزفين
بعد غيابها عنها زهاء سنة ونصف من الزمان ولما كان اليوم الثالث من وصوله عند منتصف الليل وصلت
جوزفين وكان اوجين ينتظر وصولها فرغ صبره ولما [illegible] بادر لاقاها في الدار السفلى ثم صعد بها الى
القسم العلوي حيث كان جميع أهل البيت وكان نابوليون جالسا هناك مع أخيه يوسف فأخذت جوزفين
ترتجف وهي صاعدة على السلم خوفا من نابوليون ولما وصلت الى الباب رآها نابوليون قبل أن تدخل
الغرفة فالتفت اليها مغضبا وقال لها ارجعي حالا الى مالمازون فلما سمعت جوزفين ذلك غابت عن الرشد
وأوشكت أن تسقط الى الارض فأمسكها ابنها وذهب بها الى غرفتها وهو في حال الكدر الشديد ولم يمض
ربع ساعة حتى سمع صوت اوجين وأمه وأخته نازلين على السلم قاصدين الذهاب جميعا الى مالمازون فلما
شعر نابوليون بنزولهم أسرع من غرفته وصار يكلم اوجين ويلح عليه بالرجوع وهو لم يكن متوقعا هذه
الطاعة الغريبة في جوزفين وكان قلبه لم يزل يحبها ويطلب رجوعها ولما رآها تاركة البيت وذاهبة أراد
ارجاعها ولكن أنفته منعته من أن يدعوها صريحا الى رجوعها فصار يكلم اوجين ويلح عليه بالرجوع حتى
اضطر أن يرجع بأمه وأخته ولما رجعوا لم يكلم أحد منهم الآخر بل دخلت جوزفين غرفتها وطرحت
نفسها على مقعد [illegible] ودخل نابوليون غرفته أيضا وبقيا يومين لم ير أحدهما الآخر وأخذت محبة
نابوليون لجوزفين ترجع تدريجا في هذه المدة ولما أتى اليوم الثالث حتى غلب حبه على كبريائه فقام ودخل
غرفتها فرآها جالسة بالقرب من مائدة ورسائل نابوليون المرسلة اليها مفتوحة أمامها على المائدة فلما دخل
نابوليون وقف هنيهة ثم نادى بصوت خفيف يا جوزفين فرفعت جوزفين رأسها وقد غسل الدمع وجهها
وأجابت بصوت كئيب ونغمة حنونة جرحت قلبه ولم ينسها كل أيام حياته فمد يده اليها ومدت يدها اليه ثم حنت
رأسها عليه وبكت بكاء شديدا وقضيا بضعة ساعات في ايضاح الامور وازالة الشكوك ومن ثم عادت ثقة
نابوليون الاولى بجوزفين ولم يعد شيء يغيره عنها

وكان نابوليون وجوزفين مقيمين وقتئذ في دي شانترين وكانت أنديتهما دائما غاصة بالقواد والادباء
والاشراف شأن أندية الملوك والعظماء وهم يتباحثون في أحوال البلاد وكيفية اصلاحها ويقررون انه

لارجاع فرنسا الا اذا أمسك نابوليون بيده ولم يمض شهر على رجوعه الى باريس حتى انقلبت سياسة فرنسا وأبدلت الحكومة المديرية بالقنصلية وكانت الحكومة القنصلية مؤلفة من ثلاثة قناصل وتسعة وعشرين عضوا وكان نابوليون أحد هؤلاء الثلاثة قناصل ورئيسهم أيضا ولما أخذ نابوليون على نفسه عهد هذه الخدمة التي دعي اليها لم ينبه لاحد البتة بذلك حتى ذهب أولا الى جوزفين وأخبرها عن ذلك وسمع من فيها أولا كلمات التهاني وحينئذ أخبر الآخرين وفي الغد اجتمع الثلاثة قناصل وجمهور كبير من وجهاء باريس وأكابرها وأعلن أن نابوليون سيكون الحاكم الاول في البلاد فقبل الجميع ذلك ودعوا له بالنصر ولم يسفك نقطة واحدة من الدماء في هذا التغيير وكان السبب الاعظم في ذلك تأثير جوزفين القوي في أهالي باريس مدة غياب نابوليون في مصر وقد شعر نابوليون نفسه بعظم مساعدة جوزفين له في هذا الامر فشكرها على ذلك وفي غد ذلك نقل نابوليون وجوزفين من دي شنتراين الى لوكسمبرج وكان هذا القصر عتبة التويلري وفي صباح التاسع عشر من شباط (فبراير) سنة ١٨٠٠ انتقل نابوليون الى التويلري بموكب عظيم كان انتقاله اليه تبوأ تخت ملك فرنسا وفي مساء ذلك اليوم نفسه انتقلت جوزفين أيضا في موكب فاخر بها ولما وصلت الى التويلري وجدت زوجها بين سفراء الدول وعظماء المملكة وأشرافها قد خلت عليهم وعرفها بهم فتلقاها الجميع باجلال واحترام يليقان بملكة عظيمة الشأن وكانت جوزفين في ذلك الوقت نحو ثلاث وثلاثين سنة من العمر وقد زادتها هذه السنون حسنا وجمالا وصانها عن أن تذهب بنضارة صباها فانها كانت معتدلة القوام وضاحة الحسن ذات عينين زرقاوين وشعر أشقر عليها آيات اللطف والكمال وكان ما جرى لها في حياتها من الاتعاب والاحزان قد زادها اختبارا لهذه الدنيا ووسع نطاق معارفها وثقف عقلها وكانت قد بلغت أوج عزها وتاج مجدها وطارت شهرتها في أنحاء البلاد كما طارت شهرة نابوليون في ذلك الحين وكان رجال الثورة وقتئذ قد غيروا تقسيم الوقت الى أسابيع وأبطلوا حفظ الآحاد لانهم جعلوا يوما واحدا من كل عشرة أيام للراحة من عناء الاعمال وكان نابوليون يقضي هذا اليوم هو وجوزفين في مالمزون وقد كانت من أسعد أيامهما لانهما كانا يخرجان من عنت البلاط وازدحامه وكثرة تكلفاته ورسمياته فاذا انتهت ساعة رجوعهما الى التويلري تكدر نابوليون لذلك وجوزفين تتنهد وكان النمساويون مدة غياب نابوليون في مصر قد رجعوا الى ايطاليا وطردوا الفرنساويين من كل الاملاك التي كان نابوليون قد رفع فيها راية الجمهورية فلما نظر نابوليون أحوال البلاد الداخلية وجه أفكاره الى الجيوش المتجمعة التي كانت قد أرسلها النمساويون الى الالب فأخبر جوزفين بأفكاره وقال لها ان ذهابه ضروري ولكنه لا يغيب طويلا فودعها في السابع من أيار (ماي) سنة ١٨٠٠ في التويلري وفي الثاني من تموز (يوليو) عاد اليها ظافرا منصورا فانه كان في هذه المدة الوجيزة التي لم تزد على الشهرين قد طرد النمساويين وزينوا المدينة ليلة بعد أخرى واظهروا افراحهم وزحموا له من كل نواحيها يحيونه ويجمهرون ويدعون له بالنصر

وكانت جوزفين قد قضت هذه المدة من غياب نابوليون في مالمزون وكانت تكاتبه يوميا وهو كذلك وكان كثيرا ما يكتب اليها وهو على ظهر جواده وأحيانا وهو في ساحة القتال وأحيانا كان يملي على كاتبه من وسط المعركة وطبول الحرب تقرع وجثث القتلى تتساقط فكان يكتب الكاتب الجمل الوجيزة التي يلقيها اياه ويرسلها الى جوزفين فهذه الالتفاتات من نابوليون الى جوزفين في مثل هذه

الاوقات الحرجة تمثل أبهج صورة من حسن معاملتها اياه ولو كذ سمو أخلاق جوزفين وآدابها والالم يكن رجل نظير نابوليون يحسب الكتابة اليها واجبا فرضا واجبا عليه وخصوصا في أحرج أوقاته وقضت جوزفين أكثر مدة غياب نابوليون في اصلاح الاشياء التي كانت تظن أن نابوليون يسر باصلاحها ولما رجع من الحرب صارا يقضيان جانبا من الوقت في ملمازون أكثر مما كانا يقضيان فيه قبلا وكانت الابنية للزوار كما في التويلري وكان لهذه الاوقات التي تقضي فيه شهرة عظيمة وتعد من أبهج أوقاتهما وقد كانا يقضيان جانبا منها في بعض الملاهي والالعاب اللطيفة ويشاركهما في ذلك ولدا جوزفين وبعض الاصدقاء الخصوصيين من ملوك وملكات وأمراء وأشراف وغيرهم من القواد المشهورين والضباط المميزين ولكن جوزفين لم تغفل في وسط هذه الافراح واللذات عن مساعدة الذين كانوا يحتاجون الى مساعدتها بل كانت تساعد كل من كان في طاقتها مساعدته وخصصت مبلغا معينا من دخلها لمساعدة المهاجرين وكانت أحيانا تتهم بالاسراف وبعد تبوء نابوليون القنصلية بقليل أمر برجوع المهاجرين الى أوطانهم وبذل غاية جهده في ارجاع أملاكهم المحجوزة ولاشك انه وجد صعوبات كثيرة من جهات بعض الارامل والايتام الذين كان لهم ما يكفيهم من المال وأصبحوا فقراء مساكين ليس لهم شيء فكانوا يأتون الى جوزفين ويقصون عليها قصصهم المحزنة فتبكي اليهم وترثي لاحوالهم وتمدهم بالمساعدة التي تمكنها وكانت دائما تفي بوعدها معهم شأن الكريم

وكان عمر هورتنس وقتئذ نحو ثماني عشرة سنة وعمر لويس أحد اخوة نابوليون أربعا وعشرين سنة فاتفق نابوليون وجوزفين على أن يزوجا هورتنس بلويس وكان لويس شابا عاقلا كثير التأمل قليل الكلام مثل أخيه نابوليون وكان في كل شيء أشبه سائر اخوته به ولما كان نابوليون في ايطاليا يحارب النمسويين تعرف لويس بفتاة من سلالة أحد الملوك القدماء فأحبها وتعلق قلبه بها ولكن لما رجع نابوليون وعلم بذلك لم يسر به لانه خاف أن اقترانهما ربما يضر بمقاصده فأبعد لويس مع العساكر عن باريس ولم يسمح برجوعه حتى تزوجت الفتاة فلما رجع لويس وعلم أنها تزوجت تكدر تكدرا عظيما وتكدر صفو أوقاته ولم تعد الحياة تطيب له أما نابوليون فشعر بهذا الجرح البالغ في قلب أخيه وكان دائما يجتهد في مرضاته وأراد أن ينسيه تلك الفتاة فعزم أن يزوجه بهورتنس ولما كان لويس لم يقبل ذلك أرغمه أخيرا على قبول أمره وكذا هورتنس لم ترغب من أول الامر لانها كانت تحب أحد القواد وكان من أصدقاء ابيها المقربين وكان يفضل عليها أكثر من سائر القواد ولكن رضيت أخيرا وأطاعت أمر زوج أمها رغما أن يكون لويس بعلا لها ولكنهما لقيا بعد اقترانهما حياة تعيسة اذ لم يكن أحدهما يحب الآخر وفي ساعة زفافهما لاحظ كل من الحاضرين أثر الغم على وجه كل من العروسين ولم تخف بعد اذ تعاستهما التي أدت الى انفصال أحدهما عن الآخر

أما جوزفين فرافقت نابوليون في سنة ١٨٠٢ عند طوافه ببعض جهات المملكة ورافقته أيضا في ذهابه الى ليون لاجل ملاقاة نواب ايطاليا وكانت حيثما ذهبت تدهش الجميع بمزاياها الطبيعية وتأثيرها في قلوب كل من عرفها ومن ثم رجعت هي ونابوليون الى قصرهما المحبوب في ملمازون وقضيا هناك عدة أسابيع في أفراح وسرور لا توصف ثم عادا الى الجولان في أطراف المملكة الشمالية لاستطلاع أحوال تلك المقاطعات وكان الشعب يستقبلهما بالفرح والترحاب في كل مكان ويثنون على نابوليون لانه استطاع لاخماده نيران الثورة وارجاعه النظام الى المملكة وتوطيده السلام فيها وكان حيثما توجه يشعر باستعداد

الشعب السليمة وبقاء فرنسا في أقرب وقت ولما رجع من سفره استلم قصر القديس كلود وكانت هذه خطوة أخرى الى عرش البوربون فان الشعب كان قد مل من سكينة الجمهورية وأحب العودة الى البهجة والابهة الملكية فجدد عهد هذا القصر وجعل جوزفين وأربع سيدات معها للقيام بواجباته وحينئذ سمي نابوليون قنصلا كل حياته وكانت جوزفين في ذلك الوقت باذلة غاية جهدها لتقنع نابوليون بوجود الله وبارجاع الديانة المسيحية الى البلاد لان الكفر كان قد مد أعراقه في فرنسا وجوزفين نفسها لم تكن تعرف كثيرا من التعاليم الدينية ولا كانت من ذوات التقى الا انها كانت قد رأت الكفر وتعاسة البلاد الناشئة عن رفض الديانة المسيحية وانقلاب الاهلية المسببة عن عدم اعتبار الزواج اعتبارا دينيا وكانت تعرف فضائل الدين المسيحي واقتداره على ردع الشعب عن عمل الشر وحملهم على عمل الخير فاقتنع نابوليون بكلامها وأعلن ارجاع الديانة المسيحية الى البلاد وبعد صدور الاعلانات أقيمت الاحتفالات الدينية للمرة الاولى في كنيسة نوتردام وأرجعت الديانة المسيحية الى المملكة ولم يمض بعد ذلك مدة طويلة حتى كثرت الاشاعات في شأن تتويج نابوليون ملكا على فرنسا وكان كثيرون راغبين في ذلك أما جوزفين فكانت ترتعد كلما سمعت ذلك لانها رأت احتياج نابوليون الى ولد يخلفه اذا توج ملكا وكانت تسمع البعض يلحون عليه بان يطلقها ويتزوج بغيرها من الاسرة الملكية قائلين ان مصالح فرنسا تستلزم أن يكون له ابن يخلفه في الملك وقد كانت متأكدة محبة نابوليون لها الا انها كانت خائفة من انفاذ هذا الامر لانها كانت قد عرفت انه ليس لدى نابوليون تقدمة لا يكفيه تقديمها لاجل مجده وتقدمه في هذه الدنيا

وفي يوم من الايام دخلت جوزفين غرفة زوجها فوجدته جالسا مع رجل آخر من أصحاب السياسة يحدث معه في الامور السياسية فلما دخلت جلست قليلا ثم قالت انها لا ترغب البتة في تتويج نابوليون ملكا بل تفضل بقاءه قنصلا كما هو فضحك نابوليون وقال لها ما هذا الجنون يا جوزفين الى متى تصدقين كلام هؤلاء العجائز

وكان اذا قال أحد أمام جوزفين انها ستكون امبراطورة فرنسا عما قريب تجيب انها ممكنة أن تكون امرأة القنصل نابوليون فقط

وفي الثاني من ماي سنة ١٨٠٤ قرر مجلس القضاة أن نابوليون سيكون أمبراطور فرنسا وأرسل التقرير الى كل جهات فرنسا فوافق عليه أكثر من ثلاثة ملايين ونصف من الشعب ولم يزد عدد المضادين على ألفين وخمسمائة وبعد تتويج نابوليون تخت أمبراطورية فرنسا صنع احتفالا عظيما في التويلري لكل العظماء والاشراف وبرزت بينهم جوزفين في ذلك الاحتفال امبراطورة لفرنسا ولكن مخاوف بعض المتوجسات نزعت منها كل أفراح تلك الساعة ولم تكد تتمتع بانتصارها ومجدها وذلك لان المجلس قرر أيضا أن الامبراطور ينحصر دوما في أسرة نابوليون وقد حضر ذلك الاحتفال عدد عظيم من أكابر أوربا وعظمائها فوجدت جوزفين نفسها حينئذ في درجة لم يصل اليها أعظم ملكات أوربا وكانت شهرة زوجها قد عمت كل أوربا وقوته قد فاقت أعظم ممالكها وفي الثاني من تشرين الثاني (اكتوبر) من السنة المذكورة حضر البابا من رومية لكي يتوجهما أمبراطورا وأمبراطورة على فرنسا في كنيسة نوتردام ولم يحصل على هذا الشرف أحد من ملوك أوربا قبل نابوليون منذ عشرة قرون وكان الهواء في ذلك اليوم رائقا والكنيسة

مزينة بالخزائن والعجلات أمامها تلمع بعدد خيولها الذهبية والارجوانية وانشواذ والابطال فى ثيابهم الرسمية الموشاة بالذهب

ولما كان وقت التتويج دخلت جوزفين فى حلة من الاطلس الابيض موشاة بالذهب وموشحة بالخز الذهبى ومزينة بالحجارة الكريمة ومشمل من المخمل القرمزى مبطن بالاطلس الابيض وفرو القاقم على أكتافها وكانت حلى التتويج تاجين الواحد لاجل التتويج ولتضعه على رأسها فى احتفالات الملكية الخصوصية فقط والآخر لاجل باقى الاوقات الرسمية ومنطقة أيضا أما التاج الاول فكان له ثمانية فروع ذهبية أربعة منها على شكل النخل والاربعة الاخرى على شكل ورق الريحان وكانت حجارة الالماس البرلنتية منثورة عليها كنقط الندى وقد أحاطت بها حلق ذهبية مرصعة بحجارة من الزمرد والجمشت والتاج الثانى كان مصنوعا من أربعة صفوف من اللؤلؤ ومتصلا بحجارة ألماس ومن الامام عدة حجارة من ألماس بلغ وزن الواحدة منها مائة وتسعة وأربعين قمحة وكانت المنطقة من الذهب الابريز وقد رصعت بثلاثة وثلاثين حجرا من ألماس الفلمنكى الملون

أما نابوليون فدخل فى حلة من المخمل الابيض موشاة بالذهب ومزدانة بحجارة الماس وجبة ومشمل من المخمل القرمزى موشيين بالذهب ومرصعين بحجارة الماس أيضا وكانت المركبة الملكية على غاية ما يكون من الاتقان والجمال فان ألواحها كانت من الزجاج الشفاف وتجرها ثمانية رؤس خيل حمر الالوان وكانت المسافة بين التويلرى ومتردام نحو ميل ونصف وكان عشرة آلاف خيال فى ثيابهم الرسمية ملازمين العجلات وبلغ عدد الناظرين نصف مليون اذ كانت النوافذ والسطوح وشرفات البيوت المطلة على الطريق التى مر عليها الموكب غاصة بالوقوف وكانت الموسيقى تصدح بأنغامها المطربة والمدافع تضرب فى الهواء وعشرات الالوف من العساكر تهتف معا وكانت تلك الساعة مما لم يسبق لها مثيل فى تاريخ العالم وكان العرش فى كنيسة نوتردام مغطى بأغطية من المخمل القرمزى وعليه مقعد من المخمل أيضا يرقى اليه باثنين وعشرين درجة مستديرة وكانت مغطاة بالجوخ الازرق ومحلاة بالخز الذهبى فجلس نابوليون بجانب جوزفين على العرش ووقف كبار القواد على الدرج ثم ابتدأ التتويج وطالت مدته أربع ساعات وكانت تتخلله الموسيقى العسكرية ولما أزف الوقت لان يضع البابا التاج على رأس نابوليون أخذه بيده واقترب الى نابوليون وقبل أن يضعه على رأسه أخذه نابوليون من يده ووضعه هو بنفسه على رأسه ثم نزعه عن رأسه ووضعه على رأس جوزفين ثم نزعه عن رأسها حالا لثقله ووضعه على مسند بجانبه وتوجها بآخر أصغر منه ثم جثت جوزفين والتاج على رأسها ويداها مشبوكتان وصلت له والتفتت الى زوجها التفاتة عبرت عن شكرها ومحبتها له وبقى نابوليون يتذكر هذه الالتفاتة كل أيامه ولما تم التتويج وأزف وقت الانصراف ارتجل نابوليون خطبة تناسب المقام ذكر فيها أن نسله سيجلس على هذا العرش من بعده فأثر هذا الكلام تأثيرا عظيما فى جوزفين ونشب كحربة فى قلبها خصوصا لما تعهده فى نابوليون والشعب الفرنساوى أيضا من الرغبة فى أن يكون له ولد ولما عادت الى التويلرى كان الليل قد أرخى سدوله وأسواق المدينة مزينة بالانوار والتويلرى متلألئة أيضا ودخلت جوزفين مخدعها وجثت على ركبتيها وطلبت الارشاد من ملك الملوك والدموع منسجمة على خديها

أما أهالى باريس فخصصوا الشهر الاول من تتويج نابوليون وجوزفين بكل أنواع الافراح والملاهى

العمومية وكانت المدينة تزين كل ليلة بالانوار وفي صباح أحد الايام دخلت جوزفين احدى غرفها فوجدت ناصية ذهبية مع كل أدواتها وكانت من الذهب أيضا وقد أهداها اليها المجلس البلدي بباريس وفي مساء تتويجهما أطلق الشعب منطادا كبيرا في الجو كان مصنوعا على هيئة التاج الملكي فبقي مدة ظاهرا فوق باريس ثم سار نحو الجنوب وفي مساء اليوم التالي وقع في مدينة رومية وهي تبعد مسافة تسعمائة ميل عن باريس ثم حدث على اثر تتويج نابوليون أن مديري جمهورية ايطاليا كتبوا الى نابوليون وكان وقتئذ رئيسهم يطلبون اليه أن يرافقهم الى ميلانو ويتوج ملكا عليهم اذ كان هو المنقذ لهم من أيدي أعدائهم النمسويين وكان من عوائد نابوليون السفر بغير أن يعلم أحدا من قبل ففي مساء يوم من الايام بعد عماد الابن الثاني لاخيه لويس أمر باعداد الخيل للسفر الى ايطاليا الساعة السادسة من الصباح فرافقته جوزفين في هذا السفر وكانا حيثما يصلان يستقبلهما الشعب بالترحاب ويزين لهما المدن ويدعو لهما بالنصر وكانت جوزفين حاصلة حينئذ على كل ما من شأنه أن يجعلها أسعد البشر لولا أمر واحد هو عدم وجود ولد لنابوليون ولكنها لما وصلت الى ايطاليا نسيت همها وقضت هناك عدة أيام بغبطة وهناء وكان بينها وبين البابا بيوس السابع صداقة قوية وقد رافقهما بنفسه الى تورين ولما افترق عنهما أهدت اليه كأسا من فخار (ساقراس) ومن تورين أخذها نابوليون الى ساحة مارنغو حيث نشبت أعظم وقائعه وهناك لبس ثيابا حربية ووقف في وسط ثلاثين ألف جندي ومثل لها واقعة القتال

وفي الثامن من ماي سنة ١٨٠٥ دخلا ميلانو وكانت المدينة مزينة والفرح والطرب قائمين فيها وفي السادس والعشرين من الشهر نفسه توج نابوليون ملكا على ايطاليا في كنيسة ميلان ولم يكن هذا الاحتفال أقل من الاحتفال في كنيسة نوتردام والذي زاد هذه الحفلة عظمة وأبهة أنه أحضر لنابوليون سوى التاج المعد لتتويجه تاج شارلمان الحديدي ولم يكن هذا التاج قد علا رأس الملوك منذ أيام شارلمان من ألف سنة وهنا أيضا كما في نوتردام لم يدع أحدا يضعه على رأسه بل وضعه هو بنفسه ثم توج جوزفين هو أيضا وأقاما مدة شهر في ميلانو وذهبا منها الى جنوى ثم رجعا الى باريس وكان نابوليون قد أعطى جوزفين لائحة عن سفرهما وعن جميع الاماكن التي سيقفان فيها والخطب والاجوبة التي سيخطبها ويجيب بها والهدايا التي كان يجب عليها تقديمها والمبالغ التي يمكنها أن تنفقها ولذلك كانت جوزفين تقضي قسما من كل صباح في درس هذه المقالات وقد أظهر نابوليون لجوزفين في هذا السفر ما لا مزيد عليه من البشاشة والانس وكانا دائما مسرورين وذكرت جوزفين فيما بعد أن هذا السفر من أسر أسفارها مع نابوليون وكانا حيثما يصلان يتلقاهما الشعب بالترحاب ويقيم لهما الافراح ويولم الولائم وبعد وصولهما الى باريس بمدة وجيزة سمعا أن قصد اوجين ابن جوزفين الاقتران بابنة ملك بافاريا فذهبا الى مونيخ لحضور الزفاف فاجتمعت جوزفين بابنها وفرحت له بعروسه خصوصا لانها كانت في كل شيء كما تشتهي ثم رجعا من هناك الى باريس مشيعين بجمهور كبير من أمراء جرمانيا وأميراتها وكانت جوزفين وقتئذ في ذروة من المجد التي لا يمكن هذا العالم أن يعطيها لاحد الا نادرا فان كل أوربا كانت عند قدمي زوجها وابنتها هورتنس كانت ملكة هولاندا وابنها أوجين كان نائب ملك ايطاليا وصهرها ملك بافاريا وكان نابوليون قد نزع من فكره طلاقها وقرر أن ابن أخيه لويس نابوليون الاكبر يكون وارث ملكه فزالت كل الارتيابات كانت في ذلك الوقت من هذا القبيل وكان نابوليون دائما محبا لجوزفين حتى كان يقول في غالب الاوقات انه لا نظير لها

بين نساء العالم أماهى فلم تكن تنسى المحتاجين والحزانى مع ما وصلت اليه من السلطنة والسؤدد بل كانت دائما مستعدة لمساعدة كل من طلب مساعدتها سواء كان بمالها أو بكلامها حتى كانت تتهم أحيانا بالتبذير والاسراف وكانت تحب مرافقة نابوليون فى أسفاره وهو أيضا كان يرغب مرافقتها اذ انها كانت الشخص الوحيد الذى يوثق به ومرة وعدها بمرافقته فى احدى سفراته ولكن الاحوال أحوجته الى الذهاب سرا فأمر باعداد لوازم السفر وفى الساعة الاولى بعد نصف الليل وهو الوقت الذى ظن أن جوزفين تكون فيه مستغرقة فى النوم قصد الذهاب ولكنه لم يصل الى العجلة حتى كانت جوزفين بين يديه فأمر باعداد لوازمها فى الحال وذهب معها الى اسبانيا فأخضع نابوليون اسبانيا تحت طاعته وملأ مدنها من العساكر الفرنسوية وولى أخاه لويس عليها ثم قفل راجعا الى فرنسا ولكن لم يلبث طويلا حتى أتته الاخبار أن الاسبانيين طردوا أخاه من العاصمة عاصمة ملكه ساعى الانكليز وقتلوا كثيرين من الفرنسويين القاطنين هنالك فرجع مسرعا الى اسبانيا وفى هذا الوقت أيضا طلبت جوزفين الاتيان معه ولكنه لم يسمح لها بذلك بل دخل مدريد عاصمة البلاد وأرجع أخاه الى مقامه وثبت حكمه فيها ورجع ثانيا الى فرنسا

وكانت آمال نابوليون وجوزفين فى ذلك الوقت معلقة بالامير الصغير ابن لويس وهو رتنس وشاع فى كل فرنسا وهولندا انه سيكون صاحب الملك من بعد عمه ولكن فى ربيع سنة ١٨٠٧ بينما كان نابوليون يحارب بروسيا وهو منتصر عليها انتصارا عظيما أصاب الولد داء الخناق ومات فى ساعات قليلة وكان له من العمر خمس سنوات فحزنت جوزفين لفقده حزنا عظيما ورجعت الى مخاوفها القديمة لانها كانت تعرف نابوليون وتعرف رغبته فى أن يكون له وارث يترك الملك له وكانت فرائصها ترتعد كلما فتكرت مرارة تلك الكاس التى كان لابد لها من تجرعها وقد بقيت مدة ثلاثة أيام منفردة فى غرفتها بلا أكل ولا نوم تسكب الدموع على عظم مصيبتها أما نابوليون فلما وصلت اليه هذه الاخبار الحزينة كان فى أوج انتصاره اذ كان قد قهر جميع أعدائه وأخضع روسيا لسلطته وكان جميع ملوك أوربا مستعدين لاتمام أوامره فلما سمع هذه الاخبار جلس ساكتا وارتفق بيده على وجهه وسمع وهو فى حزنه الشديد يقول لنفسه المرة بعد الاخرى لمن أترك كل هذا وكان يتنازع أفكاره عاملان قويان محبة جوزفين من جانب ومحبة المجد واشتهاء أن يكون له ولد يرث اسمه وشهرته من جانب آخر وبقى مدة على هذه الحال وهو لا يذوق طعاما ولا يغمض له جفن ولكن رغبته فى كسب المجد واعتقاده انه أوصل فرنسا الى درجة لم تصل اليها أمة على وجه الارض فينبغى أن يخلف من يرثها من نسله جعلاه يضحى كل سعادته وراحته ويفقد سلامة الذوق ويحل قوى رباط الحب وكانت جوزفين تعرف زوجها جيدا فكانت بالخوف والرعب تنتظر قدومه وكانت تقضى أكثر أوقاتها بالنوح والبكاء وكان أحيانا كثيرة يصدر فى الجرائد كلام فى شأن طلاقها واقتران نابوليون باحدى بنات الاسرة الملكية

وفى تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٠٧ رجع نابوليون من فينا فسلم على جوزفين بزيد اللطافة أما هى فلاحظت فى الحال انه كان قلقا فى فكره وانه كان حينئذ يشتغل بهذه المسئلة وكثيرا ما كان يجتمع بوزرائه سرا فلاحظ رجال البلاط ذلك وكانوا قليلى الكلام وكان نابوليون لا يكثر أن يلتفت الى امرأته نحفا انه اذا التفت الى التى أحبها هذا الحب العظيم يتغير فكره وكانت جوزفين قلقة جدا من هذا القبيل ولكنها اجتهدت فى اخفاء عواطفها وكانت تلاحظ حركات نابوليون وسكناته فترى فى كل يوم أمرا جديدا يؤكدها

ما كانت تخافه أما هو فكان يتجنبها ويبتعد عنها وقد قفل الباب الذى بين غرفته وغرفتها وكان قليلا ما يدخل مخدعها واذا أراد ذلك قرع الباب كل ذلك ولم تكن جرت كلمة واحدة بينهما فى هذا الشان وكانت جوزفين عندما تسمع وقع أقدام نابوليون ترتجف وتظن انه آت اليها بالاخبار المخيفة ولم تعد تقدر أن تصل من مكانها الى الباب بغير أن تتمسك بالحائط أو بشىء آخر ولكنه مضى كلا شهرى تشرين الاول والثانى (اكتوبر ونوفمبر) ولم يكلم نابوليون جوزفين بشىء من هذا القبيل مع انه كان فى المذاكرة مع وزرائه فى أمر الزواج الجديد والامرأة التى يتزوجها فانه كان يستصعب مفاتحتها بهذا الشان غير أن هذه المدة لم تغير مقاصده الثابتة اذ كانت شهرته وسلطته عظيمتين الى حد أنه لم يجد أسرة فى أوربا لم تكن تحسب شرفا لها أن تعطى من بناتها زوجة لنابوليون فأشار عليه وزراؤه أولا أن يأخذ زوجة من أسرة البربون لانهم افتكروا انه اذا فعل ذلك يرضى حزب الملكية فى فرنسا ويكون ملكه أثبت بهذه الواسطة ثم أشاروا عليه أن يأخذ بنت قيصر روسيا ولكنهم ظنوا بعد طول التأمل أن يكون الانسب أن يصاهر جلالة ملك روسيا ولكن بعد أن جرى كلام بين البلاطين فى ذلك قر الرأى أن يأخذ ماريا لويزا ابنة أمبراطور النمسا وكان فى ذلك الوقت قد آن لنابوليون أن يخبر جوزفين بما كان قاصدا أن يفعله وكان فى اليوم الاخير من تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٨٠٩ دخل الامبراطور والامبراطورة لكى يتعشيا ولم يدخل معهما أحد وكانت جوزفين كل ذلك النهار فى غرفتها تسكب الدموع بغزارة كأنها عرفت أن ذلك اليوم كان يومها المحزن ولكنها لما أتت ساعة العشاء نشفت عينيها ودخلت غرفة المائدة وبذلت غاية جهدها لكى تضبط نفسها عن البكاء ولذلك لم تتجاسر أن تفتح فمها بكلمة واحدة أما نابوليون فكان تائها فى بحر الافكار ولم يكلمها بكلمة واحدة فكان حول تلك المائدة حينئذ سكوت تام ولم يذق أحدهما شيئا بل كانت أنواع الطعام تتبدل بغير أن تمس وكان اصفرار الموت على وجه كل منهما ولما انتهى تقديم العشاء صرف نابوليون الخدم ثم نهض وأغلق الباب بيده على نفسه وجوزفين وحينئذ أتت تلك الدقيقة التى كان كل منهما قد علمها فاقترب نابوليون الى جوزفين وأخذ يدها وقال لها بصوت متقطع (يا جوزفين يا عزيزتى جوزفين أنت تعلمين كيف أحببتك وانى لك وحدك شاكر على الدقائق القليلة التى بك عرفت فيها السعادة على الارض والآن أخبرك ان واجباتى أقوى من ارادتى وأن عواطفى القوية قولك يجب ان تخضع لمصلحة فرنسا)

فلما سمعت جوزفين ذلك خفق قلبها وانصب الدم فى عروقها ووقعت على الارض مغشيا عليها فلما رأى نابوليون ذلك فتح الباب ونادى من يساعده فأتى اليه حالا عدد من الخدم من الغرفة المجاورة وكان هناك أيضا الكونت بومون فأومأ اليه نابوليون وهو يرتجف ووجهه ممتقع بأن يأخذها الى يدا الى غرفتها وأخذ هو مصباحا بيده وذهب أمامه ولكن لما وصل الى السلم سلم المصباح الى أحد الخدم يساعد الكونت فى حملها وكانت تقول فى غشيها آه لا يمكنك أن تفعل ذلك لانك لا تتعب قتلى ولما وصلا بها ووضعاها على فراشها صرف نابوليون الكونت وقرع الجرس فى طلب خادمتها الخصوصية وقضى الوقت بجانبها حتى أخذت تستفيق ولما ظهر له أنها ابتدأت ترجع الى نفسها تركها ومضى الا أنه لم ينم طول ذلك الليل بل كان يمشى فى غرفته ويأتى الى باب غرفة جوزفين ويسأل الطبيب عن أحوالها أما الطبيب فلم يفارقها كل ذلك الليل

وفى مدة الاسبوعين الاولين بعد ذلك لم ير الواحد منهما الآخر الا قليلا مما يتعلق بالآخر واتفق انه فى تلك المدة كان

عيد التتويج ونصرة أوسترليتز الشهيرة فكانت المدينة في ذلك الوقت مشتعلة بالأنوار وصوت قرع الأجراس ملأ الفضاء وفي هذين الاحتفالين كانت جوزفين مضطرة أن تحضر أمام الشعب وكانت مؤكدة أن كل الملوك والأمراء الذين كانوا حينئذ في باريس عالمون بالإهانة المقبلة عليها وكانت كل أصوات الطرب والابتهاج في مسامعها قرع أجراس حزن مؤذنة بمصيبتها ومع ذلك فإنها بذلت جهدها في تسليتها لكي تظهر أمام الناس كعادتها غير أن اصفرار وجهها واغروراق عينيها بالدموع كانا ينبئان عما تحاول اخفاءه وكانت ابنتها هورتنس دائما معها باذلة غاية جهدها في تسليتها وابنها أوجين ترك ايطاليا وأتى باريس اليها وبعد مواجهتها ذهب الى نابوليون وطلب الاستعفاء من خدمته قائلا له ان ابن التي ليست بعد امبراطورة لا يقدر أن يكون نائب الملك وأنا قصدي أن أتبع أمي في انحطاطها لأنه يجب أن تجد الآن تعزية في أولادها أما نابوليون فلم يكن خاليا من العواطف بل تساقطت العبرات من عينيه وصار يكلم أوجين بصوت مرتعش ويبين لزوم ذلك ويوضح له الأمور فتأثر أوجين من كلامه وأما أمه فطلبت منه أن يبقى في خدمة نابوليون ويبقى من أصدقائه المخلصين كما كان أولا وفي الخامس عشر من كانون الأول سنة ١٨٠٩ جمع نابوليون جميع الملوك والأمراء من أسرة الامبراطورية وأكثر القواد المشهورين في منتدى التويلري العظيم حتى يقص عليهم خبر انفصاله من جوزفين وكان كل واحد من الحاضرين مندهلا من غرابة هذا الاجتماع فنهض نابوليون في أثناء ذلك وخاطبهم قائلا

ان مصالحي السياسية ورغبة شعبي الذي كان دائما يدرب أعمالي تستدعي أن يكون لي وارث يرث محبتي للشعب والعرش الذي وضعتني العناية عليه وقد مضى علي عدة سنوات مع الامبراطورة جوزفين حتى قطعت الأمل من أن يكون لي أولاد منها وهذا هو الداعي الذي حملني على تضحية أشد عواطف قلبي ومراعاة مصالح رعيتي وطلب انفصالنا وقد بلغت الآن الأربعين من العمر وآمل أن أعيش طويلا بعد وأن أحتضن في أفكاري الأولاد الذين تسر العناية بأن تتركهم لي والله وحده يعلم كم كانت قلبي هذا المقصد ولكن ليس من أمر مهما كان عزيزا علي الا وأنا أضحيه طالما اختار المصلحة فرنسا وليس لي سبب أشكو منه ولا شيء أقوله سوى مدح محبة امرأتي المحبوبة وحنوها فإنها زينت خمس عشرة سنة من حياتي فيبقى ذكرها منقوشا على صفحات قلبي الى الأبد وأنا بيدي توجتها امبراطورة فتبقى امبراطورة في القلب والرتبة وأحب فوق كل ذلك أن لا تشك مطلقا بعواطفي من نحوها ولا تعتبرني الا أعز صديق لها

فأجابت جوزفين بصوت متقطع وعينين مغرورقتين بالدموع اني أجيب على مآل كلام الامبراطور من جهة انفصالنا بالقبول لان احتمالنا كان مائلا دون سعادة فرنسا بسبب عدم وجود من يسوس يوما ما هذا الشعب من نسل هذا الانسان العظيم الذي أقامته العناية لكي يطفئ شر الثورة المخيفة ويرجع المذبح والعرش والهيئة الاجتماعية ولكن هذا الانفصال لا يغير عواطف قلبي بل سيجد الامبراطور في أحسن صديقة له وأنا أعلم ماذا كلف هذا العمل السياسي قلب الامبراطور ولكن نحن الاثنان نفتخر بهذه التضحية التي ضحيناها لأجل خير المملكة وأشعر أنني التعظيم والمجد بارادتي باعطائي أعظم برهان على محبتي

هذا ما أظهرته جوزفين جهارا وأما في الخفاء فإنها استسلمت للحزن والكآبة وقضت ستة أشهر بالبكاء والنحيب حتى قاربت العمى من شدة الحزن

وفى اليوم المعين لاتمام نظام الانفصال اجتمع المحفل ثانية فى نادى الامبراطور العظيم ليشهدوا اتمام نظام الانفصال فدخل الامبراطور بحلته الرسمية واصفرار الموت على وجهه وعلامات اليأس والقنوط تلوح عليه واستند الى أحد الاعمدة مكتوف اليدين لا يفوه بكلمة وبقى برهة غائصا فى بحور الافتكار كالصنم لا يبدى حراكا وكان فى وسط النادى مائدة جميلة وعليها كل أدوات الكتابة من الذهب الابريز أمامها كرسى أعد لجوزفين وكان جميع الحاضرين صامتين لا يفوهون بكلمة وكلهم شاخص الى المائدة وما عليها كأنهم ينظرون الى مذبحة أو مشنقة معلقة ففى وسط هذا فتح باب من جانب المنتدى ودخلت منه جوزفين مستندة الى يد ابنتها هورتنس واصفرار الموت يلوح على وجه كل منهما والملاحظ غلب البكاء على هورتنس ولم تنفك عن ذلك كل مدة الاجتماع

ولما دخلت جوزفين نهض الجميع اجلالا لها وتساقطت العبرات من عيونهم الشدة تأثرهم من منظرها أما هى فتقدمت بحركاتها اللطيفة الى المكان المعد لها وارتمت بيدها على وجهها وأصغت الى قراءة نظام الانفصال والدموع تسكب من عينيها وكان ابنها اوجين جالسا على مقربة منها وبعد انتهاء قراءة النظام مسحت جوزفين دموعها وانتصبت واقفة وأخذت على نفسها عهد الانفصال بصوتها الرائق العذب الاعتيادى ثم جلست وأخذت قلما ووقعت امضاءها فك أمتن ربط المحبة والوداد التى لا يمكن للعقل البشرى أن يتصورها وللقلب الانسانى أن يشعر بها ثم استندت ثانية الى يد ابنتها وخرجت من المكان أما اوجين فوقع على الارض مغمى عليه

أما شدة ذلك اليوم وآلامه فلم تكن قد انتهت بل كان على جوزفين وهى فى وسط نوءها فى بحور الاحزان ما كان آلم وأشد عذابا من الاول وهو وداع من كان زوجها الوداع الاخير فانتظرت فى غرفتها وهى حزينة القلب مكسورة الخاطر لا تفوه بكلمة فلما حان الوقت أتى نابوليون الى غرفته قلقا كئيبا بسبب ما جرى ورمى بنفسه على فراشه وفى الساعة نفسها فتح الباب الذى بين غرفته وغرفة جوزفين ودخلت هى منه وهى ترتجف وعيناها وارمتان من البكاء وشعرها مسدول على أكتافها وعلامات الحزن والغم الشديدين تلوح على وجهها فتقدمت الى وسط الغرفة ودنت من سرير نابوليون ثم وقفت بغتة وغطت وجهها بيديها وصارت تبكى بكاء شديدا وكان ذلك لانها افتكرت حينئذ أنه لا حق لها بعد فى الدخول الى غرفة نابوليون ولكن محبتها الشديدة لما ازعجت وأنستها كل ذلك فتقدمت اليه وطرحت نفسها بجانبه وغمرته بيدها وصارت تدعو باكية منتحبة فتهيجت عواطف نابوليون وجعل يؤكد لها محبته الحديدة الصادقة وهو يبكى وينتحب ويثبت لها التنسيق كذلك الى يوم موته واجتهد لكى يسليها ويعزى قلبها وبقيا على ذلك برهة من الوقت ثم قامت جوزفين وودعت زوجها الذى أحبته كل هذه السنين الوداع الاخير وافترقت عنه الى الابد

وفى اليوم الثانى ودعت جوزفين البلاط وأهله وفى الساعة الحادية عشرة اجتمع كل حاشية التويلرى على أعلى السلالم وفى الشبابيك والماشى ليروا افتراق سيدتهم المحبوبة التى كانت زينة ذلك القصر وبهجته فنزلت على السلالم مغطاة بمنديل من قمة رأسها الى قدميها والدموع تملأ عينيها فصارت تلوح بمنديلها علامة الوداع لاصدقائها الى حين وصولها الى أن وصلت الى الباب وهناك وجدت عجلة مطبقة بانتظارها تجرها ستة من الخيول الجياد فدخلتها وسارت بها وتركت وراءها التويلرى الى الابد

أما محل اقامتها الجديد فكان قصر مالمازون الذى كانت تفضله على سائر قصور الامبراطور وكانت قد قضت فيه هى ونابوليون أسعد أوقاتها فان نابوليون كان يعرف شغفها بهذا القصر وقد أعطاها اياه لكى تقضى فيه باقى حياتها وكان قد أجرى عليها راتبا سنويا قدره ستة آلاف ريال وأبقى لها خدمها وحشمها هنالك ومكثت جوزفين عائشة كما يعيش الملوك وكانت محبوبة عند كل شعب فرنسا ومعتبرة ومكرمة عند كل أهالى أوروبا وكان نابوليون يزورها غالبا ويستشيرها فى أعماله وقد أدرك الناس أن الذى يريد أن يرضى الامبراطور ويكون من المقربين اليه هو الذى يلتفت الى جوزفين ويحسن معاملتها واكرامها ومن ثم أصبح قصر مالمازون محل اجتماع كل أعضاء بلاط نابوليون بأوفر السعداء اتخذ لهم الرسمية الملوكية وكانت تدعو منهم كل يوم عشرة أو اثنى عشر نفسا لتناول الفطور معها صباحا وفى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر كانت تمر أمام الجميع الى غرفة المائدة يتبعها المدعوون حسب رتبهم ومقاماتهم وكانت تفرز اثنين منهم للجلوس عن يمينها وعن يسارها ويقف وقت الطعام خمسة من الخدم وراءها وخادم واحد وراء كل من المدعوين وسبعة أفواج من رتب مختلفة كانوا يخدمون على المائدة أما مدة الفطور فلم تكن تزيد عن ثلاثة أرباع الساعة الا فيما ندر وكانت تذهب بعد الفطور مع سيداتها وضيوفها الى قاعة التحف

أما أوقات جوزفين فكانت تقضى فى أعمال الرحمة مع المساكين حواليها والمطالعة واستقبال أعضاء بلاط نابوليون فان معتمدها كان دائما غاصا بهم وكان نابوليون دائما يزورها ويقضى عندها ساعات كثيرة يتمشى بها معها فى الحديقة أوفى تنزل آخر ممتد بيدها وكان يفعل كل ما فى وسعه كى يعوض لها عن معاملته السالفة وعن الحزن والغم اللذين سببهما لها وكان قلبه باقيا متعلقا بها وحبها الخفية شديدة ومحبته واعتباره لها يزدادان يوما فيوما وكانت جوزفين تقضى أوقاتها يوميا على وتيرة واحدة فتنزل فى كل يوم الساعة العاشرة صباحا الى قاعة الاستقبال وتستقبل زوارها الذين كانوا من أعيان باريس وكانوا يشتغلون ببعض الامور المسلية مثل الصور الجميلة والنقوش البديعة والتحف الغريبة والذى كان لا يرغب فى ذلك يذهب مع جوزفين لاستماع تلاوة بعض الكتب المفيدة من الموكل على بيتها وكانوا يقضون الوقت فى ذلك الى الساعة الثانية بعد الظهر فتأتى اذذاك ثلاث عجلات يجر كلا منها أربعة من جياد الخيل فتركب جوزفين واحدة منها وتذهب مع اثنتين من خادماتها المخصوصيات وبعض الاصدقاء وتقضى مقدار ساعتين من الزمان أحيانا فى التنزه وأحيانا فى الجولان بين سكان القرية والتحدث معهم ثم ترجع فى الساعة الرابعة الى القصر ويذهب كل فى طريقه ويفعل ما يشاء الى الساعة السادسة بعد الظهر ساعة العشاء وكان يتعشى على المائدة ما بين اثنى عشر وخمسة عشر ضيفا ثم يقضون الوقت بعد الغداء بالمؤانسة والالعاب المختلفة الى الساعة الحادية عشرة وحينئذ كانت تقدم الحلواء والشاى وبعد ذلك الانصراف وفى شهر اذار (مارس) سنة ١٨١٠ وصلت ماريا لويزا الى باريس وجرى احتفال اكليلهما على نابوليون فى سنت كلود وكان احتفالا جدا وبعد الاكليل دوت باريس باصوات الطرب فأخذ نابوليون عروسه الى التويلرى من حيث خرجت جوزفين منذ ثلاثة أشهر وكانت أصوات المدافع وقرع الاجراس وابتهالات الشعب ثقيلة جدا على قلب جوزفين واجتهدت فى اخفاء حزنها وغمها ولكن عبثا كانت تفعل ذلك فان اصفرار وجهها واغرورق عينيها كانا يكشفان أمرها

أما نابوليون فبقى يكاتبها دائماً ولم تمنع غيرة ماريا لويزا زيارته لها وبعد افتراقهما بأكثر من سنة ولد ملك رومية وفى نفس المساء الذى وصل به هذا الخبر الى جوزفين كتبت رسالة لطيفة الى نابوليون تهنئه بالمولود وهذه خلاصتها

سيدى هل يمكن صوت امرأة ضعيفة أن يصل أذنيك فى وسط التهانى الكثيرة الآتية اليك من كل جهات أوربا ومدن فرنسا وأفراد جنديك وهل تتنازل للاصغاء الى التى طالما سلت أحزانك وخففت أوجاعك فتتكلم معك عن الفرح العظيم الذى به تحققت كل أمانيك أو تتجاسر التى أبيت بعد أمر أتك أن تهنئك بأنك سررت والدائم سيدى لاشك أن من القلب الى القلب دليلا وأنا أعرف قلبك ولا أظنك كما أنك أنت أيضاً تعرف قلبى وأنى أقدر أن أحس معك كما أنك أنت الآن تحس معى ونحن الآن مشتركان بتلك العاطفة التى تفوق كل شئ وان كنا مفترقين

كنت أشتهى أن أسمع منك أنت بميلاد ملك رومية وليس من أصوات المدافع أو والى المقاطعة غير أنى أعلم أن واجباتك الاولى هى للمملكة ولسفراء الدول الاجانب ولعائلتك وعلى الخصوص للاميرة السعيدة التى بلغتك أعظم أمانيك نعم انها لا تقدر أن تكون محبة لك أكثر منى ولكنها تمكنت من اتمام سعادتك أكثر منى اذ ولدت هذا الولد لفرنسا ولذلك كان لها الحق الاول لعواطفك الاولى ولكل اعتنائك وأما أنا فلم أكن الا رفيقتك فى أيام الصعوبات ولذلك فلا أطلب من فؤادك الا مكانا بعيدا جدا عن المكان الذى تحتله الامبراطورة لويزا وغاية ما أؤمله الآن أن تأخذ قلبك وتحادث قليلا مع أعز صديقة لك ولكن ليس قبلما يأتى سهولك بجانب سرير امرأتك ولا قبلما تتعب من معانقة ولدك وها أنا ذا بالانتظار

أما أنا فيتعذر على الابطاء فى اخبارك بأنى أفرح لفرحك أكثر من كل انسان فى العالم وأنت لا تشك فى خلوص محبتى وصدق كلامى وأنا آسفة على شئ واحد وهو أنى لم أفعل حتى الآن ما به الكفاية لابين لك مقدار محبتى لك وانى لم أسمع شيئا عن صحة الامبراطورة ولا أتجاسر أن أتكل عليك ياسيدى بقدر أملى بك أن أسمع منك عن هذه الحادثة العظيمة التى حصلت دوام الاسم الشريف الذى أنت تمثله وان اوجين وهورتنس سيكتبان لى مفصلا عن ذلك ولكنى منك أشتهى أن أسمع اذا كان ابنك حسنا أو اذا كان يشبهك أو اذا كان يؤذن لى فى رؤيته يوماما وبالاختصار انى أنتظر منك ثقة غير محدودة وعلى ذلك ياسيدى لى حقوق بالنظر الى محبتى غير المحدودة التى لا تتغير مادمت حية

فلما انتهت جوزفين من كتابة هذه الرسالة أرسلتها الى نابوليون ولكنها لم تفتح الباب لترسل رسالتها حتى وقف أمامها رسول نابوليون وبيده رسالة منه يبشرها فيها بالمولود فأخذتها جوزفين منه وذهبت بها الى غرفة منامها وبعد نصف ساعة رجعت الى أصحابها وقد احمرت عيناها من البكاء ورسالة نابوليون فى يدها ملطخة بالدموع فدفعت الى رسول الامبراطور رسالة أخرى كانت قد كتبتها جوابا للامبراطور على رسالته وأعطته دبوسا من الماس وألف ريال من الذهب علامة على اعتبارها قيمة البشرى التى حملها اليها وبعد أن صرفت الرسول أخذت رسالة الامبراطور وتلتها على أصحابها الحاضرين

ولم ينقطع الامبراطور بعد ذلك عن زيارة جوزفين بل كان يذهب اليها كالاول ودبر طريقة تمكن بها من تقديم الولد على يديه لها حتى تراه وكان ذلك فى المضرب الملوكى قرب باريس وقد ذكرت جوزفين بعد ذلك فى

احدى رسائلها الى نابوليون أن تلك الدقيقة التى رأته فيها حاملا ولده على يديه كانت أسعد ما لاقته فى حياتها لانها كانت أوضح علامة أظهر فيها محبته الاكيدة لها

أما الغرفة التى كانت منام نابوليون فى ملمازون قبل انفصاله عن جوزفين فبقيت كما كانت وكان مفتاحها مع جوزفين وكانت هى تذهب اليها يوميا وتنزع الغبار عن أدواتها وأثاثها ولم تسمح البتة بتغيير شئ أو نقل شئ من مكانه وكانت فى أول مدة انتقالها الى ملمازون حزينة كئيبة وعلامات التكدر والغم تلوح على وجهها على الدوام فأعطاها نابوليون قصر نافاراد كان حواليه منتزهات فسيحة تجرى فيها الانهار الصافية وتغرد فى أشجارها الطيور الجميلة

وكان هذا القصر أحد القصور الملكية وهو قائم فى وسط غابة اقرى الشهيرة وكان قد تعطل قليلا فى مدة الثورة فأعطى نابوليون جوزفين ٣٠٠ ألف ريال لترميمه واصلاحه فرممته وأصلحته وحسنت فيه أشياء كثيرة حسب ذوقها حتى جعلته كجنة عدن وصارت تفضله على ملمازون وبعد أن نقلت اليه بأيام قليلة كتبت الى نابوليون الرسالة الآتية

سيدى تشرفت هذا الصباح برسالتك العزيزة التى كتبتها الى مساء اليوم الذى تركت فيه سانت كلود وقد بادرت الى اجابتك عما فيها من المواضيع اللطيفة الحبية واخشى أن هذه المواضيع لا تدهشنى ولكن ساأدهشنى غير سرعتها فانه ليس لى هنا سوى خمسة عشر يوما فتأكدت فيها أن محبتك لى تطلب تسليتى وتعزيتى حتى فى الوقت الذى نحن فيه منفصلان الانفصال الذى كان لا بد منه لراحتنا كلينا وبقى أن حسن اعتنائك بى والتفاتك الى يتبعانى حيث كنت ويعزيانى

والآن لم يعد لى شئ أشتهيه بعد اختيار محبة كانت مشتركة وآلام شديدة ليست بعد مشتركة وبعد التمتع بكل السرور الممكن للنوع البشرى المتناهية أن تمحه وبعد أن نلت كل السعادة بنظرى لى الانسان الذى أحبه فوق جميع الناس نعم انى لا أشتهى شيئا سوى السكون والراحة وهكذا فانى الآن لا أرى أن لى شيئا من دواعى الحياة سوى عواطفى الحبية نحوك ومحبتى لاولادى والامل أن عيشتى يمكننى أن أفعل بعض شئ من الخير يؤول الى راحتك وسعادتك لذلك لا تأسف معى لانى هنا بعيدة عن البلاط الذى يظهر أنك تظن أنى أتحسر عليه فانى هنا فى ناحية محاطة بأحباء أعزاء وحرية لاتباع أميالى فى الفنون وانى أجد نفسى أحسن عما لو كنت فى أى مكان آخر

وعندى هنا كثير للعمل لانى أرى حوالى علامات الخرائب التى أحدثتها الثورة الهائلة وسأبذل جهدى لازيل آثارها من هذا البناء كما أن سعادتك علمت الناس أن ينسوها واصلاح هذه الخرائب ومساعدة المساكين حولى يسرانى أكثر من تملق سكان البلاط وما يظهرونه من التصنع والتكلف

انى أخبرتك سابقا عن كل أعضاء هذا البيت ولكنى لم أخبرك ما به الكفاية عن سيادة المطران بورليار فانى كل يوم أتعلم منه أمورا جديدة تجعل اعتبار الانسان الذى يقرن عمل الخير بالسيرة الممدوحة يعظم فى عينى وسأتكل عليه فى توزيع صدقاتى فى اقره ولما كان هو سيوزعها على الفقراء كنت على ثقة أنها ستوزع على الجميع بالسواء

سيدى انى لا أقدر أن أقوم بالشكر الواجب لك لاجل الحرية التى متعتنى بها فى انتخاب أعضاء بيتى الذين يزيدون جميعا فى بهجة عيشتى البيتية وليس ما يحسر لى البتة سوى شئ واحد وهو رؤية اللباس هنا فى

البرية الى أن أقول وانى الآن أعتبر نفسى شريفة ليس لانى توجت امبراطورة افرنسا بل لانى كنت مختارتك
وليس لى همة من دون ذلك وحسبى هذا الفخر لتخليد اسمى أما زوارى فى هذه المدة المتأخرة فما أكثر ما كانوا
قبلا ويسرنى منهم اعجابهم وافتخارهم بنابليون وبالجملة فانى أحدث نفسى كانى فى بيتى وآنا فى وسط هذا الغاب
لا تنسى صاحبتك واذكر لها أحيانا أنك حافظ لها جزأ من محبتك لتنعش روحها به وكرر لها الكلام عن
سعادتك وتأكد أن مستقبلها سيكون مستقبل سلام كما أن الماضى كان مشؤما بالاحزان والاكدار وقبل
ذهاب نابوليون الى ساحات روسيا المهلكة ذهب الى جوزفين وقضى معها ساعتين من الزمان فى الجنينة
يحادثها بما كان أمامه وكانت جوزفين تحذره من مباشرة هذا العمل الخطير ولكن ثقته بالنجاح أقنعتها
وجعلتها تسلم معه وفى الختام قبل يدها ونهض للذهاب فرافقته الى العجلة ولكن لم يمض طويل من الزمن
حتى رجع نابوليون من موسكو فوجد أن كل أوروبا متحدة عليه ومتقدمة نحو عاصمته فذهب فى وسط
هذه المخاطر الى جوزفين وطلب مواجهتها وكانت هذه المواجهة الاخيرة وفى نهاية هذه الزيارة الاخيرة
القصيرة شخص اليها برهة ساكتا وعلامات الحزن على وجهه ثم قال (يا جوزفين انى كنت سعيدا كاسعد
الناس عاش على وجه الارض ولكنى فى هذه الساعة عندما أرى عواصف تتجمع فوق رأسى ليس لى فى كل
هذا العالم الواسع أحد الا أنت التى ألتفت اليها وأستريح) وفى أعظم هذه الاضطرابات والازعاجات الهائلة
التى لم يسطر أعظم منها فى تاريخ البشر كانت أفكار نابوليون دائما عند جوزفين رفيقة صباه وكان يكتب
اليها كل يوم تقريرا يعلمها بالحوادث الجارية ويخبرها عن أحواله والرسائل التى كتبها اليها من مبادى تلك
الحروب ومن ساحات القتال كانت ألطف وأرق ما كتب لها فى حياته فان المصائب والنكبات كانت قد
دمثت أخلاقه حتى انه فى تلك الايام المضطربة عندما كان يحارب الجيوش الجرارة وكان مرغما آخذا فى
التقهقر خطوة فخطوة كانت رسالة من جوزفين تنعش روحه مهما كانت شواغله عظيمة أما الجيوش
المتحالفة فكانت آخذة فى الاقتراب من باريس وكانت جوزفين مهمومة مغمومة بسبب ما حل بنابوليون
وكانت هى وكل سيداتها فى ملمازون يقضين أكثر أوقاتهن فى اعداد خيوط الكتان للجرحى الذين ملؤا
المستشفيات وأخيرا لما قربت جيوش الدول المتحالفة من ملمازون وصار بقاء جوزفين هناك من الامور
الخطرة ركبت عجلتها وسارت الى نافار وذعرت من أصوات العساكر ثلاث مرات فى طريقها اذ كانت على
مسافة غير بعيدة منها وبعد أن قطعت نحو ثلاثين ميلا من طريقها انكسرت عجلتها وفى نفس ذلك الوقت
رأت أمامها عصبة من الخيالة آتية نحوها فظنتها من عساكر الاعداء ومن شدة خوفها تركت عجلتها وصارت
تركض مع سيداتها فى الحقول وكان المطر هاطلا حينئذ وبعد أن مررن مسافة أدركن غلطهن ووجدن
أن هؤلاء الفرسان فرنسويون وبعد أن أصلحت العجلة ركبت ثانية وهكذا حتى وصلت جوزفين بالسلامة
الى نافار وكانت ساكتة فى معظم الطريق لا تفوه ببنت شفة

وبعد أن أقامت عدة أيام فى نافار قلقة مضطربة البال تنتظر الاخبار عن نابوليون أرسل اليها الامبراطور
اسكندر امبراطور الروس خفراء يحرسونها من الاعتداء عليها لان مئات الالوف من العساكر كانت حينئذ
منتشرة فى كل تلك الجهات وقد ألقت الرعب فى قلوب سكان تلك النواحى

وكانت جوزفين حينئذ مغمومة حزينة لما ألم بنابوليون وكانت تقضى كل أوقاتها اما بالكلام عنه واما
بتلاوة رسائله فانه كان يكتب اليها بلا انقطاع ويخبرها بأحوال الحرب وبفراره من مكان الى آخر ولكن

كثيرا من هذه الرسائل لم يصل اليها لان العساكر المختلفة التي كانت مالئة تلك الجهات كانت تمسكها عنها وآخر رسالة وصلت اليها قبل الاخيرة كانت من ريان يخبرها انه يجري له وبالعصبة القليلة من العساكر الباقية له وأرسل في كتاب آخر يقول (اني عندما أتذكر أيام شبابي وأقابل سلام تلك الايام التي مرت علي بالاتعاب والمخاوف التي أتجرعها الآن أكره الحياة وقد سبق لي مرارا كثيرة أني طلبت الموت بطرق مختلفة ولا يجب أن أخافه الآن وأنا أرى أن موتي الآن يكون بركة ولكني أريد ثانية أن أرى جوزفين فلما وصلت هذه الرسالة الى جوزفين لم تقطع الامل من نجاح نابوليون بل أملت ان الانسان الذي كان كثيرا ما توجه يلاقي النصر والنجاح لابد أن يفوز أخيرا ولو كان حينئذ متقهقرا وكانت ذلك رجاءها الى أن وصلت اليها الرسالة الآتية

عزيزتي جوزفين — كتبت اليك في الثامن من هذا الشهر ولكن ربما لم يصل كتابي اليك. القتال قائم على ساق وقدم وربما كان ابطاله ممكنا ولا ينبغي تجديد المفاوضات والمراسلات الآن وقد دبرت كل أموري ولا شك أن هذه التذكرة تصل اليك ولا أحتاج أن أكرر ما ذكرت لك سابقا وقد رثيت وفقد خيالي وأما الآن فاني أهيئ نفسي لاجلها ان رأيي وقلبي قد تخلصا من ثقل عظيم ستأتي عظمة ولكن ربما تكون مفيدة كما قال البعض وسأبدل القلم بالسيف في تقهقري وسيكون تاريخ ملكي غريبا العالم الى الآن لم يرني كما أنا ولكني سأريهم نفسي تماما ان عندي كثيرا من الامور أريد اظهارها لقد أفضت النعم والخيرات على ملايين من المساكين ولكن ماذا فعلوا هؤلاء لي انهم خانوني جميعا الا يوجين الذي يستحقك ويستحقني — والآن أستودعك الله يا عزيزتي جوزفين سلمي كما أنا أيضا سلمت نفسي الذي لا ينساك ولن ينساك مدى العمر أستودعك الله ثانية يا جوزفين

فلما وصلت هذه الرسالة الى جوزفين تكدرت كدرا عظيما وسكبت دموعا غزيرة حتى اذا سكن روعها قليلا قالت (لا يجب أن أبقى هنا فان حضوري لازم للامبراطور نعم ان ذلك من واجبات ماري لويزا أكثر مما هو من واجباتي ولكن الامبراطور وحده ولا يجب أن أتخلى عنه نعم انه كان في غنى عني في أوقات سعادته وأما الآن فلا بد أن يكون في انتظاري ولما فرغت من هذا الكلام سكتت وتأملت قليلا ثم التفتت الى الموكل على بيتها وقالت له ربما أعوق الامبراطور عن أعماله اذا ذهبت وربما يضطر أن يغير مقاصده لاجلي أنت ستقيم معي هنا حتى أستخبر من الملوك المحالفين فانهم سيحترمون المرأة التي كانت زوجة لنابوليون

نعم ان الملوك المحالفين ذكروا جوزفين وعرفوها فان سمو تصرفها عند طلاق نابوليون لها كان قد ملأ أوروبا حيرة واندهاشا وقد كتب اليها الملوك المتحالفون يظهرون شعائر احترامهم وطلبوا منها أن ترجع الى ملمازون ووكلوا عددا وافرا من الحراس بوقايتها ومن ذلك الوقت كان منتداها مزدحما بالملوك والاشراف الذين أتوا ليقدموا اليها الاحترام على فضائلها الكثيرة وأول من فعل ذلك كان الامبراطور اسكندر امبراطور الروس فانه قال عند أول مواجهة لها (يا سيدتي اني كنت ملتهبا بنار الشوق لمعرفتك فاني من يوم دخلت فرنسا لم أسمع اسمك يذكر الا بالبركة وقد سمعت خبر أعمالك الملائكية من أحقر البيوت الى أعظم القصور ويسرني أن أقدم لجلالتك احترامات الجمهور التي أنا حاملها)

أما ماري لويزا فلم تكن مفكرة الا بنفسها وقد أبت أن تصحب نابوليون فى انحطاطه وأما جوزفين فكتبت
اليه رسالة تقول فيها

انى أقدر أن أتصور الآن مقدار مصيبة انفكاك اتحادنا الذى فككته الشريعة وانى الآن أندب حظى
ويشق على أنى لست صديقة لك . ومن لا يحزن ويتمزق قلبه دما عند حلول مصيبة هذا مقدارها . آه
ياسيدى حبذا لو كان بوسعى أن أطير اليك وأؤكد لك أن البعد لا يغير الا ذوى العقول السخيفة ولا
يستطيع أن يلاشى محبة خالصة زادت المصائب قوتها . لقد أوشكت أن أترك فرنسا وأتبع خطواتك
وأخصص لك بقايا حياة أنت زينتها لو كنت أعلم أنى أنا الوحيدة التى ستتم واجباتها بإزائك لكنت
أذهب الى ذلك المكان الوحيد الذى فيه سعادتى وأسليك فى وحدتك وتعاستك قل كلمة واحدة وأنا أذهب
حالا وأما الآن فاستودعك الله ياسيدى لانى مهما ازدت على ذلك كان قليلا جدا وعواطفى بعد الآن
لا تبرهن لك بالكلام بل بالعمل وأرجو أن تسلم بذلك لانه ضرورى

وبعد كتابة هذه الرسالة بأيام قليلة تناول الامبراطور اسكندر وبعض أصحاب الالقاب والرتب طعاما مع
جوزفين وفى آخر المساء خرج الجميع لنور الشفق الى الخارج وخرجت جوزفين معهم وكانت صحتها منحرفة
بسبب الاحزان والاكدار فشعرت بزكام شديد وجعل يزداد يوما فيوما وتضعف معه صحتها وقوتها حتى
حكم الطبيب بدنو أجلها وكان ولداها اوجين وهورتنس لا يفارقانها ليلا ولا نهارا وأخبراها بكلام الطبيب
فتلقت تلك البشرى بشرح صدر وسألت حضور قسيس فحضر وأتم الفروض الدينية ثم دخل عليها
الامبراطور اسكندر فرأى ولديها اوجين وهورتنس جاثيين عند فراشها وقد غسلتهما الدموع فأومأت
جوزفين الى الامبراطور أن يقرب منها فلما اقترب قالت له ولولديها (كنت دائما أشتهى سعادة فرنسا
وقد فعلت كل ما فى طاقتى لاجل ذلك وها أنا أقول لكم فى الدقيقة الاخيرة من حياتى أيها الحاضرون
الآن ان امرأة نابوليون الاولى لم تسبب مطلقا انسكاب دمعة واحدة من عين واحدة

ثم طلبت صورة الامبراطور فلما أحضروها التفتت اليها وعلامات الرقة والمحبة تلوح على وجهها ثم أخذتها
وقربتها الى صدرها ووضعت يديها فوقها وصلت قائلة

(اللهم احرس الامبراطور مدة بقائه فى صحراء هذه الدنيا وأسفاه انه ارتكب غلطات فاحشة ولكنه لم
يعوضنى عنها بآلام عظيمة وأنت وحدك أيها الاله قد عرفت قلبه وعلمت انه كان فى نفسه أميال شديدة الى
صلاح أشياء كثيرة فتنازل واصغ الى تضرعى الاخير واجعل هذه الصورة صورة زوجى تشهد أن رغبتى
وصلاتى الاخيرة كانتا لاجله ولاجل أولادى)

وكان ذلك فى التاسع والعشرين من شهر ايار (مايو) سنة ١٨١٤ وكانت الشمس قد قاربت الغروب
فألقت بعض أشعتها المذهبة من نوافذ غرفة جوزفين المفتوحة وكان النسيم اللطيف يلاعب بالاشجار
والطيور تغرد فيها . وبين حفيف الاشجار وتغريد الاطيار ألقت جوزفين عينيها الى صورة نابوليون
وأسلمت الروح فلما رأى الامبراطور اسكندر أنها قد فارقت الروح قال والدموع تتساقط من عينيه (ليست
بعد تلك المرأة التى محبتها فرنسا محبة الخير ولا لذلك الصلاح ليست بعد وكل هؤلاء الذين عرفوا جوزفين
لا ينسونها فانها ماتت وتركت الاسف الشديد لاولادها ولاصدقائها ومعارفها)

وبعد موتها بأربعة أيام احتفل بجنازتها وكان ذلك فى الثانى من حزيران (يونيو) عند الظهيرة فأخذوها

من ملازون الى رويل وواروها بالتراب في دار الكنيسة وقد شهد احتفال الجنازة أعاظم ملوك أوربا وأشرافها وبعد تمام كل الواجبات ورجوع الجميع بقي ولداها ابوجين وهورتنس هنالك ثم جثوا على قبرها وبقيا برهة يزجيان الصلاة بالدموع وقد جاء أكثر من عشرين ألف نفس من الاهالي وشاهدوا جثتها وبقوا يترددون عليها مدة أربعة أيام متوالية قبل دفنها

وقد أقام ولداها بعد ذلك نصباً من الرخام الابيض مثلاً لها به وهي لابسة الحلة التي توجت فيها وقد جثت للتتويج وأقاماه فوق قبرها وكتبا عليه هذه الكلمات ﴿ابوجين وهورتنس لاجل جوزفين﴾

(حرف الحاء)

﴿الحارثية ابنة زيد﴾

هي بنت زيد بن بدر العراقي والغداني وكانت من النساء المشهورات بالحماس والافتخار ولها أشعار مقبولة حسنة ومراث بديعة منها ما قالته

صلى الاله على قبر وطهره * عند الثوية تسقي فوقه المور
زفت اليه قريش نعش سيدها * فثم كل التقى والبر مقبور
أبا المغيرة والدنيا مغيرة * وان من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة * وكان عندك للتنكير تنكير
لم يعرف الناس مذ كفنت سيدهم * ولم يجلل ظلاما عنهم نور
لو خلد الخير والاسلام ذا قدم * اذاً لخلدك الاسلام والخير
قد كنت تخشى وتعطي المال من سعة * ان كان بيتك أضحى وهو مهجور
والناس بعدك قد خفت حلومهم * كأنما نفخت فيها الاعاصير

حبابة جارية يزيد بن عبد الملك بن مروان الاموي

هي مولدة مدنية كانت صبيحة الوجه مليحة النادرة لطيفة الخاطر خفيفة الروح غردة الصوت نجيبة الغناء ضاربة بالعود أخذت أصواتها عن ابن سريج وابن محرز ومالك وكان يزيد مغرماً بالنساء شديد الكلف بهن فهام بها لانه هيام قيس بليلى وعلقها ولا علوق أبي نواس بجنان فهتك وخلع عذاره وانقطع اليها ليله ونهاره ... بين أيديها أزمة دينه ودنياه فكانت تعزل من تشاء وتولي من تشاء وتحول بينه وبين الصوم والصلاة حتى اشتهر أمره وساء ذكره ولها معه فكاهات ونوادر تركناها لكثرة تداولها بين الناس قيل انه نزل معها يوماً بيت رأس (وهي قرية من قرى الشام) فقال: زعم السلف ان الدهر لا يصفو لاحد يوماً كاملاً وماذا علي لو غادرت كلامهم فجعلته أفلا ثم قال لغلامه ويحك لا تمكن أحداً من الوقوف ببابي ولا تدع انساناً يطرق حجابي ثم خلا بحبابة ومازح معها في لهو وطرب وهزل ولعب حتى استقام قسطاس النهار فدعا بطبق رمان كأنه شعلة نار أو ياقوت تحته بلار أو حب آس غاص بالجلنار فشرقت حبابة بحبة منه ذهبت بروحها الى عالم العدم فصاح يزيد صيحة الالم وطارت نفسه بأثرها شعاعاً وطفق يعض أنامله جزعاً والتياعاً وما فتئ يقبلها وينوح وهو على مثل شوك القتاد حتى سطع ريحها وأدركها الفساد فاودعوها الثرى حتف أنفه وهو يدمي بثناياه باطن كفه وما زال يذري بعدها العبرات

وبرددالانين والحسرات حتى نزلت به منيته بعد أسبوعين وهو معانق ضريحها فدفن حذاءها ولسان حاله يقول

أموت على اثر الحبيبة ظاعنا * ليجتمع الروحان فى عالم الخلد

وكان ذلك فى سنة ١٠٥ للهجرة ومن شعره فيها

أبلغ حبابة أسقى ربعها المطر * ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
ان سار صحبى لم أملك تذكركم * أو عرسوا فهموم النفس والسهر

ومن شعره فيها

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ما تلذ وتشتهى * وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وكان سبب شراء حبابة ان يزيد قدم أيام أخيه سليمان فاشترى حبابة بأربعة آلاف دينار وكان اسمها عالية وقال سليمان لقد هممت أن أحجر على يزيد فردها يزيد فاشتراها رجل من أهل مصر فلما أفضت الخلافة الى يزيد قالت له امرأته سعدة هل بقى من الدنيا شئ تتمناه قال حبابة فارسلت فاشترتها ثم صبغتها وألبستها وأتت بها يزيد فاجلستها من وراء الستر وقالت يا أمير المؤمنين هل بقى من الدنيا شئ تتمناه قال قد أعلمتك فرفعت الستر وقالت هذه حبابة وقامت وتركتها عنده فحظيت سعدة عنده وأكرمها وسعدة هذه بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان قيل وغنت حبابة يوما

وبين التراقى واللهاة حرارة * وما تطمئن ما تسوغ فتبردا

فاهوى ليطير فقالت يا أمير المؤمنين ان لنا فيك حاجة فقال والله لاطيرن فقالت على من تخلف الامة والملك قال عليك والله ثم قبل يدها فخرج بعض خدمه وهو يقول سخنت عينك فما أسخفك

﴿حبيبة هانم بنت على باشا الهرسكى﴾

من أديبات الاستانة وشاعرات هذا العصر ولدت سنة ١٢٦٢ هجرية فى مدينة هرسك وهى نادرة زمانها حازت من الفصاحة والآداب الجزء الاعظم ولها أشعار رائقة ومعان فائقة

ومن بديع شعرها ما وجدته فى كتاب مشاهير النساء لمحمد افندى ذهنى باللغة التركية فادرجته بحروفه

جكردة تيغ غمزه لك زخمى واركن آتمه بيكانك * نيراى قاشى ياى ارتق تيرد بريميه من كانك
نكاه مستنكه جانا كلا شابان كوردلك اغيارى * بنه نوباردلرا آجدى دروننه تيغ هجرانك
أو غافل بل خبرنادان عدو يه همدم أولمشسين * وصالكدن برى دورا يلدكك وار اولسون احانك
اميد مرحمت فاق عبثدر سندن اى كافر * سنى بى دين ديشلردى ازلدن بوقدر آيمانك
حبيبه بى دوا دردن خلاص أولماقده مشكل در * اميدايمز راسيردوداولانلر غيرى درمانك

﴿حبوس ابنة الامير بشير بن محمد الشهابى﴾

ابن حيدر بن سليمان بن فخر الدين بن يحيى بن مدلج بن محمد بن جمال الدين أحمد الذى شهد وقعة مرج دابق بين السلطان سليم وقانصوه الغورى ولدت سنة ١١٨٢ هجرية فى الشونصات وكانت حاذقة سديدة الرأى ثابتة الجنان عالية الهمة كريمة اليد والنفس تزوجت بالامير عباس بن فخر الدين وكانت تجالس الرجال

وتقودهم بفصاحة خطابها وكانت تعول من يلتجئ اليها وتعامله معاملة القريب والصديق وتجاهد في اقامة الحقوق لهم وان لم تكن وأما من لم يكن على غرضها فلم يجد راحة في معيشته ولو كان صاحب حق وما ذلك الا لنفوذ سطوتها عند الحكام وفي سنة ١٢٠٨ جعلها الامير بشير مباركة على مقاطعة الغرب فادارت الحكم بفطنة لا مزيد عليها ولما سجن الامير بشير وأخوه الامير حسن والشيخ بشير جانبلاط في سجن أحمد باشا الجزار بعكا أرسلت الى الامير بشير أموالا جزيلة وقامت بأمر عياله وأخذت تجتهد في استمالة الناس اليه ولما ولي عبد الله باشا على الجبل الاميرحسن والامير سليمان الشهابيين اذ تعهد اله بزيادة المرتب من المال على الجبل سارت هي برفقة الامير بشير والشيخ بشير الى حوران وكانت تخابرهما في شأن أحوال البلاد ويروى انها حاربت العرب اذ تعدوا على دروز حوران واستظهرت عليهم ثم رجع الامير بشير الى ولايته فعادت الى منصبها ثم وقع الاختلاف بينها وبين الامير بشير سنة ١٢٣٧ بعد اعتقال عبد الله باشا وتوسط الامير بشير أمره في مصر وعوده ظافرا وكانت متحدة مع الشيخ بشير في مقاومة الامير بشير فصادره الامير بشير بعد رجوعه وأتعبه فلما غلب الشيخ بشير سنة ١٢٤٠ توجهت الى بشامون فأتى الامير بشير قاسم النهاجي بأمر الامير بشير عراك ليصادرها في أموالها وشدد عليها فما لبثت أن ماتت في تلك الاثناء قيل حتف أنفها وقيل بدسيسة من الامير بشير وكان عمرها ٨٥ سنة ودفنت بشامون وخلفت أولادها الاربعة وهم الامير منصور والامير أحمد والامير حيدر والامير أمين وكانت اعتنت بتربيتهم بعد موت زوجها اعتناء تاما حتى نبغوا بين الامراء الشهابيين

﴿ حبيبة بنت مالك بن بدر ﴾

كانت ذات عقل ثاقب وفكر صائب ترجع اليها رؤساء قبيلتها بالرأي ويشاورونها في مهام الامور وكانت بهية الطلعة حسنة الهيئة لها بعض أشعار رائقة ومقالات فائقة وكان أبوها مالك بن بدر قتل في حرب داحس والغبراء بسبب الرهان المشهور وقاتله جنيدب أحد بني رواحة فقالت ترثيه

لله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يشربا قط قطرة * وليتهما لم يرسلا لرهان
أحربه أمس الجنيدب نذرة * فأي قتيل كان في غطفان
اذا سجعت بالرقتين حمامة * أو الرس فابكي انت فارس كنعان

﴿ حبيبة بنت عبد العزى العوراء ﴾

كانت من كرماء النساء المشار اليهن في ذلك الزمان وشاعراتهن الموصوفات ولقبت بالعوراء لكونها كانت ذات حول في عينها ومن شعرها في ذلك قولها

ألا الفتى برّ تلكأ ناقتي * فكساها سهما الضبيع الاسود
اني ورب الراقصات الى منى * بجنوب مكة هديهن مقلد
أولى على هلك الطعام ألية * أبدا ولكني أبين وأنشد
وصى بها جدي وعلى أبي * نقض الوعاء وكل زاد ينفد
فاحفظ عينك لا أبالك واحترس * لا تخرقنه فارة أو جدجد

﴿حدقة جارية الملك الناصر بن قلاون﴾

تربت في دار الملك الناصر وتعلمت الغناء والادب وتدبير المنزل وتخرجت على مسكة القهرمانة وتعلمت منها جميع ما يلزم للمنازل الملوكية من التدبير ولما توفيت مسكة تولت وظيفتها وقامت مقامها وصارت قهرمانة البيت السلطاني وصاروا يرجعون اليها في الامور المتعلقة بالاعراس والمهمات وتربية الاولاد وعمرت زيادة عن مسكة وبذلك صار لها حظوة عند السلطان وحريمه مسموعة الكلمة منهم ومن كثرة احسانها وبرها تتقاطر عليها المحتاجون لقضاء حوائجهم سواء كان عند السلطان أو حرمه أو عندها وهي لا ترد طالبا ولا ترجع أحدا خائبا وتقدمت لها هدايا كثيرة من الامراء والاعيان وكل منهم كان يتمنى رضاها وقد بنت جملة بنايات خيرية وأوقفتها للصرف ريعها في وجوه الخير وعلى الجامع الذي بنته بخط المريس في جانب الخليج الكبير مما يلي الغرب بالقرب من قنطرة السد التي هي خارج مدينة مصر وكان انتهاء بناء هذا الجامع في ٢٠ جمادى الاخرى سنة ٧٣٧ ولما توفيت حدقة دفنت فيه وقبرها معروف الآن وأما الجامع فقد تخرب ولم يبق غير آثاره وهو غير مقام الشعائر الآن

﴿حسانة التميمية ابنة أبي الحسين الشاعر الاندلسي﴾

كانت أحسن نساء زمانها وأفصحهن مقالا وأجملهن فعالا تأدبت وتعلمت الشعر من أبيها فلما مات أبوها كتبت الى الحكم أمير الاندلس وهي اذ ذاك بكر لم تتزوج بهذه الابيات

إلى الملك أبا العاصي موجعة * أبا الحسين سقته الواكف الديم

قد كنت أرتع في نعماه عاكفة * فاليوم آوي الى نعماك يا حكم

أنت الامام الذي انقاد الانام له * وملكته مقاليد النهى الامم

لا شيء أخشى اذا ما كنت لي كنفا * آوي اليه ولا يعروني العدم

لا زلت بالعزة القعساء مرتديا * حتى تذل اليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها باجراء مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بأحسن جهاز ويحكى أنها وفدت على ابنه عبد الرحمن متشكية من عامله جابر بن لبيد والي البيرة وكان الحكم قد وقع لها بخط يده بتحرير أملاكها فلم يفدها فدخلت الى الامام عبد الرحمن فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها اليه وهو في حال طرب وسرور فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدت

الى ذي الندى والمجد سارت ركائبي * على شحط تصلى بنار الهواجر

ليجبر صدعي انه خير جابر * ويمنعني من ذي المظالم جابر

فاني وأيتامي بقبضة كفه * كذي ريش أضحى في مخالب كاسر

جدير بمثلي أن يقال مروعة * بموت أبي العاصي الذي كان ناصري

سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى * علي زمان باطش بطش قادر

أيمحو الذي خطته يمناه جابر * لقد سام بالاملاك احدى الكبائر

ولما فرغت رفعت اليه خط والده وحكت جميع أمرها فرق لها وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينه وقال تعدى ابن لبيد طوره حتى رام نقض رأي الحكم وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته

عهده انصرفى فقد عزلته ملك وو قع لها بخط بتوقيع أبيه الحكم فتبلت يده وأمر لها بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها

ابن الهشاميين خير الناس مأثرة * وخير منتجع يوما لرواد
ان هز يوم الوغى أثناء صعدته * روى أنابيبها من صرف فرصاد
قل للامام أيا خير الورى نسبا * مقابلا بين آباء وأجداد
جودت طبعى ولم ترض الظلامة لى * فهاك فضل ثناء رائح غادى
فان أقمت ففى نعماك عاكفة * وان رحلت فقد زودتنى زادى

وبقيت على ذلك مدة حياتها وهى مغمورة بخيراتها ومشهورة بالجود والكرم والادب والحكم

﴿ حفصة ابنة حمدون ﴾

كانت فاضلة تروض فضلها أريج وحدائق معلوماتها وأدبها بهيج وشاعرة رقت وكثر اختراعها للمعانى وابداعها تسترق القلوب بألفاظها الزاهرة وتسكر العقول بمعانيها الساحرة تنظم فتأتى بكل عجيبة وتشنف الاسماع بكل غريبة وتنثر فتفتض أبكار الدقائق بنظرها الثاقب وتجلى غياهب المشكلات بفكرها الصائب هى من وادى الحجارة بالاندلس وهى من أهل المائة الرابعة ومن شعرها

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا * فكل الورى قد عمهم صيب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها * وحسن فما أحلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو بشره * عيونا ويغشيها بافراط هيبته

ولها أيضا

لى حبيب لا ينثنى بعتاب * واذا ما تركته زاد تيها
قال لى هل رأيت لى من شبيه * قلت أيضا وهل ترى لى شبيها

ولها تذم عبيدها

يارب انى من عبيدى على * جمر الغضا ما فيهم من نجيب
اما جهول أبله متعب * أو فطن من كيده لا يجيب

ومن قولها أيضا

ياوحشتى ياوحشتى * ياوحشة متماديه
ياليلة ودعته * ياليلة هى ماهيه

﴿ حفصة ابنة الحاج الركونية ﴾

كانت أديبة فى زمانها أبلغ شعراء أوانها شعرا وأدقهم نظرا شعرها جيد ذات رونق فائق وديباجة حسنة وكان لها اليد الطولى فى سبك المعانى واستعمال الالفاظ الشائقة ولم يكن شعرها مع جودته مقصورا على أسلوب واحد بل كانت تتفنن فيه وتدخل فى أساليب مختلفة وكانت غزيرة المادة من الادب مطلعة على شعر العرب الخلص وغيرهم وكانت تكتب الخط الجيد وهى من أذكياء العرب المشهود لهم بالتفوق والبراعة قرأت فى مبدأ أمرها كثيرا وحفظت كثيرا ولما كبرت وشبت ظهر لها جمال بارع

كانت تهز العقول به وكانت حسيبة نسيبة غنية ذات مال وافر وهويها جملة من أجلاء عصرها وأدباء زمانها ولم تلتفت لاحد منهم سوى أبي جعفر بن سعيد وكانت معه على عفة زائدة وقالت يوما ارتجالا بين يدى أمير المؤمنين عبد المؤمن

يا سيد الناس يا من * يؤمل الناس رفده
امنن على بطرس * يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه * الحمد لله وحده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت يكتب السلطان بيده بخط غليظ فى رأس المنشور الحمد لله وحده ومن قولها أيضا فى الغزل

ثنائى على تلك الثنايا لاننى * أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا أكذب الله اننى * رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وولع بها السيد أبو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة وتغير بسببها على أبي جعفر بن سعيد حتى أدّى تغيره عليه أن قتله وطلب أبو جعفر منها الاجتماع فمطلته قدر شهرين فكتب اليها

يا من أجانب ذكر اسـ * ـمه وحسبى علامه
ما ان أرى الوعد يقضى * والعمر أخشى انصرامه
اليوم أرجوك لا أن * يكون لى فى القيامه
لو قد بصرت بحالى * والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا * اذ تستريح الحمامه
صب أطال هواه * على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه * ولا يرد سلامه
ان لم تنيلى أريحى * فاليأس يثنى زمامه

فأجابته بقولها

يا مدعى فى هوى الحسـ * ـن والغرام الامامه
أتى قريضك لكن * لم أرض منه نظامه
أمدعى الحب يثنى * يأس الحبيب زمامه
ضللت كل ضلال * ولم تفدك الزعامه
ما زلت تصحب مذ كنـ * ـت فى السباق السلامه
حتى عثرت وأخجلـ * ـت بافتضاح السآمه
بالله فى كل وقت * يبدى السحاب انسجامه
والزهر فى كل حين * يشق عنه كمامه
لو كنت تعرف عذرى * كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الابيات مع موصل أبياته بعد ما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسول فما فى جميعكما خير ولا فى رؤيتكما حاجة وانصرف بغاية من الخذلان ولما أطال على أبي جعفر وهو قلق لانتظاره

قال له ماوراءك يا عصام قال ما يكون وراء من وجهه مخلق الى فاعلة تاركة اقرأ الابيات تعلم فلما قرأ الابيات قال للرسول ما أضعف عقلك وأجهلك انها وعدتني للقينة التي في جنة المعروفة بالكامة سرا فبادرا الى الكامة فما كان الاقليل واذا بها قد وصلت وأرادت عتبها فأنشدت

دعى عنك الذنوب اذا التقينا * تعالى لا نعد ولا نعدى

وجاء على أحسن حالة واذا برقعة الكندى الشاعر لابي جعفر وفيها

أبا جعفر يا ابن الكرام الاماجد * كتوم عليم باختفاء المراصد
بيت اذا يخلو المحب بحبه * ممتع لذات بخمس ولائد

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ولم نسمع بالسالمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها بالله سميه لنكتب له بذلك فقالت أسميه الحائل لانه يحول بيني وبينك ان وقعت عيني عليه فكتب له في ظهر رقعته

يا من اذا ما أتاني * جعلته نصب عيني
تراك ترضى جلوسا * بين الحبيب وبيني
ان كان ذلك فماذا * تبغى سوى قرب حيني
والآن قد حصلت لى * بعد المطال بدين
فان أتيت فدفعا * منها بكلتا اليدين
أوليس تبغى وحاشا * لك أن ترى طير بيني
وفي حفيظك في الحد * ر كل قبح وشين
فليس حقك الا انك تلوى بالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منهما من الكلام وذيل ذلك بقوله

حمالك من أهواه حائل * ان كنت بعد العتب واصل
مع أن لونك مزعج * لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بثورة الخلاعة وصار هتكة فلما قرأ الابيات قال للرسول ارجع وأعلمهما بحالة فرجع الرسول وأخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتا وابتدأ أبو جعفر فقال

قل للذي خلصنا * من الوقوع في الخرا
ارجع كاشاء الخرا * ابن الخرا الى ورا
وان تعد يوما الى * وصالنا سوف ترى
يا أسقط الناس وبا * أنذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر فلا * تحل لو أتيت في الكرا
بالخيبة تشق في الثرى * حفرا وتنشا العثيرا
لاقرب الله اجتماعا * بك حتى تقبرا

فلما وصلته الرقعة علم أنه ليس مقبولا لديهما فانصرف من حيث أتى وبقيا يومهما يتهيآن اللذات ويتعاطيان المسرات بدون ريبة تقع من أحدهما حتى آن أوان الانصراف فانصرفا وكل منهما له نحو صاحبه انعطاف ومن شعرها

سلام يفتح في زهرة الكمام * وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا * وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا البعد ينسا كم * فذلك والله ما لا يكون

وقولها من أبيات

ولو لم يكن نجما لما كان ناظرى * وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شج * تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * أظل بأحبابى يذكرنى وهنا
لعمرى لقد أهدى لقلبى خفقة * وأمطرنى منهل عارضه الجفنا

ونسب اليها البيتان المشهوران

أغار عليك من عينى ومنى * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو انى خبأتك فى عيونى * الى يوم القيامة ما كفانى

وكتبت الى أبى جعفر

رأست فما زال العداة بظلمهم * وعلمهم النامى يقولون لم رأس
وهل منكر أن ساد أهل زمانه * جموح الى العليا حرون عن الدنس

وقال ابن دحية حفصة من أشراف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر ومن قولها فى السيد أبى سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه

يا ذا العلا وابن الخليـ * ـفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى * فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه فى * قيد الانابة والرضا
ليعيد من لذاته * ما قد تصرم وانقضى

وسألتها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيأ بخطها فكتبت اليها

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم * غضى جفونك عما خطه قلمى
تصفحيه بلحظ الود منعمة * لا تحفلى بردىء الخط والكلم

واتفق انه بات أبو جعفر معها فى بستان بحوز مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة والنضارة فلما حان الانفصال قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحوز مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمرى على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول

يرى الروض مسرورا بما قد بداله * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب بها اليها بعد الافتراق أتصيبه على عادتها على ذلك فكتبت اليه قولها

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا * ولكنه أبدى لنا الغل والحسد

ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا غرد القمري الا لما وجد

فلا تحسن الظن الذي أنت أهله * فما هو في كل المواطن بالرشد

فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لامر سوى كيما يكون لنا رصد

وكتبت حفصة الى بعض أصحابها

أزورك أم تزور فان قلبي * الى ما تشتهي أبدا يميل

فثغري مورد عذب زلال * وفرع ذؤابتي ظل ظليل

وقد أملت أن تظما وتضحى * اذا وافى اليك بي المقيل

فعجل بالجواب فما جميل * اباؤك عن بثينة يا جميل

وقال أبو جعفر بن سعيد أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمي وبر قسمي أني كنت يوما في منزلي مع من أحب أن أخلو معه من الاجواد الكرام على راحة سمحت بها غفلات الايام فلم أشعر الا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها ما تريدين قالت ادفعي لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها

زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال

بلحاظ من سحر بابل صيغت * ورضاب يفوق بنت الدوالي

يفضح الورد ما حوى منه خد * وكذا الثغر فاضح للآلي

ما ترى في دخوله بعد اذن * أو تراه لعارض في انفصال

قال فعلمت أنها حفصة وقمت مبادرا للباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضله بزيارة من دون طلب في وقت الرغبة في الانس به وفضلنا ليلة لم يسمح لنا بمثلها الزمان ولا القيصر ولا لكسرى أنوشروان وبقيت حفصة محافظة على وداد أبي جعفر الى أن نكب وقتل وقد رثته بمراث كثيرة لم ير مثلها والكون قتل أبي سعيد كان من أجلها لم تتمكن من نشرها وبقيت بعده مدة طويلة وهي حزينة عليه لا تلتفت الى المسرات ولا تألف الاجتماعات حتى دعاها داعي المنون فلبت وهي ذات شجون

حمامة المضرية

كانت من نساء بني عبس الموصوفات بالعقل والحكمة ولها شعر رائق وروى لها الزبير بن بكار من أبيات رثاء في زوجها

يقر لعيني أن أرى لمكانه * ذرى عقدات الاجرع المتقاود

وأن أرد الماء الذي شربت به * سليمى وان مل السرى كل واحد

وألصق أحشائي ببرد ترابه * وان كان مخلوطا بسم الاساود

ومن قولها أيضا

لقد كنت أخشى لو تليت خشيتي * عليك الليالي مرها وانتقالها

فأما وقد أصبحت في قبضة الردى * فشأن المنايا فلتصب من بدا لها

﴿ حمدونة بنت عيسى بن موسى ﴾

كانت ذات حسن وجمال وصيانة وأدب حجت الى بيت الله الحرام في زمن المتوكل العباسي قال محمد بن صالح العلوي لما خرجنا على المتوكل أخذت أنا وأصحابي قافلة الحاج فجمعنا أموالا ومتاعا لا يحصى وكنت قد جلست على كرسي في بعض المراحل وقت نزولنا وأصحابي يجمعون المال واذا أنا بامرأة قد رفعت سجاف هودج فأضاء منها المكان ولا اضاءة الشمس فقالت أين الشريف صاحب السرية فدلني اليه جاريتها فقالت انه يسمع كلامك فقالت أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة وأنا أسألك أن تأخذ مني ثلاثين ألف دينار مع أني أعطيتك ما في يدك ولكن أسألك بفضلك أن لا يكشف لي أحد وجها فناديت أصحابي فلما اجتمعوا قلت من أخذ منكم من هذه القافلة عقالا آذنته بحرب فردوا حتى الاطعمة وخفرتهم الى المأمن فلما ظفر بي الخليفة وحبسني بسر من رأى دخل علي السجان يوما وقال ان بالباب امرأتين من أهلك يريدان الدخول عليك ولولا أن دفعتا الي ذهبا ما أذنت لهما فقد منع الخليفة أن يدخل عليك أحد فخرجت فاذا أنا بها مع امرأة وجارية تحمل شيئا فلما أبصرتني قالت اي والله هو بكت لما نالني ثم قبلت قدمي وقالت لو استطعت أن أقيك بنفسي لفعلت ولكني لا أقصر في خلاصك ودونك هذه النفقة ورسولي يأتيك في كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك ودفعت الي خمسمائة دينار وثيابا وطيبا وطعاما وانصرفت وقد أضرمت بقلبي نارا أقدحتها النظرة الاولى فأنشدت

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه * وتشعبت بشعابه أشجانه
وبدا له من بعدما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه
يبدو فنظر أين لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه
ياقلب لا تذهب بحلمك باطل * بالنيل باذل تافه منانه
واقنع بما قسم الاله فأمره * ما لا يزال على الفتى اتيانه
والبؤس ماض لا يدوم كما مضى * عصر النعيم وزال عنك أوانه

ولم يزل رسولها يتعهدني بالاحسان وملاطفة السجان الى أن خرجت وعظم أمري عند الخليفة فخطبتها فامتنع أبوها فكان حبي هواها أعظم علي من السجن فلم أزل الى أن أتيت ابراهيم بن المقتدر فأخبرته بذلك وكان أبوها في ضيعته فركب اليه فلم يفارقه حتى زوجني بها وبقينا مقيمين بنعيم عيشنا الى أن توفيت وأصابني بعدها الحزن والشجون ولابن صالح فيها أشعار كثيرة لم تصل الى معرفتها

﴿ حمدة بنت زياد ﴾

من وادي آش بالاندلس وهي خنساء المغرب وشاعرة الاندلس أديبة زمانها وغريبة أوانها كان الادب نقطة من حونها وزهرة من روضها لها المنطق الذي يقوم شاهدا بفضل لسان العرب ويفتح على البلغاء أبواب العجز ويستغلق صدور الخطب فان أوجزت أعجزت بالمقال وان أطالت كانت الغيث

الهطال مع مطارحة تذهب فى الاستفادة مذهب الحكم وأخلاق تحدثت عن لطف الزهر غب الديم مرى الترنيد كرها المتعطر بنشر حمدها وشكرها والنسيم نم عرآها على الحدائق والصبح يشرق بنور الشمس الشارق روت عن العلماء الافاضل وروواعنها ومنهم العالم العلامة البحر الحبر الفهامة أبو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها البديع قولها

ولما أبى الواشون الا افتراقنا * وما لهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى * ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

والبعض يزعم أن هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق ولكنها لحمدة أثبت وأشهر والله أعلم وخرجت حمدة مرة للوادى مع صبية لها فرأت الازهار فى جوانبه تتلألأ كأنها النجوم تساقطت من كبد السماء والماء فى النهر يتماوج كأنه قطع من لجين ترمقه عيون ذكاء فأعجبها ذلك المنظر البهيج وأحبت أن تخوض بذلك النهر التماسا لترويح النفس خصوصا لخلوه من الناس فنضت عنها الثياب وعامت ثم قالت

أباح الدمع أسرارى بوادى * له للحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكل أرض * ومن روض يروق بكل وادى
ومن بين الظباء مهاة أنس * سبت لبى وقد ملكت فؤادى
لها لحظ ترقده لامر * وذاك الامر يمنعنى رقادى
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر فى أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل بالحداد

وقولها هذه الابيات الشهيرة بالبلاد المشرقية وهى

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالا * ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

﴿ حميدة ابنة النعمان بن بشير ﴾

كانت من جميلات نساء العرب وأعلمهن بفنون الادب وكانت فى القرن الاول للهجرة ربيت فى حجر أبيها مع أختيها هند وعمرة فنشأت هى على عز النفس وصارت لا ترى لها من قرين يوافقها ومن عزة نفسها كانت كلما زوجت برجل ورأت فيه عيبا هجوه بالشعر حتى خافت من لسانها العرب ومن ذلك أن الحرث بن خالد لما قدم من المدينة على عبد الملك بن مروان وهو اذ ذاك بدمشق والنعمان بن بشير وال على حمص فخطبها الحرث من أبيها فزوجه بها ولم تمكث معه غير قليل حتى أساءها ملها فقالت فيه

فقدت الشيوخ وأشياعهم * وذلك من بعض أقواليه
ترى زوجة الشيخ مغمومة * وتمسى لصحبته قاليه

فلا بارك الله فى عرسه * ولا فى غضون استها الباليه
نكحت المديني اذ جاءنى * فيالك من نكحة غاويه
كهول دمشق وشبانها * أحب الينا من الجاليه
صنانهم كصنان التيو * س أعيا على المسك والغاليه
وقمل يدب دبيب الجرا * د أعيا على الفال والفاليه

فقال الحرث يجيبها

أسنا ضوء نار ضمرة بالقفـ * ـرة أبصرت أم سنا ضوء برق
قاطنات الحجون أشهى الى قلـ * ـبى من ساكنات دور دمشق
يتضوعن لو تضمخن بالمسـ * ـك صنانا كأنه ريح مرق

ولما استحكمت بينهما النفرة طلقها الحرث فخلف عليها روح بن زنباع وعليه كانت الطامة الكبرى قال صاحب الاغانى ان قولها (أحب الينا من الجاليه) تعنى بالجالية أهل الحجاز وكان أهل الشام يسمونهم بذلك لانهم كانوا يجلون من بلادهم الى الشام ولما بلغ عبد الملك قولها قال لولا أنها قدمت الكهول على الشبان لعاقبتها قال عمر بن شبة لما تزوجها روح بن زنباع نظر اليها يوما تنظر الى قومه بنى جذام وقد اجتمعوا عنده فلامها فقالت وهل أرى الا جذاما فوالله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام وقالت تهجوه

بكى الخز من روح وأنكر جلده * وعجت عجيجا من جذام المطارف
وقال العباء قد كنت حينا لباسكم * وأكسية كرديه وقطائف

فقال روح

ان يبك منا يبك من يحبنا * وان يهوكم يهوى اللئام المشارقا

واجتمعت يوما معه بمجلس فسارت تهزأ به وتضحك عليه ووقعت بينهما مناظرة كان البادئ فيها هو بقوله

اثنى على بما علمت فاننى * مثن عليك لبئس حشو المنطق
فقالت أثنى عليك بأن باعك ضيق * وبأن أصلك من جذام ملصق
فقال اثنى على بما علمت فاننى * مثن عليك بمثل ريح الجورب
فقالت فثناؤنا شر الثناء عليكم * أسوا وأنتن من سلاح الثعلب

فسكت روح عند ذلك فقالت هى

وهل أنا الا مهرة عربيـة * سليلة أفراس تحللها بغل
فان أنتجت مهرا كريما فبالحرا * وان يك اقراف فما أنجب الفحل

فقال روح

فما بال مهر رائع عرضت له * أتان فبالت عند جحفلة البغل
اذا هو ولى جانبا ربخت له * كما ربخت قرا فى دمث السهل

وقالت فيه أيضا

سميت روحا وأنت الغم قد علموا * لا روح الله عن روح بن زنباع
فقال لا روح الله عمن ليس يمنعنا * مال رغيب وبعل غير مناع

كأنها جونة تحل مخاصرها * دبابة شثنة الكفين خباع

وقال فيها وقد دخل عليها وهي في غاية الزينة والطيب

تكحل عينيك برد العشي * كأنك مومسة زانيه

وآية ذلك بعد الخفوق * تغلف رأسك بالغاليه

وان بنيك لريب الزمان * ن أمست رقابهم خاليه

فلو كان أوس لهم ناصرا * لقال لهم ان ذا ماليه

وأوس رجل من جذام يقال انه استودع روحا مالا فلم يرده عليه فقال روح

ان يكن الخلع من بالكم * فليس الخلاعة من باليه

وان كان من قد مضى مثلكم * فأف وتف على الماضيه

وما ان يرى الله فاستيقنيه * من ذات بعل ومن جاريه

شبيها بك اليوم فيمن بقي * ولو كان في الاعصر الخاليه

فبعدا لحيالك اذ ما حييت * وبعدا لاعظمك الباليه

وقالت له حميدة يوما وكان أسود ضخما كيف تسود وفيك ثلاث خصال أنت من جذام وأنت جبان وأنت غيور فقال أما جذام فانا في أرومتها وبحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه وأما الجبن فانما لي نفس واحدة ولو كان لي نفسان لجدت باحداهما وأما الغيرة فهو أمر لا أحب أن اشارك فيه وان المرأ الحقيق بالغيرة على المرأة مثلك الحمقاء الورهاء لا يأمن أن تأتي بولد من غيره فتقدمه في حجره

وكان روح يتنازع معها يوما في مثل هذه المنافسات فظهرت عليه فلم يكن يسعه الا ان قال اللهم ان بقيت بعدي فابتلها ببعل يلطم وجهها ويملأ حجرها قيأ فتزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل وكان شابا جميلا يصيب من الشراب فأحبته فكان ربما أصاب من الشراب مسكرا فيلطم وجهها ويقيء في حجرها فتقول يرحم الله أبا زرعة قد أجيبت دعوته في وكان السبب في زواجها فيضا وأنها لما خلعت من روح بن زنباع بقيت زمنا عزبا لا يقدم عليها أحد من أقرانها نظرا لما اشتهرت به من عزة نفسها على الرجال وعيالها آدابها كانت مشهورة في ذلك الزمان كان الادباء يتمنون الاقتران بها ويمنعهم من ذلك تسلط لسانها على أزواجها الى أن قيض الله لها فيض بن محمد بن الحكم المذكور ولجماله وأدبه تزوجت به ولم تعلم تهتكه وخلاعته ولما اتصلت به رأت منه رجلا بخلاف ما رأت من الرجال من سوء خلق وزيادة تهتك وادمان على شرب المسكرات حتى صار يهينها ويلطم وجهها ويقيء في حجرها وهنالك هجرته وقلته وقالت فيه الاشعار الهجائية وأظهرت مساويه حتى صار عبرة لغيره ومن أشعارها فيه قولها

سميت فيضا وما شيأ تفيض به * الا سلاحك بين الباب والدار

فتلك دعوة روح الخير أعرفها * سقى الاله صداه الاوطف الساري

وقالت

ألا يا فيض كنت أراك فيضا * فلا فيضا أصبت ولا فراتا

وقالت

وليس فيض بفياض العطاء لنا * لكن فيضا لنا بالقيء فياض

ليث الليوث علينا باسل شرس * وفي الحروب هيوب الصدر رماض

وولدت من فيض ابنة فتزوجها الحجاج بن يوسف وقد كان قبلها عند الحجاج أم أبان بنت النعمان بن بشير فقالت حميدة للحجاج

اذا تذكرت نكاح الحجاج * من النهار أو من الليل الداج
فاضت له العين بدمع ثجاج * وأشعل القلب بوجد وهاج
لو كان نعمان قتيل الاعلاج * مستوى الشخص صحيح الاوداج
* لكنت منه بمكان النساج *
قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراج * ان تنكحيه ملكا أو ذا تاج

ثم قدمت حميدة بعد ذلك على ابنتها زائرة فقال لها الحجاج يا حميدة انى كنت أتحمل مزاحك مدة وأما اليوم فانى بالعراق وهم قوم سوء فاياك فقالت سأكف حتى أرحل وكانت وفاة حميدة بالشام بآخر ولاية عبد الملك بن مروان

حنة البرت

هى دو البرت ملكة نوار من أعمال فرنسا ولدت فى ناحية بو سنة ١٥٢٨ وتوفيت فى باريس سنة ١٥٧٢ كانت ابنة وحيدة لهنرى الثانى ملك نوار من زوجته مرغريت دوانغولم شقيقة فرنسو الاول زفت فى ١٥ تموز (يوليه) سنة ١٥٤٠ ولها من العمر ١٢ سنة تزوجها غليوم دوق كليف وجوليه وكان ذلك على غير ارادتها وارادة أبويها فابطل البابا بولس الثالث هذا الزواج وسنة ١٥٤٨ تزوجت بانطوان دو بوربون دوق فندوم وجلست معه على تخت الملك فى نوار بالفعل ويرت عند وفاة أبيها وكانت مشهورة بجمالها وحذقها واتبعت مذهب كالفينوس وبعد وفاة زوجها سنة ١٥٦٢ حافظت على أملاكها ولم تبال بدسائس اسبانيا ورومية ووعيدهما وسنة ١٥٦٧ أعلنت ان مذهب كلفينوس هو المذهب القانونى فى مملكتها وانضمت سنة ١٥٦٩ مع ولديها هنرى وكترينا الى كوليني فى لاروشيل وكانت فى رياسة فرقة من الهوغنو وبعد أن قتل برنس دوكنده كانت تعتبر سندا وحيدا للبروتستانت وقد بايع أوبيني وغيره من المؤلفين فى مدحها انها كان لها من السطوة على الجنود الهوغنو وسلمت رغما عنها بزواج ابنها هنرى (هنرى الرابع ملك فرنسا) بمرغريت دو فالوا وكان قد سعى فى ذلك الزواج كل من كترينا ده مديشى وشارل التاسع وفى تلك الاثناء دعيت الى البلاط الفرنسوى فتوفيت فيه وذلك قبل حدوث مذبحة سنت برتلمى بشهرين وظن جماعة ان سبب موتها سم دسته اليها كترينا ده مديشى والارجح انه أصابها حمى خبيثة قضت بها نحبها ولم تشهد زواج ابنها وكانت كاملة بالآداب والمعارف فبرعت فيها كثيرا ولها تآليف فى الشعر والنثر وطبع بالآتى بعض أشعارها

حنة اليصابات زوجة النبرو

ولدت نحو سنة ١٨٠٧ وهى ابنة الاميرال دغبى تزوجت بارل النبرو سنة ١٨٢٤ وسنة ١٨٣٠ هجرت زوجها وهربت الى انكلترا مع البرنس فلكس شوارتزنبرغ وكان حينئذ سفير النمسا فى انكلترا فصدر قرار من المجلس العالى الانكليزى بطلاقها من زوجها ولكن لم يدم ابتهاجها بعاشقها لانه تركها وشأنها بعد مدة وجيزة غير ان المجلس العالى عين لها بقراره الصادر بطلاقها معاشا سنويا وافرا فصرفت عدة سنين فى ايطاليا وغيرها فى رغد وانشراح وتزوجت كنتا يونانيا ثم طلقت وصارت الى الشرق فجعلت تجول فيه قليل وبينما كانت سائرة من تدمر الى دمشق رافقها شيخ من البدو اسمه مجول مع قوم من عربه لحراستها فاغار عليهم وهم فى الطريق جماعة من البدو قاصدين غزوهم فصدهم مجول ببسالة لا مزيد عليها فاحبته

لبسالته وأمانته وطرح نفسه في الخطر حبا فيها ومدافعة عنها فاتخذته زوجا لها على طريقة البدو وبقيت هي على مذهبها تذهب الى الكنيسة وهو على مذهبه يذهب الى الجامع ثم اشترت في دمشق بستانا بنت فيه بيتا ظريفا تصرف فيه بعض السنة بعيشة حضرية وأما البعض الآخر فتصرفه في بيت من الشعر لزوجها المذكور بين عربه بعيشة مرضية (وذكرت تريزيم في رحلتها المدونة عن ترجمة الليدي في الخيمة بالارض المقدسة) انها زارتها سنة ١٨٥٥ وقد طبع تلك الرحلة في نيويرك من أميركا سنة ١٨٥٧ وفيها تفاصيل لا محل لها هنا ويقال انها كتبت سيرتها بيدها ولا بد أن الذين وقفوا على خبرها يميلون الى مطالعتها

﴿ حنة اسكوخاون ﴾

انكليزية من كنتيسه لتلكن احرقت في سمثفلد في ١٢ تموز (يوليه) سنة ١٥٤٦ كانت ذات عقل ثاقب وتعلمت الكتاب المقدس ثم انحازت الى البروتستانت وكان زوجها كيم من أشد الناس تمسكا بالمذهب الكاثوليكي فطردها من بيته فسارت الى لندن لتطلب الى الحكومة أن تقرر انفصالها عنه فاجابتها الملكة كترينا بار وكثير من خواتين البلاط الملكي الا أن انكارها حضور المسيح بالجسد في الافخارستيا حمل الحكومة على القبض عليها وايداعها السجن وذكرت أنها بعد عذاب مبرح كتبت محررا انقضت فيه مقالها الاول ولكن ذلك لم ينفعها لانها حبست مرة ثانية في نوغات وطلب اليها أن تشهر أسماء مكاتبيها في البلاط الملكي فلم تفعل مع انها كانت تعذب على مرأى من حامل أختام الدولة ولم تستطع الوقوف بعد ذلك العذاب فوضعت في كرسي وطرحت في النار فكان صبرها على عذابها هذا وغيره يذهل الناظرين اليها

﴿ حنة ملكة بريطانيا وارلانده ﴾

هي آخر من جلس على عرش انكلترا من عائلة ستورس ولدت سنة ١٦٦٤ مسيحية وتوفيت سنة ١٧١٤ وهي ثاني بنت لجمس الثاني دوق يورك من امرأته الاولى حنة هيد ابنة كلارندن الشهير وكان والداها كاثوليكيين وأما هي فتربت على مبادئ كنيسة انكلترا الاسقفية وتزوجت سنة ١٦٨٣ بالبرنس جورج أخي كرستيان الخامس ملك الدنمرك وجعلتها دوقة مرلبورو التي كانت تحبها محبة شديدة وتحدث مع الحسب الفائز فكذل لها ولاولادها تاج انكلترا بانه لم يكن لوليم وماري عقب فولدت ١٧ ولدا ولكن ماتوا في سن الطفولية الا أكبرهم فتوفي وله من العمر احدى عشرة سنة فلما توفي وليم جلست على عرش انكلترا وذلك سنة ١٧٠٢ ومع ضعف عزمها اتبعت سياسة سلفها في كبح مطامع لويس الرابع عشر فتجددت يوم تتويجها المعاهدة الثلاثية بين انكلترا وهولاندا والمانيا ضد فرنسا وأعظم الحوادث السياسية التي زينت ملك حنة هو اتحاد انكلترا وسكوتسيا وذلك في ايار سنة ١٧٠٧ وسنة ١٧١٠ أخذت شهرة مرلبورو في الانحطاط بعد أن بقي ثماني سنوات في أعلى درجة من الاعتبار والحب عند الملكة والشعب والمجلس العالي وخسرت امرأته فقوي حزب التوريين الذين كان منهم في ذلك الوقت أقدر رجال السياسة وأحذق الكتاب ووكل حزب الهويغ قبل سقوطه بمقاومتهم اللاهوتي ساشفرل لانه صرح في وعظه بان حق الملوك هو من الله وانتصر التوريون في الانتخابات الجديدة فأقيمت وزارة جديدة تحت رياسة هرلي وصارت ماشام ابنة أحد تجار لندن نديمة للملكة ومدبرة ايلادنها فعزموا على عقد الصلح وأهملوا الانتفاع بنتائج الحرب وتركوا حلفاء انكلترا في معاهدة اترخت التي وقع عليها في أبريل سنة ١٧١٣ ولم تكن الوزارة

الجديدة متفقة وكانت قد تقرر أن يكون تاج انكلترا بعد موت حنة بدون عقب لصوفيا أكبر بنات جمس الاول وحاول جماعة أن يقرروا ذلك لاخيها ابن جمس الثانى فساءت الملكة أعمال وزرائها واختلافاتهم فماتت فجأة واذ كان موتها قبل ان أكمل بولينغبروك تدابيره نشأ عنه تقرير سلالة بروتستانية لانكلترا بسلام ولم تكن حنة شديدة الحزم ولكنها كانت وديعة وامتاز ملكها بحروب متوالية انتصرت فيها انكلترا وقد أطلق على أيام ملكها اسم العصر الاوغسطى للآداب الانكليزية وتزين ذلك العصر بكتابات اديسون وبوب وسوفت وريقوا وجرائد مشهورة بتلك الايام

حنة النمساوية ملكة فرنسا

هى ابنة فيليب الثالث ملك اسبانيا ولدت سنة ١٦٠١ وتوفيت سنة ١٦٦٦ تزوجها لويس الثالث عشر سنة ١٦١٥ فبقيت ٢٢ سنة لا تلد وروى بعض المؤرخين أنه عندما هجرها زوجها لويس اخترعت اطارا كانت تلبسه تحت ثيابها التستر به حملها عن الملك الى أن ولدت ولدا ذكرا وكثيرا ما كان زوجها يسىء معاملتها ويعذبها ويقال ان الكردينال ريشليو كان يهيج الملك الى كرهها ومقتها فاتفقت مع حماتها مارى دى مويلسى على عزله ولكن هبط مسعاهما لان ريشليو كان ذا سطوة وحذق لامزيد عليهما فاتهمها بانها كانت متفقة مع أخيها ملك اسبانيا ودوق لورين وانكلترا وكل أعداء فرنسا الخائنين فى البلاط الملكى على ما هو ضد صالح فرنسا وضد مصلحة الكردينال المذكور وانها كانت تساعد الشاب التعيس هنرى روتلير فيد برنس كانى فى مؤامراته وتنقاد اليه انقيادا أعمى فأمر الملك بتفتيش غرف قصر الفال دوغراس الذى كانت فيه مع حماتها وكان الملك قد حكم عليها بالخروج من البلاط فخرجت حنة أيضا من القصر ورجعت الى البلاط الملكى فى اللوفر حيث كانت تحتمل غضب زوجها وتضاده ثم شاع بعد ذلك حملها بلويس الرابع عشر سنة ١٦٣٨ وولدت سنة ١٦٤٠ فيليب دوق دورليان وبعد موت زوجها لويس الثالث عشر سنة ١٦٤٣ أقامها البرلمان رغما عن ارادته نائبة عن لويس الرابع عشر مدة قصره فكان الكردينال مازارين يحكم باسمها ويقال انه كان متزوجا بها سرا فقربت الايام اولى من نيابتها بانتصارات البرنس كوندى ولكن رفعها المقام الكردينال فرار بل وجعلته رئيسا للوزارة هيج بعض عائلة كوندى وبعض عيال من السلالة الملكية وآخرين من عيال فرنسا الشريفة فنشأت عن ذلك الحرب الاهلية التى تدعى حرب الفرنده (أى حرب المقلاع) ومع ذلك كانت تدبر ملكها بادارة جيدة

حنة بولين ملكة انكلترا

وهى احدى نساء هنرى الثامن قطع رأسها فى ١٩ ايار سنة ١٥٣٦ وأما تاريخ ولادتها فمجهول وبعضهم قال انها ولدت سنة ١٥٠٠ وآخرون سنة ١٥٠٧ وهى ابنة الارل توماس بولين كانت من السيدات اللواتى رافقن مارى شقيقة هنرى الثامن الى فرنسا عند تزوجها بلويس الثانى عشر سنة ١٥١٤ ولما رجعت مارى بعد موت زوجها الى انكلترا بقيت حنة فى فرنسا عند كلود زوجة فرنسيس الاول ثم دعيت الى انكلترا سنة ١٥٢٢ أو سنة ١٥٢٧ ودخلت فى خدمة كاترين الاراغونية وقد ظهر منها وهى هناك من الحذاقة والهمة والظرف ما لامزيد عليه وأما ما قيل من أن

سالو كهاف البلاط الفرنسوي كان محلا للشبهة فلم يزل من دون دليل كاف ولم يمض الا زمن قليل حتى أحبها هنري الثامن فالزم الكردينال ولسي أن يتوسط في فسخ خطبتها من اللورد برسي ابن ارل نرثمبرلند وكانت تزداد محبة هنري لها وتقل ثقته بصحة تزوجه بكاترين الاراغونية فصرح في أواخر سنة ١٥٢٧ للكردينال ولسي بقصده أن يتزوج بحنة حالما طلق كاترين فغلبت ارادة هنري ورغبته الشديدة مقاومة الكردينال ولسي على أن حنة كانت تحسب الكردينال المذكور ضدها فقاومته الى أن اقتنعت من الملك بعزله فتزوج هنري بحنة في هويتهول في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٥٣٣ بعد هياج استمر خمس سنين نشأ عن طلاق كاترين وكانت قد صرفت ثلاث سنوات في القصر قبل تزوجهما فكانت في تلك المدة تنادم هنري وجعلها قبل تزوجه بها ببضعة أشهر مركيزة بمبروك وعند ذلك أحيلت مسئلة طلاق كاترين الى المجلس كانتربيري الاكليريكي وحكم كرانمر في أول شهر ايار من تلك السنة بفساد تزوج الملك بكاترين من أوله وأن حنة هي امرأته الشرعية وفي أول حزيران أقيم تتويجها باحتفال عظيم ثم بعد ذلك بثلاثة أشهر ولدت البرنسيس اليصابات التي تزين التاريخ الانكليزي فيما بعد بأخبار ملكها ولما ابتدأ هنري يكرهها ويميل الى جين سيمور لم يكن أمير اصعب الحكم على حنة بارتكاب أمور منكرة فاقيمت لجنة من اللوردات والدهاقين جعلتهم للفحص عن سيرتها وذلك سنة ١٥٣٦ فقررت تلك اللجنة أنها أتت المنكرات مع بريرتن ونرس ووستن من الخدم الخاص ومميت صاحب موسيقى الملك حتى مع أخيها اللورد روشفرد فأرسل الملك كل المتهمين الى السجن وحوكمت حنة أمام لجنة من الامراء تحت رياسة عمها دوق نرفلك فثبت أنها مذنبة وكان من أثبته اقرار سميتن مع أنها أقامت الحجة مع باقي المسجونين على براءتها وحكم بفساد تزوجها بهنري الثامن وأبطل كما حكم بفساد تزوج كاترين فكانت تقضي ساعات سجنها بين السكينة والقلق وكان تصرفها عند قطع رأسها بجلال ملكي وأما سميتن فعلق وقتل خنقا وأما الاربعة الباقون المتهمون فقطعت رؤسهم

﴿حنة البريطانية ملكة فرنسا﴾

ولدت في ننت سنة ١٤٧٦ وتوفيت في قلعة بلوى سنة ١٥١٤ كانت ابنة فرانسيس الثامن دوق بريطانيه ووليةالعهد أعطاها أبوها دوقية بريطانية مهرا لما تزوجت شارل الثامن بن لويس الحادي عشر سنة ١٤٩١ فصارت الدوقية المذكورة من جملة أملاك فرنسا وكان قد خطبها قبل ذلك الملك مكسيمليان من استوريا ولكن حل هذه الخطبة لويس الحادي عشر وزوجها لابنه ووسع بذلك في أملاكه وتزوجت بعد موت شارل الثامن بخلفته لويس الثاني عشر سنة ١٤٩٨ وكان لها سطوة قوية عليه وعلى كل رجال البلاط فكانت قدوة للفضيلة والاجتهاد في أشغالها وكانت تدير المملكة حق الادارة مدة غياب زوجها في الحروب التي قام بها ضد ايطاليا

﴿حنة ملكة نابولي﴾

وهي ابنة شارل دوق كلابريا وحفيدة روبرت انجو ولدت سنة ١٣٢٧ وقتلت في حصن مورو في ولاية باسيليكاتا في ٢٢ ايار سنة ١٣٨٢ كان أبوها يحاول أن يجعل اتحادا بين فرعي عائلة انجو التي كانت تدعي بتخت نابلي لتزوجه حنة هذه في سن سبع سنوات بابن عمها اندرو الجري الا أن تدبيره لم يأت بالغرض المقصود

لانه لما كبر الزوجان كان يبغض أحدهما الآخر بغضا شديدا وكان الحزبان المتضادان من أقاربهما يهيجان دائما تلك الحماسة وتوفي الدوق شارل قبل أبيه روبرت ولذلك خلفت حنة أباها عند موته سنة ١٣٤٣ فانقسم بلاط نابلي بسرعة الى حزبين حزب معها وحزب مع زوجها فبقي انقسامهم مدة مديدة الى أن انتهت سنة ١٣٤٥ بأن قتل الملك قوم من الثائرين أخرجوه بحيلة من مخدعه وعلقوه شنقا من شبابيك القصر وقد اتهمت حنة بالاشتراك في تلك المؤامرة والسعي وتدبير كل ما يتعلق بها والظاهر أنها غير بريئة من هذه التهمة وأما ما قيل من أنها كانت تلبس الحبل الذهبي الذي خنق به زوجها اندرو فلا يخلو من المبالغة ثم بعد موت زوجها بقليل تزوجت من دون حل من البابا بلويس دوتارنت وهو أحد أقاربها ويظن انه كان عشيقها واذ كان لويس الكبير صاحب هنكاريا يطلب فرصة للاخذ بثار أخيه اتخذ ذلك حجة وأغار سنة ١٣٤٧ على الاراضي النابولية واذ كانت حنة غير مستعدة للدفاع هربت الى افينيون التي كانت حينئذ موطن الباباوات وبينما هي هناك اذ احضرت أمام مجلس حكم وبرئت بكونها قاتلة زوجها فتخلصت من القصاص بقبولها بتسليم افينيون الى الكرسي المقدس ملكا مؤبدا بشرط دفع ثمانين ألف فلورين ذهبا واعلان البابا رسميا بكونها بريئة وتثبيت زواجها الحديث وفي تلك الاثناء رجع ملك هنكاريا عن نابلي تاركا فيها حامية قوية خرجت منها بعد قليل بتوسط البابا ثم ان لويس دوتارنت توفي سنة ١٣٦٢ فتزوجت حنة سنة ١٣٦٣ بجمس ميس الاراغوني ملك يورقة الاسمي لبعض الاقاليم حتى تركها ورجع الى بيته في اسبانيا وتوفي هناك سنة ١٣٧٦ فتزوجت بزوج رابع وهو أوتو برنسويك فغاظت بذلك الدوق شارل دوراتسو الذي كانت زوجته ابنة أخي وارثة التخت وسنة ١٣٧٨ لما اختلف البابوان المتناظران وهما اكليمنضس السابع واوربانوس السادس تحزبت حنة لاكليمنضس فغاظت بذلك اوربانوس فاستنصر على الدوق دوراتسو واعلن أن له الحق في تخت نابلي أما حنة فلما رأت أن اكليمنضس حكمت وصية مخصوصة جعلت بموجبها ابن ملك فرنسا الثاني وارثا لها ورجعت بذلك الحق عن الدوق وزوجته فاتخذ شارل دوراتسو هذه الحوادث حجة كان يطلبها بعد زمان طويل فأغار على بلاد حنة ولم يصادف من الشعب الا مقاومة قليلة وتقدم الى نابلي وأسر الملكة وأرسلها تحت الحفظ الى مورا فكانت هناك تحت رحمة ملك هنكاريا فأمر بقتلها خنقا فقتلت بالوسادة أخذا بثار اندرو على الطريقة التي قتلته بها

﴿ حنة ملكة نابلي ابنة شارل دوراتسو ﴾

ولدت سنة ١٣٧٠ وتوفيت سنة ١٤٣٥ تزوجت وهي صغيرة بوليم ملك اسوريا وترملت بعد ذلك عدة سنين وخلفت أخاها لاديسلاس سنة ١٤١٤ بعد موت زوجها وكان بينها وبين كنت سالو نفرا الوبو اتصال سري وتمادت على ذلك الاتصال بعد موت زوجها ولم تحاول سترها فانها وجهت الى عشيقها المذكور أعلى المأموريات وجعلت مصالح المملكة بيده فعلا لان أصدقاءها أقنعوها أخيرا بأن تتزوج ثانيا فاختارت جاكوي دو بوربون كنت لامرش زوجا لها الا أن زوجها لم يكن واسطة لتغيير سيرتها لانه الخلاعة فلما اطلع زوجها على خيانتها نظف البلاط من كل أصدقائها وقطع رأس عشيقها بحضورها وأرسلها الى مكان منفرد ثم انه صالحها وبعد ذلك مصالحة ظاهرة الا انها لما رجعت الى مركزها في البلاط حبست بحيلة زوجها في احدى قلاع نابلي ولم يخرج من ذلك السجن الا بصعوبة وبعد خروجه

خرج من البلاد ودخل في دياف برغونيا وحينئذ ابتدأت سلطته التي بها أمكنها الرجوع الى البلاد فكان تاريخ ملكها مدة بضع سنين عبارة عن حيل ومكائد وذلك مع بعض الشعب الذى أنها في كل المدة التى نشأ عنها حركات داخلية في البلاد وثورات في البلاد ومع ازدياد خصام الاحزاب قوة النزاع الذى جرى بين لويس الثالث عشر والفرنسيس ودوارغون الذين كانا يدعيان حق الخلافة أما حنة فحكمت به أولا لافرنسيس ثم عكست حكمها وعند وفاة لويس الثالث حكمت بها لرجل آخر من بيت أنجو اما الفرنسيس فقبض على صولجان الملك رغما عن الوصية التى حرمته اياها

﴿حنة موراندى منزوليني﴾

كانت أبرع نساء زمانها بفن التصاوير والتماثيل لانها أخذته عن زوجها منزوليني وكان ماهرا في التشريح والرسم والتصوير وفي نقش الشمع لعمل التماثيل ولكنه ضعيف الرأى عصبي المزاج سوداويه وكانت زوجته على جانب عظيم من النباهة والفطنة فتعلمت منه عمل التماثيل الشمعية وأتقنته غاية الاتقان وكانت تساعده في أعماله وكان منزوليني ملازما للمسرز الشهير في أعماله ويساعده على أشغاله فوسوس شيطان الظنون في أذنى منزوليني وظن أن لالى عازم على أن يستأثر بالاسم والشهرة من عمل تلك التماثيل ولا يبقى له اسم فيها فعزم على تركه وكان لالى دائما يعترف بفضله ويقول انه لولا مساعدة منزوليني لم يستطع عمل تلك التماثيل فلما رأت حنة خطأ زوجها عزمت ان تتعلم منه فن التشريح وتتم العمل الذى أحجم عنه حفظا لشهرته فأجابها الى طلبها لشدة تعلقه بها وعلمها هذا الفن فدرسته برغبة شديدة وقرأت أحسن المصنفات فيه وشرحت الاجساد البشرية بيدها رغما عما وجدته في نفسها من الكراهة الشديدة لذلك فانها كثيرا ما كانت تمرض من رؤية الاجساد المشرحة ولكنها كانت تتغلب على ما بها من الضعف الطبيعي حتى أتقنت هذا الفن واكتشفت فيه اكتشافات كثيرة وفي غضون ذلك أنشأ أحد الاطباء مدرسة التعليم فن الولادة وطلب اليها أن تصنع له جثة من الشمع مثلا وتبقى في المدرسة الاجنة المناظرة على غاية الاتقان ثم جعلت تتقدم حتى فاقت في التشريح العلمي وتشريح المقابلة وتقدمت ما أشد الاتقان فذاع صيتها حتى عم أوروبا الغزارة معارفها وحسن أساليبها في التعليم

وفي سنة ١٧٥٥ توفي زوجها عن ولدين صغيرين فحزنت عليه حزنا شديدا لانها كانت تحبه حبا مفرطا مع كثرة غيرته وانه انقطع عن خدمة العلم وفي السنة الاولى من ترملها انتخبت عضوا في المجمع العلمي ببولونيا ثم في مجامع أخرى كثيرة وجعلتها حكومة بولونيه استاذة تشريح في مدرسة بولونيه العالية ولكن الانتظام في سلك هذه الجمعيات لم ينقعها معنويا لانها كانت في حالة تقرب بها من الفقر ولم تزد أجرتها في مدرسة الطب عن ثلثمائة فرنك في السنة وكانت على جانب عظيم من الجمال ولكنها كانت عفيفة النفس طاهرة السيرة والسريرة لان العلم ربما يسمو بها عن ارتكاب الدنايا

وفي سنة ١٧٦٥ طلبت من الحكومة أن تزيد راتبها وتجعله خمسمائة فرنك في السنة فلم تجبها الى طلبها ولكن أحد أرباب الحكومة وهو الكونت اوزى اباح لها أن تقيم في بيته كاستاذة بشرط أن تعطيه بدل ذلك كل كتبها واستحضاراتها التشريحية فقامت عنده لان الفقر كان قد أذلها ولكن الكونت أكرم مثواها وأبقى لها كتبها واستحضاراتها فوضعها بالمجمع العلمي حيث هي الى يومنا وفيها الاجزاء الصغيرة من جسد الانسان كالاوعية الشعرية التى ترى بالعين وهى في غاية الضبط والاحكام وكانت كغيرها

من مشاهير الارض واذا تعبت من عمل ترتاح بمزاولة آخر فصنعت أوقات الراحة تماثيل كثيرة لزوجها ولنفسها ولبعض أصدقائها وصنعت تمثالا قابضة على الجمجمة وأخذت تشرح الدماغ ومما يكاد يفوق التصديق أن هذه المرأة الفاضلة التي توسلت الى حكومة بولونيه لكي يزيد راتبها السنوي مائتي فرنك ولم تجبها الى طلبها عرض عليها مرارا كثيرة أن تأتي الى مدينة لوندره براتب كبير جدا وأرسلت أمبراطورة روسيا تدعوها اليها ووعدتها أن تعطيها مهما طلبت وأرسلت مدرسة ميلان تدعوها اليها وفوضت اليها أن تختار الاجرة التي تريدها وتشترط الشروط التي تختارها وطلبت منها مدارس أخرى نفس هذا الطلب فاجابت كل هؤلاء أنها تفضل البقاء في مدرسة بولونيه على ما سواها وأرسلت لكل منهم مجموعا كاملا من مصنوعاتها التشريحية وشرحا كافيا وافيا يغني عنها ولبثت بين الدفاتر والمحابر والدرس والتدريس الى أن وافتها المنية سنة ١٧٧٤ ولها من العمر ٦٨ سنة

حرف الخاء

﴿ خديجة ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ﴾

أول امرأة تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره بل أول انسان أسلم لم يسلم قبلها أحد لا ذكر ولا أنثى وقيل كانت تسمى في الجاهلية الطاهرة وتكنى بأم هند وأمها فاطمة بنت زائدة بن الاصم من بني عامر ابن لؤي تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فمات عنها ولها منه اولاد ثم تزوجها أبو هالة هند بن زرارة وقيل تزوجها قبل عتيق ومات عنها أبو هالة وله منها هند والظاهر أنه خلف لها ثروة عظيمة وكانت هي ذات ثروة وافرة فكانت تستأجر الرجال للتجارة في مالها وتضاربهم بشيء تجعل لهم منه وكانت قريش تكثر التجارة في بلاد الشأم فلما بلغها عن النبي صلى الله عليه وسلم صدق الحديث وعظم الامانة وكرم الاخلاق أرسلت اليه ليخرج في مالها الى الشأم تاجرا مع غلامها ميسرة وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره وفي رواية أنه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له عمه أبو طالب أنا رجل لا مال لي وقد اشتد علينا الزمان وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشأم وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيرها فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لاسرعت اليك فبلغ ذلك خديجة فارسلت اليه وقالت له أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك وفي رواية أخرى ان أبا طالب أتاها فقال لها هل لك أن تستأجري محمدا فقد بلغنا انك استأجرت فلانا ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات فقالت لو سألت ذلك لبعيد بغيض لفعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب فقال أبو طالب هذا رزق ساقه الله اليك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة حتى بلغ بصرى من الشام فنزل في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب فقال الراهب لميسرة من هذا الرجل فقال رجل من قريش فقال ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي ثم باع الرسول واشترى وعاد وقد ربح ضعف ما كان يربح غيره فلما كانوا بمر الظهران تقدم الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر خديجة بالربح ثم قدم ميسرة وقد أحب النبي وأخبرها بما سمع من الراهب فاضعفت للنبي صلى الله عليه وسلم ما وعدته وقد رأت ربحا وافرا وكانت امرأة حازمة عاقلة شريفة من أوساط نساء قريش نسبا وأكثرهن مالا وشرفا وكان كل من قومها يتمنى أن يتزوج بها فلم يقدروا فلما رأت ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم أرسلت وعرضت نفسها عليه فأتى مع أعمامه الى أبيها خويلد وخطبها اليه ثم تزوجها وكان عمره

اذذاك ٢٥ سنة وعمرها ٤٠ سنة وقيل خمسة وأربعون وقيل غير ذلك فولدت له أولاده كلهم الا ابراهيم وقيل الذى زوجها عمها عمرو بن أسد لان أباها مات قبل الفجار ولما ابتدأ الوحى بمحمد النبى صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل كان متخوفا من ذلك وأخبر خديجة فقالت أبشر فان يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الامانة وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل فأخبرته بما سمعته وسألته خديجة بعد ذلك قائلة يا ابن العم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فجاءه جبرائيل فعلمها فقالت قم فاجلس على فخذى اليسرى ففعل فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول على فخذى اليمنى ففعل فقالت هل تراه قال نعم فألقت خمارها ثم قالت هل تراه فقال لا قالت يا ابن العم اثبت وأبشر فانه ملك وما هو بشيطان فكانت خديجة أول من آمن به وصدقه ولما علمه جبريل الوضوء والصلاة أتى الى خديجة وعلمها ذلك فتوضأت كوضوئه وصلت كصلاته وبقيت خديجة مع النبى صلى الله عليه وسلم ٢٤ سنة وأشهرا ولم يتزوج عليها وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة أبى طالب بثلاثة أيام وقيل بخمسة وخمسين يوما وعمرها خمس وستون سنة ودفنت بالحجون وحزن النبى عليها ونزل فى حفرتها وعظمت عليه المصيبة بوفاة أبى طالب ثم وفاتها وكانا من أشد المعضدين له وبعد ثلاث سنين من وفاتها تزوج بعائشة وقيل بسودة بنت زمعة وروى أنه قال أفضل نساء الجنة خديجة وفاطمة ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وقيل ان معاوية اشترى المنزل الذى كانت فيه خديجة وجعله مسجدا

وقال ابن الوردى لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة فحكى لها ما رأى فقالت أبشر فوالذى نفس خديجة بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الامة ثم أتت خديجة ابن عمها ورقة بن نوفل بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصى وكان شيخا كبيرا وكان قد عمى وتنصر فى الجاهلية وكتب فى التوراة والانجيل فلما ذكرت خديجة أمر جبريل وما رأى ميسرة فقال ورقة انه ليأتيه الناموس الاكبر وهذا الناموس الذى أنزل على موسى يا ليتنى أكون فيها جذعا حين يخرجه قومه فاخبرت النبى بذلك فقال صلى الله عليه وسلم أومخرجى هم فقالت سأله ذلك قال نعم لم يأت أحد قط بمثل ما جاء به الا عودى وأوذى وان يدركنى يومه أنصره نصرا مؤزرا فى ذلك وان رأيت أن ترسله لى فاخبره عن ذلك وقال أبياتا منها

ويسف من خديجة بعد وصف * فقد طال انتظارى يا خديجا
بما أخبرتنا من قول قس * من الرهبان يكره أن يعوجا
بان محمدا سيسود يوما * ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر فى البلاد ضياء نور * يقيم به البرية أن تموجا
ألا يا ليتنى ان كان ذاكم * شهدت وكنت أولهم ولوجا
ولوجا فى الذى كرهت قريش * ولو عجت بمكتها عجيجا

ولما انتهى من أبياته قال أرسلى لى محمدا فانى مخبره بما أريد ولما ذهب اليه النبى صلى الله عليه وسلم أخبره ما قاله لخديجة وأنشد

يا للرجال لصرف الهم والقدر * وما لشئ قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعونى لاخبرها * امرا أراه سيأتى الناس عن أثر
فخبرتنى بأمر قد سمعت به * فيما مضى من قديم الناس والعصر

بأن أحمد يأتيه فيخبره * جبريل انك مبعوث الى البشر

فقلت ان الذي ترجين يخبره * لك الاله فرجي الخير وانتظري

وأرسليه لنا كيما نسائله * عن أمره مايرى في النوم والسهر

فقال حين أتانا منطقا عجبا * يقف منه أعالي الجلد والشعر

انى رأيت أمين الله واجهني * في صورة كملت من أعجب الصور

ثم استمر وكاد الخوف يذعرني * مما يسلم ماحولي من الشجر

واللّه أعلم بالصواب

﴿خديجة ملكة جزائر ذيبة المهل من بلاد الهند﴾

وهي خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر ابن السلطان صلاح الدين صالح البنجالي وكان الملك لجدها ثم لأبيها
فلما مات أبوها ولي أخوها شهاب الدين وهو صغير السن فتزوج الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي أمه وغلب
عليه وهو الذي تزوج أيضا هذه الملكة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين فلما بلغ شهاب الدين
مبلغ الرجال أخرج ربيبه الوزير عبد الله ونفاه الى جزائر السويد واستقل بالملك واستوزر أحد مواليه
يسمى علي كلكي ثم عزله بعد ثلاثة أعوام ونفاه الى السويد وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين المذكور
انه يختلف الى حرم أهل دولته وخواصه بالليل فخلعوه لذلك ونفوه الى اقليم هلدتني وبعثوا من قتله بها ولم
يكن بقي من بيت الملك الا أخواته خديجة الكبرى ومريم وفاطمة فقدموا خديجة ملكة في سنة ٧٤٠
للهجرة وكانت متزوجة لخطيبهم جمال الدين فصار وزيرا غالبا على الامر وعين ولده محمد للخطابة عوضا عنه
ولكن الاوامر انما تنفذ باسم خديجة وهم يكتبون الاوامر في سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكين
ولا يكتبون في الكاغد الا المصاحف وكتب العلم ويذكرها الخطيب يوم الجمعة وغيرها فيقول اللهم انصر
أمتك التي اخترتها على علم على العالمين وجعلتها رحمة لكافة المسلمين ألا وهي السلطانة خديجة بنت السلطان
جلال الدين ابن السلطان صلاح الدين ومن عادتهم اذا قدم الغريب عليهم ومضى الى الدار فلابد له أن
يستصحب ثوبين فيخدم باتجاه هذه السلطانة ويرمي بأحدهما ثم يخدم لوزيرها وهو زوجها جمال الدين
ويرمي بالثاني وعسكرها نحو ألف انسان من الغرباء وبعضهم بلديون يأتون كل يوم الى الدار فيخدمون
وينصرفون ومرتبهم الارز يعطى لهم من البندر كل شهر فاذا تم الشهر أتوا الدار وخدموا وقالوا للوزير بلغ
عنا الخدمة واعلم بأنا أتينا نطلب مرتبنا فيأمر لهم به عند ذلك ويأتي أيضا الى الدار كل يوم القاضي
وأرباب الخطط وهم الوزراء عندهم فيخدمون ويبلغ خدمتهم الفتيان وينصرفون وان النساء ليفتخرن
بمثل هذه الملكة حيث انها كانت مالكة ثلاث جزائر من جزائر الهنود التي تزيد عن الاربعين مليونا من
العالم وجميعهم من المسلمين وبقيت مالكتها مدة من الزمن بالعدل والانصاف وقد طال ملكها ثلاثا وثلاثين
سنة وفي مدتها كانت جزائرها في غاية الرونق والبهاء من كثرة الخيرات والارزاق والامن وكان جميع الاهالي
مكبين على الاشغال ملتفتين للاعمال محافظين على جزائرهم من الاعداء وبارتباطهم هذا كانوا مهابين
لا يدخلون أحدا من عدوهم بلادهم وبقيت على ذلك الى أن توفاها الله وأهل مملكتها راضون عنها
أسفون عليها

حرقة بنت النعمان بن المنذر

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأفصحهن مقالا وأكملهن عقلا وأعظمهن أدبا وكانت معتنقة الديانة المسيحية ومتعبدة بها تعبدا زائدا وكانت اذا خرجت الى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخز والوشي ثم تقبل في جواريها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها وبقيت على ذلك وهي في غاية العز والاحترام الى أن هلك النعمان فنكبها الزمان فأنزلها من الرفعة الى الذلة ولما نزل سعد بن أبي وقاص بالقادسية أميرا عليها وهزم الله الفرس وقتل رستم أتت حرقة بنت النعمان في حفدة من قومها وجواريها وهن في زيها عليهن المسوح والمقطعات السود مترهبات تطلب صلته فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال أيتكن حرقة قالت ها أنا ذا قال أنت حرقة قالت نعم فما تكرارك في استفهامي ثم قالت ان الدنيا دار زوال ولا تدوم على أهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا كنا ملوك هذا المصر يجبى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى الامر وزمان الدولة فلما أدبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فشق عصانا وشتت شملنا وكذلك الدهر يا سعد انه ليس يأتي قوما بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ثم أنشأت تقول

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد قاتل الله عدي بن زيد كأنه ينظر اليها حيث يقول

ان للدهر صولة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

فبينما هي واقفة بين يدي سعد اذ دخل عمرو بن معدي كرب وكان زوارا لابيها في الجاهلية فلما نظر اليها قال أنت حرقة قالت نعم قال فما دهاك فأذهب محمودات شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة وتفردهم بعد منعة وتذلهم بعد عز ان هذا الامر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره فأكرمها سعد وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه قالت حتى أحييك بتحية ملوكنا لا نزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سببا لردها عليه ثم خرجت من عنده فلقيها نساء المدينة فقلن لها ما فعل بك الامير قالت أكرم وجهي وانما يكرم الكريم كريم

خولة ابنة خالد بن جعفر بن قرط

كانت من الادب على جانب عظيم ومن الفصاحة والبلاغة على جانب أعظم والفروسية كانت عندها زائدة حضرت فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص وخاضت معه المعامع والمعارك وقد حضرت فتوح الطرة حينما استشهد من المسلمين خمسمائة وثلاثون فارسا فقالت ترثيهم في أبيات كما جاء في الطبرة للواقدي في فتوح الشام

أيا عين جودي بالدموع السواجم * فقد شرعت فينا سيوف الاعاجم
فكم من حسام في الحروب وذابل * وطرف كميت اللون صافي الدعائم
حزنا على سعد وعمرو ومالك * وسعد سعيد الجيش مثل العمائم
هم فتية غر الوجوه أعزة * ليوث لدى الهيجاء شمس الجماجم

ومن قولها أيضا

طوى الدهر ما بيني وبين أحبة * بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع
فلا يحسب الواشون أن قناتنا * تلين ولا أنا من الموت نجزع
ولكن للالاف لابد لوعة * اذا جمعات أقسر انها تتقطع

﴿خمانى انتار دشير بن بهمن﴾

ملكت بعد أبيها بهمن ملكوها حبا في أبيها ولعقلها وفروسيتها وكانت تلقب بشهرزاد وقيل انها ملكت لانها حين حملت من دارا الاكبر سألته أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك ففعل بهمن وعقد التاج عليه حملا في بطنها وكان ساسان بن بهمن رجلا يتصنع لذلك فلما رأى فعل أبيه لحق باصطخر وتزهد ولحق برؤس الجبال وهلك بهمن ودارا في بطن أمه فملكوها ووضعته بعد شهر من ملكها فأنفت من اظهار ذلك وجعلته في تابوت وجعلت معه جواهر وأجرته في نهر الكر من اصطخر وسار التابوت الى طحان من أهل اصطخر ففرح بما فيه من الجوهر فحضنته امرأته ثم ظهر أمره حين شب فأقرت خمانى باساءتها فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون من أبناء الملوك فحولت التاج اليه وسارت الى فارس وبنت مدينة اصطخر وكانت قد أوتيت ظفرا وأغزت الروم وشغلت الاعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيتها الخراج وكان ملكها ثلاثين سنة

﴿خولة بنت الازور الكندى﴾

وهى أخت ضرار بن الازور كانت مشهورة بالشجاعة والجمال خرجت مع أخيها الى الشام حين فتحها في خلافة أبي بكر الصديق وكانت تفوق الرجال بالفروسية والبسالة ولها وقائع مشهورة لا يسعها المقام اذا أحببنا ايرادها ولكنا نقتصر على البعض منها

قال الواقدى في فتوح الشام انه لما أسر ضرار بن الازور في وقعة أجنادين توجه خالد بن الوليد بطليعة من الجيش لخلاصه فبينما هو في الطريق اذ مر بفارس على فرس طويل وبيده رمح وهو لا يبين منه الا الحدق وقد سبق أمامه الناس كأنه نار فلما نظره خالد قال ليت شعرى من هذا الفارس وايم الله انه لفارس ثم اتبعه خالد والناس وسار الى أن أدرك المشركين وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم فما كانت الا جولة جائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك ثانية واخترق القوم غير مكترث وكثر قلق الناس عليه ولا يعلمون من هو ومنهم رافع بن عميرة ومن معه ظنوا أنه خالد وقالوا ما هذه الحملات الا لخالد وبينما هم على ذلك اذ أشرف خالد عن معه فقال له رافع من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته فقال خالد والله انني أشد انكارا منك أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله فقال رافع أيها الامير انه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا فقال خالد معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامى عن دين الله فاطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وخالد أمامهم اذ نظر الى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل في اثره وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور الى جيش المسلمين فتأملوه ورأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله وأظهر شجاعته

على الاعداء اما كشفت لنا عن اسمك وارفع لثامك فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس فى الروم فتصايحت الروم من كل جانب وكذلك المسلمون وقالوا أيها الرجل الكريم أميرنا يخاطبك وأنت تعرض عنه أظهر لنا اسمك لنزداد تعظيما فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه وقال ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبى بفعلك من أنت فلما ألح عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه قال انى أيها الامير لم أعرض عنك الا حياء منك لانك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وانما حملنى على ذلك انى محرقة الكبد زائدة الكمد فقال لها من أنت قالت أنا خولة بنت الازور أخت ضرار المأسور بيد المشركين وانى كنت مع بنات العرب وقد أتانى الساعى بان أسير فركبت وفعلت ما رأيت وعند ذلك حمل المسلمون وحملت خولة وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا ان كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة وأما خولة فانها جعلت تجول يمينا وشمالا وهى لا تطلب الا أخاها وهى لا ترى له أثرا ولا وقعت له على خبر وجعلت تسأل عنه فلم يجبها أحد ولم تر من المسلمين من يخبرها انه نظره أو رآه أسيرا أو قتيلا فلما أيست منه بكت بكاء شديدا وجعلت تقول يا ابن أمى ليت شعرى فى أى البيداء طرحوك أم بأى سنان طعنوك أم بأى حسام قتلوك يا أخى اختك لك الفداء لو أنى أراك أنقذتك من أيدى الاعداء ليت شعرى أترى انى أراك بعدها أبدا فقد تركت يا ابن أمى فى قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ سعيرها ليت شعرى ألحقت بأبيك المقتول بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فعليك منى السلام الى يوم اللقاء فبكى الناس من قولها عند سماعه ونياحها ومن وقائعها أيضا ما ظهر من بسالتها يوم أسر النسوة فى وقعة صحورا من أعمال الشام وقد جمعت النساء وقامت فيهن خطيبة وكانت هى من ضمن المأسورات فقالت يا بنات حمير وبقية تبع أترضين لانفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لاهل الشرك فأين شجاعتكن وبراعتكن التى تتحدث بها عنكن أحياء العرب ومحاضر الحضر وانى أراكن بمعزل عن ذلك وانى أرى القتل عليكن أهون من هذه الاسباب وما نزل عليكن من خدمة الروم فقالت لها عفراء بنت غفار الحميرية صدقت والله يا بنت الازور نحن فى الشجاعة كما ذكرت وفى البراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام والله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير أن السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت وانما دهمنا العدو على حين غفلة وما نحن الا كالغنم بدون سلاح فقالت خولة يا بنات التبابعة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الاطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم فنستريح من معرة العرب فقالت عفراء بنت غفار والله ما دعوت الا ما هو أحب الينا مما ذكرت ثم تناولت كل واحدة عمودا من أعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمودا وسعت من ورائها عفراء وأم أبان بنت عتبة ومسلمة بنت زارع ولبنى ومزروعة بنت عملوق وسلمة ابنة النعمان ومثل هؤلاء فقالت لهن خولة لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهم وهجمت خولة وهجم النساء وراءها وقاتلن قتالا شديدا حتى استخلصت النسوة من أيدى الروم وخرجت وهى تقول

نحن بنات تبع وحمير * وضربنا فى القوم ليس ينكر
لاننا فى الحرب نار تسعر * اليوم تسقون العذاب الاكبر

ومن قولها حين أسر ضرار فى المرة الثانية فى مرج دابق

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا * فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا
فلو كنت أدري أنه آخر اللقا * لكنا وقفنا للوداع وودعنا
ألا يا غراب البين هل أنت مخبري * فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو لقربهم * وكانهم تزهو وكانوا كما كنا
ألا قاتل الله النوى ما أمره * وأقبحه ماذا يريد النوى منا
ذكرت ليالي الجمع كأسوية * ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم * لئمنا خفافا للطايا وقبلنا
ولم أنس اذ قالوا ضرار مقيد * تركناه في دار العدو وعمنا
فما هذه الايام الا معارة * وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى
أرى القلب لا يختار في الناس غيرهم * اذا ما ذكرهم ذا كرقلبي المضنى
سلام على الاحباب في كل ساعة * وان بعدوا عنا وان منعوا منا

ثم بكت وقالت انا لله وانا اليه راجعون فوالله لاخذنا بثار وان شاء الله تعالى ولما زحفت عساكر الاسلام الى أنطاكية لاجل خلاص ضرار سار معهم النساء اللاتى لهن أسرى وفى مقدمتهن خولة بنت الازور وهي تنشد قولها من المراثى المبكيات

أبعد أخي تلذ الغمض عيني * فكيف ينام مقروح الجفون
سأبكي ما حييت على شقيق * أعز على من عيني اليمين
فلو أني لحقت به قتيلا * لهان على اذ هو غير هون
وكنت الى السلو أرى طريقا * وأعلق منه بالحبل المتين
وانا معشر من مات منا * فليس يموت موت المستكين
وانى ان يقال مضى ضرار * لباكية بنسجم هتون
وقالوا لم بكاك فقلت مهلا * أما أبكي وقد قطعوا وتيني

ولما أسر ضرار المرة الثالثة فى وقعة دير المسيح من أرض البهنسا وسار المسيب ورافع وجماعتهما فى طلبه تهللت فرحا وأسرعت فى لبس سلاحها وأتت الى خالد تستأذنه فى المسير معهما فقال لهما خالد أنتما تعلمان شجاعتها وبراعتها فخذاها معكما فما كان الا السمع والطاعة ثم ساروا حتى بلغوا منتصف الطريق وكمنوا قبل مرور القوم فبينما هم كامنون واذا بالقوم قد أتوا محدقين بضرار وهو متألم من كتافه وهو ينشد ويقول

ألا بلغوا قومي وخولة أنني * أسير رهين موثق اليد بالقيد
فيا قلب مت هما وحزنا وحسرة * ويا دمع عيني كن معينا على خدى
فلو أن أقوامي وخولة عندنا * لالزم ما كان عليه من العهد
ولو أنني فوق المجل راكبا * وقائم حد العضب قد ملكت يدى
لاذللت جمع الروم اذلال نقمة * وأسقيتهم وسط الوغى أعظم الكد

فنادته خولة من مكمنها قد أجاب الله دعاءك وقبل تنصر عك أنا خولة ثم كبرت وحملت وكبر بقية العسكر وحملوا حتى خلصوا ضرارا من الاسر ووقائعها كثيرة وقد أبلت بلاء حسنا فى فتوح الشام ومصر وعمرت

طويلا وكانت وفاتها في أواخر خلافة عثمان بن عفان فعلى مثل هذه يأسف الدهر رحمها الله رحمة واسعة

﴿خولة ابنة منظور بن زبان﴾

كان والدها منظور مكث أربع سنوات في بطن أمه ولذلك سمي منظورا وكانت أمهما مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري تحت زبان أبي منظور ولما توفي زبان خلفه عليها منظور وكان ذلك قبل الاسلام ولما أسلم بقيت تحته الى خلافة عمر بن الخطاب ففرق بينهما وكانت مليكة ولدت له هشاما وعبد الجبار وخولة

وكانت خولة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال فتنت فيها شبان قريش وقد خطبها جملة من رجالهم وأبوها يردهم قولا منه انهم ليسوا كفؤا لها وبقيت على ذلك حتى تزوج طلحة بن عبيد الله مليكة والدة خولة بعد طلاقها من منظور بن زبان فزوج خولة من ولده محمد بن طلحة فولدت له ابراهيم وداود وأم القاسم ابني محمد بن طلحة وكان أعرج وقتل محمد عنها يوم الجمل فتزوجها الحسن بن علي بن أبي طالب وكان سبب زواجها به أنها حينما تكاثر عليها الخطاب بعد قتل زوجها محمد جعلت أمرها بيد الحسن بن علي بن أبي طالب فتزوجها فبلغ منظور بن زبان ذلك فقال أمثلي يفتات عليه في ابنته ثم قدم المدينة وركز رايته في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق قيسي في المدينة الا دخل تحتها فقيل لمنظور أين يذهب بك تزوجها الحسن بن علي وليس مثله أحد فلم يقبل وبلغ الحسن ذلك فقال شأنك بها فأخذها وخرج بها فلما كانت بقباء جعلت خولة تندمه وتقول له الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة فقال البثي ههنا فان كان للرجل فيك حاجة سيلحقنا ههنا فلحقه الحسن والحسين وابن جعفر وابن عباس فلما وصلوا قابلهم بما يليق بهم ثم أرجعها الى الحسن فتزوجها ورجعوا جميعا وفي ذلك يقول جبير العبسي

ان الندى في بني ذبيان قد علموا * والجود في آل منظور بن سيار

والماطرين بأيديهم ندى ديما * وكل غيث من الوسمي مدرار

تزور جاراتهم وهنا قواضبهم * وما فتاهم لها سرا بزوار

ترضى قريش به صهرا لانفسهم * وهم رضا لبني أخت وأصهار

وبقيت خولة تحت الحسن بن علي حتى أسنت وقدمات عنها فكشفت قناعها وبرزت للرجال وصارت تجالسهم

قال معبد جئتها يوما أطالبها بحاجة فقالت غنني يا معبد فقلت لها أو بقي بالنفس شئ قالت النفس تشتهي كل شئ حتى تموت فغنيتها الحني في شعر قاله بعض بني فزارة وكان خطبها فلم ينكحها اياه أبوها وهو

قفا في دار خولة فاسألاها * تقادم عهدها وهجرتماها

بجلال كأن المسك فيه * اذا هبت بأبطحه صباها

كأنك مزنة برقت بليل * لحران يضئ لها سناها

فلم تمطر عليه وجاوزته * وقد أشفى عليها أورجاها

وما يسلا فؤادي فاعلميه * سلو النفس عنك ولا غناها

وترعى حيث شاءت من حمانا * وتمنعنا فلا نرعى حماها

فطربت خولة وقالت أيا عبد بني قطن أنا والله يومئذ أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة

وقيل انها تزوجت بعبد الله بن الزبير بعد وفاة الحسن وقد دخلت عليها النوار زوجة الفرزدق مستشفعة بها فشفعتها عند عبد الله وفي ذلك يقول الفرزدق

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

﴿الخيزران ابنة عطاء أم الهادي والرشيد﴾

كانت ذات جمال وبهاء وكمال اشتراها محمد أبو عبد الله المهدي بمائة ألف درهم واستحظى بها وقدمها على جميع نسائه لما لها من الادب واللطف وقد أخذت بقلبه مكانة عظمى وولدت له موسى الهادي وهارون الرشيد وقد تقدمت في خلافة ولدها موسى الهادي حتى انها شاركته في الاحكام من كثرة تداخلها معه في أمور المملكة وكان كثير الطاعة لها يجيب ما تسأله من الحوائج للناس فكانت المواكب لا تخلو من بابها ففي ذلك يقول أبو المعافي

ياخيزران هناك ثم هناك * ان العباد يسوسهم ابناك

وكانت يوما جالسة اذ دخلت عليها جارية من جواريها فقالت أعز الله السيدة بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة وليس وراء ماهي عليه من سوء الحال غاية تستأذن في الدخول عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت أن تخبرني فالتفتت الخيزران الى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وكانت في مجلسها ما تقولين في أمرها قالت لها أدخليها فانه لابد من فائدة أو ثواب فدخلت امرأة من أجمل النساء لا تتوارى بشئ فوقفت بجانب عضادتي الباب ثم سلمت متضائلة ثم قالت أنا مزنة بنت مروان بن محمد الاموي فقالت الخيزران لا حياك الله ولا مرحبا بك فالحمد لله الذي أزال نعمتك وهتك سترك وأذلك أتذكرين ياعدوة الله حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك في الاذن في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن وأسمعتيهن ما لا سمعن قبل وأمرت فأخرجن على تلك الحالة فضحكت مزنة قهقهة حتى علا صوت ضحكها ثم قالت يابنت العم أي شئ أعجبك من حسن صنع الله بي على العقوق حتى أردت أن تتأسي بي فيه والله اني فعلت بنساء بيتك ما فعلت فأسلمني الله للذلة جائعة عريانة وكان ذلك مقدار شكرك الله تعالى على ما أولاك بي ثم قالت السلام عليك ثم ولت مسرعة فنهضت اليها الخيزران لتعانقها فقالت ليس في ذلك موضع مع الحالة التي أنا عليها فقالت الخيزران لها فالحمام اذا وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها الى الحمام فلما خرجت من الحمام وافتها الخلع والطيب فأخذت من الثياب ما أرادت ثم تطيبت ثم خرجت اليها فعانقتها الخيزران وأجلستها في الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي ثم قالت الخيزران هل لك بالطعام قالت والله ما فيكن أحوج مني اليه فعجلوه فأتي بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة الى ان اكتفت ثم غسلن أيديهن وقالت لها الخيزران من وراءك ممن تعنين به قالت ما خارج هذه الدار من بيني وبينه نسب فقالت اذا كان الامر هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا وتحولي لها جميع ما تحتاجين اليه ثم لا نفترق الى الموت فقامت ودارت بها في المقاصير فاختارت أوسعها وأنزهها ولم تبرح حتى حولت اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والكسوة ثم تركتها وخرجت عنها فقالت الخيزران هذه المرأة قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها الضر وليس يغسل ما في قلبها الا المال فاحملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحملت اليها ووافى أثناء ذلك وافى المهدي فسألها عن الخبر فحدثته حديثها وما لقيتها به فوثب مغضبا

وقال للخيزران هذا مقدار شكر الله على نعمه وقد أمكننى من هذه المرأة مع الحالة التى هى عليها فوالله لولا محلك بقلبى لحلفت أن لا أكلمك أبدا فقالت يا أمير المؤمنين قد اعتذرت اليها ورضيت وفعلت معها كذا وكذا فلما علم المهدى ذلك قال لخادم كان معه احمل اليها مائة بدرة وادخل اليها وأبلغها منى السلام وقل لها والله ما سررت فى عمرى كسرورى اليوم وقد وجب على أمير المؤمنين اكرامك ولولا احتشامك لحضر اليك مسلما عليك وقاضيا لحقك فمضى الخادم بالمال والرسالة فأقبلت على الفور وسلمت على المهدى بالخلافة وشكرت صنيعه وبالغت فى الثناء على الخيزران وقالت ما على أمير المؤمنين حشمة أنا فى عداد حرمه ثم قامت الى منزلها وأقامت عند الخيزران الى أن قضى المهدى وأيام الهادى وصدر من أيام الرشيد وماتت فى خلافة الرشيد وكان لا يفرق بينها وبين نساء بنى هاشم فلما قضيت جزع عليها الرشيد والخدم جزعا شديدا وأخرجها عشيرة بما يليق بمثلها

وكلمت الخيزران ولدها الهادى ذات يوم فى أمر فلم يجد الى اجابتها فيه سبيلا فاعتل عليها بعلة فقالت لا بد من اجابتى قال لا أفعل قالت فانى قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادى وقال ويل لابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها لا قضيتها لك قالت اذا والله لا أسألك حاجة أبدا قال اذا والله لا أبالى وقامت مغضبة فقال مكانك فاستوعى كلامى والله والا نفيت من قرابتى من رسول الله لئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قوادى أو من خاصتى أو من خدمى لاضربن عنقه ولاقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التى تغدو الى بابك كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك ثم اياك أن تفتحى فاك فى حاجة لمسلم ولا ذمى فانصرفت وما تعقل ما تجيب فلم تنطق بحلو ولا مر بعدها ثم انه قال لاصحابه أيما خير أنا أم أنتم وأمى أم أمهاتكم قالوا بل أنت وأمك خير قال فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقال أم فلان فعلت وصنعت قالوا لا نحب قال فما بالكم تأتون منزل أمى فتتحدثون بحديثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها وبعد مدة من الزمن تناست هذه الحادثة فبعث الهادى بارز الى الخيزران وقال لها قد استطبتها فكلى منها فقيل لها أمسكى حتى تنظرى فجاؤا بكلب فأطعموه فسقط لحمه لوقته فأرسل اليها كيف رأيت الارز قالت طيبا قال ما أكلت منها ولو أكلت منها لاسترحت منك متى أفلح خليفة له أم

وكان سبب وفاة الهادى من قبل أمه الخيزران كانت أمرت الجوارى بقتله للسبب عينه وقيل كان السبب فى أمرها بذلك أن الهادى لما جد فى خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على الرشيد فوضعت جواريها عليه لما مرض وأمرتهن بقتله فقتلوه بالغم والجلوس على وجهه فمات فأرسلت الى يحيى ابن خالد تعلمه بموته وبعد ذلك بقيت معززة مكرمة عند الرشيد والمأمون الا أنها اقتصرت عن التداخل فى الاحكام حتى أدركتها الوفاة فى خلافة المأمون وأخرجت باحتفال عظيم لم ينله غيرها من نساء الخلفاء رحمها الله تعالى

(حرف الدال)

﴿دارمية الحجونية﴾

كانت فصيحة اللسان بليغة البيان غير هيابة فى المقال لا يسألها أحد سؤالا الا اجابته بأحسن جواب وأقنع خطاب قال أبو سهل التميمى لما حج معاوية سأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحجونية يقال

لها درمية وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فبعث اليها فجيء بها فقال ما جاء بك يا ابنة حام فقالت لست بابنة حام أنا امرأة من بني كنانة وأنت طلبتني قال صدقت أتدرين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال بعثت اليك أسألك علام أحببت عليا وأبغضتني وواليته وعاديتني قالت أو تعفيني قال لا أعفيك قالت أما اذا أبيت فاني أحببت عليا على عدله في الرعية وقسمه بالسوية وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر وطلبك ما ليس لك بحق وواليت عليا على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء وحبه المساكين واعظامه لاهل بيته وعاديتك على سفكك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى قال فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك وربت عجيزتك قالت يا هذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لا بي قال معاوية يا هذه اربعي فانا لم نقل الا خيرا انه اذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها واذا عظم ثدياها تروى رضيعها واذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها فلما سمعت ذلك رجعت وسكن غضبها ثم قال لها يا هذه هل رأيت عليا قالت نعم رأيته قال فكيف رأيتيه قالت رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك قال فهل سمعت كلامه قالت نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الصدأ من الطست قال صدقت فهل لك من حاجة قالت أو تفعل اذا سألتك قال نعم قالت تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها قال ماذا تصنعين بها قالت أغذو بالبانها الصغار وأستحيي بها الكبار وأكتسب بها المكارم وأصلح بها بين العشائر قال فان أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب قالت سبحان الله أو دونه فأنشأ معاوية يقول

اذا لم أعد بالحلم مني عليكم * فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم

خذيها هنيأ واذكري فعل ماجد * جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال أما والله لو كان علي حيا ما أعطى منها شيأ قالت لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين ثم أخذتها وانصرفت

﴿دختنوس ابنة لقيط بن زرارة بن عدس الدارمي﴾

تزوجها عمرو بن عمرو بن عدس وكانت ابنة عمه وكان عمرو تزوجها بعدما أسن وكان أكثر قومه مالا وأعظمهم شرفا فلم تزل تولع به وتؤذيه وتسمعه ما يكره وتهجوه حتى طلقها فتزوجها من بعده ابن عمها عمير ابن معبد بن زرارة وكانت دختنوس شاعرة لها شعر كثير منه هجو ومديح ورثاء وكانت ذات شجاعة عظيمة وحكمة غريبة ورأي صائب وكان أبوها لقيط يرجع الى رأيها ويأخذها في غزواته لكي تهديه الى الصواب عند الخطا

وكان أخذها معه في يوم شعب جبلة بينه وبين عامر وعبس وكان وجد في طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدي وكان شريفا فطلب منه الصحبة فأبى محتجا بالبحث عن ابل له فقال لا أدعك تذهب فتخبر بي القوم فحلف له أن لا يخبرهم ثم سار عنهم وهو مغضب فلما دنا منهم أخذ خرقة وصر فيها حنظلة وترابا وشوكا وخرقتين من عباءة وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فوصلت الى قيس بن زهير العبسي فقال هذا من صنع الله بنا هذا رجل قد أخذ عليه عهد أن لا يكلمكم فأخبركم أن أعداءكم قد غزوكم وهم بنو حنظلة وصاحب بن زرارة وقبيلتان من اليمن وفي عشرة أيام يكونون عندكم فخذوا حذركم ولما عاد كرب بن صفوان قال له لقيط قد أنذرت القوم فأعاد الحلف أنه لم يكلم أحدا فأطلقه فقالت له

دختنوس ردنى الى أهلى ولا تعرضنى لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة فأستصمقها وساء كلامها وردها وسار الى بنى عامر وعبس وتحاربا وانكسر قومه وأبلى بلاء حسنا حتى اندك الجرف بفرسه فهجم عليه عنترة فطعنه وعند ذلك تذكرا بنته دختنوس فقال

يا ليت شعرى عنك دختنوس * اذا أتاك الخبر المرسوس
أتحلق القرون أم تميس * لا بل تميس انها عروس

فلما بلغها موته قالت ترثيه

ألا أيها الويلات ويلة من بكى * لضرب بنى عبس لقيطا وقد قضى
لقد ضربوا وجها عليه مهابة * ولا تحفل الصم الجنادل من ثوى
فلو أنكم كنتم غداة لقيتم * لقيطا ضربتم بالاسنة والقنا
عذرتم ولكن كنتم مثل ظبية * أضاءت لها القناص من جانب الثرا
فما ثأره فيكم ولكن ثأره * شريح أرادته الاسنة والقنا
فان تعقب الايام من فارس تكن * عليكم حريقا لا يرام اذا سما
ليجزيكم بالقتل قتلا مضعفا * وما فى دماء الحمس يامال من بوا

وقالت ترثيه أيضا

عثر الاغر بخير خندف كهلها وشبابها
وأضرها لعدوها * وأفكها لرقابها
وقريعها ونجيبها * فى المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو * ك وزين يوم خطابها
وأتمها نسبا اذا * رجعت الى أنسابها
يرعى عمودا للعشيرة رافعا لنصابها
ويعولها ويحوطها * ويذب عن أحسابها
ويطا مواطن للعدو وكان لا يمشى بها
فعل المدل من الاسو * د لحينها وتبابها
كالكوكب الدرى فى * سماء لا يخفى بها
عبث الاغر به وكل منية لكتابها
فرت بنو أسد فرا * ر الطير عن أربابها
وهوازن أصحابهم * كالفأر فى أذنابها

ولها مراث كثيرة لم نعثر الا على هذه منها

﴿ دلوكة بنت زباء ملكة من ملوك القبط الاولين بمصر ﴾

كانت أول امرأة ملكت بعد هلاك فرعون وجنوده فى البحر وكان ملكها عشرين سنة وعملت أعمالا عظيمة أشهرها الجدار المعروف بحائط العجوز قالوا عنه انه أحد العجائب العشرين التى بمصر يحيط بمصر شرقا وغربا من العريش الى أسوان ويقال له جدار العجوز أيضا وسبب بناء هذا الحائط على ما قيل ان مصر لما خلت من الاشراف والابطال بعد غرق فرعون وجنوده بالبحر الاحمر اجتمعت النساء وملكن

عليهن دلوكة وكانت ذات شرف وحكمة ودراية وكان عمرها مائة وستين سنة فخافت أن يتناولها الملوك
جمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك أكابرنا
وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبني حصنا أحدق به جميع بلادنا فأضع عليه
المحارس من كل ناحية فانا لا نأمن من أن يطمع فينا الناس فبنت هذا الحائط وأحاطت به جميع أرض
مصر المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه
المسالح والمحارس على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة أي محل للسلاح والمحارس صفان على كل ميل
وجعلت في كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم آت يخافونه
ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فيأتيهم الخبر بأي وجه كان في ساعة واحدة فينظرون في ذلك فمنعت
بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه في ستة أشهر على ماقيل وقيل انها بنته خوفا على ولدها لانه كان
كثير القنص فخافت عليه من سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادي فحوطت
الحائط من التماسيح وغيرها قال المقريزي وقد بقي من حائط العجوز بقايا كثيرة في بلاد الصعيد وهو مبني
من اللبن الكبار

﴿ دليلة الفلسطينية ﴾

امرأة فلسطينية من وادي سوريق أحبها شمشون فعرف أقطاب الفلسطينيين بحبه لها وقالوا لها انظري
بماذا قوته العظيمة وبماذا نتمكن منه حتى نوقعه أو نقهره ونحن ندفع اليك كل منا ألفا ومائة درهم من
الفضة فقالت لشمشون أخبرني بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لتقهر فقال لها اذا أوثقوني بسبعة أوتار
طرية لم تجف بعد فاني أضعف وأصير كواحد من الناس فدفعوها اليها فشدته بها والكمين رابض عندها
في المخدع ثم قالت له قد دهمك الفلسطينيون فقطع الاوتار كما يقطع خيط المشاقة اذا أشيط فقالت له لقد
خدعتني فأخبرني بماذا توثق فقال ان أوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل قط فاني أضعف وأصير كواحد
من الناس ففعلت كما فعلت في المرة الاولى فقطع الحبال كالخيط فكررت السؤال فقال لها اذا ضفرت
سبع خصل من شعر رأسي وربطتها كالوتد فاني أصير كباقي الرجال فأخذت منه سبع خصل مع السدى
فمكنتها بالوتد وقالت له قد دهمك الفلسطينيون فاستيقظ من نومه وقلع الوتد والنسيج والسدى فعاتبته على
مخادعتها وكانت تضايقه كل يوم بكلامها وتضاجره حتى تاقت نفسه الى الموت فأطلعها على ما في قلبه
وقال لها لم يعل رأسي موسى لاني ناسك لله من بطن أمي فان حلقت رأسي فارقتني قوتي ورأت دليلة أنه قد
كاشفها بكل ما في قلبه فأرسلت ودعت أقطاب الفلسطينيين وقالت اصعدوا هذه المرة فأضجعته على ركبتيها
ودعت رجلا فحلق سبع خصل رأسه ثم قالت له قد دهمك الفلسطينيون فاستيقظ ووجد أن قوته قد
فارقته فقبضوا عليه وتلقبت دليلة بالمحتالة لاحتيالها على شمشون كما مر وخبرها في سفر القضاة الاصحاح
السادس عشر من التوراة

﴿ دنانير جارية يحيى بن خالد البرمكي ﴾

كانت جارية صفراء من مولدات المدينة كان مولاها قد أدبها وخرجها في الادب والشعر والغناء
حتى صارت أدرى الناس بالغناء القديم وأكمل الجواري آدابا وأكثرهن رواية للغناء والشعر وأحسنهن

وجهاً وأظرفهن عشرة فلما رآها خالد بن يحيى البرمكي شغف بها واشتراها وكان الرشيد يسير الى منزله ويسمعها حتى ألفها واشتد عجبه بها فكان أكثر مسيره الى مولاها ويقيم عنده ويبره ويفرط حتى انه وهبها في ليلة عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار وعلمت زبيدة بحاله فشكته الى أهله وعمومته فعاتبوه على ذلك فقال مالي في الجارية أرب في نفسها وانما أربي في غنائها فاسمعوها فان استحقت أن يؤلف غناؤها والا فقولوا ماشئتم فأقاموا عنده وتقلهم الى يحيى فلما سمعوها عذروه وعادوا الى زبيدة وأشاروا عليها أن لا تلح في أمرها فقبلت ذلك وأهدت الى الرشيد عشر جوار وكان اعتماد دنانير في غنائها على ما أخذته من بذل المغنية وهي التي خرجتها وأخذت أيضاً من الاكابر الذين أخذت بذل عنهم مثل فليح وابراهيم الموصلي وابن جامع واسحق ونظرائهم ولها كتاب مجرد في الاغاني مشهور وكانت تناظر ابن جامع وأمثاله فتغلبهم وقيل انها عملت يوماً صوتاً أعجب به مولاها يحيى جداً وأتى الى ابراهيم الموصلي وطلب اليه أن يسمعه منها لينظر هل هو كما وقع في نفسه فأتى ابراهيم وغنت دنانير الصوت فطرب له ابراهيم واستعاده منها ثلاث مرات لعله يجد موضعاً فيه قابلاً للاصلاح يصلحه فينسب اليه فلم يجد وقال بعضهم انها كانت تغني غناء ابراهيم فتحكيه حتى لا يكون بينهما فرق وكان ابراهيم يقول ليحيى متى فقدتني ودنانير باقية فما فقدتني وقامت دنانير عند البرامكة دهراً طويلاً لم تخرج من عندهم ولا كفرت نعمة مولاها وشغف بها عقيل مولى صالح بن الرشيد فخطبها فردته فاستشفع عليها مولاها اصالحا وابن محرز وغيرهما فلم تجبه فكتب اليها

يادنانير قد تنكر عقلي	وتحيرت بين وعد ومطل
شفعي شافعي اليك والا	فاقتليني ان كنت تهوين قتلي
ما أحب الحياة يا أخت ان لم	يجمع الله عاجلاً بك شملي

فكان كالكاتب على صفحات الماء ومات ولم يجد لعلته من دواء وأقامت على الوفاء لمولاها وأصابتها علة الجوع الكلبي وهي عند البرامكة فكانت لا تصبر عن الاكل ساعة واحدة فكان يحيى يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لانها كانت لا تصومه وحكي أن الرشيد دعا بها بعد نكبة البرامكة وأمرها أن تغني فقالت يا أمير المؤمنين آليت أن لا أغني بعد سيدي أبداً فغضب وأمر بصفعها فصفعت وأقيمت على رجليها وأعطيت العود فأخذته وهي تبكي أحر بكاء وغنت صوتاً يفتت الجلمود حزناً فرق لها الرشيد وأمر باطلاقها فانصرفت

﴿دهيا ابنة ثابت بن تيفان﴾

وقومها جراوة من زناته كانت تلقب بالكاهنة ملكة البربر في جبل أوراس قال ابن خلدون وكان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم وعلى قومهم بهم وربما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهت اليها رياستهم فملكت ٣٥ سنة وعاشت ١٢٧ سنة وكان قتل عقبة بن نافع باغرائها وكان المسلمون يعرفون ذلك منها قبل وكان مذهبها ومذهب قومها وقبائل نفوسة اليهودية وكانت تدعي خطاب الشياطين فلما انقضى أمر البربر وقتل كسيلة رئيس أوراس عند ما غزاهم العرب انضم برابرة أوراس ومن جاورهم الى دهيا هذه لما كان لها من السيادة والسلطة والدهاء فلما غزا أفريقيا حسان بن النعمان الغساني من قبل عبد الملك بن مروان استولى على قيروان وقرطجنة

ثم سار الى الكاهنة وحاربها عند نهر مسكيني على مرحلة من باغاية وتجانة فانكسر المسلمون أمامها وقتلت منهم جما غفيرا وأسرت جماعة منهم خالد بن يزيد القيسي فأطلقتهم جميعا ما عدا خالد بن يزيد أبقته عندها واتخذته لها ولدا لشجاعته وشرفه ففارق حسان افريقيا وكتب الى عبد الملك أن يمده بالجيوش وأقام بعمل برقة خمس سنوات ينتظر ورود الامداد وفي هذه المدة ملكت دهيا أفريقيا كلها وبعد الخمس سنوات سير عبد الملك الى حسان الجنود والاموال وأمره أن يناجز دهيا الكاهنة فأرسل حسان رسولا سرا الى خالد بن يزيد فكتب اليه خالد يعرفه تفرق البربر بظلم الكاهنة ويأمره بالسرعة فسار حسان وعلمت الكاهنة فقالت ان العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي ولا أرى الا أن أخرب افريقيا حتى ييأسوا منها ثم فرقت أصحابها ليخربوا البلاد وهدموا الحصون ونهبوا الاموال فلما قرب حسان من البلاد لقيه جم من أهلها من الروم يشكون اليه ظلم الكاهنة فسار الى قابس فلقيه أهلها بالاموال والطاعة فجعل فيها عاملا فسار الى قفصة فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلة ونفذ أمره وبلغ الكاهنة قدومه فأحضرت ولديها وخالد بن يزيد وقالت لهم اني مقتولة هذه المرة فامضوا الى حسان وخذوا الآن لكم منه أمانا فساروا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وأدركت الكاهنة فقتلت ثم استأمن البربر الى حسان فأمنهم وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر ألفا فأجابوا فجعل على هذا العسكر أحد ابني الكاهنة المذكورين

﴿ديدون ابنة الملك بقلوس﴾

هي ملكة سوروز وجة سيشه كاهن هركليس الذي كان أغنى الفينيقيين على بكرة أبيهم وأجملهم خلقا وخلقا ثار أخوها بكاليون بزوجها فقتله طمعا في استلاب كنوزه فجزعت عليه ديدون جزعا عظيما ولم تطق بعده المكث في صور ففرت مع أخيار قومها ممن تغيروا على أخيها زاعمة أن زوجها المقتول قد أمرها بالرؤيا أن تبارح صور وكانت قد نقلت خفية الى محل اسمه كرنا واقع بين صور وصيدا قسما جليلا من أمتعتها وثروتها فركبت من هنالك سائرة الى شمال فينيقيه فعاجت بسيرها الجزيرة قبرص وكان يوم عيد فرأت على الشاطئ زهاء من أجمل بنات الجزيرة مجتمعات هنالك للهو والمرح فاختطف رجالها منهن وأقلعوا حتى اذا بلغوا سواحل زوجيتا تجاه جزيرة صقلية استأذنت ديدون ملكها ايرباس في بناء قلعة فأذن لها على شريطة أن تبذل له خراجا فرضيت وبنت هنالك قلعة بصرة ومعناه حصن باللغة الفينيقية فحرفه اليونان في لغتهم فسموها برسا أي جلد الثور ثم اشترت من ملك موريطانيا أرضا أنشأت فيها مدينة قرطاجنة الافريقية وذلك سنة ٨٦٠ قبل المسيح وكان ايارباس قد شغف بها حبا فخطبها من نفسها ولما لم تسعها مخالفته حرصا على حياة قومها وكانت مرتبطة مع زوجها المقتول بقسم أن لا تستبدله بآخر طلبت مهلة ثلاثة أشهر لكي تستعد للزفاف عليه فلباها ولكنها في نهاية المدة المذكورة علت رابية هنالك وطعنت نفسها بخنجر فماتت فكانت سيرتها موضوعا جميلا لكتبة الافرنج يبنون عليها رواياتهم المفجعة وقد عثر المتأخرون على تمثال لديدون منحوت بيد كبرين الشهير قيل انه محفوظ الآن بدار الآثار في لندن

(حرف الذال)

﴿ذات الخال﴾

هي في الاصل لقرين مولى العباسة بنت المهدي ويكنى بأبي الخطاب وكان يعشقها ابراهيم الموصلي وله فيها أشعار كثيرة منها قوله

مابال شمس أبي الخطاب قد حجبت * ياصاحبي لعل الساعة اقتربت
أولا فما بال ريح كنت آنسها * عادت على بصري بعد ما جنبت
اليك أشكو أبا الخطاب جارية * غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت
وأنت قيمها فانظر لعاشقها * باليتها قربت مني وما بعدت

و مازال يقول فيها الشعر ويغني فيه حتى شهرها بشعره وغنائه وبلغ الرشيد خبرها فاشتراها بسبعين ألف درهم

ودعت الرشيد يوما فوعدها أن يصير اليها وخرج يريدها فاعترضته جارية أخرى فسألته أن يدخل اليها فدخل وأقام عندها فشق ذلك على ذات الخال وقالت والله لاطلبن له شيأ أغيظه به وكانت من أحسن النساء وجها وابها خال على خدها فقطعته وبلغ ذلك الرشيد فشق عليه وبلغ منه فخرج من موضعه وقال للفضل بن الربيع أنظر من بالباب من الشعراء فقال رأيت الآن العباس بن الاحنف فقال أدخله فعرفه الرشيد الخبر وقال اعمل في هذا شيأ على معنى رسمه له فقال

تخلصت ممن لم يكن ذا حفيظة * وملت الى من لا يغيره حال
فان يك قطع الخال لما تعطفت * على غيرها نفسي فقد ظلم الخال

فنهض الرشيد الى ذات الخال مسرعا مسترضيا وجعل لها هذين البيتين سببا وأمر للعباس بألفي دينار وأمر ابراهيم الموصلي فغناه في هذا الشعر

وغضب الرشيد عليها يوما وقال في مجلسه أيكم يأخذ ذات الخال حتى أهبها له فبكر حمويه الوصيف فقال أنا يا أمير المؤمنين فوهبها له فقال ابراهيم

أتحسب ذات الخال راجية ربا * وقد سلبت قلبا يهيم بها حبا
وما عذرها نفسي فداها ولم تدع * على أعظمي لحما ولم تبق لي لبا

ثم اشتاقها بعد ذلك الرشيد فقال لحمويه ويلك يا حمويه وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك قال يا أمير المؤمنين مرفيها بامرك قال نحن عندك غدا فمضى فاستعد لذلك واستأجر لها من بعض الجوهريين زينة وعقودا قيمتها اثنا عشر ألف دينار فاخرجها الى الرشيد وهو عليها فلما رآها أنكره فقال ويلك يا حمويه من أين لك هذا وما وليتك عملا تكسب فيه مثله ولا وصل اليك مني هذا القدر فصدقه عن أمره فبعث الرشيد الى أصحاب الجوهر فاحضرت واشترى الجوهر منهم ووهبه لها ثم حلف أن لا تسأله في يومه ذلك حاجة الاقضاها فسألته أن يولي حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين ففعل ذلك وكتب له عهده به وشرط على ولي عهده أن يتمها له ان لم تتم في حياته ومضوا بومهم في أحسن ما يكون ومن قول ابراهيم فيها

أبذات الخال بأعلب * قول امرئ في الحب لا يكذب

انى أقول الحسن فاستيقنى * كل امرئ فى حبه يلعب

وقال فيها أيضا

جزى الله خيرا من كلفت بحبه * وليس به الا المسوه من حسبى

وقالوا القلوب العاشقين رقيقة * فما بال ذات الخال قاسية القلب

وقالوا الهاهذا محبك معرضا * فقالت أرى اعراضه أيسر الخطب

فما هو الا نظرة بتبسم * فتنشب رجلاه ويسقط للجنب

وقال فيها أيضا ولكن فلنذكر السبب وهو أن ابراهيم الموصلى لعب الشطرنج يوما مع ابن زيدان صاحب البرامكة فدخل عليهما اسحق فقال أبوه ما أفدت اليوم فقال أعظم فائدة رجل سألنى ما أفخم كلمة فى الفم فقلت لا اله الا الله فقال أبو ابراهيم أخطأت هلا قلت دنيا ودينا فأخذ ابن زيدان الشاه فضرب به رأس ابراهيم وقال يازنديق أتكفر بحضرتى فأمر ابراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضربا شديدا فانصرف من ساعته الى جعفر بن يحيى وحدثه الخبر وعلم ابراهيم أنه قد أخطأ وبدئ فركب الى الفضل بن يحيى فاستجار به فاستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له فانصرف وهو يقول

ان لم يكن حب ذات الخال عنانى * اذا خولت فى مسك ابن زيدان

فان هذى يمين ما حلفت بها * الا على الصدق فى سرى واعلانى

﴿ذبية بنت نبيه الفهمية﴾

كانت من أحسن نساء بنى فهم حسبا وأعرقهن نسبا وأكثرهن أدبا وأبهاهن جمالا وألطفهن كمالا لها أشعار لطيفة ورثاء مقبول منها قولها ترثى قومها كانوا اقتتلوا بصورة وهو مكان بأراضى مكة

ألا ان يوم الشريوم بصورة * ويوم فناء الدمع لو كان فانيا

لعمرى لقد أبكت فريم وأوجعوا * بجرعة بطن القيل من كان باكيا

فتلتم تحوما لاعول ضيفهم * ولايدخرون اللحم أخضر ذاويا

عماد سمائى أصبحت قد تهدمت * فخسرى سمائى لاأرى لى بانيا

﴿ذؤابة امرأة رباح القيسى﴾

كانت رضى الله عنها تقوم الليل كله وكانت اذا مضى الربع الاول تقول له قم يا رباح للصلاة فلا يقوم فتقوم ثم تأتيه وتقول له قم يا رباح فلم يقم فتقوم الربع الآخر ثم تأتيه وتقول قم يا رباح فلا يقوم فتقوم الربع الآخر الى تمام الليل ثم تأتيه وتقول قم يا رباح قد مضى عسكر الليل وأنت نائم فليت شعرى من غرنى بك يا رباح ما أنت الا جبار عنيد وكانت تأخذ تبنة من الارض وتقول والله للدنيا أهون على من هذه وكانت اذا صلت العشاء تطيبت ولبست ثيابها ثم تقول لزوجها ألك حاجة فان قال لا نزعت ثياب زينتها وصلت الى الفجر رضى الله عنها

حرف الراء

﴿راحاب الاسرائيلية﴾

امرأة مشهورة من أريحاء قبلت فى بيتها الجاسوسين اللذين أرسلهما يشوع ليجسا الارض وأخبأتهما عن

أبناء بلدتها وأنقذتهما بحيلة كما هو مذكور في الاصحاح الثاني من سفر يشوع غير مطيعة لامر الملك فكوفئت على ذلك بانقاذها هي وكل عائلتها عندما فتح الاسرائيليون المدينة ومن الاتفاق أن بيتها كان مبنيا على السور فأمرها الجاسوسان أن تربط خيطا من القرمز بالطاق فيكون علامة لهم على بيتها ثم صارت فيما بعد زوجة لسلمون وجدة للمسيح وقصتها مع الجاسوسين الى غير ذلك مع أخبارها مذكورة في الاصحاح الثاني والسادس من سفر يشوع وذكرت أيضا في انجيل متى والرسالة الى العبرانيين ورسالة يعقوب الرسول

﴿راحيل ابنة لابان﴾

هي زوجة يعقوب وأم يوسف وبنيامين قصتها وردت في الاصحاح تسعة وعشرين الى الاصحاح ثلاثة وثلاثين وفي الاصحاح خمسة وثلاثين من سفر التكوين وما جرى بينها وبين يعقوب هو من الامور التي تلذ مطالعتها فان جمالها والحب الشديد الذي كان ليعقوب نحوها من حين التقيا أولا على بئر حاران حين قابلها على عادة أهل البادية وأخبرها بانه ابن رفقة والخدمة المستطيلة التي خدم بها اباها بصبر حتى كانت السبع سنين عنده كأنها أيام قليلة لحبه اياها واتخاذه اياها زوجة أخيرا عوض أختها ليئة وموتها عند ولادتها ابنا ثانيا كل ذلك مما يزيد قصتها اعتبارا ولذة ولما توفيت دفنت على طريق افراته أي بيت لحم وأقام يعقوب نصبا على قبرها وهو أول نصب على قبر مذكور في التاريخ لان أهالي تلك الازمان كانت عادتهم الى ذلك الوقت أن يتخذوا المقابر مدافن لهم وكان موقع قبرها معروفا في أيام صموئيل وشاول كما يستفاد من العدد الثاني من الاصحاح العاشر من سفر صموئيل الاول وقد وصفها أرميا النبي بعبارات مؤثرة جدا راحيل المدفونة تبكي على فقد بنيها وذلك لان جماهير المسبيين الذين سيقوا الى بابل اجتازوا بالقرب من قبرها وقد أشار الى ذلك متى الانجيلي عند قتل هيرودس الاطفال في بيت لحم وأما موقع الرامة الوارد ذكرها هنالك فهو من المسائل الواقعة تحت البحث عند جغرافيي فلسطين ولكن موقع قبر راحيل على طريق بيت لحم بعيدا قليلا عن افراتة في تخم بنيامين لم يقع فيه اختلاف وهو على بعد نحو ميلين الى الجنوب من أورشليم ونحو ميل الى الشمال من بيت لحم وهو من الاماكن التي يزورها اليهود والمسلمون والمسيحيون تبركا به وزاره السائح متدريل سنة ١٦٩٧ ووصفه الدكتور روبنصن وصفا يتضمن ملخصه ما وصفه به السائحون الشرقيون قال هو مزار اسلامي أو مدفن شخص مقدس حقير مربع مبني بالحجارة وله قبة وداخله قبر أشبه بقبور المسلمين المألوفة وكله مطين بالطين من خارج ومنظر البناء لا يدل على انه قديم وفي القرن السابع لم يكن هنالك الا شبه هرم من الحجارة وأما الآن فهو مهمل وآخذ في السقوط على أن السائحين من اليهود لا يزالون يزورونه وجدرانه مغطاة بأسماء من عدة لغات وكثير منها عبراني واتفاق العموم على أن ذلك المقام هو قبر راحيل لا سبيل الى الاعتراض عليه لان ما ورد في الكتاب المقدس يعضده من كل وجه وقد ذكره أيضا كثيرون من السائحين منذ سنة ٣٣٣ للميلاد وذلك اروتيموس وغيره في ذلك العصر

﴿رادغنده ابنة برنيرملك تورنجيه﴾

ملكة فرنسوية ولدت سنة ٥٢١ فلما قام أخوها هرمنفرو على أبيه وقتله واختلس الملك نهض عليه سيري

وكلوتير الاول ملك فرنسا وسلبا دالملك واقتسماه بينهما فوقعت رادغنده فى حصة كلوتير وكانت قد تربت على الوثنية وكان عمرها حينئذ عشر سنوات فأدخلها كلوتير فى المذهب المسيحى حتى اذا تهذبت وترعرعت تزوجها سنة ٥٣٨ وألبست تاج الملك فى سواسون وكان لها ميل شديد الى العيشة الرهبانية فلم تمض ست سنوات حتى استأذنت الملك فى الاعتزال الى بعض الاديرة فسمح لها ولم يكن له منها ولد وأقطعها أرضا تعيش فيها اذا أرادت فأتت أولا الى بواتيه ثم انتقلت سنة ٥٤٤ لما اقطعها فاشتهرت فى اكوتينيا بفضيلتها وتقواها حتى تقاطر اليها الناس وأشهر الاساقفة وفى سنة ٥٥٩ أنشأت ديرا فى بواتيه على اسم الصليب وذلك لان الامبراطور يوتينوس كان قد أهدى اليها هدية من جملتها قطعة من خشبة الصليب ثم بنت كنيسة على اسم العذراء وأقامت تمارس الفضائل وأعمال القداسة والتقشف والزهد الى أن توفيت فى ١٣ آب (أغسطس) سنة ٥٨٧ ودفنت تحت الخورس فى الكنيسة التى بنتها ونسب اليها فعل عجائب كثيرة ونقلت جثتها الى ديجون عندما كتساح العرب اكوتينيا فى القرن الثامن ثم أعيدت الى بواتيه بعد مدة طويلة وقيل لما فتح قبرها سنة ١٤١٢ كان جسدها باقيا لم يبل وبقى هنالك الى سنة ١٥٦٢ ثم تلاشى وتفرقت أجزاؤه فى الحروب الدينية ولها عيد فى ١٣ آب المذكور وكتب كثيرون من الآباء سيرتها ونظموا على اسمها قطعا كثيرة للترتيل وحفظت من خط يدها رسالة بعثت بها قبيل موتها بقليل الى كل أساقفة فرنسا عنوانها وصية رادغنده

﴿راد كليف مؤلفة انكليزية﴾

ولدت فى لندن سنة ١٧٦٤ وتوفيت سنة ١٨٢٣ وتزوجت رجلا من اكسفرد صاحب جريدة واشتغلت فى تصنيف قصص على طرز جديد فاشتهرت فى وقت قليل بجدتها فى الانشاء وحسن أساليبها وكان مدار مواضيع هذه القصص بث انفعالات شديدة فى النفس كالرعب والهول وغوامض الاسرار والامور العجيبة فالذى يقرؤها يتوهم نفسه محاطا بالخيالات والاشباح الوهمية والارواح الجهنمية أو السماوية ثم يظهر سرها وينكشف أمرها فى آخر القصة فتنطبق على أسباب طبيعية وقيل انها هى نفسها كانت تتخيل مثل هذه الخيالات المطبوعة فى مخيلتها أفضى بها الامر الى اختلال عقلها فى أواخر حياتها ولما شاعت قصصها وتطلبها الناس برغبة صار بعض الكتبة ينشر قصصه تحت اسمها من قلمه واذ لم تر هذه القصص المزورة لائقة بها انقطعت عن التصنيف ولم تكتب منذ ظهورها شيأ ويقال ان القصة التى عنوانها أسرار أودلف اشتراها منها صاحب المطبعة بمبلغ ٢٥ ألف فرنك وترجمت كل قصصها الى الفرنساوية

﴿راعوث امرأة موابية﴾

كانت أولا زوجة لمحلون وبعد وفاته تزوجت ببوعز فولدت له منها عوبيد جد داود النبى وهى واحدة النساء الاربع اللواتى ذكرهن القديس متى فى سلسلة ميلاد المسيح والثلاث الاخرهن تامار وراحاب وزوجة أوريا وما جرى لراعوث مذكور بطريقة لطيفة فى السفر المنسوب اليها وملخصه أنه حدث جوع شديد فى أرض يهوذا ربما نشأ من حلول المواتيين تلك الارض فى أيام عجلون فالجئ اليمالك من أهالى بيت لحم افراته أن يهاجر الى أرض مواب هو وزوجته نعمى وابناه محلون وكليون وبعد مضى عشر سنين ترملت نعمى ومات ولداها وسمعت أنه قد زالت المجاعة من أرض يهوذا فرجعت راعوث وكنتها معها لانها كانت تحبها

جدة داود وتحببت بديانتها فوصلت الى بيت لحم فى أيام حصاد الشعير فذهبت راعوث لتلتقط شعيرا للقيام بأمر حماتها واتفق أنها أتت حقل بوعز وكان رجلا غنيا وقريبا لحميها اليمالك وكان القوم قد بلغهم ما كان من صنيعها مع حماتها وأمانتها لها وتفضيلها الارض بعلها على وطنها فأحسن بوعز معاملتها وأعطاها ما التقطته ثم اتخذها له زوجة فرزق منها أولادا كان من سلالتهم المسيح واذ كانت راعوث جدة نبى الله داود يستنتج أنها كانت فى أواخر حبرية عالى أو أول حبرية صموئيل ومن أراد تفاصيل قصتها فليراجعها فى سفر راعوث

﴿راحيل الممثلة الشهيرة﴾

ولدت هذه الشهيرة فى الرابع والعشرين من شهر مارث سنة ١٨٢١ فى قرية منف من أعمال سويسرا وكان أبوها يهوديا يحمل البضاعة ويطوف بها على البيوت وكان اسمها فى الصغر اليانم دعيت راحيل بعد أن صارت مشخصة وكان لها أخ وأربع أخوات صاروا جميعهم مشخصين وانتقلت هذه العائلة من سويسرا الى جرمانيا ثم جاءت فرنسا فاستوطنت أولا ليون ثم انتقلت الى باريس وكانت راحيل وأختها سارة تغنيان فى القهاوى والازقة وكان الناس يتصدقون عليهما واتفق يوما أن رآهما أحد المحسنين فعجب بهما وبالاخص براحيل وسألها قائلا من علمك الغناء فأجابته قد تعلمته بنفسى فقال لها وأين سمعت هذه الاغنية فأجابت قد سمعتها وأنا فى الشوارع أمام الشبابيك فحفظت منها ما أمكن حفظه فأعطاها بعض الثياب وصرفها ومن ذلك الوقت لم تعد تظهر فى الشوارع وظهرت راحيل أول مرة فى المرسح الفرنساوى فى ١٢ يونيو سنة ١٨٣٨ ولم يكن فى المرسح سوى أربعة أو خمسة أشخاص على الكراسى وبعض اليهود فى أعلى التياترو وهؤلاء كانوا قد أتوا ليسمعوا ابنة ملتهم وقد وصف الدكتور فرون تلك الليلة بقوله ذهبت ذات يوم مساء للنزه وكان الوقت حارا قليلا شأن أيام الصيف عندنا فدخلت المرسح الفرنساوى واذا فى محل التمثيل فتاة جديدة وقد رأيت على وجه هذه الفتاة ملامح الحذق والذكاء حتى ان كل لفظة منها كانت تأتى بمعنى جديد الى أن قال وما اخال أحدا من القراء يجهل هذه الفتاة التى ملأ ذكرها الاسماع ألا وهى راحيل الممثلة الشهيرة ولم يأت آخر أغوسطوس من تلك السنة حتى ملأ صيتها باريس وأطنب بمدحها كثيرون من أرباب الاقلام من جملتهم جول جانن الشهير وفى مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر توجت سلطانة التمثيل وأشغلت الناس عن سواها من ممثلات تلك الايام واعتبرها الشعب الفرنسوى غاية الاعتبار فكانت واسطة عقد جمعياتهم وزهرتها وكانت الدعوات تأتى اليها من كل صوب حتى انها كتبت الى أحد أصدقائها تقول لا يمكن للانسان أن يأخذ حريته فى معيشته اذا كان ممثلا مشهورا لدى الشعب الفرنسوى وكانت الوزراء تتردد على التياترو لسماعها والملك لويس فيليب أتى التياترو مرات عديدة اكراما لها وذلك خلاف عادته ولم ينسها النجاح أهلها بل كانت تودهم كثيرا وكاباتها لهم مملوءة من المحبة والحنو وكانت تود أصحابها القدماء كثيرا وبلغها ذات يوم وفاة أحدهم فأرسلت الى عائلته مبلغا طائلا من المال وقد أحييت بتمثيلها العوائد والمناظر الرومانية واليونانية التى كان قد مضى عليها مدة طويلة فى زوايا النسيان وقد وصفها اسكندر دوماس الراوى الشهير بأنها ذات سلطان قوى على عقول السامعين تؤثر فيهم حركاتها ونظراتها وصوتها المشجى حتى كانوا يملون من الفترة بين الفصول وذهبت راحيل سنة ١٨٤٠ الى انكلترا فأطنبت الجرائد بمدحها ومنها جريدة التيمس التى قالت ان تأثيرها فى العقول ابتدأ من أول

عبارة افقطتها وذكر أحد الذين حضر واهناك أنها كانت تظهر أمامهم بجميع المظاهر وتبين لهم القلب البشرى بكل أوصافه فكانت تظهر تارة بزى القتلة فتبدو على وجهها علامات الغضب والشر حتى لايشك الناظر أنها قاتلة ثم تمثل دور الطيفا فتغلب عليها طبيعة النساء وتظهر من الرقة واللطف ما يخلب الالباب وهكذا كانت تتلاعب بالحاضرين كأنهم آلة فى يدها ومما يدل على ثباتها وعزمها ما أظهرته فى تمثيل رواية بايزيد فانها مثلتها أول مرة فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٣٨ ولم تنجح فعادت بالفشل وفى اليوم الثانى نشرت الجرائد الخبر فى المدينة كلها وقام الانتقاد عليها من كل صقع وناد ولما رأت ذلك سارت الى صديقها جانن الذى مر ذكره لعلمها بلطف حكمه عليها ولو قليلا فقابلها بلطف وبين لها غلطها ونصحها أن لاتقدم على تمثيل هذه الرواية مرة أخرى فقالت له انى سأمثل هذه الرواية بعد رغما عن كل أهل باريس ومثلتها كما قالت فنجحت النجاح التام حتى أذهلت الحاضرين وكان القرد ميست من جملة المشهورين لها فانه كان يمدحها فى الجرائد ويحث الناس على الاخذ بيدها وتنشيطها حكى انه صادفها ذات ليلة خارجة من التياترو الفرنساوى فدعته مع بعض الاصدقاء الى العشاء قال فلما وصلوا الى البيت نظرت الى يديها فرأت أنها نسيت أساورها وخواتمها فى التياترو فأرسلت خادمتها تجئ بها اليها ولما لم يكن فى بيت أبيها غير هذه الخادمة قامت هى بنفسها وذهبت الى المطبخ ثم عادت بعد ربع ساعة ووضعت أمامها صحنا من المرق وبعض اللحم المشوى وطلبت الينا أن نأكل من الصحون الكبيرة اذ كانت الصحون الصغيرة فى الخزانة والمفتاح مع الخادمة وكانت وهى على العشاء تحدثنا عن حالتها الاولى وما كان أبوها عليه من الفقر وكانت والدتها وأخواتها ينظرون اليها شزرا ويشيرون اليها بأن تسكت أما هى فأجابتهم أنه لاعيب فى الفقر بل انها تفتخر بأنها نشأت من حال كهذه ووصلت الى ما وصلت اليه بجدها وبعد العشاء ذهب وبقيت أنا وحدى فأخذت تقرأ لى أشعار راسين وقد رأيت أنها تفهمها جيدا ودامت كذلك حتى مضى نصف الليل ورجع أبوها فلما رآها انتهرها وأمرها بأن تنام حالا فقامت والدموع ملء عينيها وسمعتها تقول وهى ذاهبة سأشترى قنديلا وأضعه فى غرفتى الخصوصية حتى لايمنعنى أحد من المطالعة فذهبت متعجبا من اجتهادها وثباتها وذكر فى موضع آخر أنه تغدى عندها ذات يوم وكان على الغداء عدة من الاصحاب فنظر أحدهم الى يدها وقال لها ما أجمل خاتمك فقالت له اذا كان قد أعجبك فسأضعه تحت المزايدة فدفع أحد الحضور خمسمائة فرنك ودفع الآخر ألفا وهكذا حتى بلغ ثلاثة آلاف ثم التفتت الى وقالت لى وأنت كم تدفع فأجبتها انى أدفع محبتى فرمت بالخاتم الى وطلبت منى اتمام وعدى بنظم دور كانت طلبته منى وذهبت راحيل الى انكلترا مرة ثانية سنة ١٨٥٥ فشخصت فى قصر الملكة فأنعمت عليها الملكة بسوار قد كتبت عليه بالالماس الى راحيل من الملكة فيكتوريا وأرسل اليها دوق ولنتون رسالة يقول فيها انى أرسل احتراماتى الى المادام وازل راحيل وقد استأجرت لوجا فى التياترو حتى أتمكن من حضور تمثيلها وذهبت سنة ١٨٥٥ الى أميركا ولكنها لم تنجح لان الاميركان لايهتمون كثيرا بالروايات الفرنساوية لانهم لايفهمونها واشتد عليها مرض الصدر فى نيويورك فرجعت الى فرنسا وأشار الاطباء عليها بالقدوم الى مصر فأتت اليها ولكنها لم تستفد كثيرا فيها الا انها شعرت بنفسها أنها وحيدة بعيدة عن أصدقائها حتى انها كتبت الى فرنسا تقول انى سأموت من الوحدة لامن فعل المرض لانى لا أرى حولى سوى خرائب الهياكل وأنقاض الابنية

ورجعت الى فرنسا وزارت الملاعب التى كانت تمثل فيها وتوفيت فى الثالث من ينايرسنة ١٨٥٨ والاجماع على أنها ملكت زمام التمثيل فانقاد لها طوعا ومع ما كانت من أمرها فقد أظهرت فى عملها من الثبات والعزم رغما عن ضيق ذات اليد ما تقصر عنه همم الرجال وقد قالت مرارا عديدة انى اتخذت الصبر والثبات دستورا بمعونة الله فوصلت الى ما وصلت اليه

﴿رابعة الشامية﴾

هى زوجة أحمد بن أبى الحوارى كانت من العابدات الزاهدات وكان فضلها لا يقدر وكراماتها لا تنكر قال أحمد بن أبى الحوارى كانت رابعة لها أحوال شتى فمرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف فسمعتها فى حال الحب تقول

حبيب ليس يعدله حبيب * وما لسواه فى قلبى نصيب
حبيب غاب عن بصرى وشخصى * ولكن عن فؤادى ما يغيب

وسمعتها فى حال الانس تقول

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وسمعتها فى الخوف تقول

وزادى قليل ما أراه مبلغى * أللزاد أبكى أم لطول مسافتى
أتحرقنى بالنار يا غاية المنى * فأين رجائى فيك أين مخافتى

قال فقلت لها مرة وقد قامت بليل ما رأينا من يقوم الليل كله غيرك قالت سبحان الله مثلك يتكلم بهذا انما أقوم اذا نوديت قال فجلست على المائدة فى وقت قيامها فجعلت تذكرنى فقلت لها دعينا نتهنا بطعامنا فقالت ليس أنا وأنت ممن ينغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة وقالت لست أحبك حب الازواج انما أحبك حب الاخوان وقالت تزوج بها اذهب فتزوج قال فذهبت فتزوجت وكانت تطعمنى الطعام وتقول اذهب لاهلك وكانت اذا طبخت قدرا قالت كليها يا سيدى فانها ما نضجت الا بالتسبيح وبقيت على عبادتها الى أن توفاها الله

﴿رابعة ابنة الشيخ أبى بكر الصبارى﴾

قال فى كتاب الجلاء الغامض الست الفاضلة العارفة الكاملة زوجة السيد أحمد أم السيد صالح ست الفقراء رابعة كانت سليمة الصدر نقية القلب لها معرفة جاذبة وحزن دائم ولا تأخذها فى الله لومة لائم كانت ذات سيرة جميلة وأوصاف حميدة سماها السيد أحمد ست الفقراء وكناها أم الفقراء ويقول طاعتك على الفقراء واجبة بكت بين يدى السيد أحمد مرة وقالت كيف حالى بعدك أبقى أنا وحيدة ويغلق باب المسرة والابتهاج فى وجهى فقال رضى الله عنه أهل المملكة يحبونك وقولك مسموع والنعمة عليك باقية فانقاد أهل البيت الاحمدى لها مدة حياتها وكانت تقف على ضريح زوجها وتكلمه وتنتظر الجواب منه فيأتيها شبيه الحلم بالجواب وما أكرم أحد بعد وفاة زوجها بالولاية الا وهى كانت عارفة

بمسالك دبها فى خلافة السيد محمد الموت فتوفيت ليلة الجمعة النصف العاشر من شهر شوال سنة ٦١٣
ودفنت فى القبة المباركة

﴿ رابعة ابنة اسماعيل البصرية العدوية مولاة آل عتيك ﴾

كانت رضى الله عنها كثيرة البكاء والحزن وكانت اذا سمعت ذكر النار غشى عليها زمانا وكانت تقول
استغفارنا يحتاج الى استغفار وكانت تردّ ما اعطاه الناس لها وتقول مالى حاجة بالدنيا وكانت بعد أن
بلغت ثمانين سنة كانها الخلال البالى تكاد تسقط اذا مشت وكان كفنها لم يزل موضوعا أمامها وكان
موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها وسمعت رضى الله عنها سفيان الثورى يقول واحزناه
فقالت واقلة حزناه ولو كنت حزينا ماهنالك العيش ومناقبها كثيرة رضى الله عنها ومشهورة
وجاء فى ترجمتها لابن خلكان أنها كانت من أعيان عصرها وأخبارها فى الصلاح والعبادة مشهورة وذكر
أبو القاسم القشيرى فى الرسالة أنها كانت تقول فى مناجاتها الهى تحرق بالنار قلبا يحبك فهتف بها مرة
هاتف ما كنا نفعل هذا فلا تظنى بنا ظن السوء وقال بعضهم كنت أهدى لرابعة العدوية فرأيتها فى المنام
تقول هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور وكانت تقول ماظهر من أعمالى لا أعده شيأ
ومن وصاياها اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيآتكم وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردى
فى كتاب عوارف المعارف هذين البيتين

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وكانت وفاتها فى سنة ١٣٥ ذكره ابن الجوزى فى شذور العقود وقال غيره سنة ١٨٥ رحمها الله تعالى
وقبرها يزار وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور وذكر ابن الجوزى فى كتاب صفوة
الصفوة فى ترجمة رابعة المذكورة باسناد له متصل الى عبدة بنت أبى شوال قال ابن الجوزى وكانت من خيار
اماء الله تعالى وكانت تخدم رابعة قالت كانت رابعة تصلى الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها
هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهى فزعة يا نفس كم تنامين
والى كم تنامين يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور وكان ذلك دأبها دهرها حتى ماتت
ولما حضرتها الوفاة دعتنى وقالت يا عبدة لا تؤذنى بموتى أحدا وكفنينى فى جبتى هذه وهى جبة من شعر
كانت تقوم فيها اذا هدأت العيون قالت فكفنتها فى تلك الجبة وفى خمار من صوف كانت تلبسه ثم رأيتها
بعد ذلك بسنة أو نحوها فى منامى عليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيأ قط أحسن
منه فقلت يا رابعة ما فعلت بالجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف قالت ان الله نزعه عنى وأبدلت به
ماترينه على فطويت أكفانى وختم عليها ورفعت فى عليين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة فقلت لها
لهذا كنت تعملين أيام الدنيا فقالت وما هذا عند ما رأيت من كرامة الله عز وجل لاوليائه فقلت لها
مافعلت عبيدة بنت أبى كلاب فقالت هيهات هيهات سبقتنا والله الى الدرجات العلا فقلت وبم وقد كنت
عند الناس أكبر منها قالت انها لم تكن تبالى على أى حال أصبحت من الدنيا أو أمست فقلت لها فما فعل
أبو مالك أعنى ضيغما قالت يزور الله عز وجل متى شاء قلت فما فعل بشر بن منصور قالت بخ بخ أعطى

والله فوق ما كان يؤمل قلت فرجى بأمر أتقرب به من الله عز وجل قالت عليك بكثرة ذكره يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك رحمها الله تعالى

وكان الحسن البصري توفيت زوجته فأراد زوجة فقيل له عن رابعة العدوية فأرسل اليها يخطبها فردته وقالت

راحتي يا اخوتي في خلوتي * وحبيبي دائما في حضرتي

لم أجد لي عن هواه عوضا * وهواه في البرايا محنتي

حيثما كنت أشاهد حسنه * فهو محرابي اليه قبلتي

ان أمت وجدا وما ثم رضا * واعنائي في الورى واشقوتي

يا طبيب القلب يا كل المنى * جد بوصل منك يشفي مهجتي

يا سروري يا حياتي دائما * نشأتي منك وأيضا انشوتي

قد هجرت الخلق جمعا أرتجي * منك وصلا فهو أقصى منيتي

وكانت تقول مرة الهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل حبا لك وقصد لقاء وجهك وتنشد

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له * فكشفك لي الحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

﴿رابعة بنت اسماعيل﴾

كانت تقوم من أول الليل الى آخره وكانت تقول اذا عمل العبد بطاعة الله تعالى أطلعه الجبار على مساوى عمله فيتشاغل بها دون خلقه وكانت تصوم الدهر وتقول ما مثلي يفطر في الدنيا وكانت تقول لزوجها لست أحبك حب الازواج وانما أحبك حب الاخوان وكانت تقول ما سمعت أذانا قط الا ذكرت منادى يوم القيامة ورأيت أهل الجنة يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين يستترن مني بأكمامهن ومناقبها كثيرة رضي الله عنها

﴿ الرباب بنت امرئ القيس﴾

ذكر في كتاب نور الابصار ما ملخصه ان الرباب بنت امرئ القيس بن عدى بن مرداس الكلبي وكان نصرانيا فأسلم وجاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه برمح وعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة فتولى قبل أن يصلي صلاة وما أمسى حتى خطب منه الحسين بنته الرباب فزوجه اياها فاولدها عبد الله وسكينة وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن وخطبت بعد قتل الحسين رضي الله عنه فقالت ما كنت لاتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت بعده سنة لا يظلها سقف بيت الى أن ماتت رحمهما الله

﴿رصفة بنت آيه﴾

سرية أخذها شاول لنفسه من غير الاسرائيليين فولدت له ارموني ومفيبوشث وهي من النساء

المشهورات في العهد القديم مثل راعوث وراحاب وابزابلا والراجح على ما جاء في قاموس التوراة انها كانت غريبة عن شعب اسرائيل يتصل نسبها باحدى العائلات الشريفة فان شاول اتخذها وضع عادة جرى عليها ملوك بني اسرائيل من بعده اذ كانوا يتخذون لانفسهم السراري من غير أبناء جنسهم وحدث بعد وفاة شاول ونزول الفلسطينيين شرقي الاردن أن رصفة ذهبت مع رفيقاتها من عائلة الملك الى مقرهن الجديد في محنايم فوقع لها في هذا المكان حادث ذكر في التوارة وهو أن اشبوشت اتهم ابنير بالدخول على سريته أبيه فانكر ابنير ذلك وأقام الحجة عليه ثم أعقبت هذه التهمة حادثة أخرى وهي أن ابنير قتل بخيانة يوآب وانتصر اشبوشت بعد ذلك والغالب على الظن بناء على ما يؤخذ من انكار ابنير ومدلول الواقعة أن التهمة المذكورة كانت محض زور وبهتان ولم يذكر في التوارة شئ غير ذلك عن رصفة سوى ما ذكر وبالاختصار هو أن داود لما رغب اليه الشعب في اقتضاء حقه من عائلة شاول وذوي قرباه مقابل ما ناله بسببهم من ضربة الجوع قال لهم مهما قلتم لي أفعل فقالوا له الرجل الذي أفنانا والذين أمروه علينا يبيدونا لكيلا نقيم في كل تخوم اسرائيل فلنعط سبعة رجال من بنيه فنطلبهم للرب في جبعة شاول مختار الرب فأخذ داود ابني رصفة ابنة آية اللذين ولدتهما لشاول أرموني ومفيبوشت وبني ميراب بنت شاول الخمسة الذين ولدتهم لعدريئيل بن برلاي المحولي وسلمهم الى يد الجبعونيين فصلبوهم على الجبل أمام الرب فسقط السبعة معا وقتلوا في أيام الحصاد في أولها في ابتداء حصاد الشعير فأخذت رصفة مسحا وفرشته لنفسها على الصخر من ابتداء الحصاد حتى انصب الماء عليهم من السماء ولم تدع طيور السماء تنزل عليهم نهارا ولا حيوانات الحقل ليلا

﴿ رضية ملكة دهلي في بلاد الهند ﴾

ابنة السلطان ركن الدين كانت من أوفر نساء زمانها عقلا وأحسنهن وجها تعلمت فنون السياسة من صغرها ولما بلغت حد الكمال ازدادت رونقا وبهاء وعقلا ولما مات أبوها السلطان شمس الدين يلمش اجتمع الناس على أخيها ركن الدين وبايعوه بالملك فافتتح أمره بالتعدي على أخيه معز الدين فقتله فأنكرت عليه شقيقته رضية ذلك فأراد قتلها وأحست بذلك فلما كان بعض أيام الجمع خرج ركن الدين الى الصلاة فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الاعظم ولبست عليها ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح وقالت لهم ان أخي قتل أخاه ظلما وهو يريد قتلي معه وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير واحسانه اليهم فثاروا عند ذلك على السلطان ركن الدين وهو في المسجد فقبضوا عليه وأتوا به اليها فقالت لهم القاتل يقتل فقتلوه قصاصا بأخيه وكان أخوها ناصر الدين صغيرا فاتفق الناس على تولية رضية الملك فولوها واستقلت بالملك أربع سنين ثم انها اتهمت بعبد لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعها وتزويجها فخلعت وتزوجت من بعض أقاربها وولي الملك أخوها ناصر الدين

﴿ رفقة ابنة بتوئيل ﴾

هي أخت لابان وزوجة اسحق وفي الاصحاح الرابع والعشرين من سفر تكوين خبر ذهاب عبد ابراهيم بأمر سيده الى آرام النهرين ليأخذ زوجة لابنه اسحق وما جرى له مع رفقة وهو واقف على عين الماء لما

خرجت بنات المدينة يستقين ماء وقال ان الفتاة التى أقول لها ناولينى جرتك لاشرب فتقول اشرب وأنا أسقى جمالك أيضا هى التى عينها الاله لعبده اسحق واذ كان لم ينته كلامه خرجت رفقة التى ولدت لبتوئيل ابن ملكة امرأة نحور أخى ابراهيم وجرتها على كتفها وكانت الفتاة حسنة المنظر جدا عذراء فنزلت الى العين وملأت جرتها وطلعت فركض العبد لاقائها وقال اسقينى قليل ماء من جرتك فقالت اشرب ياسيدى وأسرعت وأنزلت جرتها على يدها وسقته ولما فرغت من سقيه قالت استقى لجمالك أيضا حتى تفرغ من الشرب فاسرعت وأفرغت جرتها فى المسقاة وركضت أيضا الى البئر تستقى فاستقت لكل جماله والرجل يتفرس فيها صامتا ليعلم أنجح الله طريقه أم لا وحدث عندما فرغت الجمال من الشرب أن الرجل أخذ خزامة ذهب وزنها نصف شاقل وأعطاها اياها مع سوارين وزنهما عشرة شواقل ذهب وقال بنت من أنت أخبرينى وهل عند أبيك مكان لنا لنبيت فقالت له أنا بنت بتوئيل ابن ملكة وعندنا كل ما تشتهى من القرى فخر الرجل وسجد لله تعالى وقال تبارك الله الذى لم يمنع لطفه وحقه عن سيدى اذ كنت أنا فى الطريق هدانى الى بيت أخوة سيدى فركضت الفتاة وأخبرت أبويها عن هذه الامور فجاء لابان أخوها الى الرجل وهو واقف عند الجمال على العين فقال ادخل يامبارك لماذا تقف خارجا وأنا قد هيأت البيت ومكانا للجمال فدخل الرجل البيت وحل عن الجمال فأعطى تبنا وعلفا للجمال وماء لغسل رجليه وأرجل الرجال الذين معه ووضع أمامه الطعام ليأكل فقال لا آكل حتى أتكلم كلامى فقال تكلم فقال أنا عبد ابراهيم وان الله قد أكرم مولاى جدا فصار عظيما وأعطاه غنما وبقرا وفضة وذهبا وعبيدا واماء وجمالا وحميرا وولدت سارة امرأته ولدا له أعطاه كل ماله واستحلفنى سيدى بقوله لى لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن فى أرضهم بل تذهب الى بيت أبى وعشيرتى وتأخذ منهم زوجة لولدى ثم قص عليهم ما جرى له مع رفقة عند العين ثم قال انى أحمد الله الذى هدانى فى طريق أمين لاخذ ابنة أخ سيدى لابنه والآن ان كنتم تصنعون معروفا وأمانة مع سيدى فأعطونى ما طلبت والا فانصرف يمينا أو شمالا فأجاب لابان وبتوئيل وقالا من عند الله خرج الامر لا نقدر أن نكلمك بشر أو بخير هذه رفقة أمامك خذها واذهب فلتكن زوجة لابن سيدك كما أمر الله فسجد العبد للارض وأخرج فضة وذهبا وثيابا وأعطاها لرفقة وأعطى تحفا لاخيها وأمها وسألوها هل تذهبين مع هذا الرجل قالت أذهب فأخذها ومضى وسارت معه بعد أن ودعوا رفقة وقالوا لها أنت أختنا وأختنا مهما بعدت عنا

وجاء فى التوراة ما يستفاد منه أن اسحق أحب رفقة لانها كانت جميلة وصنيعة طائعة لطيفة ولما مضى عليها تسع عشرة سنة وهى عاقر صلى اسحق لله ودعاه لاجلها فحبلت وكان فى بطنها توأمان وأحبت رفقة يعقوب ولدها الثانى ولما صار اسحق هرما من مجاعة الى الارض الفلسطينية بات محفوفا بخطر من جمال زوجته رفقة كما سمعت اسحق يقول لعيصو بكرة ائتنى بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأدعو لك قبل وفاتى قالت ليعقوب اذهب الى الغنم وخذ لى من هناك جديين من المعز فاصنعهما أطعمة لابيك كما يحب فتحضرها اليه ليأكل حتى يدعو لك قبل وفاته فقال ان عيصو أشعر وأنا أملس فربما جسنى فأجلب على نفسى لعنة لا بركة فقالت له لعنتك على يا ابنى فأجابها فألبسته ثياب عيصو الفاخرة وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديى المعز فنال يعقوب البركة فلما أخبرت رفقة بأن عيصو توعد يعقوب بالقتل بعد

وفاة أبيه لغيظه منه لانه سبقه الى بركة أبيه دعت يعقوب اليها وأخبرته بتوعد أخيه وقالت له فالآن يا بني اسمع لقولي وقم اهرب الى أخي لابان الى حاران وأقم عنده أياما قليلة حتى يرتد سخط أخيك وينسى ماصنعت به ثم أرسل فآخذك من هناك لئلا أعدمكما في يوم واحد وقالت لاسحق مللت حياتي من أجل بنات حث ان كان يعقوب يأخذ زوجته من حث مثل هؤلاء من بنات الارض فلماذا لي حياة وسار برضا أبيه الى فدان ارام ولم تذكر رفقة عند عود يعقوب الى أبيه ولاذكر دفنها

رقية ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

ولدت له من أم حبيب الصهباء التغلبية كانت من سبي الذرية الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر فاشتراها علي رضي الله عنه واستحظى بها فأولدها عمرا ورقية الموفي اليهما فهم والاكبر شقيق رقية وفي الفصول المهمة كانا توأمين وعمر وهذا عاش خمسا وثمانين سنة وحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه وذلك أن أخوانه أشقاءه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف فورثهم وفي الباب العاشر من المنن للشعراني قال وأخبرني الخواص أن رقية بنت الامام علي كرم الله وجهه في المشهد الموجود بتكيتها المعروفة بتكية السيدة رقية بمصر وهذه التكية في غاية الاتقان والخفة والنورانية وبداخلها ضريح السيدة رقية بملوقية لطيفة الصنعة وهناك مساكن للصوفية وحنفيات للوضوء وجنينة صغيرة ويعمل لها مقرأة وحضرة كل أسبوع ومولد كل سنة وشعائر هذه التكية مقامة من أوقاف السيدة رقية التي يبلغ مقدارها ثلاثة عشر ألف قرش وسبعمائة قرش وثمانية عشر قرشا واثنين وثلاثين بارة بالعملة الاميرية المصرية

رقية بنت الفقيه عبد السلام بن محمد مزروع المدنية

كانت عالمة عاملة عاقلة كاملة صادقة الرواية حسنة الطوية تعلمت العلم عن جملة من العلماء الاخيار وحدثت بالاجازة عن شيوخ مصر والشام كابن سيد الناس من المصريين والمزي وغيره من الشاميين وأقامت في المدينة وفتحت درسا للحديث وانتفع بها أهل الحجاز وهي من مشاهير المحدثين بتلك الاصقاع ولم يوجد مثلها من نساء ذلك الزمان رحمها الله رحمة واسعة

رقاش ابنة مالك بن فهم بن غنم بن أوس الاسدي وقيل التنوخي أخت جذيمة الابرش

كانت من أبدع نساء زمانها وأحسنهن جمالا وكان عدي بن نصر نديما لجذيمة الابرش فأبصرته رقاش فعشقته وراسلته ليخطبها الى جذيمة وكانت على غاية من الظرف والادب فقال لها لم أجترئ على ذلك ولا أطمع فيه قالت اذا جلس على شرابه فاسقه صرفا واسق القوم ممزوجا فاذا أخذت الخمرة فيه فاخطبني اليه فلن يردك فاذا زوجك فاشهد القوم ففعل عدي ما أمرته فأجابه جذيمة وأملكه اياها فانصرف اليها فاعرس بها في ليلته وأصبح بالخلوق فقال له جذيمة وأنكر مارأى به ماهذه الآثار يا عدي قال آثار العرس قال وأي عرس قال عرس رقاش قال من زوجكها ويحك قال الملك زوجنيها فندم جذيمة وأكب على الارض متفكرا وهرب عدي فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر فأرسل اليها جذيمة

خبريني وأنت لاتكذبيني ✱ أبحر زنيت أم بهجين

أم بعبد فأنت أهل لعبد * أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت لا بل أنت زوجتني امرأ عربيا حسيبا ولم تستأمرني في نفسي وأنشدت

أنت زوّجتني وما كنت أدري * وأتاني النساء للمستزين

ذاك من شربك المدامة صرفا * وتماديك في الصبا والجنون

فكف عنها وعذرها ورجع عدي الى اياد فكان فيهم فخرج معه فتية يوما متصيدين فرمى به فتى منهم فيما بين جبلين فتكسر فمات فحملت رقاش فولدت غلاما فسمته عمرا فلما ترعرع وشب ألبسته وعطرته وأزارته خاله فلما رآه أحبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا بأهله وولده في سنة خصبة فأقام في روضة ذات زهر وغدر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها فانصرفوا الى جذيمة يتعادون وعمرو يقول (هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه) فضمه جذيمة اليه والتزمه وسر بقوله وأمر له بحلي من فضة طوقه به فكان أول عربي ألبس طوقا وقصة عمرو مشهورة مع الزباء وغيرها

رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولدت رقية ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث وثلاثون سنة وكان تزوجها عتبة بن أبي لهب وتزوج أختها أم كلثوم عتيبة أخوه فلما نزلت (تبت يدا أبي لهب) قال أبو لهب لهما رأسي من رأسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما وتزوج رقية عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة وهاجر بها الهجرتين الى الحبشة ثم الى المدينة وكانت ذات جمال بارع وكان فتيان أهل الحبشة يتعرضون لها ويتعجبون من جمالها فآذاها ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعا وولدت لعثمان بالحبشة ولدا سماه عبد الله وكان يكنى به وبلغ الغلام ست سنين فنقره ديك فتورم وجهه ومرض ومات وتوفيت رقية بالمدينة وكان النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة بدر وكان عثمان قد تخلف عن بدر لاجلها فجاء زيد ابن حارثة بشيرا بفتح بدر وعثمان قائم على قبرها وكانت وفاتها سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما من الهجرة

رملة بنت الزبير بن العوام

كانت أخت مصعب بن الزبير بن العوام لامه وكانت أمها أم الرباب بنت أنيف بن عبيد بن مصاد الكلبي تزوجها عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد فولدت له عبد الله بن عثمان وهو زوج سكينة بنت الحسين بن علي عليهما السلام ثم تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكان قتل ابن الزبير ولما حج خالد بن يزيد خطب رملة بنت الزبير فأرسل اليه الحجاج صاحبه عبيد الله بن موهب وقال ما كنت أراك أن تخطب الى آل الزبير حتى تشاورني وكيف خطبت الى قوم ليسوا كفؤا وكذلك قال جدك معاوية وهم الذين قارعوا آباءك على الخلافة ورموه بكل قبيحة وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة فنظر اليه خالد طويلا ثم قال له لولا أنك رسول والرسول لا يعاقب لقطعتك اربا اربا ثم طرحتك على باب صاحبك قل له ما كنت أرى أن الامور بلغت بك الى أن أشاورك في خطبة النساء وأما قولك لي قارعوا آباءك وشهدوا عليه بكل قبيح فانها قريش يقارع بعضها بعضا فاذا أقر الله عز وجل الحق قراره كان تقاطعهم

وتراجمهم على قدر أحلامهم وفضلهم وأما قولك انهم ليسوا أكفاءه فقاتلك الله يا حجاج ما أقل علمك بأنساب قريش أيكون العوام كفؤا لعبد المطلب بن هاشم يتزوجه صفية ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ولا تراهم أهلا لابي سفيان فرجع اليه فأعلمه ومن شعر خالد فيها

ألیس یزید السیر فی کل لیلة * وفی کل یوم من أحبتنا قربا

أحن الى بنت الزبیر وقد علت * بنا العیس خرقا من تهامة أونقبا

اذا نزلت أرضا تحبب أهلها * الینا وان کانت منازلها حربا

وان نزلت ماء وان کان قبلها * ملیحا وجدنا ماءه باردا عذبا

تجول خلاخیل النساء ولا أرى * لرملة خلخالا یجول ولا قلبا

أقلوا علی اللوم فیها فاننی * تخیرتها منهم زبیریة قربا

أحب بنی العوام طرا لحبها * ومن حبها أحببت أخوالها کلبا

ونشزت سكينة بنت الحسين عليهما السلام على زوجها عبد الله بن عثمان فدخلت رملة على عبد الملك بن مروان وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية فقالت يا أمير المؤمنين لولا أنه يبتذ أمرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا سكينة بنت الحسين قد نشزت على ابنى قال يا رملة انها سكينة قالت وان كانت سكينة فوالله لقد ولدنا خيرهم ونكحنا خيرهم وأنكحنا خيرهم تعنى بمن ولدوا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نكحوا صفية بنت عبد المطلب ومن أنكحوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رملة غرني منك عروة بن الزبير فقالت ما غرك ولكن نصح لك لانك قتلت أخى مصعبا فلم يأمنى عليك ولم تزل به حتى أصلح بين سكينة وعبد الله بن عثمان

﴿ رميصاء بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الانصارية الخزرجية النجارية وتلقب أم سليم أم أنس بن مالك ﴾

كانت عند مالك بن النضر والد أنس بن مالك في الجاهلية فغضب عليها وخرج الى الشام ومات هنالك فخطبها أبو طلحة الانصاري وهو مشرك فقالت انى فيك لراغبة وما مثلك يرد ولكنك كافر وأنا امرأة مسلمة فان تسلم فذلك مهرى ولا أسألك غيره فأسلم وتزوجها وحسن اسلامه فولدت له غلاما مات صغيرا وهو أبو عمير وكان معجبا به فأسف عليه وولدت له عبد الله بن أبي طلحة وهو والد اسحق فبارك الله في اسحق واخوته وكانوا عشرة كلهم حمل عنه العلم وقيل ان أبا طلحة لما خطب رميصاء قالت يا أبا طلحة ألست تعلم ان الهك الذى تعبده نبتة من الارض نجرها حبشى بنى فلان قال بلى قالت أفلا تستحى تعبد خشبة ان أنت أسلمت فانى لا أريد منك الصداق غيره قال حتى أنظر في أمرى فذهب ثم جاء فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالت يا أنس زوج أبا طلحة فتزوجها

وكانت تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروت عنه أحاديث وروى عنها ابنها أنس وكانت من عقلاء النساء رضي الله عنها

﴿ رولاند الفرنساوية ﴾

ولدت هذه الفاضلة في ١٧ اذار (مارس) عام ١٧٥٤ من أبوين فقيرى الحال مختلفى الاخلاق والآراء

وكانت أمها دمثة الاخلاق لينة العريكة قانعة بهبات البارى تعالى وكان أبوها طماعا قاسى الطباع كثير التزمر والحقد على المكارم والاشراف زاعما أنهم علة تعاسته وسبب فقره ولذلك كان يتذمر كثيرين غيرهم من الفرنسويين وتعلمت القراءة والكتابة قبل بلوغها الرابعة من عمرها وتعلقت بالمطالعة حين لم يكن لابويها طاقة على ابتياع الكتب لها فأرسلاها الى دير من الاديرة لتقتبس العلوم عن راهباته فأظهرت فيه من النجابة والبراعة فى كل علم تعلمته ما جعلها فخر المعلمات وقدوة لرفيقاتها وأجادت فى الموسيقى والتصوير وطالعت كل ما عثرت عليه من التواريخ ودواوين الشعر والرحلات والمقالات الدينية والعلمية والفكاهية والسياسية وبالغت فى استقصاء أحوال اليونان والرومان القدماء واشتد ميلها اليهم قيل ان أباها وجدها ذات يوم منخرطة فى البكاء من أجل أنها لم تولد رومانية وكثيرا ما كانت تصور أمامها اليونان فى سلطتهم والرومان فى أوج عظمتهم وتقابل بين أحوال ذينك الشعبين العظيمين وأحوال بلادها التى كانت قد أفرطت فى الملاهى والترف وتهافتت على الباطل فتنفر نفسها الابية من الدنايا التى انغمس فيها أكابر قومها وتتمنى أن يسود الانصاف وتسن بها الشرائع العادلة أبناء وطنها والظاهر أن ذلك رسخ فى ذاكرتها منذ نعومة أظفارها لكثرة ما كان أبوها يلقى على مسامعها من الاحاديث عن الملوك والاشراف وهو يجول بها فى شوارع باريس ويريها قصورها الشاهقة ومبانيها الفاخرة وأشراف المدينة وسيداتها خارجين الى المتنزهات العمومية فى عجلاتهم المذهبة بالخدم والحشم لاهين بالاحاديث الفادحة وخيولهم تدوس المساكين والبائسين وهم لا يبالون ثم يقول لها انظرى يا ابنتى أين العدل والانصاف أين الآخذون بناصر الانسانية ليقتص من هؤلاء البرابرة القساة الآثرين أنهم يتوسدون الحرير والديباج ويعيشون بالترف والشعب غارق فى بحار الهموم محاط بالاتعاب يصل الليل بالنهار فى الكدر والكدح ليحصل الحرية التى يتمتع بها هؤلاء العتاة وخرجت من المدرسة وهى فى الرابعة عشرة فجعلت أمها تمرنها على أشغال البيت فتخضع لاوامرها خضوعا تاما علما منها أن الاشغال البيتية من أهم واجبات المرأة وكانت تبتاع لوازم بيتها بنفسها فأكرمها البائعون لنباهتها ورزانتها ولما بلغت سن الزواج تقاطر عليها الطلاب من كل فج فرفضت طلبهم قائلة لوالديها ان الطبيعة والشرائع قد اتفقت على وجوب تفضيل الرجل على المرأة فاخجل أن أختار من لا يكون أهلا لهذا المقام السامى وحدث أن أحد الاشراف دخل مخزن أبيها ورأى انشاآتها فدهش من براعة أساليبها وراعه اتقان قريحتها فكتب اليها كتابا يحثها فيه على التأليف فأجابته لذلك بأبيات شائقة دقيقة المعنى أظهرت فيها الموانع التى تحول دون وصول المرأة الى مثل تلك المنزلة الرفيعة ومن ذلك اليوم جرت المكاتبة بينهما وكان لهذا الشريف ابن من أهل الطيش والجهالة فأراد أن يزوجه بها ظنا منه أن حكمتها وعزمها يهديانه سواء السبيل فأبت ومن معرفتها بهذا الرجل تمكنت من معاشرة الاشراف رغبة فى الاطلاع على شؤنهم ولكنها لم تقتبس شيأ من عوائدهم القبيحة ولا شاركتهم فى آرائهم بل زادت بهم احتقارا اذ كان دأبهم الطرب والملاهى وهمهم التأنق بالزينة والملابس

وفى ٤ شباط (فبراير) سنة ١٧٨٠ تزوجت برولاند أحد مفتشى المعامل فى مدينة ليون وكان رجلا من ذوى الوجاهة والبراعة فى العلوم جامعا بين الفضائل والمكارم مشهورا بالفضل والمآثر له كتابات عديدة تدل على جودة عقله فأقاما سنة فى باريس ثم انتقلا الى مدينة اميان ثم رجعا منها الى ليون حيث

قضت أسعد أيام حياتها وأظهرت مناقب المرأة الكاملة فربت بنيها على أحسن منوال وعكفت على تربية ابنتها وتعليمها بنفسها وكانت اذا انتقلت الى مصيف زوجها (فى ابلاتيه) تخصص جانبا من وقتها لزيارة المرضى والمساكين المجاورين لها وتعالجهم بنفسها عند عدم وجود طبيب يعالجهم فأحبوها محبة تفوق الوصف واشتهرت بينهم بالفضائل والفواضل

ولها على زوجها الفضل الاعظم قال أحد أصحابه لا أرى بين المحدثين من يشابه كاتون الرومانى أكثر من رولاند والحق أن يقال رولاند دون لامرأته بشجاعته ومعارفه فانها كانت متقدة أفكاره ومعتنية بأعماله وكثيرا ما كانت تصلح كتاباته وتقوم براهينه بغزارة معارفها وقوة بيانها واتقاد تصوراتها حتى طار صيته فى بلاغة الانشاء وقوة الكتابة ولما بلغها نبأ الثورة الفرنسوية تلقته بالترحاب زعما منها ان الثورة أقرب طريق لسعادة فرنسا وأحسن بشرى بتبديل أحوال هاتيك الايام بأحسن منها فبذلت كل قواها فى تحريك الخواطر اليها فلم يمض طويل الزمان حتى أضرمت نار الغيرة والحماسة فى قلوب أهل وطنها وحركت زوجها وأصحابها فأداروا دولاب الثورة بمدينتهم ليون وعلقت آمال الشعب برولاند وامرأته بخلع غل الظلم عن أعناقهم فوقف لهما جماعة من الاشراف بالمرصاد ووضعوا عليهما العيون فما ثناهما ذلك عن عزمهما وزاد الناس حبا فى رولاند فاختاروه نائبا عن مدينة ليون فى مجمع الامة الذى استدعاه لويس السادس عشر فى بادئ الثورة فتوجه هو وامرأته فى ٢٠ شباط (فبراير) سنة ١٧٩١ الى باريس وكتبت مدام رولاند مقالة فى أحوال تلك الايام كان لها وقع عظيم

وفى آذار (مارس) سنة ١٧٩٢ انتخب زوجها وزير الداخلية وأعد لسكنه قصرا مفروشا مشيدا بالاثاث الفاخر ومزينا بأزينة البهية فدخلته مدام رولاند وكأنما خلقت له ولم يبن الا لها ثم لما طلب من زوجها أن يشير على الملك باعلان الحرب على المهاجرين وحلفائهم كتبت باسمه كتابا للملك قوى الحجة عظيم التأثير حتى دهش زوجها من جراءتها وقوة أدلتها ولكن كانت نتيجته خلع رولاند عن وظيفته ولذلك أشارت امرأته عليه أن يعرض كتابه على المجمع لتعلم الامة سبب خلعه ففعل فعد ضحية لحب الوطن ثم طبع الكتاب ووزع نسخا عديدة فى كل أنحاء المملكة فهاجت الامة بأجمعها حتى التزم الملك أن يرجعه الى منصبه فكانت زوجته سبب خلعه ثم نصبه ثانيا

واتفق أن الجاكوبين اجتهدوا أيام كانت العائلة الملكية فى السجن أن يهيجوا الشعب لينتقموا من مدام رولاند بدعوى أن لها مدخلا فى المكيدة التى كان يقصد بها تخليص الملك وارجاعه الى عرش الملك وتكلف باتمام ذلك رجل لئيم يسمى أشيل فيارد فأظهر حزم الجيروندين وهو يقصد باطنا انه يتجسس أعمالهم ويدبر على مدام رولاند مكيدة فكان يحذرا حذرها منه فأوجست منه خيفة وأبعدته عنها احتقارا واستصغارا ومع ذلك فقد تجبح باتهامها أمام الجمع انه كان بينها وبين أصحاب النفوذ فى فرنسا وغيرها من السلطة مراسلة سرية واتفاق على انقاذ الملك فاستدعاها ديوان الكونفانسيون لمرافعة خصمها والمدافعة عن نفسها فدخلت المحفل وكان غاصا بالجماهير وهم يحتدمون غيظا وقد علا لغطهم فلما جلست مكتت الضوضاء وأحدقت بها الانظار فدافعت عن نفسها وعن أصحابها دفاع أهل الحق والشيمة والشهامة فبرأت نفسها وتلعثم لسان خصمها عن الكلام فرجع بصفقة خاسرة وأشار الرئيس أن يظهر الاعضاء علامات اعتبارهم لها فهنأها الجميع وصفقوا لها استحسانا وكان ذلك أمر من العلقم على أعدائها

كدانتون ومارات وروبس بيرامارو بس بيرهــذا فهو الذى خلصت حياته من القتل لما ثار الشعب وأرادوا قتله حنقا عليه ففر مذعورا وقصدته مدام رولاند وزوجها فى منتصف الليل وخبأته فى بيتهما ثم استعانت على خلاصه بصديق لهما بعيد النفوذ والسطوة فبرأه قبل صدور الحكم عليه فما كان من روبس بيرالا انه قابل الاحسان بالاساءة فصار أشد العاملين على مدام رولاند وقتلها حتى قال لامرتين الشهير فى صدد ذلك لاشك أن مدام رولاند ذكرت فى سجنها الليلة التى خلصت حياة روبس بيرفيها فان كان هو أيضا ذكرها وهو فى أعلى مجده وقوته فلاريب أن ذكرها له كان عليه أشد من وقوع السهام ولا يخفى ما ألم بحزب الجيروندين بعد ذلك وما كان نصيبهم من الثورة ففى ٣١ ايار سنة ١٧٩٣ أودعت مدام رولاند السجن فصبرت على مشاقه كما صبرت وثبتت على الاهوال ورتبت أحوال معيشتها فيه جاعلة لكل ساعة من النهار شغلا خصوصيا فعينت وقتا لدرس اللغة الانكليزية وآخر لانشاء مقالات سياسية وآخر للتصوير وجعلت معظم همها تشجيع قلوب المسجونين ومساعدتهم بما كان يفضل عن حاجاتها من المال وفى تشرين الثانى (اكتوبر) حكم عليها بالقتل فسيقت للذبح مكتوفة اليدين وعلامات الشجاعة تلوح على وجهها فلما صارت بمرأى من تمثال الحرية وكان منصوبا حيث المسلة المصرية اليوم التفتت اليه وقالت أيتها الحرية كم من ذنب يرتكبه الناس باسمك اليوم أيتها الحرية انظرى كيف يتلاعبون باسمك ويقال انها طلبت قلما وقرطاسا لتخط ما جال فى خاطرها وهى أمام الجلاد فلم تعطهما وضربت عنقها وهى فى التاسعة والثلاثين من عمرها فكان موتها سبب انتحار زوجها كما عرف من ورقة وجدت فى جيبه بعد موته وقد كتب عليها لم يعد لى صبر على البقاء بعد موت امرأتى فى عالم ملوث بالآثام

﴿ ترجمة زوجة نبى الله أيوب عليه السلام ﴾

هى بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب عليهما السلام كانت من النساء الصالحات الطائعات لازواجهن وقد اتصفت من دون النساء بالصبر الجميل على بلاء زوجها أيوب عليه السلام حيث لم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غيرها فانها صبرت معه على مضض ذلك البلاء الشديد وكانت تسأل وتأتيه بطعام وشراب ويبيتان يحمدان الله سبحانه وتعالى ويرجوان منه عفوا على ما نالهما من البلاء فلما كانت فى بعض الايام وهى تسأل كعادتها اذ تمثل لها ابليس فى صورة رجل فقال لها أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الديدان فى جسده فلما سمع منها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتى بسخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه لى ويبرأ فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن الذى قد بلى يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبته أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أعطاناه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا الله قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت فى هذا البلاء الذى ابتلانا به ربنا كما كنا فى الرخاء والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة كما أمرتنى أن أذبح لغير الله طعامك

وشرابك الذى تأتينى به على حرام لا أذوق مما تأتينى به بعد اذ قلت هذا فاعزبى عنى لا أراك فطردها فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال (رب انى مسنى الضر) ثم رد الامر الى ربه فقال (وأنت أرحم الراحمين) فأوحى الله اليه أن اركض برجلك فركض فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شئ ظاهر الا سقط باثره وأذهب الله عنه كل ألم وداء وكل سقم وعاد عليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل مما مضى وجعل بالتنت يمتاوشم الاقليرشيأ مما كان من أهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان رحمة قالت أرأيت ان كان قد طردنى الى من أكله أأدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتأكله السباع فوالله لارجعن اليه ثم رجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحال التى كانت تعرف واذا هى قد تغيرت فجعلت تطوف حول هذه الكناسة وتبكى وذلك بمرأى من أيوب فأرسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدرى أضاع أم ماذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلى فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم انها جعلت تنظر اليه وقالت أما انه أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فأنا أيوب أمرتينى أن أذبح لابليس فانى أطعت الله وعصيت الشيطان فردعلى ما ترين فاعتنقته وقيل انهما ما فارقته من عناق حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد

فلما برأ أيوب أراد أن يبر يمينه بأن يجلد رحمة فأمره الله أن يأخذ من جماعة الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا ويضربها ضربة واحدة كما قال الله تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) الآية وقيل كانت رحمة تكتسب له ما تعمل للناس فتبيعه وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الايام تطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها أين قرنك فأخبرته الخبر فحزن عليها وشكر صنيعها

﴿روشنك ابنة الدهقاء أوزبرت﴾

كانت مشهورة بالجمال تزوجها اسكندر المكدونى ولما مات كانت حاملا ووضعت لثلاثة أشهر من موته ولدها اسكندر الملقب ايروس واتفقت مع برديكاس وقتلا استاتيرا زوجة اسكندر لانها كانت تحاول منع تنصيب ابنها ايفوس فصفا له الملك بالارث من أبيه ثم اتحدت مع أوليباس على فيليبس اردوس وامرأته أوريديكى ثم جعلت نفسها تحت حمايته وابسيرخون ولما وصل كاسندر اعتصمت بمدينة بيدنا ولما أخذت هذه المدينة وقتل أوليباس حبسها كاسندر فى امفيبوليس وبها قتلت هى وابنها سنة ٣١١ قبل الميلاد

والمشهور فى تواريخ العرب أن روشنك هى ابنة دارا الاصغر ملك الفرس ظفر به الاسكندر قال ابن الاثير ان الاسكندر لما وجد دارا وقد ضربه حاجباه الضربة القاضية أخذه وأسند رأسه الى حضنه وكلمه كلاما باللطف والاحترام وطلب أن يوصى بما يريد فأوصاه بأن يتزوج ابنته روشنك ويرعى حقها ويعظم حقها ويستبقى احرار فارس ويأخذ له بثاره عن قتله ففعل الاسكندر كل ذلك وبنى لروشنك مدينة بالسواد وقيل انه جعل هيئة زفافها اليه على النسق الشرقى وانها قالت بعد موته ما كنت أظن أن قاتل دارا يقتل

﴿ريا بنت الغطريف السلمي﴾

كانت ذات جمال باهر وأدب ظاهر ولها معرفة باشعار العرب وكانت تقول الشعر الجيد عشقها عتبة ابن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري علقها بمسجد الاحزاب في المدينة المنورة يوم متنزه اذ هو جالس في المسجد ودخل عليه نسوة وفيهن جارية لم ير مثلها فوقفت وقالت ما تقول في وصل من يطلب وصالك ثم مضت ولم يعرف لها خبر فلما كان في اليوم الثاني توجه الى مسجد الاحزاب وجلس في المكان الذي كان فيه بالامس واذا بالنسوة قد أقبلن ولم ير الجارية فيهن فقلن له ماظنك بطالبة وصالك فقال وأين هي قلن له مضى بها أبوها الى السماوة فأنشد

خليلي ريا قد أجد بكورها * وسارت الى أرض السماوة عيرها
خليلي قد غشيت من كثرة البكا * فهل عند غيري عبرة أستعيرها

وتوجه الى أبيها هو وصاحب له فأكرم وفادتهما وسألهما عن أمرهما وقال اذكرا حاجتكما فاخبراه بخطبة عتبة الى ابنته فقال ذلك اليها فدخل وأخبرها بذلك فأجابت وشكرت له عتبة فقال قد دعني الى أمرك معه وأقسم لا أزوجك به فقالت ان الانصار لا يردون رداً قبيحاً فان كان ولابد فاغلظ عليهم المهر فقال نعم ما أشرت به ثم خرج فقال قد أجبت ولكن على ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية ومائة ثوب من الابراد والخز وخمسة أقراص من العنبر فضمنا ذلك وقالا له اذا أحضرناها لك أجبت قال أجبت فاحضروا له ذلك فأولم أربعين يوما ثم أخذها ومضى فلما قارب المدينة خرج عليه خيل كثيرة فقاتل عتبة حتى قتل فحين علمت ريا بموته جاءت وبكت بكاء مراً حتى أبكت عليه من كان حاضرا وأنشدت

تصبرت لا أني صبرت وانما * أعلل نفسي أنها بك لاحقه
ولو أنصفت روحي لكانت الى الردى * أمامك من دون البرية سابقه
فما أحد بعدي وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفسي موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت فوار وهما التراب في قبر واحد فنبت على قبرهما شجرة فسموها شجرة العروسين ومن قول عتبة فيها

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة * تراكم تروني في القلوب على البعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم * وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى أراكم * ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

وقوله فيها أيضا

ياللرجال ليوم الاربعاء أما * ينفك يحدث لي بعد النوى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني * يهوي الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس أن الاجر همه * وأنه طالب للأجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا * مضمخا بفتيت المسك مختضبا

﴿ريا ابنة مسعود بن رقاش العشيري التغلبي من ربيعة﴾

كانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة وحسن نشأت مع الصمة بن عبد الله بن مسعود صغيرين وكانا

بتذا كران الادب وملح الاشعار ونوادر السير والاخبار حتى صارت أعجوبة زمانها ونادرة أوانها فأعجب بها وتمكنت منه محبتها ولم يكن عنده ما نه مقدار ما عنده منها فلما شكا ما يجده منها الى بعض أصدقائه أرشده الى تزوجها فخطبها الى عمه فأنعم على مائة من الابل فمضى الى أبيه فأعطاه تسعا وتسعين فأبى مسعود الا التمام وعبد الله الا ذلك وحلف كل على ما قال وأوقفوا الامر فحملت الصمة الانفة على أنه خرج عنها الى العراق فقالت ريا ما رأيت رجلا أضاعه أبوه وعمه ببعير الا الصمة لما عندهما من العلم بجهلها * وقد رحل يقال له على غاوى فخطب منه ريا وأمهرها ثلثمائة ناقة برعاتها فزوجه بها فحملها الى مذحج فبلغ ذلك الصمة فلزم الوساد وقال

أمن ذكر دار بالرقاشين أعصفت * به بارحات الصيف بدأ ورجعا

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا

فما حسن أن يأتي الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أسمعا

كأنك لم تسمع وداع مفارق * ولم تر شعبي صاحبين تقطعا

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وحالت بنات الشوق تحنى نزعا

تلفت نحو الحي حتى وجدتني * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا

أما وجلال الله لو تذكرينني * كذكراك ما كفكفت للعين مدمعا

فقالت بلى والله ذكرى لو انه * تضمنه صم الصفا لتصدعا

وقد سمع امرأة تنادى ابنتها ريا فسقط مغشيا عليه فاحتملوه الى بستان هناك وأضجعوه فلما أفاق أنشد

يعز بصبر لا وجدك لا ترى * سنام الحمى احدى الليالى الغوابر

كأن لسانى من تذكرى الحمى * وأهل الحمى يهتف به ريش طائر

ولم يزل يرددها حتى قضى عليه ولما وصل خبره داخلها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكيه حتى ماتت ومن لطيف شعره فيها قوله

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى * ولا جبل الاوشال الا استهلت

ألا قاتل الله الحمى من محلة * وقاتل دنيانا بها كيف ولت

غنينا زمانا باللوى ثم أصبحت * براق الهوى من أهلها قد تخلت

فما وجد أعرابية قذفت بها * صروف النوى من حيث لم تك ظنت

تمنت أحاليب الرعاء وخيمة * بنجد ولم يقدر لها ما تمنت

اذا ذكرت نجدا وطيب ترابها * وبرد الحصى من أرض نجد أرنت

﴿ ريطة بنت عاصم بن عامر بن صعصعة ﴾

وكانت شاعرة فصيحة جميلة المنظر لطيفة المخبر عذبة المنطق لها رثاء مقبول لا بأس فيه منه ما قالته في قومها وكانوا قد أصيبوا في يوم من أيام العرب

وقفت فأبكتني ديار أحبتي * على رزئهن الباكيات الحواسر
غدوا بسيوف الهند ورادحومة * من الموت أعيا وردهن المصادر
فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن تحمل الرزء عامر

﴿ ريطة بنت العجلان بن عامر بن برد بن منبه ﴾

هي أخت عمرو بن العجلان بن عامر الهذلي قتله بنو فهم في بعض غزواته فقالت أخته ترثيه

كل امرئ لمحال الدهر مكذوب * وكل من غالب الايام مغلوب
وكل حيّ وان عزوا وان سلموا * يوما طريقهم في الشرّ رعبوب
أبلغ هذيلا وأبلغ من يبلغها * عني رسولا وبعض الظن تكذيب
بان ذا الكلب عمرا خيرهم نسبا * ببطن شريان يعوي حوله الذيب
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها * مثعنجر من نجيع الجوف أسلوب
التارك القرن مصفرا أنامله * كأنه من نجيع الجوف مخضوب
تمشي النسور اليه وهي لاهية * مشي العذارى عليهن الجلابيب
والمخرج العاتك العذراء مذعنة * في السبي ينفح من أردانها الطيب

وكانت ريطة هذه من نساء العرب الموصوفات بالادب والفصاحة والحماسة لم يكن في زمانها أحسن منها سيرة وأعذب منطقا وألطف شارة لها جملة مراث غير هذه ولم تمكث زمنا بعد أخيها وذلك لحزنها عليه

حرف الزاى

﴿ زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي ﴾

هي امرأة هرون الرشيد وأم ولده محمد الامين كانت ذات معروف وخير وفضل ونفقة واسعة على البر وأصحاب الحاجات وقصة حجها وما فعلته في طريقها من الاحسان مشهورة في كتب التواريخ شهرة عظيمة فوق ما كان لها من شهرة الشرف والثروة الواسعة فانها جمعت شرف الخلافة من أطرافها فأبوها ابن خليفة وعمها المهدي خليفة وزوجها أشهر الخلفاء وابنها خليفة أيضا ولذلك قد كثرت عنها الحكايات والاخبار في كتب العرب قال ابن الجوزي انها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار وأنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحت الصخور حتى غلغلته من الحل الى الحرم وعملت عقبة البستان فقال لها وكيلها يلزمك نفقة كثيرة فقالت اعملها ولو كانت ضربة الفاس دينارا وكان لها مائة جارية تحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن وقيل كان اسمها أمة العزيز فلقبها جدها المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها قال ابن الاثير وكان مولد زبيدة بقصر حرب وهو قصر بناه حرب بن عبد الله من أكابر قواد المنصور حينما وجهه المنصور مع ولده جعفر أبي زبيدة ليكون تابعا عن مالك بن الهيثم في ولاية الموصل وهذا القصر بأسفل الموصل وتزوج بها الرشيد سنة ١٦٥ هجرية وكان يحبها كثيرا ويكرمها غاية الاكرام وكانت هي شديدة الحرص والاحتفاظ على رضاه ولم يكن يمنع عنها شيأ من كل ما تطلبه من نفقة

ومايتعلق بها و بغيرها مما يسرها و ينفعها غيرأنها بعد تلك الكرامة والعزة والابهة أصبحت بعد موت الرشيد في حالة سيئة من الكآبة والذل وخفض الجناح وذلك لما وقع بين الامين والمأمون من الفتن ولاسيما بعد ما قتل ولدها الامين في تلك الاثناء وقد كتبت للمأمون بأبيات ترثي بها سوء حالها بعد فقد ولدها وهي

خير امام قام من خير عنصر * وأفضل سام فوق أعواد منبر
لوارث علم الاولين وفهمهم * وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني تستهل دموعها * اليك ابن عمي من جفون ومحجر
وقد مسني ضير وذل كآبة * وأرق عيني يا ابن عمي تفكري
وهمت لما لاقيت بعد مصابه * فأمري عظيم منكر عند منكر
سأشكو الذي لاقيته بعد فقده * اليك شكاة المستضير المقهر
وأرجو لما قد مربي مذ فقدته * فانت لبثي خير رب معمر
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا * فما طاهر فيما أتى بمطهر

وذلك لان طاهر بن الحسين هو الذي قام بحرب الامين وكان السبب في قتله

فأخرجني مكشوفة الوجه حاسرا * وأنهب أموالي وأخرب أدوري
يعز على هرون ما قد لقيته * وما مربي من ناقص الخلق أعور
فان كان ما أبدى بامر أمرته * صبرت لامر من قدير مقدر
تذكر أمير المؤمنين قرابتي * فديتك من ذي حرمة متذكر

﴿وقالت زبيدة أم جعفر ترثي ولدها الامين﴾

أودى بالفين من لم يترك الناسا * فامنح فؤادك عن مقتولك الياسا
لما رأيت المنايا قد قصدن له * أصبن منه سواد القلب والراسا
فبت متكئا أرعى النجوم له * اخال سنته بالليل قرطاسا
والموت كان به والهم قارنه * حتى سقاه التي أودى بها الكاسا
رزئته حين باهيت الرجال به * وقد بنيت به للدهر آساسا
فليس من مات مردودا لنا أبدا * حتى يرد علينا قبله ناسا

فلما قرأها المأمون بكى وقال أنا الطالب بثأر أخي قتل الله قتلته ثم ان المأمون عطف على زبيدة فجعل لها مكانا في قصر الخلافة وأقام لها الوظائف والخدم والجواري وكانت حاضرة عند دخوله الغرفة التي زفت اليه بها بوران بنت الحسن وطلبت لها بوران منه الاذن بالحج فأجابها الى طلبها وألبست بوران يدها قسما من ملابسها وأما حجتها المشهورة فقيل أنفقت فيها في بناء المساجد والصدقات ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وأجرت الماء من دجلة الى عرفات ثم الى مكة حتى سقت أهلها كاس وهذه مبالغة عظيمة فالماء الذي أجرته الى مكة ليس من دجلة قيل وأجرت نبع العرعار من جبل لبنان الى بيروت حتى وصل الى وادي المكلس فبنوا له طبقات قناطر حتى يجري الماء فوقها الى جانبه الآخر وتطرق الى بيروت لانها كانت قد مرت من هناك في حجتها المذكورة فوجدت الماء قليلا والى الآن يقال لهذه القناطر قناطر زبيدة

والارجح أن بانية هذه القناطر انما هي زنوبية ملكة تدمر المعروفة باسم زبيدة أيضا ولها آثار كثيرة من مثل ذلك تدعى الزبيدية غالبا نسبت اليها منها بركة في طريق مكة بين العقيق والعذيب بها قصر ومسجد عمرتهما من مالها ومحلات ببغداد مشهورة أيضا باسمها ولكثرة مالها وسعة نفقتها ضرب المثل الحريري بقوله (لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها) ومما يحكى عن حلمها وحسن أخلاقها وفهمها أن أحد الشعراء مدحها بقصيدة يقول من جملتها

أزبيدة ابنة جعفر * طوبى لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما * تعطي الاكف من الرغاب

فهم الخدم بضربه وطرده وكانت هي خلف الستارة تسمعه فقالت دعوه لانه لم يرد الا خيرا ولكنه أخطأ الصواب فانه سمع شمالك أندى من يمين غيرك فقال أحسن من وجه سوالك فظن أن الذي ذهب اليه من ذلك القبيل أعطوه ما أمل ونبهوه على ما أهمل وأخبارها كثيرة منها انه حصل جفاء بينها وبين المأمون يوما فوجهت الى أبي العتاهية تعلمه بذلك وتأمره بان يقول أبياتا تعطفه عليها فقال

ألا ان ريب الدهر يدني ويبعد * و يؤنس بالالاف طورا ويفقد
أصيبت بريب الدهر مني يد علت * فسلمت للاقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر ان ذهبت يد * فقد بقيت والحمد لله لي يد
اذا بقي المأمون لي فالرشيد لي * ولي جعفر لم يفقدا ومحمد

فلما سمع المأمون هذه الابيات حسن موقعها عنده وأحسن اليها وبكى وقام من وقته اليها وأكب عليها وقبلت يديه وقال لها ما جفوتك تعمدا ولكن شغلت عنك بما لم يكن لغة اله فقالت يا أمير المؤمنين اذا حسن رأيك لم يوحشني شغلك وأتم يومه عندها

قال الحسن بن ابراهيم بن رباح كان مخارق المغني يهوى جارية لام جعفر يقال لها انهار ويستر ذلك عن مولاتها حتى بلغها ذلك فأقصته ومنعته عن المرور ببابها وكان بها كلفا فلما بلغه الخبر أن أم جعفر علمت بما فطمها وتجافاها اجلالا لام جعفر وطمعا في السلو عنها وبقي على ذلك حتى ضاق ذرعه وبينما هو ذات ليلة راكب في زلال وقد انصرف من دار المأمون وأم جعفر مشرف على دجلة اذ جاز دارها فرأى الشمع يزهر فيها ولما صار بمسمع منها ومرأى اندفع يغني

ان يمنعوني ممري قرب دارهم * فسوف أنظر من بعد الى الدار
سيما الهوى اشتهرت حتى عرفت بها * أني محب وما بالحب من عار
ما ضر جيرانكم والله يصلحهم * لولا شقائي اقبالي وادباري
لا يقدرون على منعي ولو جهدوا * اذا مررت وتسليمي باشعاري

فقالت أم جعفر مخارق والله ردوه فصاحوا به قدم فقدم وأمره الخدم بالصعود فصعد وأمرت له أم جعفر بكرسي وصينية فيها النبيذ فشرب وخلعت عليه وأمرت الجواري فغنينه ثم ضربت عليه فغنى وكان أول ما غنى به

أغيب عنك بود ما يغيره * نأي المحب ولا صرف من الزمن
فان أعش فلعل الدهر يجمعنا * وان أمت فقتيل الهم والحزن

قد حسن الله في عيني ما صنعت * حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن

ولما انتهى من غنائه اندفعت تهار فغنت كأنها تباين وانما قصدها اجابته عن معنى ما عرض لها به

تعتل بالشغل عنا ما تسلم بنا * والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ففطنت أم جعفر أنهما خاطبت بما في نفسها فضحكت وقالت ما سمعنا بأملح مما صنعتما ووهبتها له

ومنها ما قاله أبو العتاهية عن نفسه قال لما جلس الامين بالخلافة أنشدت أبياتاً وهي

يا ابن عم النبي خير البريه * انما أنت رحمة للرعيه

يا أمين الهدى الامين المصفى * بلباب الخلافة الهاشميه

لك نفس أمارة لك بالخير * وكف بالمكرمات نديه

ان نفساً تحملت منك ما حملت للمسلمين نفس قويه

وبعد فراغه من الابيات ذهب لام جعفر فقالت له أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين فأنشدها فقالت أين هذا من مدائحك في المهدي والرشيد فغضب وقال لها أنشدت أمير المؤمنين ما يحمل وأنا القائل فيه

يا عمود الاسلام خير عمود * والذي صيغ من حيا وجود

والذي فيه ما يسلي ذوي الاحزان من كل هالك مفقود

والامين المهذب الهاشمي الـقرم محض الآباء محض الجدود

ان يوماً أراك فيه ليوم * طلعت شمسه بسعد السعود

فقالت لي الآن وفيت المديح حقه وأمرت لي بعشرة آلاف درهم

قال محمد بن الفضل كان المأمون يوجه الى أم جعفر زبيدة في كل سنة مائة ألف دينار جددا وألف ألف درهم فكانت تعطى أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم فأغفلته سنة فرفع رقعة الى محمد بن الفضل وقال له ضعها بين يديها فوضعها وكان فيها

خبروني أن في ضرب السنه * جددا بيضا وصفرا حسنه

سككا قد أحدثت لم أرها * مثل ما كنت أرى كل سنه

فقالت أنا والله أغفلناه فوجهت اليه بوظيفة على يدي ابن الفضل المذكور ولها أخبار كثيرة خلاف هذه وكانت وفاتها ببغداد في جمادى الاولى سنة ٢١٦ هجريه رحمها الله تعالى

﴿زبيدة القسطنطينية﴾

هي ابنة أسعد بن اسماعيل بن ابراهيم بن حمزة الحنفية ذكرها المرادي من جملة مشاهير أبناء القرن الثاني عشر للهجرة وقال هي أم الفطنة الشاعرة المشهورة وصاحبة الديوان الاديبة الفاضلة الكاملة الحاذقة ولدت بالقسطنطينية ونشأت بكنف والدها شيخ الاسلام المولى أسعد مفتي الدولة العثمانية وقرأت القرآن واشتغلت بأخذ الفنون وقرأت الفقه واللغة والآداب ونظمت الشعر الفارسي والتركي وتعلقت على الادب واشتهر ذكرها وشاع صيتها وكانت تخترع كل معنى مبتكر تحار به الالباب وامتدحت سلاطين وقتها ووزراءه واشتغلت بمطالعة الكتب واتصل بها المولى الرئيس ودرويش عبد الله نقيب الاشراف وقائد العساكر وتنافس الناس بشعرها وتداولته الايدي وكانت وفاتها في ذي القعدة سنة ١١٩٤

﴿الزباء نائلة بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقي﴾

ملك الجزيرة ومشارف الشام كان جذيمة الابرش قتل أباها فملكت هي بعده ونهضت بالاخذ بثارها من
جذيمة قيل وكانت مملكتها من الفرات الى تدمر وجنودها بقايا العمالقة وغيرهم فلما استجمع لها الامر
واستحكم ملكها اهبت لغزو جذيمة فقالت لها أختها وكانت عاقلة ان غزوت جذيمة فانما هو يوم له ما بعده
والحرب سجال ثم أشارت عليها بترك الحرب واعمال الحيلة فأجابتها الى ذلك وكتبت الى جذيمة تدعوه الى
نفسها وملكها وقالت له ان ملك النساء قبيح في السماع وضعف في السلطان وانى لم أجد لملكها ونفسها
كفؤا غيرك فلما وصله الكتاب وهو ببقة من شاطئ الفرات استدعى خواصه واستشارهم في الامر فاجمع
رأيهم على أن يسير اليها ويستولى على ملكها ويتزوجها وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد من قبيلة
لخم وهو ابن جارية لجذيمة كان أبوه تزوجها وكان أديبا حازما ناصحا لجذيمة مقربا اليه فخالفهم فيما أشاروا
به وقال رأى فاتر وعدو حاضر وقال لجذيمة اكتب اليها ان كانت صادقة فلتقبل اليك والا فلا تمكنها من
نفسك وقد وترتها وقتلت أباها فقال جذيمة رأيك في الكن لا في الضح أى في البيت لا في الخارج ثم دعا
بابن أخته عمرو بن عدى فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان قومى مع الزباء فاذا رأوك صاروا معك
فأطاعه فقال قصير لا يطاع لقصير أمر ثم ان جذيمة استخلف على الملك عمرو بن عدى وعلى خيوله عمرو
ابن عبد الجن وسار في وجوه أصحابه ومعهم قصير فلما أبعدوا قليلا قال لقصير ما الرأى قال ببقة تركت
الرأى ثم استقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال يا قصير كيف ترى قال خطر يسير وخطب كبير
وستلقاك الخيول فان سارت أمامك فان المرأة صادقة وان أخذت جنبيتك فأحاطت بك فان القوم غادرون
فاركب العصا فانى راكبها ومسايرك عليها (والعصا فرس كانت لجذيمة لا تجاريها الخيل) فلما لقيته
الكتائب حالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة موليا على متنها فقال ويل امه حزما على متن
العصا ما ضل من تجرى العصا فلما وصلوا به أدخلوه على الزباء فأجلسته على نطع وأمرت بطشت من ذهب
وسقته الخمر بكثرة ثم أمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطشت وقد قيل لها ان قطر من دمه شئ فى غير
الطشت طلب بدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الرقبة تكرمة للملك فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من
دمه خارج الطشت فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله ثم هلك جذيمة على هذا الحال
وأما قصير فقد جرت به العصا الى غروب الشمس وقد قطعت أرضا بعيدة وقد سقطت بمية فدفنها وبنى
عليها بناء وسار حتى دخل على عمرو بن عدى وقال له تهيأ ولا تطل دم خالك فقال وكيف لى بها وهى أمنع من
عقاب الجو وكانت الزباء قد سألت كهنتها عن أمرها وكيفية موتها فقالوا لها نرى قتلك يكون على يد عمرو
ابن عدى فحذرت عمرا من ذلك اليوم واتخذت لنفسها سربا من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها حتى
اذا فاجأها أمر دخلت السرب ومضت الى الحصن ثم دعت برجل مصور حاذق في صناعته وأرسلته الى
عمرو بن عدى متنكرا وقالت له صوره قائما وجالسا ومتفضلا ومتنكرا ومتسلحا بهيئته ولبسته ولونه
وذلك حتى اذا رأته فى أية حالة منها تعرفه ففعل المصور ما أمرته به وأتى اليها بالصور وأما قصير فقال لعمرو
اجدع أنفى واضرب ظهرى ودعنى واياها ففعل به عمرو ذلك وخرج قصير حتى قدم على الزباء فادخل عليها
فلما رأته أجدع قالت لامر ما جدع قصير أنفه ثم قالت ما الذى أراه بك يا قصير قال زعم عمرو أنى غدرت
بخاله وزينت له المسير اليك ومالأتك عليه ففعل بي ما ترين فأقبلت اليك وقد عرفت أنى لا أكون مع أحد

هو أثقل عليه منك فاكرمته ورأت ما أعجبها من حزمه وحذقه ودرايته ومعرفته بأمور الملك فلما عرف أنها قد وثقت به قال ان لي بالعراق أموالا كثيرة ولي بها طرائف وعطر فابعثيني لاحمل مالي وأحمل اليك من طرائفها ومن صنوف ما يكون بها من التجارة فتصيبين أرباحا وبعض ما لا يكون للملوك غنى عنه فأذنت ودفعت اليه أموالا وجهزت معه الدواب فسار حتى قدم العراق وأتى عمرو بن عدى مختفيا وأخبره الخبر وقال جهزني بصنوف البز والطرف لعل الله يمكننا من الزباء فتصيب منها ثأرك فأعطاه ما طلب وعاد به الى الزباء فأعجبها ذلك كثيرا وزادت بقصير ثقتها ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته في المرة الاولى فسار الى العراق ولم يدع طرفة الا قدم بها عليها حتى تعجبت منه ثم عاد الثالثة وقال لعمرو اجمع لي ثقات أصحابك وجندك وهيئ لهم الغرائر (وهي كالصناديق كان هو أول من اخترعها) فلما تهيأت جعل كل رجلين في غرارتين على ظهر بعير وجعل معقد رؤسهما من باطنهما وقال لعمرو اذا وصلنا أقفك على باب السرب ثم أخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة فمن قاتلهم قاتلوه وان أقبلت هي الى سربها اقتلها أنت فلما تم ذلك سار قصير مجدا حتى اذا قرب سبق اليها وبشرها بكثرة ما حمل اليها من المال والتحف والثياب وكان السير في الليل ويكمن في النهار لراحة القوم فاشرفت الزباء من قصرها وأبصرت الابل مثقلة بالاحمال تسير الهوينا وتكاد قوائمها تسوخ في الارض فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

ثم دخلت الابل المدينة فلما توسطتها أنيخت وخرج الرجال من الغرائر ودخل عمرو على باب السرب ثم وضعوا السيف في أهل البلد وأقبلت الزباء تريد الخروج من السرب فلما أبصرت عمرا عرفته بالصورة فمصت سما كان بخاتمها وقالت بيدي لا بيد عمرو وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة ثم رجع الى العراق وجلس على سرير الملك بعد خاله جذيمة

﴿الزرقاء جارية ابن رامين﴾

كانت من المشهورات بالجمال والحسن والغناء وافتتن بها غالب أهل زمانها وكان الناس يقصدونها لسماع صوتها ويبذلون لها مالا خطيرا فاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفي بها فدخل عليها ومعه لؤلؤتان فقال لها قد بذل لي فيهما أربعون ألف درهم فقالت هبهما لي فقال أفعل ان شئت قالت شئت فحلف لا يعطيهما لها الا من فمه الى فمها فعزت الخادم فخرج وكان يزيد واقفا تكسرا بين يديها كالفايد به فجلس أمامها وتقدم اليها فأقبلت اتناولهما فجعل يروغ بفمه ليستكثر من مقابلتها فانقضت عليه فأخذتهما وقالت من هو المغلوب منا فقال والله لا يزال طيب هذه الرائحة في فمي ما حييت أبدا ولما أفضت الى جعفر بن سليمان وأبوه عامل المنصور على البصرة فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها في هذه الايام وقد خرج عليهم خارجي فمزح ففر الخادم فأخرجها اليه فبهت من جمال طلعتها وحلاوة منطقها فرضي ولم يعتب بعدها أبدا وقال للزرقاء يوما هل تمكن أحد من محبيك منك بشيء فخشيت أن تكتمه ما عساه أن يكون بلغه فأخبرته بواقعة الصيرفي فاحتال عليه حتى حصل عنده فضربه حتى مات وبقيت الزرقاء عنده في عز وجاه الى أن ماتت

﴿الزرقاء ابنة عدى بن قيس الهمدانية﴾

كانت ذات شجاعة وبلاغة عظيمة وكانت شهدت مع قومها صفين ولها جملة خطب ألقتها فى مواقف القتال حتى خيل لمن يسمعها أنها أضغاث أحلام وبينما معوية بن أبى سفيان جالس فى ديوانه بدمشق بعدما آل الامر اليه واجتمع حوله حاشيته تذاكروا حرب صفين فقال أحدهم انه رأى الزرقاء وهى راكبة على بعير واقفة بين الصفين وهى تحرض الناس على القتال ولم ترهب أحدا من الفريقين فقال معاوية أوهى حية الى الآن فقيل له نعم هى مقيمة بالكوفة فقال يجب أن نستقدمها الينا ثم كتب الى عامله بالكوفة أن يوفدها مع ثقة من ذوى محارمها وعدة من فرسان قومها وأن يمهد لها وطاء لينا ويسترها بستر حصين ويوسع لها فى النفقة فارسل اليها فاقرأها الكتاب فقالت ان كان أمير المؤمنين جعل الخيار لى فانى لا آتيه وان كان حتما فالطاعة أولى فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به فلما دخلت على معوية قال مرحبا وأهلا قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك قالت بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة قال أتدرين فيم بعثنا اليك قالت انى لا أعلم مالم أعلم قال ألست الراكبة الجمل الاحمر الواقفة بين الصفين تحضين على القتال وتوقدين الحرب فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ولم يعد ما ذهب والدهر ذوغير من تفكر بصر والامر يحدث بعده الامر قال لها معوية أتحفظين كلامك يومئذ قالت لا والله لا أحفظه ولقد أنسيته قال لكنى أحفظه لله أبوك حين تقولين أيها الناس ارعووا وارجعوا انكم قد أصبحتم فى فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيالها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها ولا تنساق لقائدها ان المصباح لا يضىء فى الشمس ولا تنير الكواكب مع القمر ولا يقطع الحديد الا الحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه أيها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها فصبرا يا معشر المهاجرين على المضض فكان قد اندمل الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق الظلمة فلا يجهلن أحد فيقول كيف وانى ليقضى الله أمرا كان مفعولا الآن ان الاوان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده (والصبر خير فى الامور عواقبا)

أيها فى الحرب قدما غير ناكصين ولا متشاكسين ثم قال لها والله يا زرقاء لقد أشركت عليا فى كل دم سفكه قالت أحسن الله بشارتك وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه قال أويسرك ذلك قالت نعم والله لقد سررت بالخبر فانى لك بتصديق الفعل فضحك وقال لها والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له فى حياته اذكرى حاجتك قالت يا أمير المؤمنين آليت على نفسى أن لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا ثم انصرفت وبعد ذلك أرسل لها معوية جائزتها

﴿زرقاء اليمامة ابنة مرة الطسمى﴾

هى اخت رياح بن مرة كانت حادة البصر ليس على وجه الارض أبصر منها وكانت تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال فلما أغار على قومها الملك حسان أحد ملوك اليمن وكان أخوها مع القوم وذلك فى خبر طويل وحين قربوا من اليمامة حذرهم رياح من أخته وأخبرهم بانها تنظر الراكب من مسيرة كذا ميلا وأمرهم أن يقلعوا الشجر وكل شخص يحمل أمامه شجرة ففعلوا ثم ساروا ولما أشرفت من منظرها قالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها مالك قالت أشجار تسير وراءها شئ وانى لأرى رجلا

من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت فعقلوا عن أخذ أهبة الحرب ففي ذلك تقول الزرقاء لجديس تحذرهم

انى أرى شجرا من خلفها بشر * فكيف يجتمع الاشجار والبشر

سيروا بأجمعكم في وجه أولهم * فان ذلك منكم فاعلموا الظفر

فلم يسمعوا لها وهجم عليهم الملك حسان بحمير فافناهم وشتت شملهم فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة فأمر بها فنزعت عيناها فاذا هي داخلها عروق سود فسألها عن ذلك فقالت حجر أسود يقال له الاثمد كنت أكتحل به فنسب الى بصرى وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو وهو اسم البلد الذى كانت جديس مقيمة فيها وسميت الزرقاء المذكورة باسمها

﴿زليخا امرأة قطفير عزيز مصر﴾

قيل ان اسمها راعيل ابنة عابيل وقيل اسمها بكا ابنة فيوش وأكثر الثوار يخ أن اسمها زليخا كان والدها من أولاد ملوك القبط الذين حكموا مصر قبل دخول العرب الذين سماهم المؤرخون ملوك الرعاة كانت زليخا رأت في نومها انها ستكون ملكة على مصر وان القمر صار تاجا لها ولبسته يوم توليتها على عرش المملكة فقيل لها انها ستتزوج بملك مصر ومضى على ذلك أيام وليال ولم يظهر لمنامها تأثير حتى انها تزوجت بقطفير عزيز مصر الذى كان بذلك الزمان محافظا على البلد من قبل ملكها وظنت ان منامها كان أضغاث أحلام فصرفت أفكارها عما رأت وفي أثناء ذلك دخلت العرب الى مصر واستولت عليها وأبقت من دخلوا تحت الطاعة في الاحكام مثل قطفير وخلافه وبذلك صارت زليخا مسموعة الكلمة مطاعة الاوامر مقبولة الرجاء عند ملوك الرعاة ولم تطلب أمرا الا أجاب عليه وبقيت تحت قطفير حتى قيض الله لها يوسف بصفة عبد جاءت به التجار وصارت عليه المزايدة حتى رسا مزاده على قطفير زوج زليخا فأخذه اليها وأمرها باكرامه فأخذته اليها وأكرمت مثواه اكراما لا مزيد عليه حتى جعلته بمثابة أولاد الملوك وكانت تلبسه الديباج وقراطق الحرير وتوقفه على رأسها وتأمره بما تريد من أمرها ولما تفرس العزيز في يوسف الخير والصلاح لم ينزله منزلة العبيد بل قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهو يومئذ ابن سبع سنين وقيل سبع عشرة سنة فكانت زليخا تمشط شعره بيدها وتخدمه بنفسها وما زالت زليخا في كل يوم تحسن الى يوسف وتتولى أمره حتى مال قلبها اليه وتكاثر وجدها عليه وهو مع ذلك لا يلتفت اليها بعينه حياء من ربه ولا ينظر اليها حتى تكاثر همها ودق عظمها وكابدها الشجون وواصلها النحول فلما عيل صبرها وضاق صدرها دخلت حاضنتها فقالت لها يا سيدتى أرى غصنك ذابلا وجسدك ناحلا وقلبك سائلا فقالت لها وكيف لا وأنا أخدم هذا الغلام منذ سبع سنين ألاطفه بلسانى وأتحبب اليه باحسانى وكلما ازددت ميلا اليه زاد اعراضا عنى وكلما قربت منه تباعد منى فقالت الحاضنة يا سيدتى لو نظر اليك لكان أسرع اليك منك اليه ولو نظر الى حسنك وجمالك وصفائك لوك ما قر له قرار دونك فقالت لها وكيف لى به قالت لها مكنينى من الاموال فقالت هذه خزائنى بين يديك خذى منها ما شئت ودعى ما شئت لا حساب عليك فى ذلك فتمكنت من الاموال ودعت أهل البناء والهندسة وقالت أريد بيتا ترى الوجوه فى سقفه وحائطه كما ترى فى المرآة المصقولة فاجابوا بالسمع والطاعة

ثم بنوا لها بيتاً سمته القيطوم فلما تكامل بناؤه وتم اتقانه دعت بحضور مصور حاذق فصور في الحائط صورة يوسف وزليخا متعانقين ولم يبق من صورتهما شئ الا صوّر وأمرت بسرير من ذهب مرصع بالدر والياقوت واللؤلؤ فوضعته في صدر البيت وجعلت عليه فرش الديباج والحرير الملون ثم فرشت البيت وأرخت الستور ثم ألبست زليخا من نوع الحلي والحلل النفيسة مالا يوصف ولا يقدر بقيمة وأجلستها على مرتبة عظيمة مما يليق بمثلها ثم خرجت الى يوسف وهي مستعجلة فقالت يا يوسف أجب سيدتك زليخا فانها تدعوك في بيتها القيطوم وكان اسمه بالهامطيما وكان بيده قضيب من ذهب يلعب به فرمى القضيب من يده وأسرع الى الباب ليدخل فنادته زليخا مستعجلة له بالدخول فظن السوء في نفسه وأراد الرجوع بعد أن وضع رجله داخل العتبة فتوقف عند ذلك وزاد احساس قلبه بالشر فاسرعت اليه وجذبته الى السرير وقالت هيت لك فاغمض عينيه وكف يديه ونكس رأسه حياء من الله تعالى فقالت له يا يوسف ما أحسن وجهك قال الله صوره في الارحام قالت ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسقطان مني في قبري قالت ما أحسن شعرك قال هو أول ما يبلى مني قالت يا يوسف ما أطيب ريحك قال لو شممت رائحتي بعد ثلاث لفررت مني قالت يا يوسف أتقرب اليك فتتباعد مني قال لها أرجو بذلك التقرب من ربي قالت انظر الي نظرة واحدة قال لها أخشى العمى من ربي في آخرتي قالت ضع يدك على فؤادي قال لها اذا تغل في النار يدي قالت أشتريتك بمالي وتخالفني فقال الذنب لاخوتي اذ باعوني حتى ملكتيني قالت اصبر معي ساعة واحدة في البيت قال لها ليس فيه شئ يسترني من ربي قالت يا يوسف بأي وجه تخالفني وبأي حكم ترجع عن مرادي ولا ترعى صنعي قال لها حكم الهي الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وبطشه واكراما لسيدي الذي أكرم مثواي وأنزلني منزلة الاولاد فقالت له أما الهك الذي في السماء فاني أفتح بيوت الاموال وأتصدق عنك بها وأهديها اليه حتى يرضى عنك ويغفر لك ولا أبالي أنا فيما يفعل في حق لمرادي وقضاء حاجتي وأما سيدك الذي أكرم مثواك فانا أطعمه السم حتى ينتثر لحمه ويسقط عظمه ويموت جهدا وكمدا وأكون أنا وأموالي وما ملكت يداي ملكك وطوع يمينك قال اذا فما يكون عذري يوم القيامة بين يدي ربي اذ أكون فضلا عن ارتكاب المعصية سببا في جريمة قتل سيدي الذي أحسن الي وبعد هذه المحاورة التفت يوسف الى صنم داخل البيت وعليه سترة فقال لها لما ذا سترت هذا الصنم قالت استحيت منه فقال اذا كنت تستحين من هذا وهو لا يسمع ولا يرى ولا ينفع ولا يضر فكيف أنا لا أخاف من ربي وقام وبادر بالخروج من الباب من غير أن يكون بينهما سبب من الاسباب وقد شهد الحق له بذلك في كتابه العزيز بقوله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) ولما رأته فر يريد الباب أدركته وجذبت قميصه من خلفه فتمزق القميص ووافق ذلك الوقت أن العزيز مر بالباب يريد قضاء بعض حوائجه فاذا بوجبة فالتفت فاذا بالباب يحمل ويساق فدفع الباب وقال من فاذا يوسف مقدود الثوب باكي العين واذا زليخا ناشرة الشعر محمرة الوجه باكية العين فقال العزيز فيم أنتما فقالت زليخا يا سيدي غلامك العبراني الذي ائتمنته على أهلك ومننت عليه بفضلك وأحللته محل ولدك يريد بأهلك السوء فاقبل العزيز على يوسف بوجهه وقال يا يوسف هذا جزائي منك ائتمنتك على أهلي وأحللتك محل الاولاد المكرمين ورجوت الخير والانتفاع بك فصرت تخونني في أهلي فقال يوسف معاذ الله أن أخونك في أهلك وأرضى بذلك بل هي راودتني عن نفسي فوقف العزيز متحيرا ينظر اليها تارة واليه أخرى

فقال يوسف ان لي شاهدا يشهد ببراءتي فقال العزيز ما هو الشاهد ولم يكن معكما أحد في البيت فقال انظر
هذا القميص كيف قد من دبر فلو كنت أنا المراود لكان القميص قد من قبل وهذا برهان محسوس على ذلك
وكان مع العزيز ابن عم زليخا فلما سمع هذا الدليل وجده قاطعا فقال انظر الى قميصه ان كان قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فنظر العزيز الى القميص
فوجده قد من دبر فقال لها ان ذلك من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم قال ليوسف اكتم هذا ولا تبح به
لاحد وقال لها استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ثم تركهما وانصرف

وبعد ذلك قالت ليوسف قد فضحتني والله لاسلمنك للمعذبين يعذبونك حتى ينسل جسمك كما سلت
جسمي فقال لها ان كنت احتقرتني لغربتي فالله حسبي ونعم الوكيل واشتغلت عن ذلك بكلفها به
وشاع الخبر بمصر أن امرأة العزيز راودت فتاها عن نفسه قد شغفها حبا وقد اجتمع نساء الملوك والامراء
والقادة مرة وتذاكرن أمرها فاستقبحنه وقلن انها في ضلال مبين فبلغ ذلك زليخا وعظم عليها فارادت أن
تبين عذرها لهن فيه فصنعت لهن صنيعا وأرسلت اليهن تدعوهن لضيافتها وهيأت لهن مجلس أنس
وأوجدت فيه كل معدات الطرب وكن عشر نسوة من نساء الملوك والامراء وعشر بنات أبكار من بنات
الملوك والامراء وبعد أن تناولن الطعام قدمت لكل واحدة منهن صحفة من عسل وأترجة وسكينا حادا
وقالت لهن ما حقي عليكن فقلن لها أنت سيدتنا وكبيرتنا والطاعة فينا نسمع لك ونطيع فقالت لهن بحق
عليكن اذا خرج عليكن فتاي يوسف الا ما قطعتن له مما في أيديكن وأعطيتنه يأكل فقلن لها حبا وكرامة
فتركتهن وذهبت الى يوسف وقالت له يا يوسف أطعني اليوم واعصني أبدا قال أما ما لم يكن فيه سخط ربي
فلا أبالي فقالت له دعني حتى أزينك وان كنت مزينا قال اصنعي ما بدا لك فرصعت جوانبه بالدر والياقوت
وكللت جبينه بالجوهر وألبسته قباء أخضر ومنطقته بمنطقة من ذهب أحمر ووضعت على عاتقه منديلا
من السندس وكاسا من ذهب في يده وقالت اخرج عليهن فاذ رأين منك ما رأيت لذهبن عن أنفسهن
ولتركن الطعام والشراب ولمن أنفسهن كالمنتي فخرج عليهن وهن قعود يقطعن في الاترج فلما رأينه
ظنن أنه صنم زليخا الذي تعبده وكن يسمعن به ويحببن أن ينظرن اليه فلما بدا لهن يوسف أكبرنه وصرن
شبه السكارى والحيارى من كثرة تعجبهن من جماله وكماله وأمعن في نظرهن الى حسنه وجماله ورمن أن
يقطعن ما في أيديهن كما شرطت زليخا عليهن فصرن يقطعن أيديهن وصارت الدماء تسيل في حجورهن
ولا يجدن ألم القطع ولا حدة السكاكين ولا وقوع الدم على الاجسام ويوسف يقول ويحكن ماذا
تصنعن بأنفسكن انما أنا عبد من عبيد ربي وزليخا تضحك مما تراه منهن من تقطيع أيديهن وذهاب
عقولهن وأمرنه بالانصراف فلما غاب عن عيونهن رجعن الى حسهن فقالت لهن زليخا ويحكن من
لحظة واحدة فعلتن بأنفسكن هذا وأنا منذ سبع سنين أقاسي منه ما أقاسي وأخدمه على أطراف
البنان وهو لا يعيرني طرفه ولا يلتفت نحوي فقلن لها حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
فقالت لهن ما هذا الذي فعلتنه بأنفسكن فلما رأين ما نزل بهن أدركهن الخجل وذكرن ما لم ينتبهن به

فقالت لهن هذا الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وأبي ولئن لم يفعل ما آمره لاسجننه
وأعذبنه حتى يكون من الصاغرين وقد أقرت لهن بأمرها لكونهن عذلنها ورأتهن وقعن بما وقعت
به فقلن لها انك لمعذورة فقربينا أن نكلمه بشأنك عساه أن يطيع ويسمع عندما نوبخه عن اعراض نفسه

واذنت

فأذنت لهن بالدخول طمعا في أن يملنه اليها فجعلت كل واحدة منهن اذا خلت به تدعوه الى نفسها وتشكو اليه وجدها فقال يوسف يا رب كانت واحدة ولم أقدر عليها الا بعنايتك وقد صرن جماعة رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين

ولما رأين أن لا حيلة لهن باستمالته قلن لها افعلي ما بدا لك فيه فطاولته مدة من الزمن ولما يئست منه قالت لزوجها ان هذا الغلام فضحني بين الناس ونكس رأسي بين نظرائي وقد شاع خبري وخبره في مصر ولا براءة لي عندهم الا أن أحبسه في السجن فقال لها زوجها لا يحبسه الا الملك الريان بن الوليد وكان مراده أن يخرج أمره من يدها لانه اذا كان أمره بيدها ربما حنت عليه وأخرجته من السجن فلما سمعت ذلك لبست ثيابها وزينتها وجعلت تاجها على رأسها وخرجت حتى أتت الى الريان بن الوليد وكان في بيته الاعظم وهو بيت من الحديد والنحاس فيه الزخارف بأنواع الجواهر والمعادن وكان يجلس في أعلى الباب حتى اذا دخل عليه أحد يراه قبل دخوله فان شاء أذن له والا ينصرف ولما رأى زليخا مقبلة أذن لها بالدخول وأمر الغلمان بفتح الابواب أمامها وكانت ذات قدر عظيم عنده مسموعة الكلمة لانها من بنات الملوك ولما دخلت على الملك خرت له ساجدة فقال لها الملك ارفعي رأسك فانت المقربة المرضية وحاجتك عندي مقضية فرفعت رأسها اليه وأخذت في الثناء عليه بقولها أيها الملك دام لك العز والبقاء وألبست ثوب النعمة والرخاء لم تزل لي مكرما ولقضاء حاجتي مسرعا وان عبدي العبراني قد استعصى علي وأحب أن تأذن لي بحبسه في سجن المجرمين حتى يتأدب ولو بعد حين فقال لها قد أجبتك وجعلت أمر السجن بيدك فانطلقي فاطلقي من شئت واحبسي من شئت فأخذت اذنه ورجعت الى منزلها وأمرت باحضار الحدادين اليها فمثلوا بين يديها فقالت لهم اني أريد أن تصنعوا لي قيدا محكما لعبدي يوسف العبراني فقالوا أيتها الملكة المطاعة في أمرها العظيمة في قومها انا نرى بدنا ناعما وساقا رقيقا ووجها أنيقا وانه ربي بنعمة كاملة وعافية شاملة فكيف يقوى على حمل القيد الحديد الثقيل فقالت قيدوه وهذا لا يعنيكم فقال يوسف افعلوا ما أمرتكم به فاني من أهل بيت البلاء فقيدوه وحملوه على الاكتاف وانطلقوا به الى السجن وتسامع الناس به فأقبلوا اليه من كل مكان حتى غصت الطرقات وصاروا ينظرون اليه ويقولون انه عصى سيدته الملكة وهو منكس رأسه ويقول هذا خير من عصيان رب العالمين فلما وصلوا به الى السجن قالوا للسجان خذ هذا فان سيدته غضبت عليه وأمرت أن يسجن في سجن المجرمين فأدخله السجان الى السجن ووضعه بين أصحاب الكبائر والجنايات ودخل العزيز على زليخا وقال ما فعلت بيوسف قالت قيدته وحبسته وكان مرادها أن تخرجه عن قريب فقال لها أقسمت عليك بالملك الريان ورأسه الا ما أبقيت يوسف في السجن ما دام الملك حيا فلم يمكنها الا ابرار القسم وأدركها الندم ولم تجد عذرا تخرجه به وكانت تصعد اذا جن الليل الى أعلى قصرها وتنظر الى جهة السجن وتبكي وتقول حبيبي يوسف ليت شعري أنائم أنت أم يقظان أجائع أنت أم عطشان وتبقى على ذلك النحيب والبكاء حتى ينفجر الصبح وجدا عليه وشوقا اليه وقد أخذها الغرام وخالطها الهيام وداخلها السقام وهجرها المنام وتعذر على ناعتها اثباتها ودامت على ذلك لا تشكو الا بذكره ولا تسأل الا عن أمره مدة اثنتي عشرة سنة حتى أذن الله ليوسف بالخروج من السجن كما جاء في قصته ولم يشأ الخروج الا بعد براءة ساحته فجاء الملك بالنسوة اللاتي قطعن أيديهن وسألهن عن ذنب يوسف بقوله ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه وكيف دعوتنه الى الفاحشة فأقررن عند ذلك

وقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولا كانت له رغبة فينا ولا دعوة للزنا وانه لبرىء الساحة طاهر الذيل فقالت زليخا هذا وقت بيان الحق واضمحلال الباطل ان مراد حبيبى اقرارى فأنا أقر بذنبى الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولما ظهرت براءة يوسف وتبرأ الملك وحصل القحط فى مصر نسى زليخا ولم يفتكر بها لكثرة شغاله وقد مات العزيز زوجها وهى لكثرة اسرافها نفدت أموالها خصوصا فى أيام القحط التى حصلت بمصر فى مدة يوسف حتى صارت لا تملك شيأ ومدت يدها للسؤال فقيل لها لو تعرضت للصديق لرحمك وأعطاك شيأ عن الناس يغنيك وقيل لها من آخرين لا تفعلى فربما يذكر ما كان منك اليه من المراودة وطول السجن والمخالفة فيسىء اليك ويعاقبك فقالت أنا أعلم بحبيبى منكم ان من خلقه الصفح والاحتمال والفضيلة والابتهال ثم نهضت حتى جلست على ربوة بطريقه وكان ليوسف يوم يركب فيه فى كل أسبوع وكان يركب معه من عظماء دولته ووزرائه وقواده وأرباب مملكته نحو المائة ألف نفس فلما أقبل يوسف وأحست به قامت ونادت بأعلى صوتها سبحان من جعل العبيد ملوكا بالطاعة وجعل الملوك عبيدا بالمعصية فامسك العنان ونظر اليها وهى واقفة فى ذلك المكان فقال لها من أنت قالت أنا التى كنت أخدمك دهرا وأرجل جمتك وكان منى ما كان فى ذلك الزمان فقد ذقت وباله ولقيت نكاله وتغيرت كما ترى أحوالى وصرت أسأل الناس الذين كانوا يسألونى فمنهم من يرحمنى ومنهم من يعرض عنى وهذا جزاء من خالف مولاه واتبع هواه فلما سمع الصديق كلامها بكى اشفاقا عليها ثم قال لها هل بقى بقلبك شىء مما كان قالت والله لنظرة فيك أحب الى من الدنيا وما فيها ثم قالت ناولنى طرف سوطك فناولها اياه فوضعته على قلبها فأحس يوسف بانتفاض يده مع السوط من شدة انتفاض قلبها وقال لها ما أصاب قلبك فقالت يا يوسف هو كما ترى فقال لها اذهبى الى منزلك وانا سننظر فى أمرك ثم ذهب باكيا وبعد وصوله الى مستقره أرسل اليها رسولا فقال لها يقول لك الملك ان كنت أيما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت للرسول اليك عنى فان الملك أعرف بالله من أن يستهزئ بى فانه لم يلتفت الى أيام شبابى وجمالى فكيف يلتفت الى الآن ولم تصدق قوله فرجع الرسول وأخبر الصديق بما قالت وذكرت من شأنها فعلم أنها غير واثقة بما قاله لها الرسول فلما كان فى الاسبوع الثانى مر الصديق عليها وكبه فرآها على الحالة التى رآها بها أول مرة وقالت له كما قالت فى الاول فقال لها ألم يبلغك رسولى ما أرسل به اليك فما ترين فقالت ألم أقل ان نظرة اليك أحب الى من الدنيا وما فيها فلما سمع منها ذلك أمر بحملها الى قصره وأحضر الشهود وتزوجها فلما زفت عليه وأدخلت اليه نظر اليها فازداد اشفاقا عليها فاكرمها اكراما لا مزيد عليه ورتب لها من يقوم بأودها ولم يمض زمن حتى عاد اليها جمالها ورونقها واليها بهاؤها وكمالها وذلك من سرورها بما نالت من حبيبها حلالا بعدما الحرام وانتقالها من دنيا الى أخرى بقدرة الملك العلام وقيل انها طلبت اليه أن يدعو الله أن يرد لها جمالها ففعل وهنالك تذكرت المنام الذى كانت رأته قبل تزوجها بقطفير فرأت أن تفسيره قد حصل بزواجها بيوسف أن لبست تاج مصر فى مدته وصارت ملكة كعادة زمانهم ولما دخل عليها يوسف وجدها بكرا فتعجب من ذلك وقال لها ما كنت تفعلين حين راودتينى عن نفسى قالت أيها الصديق اعذرنى ولا تلمنى فان الله كساك حلة الجمال والبهاء والكمال وكان زوجى عنينا لا يقرب النساء فغلب على حب الشهوة ففعلت ما فعلت

ولما أتاها ولدت له افرايم وبعده منشا وذلك فى مدة أربع سنوات ولم تلد له خلافهما مدة حياتها

﴿زوى امبراطورة المملكة الشرقية﴾

هي ابنة قسطنطين التاسع زفت الى رومانوس الثالث سنة ١٠٢٨ ثم عشقت صا نعا يدعى ميخائيل وهو ميخائيل الرابع البافلاغوني فاهلكت زوجها وتزوجته فرقي تخت الملك ولم يلبث أن أساء معاملتها فاتفقت مع أخيه وعلى رواية ابن أخيه يوحنا الملقب من ثم ميخائيل الخامس وخلعاه ورقى ميخائيل تخت الملك سنة ١٠٣٥ فأساء معاملتها أيضا فأثارت هيجانا في القسطنطينية وخلعت ميخائيل ورقت مكانه مع أختها تيودورا فتزوجت وكانت في الثالثة والستين من عمرها قسطنطين العاشر موفوماخوس سنة ١٠٤٢ فصفا لها الجو وحكمت كيف شاءت الى أن هلكت سنة ١٠٥٢ ميلادية

﴿زينب ملكة تدمر﴾

كانت آية زمانها في الجمال ونادرة عصرها في الفضل المقرون بالجلال تعرف عند الرومان (زنوبيا) ملكة الشرق تولت عرش تدمر بعد زوجها أذينة المقتول عام ٢٦٧ للميلاد وكان اشتد ساعدها ورسخت في البلاد وطأتها شادت في عاصمتها البنايات الباهية الانيقة وغرست في ضواحيها الرياض الزاهية حتى تركتها جنة من الجنان فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان ثم جنحت الى المغازي والفتوحات فدانت لشدة بأسها العباد وفتنت ببديع حسنها وسحر أساليبها الملوك فاسكرها الفوز والنصر وبعثها على التمادي في طلاب العز والتماس الفخر فبعثت بالسرايا والصوائف الى مصر فقهرتها واقبت ذاتها بالقاب أغاظت عليها احد ملوك الرومان فناوتها او زحف عليها أورليان قيصر الروم فعبأت الجيوش وقابلته على مقربة من أنطاكية فهزمها شر هزيمة حتى اعتصمت منه بقاعدة بلادها تدمر فأدار عليها رحى الحرب حصارا وقتالا حتى تداعت له أسوارها عنوة فاعمل في أهلها السيف وفي قصورها التخريب حتى غادرها قاعا صفصفا يأوي اليها البوم والقطا نادبة سالف مجدها المذكور وقديم عزها المأثور وأما زنوبيا فأسرها أورليان وقادها الى عاصمة الرومان ذليلة صاغرة حيثما دخلها بموكب حافل وهي ترسف بقيودها الذهبية أمام العواجل وكان ذلك عام ٢٧٢ للميلاد فسبحان الحي الباقي من لا عاصم من يديه ولا واقي وأما تدمر فهي مدينة قديمة ذات آثار عظيمة كانت تعرف بمدينة النخل ويسميها الاقدمون بالمبرى واقعة بين نهري الفرات والعاصمة تبعد بنحو ٩٠ ميلا عن حمص الى الشرق و ١٥٠ ميلا عن دمشق الى الشمال الشرقي قيل انها سميت باسم تدمر بنت حسان التي بنت المدينة في أيامها والصحيح أنها من بناء سليمان كما ورد في التوراة وقد زعم العرب أن الجن بنوها له وعلى ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له * قم في البرية فاحددها عن الفند

وخبر الجن أني قد أمرتهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

ولم تنل تدمر عزا مثل ما نالته في مدة زنوبيا ولم يرجع اليها رونقها الاصلي أبدا حتى صارت خرائب في هذا الزمان يأوي اليها البوم والغربان

﴿زينب ابنة عبد الله بن عبد الحليم﴾

كانت حنبلية المذهب وهي بنت أخي الشيخ تقي الدين قال الحافظ ابن حجر سمعت من ابن الجار وغيره

وحدثت وانتفع الناس بعلمها ولي منها اجازة وهي من نساء الحديث المشهورات ذات لهجة صادقة ولذلك عدت من المحدثين

﴿زينب ابنة محمد بن عثمان بن عبد الرحمن الدمشقية﴾

كانت أحسن نساء زمانها منظرا وأعذبهن مقالا وأفصحهن منطقا وأعلمهن بالفقه والحديث وكان يعرف أبوها بابن العصيدة حدثت بالاجازة العامة عن فخر الدين ابن البخاري وغيره ومن تلامذتها الحافظ ابن حجر وله منها اجازة وعمرت أكثر من مائة سنة وعشر سنين وكانت حلقة درسها لا تقل عن الخمسين طالبا للحديث ولم يسمع بامرأة مثلها اقتصت حلقة درس واجتمع فيه طلاب مثل طلاب حلقة درسها

﴿زينب ابنة عثمان بن محمد لؤلؤ الدمشقية﴾

كانت من أفاضل العلماء ولها اليد الطولى في علوم السنة سمعت من الحافظ ابن البخاري وأخذ منها الحافظ ابن حجر وتوفيت سنة ثمانمائة ولها رسائل في الفقه والسنة استند عليها كثير من العلماء

﴿زينب المرية﴾

هي ابنة أحد مشاهير العرب ولدت بالمرية من أعمال الاندلس ولم نقف على تاريخ ولادتها واسم أبيها والذي وصل الينا أنها كانت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وأدب وظرف وتهذيب ولطف رقيقة المعاني جزلة الالفاظ حاضرة النادرة لها شعر بديع جالست الادباء وساجلت الشعراء حتى انها كان يشار اليها بالبنان في ذلك الاوان ومن شعرها

يا أيها الراكب الغادي مطيته * عرج أنبئك عن بعض الذي أجد

ما عالج الناس من وجد تضمنهم * الا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا

حسبي رضاه واني في مسرته * ووده آخر الايام اجتهد

وتوفيت بالمرية مأسوفا عليها من ذوي الادب وأهل العلم

﴿زينب ابنة حدير﴾

كانت من عاقلات ذلك العصر وأطوعهن لازواجهن وكان زوجها القاضي شريح كما روى عنه الشعبي فانه قال قال لي شريح يا شعبي عليكم بنساء بني تميم فانهن النساء قلت وكيف ذلك قال انصرفت من جنازة ذات يوم ظهرا فمررت بدور بني تميم فاذا امرأة جالسة في سقيفة على وسادة وفي جانبها جارية كأنها البدر في الليلة الداجية فاستسقيت فقالت لي أي الشراب أعجب اليك النبيذ أم اللبن أم الماء قلت أي ذلك تيسر عليكم فقالت اسقوا الرجل لبنا فاني اخاله غريبا فلما شربت نظرت الى الجارية فأعجبتني فقلت من هذه قالت ابنتي قلت وممن قالت زينب بنت حدير احدى نساء تميم ثم احدى نساء بني حنظلة ثم احدى نساء بني طهية قلت أفارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت نعم ان كنت كفؤا لها عم فاقصده فانصرفت الى عمها فقال يا أبا أمية ما حاجتك قلت اليك قال وما هي قلت ذكرت لي بنت أخيك زينب بنت حدير قال ما بي عنك رغبة ولا بك عنها مقصر وانك لنهزة وزوجني بها وبارك القوم لي ثم

ثم مضنا فلما بلغت منزلي حتى ندمت فقلت تزوجت الى أغلظ العرب وأجفاها فهممت بطلاقها ثم قلت
أجمعها الي فان رأيت ما أحب والا طلقتها فاقمت أياما ثم أقبل نساؤها يهادينها فلما أجلست في البيت أخلى
لي البيت فقلت يا هذه ان من السنة اذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي وتصلي ركعتين ويسألا الله خيرا
ليلتهما ويتعوذا بالله من شرها فقمت أصلي ثم التفت فاذا هي خلفي فصليت فاذا هي على الفراش فمددت
يدي فقالت على رسلك فقلت احدى الدواهي منيت بها فقالت ان الحمد لله وحده أحمده وأستعينه اني
امرأة عربية ولا والله ما سرت سيرا قط أشد علي منه وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك فحدثني بما تحب
فآتيه وما تكره فانزجر عنه فقلت الحمد لله وصلى الله على محمد قدمت خير مقدم على أهل دار زوجك سيد
رجالهم وأنت سيدة نسائهم أحب كذا وأكره كذا قالت أخبرني عن أختانك أتحب أن يزوروك فقلت
اني رجل قاض وما أحب أن تملوني قال فبت بأنعم ليلة وأقمت عندها ثلاثا ثم خرجت الى مجلس القضاء
فكنت لا أرى يوما الا هو أفضل من الذي قبله حتى اذا كان عند رأس الحول دخلت منزلي فاذا عجوز تأمر
وتنهى فقلت يا زينب من هذه فقالت والدتي قلت حياك الله بالسلام قالت أبا أمية كيف أنت وحالك قلت
بخير والحمد لله قالت كيف زوجتك قلت كخير امرأة قالت ان المرأة لا ترى في حال أسوأ خلقا منها في حالين
اذا حظيت عند زوجها واذا ولدت غلاما فان رابك منها ريب فالسوط فان الرجال والله ما حازت الى بيوتهم
شرا من الورهاء المتدللة قلت أشهد أنها بنتك قد كفيتنا الرياضة وأحسنت الادب قال فكانت في كل
حول تأتينا فتذكر هذا ثم تنصرف قال شريح فما غضبت عليها قط الا مرة واحدة كنت لها ظالما فيها
وذلك أني كنت امام قومي فسمعت الاقامة وقد ركعت ركعتي الفجر فأبصرت عقربا فعجلت عن قتلها
فأكفأت عليها الاناء فلما كنت عند الباب قلت يا زينب لا تحركي الاناء حتى أجيء فعجلت فحركت الاناء
فضربتها العقرب فجئت فاذا هي تلوى فقلت مالك قالت لسعتني العقرب فبهذا السبب كان غضبي
لتعجيلها رفعه وكان لي جار يضرب زوجته فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم تضرب زينبا
أأضربها في غير جرم أتت به * الي فاعذري اذا كنت مذنبا
فتاة تزين الحلي ان هي حليت * كأن بفيها المسك خالط محلبا

زينب ابنة جحش

أم المؤمنين بنت جحش بن الرباب زوجة النبي صلى الله عليه وسلم تكنى أم الحكم وأمها أميمة بنت
عبد المطلب عمة النبي كانت قديمة الاسلام ومن المهاجرات مع الرسول وكانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم
تحت زيد بن حارثة ومضى النبي يوما الى بيته لغرض فرفعت الريح باب الخباء فرأى زينب حاسرة فأعجبته
ومن ثم كرهت الى زيد فلم يستطع أن يقربها فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال أرابك فيها شيء
قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله ففارقها زيد واعتدت فقلت للرسول
صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عليه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
من يبشر زينب أن الله قد زوجنيها وقرأ عليهم (واذ تقول للذي أنعم الله عليه) الآية فكانت زينب تفخر
على نسائه وتقول زوجكن أهلكن وزوجني الله من السماء وذلك سنة ٥ للهجرة فلما دخل عليها قال لها

ما اسمك فقالت برة فسماها زينب ولما تزوجها تكلم في ذلك المنافقون وقالوا حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه لان زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعى بابن محمد على سبيل التبني فأنزلت الآية وهي (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) والآية الاخرى (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) فدعي زيد من ثم بابن حارثة وكانت زينب قصيرة جميلة صناع اليدين صوامة قوامة تشتغل وتتصدق من شغل يدها وقالت عائشة يرحم الله زينب بنت جحش لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف ان الله عز وجل زوجها نبيه ونطق به القرآن وان الرسول قال لنا ونحن حوله أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا فبشرها بسرعة لحوقها به وهي زوجته في الجنة وذلك لانها أول من توفيت من نسائه بعده وكان يريد بطول اليد كثرة الصدقة وقال لعمر بن الخطاب ان زينب أواهة أي خاشعة متضرعة وتوفيت سنة ٢٠ وقيل ٢١ للهجرة وكان عمرها حين تزوجها ٣٥ سنة

﴿ زينب ابنة الحرث ﴾

امرأة يهودية من خيبر كانت زوجة سلام بن مشكم فلما استقر النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر أهدت له شاة مصلية مسمومة فوضعتها بين يديه فأخذ مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأكل بشر منها وقال النبي ان هذه الشاة تخبرني انها مسمومة ثم دعا المرأة فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان نبيا فسيخبر وان كان ملكا استرحنا منه فتجاوز عنها ومات بشر في تلك الاكلة أما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يؤثر فيه السم الا تأثيرا خفيفا فحجم بين كتفيه وقال في مرضه الذي مات فيه هذا اوان وجدت انقطاع أبهري من أكلة خيبر فكان المسلمون يرون أنه مات شهيدا مع كرامة النبوة وادعى ورثة بشر على زينب فقتلت

﴿ زينب ابنة الامام أحمد الرفاعي ﴾

لبست الخشن من الثياب وتركت الطيب من الطعام والشراب وكانت قد أرخت الحجاب وعلت بعبادة الملك الوهاب وقنعت بدون اليسير مع القدرة ولزمت حضرة أبيها واتبعت أثر طريقته بالذل والانكسار والسكينة والافتقار

كان السيد أحمد رضي الله عنه يقول كأنها خلقت رجلا والناس يظنون أنها خلقت امرأة وقال السيد عمر الفاروقي كنت ذات يوم عند السيد أحمد فأظهرني على كثير من أسراره ثم أخذني بيده ودخل بيته على رابعة فقال له سلم عليها واخدمها واسألها أن تدعو لك فجاءت زينب فقبل رأسها ثم قال لي أي عمر سلم عليها واخدمها واسألها أن تدعو لك ولذريتك ففعلت ذلك ثم قلت في نفسي الاولى انه كان يأمرني بالخدمة والتعظيم لرابعة فانها أكبر سنا فالتفت الى السيد أحمد قدس الله سره العزيز وقال لي أي عمر ان الله وعدني أن يحيي بها الآثار ويعمر بها الديار فقالت زينب أي سيدي تعيش أنت ويعيش السيد صالح ويجعلني الله فداءك ويحيي الله بك الآثار فقال بل فيك فقالت يا سيدي أنا أقعد وأحدث الناس وأجلس معهم في المجالس فقال لها يا زينب لا ولكن ذريتك يبقون الى يوم القيامة الا أن صاحب الشفاء أورد هذه الحكاية في كتابه بغير هذا النسق قالت مريم بنت الشيخ يعقوب قد قالت لي زينب نتعب قليلا ونستريح طويلا السفر بعيد والطريق طويل والجسد ضعيف والزاد قليل وليس لنا بد من

هذا السفر لو تدركه قبل أن يدركنا ونستقبله قبل أن يستقبلنا لكان خيرا لنا (قال الزبرجدى) حفظت القرآن وتفقهت وسمعت الحديث من خالها الشيخ أبي البدر الانصارى الواسطى وأخذ عنها أولادها الائمة الاعلام وسمع منها الشيخ الكبير عمر أبو الفرج الفاروقى الكازرونى وكانت عظيمة القدر رفيعة المنزلة أقبل على زروع أهل واسط وأم عبيدة جيش الجراد فالتجأ الناس اليها فتقنعت وصعدت السطح وقالت الهى عبيدك ساقهم حسن الظن الىّ وأنت الذى ألقيت ذلك فى قلوبهم وانى أقل من أن أسألك لذنوبى وسواد وجهى وأنت أكرم من أن ترد المنكسرين يا أرحم الراحمين فرم الجراد رمة واحدة وكأنه ابل ساقها رعاتها حتى لم يبق منه جرادة واحدة

توفيت سنة ثلاث وستمائة بأم عبيدة ودفنت بالمشهد الاحدى المبارك رضى الله عنها

﴿ زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

هى أكبر أولاده ولدت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة وماتت سنة ثمان للهجرة فى حياة أبيها وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد وقد قيل انها لم تكن أكبر بناته وليس بشئ انما الاختلاف بين القاسم وزينب أيهما ولد قبل الآخر فقال بعض العلماء بالنسب أول ولد ولد له القاسم ثم زينب وهاجرت بعد وقعة بدر وقد تزوجت لقيطا الملقب بأبي العاص بن الربيع وولدت منه غلاما اسمه على فتوفى وقد ناهز الاحتلام وكان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وولدت له أيضا بنتا اسمها أمامة وأسلم أبو العاص وكان الاسلام قد فرق بين زينب وبين أبى العاص الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما بمكة لعدم قوة الاسلام بها حينئذ وقيل ان أبا العاص لما أسلم رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب فقيل بالنكاح الاول وقيل ردها بنكاح جديد وتوفيت زينب بالمدينة فى السنة الثامنة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبرها وهو مهموم محزون فلما خرج سرّى عنه وقال كنت ذكرت ضعفها فسألت الله تعالى أن يخفف عليها ضمة القبر ففعل وهوّن عليها ثم توفى بعدها زوجها أبو العاص وقال آخرون ان زينب ولدت فى سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم وأدركت الاسلام وأسلمت وهاجرت وكان أبوها يحبها وتزوّجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع ففرق بينهما الاسلام ثم لما أسلم زوجها جمع صلى الله عليه وسلم بينهما قال بعضهم ولم يفرق بينهما من أول البعثة لان تحريم نكاح المشرك للمسلمة انما كان بعد الهجرة وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان الاسلام فرق بين زينب وبين أبى العاص الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما لانه كان مغلوبا بمكة وولدت زينب لابى العاص عليا وأمامة فاما على فمات مراهقا وأما أمامة فتزوجها على بن أبي طالب بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة وتزوجها بعد موت على المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بوصية من على وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أمامة وهى التى كان يحملها فى الصلاة على عاتقه فاذا ركع وضعها واذا رفع رأسه من السجود أعادها

ولما أسر أبو العاص فى وقعة بدر وكان مع الكفار أرسلت زينب فى فدائه الربيع بمال دفعته اليه من ذلك قلادة لها كانت أمها خديجة قد أدخلتها بها على أبى العاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا فقالوا نعم وكان أبو العاص مصاحبا لرسول الله صلى الله

عليه وسلم مصاقبا وكان قد أبى أن يطلق زينب لما أمره المشركون أن يطلقها فشكر له صنيعه ولما أطلقه النبي صلى الله عليه وسلم من الاسر شرط عليه أن يرسل زينب الى المدينة فعاد الى مكة وأرسلها الى المدينة فلهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني فصدقني ووعدني فوفى ولم تزل زينب بالمدينة وأبو العاص بمكة على شركه فلما كان قبيل الفتح خرج بتجارة الى الشام ومعه أموال من أموال قريش ومعه جماعة منهم فلما عاد لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أميرهم زيد بن حارثة فأخذ المسلمون ما في تلك العير من الاموال وأسروا أناسا وهرب أبو العاص بن الربيع ثم أتى المدينة ليلا فدخل على زينب فاستجار بها فأجارته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح صاحت زينب أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص ابن الربيع فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس وقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال والذى نفسى بيده ما علمت بذلك حتى سمعتم وقال يجير على المسلمين أدناهم ثم دخل على ابنته فقال أكرمى مثواه ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له قالت انه قد جاء في طلب ماله فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السرية وقال ان هذا الرجل منا حيث علمتم وقد أصبتم له مالا وهو مما أفاء الله عليكم وأنا أحب أن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فان أبيتم فانتم أحق فقالوا بل نرده عليه فردوا عليه ماله أجمع فعاد الى مكة وأدى الى الناس أموالهم ثم أسلم وحسن اسلامه ثم قدم الى المدينة ورد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ولم تزل معه حتى توفيت سنة ثمان من الهجرة

﴿زينب ابنة خزيمة﴾

ابن حارثة بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقال لها أم المساكين لكثرة اطعامها وصدقتها عليهم وكانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت عند الطفيل بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحرث كانت أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حفصة ولم تلبث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يسيرا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت وكانت وفاتها في حياته صلى الله عليه وسلم لا اختلاف فيه وقال ابن منده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا فكان نساء النبي يتدارعن أيتهن أطول يدا فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يدا في الخير وهذا وهم فانه صلى الله عليه وسلم قال أسرعكن لحوقا وهذه سبقته انما أراد أول نسائه تموت بعد وفاته وقد تقدم في زينب بنت جحش وهو لها أشبه لانها كانت كثيرة الصدقة من عمل يدها وهي أول نسائه توفيت بعده والله أعلم

﴿زينب ابنة العوام أخت الزبير﴾

وهي أم عبد الله بن حكيم بن حزام أسلمت وبقيت الى أن قتل ابنها يوم الجمل فقالت ترثيه وترثي الزبير أخاها

أعينيّ جودا بالدموع فأسرعا * على رجل طلق اليدين كريم
زبير وعبد الله ندعى لحادث * وذي خلة منا وحمل يتيم
قتلتم حواريّ النبي وصهره * وصاحبه فاستبشروا بجحيم
وقد هدّني قتل ابن عفان قبله * وجادت عليه عبرتي بسجوم

وأيقنت أن الدين أصبح مدبرا ❊ فماذا تصلي بعـده وتصوم

وكيف بنا أم كيف بالدين بعدما ❊ أصيب ابن أروى وابن أم حكيم

كانت شاعرة أديبة جريئة على القول والفعل ذات شهامة زائدة الجد وكان لها ميل كلي الى عثمان وأحزابه وطالما هيجت العرب على حرب علي وقد حضرت وقعة الجمل ولها فيها مشاركة وتوفيت بعدها بقليل

السيدة زينب بنت الامام علي كرم الله وجهه

ابن أبي طالب وأمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي شقيقة الحسن والحسين عليهما السلام تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار ذو الجناحين ابن أبي طالب وولدت له عليا وعونا ويدعى بالاكبر وعباسا ومحمدا وأم كلثوم

وحضرت مع أخيها الحسين بكربلا ذكر ابن الانباري أنه لما قتل أخوها الحسين أخرجت رأسها من الخباء وأنشدت رافعة صوتها

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ❊ ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم

بعترتي وبأهلي بعد فرقتكم ❊ منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم

ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم ❊ أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

لكن في كامل ابن الاثير أن هذه الابيات لابنة عقيل بن أبي طالب وفي نور الابصار عن خزيمة الاسدي قال دخلنا الكوفة سنة احدى وستين فصادفت منصرف علي بن الحسين عليهما السلام بالذرية من كربلاء الى ابن زياد بالكوفة ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياما يندبن متهتكات الجيوب وسمعت علي بن الحسين يقول يا أهل الكوفة انكم تبكون علينا فمن قتلنا ورأيت زينب بنت علي فلم أر والله خفرة أنطق منها كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين فأومأت الى الناس أن اسكتوا فسكنت الانفاس وهدأت الاجراس فقالت الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد يا أهل كوفة الختل والخذل أتبكون فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة انما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ألا وإن فيكم الصلف والشنف وداء الصدر الشنف وملق الامة وغمز الاعداء كرعي على دمنة أو كفضة على ملحودة ألا ساء ما تزرون اي والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا فقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن تدحضوها بغسل أبدا وانما تدحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتكم ومنار محجتكم وسيد شباب أهل الجنة وبلكم يا أهل الكوفة ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتدرون أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فريتم وأي دم له سفكتم وأي كريمة له أبرزتم لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الارض أفعجبتم أن أمطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فلا يحفزه البدار ولا يخاف عليه فوت الثار كلا ان ربي وربكم لبالمرصاد ثم سارت قال فرأيت الناس حيارى واضعي أيديهم على أفواههم ورأيت شيخا قد دنا منها وهو يبكي حتى اخضلت لحيته ثم قال بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب

ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبدا وفي كامل ابن الاثير أنها سمعت الحسين وهو في كربلاء قبل مشهده يقول

يا دهر أف لك من خليل * كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب أو طالب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الامر الى الجليل * وكل حي سالك السبيل

فاعادها مرتين أو ثلاثا فلما سمعته لم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها حتى انتهت اليه ونادت واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي والحسن أخي يا خليفة الماضي وثمال الباقي فذهب فنظر اليها وقال أخية لا يذهبن حلمك الشيطان قالت بأبي أنت وأمي واستقتلت نفسي لنفسك الفداء فردد غصته وترقرقت عيناه ثم قال لو ترك القطا لنام فلطمت وجهها وقالت واويلتاه أفتغصب نفسك اغتصابا فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي ثم لطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشيا عليها فقام اليها الحسين فصب الماء على وجهها وقال اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي ان أهل الارض يموتون وأهل السماء لا يبقون وان كل شيء هالك الا وجه الله أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة فعزاها بهذا ونحوه

ولما حملوا السبايا الى الكوفة اجتازوا بهن على الحسين وأصحابه صرعى فلطمن خدودهن وصاحت زينب أختها يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الاعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا فأبكت كل عدو وصديق فلما أدخلوهم على ابن زياد لبست أرذل ثيابها وتنكرت وحفت بها اماؤها فقال عبيد الله من هذه الجالسة فلم تكلمه فقال ذلك ثلاثا وهي لا تكلمه فقال بعض امائها هذه زينب ابنة فاطمة فقال لها ابن زياد لعنه الله الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم فقالت الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا لا كما تقول انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر فقال كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك قالت كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده فغضب ابن زياد وقال قد شفى غيظي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك فبكت وقالت لعمري لقد قتلت كهلي وأبرزت أهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي فان يشفك هذا فقد اشتفيت فقال لها هذه شجاعة لعمري لقد كان أبوك شجاعا فقالت ما للمرأة والشجاعة فلما نظر ابن زياد الى علي بن الحسين قال ما اسمك قال علي بن الحسين قال أولم يقتل علي بن الحسين فسكت فقال مالك لا تتكلم فقال كان لي أخ يقال له أيضا علي فقتله الناس فقال ان الله قتله فسكت علي فقال مالك لا تتكلم فقال الله يتوفى الانفس حين موتها (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) فقال أنت والله منهم ثم قال لرجل ويحك انظر هذا هل أدرك اني لاحسبه رجلا فكشف عنه مري بن معاذ الاحمر فقال نعم قد أدرك قال اقتله فقال علي من يتوكل بهذه النسوة وتعلقت به زينب فقالت يا ابن زياد حسبك منا أما رويت من دمائنا وهل أبقيت منا أحدا واعتنقته وقالت أسألك بالله ان كنت مؤمنا ان قتلته أن تقتلني معه وقال علي يا ابن زياد ان كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الاسلام فنظر اليها ساعة ثم قال عجبا للرحم والله اني لاظنها ودت لو أني قتلته أن أقتلها معه دعوا الغلام ينطلق مع نسائه ولما دخل الشام على يزيد بن معاوية والرأس بين يديه جعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين يتطاولان لينظرا الى الرأس وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس

فلما رأين الرأس صحن فصاح نساء يزيد و ولولت بنات معاوية فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا يا يزيد فقال يا ابنة أخي أنا لهذا كنت كارها قالت والله ما ترك لنا خرص فقال ما أتى اليكن أعظم مما أخذ منكن فقام رجل من أهل الشام فقال هب لي هذه يعني فاطمة بنت الحسين فأخذت فاطمة ثياب زينب وصرخت فقالت زينب كذبت و لؤمت ما ذلك لك ولا له فغضب يزيد و قال والله ان ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلته قالت كلا والله ما جعل الله لك الا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا فغضب يزيد واستطار ثم قال ايای تستقبلين بهذا انما خرج من الدين أبوك وأخوك قالت زينب بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك قال كذبت يا عدوة الله قالت أنت أمير تشتم ظلما وتقهر بسلطانك فاستحى وسكت وعلى اختلاف الروايات أن للسيدة زينب رضي الله عنها مقامين أحدهما بدمشق وهو مقصود من كل الجهات خصوصا من أهل الشيعة والثاني بمصر وهو أشهر من الاول ولها أوقاف وايراد زائد من ديوان عموم الاوقاف المصرية ولها مسجد في مصر لم يوجد مثله وقد ذكر أوصافه الامير علي باشا مبارك في خططه المسماة بالخطط التوفيقية ولكون أوصافه جاءت مسهبة اقتصرنا عنها منوهين على محل وجودها

زينب ابنة الطثرية

هي زينب بنت سلمة بن سمرة من بني عامر بن صعصعة والطثرية أمها قتل أخوها يزيد بن الطثرية الشاعر المشهور في خلافة بني العباس سنة ١٢٦ هجرية الموافقة لسنة ٧٤٤ ميلادية قتله بنو حنيفة فقالت أخته ترثيه

أرى الاثل من وادي العقيق مجاوري * مقيما وقد غالت يزيد غوائله
فتى قد قد السيف لا متضائل * ولا رهل لباته وأباجله
فتى لا ترى قد القميص بخصره * ولكنه بوهي القميص كواهله
فتى ليس لابن العم كالذئب ان رأى * بصاحبه يوما دما فهو آكله
يسرك مظلوما ويرضيك ظالما * وكل الذي حملته فهو حامله
اذا نزل الاضياف كان عزورا * على الحي حتى تستقل مراجله
مضى وورثنا منه درعا مفاضة * وأبيض هنديا طويلا حمائله
وقد كان يروي المشرفي بكفه * ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله
كريم اذا لاقيته متبسما * واما تولى أشعث الرأس جافله
اذا القوم أموا بيته فهو عامد * لاحسن ما ظنوا به فهو فاعله
ترى جازريه يرعدان وناره * عليها عداميل الهشيم وحامله
يجران ثنيا خيرها عظم جاره * بصيرا بها لم تعد عنها مشاغله

وكانت زينب ذات جمال وأدب وكمال شاعرة مشهورة مطبوعة على الشعر والفضل والادب متعلقة بالفصاحة التي هي حلية العرب ولها مراث كثيرة في أخيها لم نعثر عليها الآن

زينب ابنة أبي القاسم الشهيرة بأم المؤيد عبد الرحمن

وهو ابن الحسن بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبدوس الجرماني الاصل النيسابوري الدار كانت فاضلة عالمة أدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم رواية واجازة فمن أخذت عنهم أبو محمد اسمعيل بن أبي القاسم النيسابوري القاري وأبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب الرسالة القشيرية وممن أجازها الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن اسمعيل الفارسي والعلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري مؤلف الكشاف وممن أجازتهم من أكابر العلماء العلامة المؤرخ شهاب الدين قاضي القضاة ابن خلكان صاحب التاريخ المشهور وهي في القرن السابع من الهجرة

﴿ الاميرة زينب هانم أفندي ﴾

هي أصغر كريمات المرحوم محمد علي باشا والي مصر أول مؤسس الحكومة الخديوية ولدت في حدود سنة ١٢٤٤ هجرية في مصر القاهرة ووالدتها اسمها نورقادين أفندي من محاظي المرحوم محمد علي باشا وهي جركسية الاصل

وفي سنة ١٢٦٤ تأهلت بالمرحوم يوسف كامل باشا وأقيمت لها الافراح في مصر الى الدرجة التي لم يسبق لها مثال وكان زفافها في سراي الازبكية

ولما توفي محمد علي وتولى عباس باشا حكومة مصر واشتدت البغضاء بينه وبين الامراء المورثين باقي بك وسامي باشا وكامل باشا وسائر العائلة الخديوية واضطر والهجرة من مصر هاجرت المترجمة المرحومة مع زوجها كما هاجرت أختها الكبرى الاميرة نازلي هانم أفندي الى الاستانة وذلك في حدود ١٢٦٨ فأكرمت الدولة العلية مثوى الجميع وتقلب كامل باشا في مناصب الدولة حتى صار صدرا أعظم في مدة المرحوم السلطان عبد العزيز ثم توفي في حدود التسعين

وبقيت المترجمة في الاستانة في منزلها الكائن في ميدان السلطان بايزيد ومنزلها الساحلي في بيك الشهير داخل الخليج القسطنطيني

وتوفيت في ربيع سنة ١٣٠٢ ودفنت في مدفنها الخصوصي خارج اسكندار في الموقع المعروف بقرجه أحمد سلطان وكان لوفاتها وجنازتها شأن عظيم في عموم الاستانه

وخلفت من الاموال والجواهر والاراضي والعقارات شيأ عظيما قد لا يقل عن ثلاثة ملايين جنيه ولم تعقب ذرية لاهي ولا زوجها وورث جميع ذلك أخوها المرحوم البرنس عبد الحليم باشا بن محمد علي باشا فما تركت من العقارات الشهيرة سراي بيك وسراي ميدان السلطان بايزيد ومن ذلك أسهم الشركة الخيرية وهي شركة وابورات البوغاز في الاستانة ولا تقل عن أربعين وابورا وسراي الازبكية في مصر وسراي شبري الصغيرة

وكانت رحمها الله كثيرة الخيرات والمبرات مضية اليد عالية النفس محبة لاعانة الفقراء واغاثتهم كانت تصرف على كثير من البيوت حتى بلغ من كان يعيش باحساناتها في نفس الاستانة فقط أكثر من أربعمائة عائلة

ولها أوقاف عظيمة أوقفتها على نفسها وزوجها وذريتها ثم جعلت ريع تلك الاوقاف لجملة محلات مباركة كالمسجد الحسيني في مصر ومساجد السيدة نفيسة والسيدة زينب وغيرهما نحو ١٤ مسجدا وعدة

تكايامنها تكية المولوية والنقشبندية والكلشنية وعلى ليلة المعراج وليلة القدر فى قراءة القرآن بمسجد والدها فى قلعة مصر

وجعلت من ذلك الريع قدرا لمدرسى الفقه الحنفى فى الجامع الازهر ومدرسى الفقه الشافعى والمالكى والحنبلى وخصصت لكل تخصيصات

ثم انها خصصت ريعا من ذلك أيضا لكل من قرأ القرآن فى سراياتها ولكل من خدمها أولازمها الى حين الوفاة من الرجال والنساء وجعلت لمن يبلغ زمن ملازمته لها أوقيامه بخدمتها عشر سنين فاكثر ضعف من كان زمنه أقل من ذلك وكذلك لعتقائها وعتقاء أمها وفقراء معتوقى والدها ومن خيراتها بالاشتراك مع زوجها مستشفى فى مدينة اسكدار من دار الخلافة وسبيل فى قصبة قرطال بقرب اسكدار وأوقفت عليها الاوقاف الكافية كما أوقفت على قبرها وقبر زوجها وعلى بعض التكايا والزوايا فى الاستانة وغيرها وكانت المترجمة متوسعة فى دائرتها مطموعا فيها لمالها ومحبة لها ومحترمة جدا فى جميع دوائر الدولة حتى انها كانت معتبرة جدا فى السراى السلطانى ولدى جلالة الخلفاء العظام عموما وجلالة سيدنا أمير المؤمنين خصوصا وكان لها وقع سياسى فى الاحوال المصرية فى شأن العصبة العرابية قيل انها صرفت من أربعين الى خمسين ألف جنيه لمساعدة أخيها البرنس حليم باشا حتى ان الحكومة قبضت على وكيل دائرتها فى مصر عثمان باشا لتداخله بأمرها مع عصبة الاشقياء لتسميلهم الى أخيها

وكان أخوها قد دقل ماله وكانت تعينه كما تعين غيره من العائلة ولما دنت وفاتها أوصت له بكثير من أموالها وعقاراتها

قال أهل الاطلاع على حقيقة حالها انها أصيبت بشئ من اختلال الشعور قبل موتها بمدة وفى تلك المدة اهتم البرنس حليم باشا بتحوير الوقفيات وحصر قسمها الاعظم فيه وفى أولاده واستغل الفائدة من ذلك الوقت الى أن توفى فى سنة ١٣١٢

وحينئذ قام بعض الناس وحرك أصحاب الحقوق بالمطالبة ولايزال النزاع فيها الى الآن

حرف السين

﴿سارة زوجة ابراهيم الخليل عليه السلام﴾

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأوفرهن عقلا وكمالا تزوجت بابراهيم الخليل عليه السلام وكان يحبها محبة عظيمة وكانت لم تعصه فى شئ وبذلك أكرمها الله تعالى

وكان قدم بها ابراهيم الى مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وقد وصف له حسنها وجمالها فأرسل الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ماهذه المرأة منك فقال هى أختى وتخوف أن قال هى امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة وقال لها ان هذا الجبار قد سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى عنده فانك أختى فى كتاب الله عز وجل ثم أقبلت سارة على الجبار وقام ابراهيم عليه السلام يصلى فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى ذلك عظم أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدى فوالله لاآذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق له يده فأطلق الله تعالى يده وقيل انه فعل ذلك ثلاث مرات بقصد أن يتناولها فتيبس يده فلما رأى

ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فأقبلت الى ابراهيم ومعها هاجر وهي تحمد الله تعالى على عصمتها من فرعون

وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوهبت هاجر الى ابراهيم بقولها انى أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها ولدا فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسماعيل عليه السلام وكانت سارة بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة وبشر ابراهيم بأنه سيرزقه الله ولدا من سارة وقد كان وحملت سارة باسحق وقيل كانت حملت هاجر باسماعيل فوضعتا معا وشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم وكان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسماعيل فأخذه فأجلسه في حجره وأجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فأجلسته الى جانبك وقد كان أخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقتها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت في ذلك فقال ابراهيم عليه السلام اخفضيها واثقبي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم ان اسماعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنني في بلد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فأوحى الله اليه أن يأتي بهما الى مكة فذهب بهما

وتوفيت سارة ولها من العمر مائة واثنتان وعشرون سنة وقيل مائة وسبع وعشرون بالشام بقرية الجبابرة بأرض كنعان في حبرون في مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها

﴿سارة القرظية الاسرائيلية﴾

كانت من يهود يثرب من بني قريظة قيل ان أبا جبلة أحد ملوك اليمن قصد المدينة في الجاهلية وكان أهلها يهود وبلغه عن ملكهم أمور فاحشة فأوقع في اليهود بذي حرض وهو واد بالمدينة عند أحد فقالت سارة القرظية وهي منهم تذكر ذلك وترثي من قتل من قومها

يأهلي رمت أم لم تغن شيأ * بذي حرض تعفيها الرياح
كهول من قريظة أتلفتهم * سيوف الخزرجية والرماح
ولو أذنوا بأمرهم لحالت * هنالك دونهم حرب رداح
رزئنا والرزية ذات ثقل * يمر لأجلها الماء القراح

﴿سبيعة ابنة عبد شمس بن عبد مناف﴾

هي زوجة مسعود بن مالك يتصل نسبه الى ثقيف كانت مكرمة عند زوجها وقومها مسموعة الكلمة لها من المكان والتفضل حتى انه لما كان يوم الفجار الرابع في الجاهلية وهو يوم عكاظ ودارت الدائرة على بني قيس وانتصر زوجها وحرب بن أمية على أعدائهم فرآها تبكي حين تداعى الناس فقال لها ما يبكيك فقالت لما يصاب غدا من قومي فقال لها وكان مسعود قد ضرب على امرأته سبيعة خباء من دخل خباءك من قريش فهو امن فجعلت توصل به قطعا لتتسع فقال لها لا تجاوزي في خبائك فاني لا أمضي الامن أحاط به الخباء فأحفظها فقالت أما والله اني لاظن أنك تود أن لو زدت في توسعته فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجارلها حرب بن أمية وقال لها يا عمة من تمسك باطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن فنادت

بذلك فاستدارت قيس بخبائها حتى كثر واجدا فلم يبق أحد لا نجاة عنده الا دار بخبائها فقيل لذلك الموضع مدار قيس وكان يضرب به المثل وكان زوجها مسعود بن معتب قد خرج معه يومئذ بنوه من سبيعة وهم عروة ولوحة ونويرة والاسود فكانوا يدورون وهم غلمان في قيس يأخذون بأيديهم الى خباء أمهم ليجيروهم كما أمرتهم أمهم أن يفعلوا فخرج وهب بن معتب حتى وقف عليها وقال لها لا يبقى طنب من أطناب هذا البيت الا ربطت به رجلا من بني كنانة فنادت بأعلى صوتها ان وهبا يحلف أن لا يبقى طنب من أطناب هذا البيت الا ربط به رجلا من بني كنانة فالجد الجد فلما هزمت لجؤا الى خبائها فأجارهم حرب بن أمية

﴿ست الوزراء﴾

لقب حفيدة العلامة وجيه الدين الحنبلي ولدت سنة ٦٢٤ هجرية وتوفيت سنة ٧١٧ وهي محدثة مشهورة أخذت صحيح البخاري ومسند الامام الشافعي عن أبي عبد الله الزبيدي وقرأت على أبيها بعض الحديث وكانت كما رواه صلاح الدين الصفدي محدثة عصرها واستقدمت الى مصر فأخذ عنها الحديث الامير سيف الدين أرغون والقاضي كريم الدين ودرست البخاري مرارا متوالية وروى عنها كثير من مشاهير العلماء

﴿ست الكرام﴾

بنت السيد سيف الدين عثمان الرفاعي أخت السيد علي مهذب الدولة والسيد عبد الرحيم عهد الدولة والسيد عبد السلام ابناء عثمان رضي الله عنهم كانت وارثة محمدية وولية علوية ذات أخلاق هاشمية وطباع مصطفوية وأطوار فاطمية عدها خالها السيد الكبير سلطان الاولياء مولانا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه في طبقات ذكرها الامام أحمد بن جلال قدس سره في جلاء الصدا قال عند ذكرها الست السعيدة الحميدة الشهيرة ذات السيرة الحميدة والاوصاف السديدة صاحبة الدرجات العاليات والمقامات الثابتات والمكاشفات الصادقة ولية الله الملك القدير بنت السيد عثمان من أخت السيد أحمد الكبير المسماة بست الكرام نور الله مضجعها وعطر بفضله مهجعها كانت من أكثر الناس حياء وأمانا وايقانا ذات أسرار خفية وأحوال مرضية تنفق على الفقراء كل ما تجد من الاموال قنعت من الدنيا بالدون وما وجد لها عن خدمة الله سكون تنفق ما كان لها من الطعام وتبيت طاوية وكانت بقضاء الله تعالى وقدره راضية كانت ذات شوق وحنين وحزن وأنين وأرق ولباسها الصوف الخشن القصير تطحن حتى يعلو غبار الدقيق على وجهها وكان خالها يقربها ويدنيها منه ويغرائب الامور والاسرار يسرها كانت حافظة للعهود وبذلك كان يصفها ويعرفها الاخوتها ويقول الحق يميل اليها ويرضى لرضاها ويقول لها أي كرام وصل الله جناحك به بكرمه (نقل) أنها في صغرها كانت تصعد أمام خالها كل مرة فسرأى ذلك أخوها السيد عبد السلام فنقم عليها فقال له أما ترضون أن يكون منكم نساء لهن مقام الرجال كانت قدس الله سرها تقول علامة القبول والتوفيق المواظبة على الخيرات والمداومة عليها ما دام رمق من الحياة وان أهل القبول جعلوا الصدق مطيتهم والتضرع الى الله تعالى ديدنهم ووصلوا بهذه الصفات الى واهب العطيات قال الزبير توفيت سنة ٥٦٠ ودفنت عند أم عبيدة ببغداد رضي الله عنها

﴿ ست الملك بنت العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور اسماعيل ابن القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله الفاطمي العلوي ﴾

كانت من أحسن نساء زمانها جمالا وأوفرهن عقلا وأثبتهن جنانا وأعلاهن رأيا وأشدهن حزما شاركت أخاها الحاكم بأمر الله في الملك حتى انه صار يقطع الامور عن رأيها وكلما خالفها في أمر تقوم عليه الرعية و ينبذون طاعته وهو يحسب ذلك من أخته ست الملك حتى انه تغير عليها وأراد قتلها فصار يترقب الفرص وهي تتوجس منه خيفة الى أن كثر ظلمه وزاد عسفه فكرهه الناس من سوء فعله ومن شدة كراهتهم له كانوا يكتبون اليه الرقاع فيها سبه وسب أسلافه والدعاء عليه حتى انهم عملوا من قراطيس صورة امرأة وبيدها رقعة فلما رآها ظن انها تشتكي فأمر بأخذ الرقعة منها وفيها كل لعن وشتيمة قبيحة وذكر حرمه بما يكره فأمر بطلب المرأة فقيل له انها من قراطيس فأمر باحراق مصر ونهبها ففعلوا ذلك وقاتل أهلها أشد قتال مدة يومين وفي اليوم الثالث انضاف اليهم الاتراك والمشارقة فتقويت شوكتهم وأرسلوا الى الحاكم يسألونه الصفح ويعتذرون اليه فلم يقبل فعادوا الى التهديد فلما رأى قوتهم أمر بالكف عنهم وقد أحرق بعض مصر ونهب بعضها وتتبع المصريون من أخذ نساءهم وأولادهم فابتاعوهم منه وقد فضحت نساؤهم فازداد غيظهم وحنقهم عليه فظن أن ذلك من أخته ست الملك لانه بلغه أن الرجال يدخلون عليها فأرسل يتهددها بالقتل ولما رأت سوء تصرفه وأنه ربما يطيع هواه فيقتلها أرسلت الى قائد كبير من قواد الحاكم يقال له ابن داوس وكان يخاف الحاكم فقالت له اني أريد أن ألقاك ثم حضرت عنده وقالت له أنت تعلم ما يعتقده أخي فيك وانه متى تمكن منك لا يبقى عليك وأنا كذلك وقد انضاف الى هذا ما تظاهر به مما يكره المسلمون ولا يصبرون عليه وأخاف أن يثوروا به فيهلك هو ونحن معه وتنقلع هذه الدولة فأجابها الى ما تريد فقالت انه يصعد الى هذا الجبل غدا وليس معه غلام الا الركابي وصبي وينفرد بنفسه فتقيم رجلين تثق بهما يقتلانه ويقتلان الصبي وتقيم ولده بعده وتكون أنت مدبر الدولة وأزيد في اقطاعك مائة ألف دينار ثم أعطته ألف دينار للرجلين وانصرفت فاختار اثنين من ثقاته وأخبرهما بالقصة فصعدا الى الجبل فلما انفرد الحاكم هجما عليه وقتلاه وأخفياه وكان عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر فلما أيقن الناس بقتله اجتمعوا الى أخته ست الملك فأجلست على كرسي الولاية علي بن الحاكم وهو صبي لم يناهز الحلم وبايع له الناس ولقب بالظاهر لاعزاز دين الله وأنفذت الكتب الى البلاد بأخذ البيعة له وفي الغد حضر ابن داوس بأمر من ست الملك ومعه قواده فأمرت خادما لها أن يضربه بالسيف فقتله وهو ينادي يا لثار الحاكم فلم يختلف فيه اثنان وقامت ست الملك تدبر الدولة مدة أربع سنوات وهي تعدل بين الرعية وتنصف المظلومين حتى أحبها جميع الاهالي وتمنوا أن مدتها تدوم وتوفيت سنة ٤١٥ هجرية وقد حزن عليها جميع أهل مصر وعنوا بتمامها تدبر المملكة حتى يكبر ابن أخيها ولكن لله في حكمه ارادة

﴿ سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية ﴾

كانت من النساء العاقلات الحكيمات ذوات الفصاحة والبلاغة وأصالة الرأي حتى انها قادت أكابر قومها الى رأيها وتحت طاعتها وركبت على العرب في عسكر جرارة ولما أقبلت من الجزيرة قاصدة المدينة لمحاربة أبي بكر وادعت النبوة كانت هي ورهطها في أخوالها من تغلب تقود أفناء ربيعة وباء معها

الهذيل بن عمران من بني تغلب وكان نصرانيا فترك دينه وتبعها وعقبة بن هلال في (النمر) وزياد بن بلال في اياد والسليل بن قيس في شيبان فأتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم وكانت سجاح تريد غزو أبي بكر فأرسلت الى مالك بن نويرة تطلب الموادعة فأجابها وردها عن غزوها وحملها على أحياء من بني تميم فأجابته وقالت أنا امرأة من بني يربوع فان كان ملك فهو لكم وهرب منها عطارد بن حاجب وسادة من بني مالك وحنظلة الى بني العنبر وكرهوا ما صنع وكيع وكان قد أودعها وهرب منها أشباههم من بني يربوع وكرهوا ما صنع مالك بن نويرة واجتمع مالك ووكيع وسجاح فسجعت لهم سجاح وقالت أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب فساروا اليهم فلقيهم ضبة وعبد مناة فقتل بينهم قتلى كثيرة وأسر بعضهم من بعض ثم تصالحوا وقال قيس بن عاصم شعرا أظهر فيه ندمه على تخلفه عن أبي بكر بصدقته ثم سارت سجاح في جنود الجزيرة حتى بلغت النباج فأغار عليهم أوس ابن خزيمة الهجيمي في بني عمرو فاسر الهذيل وعقبة ثم اتفقوا على أن يطلق أسرى سجاح ولا يطأ أرض أوس ومن معه ثم خرجت سجاح في الجنود وقصدت اليمامة وقالت عليكم باليمامة ودفوا دفيف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة فقصدت بني حنيفة فبلغ ذلك مسيلمة فخاف ان هو شغل بها تغلب ثمامة وشرحبيل بن حسنة والقبائل التي حولهم على حجر وهي اليمامة فأهدى لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها فأمنته فجاءها في أربعين من بني حنيفة فقال مسيلمة لنا نصف الارض ولقريش نصفها لو عدلت وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش وكان مما شرع لهم أن من أصاب ولدا واحدا ذكرا لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد فيطلب الولد حتى يصيب ابنا ثم يمسك وقيل بل تحصن منها فقالت له انزل فقال لها ابعدي أصحابك ففعلت وقد ضرب لها قبة وجمرها لتذكر بطيب الريح واجتمع بها فقالت له ما أوحى اليك ربك فقال ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشا قالت أشهد أنك نبي قال هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب فتزوجها وأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت كان على حق فتبعته وتزوجته قالوا هل أصدقك شيأ قالت لا قالوا فارجعي فاطلبي الصداق فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقال مالك قالت أصدقني قال من مؤذنك قالت شبيب بن ربعي الرياحي فدعاه وقال له ناد في أصحابك ان مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة فانصرفت ومعها أصحابها منهم عطارد بن حاجب وعمرو بن الايهم وغيلان بن خرشة وشبيب بن ربعي فقال عطارد بن حاجب

أمست نبيتنا أنثى نطوف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف وتترك عنده من يأخذ النصف فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة وخلفت هذيلا وعقبة وزيادا لاخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم الا دنو خالد اليهم فارفضوا فما زالت سجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام الجماعة وجاءت معهم وحسن اسلامهم واسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها وصلى عليها سمرة بن جندب وهو على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة وقيل انها لما قتل مسيلمة سارت الى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها بذكر

﴿ سري خانم ﴾

شاعرة تركية مشهورة ولدت في ديار بكر سنة ١٨١٤ ميلادية و ١٢٣٠ هجرية أتت بغداد وزارت مدافن الاولياء ورجعت الى ديار بكر ثم شخصت الى الاستانة وتوفيت فيها ولها أشعار شائقة ومنظومات رائقة جميعها باللغة التركية والفارسية أعرضنا عن ايرادشيء منها لانه ليس من موضوع هذا الكتاب

﴿ سعدى معشوقة مالك بن عقيل العذرى ﴾

كانت ذات فصاحة وأدب وجمال وكانت مع هذا الفتى على أعظم رتبة الحب من شدة تعلق كل منهما بصاحبه وكان في الحي رجل يحبها وهي لا تحبه فغار منهما فوشى به الى أهلها فحجبوها عنه فتراسلا بالمحبة وبلغه فأرسل زوجته عن لسانها الى مالك بشتم وقطيعة ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل ولم تدر الزوجة تفصيل الامر وكان عند مالك أنفة فخرج الى مكة ناقضا العهد فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجها الحيلة وما أخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها الى مكة حتى اجتمعت به قال كعب بن سعدة الغفاري خرجت أنا ومالك نمشي في القمر اذا بنسوة تقول احداهن اى والله هو ثم قربن منا فقالت احداهن قل لصاحبك

ليست ليالك في خج بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذى سلم

فقالت قد سمعت فأجب قال قد انقطعت فأجب أنت فقلت ولم يحضرني غيره

فقالت ليهاياعز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وانصرفنا فما استقربنا الاوجارية تقول أجب المرأة التى كلمتك فلما جئت اليها قالت أنت المجيب قلت نعم قالت فما أقصر جوابك قلت لم يحضرني غيره فقالت لم يخلق الله أحب الى من الذى معك فقلت على أن أحضره اليك فقالت هيهات فضمنته الليلة القابلة ورجعت فرأيته في منزلى فأخبرني بالقصة كالمكاشف فقلت له قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة

فلما كان الوقت مضينا فاذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسا فتعاتبا فأنشدته أبيات عبد الله بن الدمينة

وأنت الذى أخلفتني ما وعدتني * وأشمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني * لها غرضا أرمى وأنت سليم
فلو كان قولا يكلم الجسم قد بدا * بجسمى من قول الوشاة كلوم

فأجابها

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن * وفى بعض هذا للمحب عزاء
جزيتك ضعف الود ثم صرمتنى * فحبك فى قلبى الى أناء

فالتفتت الى وقالت ألا تسمع فغمزته فكف ثم أنشدت

تجاهلت وصلى حين لاحت عمايتى * فهلا صرمت الحبل اذ أنا أبصر
ولى من قوى الحبل الذى قد قطعته * نصيب ولا رأى وعقل موفر
ولكنما آذنت بالصرم بغتة * ولست على مثل الذى جئت أقدر

فأجابها

لقد كنت أنهى النفس عنك لعلها * اذا وعدت بالنأى عنك تطيب

ثم قبلها وأنشد

دمعى عليك من الجفون سكوب * والقلب منك مروّع مكروب

لاشئ فى الدنيا ألذ من الهوى * ان لم يخن عهد الحبيب حبيب

فأجابته

خلوتم بأنواع السرور وها كم * وأقررتمونى للصبابة والحزن

وعذبتمونى بالصدود وانى * لراض بما ترضونه لى من الغبن

ولما أنشد (لقد كنت أنهى النفس) البيت قالت له وكنت تفعل مافيك خير بعدها وافترقا فقالت لكعب ماقلت لك انك لاتفى بضمانك ولكن اذا كان السحر فاتنى قال كعب فجئت فاذا بالصباح فسألت جارية عن الخبر فقالت حين خرج تم اجعلت فى عنقها أنشوطة وخنقت نفسها فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفتكر فتقول انه لقاسى القلب ثم شهقت فماتت وبلغ الشاب فلزم قبرها فجاءته فى النوم فقالت هلا كان هذا من قبل فمات من وقته

سعدى الاسدية

كانت مهذبة شاعرة فصيحة علقها فتى من قومها فمنعه أبوه أن يتزوج الا بأرفع منها وأبى الغلام الاهى فلما أيس أبوها زوجها من رجل آخر فاشتد وجد الغلام بها ولقيها يوما فأنشد

لعمرى ياسعدى لطال تأيبى * وبعضنى شجواى فيك كلاهما

وتركى الحبيين لم أبغ منهما * سواك ولم يربع هواى عليهما

فأجابته سعدى تقول

حبيبى لاتعجل لتفهم حجتى * كفانى مابى من بلاء ومن جهد

ومن عبرات تعتريني وزفرة * تكاد لها نفسى تسيل من الوجد

غلبت على نفسى جهارا ولم أطق * خلافا على أهلى بهزل ولاجد

ولم يمنعونى أن أموت بزعمهم * غدا خوف هذا العار فى جدث وحدى

فلانفس أن تأتى هناك فتلتمس * مكانى فتشكو ماتحملت من جهد

فقد أوضحت له أنها ملكة من الغدر بعشقه فلما كان الغد جاء فوجدها ميتة فاحتملها الى شعب بذرى جبل يقال له عرفات ملتزما لهافات واختفى أمرهما حولا حتى مر نفض من العرب فسمع شخصا على الجبل يقول

انا الكريمان ذوا التصافى * الذاهبان بالوفاء الصافى

والله مالقيت فى تطوافى * أبعد من غدر ومن اخلاف

* من ميتين فى ذرى أعراف *

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما

سفانة ابنة حاتم الطائي

كانت من أجود نساء العرب وأفصحهن مقالا وهي التي كانت سبب النجاة لقومها من الاسر من أيدي المسلمين أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن عدي بن حاتم كان يعادي النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا الى طيء فهرب عدي باهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتي بها النبي صلى الله عليه وسلم قالت هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فان أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق * وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فاطلقها ومن عليها بقومها فاستأذنته في الدعاء له فأذن لها وقال لاصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا في ردها عليه فلما أطلقها رجعت الى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخي ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فاني قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبني رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه واني أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن تزل في عز اليمن فقدم عدي الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلمت أخته سفانة وكانت على جانب عظيم من الكرم وكان أبوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يا بنية الكريمان اذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما أن أعطي وتمسكي واما ان أمسك وتعطي فانه لا يبقى على هذا شيء فقالت له منك تعلمت مكارم الاخلاق

سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

كانت سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقا تزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له قرينا ومات عنها ثم تزوجها الاصبغ ابن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان ابن عبد الملك بطلاقها ففعل وقيل في ترتيب أزواجها غير ذلك والطرة السكينية منسوبة اليها ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم من ذلك أنها وقفت على عروة بن أذينة وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين وله أشعار رائقة فقالت له أنت القائل

قالت وأبثثتها سري وبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

قال نعم قالت لم يخرج هذا من قلب سليم وفي كتاب الاغاني كان اسم سكينة أميمة وقيل أمينة ولقبتها أمها الرباب بسكينة وفيها وفي أمها يقول الحسين بن علي

لعمرك انني لاحب دارا * تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي * وليس لعاتب عندي عتاب

وكانت سكينة تحب الهزل واللهو والطرب وهي من الحذق على جانب عظيم

يحكى أنها حضرت مأتما فيه بنت عثمان بن عفان فقالت بنت عثمان أنا بنت الشهيد فسكتت سكينة حتى اذا أذن المؤذن وقال أشهد أن محمدا رسول الله قالت لها سكينة هذا أبي أم أبوك فقالت بنت عثمان لا أفخر عليكم أبدا وكانت تجيء يوم الجمعة الى المسجد فتقوم بازاء ابن مطير فاذا شتم عليا شتمته هي وجواريها فكان يأمر الحرس أن يضرب جواريها

وكانت سكينة عفيفة تجالس الاجلة من قريش وتجمع اليها الشعراء وكانت ظريفة مزاحة وكانت من أحسن الناس شعرا وكانت تصفف جمتها تصفيفا لم ير أحسن منه

ويحكى أنها أرسلت مرة الى صاحب الشرط ان دخل علينا شامي فابعث الينا بالشرط فركب وأتى وأمرت بفتح الباب وخرجت جارية من جواريها وبيدها برغوث وقالت هذا الشامي الذي شكوناه فلما رأى الشرطي ذلك حصل له الخجل وذهب هو ورجاله بخجله وكانت قد اتخذت أشعب الطماع مسامرا لها ليمازحها وكانت تدر عليه العطايا وتنشرح لاخباره المضحكة وقيل انها خرجت لها سلعة في أسفل عينها حتى كبرت ثم أخذت وجهها وعظم ما بها وكان دراقيس الطبيب منقطعا اليها وفي خدمتها فقالت له ألا ترى ما وقعت فيه فقال أتصبرين على ما يمسك من الالم حتى أعالجك قالت نعم فأضجعها وشق جلد وجهها أجمع وسلخ اللحم من تحته حتى ظهرت العروق وكان منها شيء تحت الحدقة فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ثم سل عروق السلعة من تحتها وأخرجها ورد العين الى موضعها وسكينة مضطجعة لا تتحرك ولا تئن حتى فرغ وبرئت بعد ذلك وبقي أثر تلك الخزازة في مؤخر عينها

وقيل انه اجتمع في ضيافة سكينة يوما جرير والفرزدق وكثير عزة وجميل صاحب بثينة ونصيب فمكثوا أياما ثم أذنت لهم فدخلوا فقعدت بحيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم ثم خرجت جارية لها وضيئة قد روت الاشعار والاحاديث فقالت أيكم الفرزدق فقال لها ها أنا ذا قالت أنت القائل

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انحط باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي بالارض قالتا * أحي يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الامراس لا يشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

قال نعم قالت فما دعاك الى افشاء السر خذ هذه الالف دينار والحق بأهلك ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت أيكم جرير قال ها أنا ذا فقالت أنت القائل

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعي بسلام

تجري السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام

لو كان عهدك كالذي حدثتنا * لوصلت ذاك وكان غير ذمام

اني أواصل من أردت وصاله * بحبال لا صلف ولا لوام

قال نعم قالت أولا أخذت بيدها وقلت لها ما يقال لمثلها أنت عفيف وفيك ضعف خذ هذه الالف والحق بأهلك ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت أيكم كثير قال أنا قالت أنت القائل

وأعجبني يا عز منك خلائق * كرام اذا عد الخلائق أربع

دنوك حتى يدفع الجاهل الصبا * ودفعك أسباب المنى حين يطمع

وانك لا تدرين صب باطلته * أيشتد ان لاقاك أو يتضرع

وانك ان واصلت علت بالتى * لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال نعم قالت قد ملحت وشكلت خذ هذه الالف دينار واذهب لاهلك ثم دخلت وخرجت وقالت أيكم نصيب قال أنا قالت أنت القائل

ولولا أن يقال صبا نصيب * لقلت بنفسى النشأ الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار

قال نعم قالت ربيتنا صغارا ومدحتنا كبارا خذ هذه الالف دينار والحق بأهلك ثم دخلت وخرجت فقالت لجميل مولاتى تقرئك السلام وتقول لك مازلت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بوادى القرى انى اذا لسعيد
لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل عندهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه الالف دينار والحق بأهلك وروبت عن سكينة قصة أخرى شبه هذه ظهرت بها حذاقتها وانتقادها على أفحل الشعراء وكان عمرو بن عثمان لما تزوج بها عتب عليها يوما وخرج الى مال له فقالت لاشعب ان ابن عثمان خرج عاتبا على فاعلم لى حاله فقال لها لا أستطيع أن أذهب الساعة فقالت أنا أعطيك ثلاثين دينارا قال أشعب فأتيته ليلا فدخلت الدار فقال انظروا من فى الدار فأتوه فقالوا أشعب فنزل عن فرشه الى الارض فقال أشعب قلت ثم قال ما جاء بك قلت أرسلتنى سكينة لاعلم خبرك أتذكرت منها ما تذكرت منك وأنا أعلم أنك قد فعلت حين نزلت عن فرشك الى الارض قال دعنى من هذا وغنى

عوجابه فاستنطقاه فقد * ذكرنى ما كنت لم أذكر

قال فغنيته فلم يطرب ثم قال غنى ويحك غير هذا فان أصبت ما فى نفسى فلك حلتى هذه وقد اشتريتها آنفا بثلثمائة دينار فغنيته

علق القلب بعض ما قد شجاه * من حبيب أمسى هوانا هواه
ما ضرارى نفسى بهجران من ليـ * ـس مسيئا ولا بعيدا نواه
واجتنابى بيت الحبيب وما الخلـ * ـد بأشهى الى من أن أراه

فقال ما عدوت ما فى نفسى خذ الحلة قال فأخذتها ورجعت الى سكينة فقصصت عليها القصة فقالت وأين الحلة قلت معى فقالت وأنت الآن تريد أن تلبسها لا والله ولا كرامة فقلت قد أعطانيها فأى شئ تريدين منى فقالت أنا أشتريها منك فبعتها اياها بثلثمائة دينار

وقال بعضهم كان ابن سريج قد أصابته الريح الخبيثة وآلى يمينا أن لا يغنى ونسك ولزم المسجد الحرام حتى عوفى ثم خرج فأتى المدينة ونزل على بعض اخوانه من أهل النسك والقراءة فأقام فى المدينة حولا ثم أراد الشخوص الى مكة وبلغ ذلك سكينة فاغتمت لذلك غما شديدا وضاق به ذرعها وكان أشعب يخدمها وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره فقالت لاشعب ويلك ان ابن سريج شاخص وقد دخل المدينة منذ حول ولم أسمع من غنائه قليلا ولا كثيرا ويعز على ذلك فكيف الحيلة فى الاستماع منه ولو صوتا واحدا فقال لها أشعب جعلت فداك وأنى لك بذلك والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه فارفعى طمعك واحسى بورك تنفعك حلاوة فك فأمرت بعض جواريها فوطئن بطنه حتى كادت أن تخرج أمعاؤه وخنقته حتى كادت نفسه أن تتلف

ثم أمرت به فسحب على وجهه حتى أخرج من الدار اخراجا عنيفا فخرج على أسوأ الحالات واغتم أشعب غما شديدا وندم على مما زحتها فى وقت لا ينبغى له ذلك فأتى منزل ابن سريج ليلا فطرقه فقيل من هذا فقال أشعب ففتحوا له فرأى على وجهه ولحيته التراب والدم سائلا من أنفه وجبهته على لحيته وثيابه ممزقة وبطنه وصدره وحلقه قد عصرها الدوس واختنق ومات الدم فيها فنظر ابن سريج الى منظر فظيع هاله وراعه فقال له ما هذا ويحك فقص القصة عليه فقال ابن سريج انا لله وانا اليه راجعون ماذا نزل بك والحمد لله الذى سلم نفسك لا تعودن الى هذه أبدا قال أشعب فديتك هى مولاتى ولا بدلى منها ولكن هل لك حيلة فى أن تسير اليها وتغنيها فيكون ذلك سببا لرضاها عنى قال ابن سريج كلا والله لا يكون ذلك أبدا بعد أن تركته قال أشعب قد قطعت أملى ورفعت رزقى وتركتنى حيران بالمدينة لا يقبلنى أحد وهى ساخطة علىّ فالله الله فىّ وأنا أنشدك الله الا تحملت هذا الاثم فىّ فأبى عليه فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تم على الامتناع قال فى نفسه لا حيلة لى وهذا خارج وان خرج هلكت فصرخ صرخة فتحت آذان أهل المدينة لها ونبه الجيران من رقادهم وأقام الناس من فرشهم ثم سكت فلم يدر الناس ما القصة عند خفوت الصوت بعد أن راعهم فقال له ابن سريج ويلك ما هذا قال لئن لم تسر معى اليها لاصرخن صرخة أخرى لا يبقى أحد بالمدينة الا صار بالباب ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بى ولأعلمنهم أنك أردت أن تفعل كذا وكذا بفلان يعنى غلاما كان ابن سريج مشهورا به فمنعتك وخلصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى ففعلت بى هذا غيظا وأسفا وأنك انما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه فقال ابن سريج اعزب أخزاك الله قال أشعب والله الذى لا اله الا هو والا فما أملك صدقة وامرأتى طالق ثلاثا وهو نحير فى مقام ابراهيم والكعبة وبيت النار والقبر قبر أبى رغال ان أنت لم تنهض معى فى ليلتى هذه لأفعلن ما قلت لك فلما رأى ابن سريج الجد منه قال لصاحبه ويحك أما ترى ما وقعنا فيه وكان صاحبه الذى نزل عنده ناسكا فقال لا أدرى ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث وتذمم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل فقال لأشعب اخرج من منزل الرجل فقال رجلى على رجلك فخرجا فلما صارا فى بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب امض عنى قال والله لئن لم تفعل ما قلت لاصيحن الساعة حتى يجتمع الناس ولأقولن انك أخذت منى سوارا من ذهب لسكينة على أن تجيئها فتغنيها سرا وانك كابرتنى عليه وجحدتنى وفعلت بى هذا الفعل فوقع ابن سريج فيما لا حيلة له فيه فقال امض لا بارك الله فيك فمضى معه فلما صارا الى باب سكينة قرع الباب فقيل من هذا فقال أشعب قد جاء بابن سريج ففتح الباب لهما ودخلا الى حجرة خارجة عن دار سكينة فجلسا ساعة ثم أذن لهما فدخلا الى سكينة فقالت يا عبيد ما هذا الجفاء قال قد علمت بأبى أنت ما كان منى قالت أجل فتحدثنا ساعة وقص عليها ما صنع به أشعب فضحكت وقالت لقد أذهب ما كان فى قلبى عليه وأمرت لأشعب بعشرين دينارا وكسوة ثم قال لها ابن سريج أتأذنين بأبى أنت قالت وأين قال الى المنزل قالت برئت من جدى ان برحت من دارى ثلاثا وبرئت من جدى ان أنت لم تغن ان خرجت من دارى شهرا وبرئت من جدى ان أقمت فى دارى شهرا ان لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشرا وبرئت من جدى ان حنثت فى يمينى أو شفعت فيك أحدا فقال عبيد واسخنة عيناه واذهاب ديناه وافضيحتاه ثم اندفع يغنى

أستعين الذى بكفيه نفعى * ورجائى على التى قتلتنى

ولقد كنت قد عرفت وأبصر * ت أمورا لو أنها نفعتني

قلت اني أهوى شقاما ألاقي * في خطوب تتابعت فدحتني

فقالت سكينة فهل عندك يا عبيد من صبر ثم أخرجت دملجا من ذهب كان في عضدها وزنه أربعون مثقالا فرمت به اليه ثم قالت أقسمت عليك الا ما أدخلته في يدك ففعل ذلك ثم قالت لأشعب اذهب الى عزة الميلاء فاقرئها مني السلام وأعلمها أن عبيدا عندنا فلتأتنا متفضلة بالزيارة فأتاها أشعب فأعلمها فأسرعت المجيء فتحدثوا باقي ليلتهم ثم أمرت عبيدا وأشعب فخرجا فناما في حجرة مواليها فلما أصبحت هيئ لهم غداؤهم وأذنت لابن سريج فدخل فتغدى قريبا منها مع أشعب ومواليها وقعدت هي مع عزة وخاصة جواريها فلما فرغوا من الغداء قالت يا عزة ان رأيت أن تغنينا فافعلي فقالت اي وعيشك فتغنت لحنها في شعر عنترة العبسي

حييت من طلل تقادم عهده * أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

ان كنت أزمعت الفراق فانما * زمت ركابكم بليل مظلم

فقال ابن سريج أحسنت والله يا عزة وأخرجت سكينة الدملج الآخر من يدها فرمت لها وقالت صيري هذا في يدك ففعلت ثم قالت لعبيد هات غننا فقال حسبك ما سمعت البارحة فقالت لا بد أن تغنينا في كل يوم لحنا فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسأله غنى

قالت من أنت على ذكر فقلت لها * أنا الذي ساقه للحين مقدار

قد حان منك فلا تبعد بك الدار * بين وفي البين للمتبول اضرار

ثم قالت لعزة في اليوم الثاني غني فغنت لحنها في شعر الحرث بن خالد

وقرت بها عيني وقد كنت قبلها * كثير البكاء مشفقا من صدودها

وبشرة خود مثل تمثال بيعة * تظل النصارى حوله يوم عيدها

قال ابن سريج والله ما سمعت مثل هذا قط حسنا ولا طيبا ثم قالت لابن سريج هات فاندفع يغني

أرقت فلم أنم طربا * وبت مسهدا نصبا

لطيف أحب خلق الله انسانا وان غضبا

فلم أردد مقالتها * ولم أك عاتبا عتبا

ولكن صرمت حبلي * فأمسى الحبل منقضبا

فقالت سكينة قد علمت ما أردت بهذا وقد شفعناك ولم نردك وانما كانت يميني على ثلاثة أيام فاذهب في حفظ الله وكلاءته ثم قالت لعزة اذا شئت أقمت أو انصرفت ودعت لها بحلة ولابن سريج بمثلها وانصرفت وأقام عبيد حتى انقضت ليلته وانصرف فمضى من وجهه الى مكة راجعا

واجتمع يوما نسوة عند سكينة بنت الحسين عليهما السلام وهن بالمدينة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه وتشوقن اليه وتمنينه فقالت سكينة أنا آتيكن به فبعثت اليه رسولا وهو يومئذ بمكة ووعدته أن يأتيها في الصورين في ليلة سمتها له فوافاها على رواحله ومعه الغريض فحدثهن حتى وافى الفجر وحان انصرافهن فقال لهن اني والله مشتاق الى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده ولكن لا أخلط بزيارتكن شيأ ثم انصرف الى مكة وقال

ألم يرَ زينب ان البين قد أفدا * قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدة * وما على الحرّ الا الصبر مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصفها * لقد وجدت به فوق الذي وجدا
لعمرها ما أرانى ان نوى بعدت * وهكذا الحب الا مثاكهدا

قال وانصرف عمرو والغريض معه فلما كان بمكة قال عمرو يا غريض انى أريد أن أخبرك بشيء يتعجل لك نفعه ويبقى لك ذكره فهل لك فيه قال افعل من ذلك ماشئت وما أنت أهله قال انى قد قلت فى هذه الليلة التى كنا فيها شعرا فامض به الى النسوة فأنشدهن ذلك وأخبرهن أنى وجهت بك فيه قاصدا قال ثم حمل الغريض الشعر ورجع الى المدينة فقصد سكينة وقال لها جعلت فداك ياسيدتى ومولاتى ان أبا الخطاب أبقاه الله وجهنى اليك قاصدا قالت أوليس فى خير وسرور تركته قال نعم قالت وفيم وجهك أبو الخطاب حفظه الله قال جعلت فداك ان ابن أبى ربيعة حملنى شعرا وأمرنى أن أنشدك اياه قالت فهاته فأنشدها الشعر بتمامه قالت فياويحه فما كان عليه أن لا يرحل فى غدة فوجهت الى النسوة فجمعتهن وأنشدتهن الشعر وقالت للغريض هل عملت فيه شيأ قال قد غنيته ابن أبى ربيعة قالت فهاته فغناه الغريض فقالت سكينة أحسنت والله وأحسن ابن أبى ربيعة ولولا أنك سبقت فغنيته عمر قبلنا لأحسنا جائزتك يابنانة أعطه بكل بيت ألف درهم فأخرجت اليه بنانة أربعة آلاف فدفعتها اليه وقالت له سكينة لو زادنا عمر لزدناك وكانت وفاة السيدة سكينة بمكة فى ربيع الاول سنة ١٢٦ وقيل سنة ١١٧ بالمدينة وهو الارجح

﴿سلمى الملقبة بقرة العين﴾

كانت فتية بارعة الجمال متوقدة الجنان فاضلة عالمة أبوها أحد المجتهدين فى العجم وكانت متزوجة بمجتهد آخر طلقت نفسها من زوجها على خلاف حكم شريعة الاسلام وآمنت بالسيد على محمد تلميذ الشيخ أحمد زين الدين الاحسائى الذى مزج التصوف والفلسفة بالشريعة وتسمى السيد على المذكور بالبابى وطريقته تسمت به وكانت قرة العين تكاتبه ويكاتبها فكان يخاطبها فى مكاتباته بقرة العين فلقبت بذلك وكانت تناظر العلماء والفضلاء مكشوفة الوجه بدون حجاب ثم لما وقعت المحاربة بين البابيين وعساكر الدولة فى مازندران جيشت جيشا وقادته مكشوفة الوجه وسارت أمامه طالبة اعانتهم وفى أثناء الطريق قامت فى الناس خطيبة وقالت أين أحكام الشريعة الاولى أعنى المحمدية قد نسخت وان أحكام الشريعة الثانية لم تصل الينا فنحن الآن فى زمن لا تكليف فيه بشيء فوقع الهرج والمرج وفعل كل من الناس ما كان يشتهيه من القبائح ثم قبض عليها ولبست البرقع جبرا وحكم عليها بان تحرق حية ولكن الجلاد خنقها قبل أن تشتعل النار بالحطب الذى أعد لاحراقها

﴿سلمى امرأة عروة بن الورد﴾

هى امرأة من بنى كنانة وتكنى أم وهب وكان عروة بن الورد قد أغار عليهم فأصابها منهم وكانت بكرا فأعتقها واتخذها لنفسه فمكثت عنده بضعة عشر سنة وولدت له ولدا وهو لا يشك فى أنها أرغب الناس فيه وهى تقول له لو حججت بى فأمر على أهلى وأراهم فحج بها فأتى الى مكة ثم أتى الى المدينة وكان يخالط من أهل يثرب بنى النضير وكان قومها يخالطون بنى النضير فأتوهم وهو عندهم فقالت لهم سلمى انه خارج بى

قبل أن يخرج الشهر الحرام فتعالوا اليه وأخبروه أنكم لا تحبون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب مسبية وافتدوني منه فانه لا يرى أني أفارقه ولا أختار عليه أحدا فأتوه فسقوه الشراب فلما ثمل قالوا له فادنا بصاحبتنا فانها وسيطة النسب فينا معروفة وانه عار علينا أن تكون مسبية فاذا صارت الينا وأردت معاودتها فاخطبها الينا فانا ننكحك فقال لهم ذلك لكم ولكن لي الشرط فيها أن تخيروها فان اختارتني انطلقت معي الى ولدها وان اختارتكم انطلقتم بها قالوا ذلك لك قال دعوني ألهو بها الليلة وأفاديها غدا فلما كان الغد جاؤه فامتنع من فدائها فقالوا له قد فاديتنا بها منذ البارحة وشهد عليه بذلك جماعة ممن حضر فلم يقدر على الامتناع وفاداها فلما فادوه بها خيروها فاختارت قومها ثم أقبلت عليه فقالت يا عروة أما اني أقول فيك وان فارقتك الحق والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك وأغض طرفا وأقل فحشا وأجود يدا وأحمى لحقيقة والله انك ما علمت لضحوك مقبل كسوب مدبر خفيف على متن الفراش ثقيل على ظهر العدو طويل العماد كثير الرماد راضي الاهل والاجنب وما مر علي يوم منذ كنت عندك الا والموت فيه أحب الي من الحياة بين قومك لاني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول قالت أمة عروة كذا وكذا الا سمعته ووالله لا أنظر في وجه غطفانية أبدا فارجع راشدا الى ولدك وأحسن اليهم ثم فارقته فقال عروة في ذلك

أرقت وصحبتي بمضيق عمق * لبرق من تهامة مستطير
سقى سلمى وأين ديار سلمى * اذا كانت مجاورة السدير
اذا حلت بأرض بني علي * وأهلي بين زامرة وكير
ذكرت منازلا من أم وهب * محل الحي أسفل من نقير
وأحدث معهدا من أم وهب * معرسنا بدار بني النضير
وقالوا ما تشاء فقلت ألهو * الى الاصباح آثر ذي أثير
بآنسة الحديث رضاب فيها * بعيد النوم كالعنب العصير

فتزوجها رجل من بني عمها فقال لها يوما من الايام يا سلمى اثني علي كما أثنيت على عروة وكان قولها فيه اشتهر فقالت له لا تكلفني ذلك فاني ان قلت الحق أغضبتك واللات والعزى لا أكذب فقال عزمت عليك لتأتين في مجلس قومي فلتثنين علي بما تعلمين وخرج فجلس في ندي القوم وأقبلت فرماها القوم بأبصارهم فوقفت عليهم وقالت أنعموا صباحا ان هذا عزم علي أن أثني عليه بما أعلم ثم أقبلت عليه فقالت والله ان شملتك لالتحاف وان شربك لاشتفاف وانك لتنام ليلة تخاف وتشبع ليلة تضاف وما ترضي الاهل ولا الجار ثم انصرفت عنه فلامه قومه وقالوا ما كان أغناك عن هذا القول منها

سلامة القس

هي جارية كانت لسهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فاشتراها يزيد بن عبد الملك بثلاثة آلاف دينار فأعجب بها وغلبت على أمره

وسبب ما قيل لها سلامة القس أن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمارة أحد بني جشم بن معاوية بن بكر كان فقيها عابدا مجتهدا في العبادة وكان يسمى القس لعبادته مر يوما بمنزل مولاها فسمع غناءها فوقف يسمعه فرآه مولاها فقال له هل لك أن تنظر وتسمع فأبى فقال له أنا أقعدها بمكان لا تراها وتسمع غناءها فدخل معه

فغنته فاعجبه غناؤها ثم أثر حبها مولاها اليه فشغف بها وأحبها وأحبته هي أيضا وكان شابا جميلا وكثر تردده على منزل مولاها فقالت له يوما على خلوة أنا والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت أحب أن أقبلك قال وأنا والله كذلك قالت أحب أن أضع بطني على بطنك قال وأنا والله قالت فما يمنعك قال قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وأنا أكره أن تؤول خلتنا الى عداوة ثم قام وانصرف عنها وعاد الى عبادته وله فيها أشعار منها

ألم ترها لا يبعد الله دارها * اذا طربت في صوتها كيف تصنع
تمد نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

وله فيها

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر * وهل أنت يوما عن سلامة مقصر
ألا ليت أني حيث سارت بها النوى * جليس لسلمى كلما عج مزهر
اذا أخذت في الصوت كاد جليسها * يطير اليها قلبه حين ينظر

فلذلك قيل لها سلامة القس

وكانت أخذت الغناء عن معبد وتعلمت منه جملة أصوات وكان يزيد يقدمها على غيرها من مولدات المدينة ولذلك لما مات عظم موته عندها فجاءت في مشهده وصارت تفرق الناس حتى قربت من النعش وقد أضرب الناس عنه ينظرون اليها وقد أخذت بعمود السرير وهي تبكي وتقول

قد لعمري بت ليلي * كأخي الداء الوجيع
ونجي الهم مني * بات أدنى من ضجيعي
كلما أبصرت ربعا * خاليا فاضت دموعي
قد خلا من سيد كا * ن لنا غير مضيع
لا تلمنا ان خشعنا * أو هممنا بخشوع

وكان يزيد أمر معبدا أن يعلمها هذا الصوت فعلمها اياه فندبته به يومئذ وكانت لها مناظرات ومحاورات ومجالس أنس مع حبابة ويزيد لم يسبق لامثالهم من الخلفاء والملوك ولم يصل أحد الى ما وصلوا اليه

﴿سميراميس ملكة أشور﴾

كانت أجمل أقرانها وأشجع أهل زمانها وليت العرش بعد زوجها (فينوس) فكان من همها تحسين مدينة بابل فشادت بها الهياكل العظيمة وأنشأت القصور المزخرفة وغرست الرياض والبساتين واحتفرت الترع والخلجان ومدت عليها المعابر والقناطر وبنت في ساحة المدينة هيكلا (بور) اله الاشوريين وأقامت فيه تمثالا ذهبيا طوله ٤٠ قدما وكان هذا الهيكل أعظم بناء قام به البشر بلغ ارتفاعه ٦٦٠ قدما أعلى من الهرم المصري الاكبر قال عنه هيرودوتس المؤرخ انه مربع الشكل مساحته ٤٠٠ ذراع في وسطه برج يرتفع نحو ٦٠٠ قدم ويعلوه سبعة أبراج علو كل منها ٧٥ قدما وفي البرج الاخير معبد فيه تمثال من ذهب وبقربه مائدة ومنصة ذهبيتان ثمنهما نحو ٢٢٥ مليونا وفي فناء هذا المعبد مذبحان أحدهما ذهبي يوقد عليه في كل عيد ٣٠٠٠ أقة بخور وبالجملة فان هذه الملكة هي التي أحيت لبابل رونقها المذكور وبهاءها المشهور وهي التي أولتها تلك العظمة والشهرة بيد أنها لم تكتف بما كسبها سعيها هذا

من القهر بل جمعت نفسها الى الغارة فأثارتها شعواء على مصر فالحبشة ففلسطين فالهند فانتصرت فى جميع غزواتها الا فى الهند فان أفيال الهند قد ألقت الرعب فى قلوب العسكر ولم تطل حياتها ولما بلغها خبر أفيال ملك الهند ارتابت وخافت من انتصار الهنود عليها واذ لم يكن عندها قوة تضاهيها اجتهدت أن تدفع عنها هذه البلية بطريقة احتيالية فأمرت قواد العسكر بذبح ثلاثة آلاف بقرة من ذوات اللون الاسمر وأن يسلخوها ويفصلوا جلودها على هيئة الافيال ويلبسوها الجمال فامتثلوا ما أمرت وفعلوا ما ذكرت وعلى هذه الصورة أنزلتها الى ميدان الحرب لتلقى الرعب فى قلوب الاعداء باظهارها لهم استعداداتها الحربية وشوكتها القوية فلما انتشب القتال بين الفريقين انعطف ملك الهند بأفياله الحقيقية على عساكر الاشوريين وتقدمت الملكة سميراميس بجمالها وفرسانها وجلود ثيرانها ولما اقترن العسكران والتقى الجيشان انكشفت للهنود تلك الحيلة وتحقق عندهم أنه لا يوجد عند الاعداء أفيال كأفيالهم وان ما يرى انما هو حيلة وخداع فتشجعوا وهجموا على صفوف الاشوريين هجمة هائلة فالتقتهم الملكة سميراميس برجالها وأبطالها فاشتد القتال وعظمت الاهوال ودخلت أفيال الهنود بين صفوف الاشوريين فكانت تخطف الرجال عن خيولها وتدوسها فما لبثت الجمال المصطنعة أن ولت الادبار وطلبت النجاة والفرار ولم تكن الابرهة يسيرة حتى انكسر جيش الاشوريين وانتصرت الهنود انتصارا عظيما وكسبت غنائم جسيمة وكانت الملكة سميراميس قد انجرحت جرحا بليغا ولكنها فازت بالهزيمة بسبب خفة فرسها ورجعت الى بلادها مدحورة صاغرة ومن ذلك الحين زهدت فى متاع الدنيا ومالت الى الخمول فقتلها بعد يسير ابنها نيناس وذلك سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد فأنزلها الاشوريون منزلة الاله وأقاموا لها صورا منقوشة بهيئة حمامة زعما منهم أنها انقلبت عقب موتها بجسم حمامة وهى فى كل حال فخر نساء العصر القديم ونور مشكاته

﴿سمية أم عمار بن ياسر﴾

هى سمية بنت خباط كانت أمة لابى حذيفة بن المغيرة المخزومى وكان ياسر حليفا لابى حذيفة فزوجه سمية فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفة وكانت من السابقين الى الاسلام قيل كانت سابع سبعة فى الاسلام وكانت ممن يعذب فى الله عز وجل أشد العذاب قال أحد رجال آل عمار بن ياسر ان سمية أم عمار عذبها هذا الحى من بنى المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم على الاسلام وهى تأبى غيره حتى قتلوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالابطح فى رمضاء مكة فيقول صبرا آل ياسر موعدكم الجنة وروى أن أبا جهل ضربها فى قلبها بحربة فى يده فقتلها فهى أول شهيد فى الاسلام قال مجاهد أول من أظهر الاسلام بمكة سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فمنعهما قومهما وأما الآخرون فألبسوا أدراع الحديد ثم صهروا فى الشمس وجاء أبو جهل الى سمية فطعنها بحربة فقتلها

﴿سودة بنت زمعة﴾

ابن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشية العامرية وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الانصارية وسودة هى

زوجة النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة بعد وفاة خديجة قبل عائشة وكانت قبله تحت ابن عمها السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو من بني عامر بن لؤي وكان مسلما فتوفي عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصب منه ولدا الى أن مات وعن ابن عباس قال خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز

وروي عن سودة بنت زمعة قالت جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أبي شيخ كبير لا يستطيع أن يحج قال أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه قبل منك قال نعم قال فالله أرحم حج عن أبيك وتوفيت سودة آخر خلافة عمر

﴿سودة ابنة عمارة بن الاشتر الهمدانية﴾

كانت أديبة عاقلة شاعرة وفدت على معوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت فقال لها كيف أنت يا بنت الاشتر قالت بخير يا أمير المؤمنين قال لها أنت القائلة لاخيك

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة ❊ يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه ❊ واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد ❊ علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه ❊ قدما بأبيض صارم وسنان

فقالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب فدع عنك تذكار ما قد نسي قال هيهات ليس مثل مقام أخيك ينسى قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به ❊ كأنه علم في رأسه نار

وبالله أسأل أمير المؤمنين اعفائي مما استعفيته قال قد فعلت فقولي حاجتك قالت انك للناس سيد ولامورهم مقلد والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويسومنا الخسف ويسألنا الجليلة هذا ابن أرطاة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما فعرفناك فقال معوية اياي تهددين بقومك والله لقد هممت أن أردك اليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك فسكتت ثم قالت

صلى الاله على روح تضمنه ❊ قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا ❊ فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذلك قالت علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى قال ما أرى عليك منه أثرا قالت بلى أتيته يوما في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدته قائما يصلي فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يده الى السماء فقال اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة جلد من جراب فكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير

لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ اذا أتاك كتابي فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام فعزله فقال معوية اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها فقالت لي خاصة أم لقومي عامة قال وما أنت وغيرك قالت هي والله الفحشاء واللؤم ان كان عدلا شاملا والا يسعني ما يسع قومي قال لها جرأكم ابن أبي طالب وغركم قوله

فلو كنت بوابا على باب جنة ● لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وقوله

ناديت همدان والابواب مغلقة ● ومثل همدان سني فتحة الباب

كالهندواني لم يفلل مضاربه ● وجه جميل وقلب غير وجاب

اكتبوا لها بحاجتها فكتبوا لها وانصرفت

سوسن زوجة يوا كيم ملكة بني اسرائيل

من سبط يهوذا وقد ذكرت هذه القصة في التوراة عاقب سفر دانيال عليه السلام انه لما كان في السنة الثالثة من ملك يوا كيم قدم بختنصر ملك بابل الى أورشليم وسلمها الله سبحانه وتعالى ثم نزل في بيت المقدس ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شخصين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد في بني اسرائيل فكانا يحكمان في الشعب ويأويان الى بيت يوا كيم الملك وكانت سوسن في أرفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لان والديها كانا صديقين في بني اسرائيل وكانت في كل يوم تنزل الى بستانها المنزهة فرآها القاضيان فوقعت منهما فاشتغلا بها عن النظر في الحكومات وكتم كل عن الآخر حتى اذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه قد اشتد الحر فلنذهب كل منا فيستريح وخرجا مضمري العود رجاء الظفر بالجارية فلما التقيا فحص كل عن عود الآخر فأظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وانها دخلت مع جاريتين البستان فعزمت على الحوم وقد استخفيا فأرسلت الجاريتين لياتياها بما يلزم لها فظهر القاضيان وأغلقا الابواب وقالا لها ان لم تجيبينا والا قلنا انا وجدنا معك شابا ومن أجل ذلك أرسلت الجاريتين وأنت تعلمين مكاننا من بني اسرائيل قالت سوسن والله لا أغضب ربي أبدا وصرخت فصرخ القاضيان ومضى أحدهما ففتح الباب وجاء العبيد فأخبراهم بالقصة فبقوا مبهوتين لانهم لا يعلمون عليها سوأ ثم أتى يوا كيم فاعلموه بالامر وانهما لم يقدرا على مسك الشاب فجمع الشعب وتقدم الشيخان فكشفا عن سوسن وقالا نشهد على هذه أنها دخلت البستان ومعها جاريتان فأرسلتهما وأغلقت الابواب فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها فحين رأينا المعصية صحنا فانفلت الشاب فبكت سوسن ورفعت طرفها الى السماء وقالت يا ألله يا داثم يا عالم الخفيات أنت تعلم انهما كذبا على ثم أقاماها للقتل وكان دانيال عليه السلام شابا عمره ثلاث عشرة سنة فجاء وصاح عليهم أن قفوا فانى بريئة مما رميت به ثم أمر بالتفريق بينهما فقال لاحدهما من أي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة بطم فقال كذبت وهذا ملاك الله شاهد عليك بالكذب ثم أخره وقدم الآخر وقال له من تحت أي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة زيت فقال كذبت وأقامهما فنشرا ونزلت نار فأحرقتهما (تأمل) وحفظ الله الدم الزكي وعظم أمر دانيال عليه السلام

حرف الشين

﴿شجرة الدر﴾

هي الملكة عصمت الدين أم خليل شجرة الدر محظية السلطان الصالح نجم الدين أبي الفتوح أيوب وأم ولده السلطان خليل

كانت امرأة عاقلة مهذبة خبيرة بالامور وكان يرجع اليها بالرأي الملك الصالح أيوب ويستشيرها في مهمات الامور ومن أمرها أنه لما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب بناحية المنصورة في قتال الفرنج قامت بالامر وكتمت موته واستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا وسلمت اليه مقاليد الامور وتسلطن بقلعة دمشق في رمضان سنة ٦٤٧ هجرية وقدم الى الصالحية وأعلن يومئذ بموت الصالح ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه بموته بل كانت الامور على حالها والخدمة تعمل بالدهليز والسماط يمد وشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهم الكافة أن السلطان مريض ما الاحد اليه وصول ثم أساء السلطان توران شاه تدبير نفسه فقتله البحرية بعد سبعين يوما من ولايته وبموته انقضت دولة بني أيوب من مصر ثم اجتمع المماليك البحرية على أن يقيموا بعده في السلطنة محظية أستاذهم شجرة الدر فأقاموها وحلفوا لها في عاشر صفر ورتبوا عز الدين أيبك التركماني مقدم العسكر فساروا الى قلعة الجبل وأنهي ذلك الى شجرة الدر فقامت بتدبير المملكة وعلمت على التوقيع بمثاله والدة خليل ونقش على السكة اسمها ومثاله المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين وخلعت على المماليك البحرية وأنفقت فيهم الاموال ولم يوافق أهل الشام على سلطنتها وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب فسار الى دمشق وملكها فانزعج العسكر بالقاهرة وتزوج الامير عز الدين أيبك التركماني بشجرة الدر ونزلت له عن السلطنة وكانت مدتها ثمانين يوما ومن مآثرها الجامع الذي بنته بخط الخليفة بمصر بقرب مشهد السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما ودفنت فيه حين موتها وهو مقام الشعائر لغاية الآن ولها جملة مآثر ومبان خيرية بمصر وخلافها من البلاد التي تملكت عليها

﴿شعاتين زوجة المتوكل الخليفة العباسي﴾

كانت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال ولطف وظرف واعتدال قد واحورار طرف مجيدة لضروب الغناء وفنونه عالمة بأساليب الغرام وفنونه قيل ان سبب ائتلاف المتوكل بها انه خرج يوما للنزهة في ضواحي الشام فبينما هو يتصفح الكنائس والرياض ويرى ما فيها من العجائب وحسن ثياب النصارى اذ أقبل راهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر حتى أقبلت جارية لم ير أحسن منها ولو بيدها مجمرة بخور فسأله عنها فقال هي ابنتي قال وما اسمها قال شعاتين فقال لها المتوكل يا شعاتين اسقيني ماء فقالت يا سيدي ليس هنا الاماء الغدران وأنا لا أستنظفه لك ولو كانت حياتي تروى بك لجدت لك بها وأسرعت بكوز فضة فأومأ الى أحد ندمائه أن اشربه فشربه ثم قال لها ان هويتك تساعديني فقالت له أنا الآن أمتك وأما اذا اصدق الحب في المحبة فما أخوفني من الطغيان أما سمعت قول الشاعر

كنت لي في أوائل الامر حبا * ثم لما ملكت صرت عدوا

أين ذاك السرور عند التلاقي * صار مني تجنبا ونبوّا

فطرب حتى كاد أن يشق ثوبه ثم قال لها هي لي اليوم نفسك فصعدت به الى غرفة مشرفة على الكنائس وجاء الراهب بخمر من أحسن الموجود وعاف المتوكل طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده فلما أخذ منه الشراب أحضر آلة وغنت

يا خاطبا مني المودة مرحبا * روحي فداؤك لا عدمتك خاطبا

أنا عبدة لهواك فاشرب واسقني * واعدل بكاسك عن جليسك اذ أبى

قد والذي رفع السماء ملكتني * وتركت قلبي في هواك معذبا

فأرغبها حينئذ فأسلمت وتزوجها فكانت من أحظى النساء عنده

شعوانة رضي الله عنها

كانت لا تفتر عن البكاء فقيل لها في ذلك قالت والله لوددت أن أبكي حتى تنقطع دموعي ثم أبكي دما حتى لا يبقى جارحة من جسمي فيها دم وكانت تقول من لم يستطع البكاء فليرحم الباكين فان الباكي انما يبكي لمعرفته بنفسه وما جنى عليها وما هو صائر اليه وكانت تبكي وتقول الهي انك لتعلم أن العطشان من حبك لا يروى أبدا وكانت التي تخدمها تقول من منذ ما وقع على نظر شعوانة ما ملت قط الى الدنيا ببركتها ولا استصغرت في عيني أحدا من المسلمين وكان الفضل بن العباس رضي الله عنهما يأتيها ويتردد اليها ويسألها الدعاء

الشلبية الاندلسية

اسم غلب على المترجمة نسبة الى بلدها بالاندلس كانت أديبة فاضلة شاعرة ناثرة واشتهر صيتها بالاندلس ونواحيها حتى انها كانت تجالس الملوك وتناظر الشعراء ولها جملة قصائد ومقطعات ولم يجمع شعرها بديوان حتى يظهر للعيان ومن شعرها ما كتبت به الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلادها وصاحب خراجها فقالت

قد آن أن تبكي العيون الآبيه * ولقد أرى أن الحجارة باكيه

يا قاصد المصر الذي يرجى به * ان قدر الرحمن رفع كراهيه

ناد الامير اذا وقفت ببابه * يا راعيا ان الرعية فانيه

أرسلتها هملا ولا مرعى لها * وتركتها نهب السباع العاديه

شلب كلا شلب وكانت جنة * فأعادها الطاغون نارا حاميه

حافوا وما خافوا عقوبة ربهم * والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال انها ألقيت يوم الجمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وأمر لها بصلة وكشف ظلامتها بعزل ذلك الوالي

شهدة ابنة أبي نصر أحمد بن أبي الفرج الابري الدينورية البغدادية

كانت من العلماء الاكابر المحدثات الصادقات بالرواية تعلمت الخط الجيد وأخذت العلم عن كثير من العلماء

وأجازوها اجازة لم تسبق لغيرها وأخذ عنها كثيرون وكان لها النفس العالي ألحقت فيه الاصاغر بالاكابر
وممن سمعت عنهم أبو الخطاب الطبراني وفخر الاسلام الشاشي وغيرهما من أفاضل العلماء وألفت جملة
رسائل في الحديث والفقه والتوحيد وماثرها كثيرة في أصناف العلوم وكانت وفاتها ببغداد سنة ٥٧٤
هجرية

﴿ شوكار قادن ﴾

هي معتوقة المرحوم عثمان كتخدا القازدغلي وزوجة المرحوم ابراهيم كتخدا القازدغلي كانت تقية
صالحة من بنات الجركس المتأدبات المطيعات لازواجهن الصادقات في خدمتهن ولها ماثر عظيمة
وادرارات جسيمة كريمة محسنة على الفقراء والمساكين قاضية لحوائج المحتاجين فمن ماثرها السبيل
الذي بنته بقرافة مصر الصغرى اعانة للناس وقت المواسم ووقفت له أوقافا يصرف من ريعها عليه وهو
منقوش من أعلاه برقم سنة ١١٧٠ وهذا السبيل عامر الى الآن ويملأ سنويا من ماء النيل على
طرف ديوان الاوقاف المصرية وفي حجة وقفيته المؤرخة سنة ١١٨٥ أن الست شوكار المذكورة وقفت
جميع المكان بخط الازبكية بدرب شيخ الاسلام بن عبد الخالق السنباطي وجميع الجنينة فيما بين بولاق
والقصر العيني المعروفة قديما بغيط الجعر وجميع الرزقة الكائنة بناحية ديرلا بالمنوفية وجميع الرزقة
الكائنة بناحية طموه بالجيزة وجميع خمسمائة عثماني وأربع عثمانية مرتب علوفة وجميع المكان
الكائن بالكحكيين تجاه حمام الجبيلي وجميع علو بعض طبقات من وكالة الملح وجميع المكان بخط
الكراسين بين الحيضان بالقرب من قنطرة الخرنوبي وجميع المكان الكائن بخط الشوائين بداخل
عطفة الفاكهاني وجميع المكان الكائن بالخط المذكور في العطفة المتوصل منها الباب جامع الفاكهاني
الشرقي ومطبخ السكر وجميع الحانوتين الكائنين تجاه جامع الفاكهاني وجميع ست قراريط من
الوكالة الكائنة بخط قنطرة الموسكي وجميع الحانوتين الكائنين بالدرب الاحمر وجميع الحانوت الكائن
بالخط المذكور تجاه جامع الصالح وجميع الحصة التي قدرها ثلاثة وعشرون قيراطا في الوكالة الكائنة
بخط البندقانيين وجميع الحصة التي قدرها نصف قيراط وسدس قيراط في كامل أراضي ناحية الارجنوس
وتوابعها بالبهنساوية وجميع ثلاثة حوانيت كائنة بخط باب الزهومة وجميع مرتب العلوفة وهو ثلاثة
وستون عثمانيا وشرطت لنفسها النظر وقفها هذا ومن بعدها للاولاد والعتقاء وأن يصرف في ثمن ماء عذب
يصب في السبيل انشاء الواقفة في كل سنة أربعة آلاف وتسعمائة وخمسون نصف فضة (النصف الفضة
عبارة عن بارة وكل أربعين منها بدرهم فضة أعني قرش وكل أربعة منها بجليم من العملة المصرية التي كل
ألف منها بدينار مصري) وفي ثمن حبال وبخور وغيره مائتان وخمسون نصف فضة وللمزملاتي سنويا سبعمائة
وعشرون نصفا ولغفير السبيل سنويا ثلثمائة وستون نصف فضة وأجرة مثله أربعمائة نصف وشرطت
أيضا أن يصرف في ثمن ماء يصب في السبيل الكائن بخط الخرنوبي ألف ومائتا نصف وللمزملاتي به ثلثمائة
وستون نصفا وأجرة النزح وثمن القلل والصور مائتان وأربعون نصفا وثمن زيت وقناديل بمقام الشيخ
الخرنوبي مائة وثمانون نصفا وأن يصرف في ثمن ماء يصب في السبيل الذي بالشوائين يوميا اثنا عشر نصفا
وفي ثمن ضحايا يوم العيد تفرق على الفقراء ثلاثون ريالا حجر أبو طاقة ولسبعة قراء يقرؤن من أول

رجب ليلة عيد الفطر سنويا أربعون دينارا ذهبا زر محبوب وللناظر الوقف سنويا ثلاثون دينارا وللناظر الحسبي عشرة دنانير وللباشر مثله والجابي كذلك وأن يصرف في وجوه الخير على تربتها في أيام الجمعة والعيدين سنويا عشرة دنانير ذهبا وللتربي عشرة ريالات حجر أبو طاقة ولسبعة قراء بالحرم المكي عشرة ريالات أبو طاقة أيضا فلله در هذه الواقفة فانها لم تدع بابا للخير الا قصته فرحمها الله رحمة واسعة وأكثر الله من أمثالها

شرفية ابنة سعيد قبودان

ولدت في سنة ١٢٦٠ هجرية وهي لغاية الآن على قيد الحياة ولهذه المترجمة وقائع تشهد لها بالوفاء وتعتبر من العجائب المستغربة فقد أخبرتني عنها احدى السيدات الموثوق بقولهن ولغرابة هذه الوقائع أحببت درجها في هذا التاريخ لكي تخلد لهذه المترجمة ذكرا مدى الاعصار وهو أنه كان في مدينة بولاق مصر رجل قبودان يقال له سعيد قبودان وكان قد اقترن بفتاة اسمها السيدة مخدومة شقيقة راتب باشا أحد رؤساء البحرية الحكومة المصرية فرزق منها سعيد قبودان بنتا فسماها شرفية ولم تمكث في حجر والدها سوى ثمان سنوات حتى توفاه الله وكان ذلك سنة ١٢٦٨ هجرية وهو مجاهد في حرب القرم الاخيرة وكانت هذه البنت غاية في الرقة واللطف وقد ربيت على مبادئ حسنة وقد علمتها والدتها القراءة والكتابة والاشغال اليدوية وجميع ما تختص به النساء من تطريز وغيره حتى فاقت بنات عصرها وهي مطيعة لوالدتها منقادة لكلامها وكانت تلك الوالدة تحنى عليها ضلوع الرأفة والحنو الى أن بلغت الثامنة عشرة من سنيها وكانت في مدينة ازمير امرأة متوسطة المقام وكان قد تركها زوجها منسحبا من بلده ولم تعلم أين ذهب وترك لها ولدا صغيرا ولكنه يضاهي البدر جمالا والغصن اعتدالا ومازالت منتظرة تربي ولدها الى أن فرغ منها المال المدخر معها ولم تجد ما تقتات به هي وولدها وقد تواترت الاخبار عن وجود زوجها في مصر فأخذت ولدها وكان في سن الثالثة عشرة من سنيه وحضرت به الى مصر لتبحث عن والده كما خطر في فكرها وقد نزلت بالامر المقدور على السيدة مخدومة فتلقتها على الرحب والسعة وقصت لها ما في قلبها فضلا عن منزلها أعظم محل وكلمت شقيقها راتب باشا في أمرها فبحث عن زوجها فلم يعلم له خبرا ولما لم يجده أخذ الغلام وسلمه الى احدى المدارس الاميرية وكان راتب باشا عديم الولد لانه لم يتزوج أبدا الى أن بلغ الثمانين من العمر وكانت شرفية في ذلك الوقت لم تتجاوز الثامنة عشرة وكان محمد كمال في سن الثالثة عشرة وكانت شرفية ربعة القوام ممتلئة الجسم مستديرة الوجه واسعة العيون مقرونة الحواجب قمحية اللون جذابة خفيفة الروح سوداء الشعر والعيون تخلب لب من يراها وأما محمد كمال فانه كان طويل القوام نحيل الجسم أبيض اللون أشقر الشعر أزرق العيون مستدير الوجه يميل دمه الى الخفة مع أنه قل من كان بهذا الشكل أن يستحصل على هذا الجاذب

ولما دخل الى منزل سعيد قبودان صارت شرفية تعتني بأمره كل الاعتناء من ملبس ومأكل وكل ما يلزم له وجميع سد احتياجاته وكانت والدتها تنظر اليها بعين الاستغراب وتفكر في أمرها وانشغالها بأمر هذا الغلام ولكنها ترجع نفسها عن الظنون في ابنتها لانها ترى أن الغلام صغير جدا ليس أهلا لان تحبه بنت ثمانية عشرة سنة وليس هو ممن يحب وهو في هذا السن ولما دخل المدرسة وبعد عن شرفية كثرت عليها

الافكار وصارت تحب الخلوة بنفسها ولكنها لم تضيع أوقاتها بدون أن تشتغل بشيء يعود نفعه على الغلام مثل خياطة ملبوس وغيره مما يلزم له وكان لا يأتي الا في كل ليلة جمعة على حسب أصول المدارس الداخلية في القطر المصري وكانت شرفية تنتظر ميعاد مجيئه كما في الاعياد

وفي تلك الفترة تكاثرت عليهما الخطاب وكانت والدتها تحب أن تزوجها لانها وحيدتها وتفرح بها قبل وفاتها وكلما جاءها خاطب تعرضه عليها والدتها وتحسنه في عيونها وهي لا تقبل منها ذلك ولا تجيبها الا بالبكاء والنحيب حتى انها صارت لا تقبل من يفاتحها بمثل هذا الكلام فلما تكرر فعلها هذا والدتها وظنت أن الذي يغريها على هذا الفعل هي أم الغلام فكلمتها بهذا الخصوص وأغلظت لها القول حتى أخرجتها من منزلها ولما خرجت زاد وجد شرفية وخافت أنها تحرم من رؤية حبيبها فحزنت الحزن الشديد حتى حرمت النوم والطعام ومازالت في أفكار الدهشة والحيرة الى أن كانت ليلة الجمعة فحضر محمد كمال على حسب العادة ولما بلغه أن والدته خرجت من المنزل وتوجهت الى منزل رائف باشا اغتم لذلك وكان الغلام أيضا قد أشرب حب البنت من حين طفوليته وكلما غاسنه يموج بها معه ولكنه كان ينظر الى نفسه فيجدها حقيرة بالنسبة الى شرفية ولكنه صار يجتهد في الاستحصال على العلوم الكافية لان تجعله أهلا لها ولم يمض زمن يسير الا وخرج من مدرسة المبتديان ودخل المدرسة الحربية بواسطة رائف باشا وبعد مضي مدة توفي الله والدتها السيدة مخدومة وبقيت البنت في حجر خالها كانها ابنته وصارت تطلبها الخطاب منه فيعرض عليها ذلك فلم تقبل فاحتار في أمرها ولم يدر ما الذي يمنعها عن الاقتران

وكان كمال لم يزل في منزل رائف باشا مع والدته فانها من حين ما خرجت من عند السيدة مخدومة دخلت الى منزل الباشا المشار اليه ومكثت عنده الى أن انضمت البنت اليه فصاروا كما كانوا جميعا في بيت واحد وكان الباشا لا يظن أن هذا التوقف من شرفية حاصل بسبب هذا الغلام لانه يرى أن بينه وبينها بونا بعيدا من حيث الثروة والسن أيضا وأما النسب فهو وان كان لا يعلم نسبه الا انه كان يرى في خلال طباع الغلام ما يدل على صحة نسبه وانه من نسل طيب وانه شريف النفس أبيها ولما طال أمر شرفية بالامتناع عن الزواج خاف الباشا أن يتوفاه الله قبل أن يزوج هذه البنت اليتيمة فشكا ذلك الى بعض أصدقائه وقال له بأن يكلف قرينته لانها كوالدتها أن تسألها في ذلك وتفهم ما سبب امتناعها عن الزواج ففعل الباشا المشار اليه ما كلفه به صديقه وقد سألتها قرينته فأظهرت لها أنها لا تقدر على مخالفة الطبيعة حيث ان لها ميلا كليا الى جهة محمد كمال فاستنتجت منها تلك السيدة أنها يستحيل عليها الاقتران بغير هذا الغلام وانها لا تقدر على مخالفة احساساتها القلبية فأخبرت زوجها بذلك وكان كمال في ذلك الوقت قد استحصل على رتبة ملازم وصار له جراءة على طلب شرفية فتقدم الى الباشا المشار اليه والتمس منه أن يكلم رائف باشا في أمر شرفية وأن ينعم عليه بها وأن يقبله عبدا له ما دام في هذه الدنيا لانه على كل حال هو غرس نعمته فتقدم اليه صديقه بأمر الخطوبة وأخبره انه اختبر أمر شرفية بلسان زوجته فوجدها تميل الى الغلام وهذا سبب امتناعها عن الاقتران بغيره ولما سمع رائف باشا هذا الخبر استعظمه وقال هذا شيء لا يكون أبدا لان الغلام لا يصلح لها فكيف أزوجه بنت أختي وأنا من بيت نوع الثواب وهو فقير ولا يقدر على أداء المهر ولا مصروف نفسه فضلا عن فتح المحل ومصاريفه مع كونه مجهول الاصل

فقال له أما كونه فقيرا فسوف يتقدم شيأ فشيأ ويستحصل على الرتب حتى يصير بدرجتنا حيث اننا نحن كنا

في ابتداء أمرنا فقراء وكان الواحد منا راتبه مائة وخمسين درهما فاجتهدنا الى أن اتصلنا على أرفع الرتب اللائقة بمثلنا وها هو مجتهد أيضا وأما من جهة كونه مجهول الاصل فنحن أيضا لانعلم أصلنا الان الواحد منا لايعلم أصل نفسه ولا من هم أهله فمن هو جركسي ومن هو مرلي ومن هو كرديلي وقد أخرجنا من بلادنا ما نعلم ماذا يؤل أمرنا اليه وها نحن والحمد لله قد صرنا من خواص رجال الحكومة المصرية ولم يزل به حتى أذعن له راتب باشا بعد امتناع مدة سنين وعقد للغلام على شرفية وشرعوا في أمر الجهاز ومايلزم للفرح وكانت شرفية في ذلك الوقت قد أحيي ميت آمالها وأدهشها الفرح الشديد عن كل ما في الكون

ولكنها واأسفاه لم يسمح لها الدهر باتمام تلك الافراح حتى هجم عليها بجيوشه الجبارة وصدمها صدمة تزول من هولها الجبال الراسيات وتذوب لها الحجر الجلمود

وذلك أنه لما بني لاقامة الفرح أسبوع واحد حم الغلام ووقع رهين الفراش ولم يمكث بعد ذلك سوى أيام قلائل حتى توفاه الله وقصف غصن شبابه النضر وانزوى جماله تحت أطباق الثرى سبحان الحي الباقي الذي لايموت

فلينظر الرائي الى حال شرفية التي يعجز القلم عن وصف حالها وما صارت اليه من الحزن والكدر حتى انها دخلت الى غرفتها التي هيأتها بيت الاحزان وأسبلت عليها الستور وصارت تندب حبيبها وتبكيه الى الآن وتوفي بعد ذلك خالها راتب باشا ولم تزل الى هذا الوقت مدفونة تحت أطباق الحزن تطلب الموت لعلها تجتمع بحبيبها في العالم الآخر فلم تجد لذلك من سبيل ولها مسجونة في بيت حزنها ما يزيد على الثلاثين سنة وقل من يصبر على هذا المصاب

﴿ شيرين زوجة أبرويز بن هرمز ﴾

من ولد كسرى أنوشروان كانت يتيمة في حجر رجل من الاشراف وكان أبرويز صغيرا يدخل منزل ذلك الرجل فيلاعب شيرين وتلاعبه فاخذت من قلبه موضعا فنهاها عن ذلك الرجل فلم تنته فرآها وقد أخذت في بعض الايام من أبرويز خاتما فقال لبعض خواصه اذهب بها الى الدجلة فغرقها فأخذها الرجل ومضى فقالت له وما الذي ينفعك من تغريقي فقال قد خانت لمولاي فقالت اقذفني في مكان رقيق فان نجوت لم أظهر وبرئت من يمينك ففعل وتوارت في الماء حتى غاب وصعدت الى دير فترهبت فيه وأحسن اليها الرهبان فلما تقرر الملك لأبرويز بعد أبيه هرمز مر بذلك الدير رسل قيصر أبرويز فدفعت الخاتم الى رئيسهم وقالت ابعث به الى أبرويز لتحظى عنده فأرسله وعرفه مكان شيرين فسر سرورا عظيما وأرسل اليها فأحضرها وكانت من أجمل النساء وأظرفهن ففوض اليها أمر نسائه وجواريه وعاهدها أن لايتمكن منها أحدا بعده وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين بالعراق فلما قتل شيرويه أباه أبرويز راودها عن نفسها فامتنعت فضيق عليها واستأصلها ورماها بالزنا وتهددها بالقتل ان لم تفعل فقالت أفعل على ثلاث شرائط قال ماهي قالت تسلم الي قتلة زوجي حتى أقتلهم وتصعد المنبر وتبرئني مما قذفتني به وتفتح لي ناوس أبيك فان له عندي وديعة عاهدني ان تزوجت بعده رددتها اليه فدفع اليها قتلة أبيه فقتلهم وبرأها قال وفتح لها ناوس أبيه وبعث الخادم معها فجاءت الى أبرويز فعانقته ومصت فصا مسموما كان معها فماتت من وقتها وأبطأت على الخدم فصاحوا فلم تكلمهم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة فهذه ممن يفتخر لهن بالوفاء

حرف

حرف الصاد

﴿ صفية ابنة عبد المطلب ﴾

ابن هاشم بن عبد مناف الهاشمية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أم الزبير بن العوام وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي شقيقة حمزة والعوام وحجل بني عبد المطلب لم يختلف في اسلامها من عمات النبي صلى الله عليه وسلم وكانت في الجاهلية قد تزوجها الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس أخو أبي سفيان بن حرب فمات عنها فتزوجها العوام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة وعاشت كثيرا وتوفيت بالبقيع ولما قتل أخوها حمزة وجدت عليه وجدا شديدا وصبرت صبرا عظيما وقيل انها أقبلت لتنظر الى حمزة بأحد وكان أخاها لامها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير القها فارجعها لاترى ما بأخيها فلقيها الزبير وقال أي أمي ان رسول الله يأمرك أن ترجعي قالت ولم فقد بلغني أنه مثل بأخي وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك لاصبرن ولاحتسبن ان شاء الله فلما جاء الزبير اليه وأخبره بقول صفية فقال خل سبيلها فأتته فنظرت اليه واسترجعت واستغفرت له ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن وقيل كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله قالت صفية فربنا رجل يهودي فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم ان أتانا آت قالت فقلت ياحسان ان هذا اليهودي يطوف بالحصن كما ترى ولا آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت صفية فلما قال ذلك ولم أر عنده شيأ احتجزت وأخذت عمودا ونزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت الى الحصن فقلت ياحسان انزل فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل فقال مالي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب وهي أول امرأة قتلت رجلا من المشركين

وكانت شاعرة فصيحة متقدمة عند جميع العرب بالقول والفعل والشرف والحسب والنسب وكانت حين مات أبوها عبد المطلب جمعت أخواتها ونساء بني هاشم وصرن يرثينه بقصائد كل منهن بقدر طاقتها فكان ما قالته صفية من شعر ترثيه قولها

أرقت لصوت نائحة بليل *	على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي *	على خدي كمنحدر الفريد
على رجل كريم غير وغل *	له الفضل المبين على العبيد
على الفياض شيبة ذي المعالي *	أبيك الخير وارث كل جود
صدوق في المواطن غير نكس *	ولا شخت المقام ولا سنيد
طويل الباع أروع شيظمي *	مطاع في عشيرته حميد
رفيع البيت أبلج ذي فضول *	وغيث الناس في الزمن الحرود
كريم الجد ليس بذي وصوم *	يروق على المسود والمسود

عظيم الحلم من نفر كرام * خضارمة ملاوثة أسود
فلو خلد امرؤ لقديم مجد * ولكن لا سبيل الى الخلود
لكان مخلدا أخرى الليالي * لفضل المجد والحسب التليد

ومن قولها ترثي النبي صلى الله عليه وسلم

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
فدى لرسول الله أمي وخالتي * وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا

ومن قولها أيضا في الحماس

ألا من مبلغ عني قريشا * ففيم الامر فينا والامار
لنا السلف المقدم قد علمتم * ولم توقد لنا بالغدر نار
وكل مناقب الاخيار فينا * وبعض الامر منقصة وعار

﴿ صفية ابنة الخرع ﴾

كانت من النساء المتحمسات اللاتي اذا قلن تقوم العرب بلة الهن ولها أشعار منها ما قالته رثاء في النعمان بن جساس بن مرة وكان سيد قومه فقتل يوم الكلاب وقتلوا به عبد يغوث وهو

نطاقه هندوانى وجبته * فضفاضة كاضاة النهى موضونه
لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت * وما قتلنا به الا امرأ دونه

﴿ صفية ابنة مسافر ﴾

أبوها مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كانت أديبة فاضلة ذات جمال وكمال وفصاحة عربية ما لها مثال ولها حسب ينتهي الى عبد مناف وشعر رائق مبني على أساليب البلاغة قد حضرت يوم بدر ورثت أهل القليب الذين أصيبوا به من قريش بقولها

يا من لعين قذاها عائر الرمد * حد النهار وقرن الشمس لم يقد
أخبرت أن سراة الاكرمين معا * قد أحرزتهم مناياهم الى أمد
وفر بالقوم أصحاب الركاب ولم * تعطف غداة إذن أم على ولد
قومي صفي ولا تنسي قرابتهم * وان بكيت فما تبكين من بعد
كانوا سقوف سماء البيت فانقصفت * فأصبح السمك منها غير ذي عمد

وقالت أيضا

ألا يا من لعينيا * لتبكي دمعها فاني
كغربى دالج يسقي * خلال الغيث للداني

وماليث عـرين ذو * أظافير وأسـنان
أبو شـبلين وثاب * شديد البطش غرثان
وبالكف حسام صا * رم أبيض ذكران
وأنت الطاعن النجلا * ء منهـا مزبدان

﴿ صفية بنت عمرو الباهلية ﴾

كانت شاعرة قومها محبوبة عندهـم ذات مقام رفيع وكان لها أخ من السراة المغاوير وكانت تحبه ويحبها محبة شـديدة ولا يرغبان الافتراق عن بعضهما الا للضرورة وكان مرة غازيا في قومه حيا من أحياء العرب فدارت عليهم الدائرة وقتل أخو صفية ولما بلغها الخبر شقت عليه الجيوب ولطمت الخدود ونشرت الشعور ورثته بمراث كثيرة منها قولها

كنا كغصنين في جرثومة سمقا * حينا بأحسن ما يسمو له الشجر
حتى اذا قيل قد طالت فروعهما * وطاب فيؤهما واستنظر الثمر
أخنى على واحدي ريب الزمان وما * يبقي الزمان على شئ ولا يذر
كنا كأنجم ليـل بينها قمر * يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

﴿ صفية ابنة حيي بن أخطب ﴾

ابن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ناخوم وهم من بني اسرائيل من سبط لاوي بن يعقوب ثم من ولد هارون بن عمران أخي موسى وأم صفية برة بنت سموأل وكانت زوجة سلام بن مشكم اليهودي ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق وهما شاعران فقتل عنها كنانة يوم خيبر روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وجمع السبي أتاه دحية بن خليفة فقال أعطني جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية فذهب وأخذ صفية قيل يارسول الله انها سيدة قريظة والنضير ماتصلح الا لك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ جارية من السبي غيرها وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصطفاها وحجبها وأعتقها وتزوجها وقسم لها وكانت عاقلة من عقلاء النساء وعن اسحق بن يسار أنه قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص حصن ابن أبي الحقيق أتي بصفية بنت حيي ومعها ابنة عم لها جاء بهما بلال فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صكت وجهها وصاحت وحثت التراب على رأسها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعزبوا هذه الشيطانة عني وأمر بصفية فحيزت خلفه وغطى عليها ثوبه فعرف الناس أنه قد اصطفاها لنفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال حين رأى من اليهودية ما رأى يابلال أنزعت منك الرحمة حتى تمر بامرأتين على قتلاهما وقد كانت صفية قبل ذلك رأت أن قمرا وقع في حجرها فذكرته لابيها فضرب وجهها ضربة أثرت فيه وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكوني عند ملك العرب فلم يزل الاثر في وجهها حتى أتي بها رسول الله فسألها عنه فأخبرته الخبر وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق صفية وجعل عتقها صداقها قالت صفية بنت حيي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا قلت وكيف تكونان خيرا مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي

موسى وكان بلغها أنهما قالتا نحن أكرم على رسول الله منها نحن أزواج رسول الله وبنات عمه وعن صفية أن النبي صلى الله عليه وسلم حج بنسائه فلما كان ببعض الطريق برك بصفية جملها فبكت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبر بذلك فجعل يمسح دموعها بيده وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فلما كان عند الرواح قال لزينب بنت جحش يا زينب أفقري أختك جملا وكانت من أكثرهن ظهرا قالت أنا أفقر يهوديتك فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك منها فلم يكلمها أيام منى حتى قدم مكة وفي سفره حتى رجع الى المدينة ومحرم وصفر فلم يأتها ولم يقسم لها ويئست منه فلما كان شهر ربيع الاول دخل عليها فلما رأت ظله قالت هذا ظل رجل وما يدخل على الا رسول الله قد دخل النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يا رسول الله ما أصنع قال وكانت لها جارية تخبؤها من النبي صلى الله عليه وسلم فقالت فلانة لك قال فمشى النبي صلى الله عليه وسلم الى سريرها وكان قد رفع فوضعه بيده ورضي عن أهله وروى عنها علي بن الحسين قالت جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم أتحدث عنده وكان معتكفا في المسجد فقام معي يبلغني بيتي فلقيه رجلان من الانصار قالت فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعا فقال تعاليا فانها صفية فقالا نعوذ بالله سبحان الله يا رسول الله فقال ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم وتوفيت سنة ست وثلاثين وقيل سنة خمسين رحمها الله تعالى

﴿ الملكة صفية والدة السلطان سليمان الثاني بن السلطان ابراهيم ﴾

كانت مولدة من بنات الجركس جاءت السراي الهمايونية وهي صغيرة وبعد مدة ظهرت نجابتها وبان رونقها وجمالها فاحتظى بها السلطان سليمان وبقيت عنده مكرمة معززة حتى مات وتولى الملك ولدها المشار اليه فصارت أعز مما كانت عليه وكثرت نفقاتها على فعل الخير والبر والاحسان ومن مآثرها الجامع المنسوب اليها الكائن بمصر القاهرة قال الامير علي باشا مبارك في خطط مصر التوفيقية ان هذا المسجد بجهة الحبانية في حارة الداودية عن يسار الذاهب من شارع محمد علي الى قلعة الجبل بمصر وهو مرتفع الارض نحو أربعة أمتار وله بابان يصعد الى كل منهما بعدة سلالم متسعة مستديرة وله صحن متسع بدائره ايوان مسقف بقباب على أعمدة من الحجر والرخام وفي مقصورة الصلاة منبر خشب ودكة في دائرها شبابيك لها أبواب من الخشب عليها النقوش ومطهرته بجوارها منفصلة عنه بالطريق وشعائره مقامة بنظر ديوان الاوقاف المصرية وهو من انشاء عثمان أغا بن عبد الله أغا دار السعادة ثم آل بطريق شرعي لسيدته الملكة صفية كما في كتاب وقفيته وملخص ذلك أن الملكة عليه الذات صفية الصفات والدة السلطان قد وكلت عن نفسها فخر الخواص والمقربين وذخر أصحاب العز والتمكين عبد الرزاق أغا بن عبد الحليم أغا دار السعادة وفي دعواه أن عثمان أغا المذكور عبدها ومملوكها الى الآن فحضر بالمحكمة الشرعية وأشهد بوكالته شاهدين عدلين وقرر دعواه بحضور فخر الاماجد داود أغا بن عبد الدائم المتولي على وقف الجامع الشريف بجهة الحبانية الذي بناه المرحوم عثمان أغا بن عبد الله فقال ذلك الوكيل في الدعوى ان عثمان المذكور هو عبد ومملوك موكلتي المشار اليها وانه ليس مأذونا ببناء الجامع ولا بايقاف بلده الثلاثة المعروفة بزاوية تميم من ولاية منوف المشتملة على أربعمائة فدان ولا بايقاف المنزل المملوك له بطريق بولاق قرب قنطرة الدوادار المشتمل على أربعة مخازن وبيت وقهوة واثنين وثلاثين دكانا وخمس عشرة حوانة وخمس طواحين واصطبل وخمس آبار عذبة الماء ومدبغ بقر ومدبغ غنم ومسلخ بقر فذلك الايقاف

غير صحيح وأريد ضبطه لموكلتي الملكة المشار اليها لوسائر أمواله حيث انه ملوكها وأبرز فتوى من شيخ الاسلام بان الايقاف المذكور غير شرعي وكانت صورتها اتملك عمرو عبد هند ملا كاوبنى جامعا ووقف ذلك عليه ثم توفى قبل عتقه فهل لهند أن لا تقبل وقف عبدها عمرو وأن تملك جميع موقوفاته فأجيب بان وقف عمرو غير صحيح وان لسيدته ضبط جميع أملاكه كسائر أمواله ثم سئل حضرة داود أغا المتولى المذكور فأجاب بان المرحوم عثمان أغا معتوق قبل وفاته وانه بنى الجامع ووقف البلد وغيرها باذن معتقته الست صفية وحسن رضاها فأنكر عبد الرزاق الوكيل المذكور عتق المتوفى وأنكر اذنها له فى بناء الجامع ووقف تلك الاوقاف فطلبت البينة من داود أغا فعجز عن اقامتها وطلب تحليفها اليمين الشرعي فأرسل القاضي عدلين الى حضرة الملكة لتحليفها ثم رجع المندوبان وأخبرا القاضي بانها حلفت اليمين الشرعية بحضور المتولى على طبق دعواها منه فحكم القاضي بان الجامع والقرية وجميع الاصقاع هي ملك لها ووقفها باطل ونبه على داود أغا برفع يده وتحرر فى أواخر شوال سنة ١١٠١ هجرية وبعد أن دخلت هذه الموقوفات من القرى والضياع والاصقاع والمزارع والرباع فى ملك الملكة وتصرفاتها جددت وقفها وقفا صحيحا شرعيا مؤبدا مخلدا بحدودها وجعلت النظر على تلك الاوقاف لفخر الخواص عبد الرزاق أغا بن عبد الحنان الامير بدار السعادة وأطلقت له التصرف فى الموظفين بالعزل والتولية وجعلت له عشرين قطعة ومن بعده لا يخرج النظر عن أغوات دار السعادة واشترطت ان الناظر هو الذى يعطى تقريرات الموظفين وأن يرتب لضبط الريع وصرفه رجلا أمينا ديناعفيفا ماهرا فى الكتابة والحساب يوميا عشرون قطعة وللكاتب أمين طاهر يقيد كل جزئية بالدفتر كل يوم خمس قطع ولجاب متصف بتلك وله اقتدار على التحصيل ولا يترك بذمة أحد شيأ من حقوق الوقف ولا يحتال بحيلة فى أخذ حبة من حقوق الوقف كل يوم خمس قطع ولواعظ صالح عالم ورع فقيه بمذهب النعمان عارف باحكام القرآن يعظ الناس فى الجمع والمواسم ويختم الوعظ بالفاتحة لارواح الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين ولارواح السلاطين الماضين مع الدعاء للسلطان بدوام دولة الخلافة ولحضرة الواقفة الجليلة بازدياد العمر ووفور الشوكة ولسائر المسلمين بحصول المرام كل يوم خمس قطع واشترطت أن يكون الخطيب عالما مجودا زاهدا كريم الاخلاق حسن الفعال يخطب فيه على منوال الشرع الشريف فى الجمع والاعياد خطبة تناسب الايام والفصول وتوافق الطباع وليس له أن ينيب عنه أحدا بدون عذر شرعي وله خمس قطع وأن يرتب امامان عالمان عاملان بعلمهما لهما وقوف على التجويد ورسوم القراآت والروايات وقدرة على آداب الامامة يتناوبان الامامة فى أوقات الصلوات الخمس على طريق السنة والجماعة ولا ينيبان أحدا بدون عذر شرعي ولكل منهما خمس قطع وأن يرتب أربعة مؤذنون عارفون بعلم الميقات أصحاب عفة وديانة وأصوات حسنة وأخلاق مستحسنة يتناوبون الاذان على المنارة اثنين اثنين ويجتمعون فى أذان يوم الجمعة ويقرؤن التسبيح بعد صلاة الجمعة بالتهليل والتكبير وفى الثلث الاخير من كل ليلة قرب الصبح يجتمعون على المنارة ويرفعون أصواتهم بالتسبيح والتحميد والدعاء ولكل منهم فى اليوم ثلاث قطع وأن يرتب موقت صالح أمين عارف بالميقات يحضر فى كل وقت يعلم المؤذنين بدخول الوقت مع الاحتراس التام وله فى اليوم قطعتان ويرتب عشرة من حملة القرآن يقرأ كل منهم عشرا فى محفل الجماعة قبل صلاة الجمعة وأتقنهم للقراءة عليه البدأ والختم وله العزل فيهم والتولية بالامتحان على الوجه الحق وله خاصة فى اليوم قطعتان ولكل

واحد من الآخرين قطعة واحدة وبعد ختم القراءة ينشد رجل حسن الصوت عارف بالموسيقى قصيدة نبوية وله فى اليوم قطعتان ويرتب قارئ حسن الصوت يقرأ على الكرسى الذى فى الجامع سورة (يس) بعد صلاة الصبح وله فى اليوم قطعتان وآخر يقرأ سورة (عم) بعد صلاة العصر وآخر يقرأ سورة (تبارك) بعد صلاة العشاء ولكل منهما قطعة واحدة ويرتب رجلان لغلق أبواب الجامع وشبابيكه ليلا وفتحها صباحا مع الملاحظة والتعهد للجامع بالتنظيف ونحوه ولكل منهما قطعتان ويرتب رجل نظيف نزه لتبخير الجامع بلا تبذير ولا تقتير وله فى اليوم قطعة واحدة ولشراء البخور قطعتان ورجل أمين لحفظ المصاحف الشريفة التى بالجامع وله فى اليوم قطعة ورجل زاهد يكون مراقبا وله فى اليوم قطعة واحدة ويرتب وقادان صالحان يحفظان الشموع والقناديل ويتعهدان بالنظافة للايقاد والاطفاء بالاوقات المعلومة مع الاحتراس التام من تلويث الحصر والبسط ولكل منهما قطعتان ويرتب رجلان قويان برسم الفرش والكنس والتنظيف فى داخل الجامع واثنان برسم تنظيف الميضأة والاخلية مع عدم التساهل ولكل واحد من الاربعة قطعة واحدة ويرتب رجلان عارفان بغرس الاشجار والرياحين واصلاحها وسقيها برسم خدمة البستان الكائن أمام الجامع ولكل منهما فى اليوم قطعتان ويرتب رجلان قويان برسم سقى الاشجار ولكل منهما فى اليوم ثلاث قطع ويرتب رجل ماهر فى التعمير والترميم يتولى اصلاح ما يحتاج الى اصلاحه ونصت الواقفة المذكورة على ترتيب شخص قارئ فى مسجد المدينة المنورة يتلو كل صباح سورة (يس) ويدعو لها وعلى ترتيب رجل صالح لخدمة قبر سيدنا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بالشام من ايقاد القناديل وغلق الابواب وفتحها ونحو ذلك وأن ترسل الى القبر المذكور شمعتان من الاسكندرى خمس أوقات ومثل ذلك الى حرم مكة المشرفة ومثله الى الروضة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيات

(حرف الضاد)

﴿ ضياء ابنة الوزير فرنان وزير جزيرة صقلية ﴾

ان هذه الترجمة غير مثبوتة الرواية ولكن درجتها حيث انها لا تخلو من الفائدة اه مؤلف

كانت ذات جمال بارع وعقل وأدب يفوق أهل زمانها وترجح على أقرانها بالظرف والرقة وكان للملك المهرجان ملك تلك الجزيرة ابنا أخ يقال لاحدهما الفونس والآخر دون لرزيق فتوفى والدهما وتركهما تحت كفالة عمهما الملك المهرجان فضم الاكبر اليه وعهد بالآخر وهو الفونس الى الوزير والد ضياء وكان للملك أخت يقال لها اوران فتوفيت عن بنت يقال لها سلطانة فأخذ يعتنى بتأديبها وأقام لها الخدم الكثير والمؤدبين من رجال ونساء وكان للوزير فرنان قصر فى ضواحى بلرمة حاضرة الدولة فأخذ الفونس اليه وأحسن تأديبه وتوسم فيه من الذكاء والنباهة ما حمله على استمرار التحفظ به وكانت ضياء أصغر من الفونس بسنة فلما نشأت ضياء معه وصارت هى فى صباها وصار هو فى صباه وقع بينهما حب كاشد ما يكون وعملا الجهد كله على أن لا يدعا الوزير يفطن لشئ من أمورهما حتى اتفق أن الوزير سافر بامر الملك يجول فى أنحاء المملكة ليتفقد أحوال الرعية ورد المظالم الى أهلها فاغتنم الفونس فرصة غيابه وأخذ فى فتح باب فى الجدار الذى كان قائما بين مقصورته ومقصورة ضياء وجاء بنجار ودفع له مالا كثيرا حتى يحسن عمله ويبقى السر مكتتما فى صدره فاتخذه بين الرسوم التى كانت تغشى الجدار على احكام ليس

في الامكان أصح مما كان بحيث اذا أغلق لم يفطن الرائي أن في ذلك الجدار بابا لكثرة ما هنالك من النقوش والتخاريم فلما حقق الفونس بغيته فيما أراده من وصوله اليها صار أصبح يدخل عليها في أكثر الايام ويبيت معها في حديث وتقبيل وملاعبة ليس غير لانها شرطت عليه حين أذنت له بفتح الحائط أنه يدخل عليها لمبادلة الحديث بينهما فقط لا لشيء غير ذلك فلما دخل عليها في بعض الايام رآها ضيقة الصدر حزينة النفس فانكمش لذلك وسأل قهرمانتها عن الامر الذي أوجب كدرها وكآبتها فقالت وصل اليها يا سيدي أن الملك عمك انطرح على فراش الموت فقدرت أنك اذا توسدت الملك وصار اليك أمر الامة فقد أشغلك العز والنعيم وأسكرتك العظمة والقدرة عن التفطن اليها والقيام بعهودك اليها فلم يدعها تختم كلامها حتى دخل على بنت الوزير وقال لها يا سيدتي كأني أرى الكدر مرسوما على وجهك الفتان فبالله الا ما صدقتيني فلما رأته هيج الشوق بكاها واغرورقت عيناها بالدموع وكاد لا يأتيها الكلام فسكتت قليلا ثم قالت لا شيء يوجب لي الكدر غير أني يا سيدي وأمير الناس عمك المهرجان قد احتضرته الوفاة فاذا تبوأت الاريكة موضعه أشغلك أمر الامة دوني وصرفك اقتدارك عن النظر الي لاني سمعت عن الامراء أنهم اذا راموا حال ولاية عهدهم أشياء تطلبها أنفسهم ونالوها فانهم يغضون عنها بعد جلوسهم على أريكة الملك واني لو أمنت من جهتك على وفائك بحق الوداد فلم آمن من جهة طالعي أن لا يخون سعادتي بك فلما سمع كلامها كادت تنفطر مرارته رحمة عليها وقال لها يا سيدة الملاح ان تمكن اليأس منك على غير موجب لما يذيب قلبي شفقة عليك وان تصور لك الخيانة في تصرف قلبي عن حبك لما يزيل ذل العشق ويجرح خاطري ولكن رجائي اليك أن تصرفي هذا الحزن وتملي آن سعادتي وفخري لا يتمان الا بك فقالت أيها الامير لا يبعد أنك اذا علوت السرير طلب اليك الوزراء والاشراف أن تتأهل بأميرة من بنات الملوك لتزيد عظمتك افتخارا ومجدا رغما خانني دهري بان يجعلك بحيث المساماتهم فانتفض عرق الحدة بين عينيه وقال لم تجلبين الكدر والقنوط لنفسك يا حبيبتي على غير طائل فاني أقسم بالله اني اذا وليت الملك تزوجت بك على محضر من الامراء والملوك فلما سمعت ضياء قسمه هدأ روعها واطمأنت نفسها وأخذا يتجاذبان أذيال المذاكرة عن مرض الملك المهرجان وكان يظهر من كلام الفونس أنه تكدر لوفاة عمه مع أن أميرا غيره كان يسر من وفاة ملك يورثه ملك الدولة ولا سيما اذا كان له عليه ثأر فباتت ضياء بعد قسم الفونس بوفاء عهده اليها في راحة وأمن ودعة وهي لم تعلم بالخطب الذي كان يحدق بها من جهة أخرى فان وزير الدولة الثاني المعروف بالمركيس قد كان رآها في بعض الايام ففتن بجمالها عقله وخطبها من أبيها فوعده بان يزوجها اليه ثم اتفق أن الملك مرض فأخر الزفاف الى أجل مسمى وأمر الوزير فرنان جماعته أن لا يعلموا الفونس ولا ابنته بشيء من ذلك الامر فلما كان الفونس صباح يوم جاءه الوزير ومعه ابنته ضياء وقال له بعد السلام يا سيدي ان الخبر الذي حملته اليك يكدر صفو خاطرك ولكن البشارة التي أتبعه بها تسر خاطرك وترفع مقامك فاعلم أيدك الله أن المهرجان عمك قد مات وأوصى اليك بالولاية بعده فهنئت بالعطية وخفق لواء سعدك على أنحاء بلادك منصورا وان الاشراف والامراء والقواد قد اجتمعوا ببابك ليقدموا لجلالتك خالص التهنئة بما أعطاك الله فلما سمع كلامه لم يخامر التعجب نفسه لانه كان عالما بمرض عمه ودنو أجله من قبل ذلك بشهور وأيام واغاصار صدره بعد سماع كلامه ميدانا تتسابق فيه الافكار وتضطرب فيه الخواطر ففكر ساعة ثم قال يا أبت اني أتخذك وزيرا اني أعتمد في الامر على حسن آرائك المباركة لاني رأيتها

تحسم النوازل كأنهما سكاكين فى مفاصل الخطوب ويكون لكلامك نفوذ كالبلغ مما كان لايام عمى رحمه الله ثم انحنى على مائدة هناك ووضع خنجره على قرطاس وسلمه الى ضياء وقال لها ياسيدتى خذى هذا القرطاس واكتبى فيه ما أردت فوق الختم وهو يدلك على أنى راض بكل ما تشائين وان عشقك قد بلغ منى مبلغا لاسبيل الى التعبير عنه بالقلم ولا باللسان فلما سمع فرنان كلامه أخذه العجب منه لغفلته عن ادراك عشقه مها قبل ذلك وسلمت ابنته القرطاس اليه وقد قالت للملك وفى وجنتيها احمرار الخجل ياسيدى انى أقبل النعمة التى عطر بجلالة الملك على تعبيرها بشكر لامزيد عليه ولكن لى أب لا أعزم على أمر الا بمشيئته فأنا أسلم الرقعة اليه وهو يكتب فيها ما يشاء بحكمته ودرايته فقال الوزير للملك ياسيدى انى أكتب فى هذه الرقعة ما تسومنى شكرا عليه فيما بعد فقال له اكتب بها ما أردت أيها الحكيم الفاضل فانك لطيف النظر ولكن أسرع الآن الى بلرمة وخذ مبايعة الجند والامراء وبلغهم سلامى وقل لهم انى أسير اليهم بعد وصولك بقليل فما كاد يتم كلامه أن انصرف الوزير وابنته وركبا العربة الى بلرمة وهى تبعد أميالا قليلة عن موضع القصر وأما الملك الفونس فانه بعد انصراف الوزير بساعة ركب جواده وقصد مدينة بلرمة لينزل من قصر السلطنة وباله مشغول بالعشق فلما رآه الناس ارتفع فيهم الدعاء له وأصوات الفرح والسرور حتى دخل مجلسه فى القصر فرأى سلطانة بنت بوران عمته فى ثياب السواد فعزاها وعزته ثم ارتفع على السرير وجلست هى على كرسى دونه وقد ظهر أنه المحبب فى قلبها مع أن العداوة بين أمها وأبيه كانت من أشد ما يكون ثم جلس الامراء والقواد على كراسى ووسائد بينت لهم وقام فيهم فرنان الوزير خطيبا وتلا وصية المهرجان اليهم يقول فى بعضها انه لما لم يرزقنى الله ولدا يلى الملك بعدى فانى أجعله ارثا الى الفونس ابن أخى على شرط أن يقترن بسلطانة ابنة أختى فان أبى ذلك فيصير الملك الى أخيه دون لزريف على الشرط عينه وهذه وصيتى الى الامراء والقواد

فلما وعى الفونس ما فى وصية عمه كاد ينخلع قلبه من الغم والهم والكدر وما لبث الوزير أن أتبع تلاوة الوصية بقوله للحضور أيها الامراء انه لما بلغت جلالة الملك مرام عمه المهرجان من زف سلطانة اليه لم يتردد ساعة فى قبول ذلك فازداد غم الفونس حتى بان الكدر فى وجهه وقال للوزير ولكن اذكر يا بهرام القرطاس الذى سلمته الى ابنتك ضياء فأجابه الوزير وقد رفعه على مشهد من الامراء ما كتب فى هذا القرطاس هو وعدك بأن تقترن بابنة عمتك وتتم كل ما ذكر فى وصية عمك ثم فتحه وقرأه على مسمع من الامراء والاعيان فسروا من حسن عواطف الملك وارتفعت أصواتهم بالدعاء له وهم غافلون عما كان فى نفسه حتى اذا تفرق جمعهم الا قليلا وتباعدت سلطانة التى ما فتئت تبث اليه هيامها به وهو لا يعقل من شدة اضطرابه عقله قال للوزير فرنان أنت خنتنى وحق السماء وانما كان الواجب عليك أن تكتب فى القرطاس ما كان من الاتفاق والعهود بينى وبين ابنتك فقال له الوزير ياسيدى تمعن فى الامر فان أنت خالفت وصية عمك المهرجان فقد بخست نفسك حقها وأضعت الملك من بين يديك قال هذا وابتعد عنه حتى لا يسمع جوابه فغضب الملك غضبا شديدا وبات بين اعتقادين فى نفسه فاما أن يعتزل عن الملك واما أن يقترن بابنة عمه ففكر فى ذلك برهة فوقع فى ذهنه أن زفافه بابنة عمه لا يكون الا بابراء من لدن البابا تأتى بعد شهر أو شهرين وأنه فى تلك المدة يولى المراتب العظيمة من يأمن خيانته من الامراء والقواد حتى اذا نفذ الوصية لم يتفقوا على خلعه وبات أمر الامة فى يده فلما وقع هذا الرأى فى نفسه سكن روعه واطمأنت نفسه وحقق

لغمته

بغيته بما أراد من الاقتران بضياء حبيبته ولم يطلع أحدا من الناس على ذلك وكان يخابر سلطانة بالكلام اللطيف ويسبك كلام بهرام في أنه يحب الاقتران بها حتى لا تهب أعصار الفتنة قبل تداركه اياها بالحيلة ولكن كان من نكد الحظ انه بينما يحدث سلطانة ويعد باقترانها به اذ دخلت ضياء مع أبيها وقد وقع كلامه في أذنها فاصفر لونها واسود عليها شئ شبيه بالغمام ثم قال لها أبوها بحضرة سلطانة يا بنية قدمي احترامك الى مليكتك وادعى الله أن يطيل عمرها ويجعل أيامها بالسعد مقبلة فما كسبت من كلام أبيها ما سمعت من كلام الملك وأخذتها رجفة شديدة لم يكن لها حيلة في اخفائها فأما سلطانة فظنت أن اضطرابها انما هو ناشئ عن عزة الملك الذي لم تره قبل ذلك وأما الملك فانه عرف سبب ألمها وكدرها لما كان من وقوع وعده ابنة عمه في أذنها وصار بنفسه الاضطراب مثل ما صار بها وأحب لو مكنته الظروف من الاجتماع بها حتى يعلمها بأن وعده لسلطانة انما هو حيلة منه لا خيانة بودها ولكن لم يكن من سبيل الى التحدث سرا معها اذ كانت عيون الاعيان متجهة اليه هذا ما كان من أمر الملك

وأما ضياء فان أباها لما أنس جزعها وقنوطها ورأى الملك منقبضا الى اليأس صار بها على الفور الى قصره وقد أعلمها بأنه سيزوجها الى المركيس فلما سمعت كلامه بلغ الحزن من نفسها ووقف الدم على قلبها فوقعت بين يدي أبيها مغشيا عليها وقد ضعفت قواها وتغير لونها حتى كأنها الميت المدرج في كفنه فرق قلبه عليها وتداركها بماء الورد حتى أفاقت فقالت يا أبتاه الشفيق يخجلني أني أطلعتك على اشتغال قلبي بهوى الملك ولكن الموت الذي يوافيني بعد قليل سيرفع عنك أكدار اجابتها عليك ابنة منكودة الحظ فقال لها لا تقنطي يا بنية فالوزير الذي أزوجك منه الا أعظم رجل في الدولة وأجله خطرا فقالت صدقت يا أبت واني أقر بفضله وكرم أخلاقه وسجاياه غير أن الملك كان يؤملني بأن أكون له عروسا فقال لها لقد علمت اليوم كل ما كان بينك وبينه وأنا لا أعذبك على ذلك ولكن من حيث قد قام بين الوعد وانجازه مانع لا يقوى الملك على ازالته الا بخسران الملك من يده فاعملي على صرف آمالك وكفكفي دموعك حتى لا يقال في دار الملك ان حبه قد علق فؤادك ولا تؤملي بأنه يتخذك زوجة له اذ أنه اشترى بك الملك والسلطنة واعلمي باني وعدت الوزير المركيس بان أزوجه منك فالحرى وعدي اليه ولا تخيبي أباك تقدم اليك بالضراعة والطلب قال هذا وانصرف الى مجلسه وهو مؤمل بانها اذا فكرت فيما نطق به أبيها البت طلبه ورضيت بان تصير زوجة للمركيس الوزير

فلما خلا المكان لضياء أسبلت الدمع من عينها وغلب عليها اليأس وخامرها كمد لا يعبر عنه اللسان لما كان من تحققها خيانة الملك بدليل الكلام الذي سمعته من فمه وما كان من اكراه أبيها لها على تزوجها من المركيس الذي لا تقدر أن تحبه وظنت أن الموت لا يبعد أن يفاجئها بعد ذلك ثم صاحت تبا لك أيتها الآمال التي عللت نفسي بها ثم ألقتني في وهدة الالم والحسرات وأنت أيها العاشق الخائن لم علقت امرأة غيري بعد تقدمك الي بالقسم والعهد فلا هنالك الله بهذا الملك الجديد ولا بورك بهذا الزمان الذي ثلمت فيه اليمين بعد توثيقها الي ولتكن لحظات سلطانة اليك حنقا عليك ولكن ريقها كسم قتال ينحدر الى جوفك فصرفه ليبدلك الله بنعمتك شقاء مثل الشقاء الذي أذوق مرارته واعلم أيها الخائن من حيث انه بقي لا يحل لي قتل نفسي بيدي فاني سأنتقم من نفسي بان أتزوج بالمركيس الذي لا أحبه حتى اذا كان عشق باقيا في فؤادك أسفت وتحرقت لتسليم نفسي الى رجل غيرك وان كان ذكرى قد برح من خاطرك فأكون

على الاول قد انفقت من نفسي لاجل أنها أشغلت قلبها بحب رجل خائن مثلك قالت هذا الكلام والدمع يجري من عينيها وهي في حالة من القنوط لم تنفك عنها النهار ولا الليل بطوله فلما أصبحت دخل عليها أبوها وعلم منها أنها عازمة على الاقتران بالمركيس فاغتنم هذه الفرصة أن يجابه وزوجها منه سرا في كنيسة القصر فكانت حالتها في ذلك اليوم تستبكي الحجر رحمة عليها اذ لم يكفها مصابا بأنها فقدت الملك و جفاها حبيبها الرفيق وتزوجت برجل لا تميل اليه حتى انه وجب عليها أن تكتم حزنها في قلبها بحضرة هذا الزوج الذي هام بحسنها وجمالها ومازال جاثيا الى الارض بين قدميها الى آخر النهار غير تارك لها فرصة تبكي فيها على انفرادها ما حاق بها من البلاء فلما أقبل الليل ودخلت عليها قهرماناتها وزينتها لدخوله عليها خامرها يأس عظيم لم يسعها كتمانه بحضوره فتقرب منها بتذلل وسألها عن سبب كدرها فقاولت اخفاء الامر عليه وقالت ان نفسها منقبضة في تلك الليلة ليس غير فعزم عليها أن ترقد في السرير فأبت الا الجلوس مكانها على المقعد وأخذت تفيض من عينيها دموعا كثيرة فتعجب لذلك عجبا شديدا وأتاه أن من جملة الاسباب ان الامر يخون عشقه لها ولا يليق بشرفه وعرضه فبات جزعا قلقا وأعمل على أن يبقى اضطرابه كامنا في صدره فقال يا سيدتي قومي الى مضجعك وتعذي براحة لجسمك والرياضة لعقلك وان كنت تروين آمر القهرمانات بالقيام بين يديك لخدمتك فعلت ذلك اكراما لخاطرك فقالت وقد اطمأنت نفسها وذهب خوفها ووجلها اني لا أرى لزوما لقيامهن بين يدي ولكن أرقد في السرير حتى يغلبني النعاس ويروق ما بي من القلق وكان المركيس في تلك الليلة متبلدا من شدة جزعه وهو يفكر في نفسه لما كان من ضياء بأن لها حبيبا قد هام قلبها به ولكن من هذا الحبيب أمن أمثاله أو ممن هو أخفض في مراتب الدولة فلم يعلم ذلك ولكنه رأى نفسه بهذا الزواج أشقى العالمين ومازال يردد هذه الافكار في نفسه الى هدو الليل الآخر واذا بقرقعة خفيفة قد طرقت أذنه وتلاها وطء أقدام خفيفة في المقصورة فظن بادئ الامر أن ذلك يترأى له بالوهم لعلمه بأنه كان قد غلق الباب وقفله بيده بعد انصراف القهرمانات غير أنه أزاح ستار السرير ليرى بنفسه ما كان من هذا الامر فاذا بالمقصورة سودها الظلام لان السراج الذي كان موقدا فيها قد انطفأ فبقي في موضعه مكتئبا واذا بصوت منخفض حنون ينادي يا ضياء يا ضياء فوثب من فراشه مذعورا وبادر الى سيفه وتقدم الى جهة الموضع الذي منه سمع الصوت ليمزق صدر الحسود الذي أراد أن يفوز باللذة على مشهد منه فاذا بسيف صلت قد لطم سيفه فوثب فشعر ما بين ظلام الليل برجل ليهرب من وجهه فلحقه من موضع فلم يقف له على أثر فتعجب ووقف مكانه صاغيا فلم يسمع حركة البتة فتراجع ووجد موضعه فظن أن ذلك حرميين ثم تقدم الى جهة الباب فوجده مقفلا فزاد عجبه وظن أن غريمه يكون مختبئا في موضع من المقصورة ففتحه ووقف فيه لئلا يفر الغريم من وجهه وصاح بخدمه وغلمانه الا قانه فبادر جماعة منهم بالسرج والشموع في أيديهم فتناول شمعة منورة وقلب المقصورة بالبحث والتفتيش وسيفه في يده صلت فلم ير أحدا ولا رأى منفذا فيها للدخول ولا للخروج فتحير تحيرا شديدا وكاد يغيب عقله عن الصواب فرام أن يسأل ضياء عن الامر ففكر أنها وان عرفت شيئا من ذلك فهي تخفي عليه أمره فعزم على أن يتناوض أباها في هذا الشأن وسار اليه وقد صرف الغلمان الى مواضعهم بقوله لهم انه سمع قرقعة على حين لا شئ من ذلك فلما صار على مقربة من غرفة الوزير رآه مقبلا من الباب ليرى ما كان من أمر الضجة والصراخ فاخبره بالقضية فورا وهو لا يعقل لشدة اضطرابه فلما سمع كلامه تعجب غاية العجب واستحوذ

عليه كدر عظيم وعرف فى نفسه أن الداخل الى ابنته ليس هو الا الملك بعينه ولكن لم يطلع المركيس على ذلك
واغا عمل بعكس ذلك على تهدئة جأشه وتسكين روعه واقناعه بأن ما سمعه ليس هو بأمر واقعي وانما هو
خيال يزور صاحب الغيرة من العشاق فاذا رأوا غير شئ ظنوه شيأ وأكد له بان قلق ابنته لم ينشأ عن خوف
وخجل خامر فؤادها بتزويجها من رجل لم يكن لها معرفة سابقة به فهى تبكى كمثل ما يبكى غيرها من بنات
الخدور من الاشراف اللواتى لا تميل قلوبهن الى رجالهن الا بعد المؤانسة الطويلة ثم انه حض على حسن
الظن بها وأن يرجع اليها ويتقى ما أتاه من الاوهام والافكار فلم يجبه المركيس بشئ على ذلك لاحد سببين
فاما أن يكون اقتنع بان ما سمعه وشعر به لم يكن الا وهما تراءى له على حين كان باله قلقا واما أن يكون
أضرب عن الرد على بهرام على حين لا يحصل له من اقناعه بكلامه فائدة فعاد الى سريره طلبا لاراحة نفسه
بالنوم بعد شدة ما قاساه هذا ما كان من أمره

أما ضياء فلما سمعت وطء الاقدام فى الغرفة ومناداة الزائر اياها عرفت أنه الملك نفسه فتعجبت منه غاية العجب
لما كان من أمره أن يجتمع بها ويجلس اليها على حين وعد سلطانة بان يتزوج بها ويجالسها ويلبسها
تاج الملك فداخل قلبها من مرامه هذا غيظ شديد لانها حسبت دخوله عليها سرا فى الليل اهانة أخرى تهتم
شرفها الى آخرها فكرت فى نفسها من سوء الظنون وأما الملك بعد أن انصرفت ضياء من حضرته يوم
جلوسه على الملك وهى تظن به أنه أعظم الناس خيانة فهام قلبه بحبها أكثر من الايام السالفة ورام أن
يجتمع بها ليفصح لها عما خبأ فى ضميره وأخذ فى الحيل السياسية لاجل التمكن من الاقتران بها غير أن
اشتغاله فى تلك الايام ووفود الامراء عليه لتهنئته لم تترك له فرصة للمسير الى قصرها قبل آخر الليل فدخل
البستان وفتح بابا سريا من القصر بمفتاح كان لا يزال فى جيبه ثم طلع الى المقصورة التى ربى فيها ودخل
مقصورة ضياء من الباب الذى فتحه فى الحائط فلما رأى عندها رجلا وقد لطم بسيفه سيفه تعجب غاية العجب
من ذلك كأنه لم يكن يعلم بتزويجها من المركيس وكاد أن يعرفه نفسه فى ذلك الوقت ويأمر جنده بقتل الشقى
الذى تطاول عليه برفع السيف لولا أن حبه لضياء منعه ونالها وأسف لوقوع هذا الامر وقد عزم على العودة
من الغد ليرى ما كان من هذا الرجل من اهانة شرفه وعرض نفسه للتهلكة وذل لعشقه وغرامه فلم ير لذلك
أسهل من الحيلة بالخروج الى الصيد فلما طلع النهار أمر جنده وأتباعه بان يجهزوا له مركبه لذلك
فركب الى غاية القصد وبدأ فى مزاولة القنص باجتهاد حتى لا يبقى لجماعته مجال لان يفطنوا المقصد من الحيلة
فلما اشتغل كلهم بالصيد ولحقوا الكلاب التى تطارد الغزلان والمها ركب جواده وسار الى موضع القصر
وهو لم يضل فى مسيره لانه كان يعرف الطرق والمنافذ اليه ولم يدع معه اصطباره الا أنه يركض فرسه ملء مروجه
فلما قطع المسافة التى كانت بينه وبين موضوع عشقه وآماله وهو يفكر فى الحيلة التى يعدها للاجتماع بها
سرا رأى تحت شجرة على باب القصر امرأتين تتحدثان فخفقت أحشاؤه لعلمه بأنهما من نساء القصر
ثم ما لبثتا أن التفتتا اليه لسماعهما طرق أرجل الفرس فحدق فيهما واذا هما ضياء وقهرمانة لها أمينة فقد
صحبتها لتبث اليها شكواها وأحزانها فترجل عن جواده وقابلهما بالتحية والاكرام فاذا بها متقطعة من الحزن
فرق قلبه عليها وقال لها يا سيدتى كفكفى دمعك وأذهبى الحزن عنك فان ظواهر أمرى وان لم تقم ببراءتى
لديك فانى فى نفسى عزم على الاقتران بك لا أنفك عنه ولو خسرت النعمة التى أتقلب فيها فلما سمعت كلامه
خنقتها العبرة ولم يأتها الكلام فقال لها لم تتمادين فى الاحزان يا سيدتى ولا تعتنين بملك يبيع ملكه حتى

يتم بك فغصبت نفسها على النفاق وقالت أيها الملك لقد قام دون اقترانك بى مانع لا أقوى عليه فقال يا سيدتى لا تسمعينى هذا الكلام الشديد الذى يمزق كبدى فأنا والله لأقلبن البلاد وأصبغها بالدم ولا أفقد نفسى سعادتها من الاقتران بك فقالت أيها الملك ان اقتدارك وعظمتك لا ينفعانك فى هذا الوقت فما أنا اليوم الا امرأة المركيس الوزير فلما سمع كلامها غاب عن الصواب ومزق اليأس قلبه وأوقعه فى غماه ورجع الى الوراء بارتجاف وقد وهت قواه واصفر فالقى نفسه كالقتيل على شجرة كانت وراءه ولبث ينظر بعين آسفة الى حبيبته لينظر مبلغ يأسه من هذا الخطب الجسيم والبلاء فكانت حالته وحالتها فى ذلك الحين تستبكى الحمام رحمة بالعاشقين ثم انه رفع نفسه بقوة وشجاعة وقال وهو يتنهد يا ضياء كيف فعلت ذلك لقد أهلكتنى وأهلكت نفسك بهذا الحزن فلما سمعت كلامه تنغصت منه فى نفسها لعلمها أن الخيانة كانت منه لها لا منها له وقالت أيها الملك كيف تخوننى ثم تلومنى وتعذلنى أما كفاك أنك وعدت سلطانة ابنة عمك بالاقتران بها حتى جئت تكذب ما نظرت عيناى وسمعت أذناى فقال يا سيدتى لقد قلت لك ان ظواهر أمرى تقضى على بانى خائن ولكن ما سمعته من وعدى ابنة عمى ليس الا سياسة كنت حدثتنى عليها فيما بعد وحققت أن عشقى لك لا يكون فى القلوب أعظم منه فقالت أيها الملك لقد علقت نفسى بآمال ظننت أنك محققها لى ولكن العظمة قد أبعدتك عنى فرأيت أنه لا يليق بى أن أضع على رأسى تاج الملكات فأنت أيها الخائن لم تنطق الى بالحقيقة التى عاهدت نفسك على اجرائها يوم انست قلقى واضطرابى فكنت يوم ذلك شكوت جور الدهر من خيانتك وظلمك وما كنت تزوجت بأحد غيرك وأما الآن فانى أستأذن منك بالدخول الى مخدعى حتى أخلص من هذه المذاكرة التى تهين مجدى وشرفى ولا يحل لى أن أكلمك فيها أو فى غيرها بعد أن صرت زوجة للمركيس الوزير قالت هذا وابتعدت عنه الى باب البستان فقال بالله فقى وارحمى ملكا مغرما يروم أن ينتزع الملك من يده حرصا على ودادك فقالت لقد حال الجريض دون القريض وأنا اليوم لا أقلق لخراب الدولة ان خربتها ولا أضطرب لزوجيتك ان تزوجت بمن أردت واعلم بأنى وان أشغلت قلبى بهواك لاعملن جهدى كله فى أن أكون خالية منه وأريك أن زوجة المركيس ليست بمعشوقة الامير الفونس كما عهدتها قالت هذا ودخلت البستان وتركت الملك فى أشد حسرة لما كان من اعلامها اياه باقترانها بالمركيس فوجم ساعة يفتكر بمصابه وما كان من خيبة آماله حتى كادت الغيرة تقتله فانتفض عرق غضبه وعزم على أن يقتل بهرام والمركيس الوزير فى ساعته لولا بقية صواب بقيت فى عقله وترائى له فيها اذا جمعه ومحبوبته مجلس سرى أزال بأسها وأحزانها وبرأ نفسه من تهمته بخيانتها فلم ير ذلك الا ببعد المركيس عنها فرجع الى قصره وأمر رئيس الشرطة أن يلقى القبض عليه بقوله ان له يدا فى بعض الفتن

أما المركيس فانه لما قبض عليه رئيس الشرطة باذن الملك وضجت المدينة لذلك رأى الوزير أن يذهب الى البلاط ويتقدم الى الملك بالشفاعة فى صهره وكان الملك قد عرف ذلك وأن الوزير لا بد من أنه سيدخل عليه للشفاعة فأمر حجابه بأن لا يأذنوا لأحد بالدخول عليه كائنا من كان حتى لا تكون له فرصة لزيارة حبيبته قبل الافراج عن زوجها ولكن فرنان مع علمه بأمر الملك أبى الا أن يدخل عليه بحيلة من الحيل حتى اذا مثل بين يديه قال له أيها الملك الشفيق العادل ان عبدك فرنان جاء يشتكى منك اليك فأى ذنب اقترف صهره حتى حل به سخطك ولزمه العار بما أمرت به رئيس شرطتك من القبض عليه فقال اعلم أيها الوزير الصادق

ان لدي بينات تثبت بان لصهرك يدا في فتن الدولة ولا أظنه الا ميالا مع أخي دون لزريق يريد أن يبايعه ويخلعني فرد الوزير في نفسه له يد في فتن الدولة ويخلع ويبايع ثم رفع رأسه وقال لا وأيد الله جلالة الملك ان الخيانة لم يتعودها أحد من آلي وكفى بان يكون المركيس صهرا لي حتى تنتفي عنه هذه التهمة ولكن أراك قد قبضت عليه لغاية سرية منك فقال الملك من حيث انك تكلمني عن سري فاني أبوح به اليك فاعلم أن الطريق التي اتخذتها أحق بجلبت علي وبالاعظم او حرمتني لذة يتمتع بها أحقر الناس قدرا واعلم باني لا أتزوج بسلطانة بنت عمي فرجف الوزير من ذلك وقال لا يصح أيها الملك أن لا تتزوج بها بعد أن واعدتها بذلك على محضر من الامراء والقواد فقال ليس الذنب في ذلك علي وانما هو واقع عليك لما كان من اكراهك اياي على وعدها بذلك على حين لا رغبة لي فيه ولا امكان وما كان من كتابتك القرطاس الذي سلمته الى ابنتك باسم سلطانة لا باسمها وما كان من تزويجك اياها من المركيس بالرغم عنها حتى ولو فرضنا ان طاعتك منها واجبة فما كان أغناك أن تقيدني بوعد لا طاقة لي على انجازه ألا تذكر أن سلطانة انما هي ابنة دوران التي أهدرت دم أبي ظلما وعدوانا أترى في الامكان أن أجتمع واياها على فراش واحد لا والله ولكنك ترى صقلية رمادا وسكانها رمما ومتاعها انقاضا ومعالمها دوارس من قبل أن أنجز سلطانة وعدي باقتراني بها فلما سمع الوزير كلامه خاف العاقبة وقال أيها الملك العظيم اخفض عليك غضبك ولا أظن أن حبك لزعيتك يدعك أن تفعل ما تقول وعشقك لابنتي يحملك على اعمال العشاق من العامة وأنا انما صاهرت المركيس لكي أجعله من عبيدك المقربين فقال الملك ان مصاهرتك اياه كانت سببا لما أنا فيه من القلق والاضطراب فلم توكلت بأموري على حين لم تحسن رعايتها ولا سياستها أفرأيت في جبنا حتى لا أقهر من ناوأني من الامراء والجند اذا أثاروا الفتنة علي أم رأيت أن الملوك لا حق لهم بالتنعم بما يتنعم به عامة الناس فان كان رأيك هذا وأني أكون عبدا لهذا الملك الذي أردت أن تبقيه لي بما عاملت من جلب الغم واليأس علي فقال الوزير أنت تعلم أن الملك لم يصل اليك الا باقترانك مع سلطانة فقال باي حق كتب عمي وصيته كذلك فهل اشترط عليه أخوه كارلوس بمثل هذا الشروط حين خلف له الملك ولكن لتعلم أن وصيته تفسيرها العدالة وأني لا أعزم على الاقتران بابنة عمي حتى اذا أبدى أخي اشارة ثورة علاوته بالسيف وان فكرته والا فكان أحق بالملك مني فلما سمع الوزير هذا الكلام لم يبق عليه الا أن يقبل الارض بين يدي سيده ويطلب منه العفو عن صهره فوعده بذلك وأمره بان يسير الى قصره وينتظر رجوع المركيس بعده بقليل حتى اذا خلا له المكان رجع الى نفسه وعزم على ابقاء المركيس في السجن الى غد اليوم ليزور زوجته خفية وأما المركيس فانه لما قبض عليه صاحب الشرطة وطاف به لم يخف عليه معرفة سبب ذلك وصار في نفسه كانه مطمع للغيرة تتقلب به وتقطع فؤاده حسرة وندما وعزم على أن ينتقم لنفسه بعد الافراج عنه ولكن لما قدر أن الملك لا بد أن يجتمع بزوجته في تلك الليلة رام أن يذهب لمباغتته فطلب من أمير الحبس أن يطلقه في تلك الليلة على الوعد بان يعود في الصباح الى حبسه فلعلمه لما كان بينهما من المودة ولعلمه بان فرنان تشفع له عند الملك فوعده بالافراج عنه وزاد الامير على ذلك أنه قدم اليه فرسا كريما ليذهب الى قصر زوجته فلما وصل الى البستان فتح بابا سريا بمفتاح كان في جيبه وطلع الى القصر واختبأ في مقصورة بجانب مقصورة زوجته دون أن يراه أحد ووقف وراء الباب ليرى كل ما يكون حتى اذا سمع صوتا بادر الى المقصورة بسيفه

فما كان بعد قليل الا أن مرت من هناك قهرمانة ضيا وصارت الى مخدعها للرقاد هذا ما رآه من وراء الباب في بادئ الامر

وأما ضياء فانها لما بلغها قبض رئيس الشرطة على زوجها علمت أن الملك أمر بذلك لكي يأتي اليها فلا يراه وقدرت أنه لا يفرج عنه في تلك الليلة مع كل ما أكده لها أبوها أن الملك وعده بان يفرج عنه بعد رجوعه بقليل فباتت وهي تنتظر دخول الملك عليها لتلومه على حبس زوجها وتخوفه العواقب الوخيمة التي تنالها منه واذا به قد فتح الباب (وذلك بعد انصراف القهرمانة) وانطرح بين قدميها وقال لها يا سيدتي لا تقضي علي بالشر قبل أن تسمعي اعتذاري فاني لم أحجز على زوجك الا لتكون لي فرصة للاجتماع بك واظهار الحقيقة لك فاذا أفرجت عنه لم تبق لي وسيلة الى ذلك

فأقول من حيث ان حرمانك حبالي وفقدانك من بين يدي قد أحدث بي ألما لا يعبر عنه اللسان فدعيني أخفف هذا الالم بأن أؤكد لك أني لم أخن عهودي اليك في شيء من الاشياء واني اذا وعدت سلطانة بالاقتران بها سياسة أكرهني عليها أولئك سامحهم الله لا رضا من نفسي والا فان أعمالي في الليل والنهار كانت لتمكن من التزوج بك دونها فكان من سوء الحظ ونكد الطالع أنك سلمت نفسك الى هذا المركيس وجعلت لي وراثة حزن الى نهاية آخر الدهر قال هذا الكلام وقد ظهر على وجهه يأس فهمته منه ضياء وسرت منه في بادئ الامر لتحققها عشق الملك لها ثم فطنت لتزوجها بالمركيس وفقدانها هناء الوصال من الملك فتقطعت حزنا وقالت أيها الملك ان معرفتي بعد حكم الزمان بتفريق شملنا أنك لم تخن في عهودي لما يزيد فؤادي على علاته وصبا ولكن طالعي أبى الا أن يكون نكدا فظننت أنك نسيتني بعد جلوسك على أريكة السلطنة حتى اذا أمرني أبي بان أقبل المركيس زوجا لم أخالفه بذلك فكان مثلي كالرجل الباحث على حتفه بظلفه والويل لي على ما كان مني منذ خنت اليمين بعدما وكدها اليك فانتقم لنفسك مني بأن تهجرني وترفع ذكري من خاطرك فقال بصوت ليس يقدر في يا سيدتي أن أهجرك والك ولا تعذليني على ذلك فان العذل يولعني ويزيدني جوى فقالت وهي تتنهد ولكني أرى من السداد أن تجهد نفسك بذلك فقال وهل في استطاعتك أنت أن ترفعي ذكر عشقنا من خاطرك فقالت لا أظن ذلك ولكن أبذل الوسع فيه فقال يا قاسية القلب أتعرضين عن حب قتله هواك وعلقت بك محبته أيام الصبا بمجرد عزم تعزمين عليه فقالت كأنها ترفع عنها الملامة أتظن باني أرضى بأن تكون لي اليوم عاشقا الا وحبا لك فان القدر اذا لم يقدر لي بأن أكون ملكة فلذلك لم يقدر علي بأن أخون زوجي وهو من القدر والفخامة بمنزلة لا تقل عن منزلتك لان أجداده لهم أجداد وقد دانت لهم الملوك أيضا كما دانت لك اليوم واني أحلف عليك بالايمان أن تنصرف عني ولا تذل عرضي وشرفي فصاح الملك بالجفاء والقسوة أما كفى بي حزنا أن تكوني زوجة المركيس حتى تعامليني بهذا الجفاء وتحرميني من رؤيتك التي لا سلوة لي غيرها فبكت وقالت بذا قضت الايام فانصرف عني فان رؤيتك تهيجني شوقا اليك وتحدث خفقانا في قلبي لتذكري أيام الصبا كما أن أحشائي تضطرب اضطرابا قل أن يكون في العاشقين مثله عند اجتماعهم بأحبابهم فاذهب وخلص شرفي من المحاربات التي تخالج فؤادي فقالت هذا الكلام وأخذت في نفسها حتى انها قلبت شمعة منورة كانت وراءها على ما تقدم من غير أن تفطن لذلك فتناولها بيده وسارت الى مقصورة القهرمانة لتشعلها فلما عادت ألح عليها الملك بان لا تعرض عن حبه ليبقى الحب بينهما متبادلا فلما سمع المركيس كلامه اتقدت به نار الغيرة ووثب الى المقصورة غضبا في ذات

الوقت

الوقت الذى عادت فيه زوجته وقال للملك والسيف فى يده صلت أيها الظالم الغاشم لا تظن أيها الخائن أنك تتمكن من تتميم مرغوبك على أسهل طريقة كما حسبت قال هذا وتواثبا كلاهما على بعض ووقع بينهما صراع لم يطل كثيرا لشدة حدتهما فيه لان المركيس قد تخوف من أن يبادر فرنان وأعوانه لشدة صراخ زوجته فيفقد الملك من بين يديه فرام أن ينتقم منه على عجل واحتد حتى غاب عن الصواب فوثب وثبة شديدة بادره الملك فيها بطعنة فصرعه على الارض يتخبط بدمه فلما رأته زوجته على تلك الحال غلب عليها الحلم والرأفة وبادرت اليه للاقاة جراحه ولكن عوض أن يشكرها الملك حنق عليها حنقا شديدا وفكر بانه اذا مات حملها الملك الى قصره وبات معها فى هناء ونعيم فاشتدت عليه الغيرة حتى جمع قواه ورفع السيف الذى كان بيده وطعنها به وهو يقول موتى أيتها الزوجة الخائنة التى لم تحفظى عهودا أقسمت بالله فى بيعته المقدسة على توكيدها الى وأنت أيها الملك لا تفرح بموتى ومصابى لانك لا تهنأ بالملك بعدى قال هذا وسلم روحه على حين لم تزل سمات الانتقام مرسومة على وجهه وقد وقعت عليه زوجته وامتزج دمها بدمه وأما الملك فانه لما طعن المركيس زوجته ولم يكن له وقت لمداركة الامر أطلق الدماء فى وجهه وكاد يقع على الارض من عظم الحزن والالم فبادر اليها ملاقاتها بمثل ما لاقت هى زوجها على حين ما أساء مجازاتها بالقتل فقالت له بصوت ضعيف أيها الملك الحبيب ان تداركك أمرى الآن لا يحصل منه بعد تمزيق صدرى بالسيف ثمرة فليكن ملكك معظما مباركا بعدى وليكن السعد خادما لك ثم ان أباها كان قد سمع صراخها فدخل المقصورة ورأى تلك المشاهدة أمامه فوجم حزينا لا يبدى حركة غير أنها لم تفطن بما هى فيه لقدومه فأكملت كلامها الى الملك وقالت انى أودعك أيها الملك وأستودعك الله وأرجو أن تردد ذكرى فى خاطرك لان ودادى لك وما لحقه من البلاء ليجبرانك على ذلك وأملى منك أنك لا تحنق على أبى بل تكافئه على أمانته لك وتحفظ لك وتعزيه بى على فقدى وتعرفه طهارتى وعزة نفسى وهو الامر الذى أوصيك به قالت هذا وسلمت روحها فوجم الملك ساعة لا يبدى حركة ولا يتكلم بحرف لشدة حزنه ثم رفع طرفه الى وزيره وقال له انظر أيها الوزير ما قدمت يداك وما دبرت من الحيلة لثبات الملك لى كيف ساءت الحيلة مصيرا فلم يجبه الشيخ بكلمة لعظم وقوع البلية عليه

وأنا لا أتعرض الآن لذكر الشعائر التى لا يعبر عنها اللسان وأكتفى من ذلك بالقول انه لما رجع الملك ووزيره الى عقلهما بكيا وأعولا عويلا كثيرا حتى كانت حالتهما تفتت الاكباد وتذيب الجماد وبقى الحزن فى قلب الملك سنين طويلة وقد حفظ ذكر محبوبته فى قلبه سائر أيام حياته ولم يبق له طاقة على الاقتران بسلطانة فتزوجها أخوه دون لزريق وأثار معها فتنة فى البلاد لما حدثته نفسه له من وصول الملك اليه اتباعا لوصية عمه المهرجان غير أن الدائرة دارت عليه ودانت البلاد لاخيه الفونس وخضع له القواد والامراء أما فرنان فان الحزن والاسف المتسبب من تلك الخطوب غلب عليه حتى ألجأه الى مبارحة أوطانه فسبحان مغير الاحوال

ضباعة بنت الحارث الانصارية

كانت من نساء الانصار التقيات النقيات العابدات اللاتى لهن صحبة حسنة مع النبى صلى الله عليه وسلم وروت عنه الحديث وأخذ عنها جملة من التابعين وكانت فصيحة اللسان حلوة العبارة اذا حدثت

وعت لها القلوب وتفتحت اليها الآذان وكانت مقربة بين الانصار محبوبة عند الجميع لتقواها وعفافها وصيانتها مع جمالها الفائق وقد هويها زفر بن الحارث الكلابي وتعلق بها وهي لم تلتفت اليه وقد قال فيها شعرا أوله

قفي قبل التفرق يا ضباعا * فلا يك موقف منك الوداعا

وهي طويلة لم نعثر على باقيها وتوفيت بين أهلها الانصار وهي في عز واقبال

﴿ ضباعة بنت الزبير ﴾

ابن عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم كانت زوجة المقداد بن عمرو الكندي فولدت له عبد الله وكريمة فقتل يوم الجمل مع عائشة روى عن ضباعة ابن عباس وجابر وأنس وعائشة وعروة والاعرج وقيل ان ضباعة بنت الزبير أتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله اني أريد الحج أفأشترط قال نعم قالت كيف أقول قال قولي لبيك اللهم لبيك لبيك محلي من الارض حيث تحبسني فتعلمت كما أمرها وحدثت بهذا الحديث وخلافه وروى عنها جملة من التابعين أيضا

﴿ ضباعة بنت عامر بن قرط العامرية ﴾

كانت أسلمت بمكة وقد نصرت النبي صلى الله عليه وسلم في جملة مواطن بلسانها وفعلها وقد أبلت بلاء حسنا أمامه فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم على بني عامر وهم بعكاظ ودعاهم الى نصرته ومنعته فأجابوه فبينما هم كذلك اذ بيحرة بن فراس القشيري غمز شاكلة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمصت به فألقته وعندهم يومئذ ضباعة بنت قرط كانت من أسلم بمكة جاءت زائرة الى بني عمها فقالت يا آل عامر ولا عامر لي أيصنع هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ولا يمنعه أحد منكم فقام ثلاثة من بني عمها الى بحرة فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الارض ثم جلس على صدره ثم علا وجهه لطما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك على هؤلاء فأسلموا وقتلوا شهداء ولها نصرات كثيرة مثل هذه رحمها الله تعالى

(حرف الطاء)

﴿ طغاي زوجة الملك الناصر قلاوون ﴾

هي الخوندة الكبرى زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون وأم ابنه الامير أنوك كانت من جملة امائه فأعتقها وتزوجها ويقال انها أخت الامير آقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها وسوى طغاي الناصرية وحج بها القاضي كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها وحمل لها البقول في محائر طين على ظهور الجمال وأخذ لها الابقار الحالبة فسارت معها طول الطريق لاجل اللبن الطري وعمل الجبن وكان يلقى لها الجبن في الغداء والعشاء واذا كان البقل والجبن بهذه المثابة وهما أحسن ما يؤكل فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضي وأمير مجلس وعدة من الامراء يمشون رجالا بين يدي محفتها ويقبلون الارض لها ثم حج بها الامير بشتاك سنة ٧٣٩ واستمرت عظمتها بعد موت السلطان الى أن ماتت سنة ٧٤٩ أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما

خصيا وأموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبرها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بتربة الخانقاه وهي من أعمر الاماكن الى يومنا هذا

طولباي الناصرية

طولباي هذه هي من ذرية جنكزخان تزوجها الملك الناصر محمد بن قلاوون ولما جاءت من بلادها الى الاسكندرية في شهر ربيع أول سنة ٧٢٠ وطلعت من المركب حلت في محفة من الذهب على البغل وجره المماليك الى دار السلطنة بالاسكندرية وبعث السلطان الى خدمتها عدة من الحجاب وثمان عشرة من الحرم ونزلت في الحراقة فوصلت الى القلعة يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول المذكور وفرش لها بالمناظر في الميدان دهليز أطلس معدني ومد لهم سماط ثم عقد عليها يوم الاثنين ٦ ربيع الآخر على ثلاثين ألف دينار

وبقيت عنده مسموعة الكلمة محظية لديه حتى انه مال اليها بكليانه وجزئيانه وسلمها أمور داره واعتمد بذلك على حسبها ونسبها وهي وفت له بما ائتمنها عليه وكانت مشهورة بفعل الخير واجتناب الشر ولها ماآثر غريبة من مدارس ومصانع ومساجد وغير ذلك

طيطغلي خاتون زوجة السلطان أوزبك الكبرى

قال ابن بطوطة في رحلته ان طيطغلي (بفتح الطاء المهملة الاولى واسكان الياء آخر الحروف وضم الطاء الثانية واسكان الغين المعجمة وكسر اللام وياء مد) هي أعظم نساء هذا السلطان عنده وعندها يبيت أكثر لياليه ويعظمها الناس بسبب تعظيمه لها كما أخبر بعض العارفين بأخبار هذه الملكة أن السلطان يحبها لموافقتها الطباع وقيل انها من سلالة المرأة التي يذكر أن الملك زال عن سليمان عليه السلام بسببها ولما عاد اليه ملكه أمر أن توضع بصحراء لا عمارة فيها فوضعت بصحراء قفجق وتزوجت هناك وتناسلت ومن ذريتها هذه الخاتون قال وفي غد اجتماعي بالسلطان دخلت الى هذه الخاتون وهي قاعدة فيما بين عشرة من النساء القواعد كأنهن خادمات لها وبين يديها نحو خمسين جارية صغارا يسمون البنات وبين أيديهن طيافير الذهب والفضة مملوءة بحب الملوك وهن ينقينه وبين يدي الخاتون صينية ذهب مملوءة منه وهي تنقيه فسلمنا عليها وكان في جملة أصحابي قارئ القرآن على طريقة المصريين بطريقة حسنة وصوت طيب فقرأ ثم أمرت أن يؤتى بالقمز فأتى به في أقداح خشب لطاف خفاف فأخذت القدح بيدها وأعطتني اياه وتلك نهاية الكرامة عندهم ولم أكن شربت القمز قبلها ولكن لم يمكنني الا قبوله وذقته ولا خير فيه ودفعته لاحد أصحابي وسألتني عن كثير من حال سفرنا فأجبناها ثم انصرفنا عنها وكان ابتداؤنا بها لاجل عظمتها عند الملك وان هذه الملكة من النساء العاقلات اللاتي يسلبن ألباب الرجال بحسن آدابهن وتدابيرهن وقد ملكت عقل ذلك الملك حتى صار لا يقطع رأيا ولا يبت أمرا الا بمشورتها وهي من النساء المعدودات الموصوفات بفعل الخيرات والمبرات ولها جملة ماآثر في بلادها مثل مساجد ومدارس ومارستانات وغير ذلك من فعل الخيرات وتوفيت قبل زوجها فأسف عليها وكانت جنازتها أشهر ما يكون من الجنائز

(حرف الظاء)

﴿ ظبية ابنة البراء ﴾

ابن معرور امرأة أبي قتادة الانصارية كانت من المحدثات المتقدمات الصحابيات اللاتي لهن التقدم في الرواية وصحة الخبر أخذت من أجلة وروت جملة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها جملة من الصحابة والتابعين ومن أحاديثها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم قائلة هل علينا معشر النساء جمعة أو جهاد فقال لها ليس عليكن جمعة ولا جهاد فقالت علمني يا رسول الله تسبيح الجهاد فقال قولي (سبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولله الحمد) فجعلت تقول ذلك كلما حضرت جهادا مع قومها

﴿ ظريفة ابنة صفوان بن وائلة العذرى ﴾

كانت جميلة المنظر لطيفة المخبر حسنة المعشر عذبة المنطق سلسة الالفاظ خرجت يوما مع نسوة يغترفن الماء وقد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد أسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنما البدر في تمه وقد مر بهن زرعة بن خالد العذرى يريد الصيد فلما ورد الغدير وجد النساء على تلك الصورة وظريفة على الحالة التي ذكرناها فحين أبصرها سقط مغشيا عليه فقامت اليه فرشت عليه الماء فلما أفاق وأبصرها قال وهل مقتول يداويه قاتله قالت كيف ما تشكو وحادثته فثابت نفسه اليه وقد داخلها ما داخله من الحب ثم رجع وهو يقول خرجنا نصيد فاصطدنا ثم أنشد

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصا * من الريم صادتني سريعا حبائله

فلما رماني بالنبال مسارعا * رقاني وهل ميت يداويه قاتله

ألا في سبيل الحب صب قد انقضى * سريعا ولم يبلغ مرادا يحاوله

ولزم الوساد وقطع الزاد فلما أعيته الحيلة أخبر والدته بحاله فمضت اليها وأعلمتها بالقصة وقبلت رجليها على أن تزوره فعسى أن يشفى ولدها فقالت ان الوشاة كثيرون ولكن خذى هذا الشعر اليه فان أمسكه فانه يشفى وجزت لها شيأ من شعرها فلما ذهبت اليه به جعل يتشقه فتراجعت نفسه شيأ فشيأ حتى اشتهى ما يأكل فقدم اليه فتناوله وقام فكان يأتى قريبا من الابيات فيسارقها النظر وتخالسه هى أيضا الى أن فطن أهلها فعوّلوا على قتله وبلغه فذهب الى اليمن وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح فخرج يوما لبعض حاجاته فسقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود فضعف فقال دعونى فانى أرجو أن أظفر أو أموت فتبعه غلام وأخذ يعلمه أبياتا وهى هذه وقال له اذا حاذيت موضع كذا فأنشد

مريض بأفناء البيوت مطرّح * بهما به من لاعج الشوق يبرح

وقالوا الاجل اليأس عودى لعلما * تشكاه من آلام وجدك يسمح

وليس دواء الداء الا بحيلة * أنذر بشانيها غرام مبرّح

اذا ما سألناها نوالا تنيله * فضم الصفا منها بذلك أسمح

ومضى الغلام حتى بلغ المكان ورفع صوته بالابيات فخرجت له ظريفة وأنشدت تقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه * ومن كدت من شوقى اليه أطير

لئن كثرت بالقلب أتراح لوعة * فان الوشاة الحاضرين كثير

فيمشون يشتدون غيظا وغيرة * وما منهم الا أب وغيور
فان لم أزر بالجسم خيفة معشر * فبالقلب آت نحوكم فيزور

ثم رجع الصبي فأنشدها أبياته فغشي عليها ساعة ثم أفاقت وهي تنشد

أظن هوى الخود الغريرة قاتلي * فياليت شعري ما بنو العم صانع
أراهم وللرحمن در صنيعهم * تراكى دمي هدرا وخاب المضيع

وقد زفت طريفة الى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة وغشي عليه فحركته فاذا هو ميت فلزمت طريفة البكاء أياما ولم تمكن الرجل من نفسها فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد نصف الليل فتبعها زوجها حتى انتهت الى القبر فألقت نفسها فيه فأخرجها وليس بها حراك ثم حملها الى الخيمة فلما أصبح جاءت أمها فوجدت بها رمقا ولكنهم لم تفقه كلامها فأشارت أن تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها ودفنت بجانب زرعة بن خالد بعدما نقلت الى محل مدفنه

﴿ طريفة كاهنة حمير ﴾

كانت في زمن الملك عمرو بن عامر من بقايا الحميري وهي التي تنبأت في سيل العرم وكانوا يسمونها طريفة الخير وكان أول شيء وقع بمأرب بينما هي ذات يوم نائمة اذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت أرضها وأرعدت وأبرقت ثم أصعقت فأحرقت ما وقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شيء الا أحرقته ففزعت طريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهي تقول ما رأيت مثل اليوم قد أذهب عني النوم رأيت غيما برق وأرعد ثم أصعق فما وقع على شيء الا أحرقه فما بعد هذا الا الغرق فلما رأوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوا من جأشها حتى سكنت ثم ان الملك عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة فأسرعت نحوه وأمرت وصيفا لها يقال له سنان أن يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجذ منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن (وهي دواب يشبهن اليرابيع يكن بأرض اليمن) فلما رأتهن طريفة وضعت يدها على عينها وقعدت وقالت لوصيفها اذا ذهبت هذه المناجذ عنا فأعلمني فلما ذهبت أعلمها فانطلقت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع فتستعين بذنبها وتحثو التراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول فلما رأتها طريفة جلست الى الارض فلما عادت السلحفاة الى الماء مضت الى أن دخلت على الملك عمرو في الحديقة حين انتصف النهار في ساعة شديد حرها فاذا الشجر يتكفأ من غير ريح فغدت حتى دخلت على عمرو ومعه جاريتان على الفراش فلما رآها استحيا منها وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش وقال هلمي يا طريفة الى الفراش واجلسي الى جانبي فتكهنت وقالت والنور والظلماء والارض والسماء ان الشجر لهالك وسيعود الماء كما كان في الدهر السالف قال عمرو ومن أخبرك بهذا قالت أخبرني المناجذ بسنين شدائد يقطع فيها الولد الوالد قال ما تقولين قالت أقول قول الندمان لهفا قد رأيت سلحفا تجرف التراب جرفا وتقذف بالبول قذفا فدخلت الحديقة فاذا الشجر يتكفأ قال عمرو ومتى ترين ذلك قالت هي داهية كبيرة ومصائب عظيمة لامور جسيمة قال وما هي قالت ان لي الويل وما لك فيها من نيل فلي ولك الويل مما يجيء به السيل

فافاق عمرو ونفسه عن الفراش وقال ماهذا ياظريفة قالت هو خطب جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال وما علامة ذلك قالت تذهب الى السد فاذا رأيت جرذا يكثر فى السد الحفر ويقلب برجليه من الجبل الصخر فاعلم أن الغريب حضر وأنه قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذى يقع قالت وعيد الله نزل وباطل بطل ونكال بنا نزل فتعمد يا عمرو ولم يكن الشكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى ظريفة فاخبرها الخبر وهو يقول

أبصرت أمرا عادلى منه ألم * وهاج لى من هوله برح السقم

من جرذ كفحل خنزير أجم * أو تيس (٢) صرم من أفاوين الغنم

يسحب صخرا من جلاميد العرم * له مخاليب وأنياب فطم

ماقاته سجلا من الصخر قصم * كأنما يدعى حصيرا من سلم

فقالت له ظريفة ان من علامات ماذكرت لك أن تجلس فى مجلسك بين الجنتين ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فانها ستمتلئ بين يديك من تراب البطحاء من سهلة الوادى ورمله وقد علمت أن الجنان مظلة ما يدخلها شمس ولا ريح فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء فذهب الملك الى ظريفة فاخبرها بذلك وقال لها متى ترين هلاك السد قالت فيما بينك وبين السبعين سنة قال ففى أيها يكون قالت لا يعلم ذلك الا الله ولو علمه أحد لعلمته ولا يأتى عليك ليلة فيما بينك وبين السبعين سنة (وأظنها من سنى حياته) الا ظننت هلاكه فى غدها أو فى تلك الليلة فكان كما قالت وحصل ما حصل فى خبر طويل

(حرف العين)

﴿عائشة بنت أبي بكر الصديق﴾

ابن أبي قحافة القرشية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين وقيل سبع ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع وقيل عشر وكان مولدها سنة أربع من النبوة وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر وكان صداقها أربعمائة درهم وكانت أحب نسائه اليه وكنيتها أم عبد الله كنيت بابن أختها أسماء وروت عائشة ألفى حديث ومائتى حديث وعشرة أحاديث

ولها خطب ووقائع وكانت هى السبب فى وقعة الجمل المشهورة فى الاسلام بصحبة الزبير وطلحة وذلك أن عائشة خرجت الى مكة وعثمان محصور ثم رجعت من مكة تريد المدينة فلما كانت بسرف لقيها رجل من أخوالها من ليث يقال له عبيد بن أبى سلمة فقالت له مهيم قال قتل عثمان وبقوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال اجتمعوا على بيعة على فقالت هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبك ردونى فانصرفت الى مكة وهى تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لاطلبن بدمه فقال لها ولم ان أول من أمال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولى الاخير خير من قولى الاول فقال لها ابن أبي سلمة

فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الامام * وقلت لنا انه قد كفر

فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرء * يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر

فانصرفت الى مكة فقصدت الحجر فنزلت فيه فاجتمع الناس حولها فقالت أيها الناس ان الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالامس ونقموا عليه استعماله من حدثت سنه وقد استعمل أمثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لاصبع من عثمان خير من طباق الارض أمثالهم ووالله لو أن الذى اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه أماصوه كما يماص الثوب بالماء (أى يغسل) فقال عبد الله بن عامر الحضرمى وكان عامل عثمان على مكة ها أنا أول طالب فكان أول مجيب وتبعه بنو أمية على ذلك وبذا صارت الحرب بخبر طويل يخرجنا عن الموضوع وروده

ومما قالت عائشة عند دخولهم المربد واجتمع القوم وخرج أهل البصرة وعثمان بن حنيف وكان عاملا على البصرة فتكلمت وكانت جهورية الصوت فحمدت الله وقالت كان الناس يتجنون على عثمان ويزرون على عماله بالمدينة فيستشعرنا فيما يخبرونا عنهم فننظر فى ذلك فنجده بريا تقيا وفيا ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا كاثروه وقحموا عليه داره واستحل الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر ألا ان مما ينبغى ولا ينبغى لكم غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله وقرأت (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية) وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق فهاجت السامعين وقالت أيضا يوم الجمل أيها الناس صه صه ان لى عليكم حق الامومة وحرمة الموعظة لا يتهمنى الا من عصى ربه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وأنا احدى نسائه فى الجنة له ادخرنى ربى وسلمنى من كل بضاعة وبى ميز بين منافقكم ومؤمنكم وبى رخص الله لكم فى صعيد الابواء ثم أبى ثالث ثلاثة من المؤمنين وثانى اثنين الله ثالثهما وأول من سمى صديقا مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا عنه وطوقه طوق الامامة ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبى بطرفيه ورتق لكم فتق النفاق وأغاض نبع الردة وأطفأ ما حش يهود وأنتم يومئذ جحظ العيون تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة فرأب الثأى وأوذم العطلة وانتاش من المهواة واجتحى دفين الداء حتى أعطن الوارد وأورد الصادر وعل الناهل فقبضه الله اليه واطئا على هامات النفاق مذكيا نار الحرب للمشركين وانتظمت بضاعتكم بحبله ثم ولى أمركم رجلا مرعيا اذا ركن اليه بعيد ما بين اللابتين عروكه للاذن بجنبه صفوحا عن أذاة الجاهلين يقظان الليل فى نصرة الاسلام فسلك مسلك السابقة ففرق شمل الفتنة وجمع أعضادها جمع القرآن وأنا نصب المسئلة عن مسيرى هذا لم ألتمس اثما ولم أدلس فتنة أوطئكموها أقول قولى هذا صدقا وعدلا واعذارا وانذارا وأسأل الله أن يصلى على محمد وأن يخلفه فيكم بافضل خلافة المرسلين

وقال القاسم بن محمد بن أبى بكر لما قتل أبى محمد بن أبى بكر عصر جاءنى عبد الرحمن بن أبى بكر فاحتملنى

أنا وأخنا لى من مصر فقدم بنا المدينة فبعثت الينا عائشة فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن اليها فما رأيت والدة قط ولا والدا أبر منها فلم نزل فى حجرها ثم بعثت الى عمى عبد الرحمن فلما دخل عليها تكلمت فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه فما رأيت متكلما ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها ثم قالت يا أخى انى لم أزل أراك معرضا عنى منذ قبضت هذين الصبيين منك ووالله ما قبضتهما تطاولا عليك ولا تهمة لك فيهما ولا لشئ تكرهه ولكنك كنت رجلا ذا نساء وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيأ فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرون به من قبيح أمر الصبيان فكنت ألطف لذلك وأحق بولايته فقد قويا على أنفسهما وشبا وعرفا ما يأتيان فهاهما هذان فضمهما اليك وكن لهما كجحية بن المضرب أخى كندة فانه كان له أخ يقال له معدان فمات وترك صبية صغارا فى حجر أخيه فكان أبر الناس بهم وأعطفهم عليهم وكان يؤثرهم على صبيانه فمكث بذلك ماشاء الله ثم انه عرض له سفر لم يجد بدا من الخروج فيه فخرج وأوصى بهم امرأته وكانت احدى بنات عمه وكان يقال لها زينب فقال اصنعى ببنى أخى ما كنت أصنع بهم ثم مضى لوجهه فغاب شهرا ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيرت فقال ويلك مالى أرى بنى معدان مهازيل وأرى بنى سمانا قالت قد كنت أواسى بينهم ولكنهم كانوا يعبثون ويلعبون فخلا بالصبيان فقال كيف كانت زينب تصنع بكم قالوا سيئة ما كانت تعطينا من القوت الا ملء هذا القدح من لبن وأروه قدحا صغيرا فغضب على امرأته غضبا شديدا وتركها حتى اذا راح راعيا ابله قال لهما اذهبا فأنتما وابلكما لبنى معدان فغضبت من ذلك زينب وهجرته وضربت بينه وبينها حجابا فقال والله لا تذوقين منها اصبوحا ولا غبوقا أبدا وقال فى ذلك

لجت وبلت هذه فى التغضب * ولط الحجاب بيننا والتجنب
وخطت بفردى أغيد جفن عينها * لتقتلنى وشد ما حب زينب
تلوم على مال شفانى مكانه * فلازمى حيائى ما بدالك واغضبى
رحمت بنى معدان اذ قل مالهم * وحق لهم منى ورب المحصب
وكان اليتامى لا يسد اختلالهم * هدايا لهم فى كل قعب مشعب
فقلت لعبدينا أريحا عليهم * سأجعل بيتى بيت آخر معزب
وقلت خذوها واعلموا أن عمكم * هو اليوم أولى منكم بالتكسب
عيالى أحق أن ينالوا خصاصة * وان يشربوا رنقا الى حين مكسب
أحابى بها من لو قصدت لماله * حريبا لآسانى على كل موكب
أخى والذى ان أدعه لعظيمة * يجبنى وان أغضب الى السيف يغضب

قالت عائشة فلما بلغ زينب هذا الشعر خرجت حتى أتت المدينة فأسلمت وذلك فى ولاية عمر بن الخطاب فقدم جحية المدينة فطلب زينب أن ترد عليه وكان نصرانيا فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته فقال له اياك وأن يبلغ هذا عنك عمر فتلقى منه أذى وانتشر خبر جحية بالمدينة وعلم فيم كان مقدمه فبلغ ذلك عمر فقال للزبير قد بلغنى قصة ضيفك ولقد هممت به لولا تحرمه بالنزول عليك فرجع الزبير الى جحية فأعلمه قول عمر فمدحه بأبياته الآتى أولها * (ان الزبير بن عوام تداركنى) * ثم انصرف من عنده متوجها الى بلده آيسا من زينب كئيبا حزينا فقال فى ذلك

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب * وكيف تصابى المرء والرأس أشيب

اذا قربت زادتك شوقا بقربها * وان جانبت لم يغن عنها التجنب
فلا اليأس ان ألمت يبدو فترعوي * ولا أنت مردود بما جئت تطلب
وفي اليأس لو يبدو لك اليأس راحة * وفي الارض عمن لا يواسيك مذهب

وأنا والله يا أخي خشيت عليك من مثل ذلك الا يصيبك مع نسائك ما أصاب جميلة وزينب وأما الآن فقد كبرا وصارا يمكنهما أن يدفعا عن أنفسهما تعديات غيرهما فأخذهما عبد الرحمن اليه وهو يثني على عائشة

وكانت رضي الله عنها أفصح أهل زمانها وأحفظهم للحديث روت عنها الرواة من الرجال والنساء وكان مسروق اذا روى عنها يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق البريئة المبرأة وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض وقال عطاء بن أبي رباح كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأيا في العامة وقال عروة ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ولو لم يكن لعائشة من الفضائل الا قصة الافك لكفى بها فضلا وعلو مجد فانها نزل فيها من القرآن ما يتلى الى يوم القيامة ولولا خوف التطويل لذكرنا القصة بجملتها وهي أشهر من أن تذكر وكان حسان بن ثابت عند عائشة يوما فقال يرثي ابنته

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة لكن لست أنت كذلك فقال لها مسروق أيدخل عليك هذا وقد قال الله عز وجل والذي تولى كبره منهم له عذاب أليم قالت أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصره وباقي الابيات

فان كنت قد قلت الذي قد زعمتم * فلا رفعت سوطي الي أناملي
وكيف وودي من قديم ونصرتي * لآل رسول الله زين المحافل
فان الذي قد قيل ليس بلائط * ولكنه قول امرئ بي ماحل

وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين للهجرة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلا فدفنت وصلى عليها أبو هريرة ونزل قبرها خمسة عبد الله وعروة ابنا الزبير والقاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر وعبد الله بن عبد الرحمن ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان عمرها ثماني عشرة سنة

﴿ عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ﴾

وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق وخالتها عائشة أم المؤمنين وكانت عائشة بنت طلحة أشبه الناس بعائشة أم المؤمنين خالتها فزوجتها بابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وكان ابن خال عائشة بنت طلحة فلم تلد من أحد من أزواجها سواه فولدت له عمران وبه كانت تكنى وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة التي تزوجها الوليد بن عبد الملك والكل من هؤلاء عقب وكان ابنها طلحة من أجود قريش وتوفي عبد الله عنها ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك وكانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من أحد فعاتبها مصعب في ذلك فقالت ان الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لأستره ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد وطالت مراجعة مصعب اياها في ذلك وكانت شرسة الخلق وكذلك نساء تيم هن أشرس خلق الله وأحظى

عند أزواجهن وكانت عند الحسين بن على أم اسحق بنت طلحة فكان يقول والله لربما حملت ووضعت وهى مصارمة لى لاتكلمنى وغالت عائشة من مصعب وقالت لاتكلمنى أبدا وقعدت فى غرفة وهيأت فيها مايصلحها فجهد مصعب أن تكلمه فأبت فبعث اليها ابن قيس الرقيات فسألها كلامه فقالت كيف بيمينى فقال ههنا الشعبى فقيه أهل العراق فاستفتيه فدخل عليها فأخبرته فقال ليس هذا بشئ فقالت أيحلنى ويخرج خائبا فأمرت له بأربعة آلاف درهم وقال ابن قيس الرقيات لما رآها

ان الخليط قد أزمعوا تركى * فوقفت فى عرصاتهم أبكى

خيشية برزت لتقتلنى * مطلية الاصداغ بالمسك

عجبا لمثلك لا يكون له * خرج العراق ومنبر الملك

وكانت عزة الميلاء من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء وكان يألفها الاشراف وأرباب المروآت وغيرهم فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر أو سعيد بن العاص فقالوا انا خطبنا فانظرى لنا فقالت لمصعب ومن خطبت يا ابن أبى عبد الله فقال عائشة بنت طلحة فقالت فأنت يا ابن أبى أحيحة قال عائشة بنت عثمان قالت فأنت يا ابن الصديق قال أم القاسم بنت زكريا بن طلحة قالت يا جارية هاتى منقلى تعنى خفيها فلبستهما وخرجت ومعها خادم لها ومضت فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت فديتك كنا فى مأدبة لقريش فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك فلم أدر كيف أصفك فديتك فالقى ثيابك ففعلت وأقبلت وأدبرت فارتج كل شئ منها فقالت لها عزة خذى ثوبك فديتك من كل سوء فقالت عائشة قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتى فقالت عزة وما هى بنفسى أنت قالت تغنينى صوتا فاندفعت تغنى

خليلى عوجا بالمحلة من جمل * وأترابها بين الاصيفر والخبل

نقف بمغان قد محا رسمها البلا * تعاقبها الايام بالريح والوبل

فلو درج النمل الصغار بجلدها * لأندب أعلى جلدها مدرج النمل

وأحسن خلق الله جيدا ومقلة * تشبه فى النسوان بالشادن الطفل

فقامت عائشة فقبلت ما بين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك ودفعته الى جاريتها فحملته وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن حتى أتت القوم فى السقيفة فقالوا ما صنعت فقالت يا ابن أبى عبد الله أما عائشة فلا والله ما رأيت مثلها مقبلة ومدبرة محطوطة المتنين عظيمة العجيزة ممتلئة الترائب نقية الثغر وصفحة الوجه فرعاء الشعر لفاء الفخذين ممتلئة الصدر خميصة البطن ذات عكن ضخمة السرة مسرولة الساق يرتج ما بين أعلاها الى قدميها وفيها عيبان أما أحدهما فيواريه الخمار وأما الآخر فيواريه الخف عظم القدم والاذن وكانت عائشة كذلك ثم قالت عزة وأما أنت يا ابن أبى أحيحة فانى والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قط ليس فيها عيب والله لكأنما أفرغت افراغا ولكن فى الوجه ردة وان استشرتنى أشرت عليك بوجه تستأنس به وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم كأنها خوط بانة تثنى وكأنها جدل عنان أو كأنها خشف يتثنى على رمل لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت ولكنها شخنة الصدر وأنت عريض الصدر فاذا كان ذلك كان قبيحا لا والله حتى يملأ كل شئ مثله فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن

وكان مصعب لا يقدر عليها الا بتلاح ينالها منه وبكل مشقة فشكا ذلك الى ابن فروة كاتبه فقال له أنا

أكفيك هذا ان أذنت لي قال نعم افعل ماشئت فانها أفضل شئ نلته من الدنيا فأتاها ليلا ومعه أسودان فاستأذن عليها فقالت له أفي مثل هذه الساعة يا ابن أبي فروة قال نعم فأدخلته فقال للاسودين احفرا ههنا بئرا فقالت له جاريتها وما تصنع بالبئر قال شؤم مولاتك أمرني هذا الفاجر أن أدفنها حية وهو أسفك خلق الله لدم حرام فقالت عائشة فأنظرني أذهب اليه قال هيهات لاسبيل الى ذلك وقال للاسودين احفرا فلما رأت الجد منه بكت ثم قالت يا ابن أبي فروة انك لقاتلي ما منه بد قال نعم واني لاعلم أن الله سيجزيه بعدك ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب قالت وفي أي شئ غضبه قال في امتناعك عنه وقد ظن أنك تبغضينه وتطلعين الى غيره فقد جن فقالت أنشدك الله الا عاودته قال اني أخاف أن يقتلني فبكت وبكى جواريها فقال قد رققت لك وحلف أنه يغرر بنفسه ثم قال لها فما أقول قالت تضمن عني أني لا أعود أبدا قال فمالي عندك قالت قيام بحقك ما عشت قال فأعطيني المواثيق فأعطته فقال للاسودين مكانكما وأتى مصعبا فأخبره فقال له استوثق منها بالايمان ففعلت وصلحت بعد ذلك لمصعب

ودخل عليها مصعب يوما وهي نائمة متصبحة ومعه ثمان لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها فقالت له نومتي كانت أحب الي من هذا اللؤلؤ قال وصارمت مصعبا مرة فطالت مصارمتها له وشق ذلك عليها وعليه وكانت لمصعب حرب فخرج اليها ثم عاد وقد ظفر فشكت عائشة مصارمته الى مولاة لها فقالت الآن يصلح أن تخرجي اليه فخرجت فهنأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه فقال لها مصعب اني أشفق عليك من رائحة الحديد فقالت لهو والله عندي أطيب من ريح المسك

وقال ابن يحيى كان مصعب من أشد الناس اعجابا بعائشة بنت طلحة ولم يكن لها شبيه في زمانها حسنا ودماثة وجمالا وهيئة ومتانة وعفة وانها دعت يوما نسوة من قريش فلما جئنها أجلستهن في مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه والطيب المجمر وخلعت على كل امرأة منهن خلعة تامة من الوشي والخز ونحوهما ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفت ثم قالت لعزة هاتي يا عزة فغنينا فغنت

وثغر أغر شتيت النبات ✽ لذيذ المقبـــل والمبتسم
وما ذقتـــه غـــير ظن به ✽ وبالظن يقضي عليك الحكم

وكان مصعب قريبا منهن ومعه اخوان له فقام فانتقل حتى دنا منهن والستور مسبلة فصاح يا هذه انا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت فبارك الله فيك يا عزة ثم أرسل الى عائشة أما أنت فلا سبيل لنا اليك مع من عندك وأما عزة فتأذنين لها أن تغنينا هذا الصوت ثم تعود اليك ففعلت وغنته مرارا وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحا وسرورا وأمرها بالعود الى مجلسها وقضوا يوما على أحسن حال

ولما قتل مصعب عن عائشة تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي فحمل اليها ألف ألف درهم وقال لمولاتها لك علي ألف دينار ان دخلت بها الليلة وأمر بالمال فحمل فألقي في الدار وغطي بالثياب وخرجت عائشة فقالت لمولاتها أهذا فرش أم ثياب قالت لها انظري اليه فنظرت فاذا هو مال فتبسمت فقالت لها مولاتها أجزاء من حمل هذا أن يبيت عزبا قالت لا والله ولكن لا يجوز دخوله الا بعد أن أتزين له وأستعد قالت فبم ذا ووجهك والله أحسن من كل زينة وما تمدين يدك الى طيب أو ثياب أو حلي أو فرش الا وهو عندك وقد عزمت عليك أن تأذني له قالت افعلي فذهبت اليه فقالت قم بنا فقدم بلت فجاءهم عند العشاء الاخيرة وقالت حين دخل بها

قد رأيناك فلم تحل لنا * وبلوناك فلم نرض الخبر

وكانت رملة بنت عبد الله بن خلف زوجة لعمر بن عبيد الله بن معمر ولما تزوج عائشة قالت رملة لمولاة لعائشة اريني عائشة متجردة ولك ألف درهم فأخبرت عائشة بذلك فقالت فانى أتجرد فاعليها ولا تعرفيها أنى أعلم فقامت عائشة كأنها تغتسل وأعلمتها فأشرفت عليها مقبلة ومدبرة فأعطت رملة مولاتها ألفى درهم وقالت لوددت أنى أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها

فمكثت عائشة عند عبد الله بن معمر ثمان سنين ثم مات عنها سنة اثنتين وثمانين فتأيمت بعده فخطبها جماعة فردتهم ولم تتزوج بعده أبدا

وكانت عائشة من أشد الناس مغالطة لازواجها وكانت تكون لكل من يجيء يحدثها في رقيق الثياب فاذا قالوا قد جاء الامير ضمت عليها مطرفها وقطبت وكانت كثيرا ما تصف لعمر بن عبيد الله مصعبا وجماله وتغيظه بذلك فيكاد أن يموت وكان شديد الغيرة فدخل يوما على عائشة وقد ناله حر شديد وغبار فقال لها انفضى التراب عنى فأخذت منديلا تنفض عنه التراب ثم قالت له ما رأيت الغبار على وجه أحد قط أحسن منه على وجه مصعب قال فكاد يموت غيظا

ودخلت عائشة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة فقالت يا أمير المؤمنين مر لى بأعوان فضم اليها قوما يكونون معها فحجت ومعها ستون بغلا عليها الهوادج والرحائل وكانت سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما فى تلك السنة فقال حادى عائشة

عائش يا ذات البغال الستين * لا زلت ما عشت كذا تحجين

فشق ذلك على سكينة ونزل حاديها فقال

عائش هذه ضرة تشكوك * لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فأمرت عائشة حاديها أن يكف فكف * واستأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك فى الحج فأذن لها وقال ارفعى حوائجك واستظهرى فان عائشة بنت طلحة تحج هذه السنة ففعلت فجاءت بهيئة جهدت فيها فلما كانت بين مكة والمدينة اذا موكب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها فقالت أرى هذه عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقالوا هذه خازنتها ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك الموكب فقالوا عائشة عائشة فضغطهم فسألت عنه فقالوا هذه ماشطتها ثم جاءت مواكب على هذا المنوال ثم أقبلت كوكبة فيها ثلثمائة راحلة عليها القباب والهوادج فقالت عاتكة ما عند الله خير وأبقى

ووفدت عائشة بنت طلحة على هشام فقال لها ما أوفدك قالت حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق قال انى سأعرفه حقك ثم بعث الى مشايخ بنى أمية فقال ان عائشة عندى فاسمروا عندى الليلة فحضروا فما تذاكروا شيأ من أخبار العرب وأشعارها وأيامها الا أفاضت معهم فيه وما طلع نجم ولا غار الا سمته فقال لها هشام أما الاول فلا أنكره وأما النجوم فمن أين لك قالت أخذتها عن خالتى عائشة فأمر لها بمائة ألف درهم وردها الى المدينة

ولما تأيمت عائشة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة تخرج الى مالها بالطائف وقصرها فتتنزه وتجلس بالعشيات فتتناضل بين الرماة فربما النميرى الشاعر فسألت عنه فنسب فقالت له ائتونى به فأتوها به فقالت له أنشدنى مما قلت فى زينب فامتنع وقال ابنة عمى وقد صارت عظاما بالية قالت أقسمت عليك فأنشدها قوله

نزلن بفخ ثم رحن عشية * يلبين للرحمن معتمرات
يخبئن أطراف الاكف من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات
ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن من آن يلقينه حذرات
تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت * به زينب فى نسوة خفرات

فقالت والله ما قلت الا جميلا ولا وصفت الا كرما وطيبا وتقى ودينا أعطوه ألف درهم فلما كانت الجمعة الاخرى تعرض لها فقالت على به فجاء فقالت أنشدنى من شعرك فى زينب فقال أو أنشدك من قول الحرث فيك فوثب مواليها فقالت دعوه فانه أراد أن يستقيد لابنة عمه هات فانشدها

ظعن الامير بأحسن الخلق * وغدوا بلبك مطلع الشرق
وتنوء تثقلها عجيزتها * نهض الضعيف ينوء بالوسق
ما صبحت زوجا بطلعتها * الا غدا بكواكب الطلق
قرشية عبق العبير بها * عبق الدهان بجانب الحق
بيضاء من تيم كلفت بها * هذا الجنون وليس بالعشق

فقالت والله ما ذكر الا جميلا ذكر أنى اذا صبحت زوجا بوجهى غدا بكواكب الطلق وأنى غدوت مع أمير تزوجنى الى الشرق أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين ولا تعد لاتياننا يانميرى وقال أبو هريرة لعائشة يوما ما رأيت شيأ أحسن منك الا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لانا أحسن من النار فى الليلة القرة فى عين المقرور

وكتب أبان بن سعيد الى أخيه يحيى يخطب عليه عائشة بنت طلحة فقبل فقالت ليحيى ما أنزل أخاك أيلة قال أراد العزلة قالت اكتب الى أخيك

حللت محل الضب لا أنت ضائر * عدوا ولا مستنفعا بك نافع

وقال عبد الله بن عبد الرحمن وقد قيل له طلقها

يقولون طلقها لاصبح ثاويا * مقيما على الهم أحلام نائم
وان فراقى أهل بيت أحبهم * لهم زلفة عندى لاحدى العظائم

قال بعضهم أذن المؤذن يوما وخرج الحرث بن خالد الى الصلاة فأرسلت اليه عائشة ابنة طلحة انه بقى على شئ من طوافى لم أتمه فقعد وأمر المؤذنين فكفوا عن الاقامة وجعل الناس يصيحون حتى فرغت من طوافها فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فعزله وولى عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكتب الى الحرث ويلك أتركت الصلاة لعائشة بنت طلحة فقال والله لو لم تقض طوافها الى الفجر لما كبرت وقال فى ذلك

لم أرحب بأن سخطت ولكن * مرحبا ان رضيت عنا وأهلا
ان وجها رأيته ليلة البدر * عليها انثنى الجمال وحلا
وجهها الوجه لو يسال به المز * ن من الحسن والجمال استهلا
ان عند الطواف حين أتته * لجمالا فعما وخلقا رفلا
وكسين الجمال ان غبن عنها * فاذا ما بدت لهن اضمحلا

ولما قدمت عائشة الى مكة أرسل اليها الحرث بن خالد وهو أمير على مكة انى أريد السلام عليك فاذا خف

عليك أذنت وكان الرسول الغريض فقالت له انا محرم فاذا أحللنا أذنا لك فلما حلت سرت على بغلاتها ولحقها الغريض بعسفان ومعه كتاب الحرث اليها وفيه قوله

ما ضركم لو قلتم سددا * ان المطايا عاجل غدها
لها علينا نعمة سلفت * لسنا على الايام نجحدها
لو تممت أسباب نعمتها * تمت بذلك عندنا يدها

فلما قرأت الكتاب قالت ما يدع الحرث باطله ثم قالت للغريض هل أحدثت شيأ قال نعم فاسمعي ثم اندفع يغني في هذا الشعر فقالت عائشة والله ما قلنا الا سددا ولا أردنا الا أن نشتري لسانه وأتى على الشعر كله فاستحسنته وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب وقالت زدني فغناها في قول الحرث بن خالد أيضا

زعموا بأن البين بعد غد * فالقلب مما أحدثوا يجف
والعين منذ أجد بينهم * مثل الجمان دموعها تكف
ومقالها ودموعها سجم * أقلل حنينك حين تنصرف
تشكو ونشكو ما أشت بنا * كل بوشك البين معترف

فقالت له عائشة يا غريض بحق عليك أهو أمرك أن تغنيني في هذا الشعر فقال لا وحياتك يا سيدتي فأمرت له بخمسة آلاف درهم ثم قالت له غنني في شعر غيره فغناها في قول ابن أبي ربيعة

أجمعت خلتي مع الفجر بينا * جلل الله ذلك الوجه زينا
أجمعت بينها ولم تك منها * لذة العيش والشباب قضينا
فتولت حمولها واستقلت * لم تنل طائلا ولم تقض دينا
ولقد قلت يوم مكة لما * أرسلت تقرأ السلام علينا
أنعم الله بالرسول الذي أر * سل والمرسل الرسالة عينا

فضحكت ثم قالت وأنت يا غريض فأنعم الله بك عينا وأنعم بابن أبي ربيعة عينا لقد تلطفت حتى أديت الينا الرسالتين وفاءه له ما بر بذا نارغبة فيك وثقة بك وقد كان عمر سأل من الغريض أن يغنيها هذا الصوت وقال له عمر ان أبلغتها هذه في غناء فلك خمسة آلاف درهم فوفى له بذلك وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى ثم انصرف الغريض من عندها فلقي عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان وكانت قد حجت في تلك السنة فقال لها جواريها هذا الغريض قالت لهن علي به فجئن به اليها قال الغريض فلما سلمت دخلت فردت علي وسألتني عن الخبر فأقصصته عليها فقالت غنني ما غنيتها به ففعلت فلم أرها تهش لذلك فغنيتها معرضا ولها مذكرا بنفسي في شعر مرة بن محكان السعدي يخاطب امرأته وقد نزل به أضياف

أقول والضيف مخشي ذمامته * على الكريم وحق الضيف قد وجبا
يا ربة البيت قومي غير صاغرة * ضمي اليك رحال القوم والقربا
في ليلة في جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

قال فقالت وهي مبتسمة قد وجب حقك يا غريض فغنني فغنيتها

يا دهر قد أكثرت فجعتنا * بسراتنا ووقرت في العظم

وسلبتنا ما لست مخلفه * يا دهر ما أنصفت في الحكم

لو كان لي قرن أناضله * ما طاش عند حفيظة سهمي

لو كان يعطي النصف قلت له * أحرزت سهمك فاله عن سهمي

فقالت نعطيك النصف ولا نضيع سهمك عندنا ونجزل لك قسمك وأمرت له بخمسة آلاف درهم وثياب عدنية وغير ذلك من الالطاف قال وأتيت الحرث بن خالد فأخبرته وقصصت عليه القصة فأمر لي بمثل ما أمرت الي به جميعا فأتيت ابن أبي ربيعة وأعلمته بما جرى فأمر لي بمثل ذلك فما انصرف أحد من ذلك الموسم بمثل ما انصرفت بنظرة من عائشة ونظرة من عاتكة بنت يزيد وهما أجمل نساء عالمهما وبما أمرتا لي وبالمنزلة عند الحرث وهو أمير مكة وابن أبي ربيعة وما أجازاني به جميعا من المال

وقد قدم قادم الى المدينة من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة فقالت له من أين أقبل الرجل قال من مكة فقالت فما فعل الاعرابي فلم يفهم ما أرادت فلما عاد الى مكة دخل على الحرث فقال له من أين قال من المدينة قال فهل دخلت على عائشة بنت طلحة قال نعم قال فعماذا سألتك قال قالت لي ما فعل الاعرابي قال له الحرث فعد اليها ولك هذه الراحلة والحلة ونفقتك لطريقك وادفع اليها هذه الرقعة وكتب اليها فيها

من كان يسأل عنا أين منزلنا * فالاقحوانة منا منزل قمن

اذ نلبس العيش صفوا ما يكدره * طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن

ليت الهوى لم يقربني اليك ولم * أعرفك اذ كان حظي منكم الحزن

ولقي عمر بن أبي ربيعة عائشة بمكة وهي تسير على بغلة لها فقال لها قفي حتى أسمعك ما قلت فيك قالت أوقد قلت يا فاسق قال نعم فوقفت فأنشدها

يا ربة البغلة الشهباء هل لك في * أن تنشري ميتا الا ترهبي حرجا

قالت بدائك مت أو عش تعالجه * فما نرى لك فيما عندنا فرجا

قد كنت حملتنا غيظا نعالجه * فان بعدنا فقد عنيتنا حججا

حتى لو أستطيع مما قد فعلت بنا * أكلت لحمك من غيظ وما نضجا

فقلت لا والذي حج الحجيج له * ما مج حبك من قلبي ولا نهجا

ولا رأى القلب من شيء يسر به * مذ بان منزلكم منا ولا ثلجا

ضنت بنائلها عنه فقد تركت * في غير ذنب أبا الخطاب مختلجا

فقالت لا ورب الكعبة ما عنينا طرفة عين قط ثم أطلقت عنان بغلتها وسارت ولم تزل تداريه وترفق به خوفا من أن يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت الى المدينة فقال في ذلك

ان من تهوى مع الفجر ظعن * للهوى والقلب متباع الوطن

بانت الشمس وكانت كلما * ذكرت للقلب عاودت الددن

يا أبا الحرث قلبي طائر * فأتمر أمر رشيد مؤتمن

نظرت عيني اليها نظرة * تركت قلبي اليها مرتهن

ليس حب فوق ما أحببتها * غير أن أقتل نفسي أو أجن

ومن أشعاره أيضا فيها القصيدة التي أولها

من لقلب أمسى رهينا معنى * مستكينا قد شفه ما أجنا

اثر شخص نفسي فدت ذاك شخصا * نازح الدار بالمدينة عنا

ليت حظي كطرفة العين منها * وكثير منها القليل المهنا

ونقل صاحب الاغاني قال بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت اذ رأى عائشة بنت طلحة وكانت أجمل أهل دهرها وهي تريد الركن تستلمه فبهت لما رآها ورأته وعلمت أنها قد وقعت في نفسه فبعثت اليه بجارية لها وقالت قولي له اتق الله ولا تقل هجرا فان هذا مقام لابد فيه مما رأيت فقال للجارية أقرئيها السلام وقولي لها ابن عمك لا يقول الا خيرا وقال فيها

لعائشة ابنة التيمي عندي * حمى في القلب مايرعى حماها

يذكرني ابنة التيمي ظبي * يرود بروضة سهل رباها

فقلت له وكاد يراع قلبي * فلم أر قط كاليوم اشتباها

سوى حمش بساقك مستبين * وأن شوالك لم يشبه شواها

وأنك عاطل عار وليست * بعارية ولا عطل يداها

وأنك غير أفرع وهي تدني * على المتنين أسحم قد كساها

ولو قعدت ولم تكلف بود * سوى ماقد كلفت به كفاها

أظل اذا أكلمها كأني * أكلم حية غلبت رقاها

تبيت الى بعد النوم تسري * وقد أمسيت لا أخشى سواها

وقال فيها أشعارا كثيرة فبلغ ذلك فتيان بني تيم أبلغهم اياه فتى منهم وقال لهم يا بني تيم بن مرة هاوالله ليقذفن بنو مخزوم بناتنا بالعظائم وتغفلون فمشى ولد أبي بكر وولد طلحة بن عبيد الله الى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم فقال لهم والله لا أذكرها في شعر أبدا ثم قال بعد ذلك فيها وكنى عن اسمها قصيدته التي أولها

يا أم طلحة ان البين قد أفدا * قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

أمسى العراقي لايدري اذا برزت * من ذا تطوف بالاركان أو سجدا

ولم يزل عمر يتشبب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهي تكره أن يرى وجهها حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة فنظر اليها فقالت أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يافاسق فقال

اني وأول ما كلفت بذكرها * عجب وهل في الحي من متعجب

نعت النساء فقلت لست بمبصر * شبها لها أبدا ولا بمقرب

فمكثن حينا ثم قلن توجهت * للحج موعدها لقاء الاخشب

أقبلت أنظر ما زعمن وقلن لي * والقلب بين مصدق ومكذب

فلقيتها تمشي تهادى موهنا * ترمي الجمار عشية في موكب

غراء يعشى الناظرين بياضها * حوراء في غلواء عيش معجب

ان التي من أرضها وسمائها * جلبت لحينك ليتها لم تجلب

ولما جليت عائشة بنت طلحة جاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن وكان الغريض فيمن جاء فدخل النسوة عليها فأمرت لهن بكسوة وألطاف كانت قد أعدتها لمن يجيئها فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت به لها عائشة والغريض بالباب حتى خرج مولياته مع جواريهن الخلع والالطاف فقال الغريض فأين نصيبي من عائشة فقلن له أغفلناك وذهبت عن قلوبنا فقال ما أنا ببارح من بابها أو آخذ بحظي منها فانها كريمة بنت كرام واندفع يغني بشعر جميل

تذكرت ليلى فالفؤاد عميد * وشطت نواها فالمزار بعيد

فقالت ويلكم هذا مولى العبلات بالباب يذكر نفسه هاتوه فدخل فلما رآته ضحكت وقالت لم أعلم مكانك ثم دعت له بأشياء أمرت له بها ثم قالت له ان أنت غنيتني صوتا في نفسي فلك كذا وكذا شيء سمته له فغناها في شعر كثير

وما زلت من ليلى لدن طر شاربي * الى اليوم أخفي حبها وأداجن

وأحمل في ليلى لقوم ضغينة * وتحمل في ليلى علي الضغائن

فقالت له ما عدوت ما في نفسي و وصلته فأجزلت قال اسحق فقلت لابي عبد الله وهل علمت حديث هذين البيتين ولم سألت الغريض ذلك قال ثم نقل عن الشعبي أنه قال دخلت مسجدا فاذا أنا بمصعب بن الزبير على سرير جالس والناس عنده فسلمت ثم ذهبت لانصرف فقال لي ادن مني يا شعبي فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه ثم قال اذا قمت فاتبعني فجلس قليلا ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة فتبعته فلما دخل في الدار التفت الي فقال ادخل فدخلت معه فاذا حجلة رأيتها لبعض الامراء فقمت ودخل الحجلة فسمعت حركة فكرهت الجلوس ولم يأمرني بالانصراف فاذا جارية قد خرجت فقالت يا شعبي ان الامير يأمرك أن تجلس فجلست على وسادة ورفع سجف الحجلة فاذا أنا بمصعب بن الزبير ورفع السجف الآخر فاذا أنا بعائشة بنت طلحة قال فلم أر زوجا قط كان أجمل منهما مصعب وعائشة فقال مصعب يا شعبي هل تعرف هذه فقلت نعم أصلح الله الامير قال ومن هي قلت سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة قال لا ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر (وما زلت من ليلى لدن طر شاربي) البيتين المتقدم ذكرهما ثم قال اذا شئت فقم فقمت فلما كان العشي رحت واذا هو جالس على سريره في المسجد فسلمت فلما رآني قال لي ادن مني فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه فاصغى الي فقال هل رأيت مثل ذلك الانسان قط قلت لا والله قال أتدري لم أدخلناك قلت لا قال لتحدث بما رأيت

فيظهر من هذه الرواية أن طباعهم في ذلك العصر كانت كطباع الغربيين في عصرنا هذا من قبل النساء لا كرجالنا الذين يخافون أن يظهروا للنساء أدنى شيء من الفضل غيرة عليهن ويزعمون أن هذا هو العز الاكبر

رجعنا الى بقية الحديث قال ثم التفت الى عبيد الله بن أبي فروة فقال أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا قال فانصرف يومئذ أحد بمثل ما انصرف به بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة القصار ثيابا وبنظرة من عائشة بنت طلحة

﴿عائشة النبوية ابنة جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين وأخت موسى الكاظم﴾

قال المناوي كانت من العابدات المجاهدات وكانت تقول رضي الله عنها وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار

لا تخذن توحيدى وأطوف به على أهل النار وأقول وحدته فعذبنى ماتت رضى الله عنها سنة ٢٠٤ ودفنت فى المسجد المعروف باسمها الآن بناحية قراميدان بمصر وقبرها يزار وأهل مصر يعتقدون بها ويتبركون بزيارتها ومسجدها مقام الشعائر وكان أبوها جعفر الصادق رضى الله عنه اماما نبيلا أخذ الحديث عن أبيه وجده لامه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعروة وعطاء ونافع والزهرى وهو امام مذهب الشيعة الامامية

﴿عائشة بنت أحمد القرطبية﴾

قال ابن حيان لم يكن فى زمانها من حرائر الاندلس من يعادلها علما وفهما وأدبا وفصاحة وشعرا وكانت تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تتزوج وكانت وفاتها سنة ٤٠٠ هجرية وقال صاحب المقرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز ودخلت يوما على المظفر بن المنصور بن أبى عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيه ما تريد * ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما * تؤمله وطالعه سعيد
تشوقت الجياد له وهز الـ * ـحسام له وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد نمته * الى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا فى سماء * من العليا كواكبها الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود
وليدكم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا لبوة لكننى لا أرتضى * نفسى مناخا طول دهرى من أحد
ولو اننى أختار ذلك لم أجب * كلبا ولا أغلقت سمعى عن أسد

﴿عائشة بنت على بن محمد بن عبد الغنى بن المنصور الدمشقية﴾

كانت عالمة عاملة كاملة تعلمت النحو والصرف والبيان والعروض والحديث وفتحت حلقة للتدريس سمعت عن زوجها الحافظ نجم الدين الحسنى وعن الامام ابن الخباز والمرداوى ومن بعدهما حدثت وانتفع الناس بمعارفها وعلومها حتى انها فاقت أهل زمانها علما وأدبا ومعاشرة وعفة

﴿عائشة بنت محمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى ابن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى﴾

الصالحية الحنبلية سيدة المحدثين بدمشق سمعت صحيح البخارى على حافظ العصر المعروف بالحجار وروى عنها الحافظ ابن حجر وقرأ عليها كتبا عديدة وانفردت فى آخر عمرها بعلو الحديث وكانت سهلة فى تعليم العلوم لينة الجانب للتعليم ومن العجائب أن ست الوزراء كانت آخر من حدث عن الزبيدى بالسماع ثم كانت عائشة

آخر من حدث عن صاحبه ابن الحجار بالسماع أيضا وبين وفاتهما مائة سنة وتوفيت عائشة هذه بدمشق سنة ٨١٦ ودفنت بالصالحية رحمة الله عليها

﴿عائشة بنت يوسف بن أحمد بن نصر الباعونى﴾

كانت شاعرة مطبوعة فاضلة أديبة لبيبة عاقلة وكان على وجهها من الجمال لمحة جاءها الادب وحلتها بلاغة العرب فجملتها بغية ومنية الراغبين والذى أجمع عليه العارفون أن عائشة هذه بين المولدين تزيد عن الخنساء بين الجاهليين وقد وصفها عبد الغنى النابلسى بأنها فاضلة الزمان وخليفة الادب فى كل مكان ووصفها غيره من العلماء الاعلام بانها ربة الفضل والادب وصاحبة الشرف والنسب وقد حضرت الفقه والنحو والعروض على جملة من مشايخ عصرها مثل جمال الحق والدين اسمعيل الحورانى والعلامة محيى الدين الارموى وقد أخذ عنها جملة من العلماء الاعلام وقد انتفع بها خلق كثير من الطالبين ولها ديوان شعر بديع فى المدائح النبوية كله لطائف ومن تآليفها مولد جليل للنبى صلى الله عليه وسلم اشتمل على فرائد النظم والنثر ومن شعرها قولها فى جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق بيتان هدما كثيرا مما شيده فحول الشعراء من البيوت وهما

بنى سلطاننا برقوق جسرا * بأمر والانام له مطيعه
مجازا فى الحقيقة للبرايا * وأمرا بالمرور على الشريعه

وبالحقيقة ان من رأى سحر بلاغتها فكأنما رأى هاروت وماروت ومن شعرها البديع فى الغزل قولها

كأنما الخال تحت القرط فى عنق * بدا لنا من محيا جل من خلقا
نجم غدا بعمود الصبح مستترا * خلف الثريا فبل الشمس فاحترقا

ومن نظمها قصيدتها البديعية التى سارت بذكرها الركبان وفاقت بمعانيها على الصفى وابن حجة وسائر أهل البديع وذوى العرفان ولها عليها شرح بديع سمته بالفتح المبين فى مدح الامين نظمتها على منوال بديعية تقى الدين بن حجة مع عدم تسمية النوع تمسكا بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات وشرحتها بشرح مختصر أسفرت فيه عن لسان البيان بقدر الطاقة والامكان ونحن نورد مقدمة هذا الشرح بحروفها لما فيها من حسن المعانى البديعة ونأتى على ايراد القصيدة بأكملها بدون شرح وذلك اظهارا لفضل المترجمة وعلو همتها

قالت رحمها الله تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله محلى جياد الافهام بعقود مدح الشفيع ومجلى سلامة الاذواق بتكرر ذكره الرفيع ومرصع تيجان البيان بجواهر سيرته الحسنا ومزين سماء البلاغة بزواهر معجزه الاسنى ومعجز العقول عن ادراك كنه صفاته ومؤيس الافكار من احصاء خصائصه وآياته وباعث الرسل مقررين لعظيم قدره ومنزل الكتب مبينة لرفيع ذكره ومعطر أرجاء الوجود بالثناء على خلقه العظيم ومشرع ألوية التخصيص له بكرائم التبجيل وجلائل التكريم ومطلق ألسنة الاطناب فى شرفه المطلق المفرد ومفرده بكمال الاصطفاء فالكمال مثل ولا حد حمدا يجمع لى بين الامانى والامان ويقتضى المزيد من مبرات الشهود والعيان وأشهد

أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة شافعة باتصال المدد كافلة بالخلود فى جنات العرفان الى الابد وأشهد أن سيد أعيان الكونين وعين حياة الدارين محمد عبده ورسوله وحبيبه وخليله صلى الله عليه وسلم صلاة تصلح وذريتى وأحيائى فى كل نفس بنفائس صلاته وتقتضى دوام البسط بتوالى أمداداته وتشفع لنا بمراحم القبول وتسعفنا بكرائم الوصول صلاة لا ينقطع لها مدد ولا ينقضى لها أمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى آل كل وصحب كل وسائر الصالحين وسلم تسليما وكرم تكريما

وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع شاهدة بسلامة الطباع منقحة بحسن البيان مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان سافرة عن وجوه البديع سامية بمدح الحبيب الشفيع مطلقة من قيود تسمية الانواع مشرقة الطوالع فى أفق الابداع موسومة بين القصائد النبويات بمقتضى الالهام الذى هو عمدة أهل الاشارات بالفتح المبين فى مدح الامين استخرت الله تعالى بعد تمام نظمها وثبوت اسمها فى شئ يروق الطالب موارده وتعظم عند المستفيد فوائده وهو أن أذكر بعد كل بيت حد النوع الذى بنيت عليه وافر شاهده فان ذلك مما ينتشر اليه وأنحو فى ذلك سبيل الاختصار ولا أخل بواجب وأنبه على ما لابد منه قصد النفع الطالب والمسؤل من الفتاح بتأسيسها على قواعد أذن الله أن ترفع ومن مثبت رفعها وجاهة مدح الوجيه المشفع أن يصلى ويسلم عليه ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ووسيلة لى ولوالدى ولذريتى ولاحبائى ولمن والانى خيرا لى وفور الحظ من فضله العظيم وأن ينيلنا بوجاهة الممدوح لديه وبحقه عليه نهاية الآمال ومالم يخطر لنا على بال من منائح الوصال ومبار الاتصال ودوام العافية والآمال وشمول العفو والرضوان انه جواد كريم رؤف رحيم ومن الله أستمد وعليه أعتمد وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

﴿ براعة المطلع ﴾

فى حسن مطلع أقمار بذى سلم * أصبحت فى زمرة العشاق كالعلم

﴿ الجناس المذيل والتام ﴾

أقول والدمع جار جارح مقلى * والجار جار بعذل فيه متهم

﴿ الجناس المحرف ﴾

يا للهوى فى الهوى روح سمعت بها * ولم أجد روح بشرى منهم بهم

﴿ الجناس المشوش ﴾

وفى بكائى لخال حال من عدم * انفقت صبرا فلم يجدى لمنعدمى

﴿ الجناس المركب ﴾

يا سعد ان أبصرت عيناك كاظمة * وجئت سلعا فسل عن أهلها القدم

﴿ الجناس المصحف والمطلق ﴾

فثم أقمارتم طالعين على * طويلع حيهم وانزل بحيهم

﴿ الجناس المخالف ﴾

أحبة لم يزالوا منتهى أملى * وان هموا بالتنائى أوجعوا ألمى

﴿ الجناس اللاحق ﴾

علوا كالا جاوا حسنا سبوا أمما * زادوا دلالا فى صبرى فيا سقمى

﴿ الجناس اللفظى ﴾

أحسنت ظنى وان هم حاولوا تلفى * وثم سر وضنى فيه من شيمى

﴿ الجناس المعنوى ﴾

أليصدى وأبو تمام كل شج * عانى الغرام الى قلبى لاجلهم

﴿ المناقضة ﴾

قيل اسلهم قلت ان هبت صبا سحرا * وأشرق البدر تاسلح شهرهم

﴿ الرجوع ﴾

مالى رجوع عن الاشجان فى والهى * بل عن سلوى رجوعى صار من لزمى

﴿ الاستدراك ﴾

رجوتهم يعطفوا فضلا وقد عطفوا * لكن على تلفى من فرط عشقهم

﴿ المطابقة ﴾

هان السهاد غراما فيه أقلقنى * شوقا وعز الكرى وجدا فلم أنم

﴿ التمثيل ﴾

وعاذل رام سلوانى فقلت له * من المحال وجود الصيد فى الاجم

﴿ الابهام ﴾

عذلتنى وادعيت النصح فيه فلا * برحت أسعى بلاحد الى النعم

﴿ الاستعارة ﴾

كيف السلو ونار الحب موقدة * وسط الحشا وعيون الدمع كالديم

﴿ الارداف ﴾

ولى جفون بغير السهد ما اكتحلت * ولى رسوم بغير السقم لم تسم

﴿ الافتنان ﴾

تهابنى الاسد فى اجامها وظبا * تلك الظبا قد أذلتنى اعزهم

﴿ مراعاة النظير ﴾

أزروا بشمس الضحى والبدر حين بدوا * وأومض البرق من تلقاه مبتسم

﴿ عتاب المرء نفسه ﴾

يانفس ماذا الونى جدى فان يصلوا * فالقصد أولا فموتى موت محتشم

﴿ المغايرة ﴾

لذكرهم صار سمع العذل يطربنى * من اللواحى ويطبينى لشكرهم

﴿ سلامة الاختراع ﴾

بلغت فى العشق مرمى ليس يدركه * الا خليع صبا مثلى الى العدم

﴿التوشيح﴾

كتمت حالى ورأى كتمـه شجنى * بحكمى القاضيين الدمع والسقم

﴿المراجعة﴾

قالوا ارعوى قلت قلبى مايطاوعنى * قالوا انثنى قلت عهدى غير منفصم

﴿القول بالموجب﴾

قالوا سلوت فقلت الصبر فى كلفى * قالوا يئست فقلت البـرء فى سقمى

﴿التهكم﴾

ياعاذلى أنت معذور فسوف ترى * اذا بدا الصبح ماغطى غشا الظلم

﴿الموارية﴾

أبرمت عذلا ويخشى أن تجرّبه * الى السلوّ وما السلوان من شيمى

﴿ضرب المثل﴾

أجر الامور على أذلالها نعمى * ترى بعينك وجـه النصح فى كلمى

﴿النزاهة﴾

عن ذم مثلك تبيانى أنزهـه * اذ أنت عنـدى معدود من النعم

﴿تجاهل العارف﴾

الجهل أغواك أم فى الطرف منك عمى * أغاب رشـدك أم ضرب من اللـمم

﴿الهزل الذى يراد به الجد﴾

أتعبت نفسك فى عذلى ومعذرة * منى اليـك فسمعى عنك فى صمم

﴿البسط﴾

اعذل وعنف وقل مااسطعت لاترنى * الا كما شاء وجـدى حافظا ذممى

﴿التورية﴾

تسومنى الصـبر عن لى حلابهم * جميع مادرّ من حالات عشـقهم

﴿التصدير﴾

لم ياعـذولى وشاهد حسنهم فاذا * شاهدته واستطعت اللوم بعد لم

﴿مالا يستحيل بالانعكاس﴾

انّى أنا عرّفن فرع لنانبأ * من الملام وحشيه بوصفهم

﴿تآلف اللفظ والمعنى﴾

وامزج ملامك بالذكرى فانبها * تعللا لعليـل الشوق من ألم

﴿التفويف﴾

كرّر أعد أطرب أبسط ثن غنّ أجب * قل سل جـد ترنم برّ من أدم

﴿الادماج﴾

أعد حديث أحبائى فهم عرب * قد أعرب الدمع فيهم كل منعجم

(الاستخدام)

واستوطنوا السر مني فهو منزلهم * ولم أفوه به يوما لغيرهم

(المقابلة)

بدا الصدود وبي بعدي عن جوارهم * فعاد وصل بقربي من محلهم

(تآلف اللفظ والوزن)

أحبة مالقلبي غيرهم أرب * وحبهم لم يزل ربو من القدم

(تآلف المعنى والوزن)

لزمت صدق ولاهم والتزمت به * فلست أسلوه الاعن سلوهم

(الابداع)

حلوا بقلبي وحلى جودمنتهم * جيدي وشكر الايادي معصمي وفمي

(التفريع)

ما بهجة الشمس في الآفاق مشرقة * يوما باجلى من لألاء حسنهم

(القسم وجوابه)

لامكنتني المعالي من سيادتها * ان لم أكن لهم من جملة الخدم

(حسن البيان)

بفضلهم غمروني من فواضلهم * بما عجزت به عن حق شكرهم

(التوشيع)

وألبسوني مذ آنست نارهم * من طور حضرتهم نورا جلا ظلمي

(المجاز)

وألبسوني ثياب الوصل معلمة * بقربهم وأقروا في القرى علمي

(الاستطراد)

وخولوني ملكا فيه قرت بهم * فوز العفاة بوافي فيض فضلهم

(التهذيب والتأديب)

لهم شمائل بالاحسان قد شملت * وعلمت كرم الاخلاق والشيم

(الانسجام)

ولى عوائد منهم بالجميل لها * بهم اتصال غير منحسم

(التشريع)

قالوا فقد راق عيش المستهام بهم * فلا جفا بعد ما جادوا بوصلهم

(الالتفات)

حلوا بقلبي فياقلبي تهن بهم * وافرح ولا تلتفت عنهم لغيرهم

(الاحتراس)

قد طال شوقي وقلبي منزل لهم * الى الطلول التي تسمو باسمهم

﴿ تأليف اللفظ باللفظ ﴾

فليت شعري هل حالي بمنتظم * قبل الوفاة وهل شملي بملتئم

﴿ التكرار ﴾

نعم نعم حدثتني وهي صادقة * ظنون سري حديثا غير متهم

﴿ المناسبة ﴾

عن جودهم عن نداهم عن فواضلهم * عن منهم عن وفاهم نيل برهم

﴿ حسن النسق ﴾

سادوا بجودهم جم وبذلهم * حتم وموردهم غنم لكل ظمي

﴿ الايجاز ﴾

يا سعد ان ساعد الاسعاد واجتمعت * لك الاماني وجئت الحي عن أمم

﴿ التتميم ﴾

عرج على قاعة الوعساء منعطفا * على العقيق على الجرعا من اضم

﴿ التجريد ﴾

واقصد مصلى به باب السلام وقف * لدى المقام وقبل موطئ القدم

﴿ التمكين ﴾

فلي فؤاد بذاك الحي مرتهن * ملا السلو وعاني وجده بهم

﴿ الحذف ﴾

ناشدته الله والانوار مشرقة * تعلو المعالم من سكانها القدم

﴿ الاقتباس ﴾

انت الكريم وهذا طور حضرتهم * أقبل ولا تخف الواشين بالكلم

﴿ النوادر ﴾

وشاهد الحسن والاحسان جزؤهم * ولا تدع منك جزأ غير مقتسم

﴿ الكناية ﴾

ولا يصدنك عن بذل الوجوه لهم * نصح اللواحي وماصاغوا بنطقهم

﴿ الخلاص ﴾

هم المفاليس ماذاقوا الغرام ولا * أمواحي خير خلق الله كلهم

﴿ الاطراء ﴾

محمد المصطفى ابن الذبيح أبو الـ * ـزهراء جد أميري فتية الكرم

﴿ التكرار ﴾

الوافر العظم ابن الوافر العظم ابـ * ـن الوافر العظم ابن الوافر العظم

﴿ التكميل ﴾

المرتضى المجتبى المخصوص أجمعهم * اختاره الله قبل اللوح والقلم

﴿ الترتيب ﴾

خير النبيين والبرهان متضح * عقلا ونقلا فلم ترتب ولم تهم

﴿ التسميط ﴾

أسناهم نسبا أزكاهم حسبا * أعلاهم قربا من بارئ النسم

﴿ السهولة ﴾

طه المنادى بألقاب العلا شرفا * وغيره بالاسامي ضمن كتبهم

﴿ المماثلة ﴾

عزت جلالته جلت مكانته * عمت هدايته للخلق بالنعم

﴿ الاعتراض ﴾

أعظم به من نبي مرسل نزلت * في مدحه محكم الآيات من حكم

﴿ الابداع ﴾

ينبي مفصلها عن عز مرتبة * من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

﴿ الاشارة ﴾

تبارك الله من أوحى اليه بما * أوحى وخصصه بالمنتهى العظم

﴿ التفسير ﴾

برتبة القاب بالادنى بحظوته * برؤية الله بالايناس بالكلم

﴿ التوشيح ﴾

دنا ونال فلا ثان يشاركه * فيما حواه من التخصيص والكرم

﴿ العنوان ﴾

أتى وكان نبيا عند خالقه * قدما وآدم طينا بعد لم يقم

﴿ التسهيم ﴾

ذو الجاه حيث يضم الخلق محشرهم * ولا يرى غيره في الكشف للغمم

﴿ حصر الجزئي والحاقه بالكلي ﴾

ذو المجد حيث أعيل المجد قاطبة * تسير تحت لواه يوم حشرهم

﴿ الاكتفاء ﴾

ذو المعجزات التي منها الكتاب فيا * بشرى لمقتبس منه بكل جم

﴿ التوليد ﴾

يتلى ويعلو ولا يبلى وليس له * مبدل وهو حبل الله فاعتصم

﴿ التفصيل ﴾

قل للذي ينتهي عما يحاوله * من خصم معجز طه الطاهر الشيم

﴿ المواردة ﴾

كم أعقبت راحة بالناس راحته * وكم محا محنة ريق له بفم

﴿التقسيم﴾

والنيران أطاعاه فتلك بدت * بعد الأفول وهذا شق في الظلم

﴿الجمع مع التقسيم﴾

والماء من اصبعيه فاض فيض ندى * كفيه مردود هذا معدم العدم

﴿الجمع﴾

فريد حسن تسامى عن مماثله * في الخلق والخلق والاحكام والحكم

﴿القلب﴾

بدر الكمال كمال البدر مكتسب * من نوره وضياء الشمس فاعتلم

﴿تنسيق الصفات﴾

أعظم به من نبي سيد سند * هاد سراج منير صفوة القدم

﴿التشطير﴾

بالحق مشتغل في الخلق مكتمل * بالبر معتصم بالبر ملتزم

﴿التسجيع﴾

للبذل مغتنم بالبشر متسم * يسمو بمبتسم كالدر منتظم

﴿الترصيع﴾

مجد الذكر في الفرقان بالحكم * محمد الامر في التبيان من حكم

﴿اللف والنشر﴾

جمال صورته عنوان سيرته * هذا بديع وهذي آية الامم

﴿الاغراق﴾

ولو غدا البحر حبرا والقضا ورقا * في حصر أوصافه ضاقا ببعضهم

﴿الغلو﴾

وذكره كاد لولا سنة سبقت * اذا تكرر يحيي بالي الرمم

﴿المبالغة﴾

علا عن المثل فالتشبيه ممتنع * في وصفه وقصور العقل كالعلم

﴿الاتساع﴾

اذ كل حسن مفاض من محاسنه * وكل حسنى فمن احسانه العمم

﴿الاتفاق﴾

محمد اسمه نعت لجلاها * في الذكر من مدحه في نون والقلم

﴿الجمع مع التفريق﴾

علاه كالشمس لا يخفى على بصر * والوجه كالبدر يجلو حالك الظلم

﴿التشبيه﴾

لو كان ثم مثيل قلت طلعته * كالبدر حاشا تعالى كامل العظم

﴿التفريق﴾

(التفريق)

قالوا هو الغيث قلت الغيث آونة * يهمى وغيث نداه لايزال همى

(صحة الاقسام)

يعطى العفاة أمانيهم فلست ترى * فى حيه غير ممنوح ومغتنم

(الاشراك)

فى النور لاح علاه لانظير له * نور القران قرانا من لدن حكم

(التابع)

حاز الجمال فما فى حسن متصف * بشطره بعض ما فى سيد الامم

(المذهب الكلامى)

هو الحبيب من الرحمن رحمته * للعالمين بايجاد من العدم

(الالتزام)

غوث الورى كعبة الآمال ملتزمى * فى حبه بالتغانى صار من لزمى

(التوجيه)

جردت تجرى له من كل مفسدة * ولم تزل بالصفا تسعى له قدمى

(الترديد)

بحر الوفاء دعانى بالوفاء الى * نيل الوفاء ورقانى من النعم

(التجزئة)

بلغت ما رمته منهم فلم أرم * عمن جلا غمى بالعزم والهمم

(الايضاح)

وافرده بالمدح واستثنى بمدحك من * حازوا علا الفضل من قاز وابنيتهم

(الاستتباع)

الباذلو النفس بذل المال من يدهم * والحافظو الجار حفظ العهد والذمم

(السلب والايجاب)

لايسلبون بفضل الله ما وهبوا * ويسلبوا ضرر الاملاق بالكرم

(التدبيج)

سود الوقائع حمر البيض فى حرب * خضر المرابع بيض الفعل والشيم

(تشبيه شيئين بشيئين)

كأنهم فى عجاج النقع حين بدوا * بدور تم بدت فى حندس الظلم

(التنكيت)

للجمع فلوا وما فلت عزائمهم * وهى المواضى على استئصال كل عم

(المساواة)

هم النجوم فما أسنى مطالعهم * فى أفق ملته البيضا بهديهم

﴿أتى الشئ بالجابه﴾

لايعزع الشك منهم صفو معتقد * ولا يشين النقى بالهم والسم

﴿جمع المؤتلف والمختلف﴾

بالسبق فاز وابالتخصيص تقدمهم * فيه خليفته الصديق ذو القدم

﴿المدح فى معرض الذم﴾

لاعيب فيهم سوى أن لايضام لهم * وفد ولا يبخلوا بالرفد فى العدم

﴿الازدواج﴾

طه الذى ان أخف ذنبى ولذت به * أمنت خوفى ونجانى من النقم

﴿التصريع﴾

ولا طمحت الى شئ من الكرم * الا وبلغنى فوق الذى أرم

﴿الفرائد﴾

ماهبت الريح الا هت برقوفا * لى فيه وبل عطا من ديمة النعم

﴿براعة المطلب﴾

يا أكرم الرسل سؤلى فيك غيرخفى * وأنت أكرم مدعو الى الكرم

﴿العقد﴾

حسبى بحبك أن المرء يحشر مع * أحبابه فهنائى غير منصرم

﴿حسن الختام﴾

مدحت مجدك والاخلاص ملتزمى * فيه وحسن امتداحى فيك مختتمى

ان ختام هذه القصيدة لم يأت فى قصيدة غيرها من حسن الذوق السليم * ومن كثرة ماهامن العلم والفهم والاطلاع وسرعة الجواب فيه بدون روية سألها سائل نظما عن وطء الناعمة فقال

مافولك ياسيدتنا العالمه * فى رجل دب على نائمه
تقضت يحسبه بعلها * وهى بما اتاها راغمه
فاستيقظت فأبصرت غيره * عضت على اصبعها نادمه
فهل لها من فتوة عندكم * مأجورة من ذاك أم آثمه

فأجابته على البديهة قائلة

قالت لكم ستكم العالمه * أنا لاهل العلم كالخادمه
أنقل ما قالوا وما أخبروا * عن التى قد نكحت نائمه
الشافعى قال لها أجرها * مالم تكن فى نكحها عالمه
والملكى قال أنا افتوتى * مأجورة فى ذاك لا آثمه
والحنفى قال أتى رزقها * فى ظلمة الليل وهى حالمه
والحنبلى قال أنا فتوتى * فى هذه النكحة كالآثمه
لولم يكن لذاتها طعمه * لانتهضت من تحته قائمه

وقد توفيت فى القرن العاشر من الهجرة رحمها الله رحمة واسعة

﴿عائشة بنت السيد عبد الرحيم الرفاعى﴾

كانت والهة فى الله خاشعة تتكلم على الخواطر وكانت تعد من أعاظم أهل الحال وقفت مرة فوق سطح الدار والفقراء يتواجدون فى الرواق فقالت للنساء اللواتى حولها أعطانى الله حالا ان أردت منعت عن هؤلاء ما هم فيه فقالت النساء لها بالله يا سيدتنا الا ما فعلت فرمقت حلقة الفقراء فسكن القوم كأن لم يكن هناك ذكر ولا وجد فضحك أخوها السيد شمس الدين محمد وقال لولده اذهب فقبل رأس عمتك وقل لها فلتفض على الناس مما أفاض الله لها ففعل فرمقت القوم مرة ثانية فرجعوا لوجدهم وما كانوا عليه توفيت بام عبيدة فى بغداد سنة ٦٣٥ ودفنت بمشهدها المبارك رضى الله عنها

﴿عائشة عصمت بنت اسماعيل باشا تيمور بن محمد كاشف تيمور﴾

أديبة فاضلة حكيمة عاقلة بارعة باهرة شاعرة ناثرة رضعت أفاويق الادب وهى فى مهد الطفولية وتحلت بحلى لغات العرب قبل تضلعها باللغات التركية وفاقت على أقرانها فصاحة عند بلوغها سن الرشاد وصارت ندرة زمانها بين أهل الانشاء والانشاد ولم تدع لولادة مقالا ولم تترك للاخيلية مجالا وقد أخنست الخنساء وأنستها صخر وسارت فى مضمار أدباء هذا العصر تعلمت العلم والادب فى مصر القاهرة على أساتذة أفاضل بين أبويها وكان أكثر ميلها الى علم النحو والعروض حتى بلغت فى الشعر حدا لم يبلغه غيرها من نساء عصرها ولدت سنة ١٢٥٦ بمدينة القاهرة والدتها جركسية الاصل معتوقة والدها اسماعيل باشا تيمور ولما انطوى بساط مهدها وفرقت بين أبيها وجدتها بادرت والدتها الى تعليمها فن التطريز واستحضرت لها آلات التعليم وكانت أفكارها غير متجهة لتلك بل جل مرغوبها تعلم القراءة والكتابة وقد علم منها هذا الميل من اشتغالها مع كتاب والدها وكلما كانت والدتها تمنعها عن الحضور مع الكتاب وتجبرها على تعلم التطريز تزداد هى نفورا من طلب والدتها ولما رأى والدها تلك المحاورات تفرس فيها النجابة وقال لوالدتها دعيها فان ميلها الى القراءة أقرب وأحضر لها اثنين من الاساتذة أحدهما يدعى ابراهيم أفندى مؤنس كان يعلمها القرآن والخط والفقه والثانى يدعى خليل أفندى رجائى كان يعلمها علم الصرف واللغة الفارسية وبعدما تعلمت القرآن الشريف تاقت نفسها الى مطالعة الكتب الادبية وأخصها الدواوين الشعرية حتى تربت عندها ملكة التصورات لمعانى التشبيهات الغزلية وخلافها ولما صارت قريحتها تجود بمعان مبتكرة لم يسبقها عليها غيرها رأى والدها أن يستحضر لها أساتذة عروضيين من النساء الاديبات وقبل اتمام ذلك صار زواجها من السيد الشريف محمود بك الاسلامبولى ابن السيد عبد الله أفندى الاسلامبولى كاتب ديوان همايونى بالاستانة سابقا وذلك كان فى سنة ١٢٧١ هجرية وهنالك اقتصرت عن المطالعة وانشاد الاشعار والتفتت الى تدبير المنزل وما يلزم له خصوصا حيثما رزقت بالاولاد والبنات وبقيت على ذلك حتى كبرت لها بنت كان اسمها توحيدة فألقت اليها زمام منزلها وكان فى تلك الفترة توفى والدها فى سنة ١٢٨٩ وزوجها فى سنة ١٢٩٢ وصارت حاكمة نفسها فأحضرت لها اثنتين لهما المام بالنحو والعروض احداهما تدعى فاطمة الازهرية والثانية ستيتة الطبلاوية وصارت تأخذ عليهما النحو والعروض حتى برعت وأتقنت بحوره وأحسنت الشعر وصارت تنشد القصائد المطولة

والازجال المتنوعة والموشحات البديعة التي لم يسبقها أحد على معانيها ومن ذلك قد جمعت ثلاثة دواوين بالثلاث لغات العربية والتركية والفارسية وقبل أن تشرع في طبعها توفيت كريمتها وحيدة وهي في سن الثامنة عشرة من عمرها فاستولى على المترجمة الحزن والاسف الشديد حيث انها كانت مدبرة منزلها ولم تتزوجها لاحد سواها وهنالك تركت الشعر والعروض والعلوم وجعلت ديدنها الرثاء والعديد والنوح مدة سبع سنوات حتى أصابها رمد العيون وهنالك كثرت لواحيها وعواذلها من أولادها وصويحباتها ولم ترها التقلع عما هي فيه وأخيرا سمعت قول الناصحين وقالت شيأ فشيأ من البكاء والنوح حتى شفاها الله من مرض العيون فجمعت ما وجدته من أشعارها فوجدت بعضه والباقي تفرق مدة حزنها فجاء منه ديوان بالتركي سمته (شكوفه) وهو تحت الطبع الآن بالاستانة العلية وديوان عربي سمته (حلية الطراز) وقد طبع ونشر وكان له وقع عظيم في النفوس وقبول زائد عند أهل الادب وبعد ذلك رأت نفسها أنها قادرة على التأليف فألفت كتابا سمته (نتائج الاحوال) فجاء غريبا في بابه وقد طبع ونشر أيضا ولما انتشرت مؤلفاتها المذكورة سارت في حديثها الركبان الى أقصى العمران وطار صيتها في الآفاق ووردت اليها التقاريظ من كل جهبذ أديب ولوذعي أريب وجميع ما ورد لها من التقاريظ مكتوب في مؤلفاتها المذكورة التي منها هذا التقريظ الآتي من السيدة وردة اليازجي الذي أبدعت فيه لرقة معانيه على ديوان حلية الطراز وهذا نصه

سيدتي ومولاتي

اني قد تشرفت باطلاعي على حلية طرازكم التي تحلى بها جيد العصر وأخجلت بسبك معانيها الخنساء صخر ألا وهي الدرة اليتيمة التي لم تأت فحول الشعراء بأحسن منها وقصر نظم الدر عنها وشنفت بحسن ألفاظها مسامعنا حتى غدا يحسدها السمع والبصر وسارت في آفاقنا سير الشمس والقمر ولقد تطفلت مع اعترافي بالعجز والتقصير بتقريظ لها وجيز حقير فكنت كمن يشهد للشمس بالضياء أو بالسموات القبة الزرقاء راجية من لدنكم قبوله بالاغضاء ولا زلتم للفضل منارا يسطع وبين الادباء في المقام الارفع بمن الله وكرمه

حبذا حلية الطراز أتت من * مصر تزهو باللؤلؤ المنظوم
حلية للعقول لا حلية الوشي وكنز المنطوق والمفهوم
أنشأته كريمة من ذوات الـمجد والفخر فرع أصل كريم
شمس علم تأتي القصائد منها * سائرات في الافق سير النجوم
كل بيت بكل معنى بديع * ماء لي السكر فيه من تحريم
قد أعاد الزمان عائشة فيها فعاشت آثار علم قديم
هام قلبي على السماع وأمسى * ذكرها لذتي وفيها نعيمي
هي فخر النساء بل وردة في * جيد ذا العصر زينت بالعلوم
فأدام المولى لها كل عز * ما بدا الصبح بعد ليل بهيم

ومن تقاريظ كتاب نتائج الاحوال التقريظ الآتي ذكره من السيدة وردة اليازجي أيضا وهو

سيدتي ومولاتي

أعرض أني بينما أنا ألهج بذكر ألطافكم السنية وأتنسم شذا أنفاسكم العبقرية وأترقب اهداء أثر من لدنكم يتعلل به الخاطر ويكتحل باغمد مداده الناظر وصلتني مشرفتكم الكريمة وفريدة عقود وردكم اليتيمة تجلت عن العين أقذاءها ووردت الى النفس صداءها فتناولتها بالقلب لا بالبنان وتصفحت ما في طيها من سحر البيان فقلت

هذا الكتاب الذي هام الفؤاد به * ياليتني قلم في كف كاتبه

لعمري انه كتاب حوى بدائع المنثور والمنظوم وتحلى من درر الفصاحة فاخجلت لديه دراري النجوم وقد تطفلت على مقامكم العالي بهذا الجواب ناطقا بتقصيري وضمنته من مدح حليكم الغراء وسابشفع لدى مكارمكم في قبول معاذيري لا زلتم للفضل معدنا وذخرا وللادب كنزا وفخرا

أتت فشفت بطيب الوصل قلبي * فتاة تيمت قلب المحب

بديعة منظر سلبت فؤادي * ومن لي أن أطالبها بسلبي

بجلت وجها كبدر التم لكن * يلوح من الغدائر تحت حجب

لها وشم كخط السحر وافي * لديه الخال بالتنقيط يسبي

فصيحة منطق ناغت بلفظ * كسلسال من الصهباء عذب

أتت تروي لنا عن لطف ذات * غدت بالالطف تسبي كل لب

وقد أهدت تحيات تحاكي * شذا النسمات عاطرة المهب

رسول للولاء دعت فؤادي * فبادر عند دعوتها يلبي

ولاء كريمة من خير قوم * سموا شرفا على عجم وعرب

سراة شاع ذكرهم فأمسى * مناط المدح في شرق وغرب

لقد ورثوا المعالي من قديم * وصانوها بشفرة كل عضب

هم النجب الاولى كرموا وطابوا * ولم يلدوا كذلك غير نجب

وحسبك منهم خود تبدت * بهذا العصر تخجل كل ندب

فتاة زينت جيد المعالي * بدر من حلى الآداب رطب

أقيم بها على بعد وماذا * على الاقدار ان سمحت بقرب

على مصر السلام وما كنيها * وما في مصر من ماء وترب

على ربع به قلبي مقيم * ومن لي أن أقيم مكان قلبي

ألا يا من سمت في كل فضل * ونالت كل خلق مستحب

ومن فاضت مكارمها فأحيت * لدي من القريحة كل جدب

لقد أوليتني كرما وجودا * بمدح من صفاتك جاء ينبي

ثناء لست منه غير أني * به فاخرت أترابي وصحبي

ورب مؤلف كالروض أجرت * عليه سما البلاغة أي سحب

تهادت فيه أبكار المعاني * تجر من الفصاحة ذيل عجب

لقد طابت فكاهته وأهدى * لاسقام القرائح خير طب

جلا الحكم التي كانت منارا * لكل بصيرة في كل خطب
رأيت نتائج الاحوال فيه * ممثلة تلوح بغير نقب
لتيمورية العصر المحلى * بما نسجت يداها كل حقب
أديبة معشر شرفت أصولا * وسارت بين أقلام وكتب
حوت قصب السباق بكل فن * وراضت في المعاني كل صعب
ودونك غادة عذراء وافت * بهجة شيق للقالب صب
واني لو قدرت جعلت ذاتي * بها سطرا ينادي الركب سربي
تقر بعجز من نظمت حلاها * وتلتمس القبول وذاك حسبي

ومن انشاء المترجمة نثراما قالته مرة ونشر في جريدة الآداب يوم السبت الموافق ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٠٦ هجرية تحت عنوان (عصر المعارف) وهي

﴿لا تصلح العائلات الا بتربية البنات﴾

اني وان كنت لست أهلا لجال المقال في هذا المضمار ومعترفة بقصر اليد عن قبض زمام المثال لاعتكافي بخيمة الازار لكني أرى من خلال أطرافه أن مناهج التربية ظرف الكنوز وبحدود مسالك التأديب مفاتيح كل جوهر مكنون فالواجب على كل ذي نفس كريمة أن يميل كل الميل الى تلك السبل الفخيمة ويحث كل عزيز له أن يرتع في مراتعها القويمة ليحظى بتلك الجواهر اليتيمة مع اني أرى الهيئة الشرقية لا تنظر الا ماهو أمامها من الصالح فتخص به نفسها ولو التفتت الى ما بعد يومها وتفقدته لعضت أنامل الندم على ما فرطت ووجدت بالالتفات الى حكم بارئ النسمات وموجد المخلوقات وهي الصنائع البديعة الربانية والمباني الاصلية الطبيعية صيرورة مدار عمران هذا العالم على الزوجين ولو أمكن الانفراد لخلص عالم الاسرار أحدهما دون الآخر وهو الافضل ولم يفقره الى ما هو دونه فكان التأمل في هيولى هذا الكون موجبا على الهيئة لرجولية العناية بتأديب البنات وتهذيب العائلات لان ثمرة السودد راجعة اليها فلو علمت أنه قد أمر على الرجل خادهته فلته الزوجة بأطراف بنانها الرقيقة وأخمدت حدة ولوعه بتدابيرها الدقيقة وهو مع ذلك يجتهد في أن يكتم فضلها بين أفراد الهيئة ويحذر من اعلانه خشية أن يقال هي ذات معلومية فيكدر عيشه الصافي وهذا بخلاف الدولة الغربية فالاسف ثم الاسف على هيئة لم تغض فصحها في هذا النسق البديع ولم تجهد نفسها في البحث على هذا الشرف الرفيع والعجب ثم العجب على مدنية تشغف بتزيين فتياتها بحلي مستعار وتستعين على اظهار جمالهن بزخرف المعادن والاحجار وتخيل أنها زادتهن بسطة في الحسن والدلال والحال أنها ألقت تلك الاحداث في أخدود الوبال لانه لم يعد عليهن من تلك المستعارات الا العجب والغرور المؤدي بهن الى ساحة المباهاة والفجور وذلك لكف بصيرتهن عن الادراك وعدم علمهن بنتائج الاحوال وعواقب الامور

قد زينت بالدرغرة جبهة * وتوشحت بخمار جهل أسود
وتطوقت بالعقد تبهج جيدها * والجهل يطمس كل فضل أمجد

فلو اجتهدت الهيئة الرجالية في حسن سلوكهن بالتربية وجذبتهن بشواهد المدنية الى طرف الاطلاع لتتوجت تلك الغانيات من تلقائها بيواقيت المعلومية وتقلدت بلآلي الثقافة وكلما شبت ألفت خطواتها في طرق الادراك وأدركت منزية حليها الاصيل فزادتها جلاء وفطنت بغلاء قيمته فأوقرته بهاء وسناء واستغنت بلمعة شرفه عن أرفع جوهر قماش ولو كان ملبسها ثوبا من الشاش

ان العلوم لاصل الفخر جوهرة * يسمو بها قدر الوضيع ويشرف
فوجودها في درج مهجة فاضل * من حازها بين الانام مشرف

فأستوهبكم العفو يا أرباب العقول عما أقول نحن معاشر المخدرات أدرى منكم بنشأة الاطفال من بنين وبنات اذ من المعلوم أن الطفل حينما صار على كف القابلة بادر أولا بالبكاء ثم هجع برهة لتوره عما لاقاه من التعب لا سيما اطلاق صوته في الصياح الذي لم يكن سبق له ثم يتنبه متحركا جيدة يمينا وشمالا فاتحا فاه لطلب الغذاء فترضعه أمه فينام على اثر الشبع فترى منه بسمات خفيفة في أثناء نومه وهذا دليل على أن دنيانا دارهم ومحل أحزان وغم كثيرة الجفاء قليلة الصفاء فاذا أخذ الطفل في النمو وبلغ خمسة أشهر كانت أول فطنته معرفة أمه ثم أبيه وتناول الشئ بحيث هو منها لايصاله الى فيه فلكم التأمل في مبنى هذه الاشارة الخفيفة والعبارة اللطيفة ثم كلما اشتدت أعصابه وقويت أعضاؤه علا صياحه فتبادره الوالدة بألحان معتادة اليه فيصغي لسماع تلك الالحان واذا ضاق صدره من ألم عالجته بكل حنان وحملته وداورت به من مكان الى مكان فيفرج كربه ويلتفت آلامه وهو يظن ذلك التلطف والتسكين بقدرتها وتبيت في قلق وضنك من الشفقة عليه فاذا عوفي آلت اليه والدته بما يحبه وتقربه عينه حسب قدرته فاذا كبر وترعرع وطمحت نفسه للشراسة الطفلية اخترعت له أمه ما يلهيه عن ذلك وخوفته بمخترعات الاسماء منها ما يتخيل به أرها بابا واذا صاح ذكرته به واذ تشيطن نادت به اليه فيسكت الطفل وتارة تذكر له أباه وتوحش به منه شرا فتوقع في قلبه من جهته الرعب لتستعظم قدرته ويكبر في عينه ويجعل هيبته انسان قلبه ومركز ذاته

فياليت شعري ماذا يكون من أمر هذه الفقيرة الى العلوم وهي خاوية الوفاض عما تستحقه ان في ذلك لحكما

ان المصابيح ان أقمتها دسما * أهدت لوامعها في كل مقتبس
وان خلا زيتها جفت فتائلها * أين الضياء لخيط غير منغمس

وكيف تحسن الشفقة الوالدية باساءة المشفق عليه فلو عنيت رجالنا معاشر المشرقيين بتربية بناتهم وأجمعت على تلقين العلوم لهن بمقدار رشدتهم لنالت أرفع مجد وأهنأ جد واعوضت تلك الفتيات عن ذلك القلق براحة العرفان وأوسعت بسواعد علومهن مضيق السلوك الى ساحة الاذعان وقامت بواجبات التدبير وهمت بوقاية أساس حليتها من التدمير لان تخرب الدور بعد انقطاع أهلها طبيعي والطبيعي ليس بضار انما هدم سقف الشرف بصرصر الجهل مع وجود الديار هو العار بل النار ومن المستغربات أن يفرط الغارس في تمهيد الاصل ويأسف على اعوجاج الفرع هو المؤدي به فلو أروت الرجال غراسهم من قرارة المعرفة والعرفان لاتكأت في تدلل الاحمال على قويم تلك الافنان وصعدت بمساعدتهن أعلى الدرج وتمسكت بأقوى الحجج ولكن ذمالت متشاهدة في التعمق عن التهذيب بحجة أوهى من بيت العنكبوت وهي أنهن اذا تعلمن الكتابة يعلقن بالهوى ومغازلة السوى بالجوى وبادرن

بالمراسلات ألم يطرق مسامعهم روايات الامين وأحاديث الجاهلين فيا رجال أوطاننا وملاك زمام شأننا لم تركتموهن سدى وذهلتم عن مزايا التأمل في * ما تفعل اليوم ستلقاه غدا * فمن أنكم تخالتم عن أن تقلدوهن بزينة الانسانية الحقيقية ورضيتم بتجردهن عن حليتها البهية وهن بين أنامل سطوتكم أطوع من قلم وخضوعهن لسلطتكم أشهر من نار على علم فعلام ترفعون أكف الحيرة عند الحاجة كالضال المعنى وقد سخرتم بأمرهن وازدريتم باشتراكهن معكم في الاعمال واستحسنتم انفرادكم في كل معنى فانظر واعائد اللوم على من يعود

واني أروم اظهار مقالي هذا ولكني لم أر ساعدا يكون لي مساعدا حتى منحني المراد مفتاح درج ما كنه الفؤاد وهي رسالة احدى السيدات التي ترى تربية البنات من الواجبات فيا لها من سيدة جادت بلوامع انتباهها في الليلة الليلاء سرجا ورقت بقوة ادراكها في هذا السبق درجا وأنشقت أذهان السامعين من زهر فطنتها أرجا وكحلت باثمد نصحها عيون الناظرين فأحيت بصره وأدارت أسنة اللوم عنهن لانهم ما يقدرهن خبيرة فحق لي أن أهنئ المخدرات بفضل تلك المشارة التي شنفت مسامع الايقاظ بهذه الاشارة هذا واني أرى أنجم مصابيحها الغراء تتور بين أيدي الفضلاء وتهدي أن يميل كل دان بالالتفات الى ذلك الثناء المشهود وتشغف كل مبصر بقبس منه يوصله الى سبيل المقصود والسلام على من اتبع الهدى

ومن مراسلاتها الى السيدة وردة كريمة الشيخ ناصيف اليازجي ردا على خطاب ورد للترجمة منها وهو بسم الله أقول وعزة ما آثر البراعة وعذوبة مذاق مزايا البلاغة اني لاغبط كتابي لدى لقا من أودى اليه جوابي فلو تطاوعني الارادة لقرنت عين الانسان بكل عين من حروفه وصيرت نفس مرآة العيان قرطي مظروفه أو تقبل الشمل هديا لجعلت قربانه أبعد أو رام أعظم رشوة وهبت اليه وجدانا لم أجد له حدا وذلك عندما أقبل كتابكم من سماء المعاني بعبقري الخطاب ونقشت رقة أرقام زبدة معانيه على صحائف الصدر فنطق الجنان قبل اللسان بالترحاب فلله در كتاب ما نطقت ولادة الا بحروف هجائه وما تغزل قيس الا بالفاظ كادت تداني براعة بدايته فقد أسس بشير براعته بخلاصة تأثيرها له حديقة الحق بالود وسقى عطير مداده غرائس صدق تفتر عن كل غرام ووجد وقد عن لي أن أتوج بتلك الحلية التي توسطت في فتح باب يانعة الوداد وأنا التي تشيق نفحات وردتها لا تعاش الروح عين المراد فاملي أن لا تبخلي على بتلك العاطرة ما هب الصبا كما أنك لا تبرحين من بالي ما لاح كوكب لا زال ستاء عرفانك لا تحابيهان الربا وذكاء مرآتك يبدي سلام من حملها حبكم وصبا

ومن مراسلاتها للسيدة وردة المذكورة أيضا

أستهل براعة سلام حمل الشوق رسالته وتقلد الشفق ما نشقت ناشقة عرف الوداد كفالته ولو رضيت الجبال في صدق المقال لنطق بخالص الوفاء مداد حروفه وأقام بأداء التحية العاطرة قبل فض ختام مظروفه ولعمري قد توجته أزاهر الثناء بلا لي غراء وكللته زواهر الوفاء من خالص الوداد الى حضرة من لا تزال تستروح الاسماع بنسيم أنبائها صباحا ومساء وتشوق الارواح الى اطلاع بدر انسانها الكامل أطرافا وآناء ومما زادني شوقا الى شوق حتى لقد شب فيه طفل الشفق عن الطوق اجتلائي حديقة الورد القدسية ونافجة الادب المسكية فيا لها من حديقة رمقتها أحداق الاذهان فاقتبست نورا ونورا واتشقتها مسام

الا ذان فملت طربا وسرورا ومنذ سرحت فى أرجاء تلك اليانعة انسان العيون وشرحت بافكار البصيرة أسرار ذلك الدر المصون لم أزل بين طرب أوشح بوشاحه وأدب أتعجب من حسن اختتامه وافتتاحه وجعلت أغازل من نرجس تلك الروضة عيونا ملكت منى الحواس وأهصر من غصون الفاتها كل ممشوق أهيف مياس وأتأدب فى حضرة وردها خوفا من شوكة سلطانه وان حياني بجميل الالتفات ضاحكة عن نفيس جمانه واذا بالياسمين الغض قد ألقى نفسه على الثرى ونادى بلسان الافصاح هل لهذه النضرة نظيرة يا ترى فاشار المنثور بكفه الخضيب أن لا نظير لتلك الغادة ونطق الزنبق بلسان البيان لا تكتموا الشهادة فعند ذلك صفق الطير بأكف الاجنحة وبشر وجرى الماء لاذاعة نبأ السرور فمتر بذيل النسيم وتكسر وعبايلت أغصانها المورقة لسماع هذا الحديث وأخذت نسماتها العاطرة فى انسيرالحثيث اذاعة تلك البشائر فى العشائر ونشرا لهذه الفضائل التى سارت مسير المثل السائر فقلت بلسان الصادق الامين بعد تحقق هذا النبأ اليقين هكذا هكذا تكون الحديقة والا وكذلك كذلك لتكتب الفضائل وعلى

وحدثتنى يا سعد عنهم فزدتنى * غراما فزدنى من حديثك يا سعد

فعمل عنى أيها الصديق تحية الى ربة هاتيك الحديقة واشرح لديها حديث شغفى بفضلها الباهر على الحقيقة واعتذر عن كتابى هذا فقد جاء يمشى على استحياء وكلما حرضه الشوق على القدوم يبطئه الحياء وكيف وقد حل فى منبع الفضائل والمقام الذى لم يدع مقالا لقائل فكأنى انما أهدى التمر الى هجر وأمنح البحر الخضم بالقطر أدام الله تعالى تلك الحضرة وزادها فى كل حال بهجة ونضرة ما لاح جبين هلال وبلغ غاية الكمال ومن شعرها البديع قولها

بيد العفاف أصون عز حجابى * وبعصمتى أسمو على أترابى
وبفكرة وقادة وقريحة * نقادة قد كملت آدابى
ولقد نظمت الشعر شيمة معشر * قبلى ذوات الخدر والاحساب
ما قلته الا فكاهة ناطق * يهوى بلاغة منطق وكتاب
فبنية المهدى وليلى قدوتى * وبفطنتى أعطيت فصل خطابى
لله در كواعب نسبوا لها * نسج العلا لعوانس وكعاب
وتحصن بالدر الثمين وهامت الـ * خنساء فى صخر وجوب صعاب
فجعلت مرآتى جبين دفاتر * وجعلت من نقش المداد خضابى
كم زخرفت وجنات طرسى أنملى * بعذار خط أو اهاب شبابى
ولكم أضاءت شمع الذكا وتضوعت * بعبير قولى روضة الاحباب
منطقت ربات البها بمناطق * يغبطنها فى حضرتى وغيابى
وحلات فى نادى الشعور ذوائبا * عرفت شعائرها ذوو الانساب
عوذت من فكرى فنون بلاغتى * بتميمة غرا وحرز حجاب
ماضرنى أدبى وحسن تعلمى * الا بكونى زهرة الالباب
ماساءنى خدرى وعقد عصابتى * وطراز ثوبى واعتزاز رحابى

ماعاقنى خجلى عن العليا ولا * سدل الخمار بلمتى ونقابى
عن طى مضمار الرهان اذا اشتكت * صعب السباق مطامح الركاب
بل صولتى فى راحتى وتفرسى * فى حسن ما أسعى لخير مآب
ناهيك من سر مصون كنهه * شاعت غرابته لذى الاغراب
كالمسك مختوم بدرج خزائن * ويضوع طيب طيبه بملاب
أو كالبحار حوت جواهر لؤلؤ * عن مسها شلت يد الطلاب
در لشوق نوالها ومنالها * كم كابد الغواص فعل عذاب
والعنبر المشهور وافق صونها * وشؤنه تتلى بكل كتاب
فأثرت مصباح البراعة وهى لى * منح الاله مواهب الوهاب

وقولها وقد توسلت بالمقام النبوى صلى الله عليه وسلم

أعن وميض سرى فى حندس الظلم * أم نسمة هاجت الاشواق من اضم
تجددا لى عهدا بالغرام مضى * وشاقنى نحو أحبابى بذى سلم
دعا فؤادى من بعد السلو الى * من كنت أعهد فى قلبى من القدم
وهاجنى لحبيب عشق منظره * يمحو ويثبت ما يهواه من عدم
يمحو سلوى كما يمحو اساءته * حبى له فعذابى فيه كالنعم
رام الوشاة سلوى عن محبته * ولم أوف لهم عذلا ولم أرم
كيف استتار الجوى يامن تملكنى * وشاهد العشق فى العشاق كالعلم
فيالها من رضاعى ومعترضا * بين الفراغ وقلبى فهو متهمى
حسبى من الحب ما أفضى الى تلفى * وما لقيت من الآلام والسقم
انى رددت عنانى عن غوايته * وقلت يانفس خلى باعث الندم
ولذت بالمصطفى رب الشفاعة اذ * يدعو المنادى فحيا الناس من رمم
طه الذى قد كسى اشراق بعثته * وجه الوجود سناء الرشد والكرم
طه الذى كللت أنوار سنته * تيجان أمته فضلا على الامم
نعم الحبيب الذى من الرقيب به * وهو القريب لراجى الجود والنعم
روحى الفداء ومن لى أن أكون له * هذا الفداء وموجودى كمعدم
وماهى الروح حتى أفتديه بها * وهى البقاء بقاء الظل والظلم
والعمر أوفت اثقال الوزر لحته * وبددته صروف الدهر بالتهم
أين الرشاد الذى أعددته لغد * غويت عنه فزلت بالهوى قدمى
من لى بترب رحاب لو أفوز بها * كحلت عينا أفاضت دمعها بدم
من لى باطلال بان عز منظرها * تسق بطل من الآماق منسجم
تحط أثقال وزر لا تقوم بها * شم الرواسى من راس ومنهدم
كم نبع زلال قد فاض من يده * أروى الاوام وأسقى منه كل ظمى

والجذع أن له من بعده جزعا * لما نأى عنه مولى العرب والعجم

لانت له الصخرة الصماء طائعة * مذ مسها سيد الكونين بالقدم

فيا لها معجزات ما لها عدد * أقلها ما بدا نار على علم

ولا يحيط به مدحى ولو جمعت * جوارحى ألسنا ينطقن بالحكم

وانما أرتجى من مدحه قبسا * يهدى الصراط ويشفى الروح من ألم

وكيف لى باتعاظ النفس آمرتى * بالسوء ناهيتى عن مورد النسم

فما التماسى عن خير يقربنى * الى النعيم ولا أسقى بمنتظم

لكن لى أسوة أشقى بها وصبى * حسن ارتباطى بحبل غير منفصم

ومنة الله دين وصف فهم * حجتى ان أخف يوم اللقا يقم

وما سوى فوز كونى بعض أمته * ذخرا أفوز به من زلة الوصم

الا التماسى عفوا بالشفاعة لى * من خاتم الرسل خير الخلق كلهم

مددت كف الرجا أرجو مراحمه * وقد حللت به فى شهره الحرم

محمد المصطفى مشكاة رحمتنا * مصباح جنتنا فى بعثة الامم

يامن به أقتدى يوم الزحام انا * أبديت ناصية مفعومة الوسم

أقول حين أوافى الحشر فى خجل * ان الكبائر أنست ذكرة اللمم

ياخير من أرتجى ان لم تكن مددى * وازلتى يوم وضع القسط واندمى

فاشفع بحب الذى أنت الحبيب له * لولاك ما أبرز الدنيا من العدم

عليك أزكى صلاة الله ما افتتحت * أدوار دهر وما وافت بمختتم

وقولها غزلا

منثور حسنك فى الحشا سطرته * ورقيم خطك طالما كررته

سطر العذار تلوته فوجدته * يوحى اليك فلك دمى وقد سلته

وقولها فى الخمريات

لاح الصبوح وبهجة الاوقات * فاشرب وعاطى الصب بالكاسات

واجلب براحك للقلوب تروحا * فالراح تبدع نشأة اللذات

وانهض فديتك فالزمان مراقبى * فالحظ لى فى كل يوم آتى

ودع الوشاة وما تقول عواذلى * فالعين عينى والصفات صفاتى

دعنى ومالى فى الفؤاد بحبها * لما صبا بشقائق الوجنات

لاغرو أن كان الرشيق يديرها * فى معهد الغزلان والبانات

فأنا الاسير بظل روض كرومها * ولو آن فى عتق هنىّ حياتى

وأنا الشهيد بحب ذوق عصيرها * ان كان فى حب الكؤس مماتى

جهل العواذل ما تريد بشربها * نفسى وما تلقى من السكرات

تسليني عن جفوة أم صبوة * لفؤادى المضنى من الحسرات

شتان بين ظنونهم وسرائري * والله يعلم منتهى غاياتي
كم بات الاحداق يسقي طلها * روض الجوى وحدائق اللوعات
ياعاذلي كف الملام فانني * صب بدت بين الورى اياتي
قل ماتشاء فان قولك مطربي * وحديث من أهوى دواء علاتي
ان شئت امني أو فهدد داته * فأليم لومك في الهوى لذاتي
امسى بي الاشجان حتى انني * لم أدر من أهوى ومن هو ذاتي
وربابي الشوق الخؤن لمعهد * أهو العلى أم غرفة الجنات

وقولها تهنئة بمولود

تجلى النور في أفق المعالي * وحل البدر في أوج الكمال
وأزهرت الكواكب مسفرات * عن البشرى كاشراق الليالي
وأبدى الدهر مولودا زكيا * تلوح عليه ايات الجلال
عطارده بلامحة التهاني * أتى الاعتاب والاقبال عالي
فالبسنا من الافراح تاجا * وكلله بأنواع اللآلي
فطب صدرا وقر به عيونا * ودم فرحا بهاتيك الخلال
فشكاة السعود لديك تمسو * وعباس على النصر غالي
مخايله الشريفة معلنات * بأن سيكون في أبهى الخصال
ويقفو الشبل في وصف أباه * كما يقفو الرشا أثر الغزال

وقالت مشطرة لهذين البيتين

وليلى ماكفاها الهجر حتى * أطالت في دجى ليلى أنيني
وكل تجلدي بالصبر لما * أباحت في الهوى عرضي وديني
فقلت لها ارحمي الامي قالت * كذا خط اليراع على الجبين
فدع قلق الصغار وكن صبورا * وهل في الحب يا أمي ارحميني

وقالت في تشطيرهما أيضا

وليلى ماكفاها الهجر حتى * أرتني جرح قلبي بالعيون
وماقنعت بسفك دمي ولكن * أباحت في الهوى عرضي وديني
فقلت لها ارحمي الامي قالت * ياأمي قد بليت فن معيني
أترحم في الغرام وأنت صب * وهل في الحب ياأمي ارحميني

وقالت في ذلك أيضا

وليلى ماكفاها الهجر حتى * أذاعت بعد كتمان شجوني
وحين تبينت ايات وجدي * أباحت في الهوى عرضي وديني
فقلت لها ارحمي الامي قالت * جننت وفي الهوى بعض الجنون
وهبني كنت أملك كيف أحنو * وهل في الحب ياأمي ارحميني

وقالت مخمسة البيتين المذكورين

إليك معنى بكفيك إفتنا * جهلت صبابتي أم هل عرفتا
فلا أقوى عليك وأنت أنتا * وليلى ما كفاها الهجر حتى
أباحت في الهوى عرضي وديني

بروض جمالها أمست وقالت * وان عثر المتيم ما أقالت
وكم صدت وفي هجري أطالت * فقلت لها ارحمي الأمي قالت
وهل في الحب يا أمي ارحميني

وقالت تهنى الخديوى السابق

كللت تاج البدر قربا بالشرف * مذ حل في مصر ركابك وانعطف
طربت بمقدمك السنى وعطفه * مصر السعيدة والسرور بها هتف
لما عزمت عزمت بحسبك السنا * والعود جدد بالهنا ما قد سلف
وتزينت بكر الحبور وأصبحت * مجلوة بين الرفاهة والترف
وتجملت مصر بجاه الهنا * ورخيم مطربها على عود عكف
وبك الامانى قد تبسم ثغرها * والصفو مال بقده حسن الهيف
وتراقصت مهج النفوس لبشرها * كيلا بسل غردن في روض أنف
أضحى يقول بسعد بابك نيلها * أقبل على بحر الوفاء ولا تخف
والله يا مصباح مشكاة العلا * بك سرت الدنيا ومن فيها شغف
رقت جمال بها فدومك عصمة * بعداد نحر رسناه شق وشف
وبمجمع في معرب قد أرخت * كللت تاج البدر قربا بالشرف

وقالت ترثى ابنتها

ان سال من غرب العيون بحور * فالدهر باغ والزمان غدور
فلكل عين حق مدرار الدما * ولكل قلب لوعة وثبور
ستر السنا وتحجبت شمس الضحى * وتنقبت بعد الشريف بدور
ومضى الذى أهوى وجرعنى الاسى * وغدت بقلبى جذوة وسعير
ياليته لما نوى عهد النوى * وافى العيون من الظلام نذير
ناهيك ما فعلت بحامعشاشتى * نار لها بين الضلوع زفير
لو بث حزنى فى الورى لم يلتفت * لمصاب قيس والمصاب كثير
طافت بشهر الصوم كاسات الردى * سحرا وأكواب الدموع تدور
فتناولت منها ابنتى فتغيرت * جنات خد شانها التغيير
فذوت أزاهير الحياة بروضها * والقد منها مائس ونضير
لبست ثياب السقم فى صغر وقد * ذاقت شراب الموت وهو مرير
جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفا * ان الطبيب بطبه مغرور

وصف التضرع وهو زعم أنه * بالبرء من كل السقام بشير
فتنفست الحزن ثم قائلة له * عجل ببرئي حيث أنت خبير
وارحم شبابي ان والدتي غدت * ثكلى يشير لها الجوى وتشير
وارأف بها قد حرمت طيب الكرى * تشكو السهاد وفي الجفون فتور
لما رأت يأس الطبيب وعجزه * قالت ودمع المقلتين غزير
أماه قد كل الطبيب وفاتني * مما أؤمل في الحياة نصير
لو جاء عراف اليمامة يبتغي * برئي لرد الطرف وهو حسير
يا روع روحي حلها نزع الضنى * عما قليل ورقها سيطير
أماه قد عز اللقاء وفي غد * سترين نعشي كالعروس يسير
وسينتهي المسعى الى اللحد الذي * هو منزلي وله الجموع تصير
قولي لرب اللحد رفقا بابنتي * جاءت عروسا ساقها التقدير
وتجلدي بازاء لحدي برهة * فتراك روح راعها المقدور
أماه قد سلفت لنا أمنية * يا حسنها لو ساقها التيسير
كانت كأحلام مضت وتخلفت * مذ بان يوم البين وهو عسير
عودي الى ربع خلا وما ثر * قد خلفت عني لها تأثير
صوني جهاز العرس تذكارا فلي * قد كان منه الى الزفاف سرور
جرت مصائب فرقتي لك بعد إذ * لبس السواد ونفذ المسطور
والقبر صار بغصن قدي روضة * ريحانها عند المزار زهور
أماه لا تنسي بحق بنوتي * قبري لئلا يحزن المقبور
ورجاء عفو أو تلاوة منزل * فسواك من لي بالحنين يزور
فلعلما أحظى برحمة خالق * هو راحم برّ بنا وغفور
فأجبتها والدمع يحبس منطقي * والدهر من بعد الجوار يجور
بنتاه يا كبدي ولوعة مهجتي * قد زال صفو شأنه التكدير
لا توصي ثكلى قد أذاب فؤادها * حزن عليك وحسرة وزفير
قسما بغض نواظري وتلهفي * مذ غاب انسان وفارق نور
وبقبلتي ثغرا تقضي نحبه * فحرمت طيب شذاه وهو عطير
والله لا أسلو التلاوة والدعا * ما غردت فوق الغصون طيور
كلا ولا أنسى زفير توجعي * والقد منك لدى الثرى مدثور
اني ألفت الحزن حتى إنني * لو غاب عني ساءني التأخير
قد كنت لا أرضى التباعد برهة * كيف التصبر والبعاد دهور
أبكيك حتى نلتقي في جنة * برياض خلد زينتها الحور
ان قيل عائشة أقول لقد فني * عيشي وصبري والاله خبير

واهي على توحيدة الحسن التي * قد غاب بدر جمالها المستور
قلبي وجفني واللسان وخالق * راض وبالك شاكر وغفور
متعت بالرضوان في خلد الرضا * ما زينت لك غرفة وقصور
وسمعت قول الحق للقوم ادخلوا * دار السلام فسعيكم مشكور
هذا النعيم به الأحبة تلتقي * لاعيش إلا عيشه المسرور
ولك الهناء فصدق تاريخي بدا * توحيدة زفت ومعها الحور

وقولها غزلا

ملك الفؤاد وقد هجر * بدر المحاسن مذ ظهر
عذب الرضاب مهفهف * يسبي المتيم بالحور
ماحيلتي في حبه * إلا الخضوع لما أمر
من مخبدي وجفونه * منها المحب على خطر
واحيرتي في حبه * واطول شجوى بالخفر
أشكو الغرام ويشتكي * جفن تعذب بالسهر
ياقلب حسبك ماجرى * أحرقت جسمي بالشرر
رام الحبيب لك الضنى * لمذا وأنت له مقر
لكن تعذيب الهوى * ماللشجى منه مفر
قابلته متثنيا * ناهيك من غصن خطر
وأتيته متبسما * كالبدر لما أن سفر
يابدر حكمك الهوى * فاحكم وننفذ ما أمر
ألق الوشاح وخلني * أصلى سعيرا في سقر
وعن العذار فلا تسل * ولأنت أولى من عذر
ودع الظلام على الضيا * واستر بطرتك الغرر
سامت بها الثغر الذي * ينهتز عن غالي الدرر
واصدع بحسنك واقتصر * تيها بجيدك والطرر
فالشمس تخجل عندما * تبدو ويستحي القمر

وقولها غزلا أيضا

ملك الفؤاد وقد رشى * بدر تحكي بالرشا
عذب الرضاب مهفهف * يسبي الشجي اذامشى
ماحيلتي في حبه * إلا السعير في الحشا

وقالت مخمسة

وعذري الهوى العذري وهو عين * بمقسم التسريح ليس يبين
لأفتنك من ضرب الصفاح تبين * عيون عن العصر المبين تبين
* يسالها المشتاق وهي تخون *

عجبت لها تنسى وقلبي حافظ * وإنسانها ينسى النهى وهو واعظ
وأعجب من ذا الفتك وهي لواحظ * مراض صحاح ناعسات يواقظ
* لها عند تحريك الجفون سكون *

فما آها الهاروتي على شدة القوى * وهاروت عن أجفانها السحر قد روى
ولا ذنب للولهان في لوعة الجوى * اذا أبصرت قلبا خليا من الهوى
* وأومت بلطف حل فيه فتون *

بقلبي لها طوعا أسيرا وطالما * أضاعت بوادي التيه صبا ومغرما
وكم فوقت سهما وكم سفكت دما * وما جردت من مرهفات وإنما
* تقول له كن مغرما فيكون *

وقولها في صدر جواب

سلام قد حوى منظوم در * سلوا عنه الرسالة حين عنت
ولو رامت تعبر عن ضميري * وما لاقي بكم قلبي لغنت

وقالت استغاثة

أين الطريق لأبواب الفتوحات * أين السبيل الى نيل العنايات
أين الدليل الذي أرجو الرشاد به * الى سبيل المعالي والهدايات
أين السلوك الذي أسرار لجته * مصباح نور لمشكاة المناجاة
أين الخلوص الذي آثاره سبقت * يوم الرحيل الى دار السعادات
كيف الخلاص وأحداث الشقاوة بي * وقد رمتني بها أيدي الشقاوات
كيف المسير الى أرض المنى وأنا * بطاعة النفس في قيد الضلالات
كيف العدول بقصد السبل عن عوج * أمضي بسعي الى دار الندامات
كيف الرحيل بلا زاد وراحلة * نحث سيري لأرض الاستقامات
ولي حقائب بالأوزار مثقلة * وعيس كدحي كلت عن مراداتي
فيا أولي الحزم حلوا عقد مشكلتي * وكيف أبلغ أقطار السلامات
عتبت نفسي على ماضاع من عمري * في ملهيات وغفلات وزلات
فخالفت مقصدي جهلا وما اتعظت * ولجة العمر ولت في الخسارات
فلو بكت مقلتي للحشر ماغسلت * ذنوب يوم تقضى في الجهالات
ولو تبدد قلبي حسرة وأسى * على الذي مر من تفريط أوقاتي
لم يجدلي غير دق الكف من ندم * على عظيم إساآتي وغفلاتي
إن طال خوفي فقد أحيا الرجا أملي * في غافر الذنب خلاق السموات
فاز الخفون واستبق التقاة الى * دار السلام وفردوس الكرامات
وكان شغلي خضوعي ذاتي أسفي * ووضع خدي على أرض المذلات
وطوع أمارتي بالسوء قيدني * عن الوصول لغايات الكمالات

فلم يسعنى بأثقال الذنوب سوى * ساحات غفران علام الخفيات

وقولها

مرارة الصبر خصت بالحلاوات * وجدت فى مرّها حلوى السلامات
صباتى فى كهوف الصبر أنفع لى * من حصن كسرى ومن أعماق أغمات
كم بات دهرى يرينى نهج تربيتى * فينثنى يتبولى وامتثالاتى
وما احتجابى عن عيب أتيت به * وإنما الصون من شأنى وغاياتى
وكلما شب دهرى فى معاندتى * لم يلق منى له الا الاطاعات
وكلما آذنى ظلما بعقلة * عدلت سيرى كما يرضى برضاتى
كم قابلتنى ليال ريحها سعر * بطيئة السير ترمى بالشرارات
لاقيتها بجميل الصبر من جلدى * وبت أسقى الثرى من غيث عبراتى
كم أقعدتنى أيام بصدمتها * وقمت بالعزم مشهور العنايات
وكم حليفة سعد إذ تعنفنى * تقول سعيك مذموم النهايات
فأخفض الطرف من حزن أكابده * وأهمل الدمع من تلك المقالات
وكم وضعت بأرض الظلم ناصيتى * فقمت من صعدتى أتلو تحياتى
وكم شكرت بفضل العذل عاذلتى * ان أحسنت أو أطالت فى إساآتى
وما فخمت بيوم قد أتى غلطا * بالانس الا وقامت فيه غاراتى
ومذ أتت عذلى تبغى مصادرتى * ظلما منحتهم أسنى الكرامات
وكلما عددوا ذنبا رميت به * بسطت للعفو راحات اعترافاتى
وكلما حرروا منشور مظلمتى * وأثبتوا فى الورى ظلما جناياتى
أظهرت شكرى لهم بالرغم عن أسفى * وكان ما كان من فرط التهاباتى
ولم أفه لذوى ودّ لمعرفتى * أن الطبيب حبيب فى المسرّات
أقوم والضيم تطوينى نوائبه * طىّ السجل ولم أسمعه أناتى
أخفى الاسى إن حسود جاء يسألنى * لأين يسعى وأومى لابتهاجاتى
إن ضل سعيى فهادى الصبر يرشدنى * الى طريق رشادى واستقاماتى
ولم أزل أشتكى بثى ومظلمتى * لعالم الجهر منى والخفيات
علت ولاة الصفا أشهى نجائبها * لتقضى الفوز من وادى المودات
وبت باليأس فى بطحاء متربتى * وكان شغلى بضحى دق راحاتى
أقول للصبر لا عتب على زمن * أعطى لأبنائه أسمى العطيات
فقال مهلا ولا تغرر لشوكتهم * فالصحو يعقبه سود الغمامات
فليس كل ملوم دام مكتئبا * وما السعيد سعيد للاقاة
فدهرهم غرهم جهلا وما علموا * أن الزمان قريب الالتفاتات
فما توارت بغاة القوم من أسفى * حتى أناخوا بأجيال النكايات

تذكر الدهر عادات له سلفت * وقد نسوها بحانات الخلاعات
ورد دهرى سهام الحقد صائبة * إليهم فغدوا فى شر حالات
فما استطالوا أمانيهم ولا قنصوا * حتى استو بنا بكهف الاعتكافات
قال الدهاة سهام الدهر قد وقعت * من ذلك الجسم فى كشح ولبات
فقلت أنعم به من حاذق فطن * وإنه لحقيق بالعدالات
ظنوا الزمان أباح السعد طالعهم * وأنه اختص نجمى بالنحوسات
والصبر أشهدنى ما كنت أغبطهم * عليه عادا عتبارا فى العبارات
فلا يهولنك حرمان بليت به * ولا يغرنك اقبال غدا آتى
كلاهما والذى أنشاك من علق * يفنى ويعدم فى بعض اللحيظات
أين الملوك الألى كانت أوامرهم * محدودة كسيوف مشرفيات
تمضى وتثبت ما رامت وما رفضت * بين الأنام بأقوال سميات
قد أحكم الدهر مرماهم فما لبثوا * حتى انطووا فى الثرى طى السجلات
فكم مضى عزمهم فى عز سطوتهم * قولا وفعلا بتسديد الرياسات
وكم سرى فى الورى منشور سلطتهم * شرقا وغربا بأنواع السياسات
يؤب بالعجز أقواهم اذا ألم * به ألم ويبدى شر حسرات
يلوذ ضعفا بأذيال الطبيب وما * يغنى الطبيب لدى فتك المنيات
وكم لفقد عزيز منهم سكبت * مدامع كن بالنعمى مصونات
وطالما أحرقت حسراتهم كبدا * تضعضعت منه أركان الشهامات
فلا تقل لى متاع وهو عارية * واليأس عندى راحات استراحاتى
وقد بسطت أكف الذل ضارعة * لخالق الخلق جبار السموات
وبت أدعو عليم السر قائلة * يا غافر الذنب جد لى باستجاباتى
يا كاشف الضر عن أيوب مرحمة * حين استغاثك من مس المضرات
وصاحب الحوت قد أنجيته كرما * لما دعا بابتهال فى الضراعات
أنقذته يا إله العرش من ظلم * لظلمه النفس لاقته باعنات
وابيضت العين من يعقوب وانسكبت * حزنا على يوسف فى فيض عبرات
ومذ شكا البث للرحمن عادله * نور العيون فقرنا بالمسرات
ويوسف السيد الصديق حين دعا * فى ظلمة السجن من أسنى العنايات
ومذ علمت باخلاص الخليل غدا * والنار من حوله فى روض جنات
عادت سلاما وبردا بعد ما اشتعلت * ولم يفه من يقين بالشكايات
وقد رفعت يمين الذل داعية * إليك يا رب أرجو غفر زلاتى
ربى إلهى معبودى وملتجئى * إليك أرفع بثى وابتهالاتى
قد ضرنى طعن حسادى وأنت ترى * ظلمى وعلمك يغنى عن سؤالاتى

فامنن عليّ بألطاف لتفريجني * من الضلال الى سبل الهدايات
أنت الخبير بحالي والبصير به * فافتح لهذا الدعا باب الاجابات
فكيف أشكو لمخلوق وقد لجأت * لك الخلائق في يسر وشدات
فيا الهامن جراح كلما اتسعت * أعيت طبيبي رغما عن مداواتي
أنت الشهيد على قول أفوه به * مادمت عائشة فاحمد غاياتي

﴿عائدة المدنية﴾

أم ولد حبيب بن الوليد المرواني * كانت جارية حالكة اللون تروى عن الامام مالك بن أنس امام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة المنورة وهبها محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان لحبيب بن الوليد المرواني فقدمها الى الاندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها وفرط ذكائها واتخذها لفراشه وبقيت عنده معززة مكرمة الى أن توفاها الله تعالى

﴿عاتكة بنت عبد المطلب الهاشمية﴾

كانت من أوفر النساء القرشيات عقلا وأحلاهن منطقا وأحسنهن تصورا وتبصرا ومما يروى عنها أنها قد رأت قبل قدوم ضمضم بثلثة أيام رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني وتخوفت أن يدخل على قومك شر أو مصيبة فاكتم علي ما أحدثك قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته أن انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث وأرى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بأعلى صوته انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا دخلتها منها فلقة قال العباس ان هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش قال العباس فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام ورهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال لي يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت اليه حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل يا بني عبد مناف متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رأتها عاتكة قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة في رؤياها أنها قالت انفروا في ثلاث فنتربص بكم هذه الثلاث فان يكن ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب كتابا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان اليه مني كبيرا الا أن جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيأ قال ثم تفرقنا فلما أمسينا لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع برجالكم ويتناول النساء وأنت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من كبير وايم الله لأتعرضن له فان عاد لأكفينكموه قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه قال فدخلت

المسجد فرأيته والله انى لأمشى نحوه العرضنة ليعود لبعض ما كان فأوقع به وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر إذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت فى نفسى ماله لعنه الله أكل هذا فرقا أن أشاتمه فاذا هو قد سمع مالم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى يا معشر قريش اللطيمة أموالكم مع أبى سفيان بن حرب قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الامر قال فتجهز الناس سراعا وقالوا الا يظن محمد وأصحابه أن يكون كعير ابن الحضرمى كلا والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا وأرغبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلف فبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكان ذلك فى وقعة بدر وخبرها مشهور ومن شعرها قولها ترثى أباها مع اخوتها فى حال حياته حين طلب منها ذلك

أعينىّ جودا ولا تبخلا * بدمعكما بعد نوم النيام

أعينىّ واستعبرا واسكبا * وشوبا بكاء كما بالسدام

أعينىّ واستخرطا واسجما * على رجل غير نكس كهام

على الجحفل (١) فى النائبات * كريم المساعى وفىّ الذمام

على شيبة الحمد وارى الزناد * وذى مصدق بعد ثبت المقام

وسيف لدى الحرب صمصامة * ومردى المخاصم عند الخصام

وسهل الخليقة طلق اليدين * وف عدملىّ صميم اللهام

تبسك فى باذخ بيته * رفيع الذؤابة صعب المرام

﴿وقولها فى الحماسة﴾

سائل بنا فى قومنا * وليكف من شر سماعه

قيسا وما جمعوا لنا * فى مجمع باق شناعه

فيه السنور والقنا * والكبش ملتمع قناعه

بعكاظ يعشى الناظـ * ـرين اذا هم لمحوا شعاعه

فيه قتلنا مالكا * قصرا وأسلم رعاعه

ومجدلا غادرنه * بالقاع تنهسه رباعه

ولها أشعار كثيرة غير هذه لم نقف عليها لعدم ورودها فى كتب التاريخ

﴿عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل﴾

كانت من الفصاحة على جانب عظيم وقد أعطيت شطر الحسن فعشقها عبد الله بن أبى بكر الصديق وكلف بها حتى كاد أن يطير عقله فلما تزوج بها أقام سنة لم يشتغل بسواها فلما كان يوم جمعة وهو معها اذ فاتته الصلاة وهو لا يدرى وجاء أبوه فوجده عندها فقال له أجمعت فقال وهل صلى الناس فقال قد ألهتك عاتكة عن التجارة فلم ترتب فى ذلك ولم تقل شيأ وقد ألهتك عن الصلاة طلقها فطلقها واعتزلت ناحية فلما كان الليل قلق قلقا شديدا فأنشد

(١) هكذا فى الاصل والشطر غير مستقيم الوزن ولعله سقط منه كلمة نحو الجار أو الثبت اه مصححه

أعاتك لاأنساك ماذر شارق * وماناح قمرى الحمام المطوق

لهامنطق جزل ورأى ومنصب * وخلق سوى فى حياء ومصدق

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير شئ يطلق

وكان أبو بكر على سطح يصلى فسمعه فرق له فقال له راجعها ثم ضمها اليه وأعطاها حديقة على أن لاتتزوج بعده وأنشد

أعاتك قد طلقت من غير ريبة * وروجعت للامر الذى هو كائن

كذلك أمر الله غاد ورائح * على الناس فيه ألفة وتباين

ومازال قلبى للتفرق طائرا * وقلبى لما قد قدر الله ساكن

ليهنك أنى لا أرى فيك سخطة * وأنك قد تمت عليك المحاسن

فانك ممن زين الله وجهه * وليس لوجه زانه الله شائن

فلما قتل بالطائف رثته فقالت

رزئت بخير الناس بعد نبيهم * وبعد أبى بكر وما كان قصرا

فلله عينا من رأى مثله فتى * أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا

اذا شرعت فيه الأسنة خاضها * الى الموت حتى يترك الموت أحمرا

فآليت لاتنفك عينى سخينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

مدى الدهر ماغنت حمامة أيكة * وماطرد الليل الصباح المنورا

وتزوجها عمر بعد أن استفتى عليا فى ذلك فأفتى بأنها ترد الحديقة الى أهله وتتزوج ففعلت فذكرها على بقولها فآليت لاتنفك البيت ثم قال كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ثم تزوجها بعده الزبير وبعده الحسين بن على عليه السلام حتى قال عمر من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها على فقالت انى لأضن بك عن القتل وخطبها مروان بعد الحسين فقالت ما كنت متخذة حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عاتكة ترثى عمر بن الخطاب

عين جودى بعبرة ونحيب * لاتملى على الامام النجيب

فجعتنى المنون بالفارس المعـ * ـلم يوم الهياج والتلبيب

عصمة الناس والمعين على الدهـ * ـر غياث المنتاب والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا * قد سقته المنون كأس شعوب

ولها فيه أيضا

وفجعنى فيروز لا در دره * بأبيض تال للكتاب منيب

رؤف على الدانى غليظ على العدا * أخى ثقة فى النائبات مجيب

متى مايقل لايكذب القول فعله * سريع الى الخيرات غير قطوب

وقالت ترثيه أيضا

من لنفس عادها أحزانها * ولعين شفها طول السهد

جسد لفف فى أكفانه * رحمة الله على ذاك الجسد

فيه تفجيع لمولى غارم * لم يدعه الله يمشي بسبد

وقالت ترثي الزبير وتخاطب عمرو بن جرموز الذي قتله غدرا عند رجوعه من حرب الجمل

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غير معرّد

يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

شلت يمينك إن قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

إن الزبير لذو بلاء صادق * سمح سجيته كريم المشهد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه * عنها طرادك يا ابن فقع القردد

فاذهب فما ظفرت يداك بمثله * فيمن مضى ممن يروح ويغتدي

وقالت ترثي الحسين عليه السلام

وحسينا ولا نسيت حسينا * أقصدته أسنة الاعداء

غادروه بكربلاء صريعا * جادت المزن في ذرى كربلاء

عاتكة ابنة معاوية بن أبي سفيان الأموي

كانت في الحسن أعجوبة زمانها وفي الادب نادرة أقرانها تعلمت الغناء وضروبه والها فيه بعض ألحان وكان يختلف اليها بعض مغنيات مكة والمدينة فتحسن صلتهن وتجيزهن وتطلب منهن أن لا ينقطعن عنها

وفي بعض السنين لم يأتها أحد من مكة والمدينة فاستأذنت من أبيها أن يسمح لها بالحج فسمح لها فتجهزت بجهاز عظيم لم ير مثله وسارت على البر تحملها وركبها المطايا فلما وصلت لمكة نزلت بذي طوى فمر بها وهب الجمحي المعروف بأبي دهبل وكان شاعرا جليلا غنيا نبيلا فجعل يسارقها النظر وجمرات الوجد تتأجج بفؤاده قاذفة بالشرر وكان الوقت هجيرا والجواري رافعات عنها الاستار ففطنت له فذعرته وشتمته كثيرا ثم أمرت بالسجوف فحجب بظلامها شمس النهار فقال

اني دعاني الحين فاقتادني * حتى رأيت الظبي بالباب

يا حسنه إذ سبني مدبرا * مستترا عني بجلباب

سبحان من أوقفها حسرة * صبت على القلب بأوصاب

يذود عنها إن تطلبتها * أب لها ليس بوهاب

أحلها قصرا منيع الذرى * يحمى بأبواب وحجاب

فشاعت أبياته في مكة واشتهرت وغني بها حتى سمعتها عاتكة انشادا وغناء فطربت لها وسرت وبعثت اليه تم ديه فتراسلا وتحابا ولما صدرت عن مكة خرج في ركبها الى الشام فكانت تتعاهده باللطف والاحسان حتى اذا وردت دمشق و ردمعها فانقطعت عن لقائه فمرض حتى عز شفاءه فقال

طال ليلي وبت كالمجنون * ومللت الثواء في جيرون

وأطلت المقام بالشأم حتى * ظن أهلي مرجمات الظنون

فبكت خشية التفرق جمل * كبكاء القرين إثر القرين

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوّاص * ميزت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها * في سناء من المكارم دون
ثم خاصرتها الى القبة الخضراء * تمشي في مرمر مسنون
قبة من مراجل ضربوها * عند برد الشتاء في قيطون
عن يساري اذا دخلت من البا * ب وان كنت خارجا عن يميني
ولقد قلت إذ تطاول سقمي * وتقلبت ليلتي في فنون
ليت شعري أمن هوى طار نومي * أم براني الباري قصير الجفون

ففشا هذا الشعر حتى بلغ معاوية فصبر حتى اذا كان يوم الجمعة دخل عليه الناس يسلمون وينصرفون وكان فيهم وهب فلما أزمع الرجوع ناداه معوية حتى اذا خلا له المجلس قال ما كنت أحسب أن في قريش أشعر منك تقول

ليت شعري أمن هوى طار نومي * أم براني الباري قصير الجفون

غير أنك قلت

واذا ما نسبتها لم تجدها * في سناء من المكارم دون

والله إن فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت وأي شيء زدت في قدرها ولقد أسأت بقولك ثم خاصرتها فقال والله لم أقل هذا وانما قيل عن لساني فقال معاوية أما من قبلي فلا خوف عليك لاني عليم بعفاف فتاتي وانه مغتفر للفتيان الشعراء التشبيب بمن أرادوا ولكني أكره لك جوار أخيها يزيد فان له سورة الشباب وأنفة الملوك فحذر وهب ورحل الى مكة فبينما معاوية في مجلسه يوما اذ بخصي يقول له لقد سقط يا أمير المؤمنين الى عاتكة اليوم كتاب أبكتها تلاوته بما أصارها حتى الساعة حزينة فقال علي به بألطف حيلة فلما أوتيه قرأ فيه

أعاتك هلا اذ بخلت فلا ترى * لذي صبوة زلفى لديك ولا برق
رددت فؤادا قد تولى به الهوى * وسكنت عينا لا تمل ولا ترقا
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى * ولم أر يوما منك جودا ولا صدقا
أتنسين أيامي بربعك مدنفا * صريعا بأرض الشام ذا سقم ملقى
وليس صديق يرتضى لوصية * وأدعو لدائي بالشراب فاسقى
وأكبر همي أن أرى لك مرسلا * فطول نهاري جالسا أرقب الطرقا
فوا كبدي اذ ليس لي منك مجلس * فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة * ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقا

فبعث الى يزيد فلما جاء وجده مطرقا كئيبا فاستجلاه الامر فقال هو نبأ يقلق فيمرض فيصير ان هذا الفاسق القرشي كتب الى أختك بهذه الابيات فلم تزل باكية حتى الساعة قال يزيد الخطب دون ما تتوهم عبد لنا يرصده ويقتله فقال معوية يا يزيد والله ان تقتل قرشيا هذا حاله صدق الناس مقاله قال يا أمير المؤمنين انه نظم أبياتا غير هذه وتناشدها المكيون فسارت حتى بلغتني فأوجعتني وحملتني على ما أشرت فقال وما هي فانشد

ألا لا تقل مهلا فقد ذهب المهل * وما كان من يلحى محباله عقل
حمى الملك الجبار عنى لقاءها * فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير فى حب يخاف وباله * ولا فى حبيب لا يكون له وصل
فوا كبدى إنى اشتهرت بحبها * ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
ويا عجبا أنى أكاتم حبها * وقد شاع حتى قطعت دونه السبل

فقال معوية قد والله فهمت المعنى لانى أراه يشكو الحرمان فالخطب فيه يسير ثم حج عاتكة ذلك السبب عينه ولما انقضت المناسك دعا باشراف قريش وشعرائهم وأجزل لهم الصلات فلما أزمع وهب الانصراف قال إيه يا وهب مالى أرى يزيد ساخطا عليك فى قوارض تأتيه عنك وشعر تنطق به فبدأ أبو دهبل يطيل الاعتذار ويحلف أنه مكذوب عليه فقال معوية لا بأس عليك وما يضرك ذلك فأى بنات عمك أحب اليك قال فلانة فقال قد زوجتك بها وأمهرتها ألفى دينار ووهبتك ألف دينار فلما استوفاها قال إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو عما مضى فان نطقت ببيت فى معنى ما سبق فقد أبحت به دمى وأما ابنة عمى فهى طالق بتاتا فسر معوية ووعده بادرار الصلة كل عام وهو لم يقل فيها شعرا ووفى بوعده وبقيت عاتكة مغرمة به الى أن ماتت

﴿عاتكة بنت يزيد بن معاوية﴾

وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز تزوجها عبد الملك بن مروان فهى أم يزيد بن عبد الملك ابن مروان وكان يحبها عبد الملك حبا مفرطا فغضبت عليه مرة وكان بينهما باب محجبة فأغلقت ذلك الباب فشق غضبها على عبد الملك وشكا الى رجل من خاصته يقال له عمر بن بلال الاسدى فقال مالى عندك إن رضيت قال حكمك فأتى عمر الى بابها وجعل يتباكى وأرسل اليها السلام فخرجت اليه حاضنتها ومواليها فقلن مالك قال نزعت الى عاتكة ورجوتها وقد علمت مكانى من أمير المؤمنين معوية ومن أبيها بعده قلن ومالك قال ابناى لم يكن لى غيرهما قتل أحدهما صاحبه فقال أمير المؤمنين أنا قاتل الآخر به فقلت أنا الولى وقد عفوت قال لا أعوّد الناس على هذه العادة فرجوت أن يحيى الله ابنى هذا على يدها فدخلن عليها فذكرن ذلك لها فقالت وكيف أصنع مع غضبى عليه وما أظهرت له قلن إذا والله يقتل فلم يزلن بها حتى دعت بثيابها فلبستها ثم خرجت نحو الباب فأقبل حديج الخصى قال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قد أقبلت قال ويلك ما تقول قال قد والله طلعت فأقبلت وسلمت فلم يرد عليها السلام فقالت أما والله لولا عمر ما جئت إن أحد ابنيه تعدى على الآخر فقتله فاردت قتل الآخر وهو الولى وقد عفا قال انى أكره أن أعوّد الناس على هذه العادة قالت أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معوية وقد طرق بابى فلم تزل به حتى أخذت برجله فقبلتها فقال هو لك ولم يبرحا حتى اصطلحا ثم راح عمر بن بلال الى عبد الملك فقال كيف رأيت قال رأينا أثرك فهات حاجتك قال مزرعة بعدتها وما فيها وألف دينار وفرائض لولدى وأهلى قال ذلك لك ثم اندفع عبد الملك يتمثل بشعر كثير * وانى لأرعى قومها من جلالها *
ولعاتكة هذه حكاية مع الشعراء وذلك ما حكاه نصيب قال إنه خرج هو وكثير والاحوص غب يوم أمطرت فيه السماء فقال هل لكم فى أن نركب جميعا فنسير حتى نأتى العقيق قالوا نعم فركبوا أفضل ما عندهم من

الدواب ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق فجعلوا يتصفحون الاماكن حتى رفع لهم سواد عظيم فأموه حتى أتوه فاذا وصائف وخدم ونساء بارزات فسألتهم أن ينزلوا فنزلوا ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت ادخلوا فدخلوا على امرأة جميلة برزة على فرش لها فرحبت وحيت واذا كراسي موضوعة فجلسوا جميعا في صف واحد كل انسان على كرسي فقالت ان أحببتم أن ندعو بصبي لنا فنعرك أذنه وتصيحه فعلنا وان شئتم بدأنا بالغداء فقالوا بل تدعين بالصبي ولن يفوتنا الغداء فأومأت بيدها الى بعض الخدم فلم يكن الا كلمح البصر حتى جاءت جارية جميلة عليها مطرف قد سترت نفسها به فكشفوه عنها واذا جارية ذات جمال قريبة من جمال مولاتها فرحبت بهم وحيتهم فقالت لها مولاتها خذي ويحك من قول نصيب عافى الله نصيبا

ألا هل من البين المفرق من بد * وهل مثل أيام بمنقطع السعد

تمنيت أيامي أولئك والمنى * على عهد عاد ما تعيد ولا تبدي

فغنته فجاءت به كأحسن ما سمع بأحلى لفظ وأشجى صوت ثم قالت لها خذي أيضا من قول نصيب عافاه الله

أرق المحب وعاده سهده * لطوارق الهم التي ترده

وذكرت من رقت له كبدي * وأبى فليس ترق لي كبده

لا قومه قومي ولا بلدي * فنكون حينا جيرة بلده

ووجدت وجدا لم يكن أحد * من أجله بصبابة يجده

إلا ابن عجلان الذي تبلت * هند ففات بنفسه كمده

قال فجاءت به أحسن من الاول فكدت أطير سرورا ثم قالت ويحك خذي أيضا قوله

فيالك من ليل تمتعت طوله * وهل طائف من نائم متمتع

نعم ان ذا شجو متى يلق شجوه * ولو نائما مستعتب أو مودع

له حاجة قد طالما قد أسرها * من الناس في صدر بها يتصدع

تحملها طول الزمان لعلها * يكون لها يوما من الدهر منزع

وقد قرعت في أم عمرو لي العصا * قديما كما كانت لذي الحلم تقرع

قال نصيب فجاءني والله شيء حيرني وأذهلني طربا لحسن الغناء وسرورا باختيارها الشعري وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها واحكامها ثم قالت لها خذي من قوله أيضا

يا أيها الركب اني غير تابعكم * حتى تلموا وأنتم بي ملمونا

فما أرى مثلكم ركبا كشكلكم * يدعوهم ذو هوى أن لا يعوجونا

أم خبروني عن داء بعلمكم * وأعلم الناس بالداء الأطبونا

قال نصيب فوالله لقد زهوت بما سمعت زهوا خيل لي أني من قريش وأن الخلافة لي ثم قالت حسبك يا بنية هات الطعام يا غلام فوثب الاحوص وكثير وقالا والله لا نطعم لك طعاما ولا نجلس لك في مجلس فقد أسأت عشرتنا واستخففت بنا وقدمت شعر هذا على شعرنا وأسمعت الغناء فيه وان في أشعارنا لما يفضل شعره وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا فقالت على معرفة كل ما كان مني فأي شعركما أفضل من شعره أقولك يا أحوص

يقرّ بعيني ما يقرّ بعينها ✽ وأحسن شئ ما به العين قرّت

أم قولك أيضاً كثير في عزة

وما حسبت ضمرية جدوية ✽ سوى التيس ذي القرنين أن لها بعلا

أم قولك فيها

اذا ضمرية عطست فنكها ✽ فان عطاسها طرف السفاد

فخر جامغضبين وبقي نصيب فتغدى عندها وأمرت له بثلثمائة دينار وحلتين وطيب ثم دفعت له مائتي دينار وقالت ادفعها الى صاحبيك فان قبلاها والا فهي لك قال نصيب فذهبت بالبدرة حتى أتيت رفيقي فعرضت عليهما نصيبهما فأبيا أن يأخذاه فأخذته لنفسي وبلغها الخبر فقالت حسناً والله فعلت وبقي كثير والاحوص يترقبان لها الفرص حتى هجواها بشئ فلم يقدرا عليها خوفاً من بأسها وسطوتها ومداراة لها ولأماهي فبقيت مكرمة عند عبد الملك وفي خلافة ولدها أيضاً حتى ماتت في آخر خلافة ولدها ودفنت بما يليق بها من الرفعة والاكرام

﴿عاصية البولانية بنت عبد العزى الطائي﴾

كانت شاعرة مجيدة وشعرها قليل قيل ان بني محارب غزت طيئاً وفتكت فيهم اغياب سراتهم ورجعت غانمة فقالت عاصية تندب قومها وتهجو محارباً بقولها

أعاصي جودي بالدموع السواكب ✽ وبكي لك الويلات قتلى محارب

فلو أن قومي قتلتهم عمارة ✽ كرام سراة من رؤس الذوائب

صبرنا لما يأتي به الدهر عامدا ✽ ولكنما أثأرنا في محارب

قبيل لئام ان ظهرنا عليهم ✽ وان يغلبونا يوجدوا شر غالب

﴿عبدة محبوبة بشار بن برد﴾

كانت ذات عقل وأدب وفصاحة وكياسة وصوت حسن ومنطق عذب وكان سبب عشق بشار لها أنه كان له مجلس يجلس فيه يقال له البردان فبينما هو في مجلسه ذات يوم وكان النساء يحضرنه اذ سمع كلام امرأة أعجبه نغمها وحسن ألفاظها فدعا بغلامه فقال اني قد علقت امرأة فاذا تكلمت فانظر من هي واعرفها فاذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها وأعلمها أني لها محب وأنشدها هذه الابيات وعرفها أني قلتها فيها

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم ✽ الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

ما كنت أول مشغوف بجارية ✽ يلقى بلقيانها روحاً وريحانا

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة ✽ والاذن تعشق قبل العين أحيانا

فأبلغها الغلام الابيات فهشت لها وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطمعه في نفسها ومما قال فيها

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها ✽ قلبي فأضحى به من حبها أثر

أنى ولم ترها تهذي فقلت لهم ✽ ان الفؤاد يرى ما لم ير البصر

أصبحت كالخاتم الحزان مجتنبا * لم يقض وردا ولا يرجى له صدر

وقال فيها أيضا وهو أجود ما قال فيها

يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا * وألف بين العشق والعاشق الصب

وجاءته يوما مع خمس نسوة قدمات لاحداهن قريب يسألنه أن يقول شعرا ينحن عليه به فوافينه في مجلسه المسمى بالبردان وكان له مجلس يجلس فيه بالغداة يسميه البردان وآخر يجلس فيه عشية يسميه الرقيق فاستأذن بالدخول عليه فأذن لهن فلما دخلن نظرن الى النبيذ مصفى في قنانيه فقالت احداهن هو خمر وقالت الاخرى هو زبيب وعسل وقالت الثالثة هو نقيع زبيب فقال لست بقائل لكن حرفا أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي فامسكن ساعة ثم قالت احداهن ما عليكن من ذلك فأقمن يومهن وأكلن من طعامه وشربن من شرابه وأخذن من شعره وبلغ ذلك الحسن البصري فعابه فبلغ بشارا كلامه وكان بشار يلقب الحسن البصري بالقس فقال

لما طلعن من الرقيـ * ـق علي بالبردان خمسا
وكأنهن أهلة * تحت الثياب زففن شمسا
باكرن طيب لطيمة * وغمسن في الجادي غمسا
فسألتهن من البيو * ت فقلت ما يحوين انسا
ليت العيون الناظرا * ت طمسن عنا اليوم طمسا
فأصبن من طرف الحديـ * ـث لذاذة وخرجن ملسا
لولا تعرضهن لي * يا قس كنت كأنت قسا

العبادية جارية المعتضد بن عباد والد المعتمد

أهداها اليه مجاهد العامري وكانت أديبة ظريفة كاتبة ذاكرة لكثير من اللغة فصيحة العبارة لطيفة الاشارة حاضرة الرواية قريبة النادرة اما المام تام بضرب من الغناء وكان يميل اليها المعتضد ميلا شديدا ويشغف بها شغفا زائدا حتى انها ألهته عن بعض أموره وكانت من توقد قريحتها وحضور بديهتها ترتجل الشعر والامثال ومن ذلك أنها كانت نائمة ذات يوم وكان المعتضد سهران فدخل عليها وهي نائمة فقال

تنام ومدنفها يسهر * وتصبر عنه ولا يصبر

فأجابته بديهة بقولها

لئن دام هذا وهذا له * سيهلك وجدا ولا يشعر

ولها غير ذلك من الاشعار والنوادر

عبيدة الطنبورية بنت صباح مولى أبي السمراء

كانت عبيدة من المحسنات المتقدمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك اسحق وحسبها بشهادته

وكان أبو حشيشة يعظمها ويعترف لها بالرياسة والاستاذية وكانت من أحسن الناس وجها وأطيبهم
صوتا وكانت لا تخلو من عشق ولم يعرف امرأة في الدنيا أعطر منها وكانت لها صنعة عجيبة منها
في الرمل

كن لي شفيعا اليكا * ان خف ذاك عليكا
وأعفني من سؤالي * سواك ما في يديكا
يامن أعز وأهوى * مالي أهون عليكا

وروى عن علي بن الهيثم اليزيدي أنه قال كان اسحق بن ابراهيم الموصلي يألفني ويدعوني ويعاشرني فجاءني يوما
الى أبي الحسن فلم يصادفه فرجع ومر بي وأنا منصرف من جناح لي فوقف وسلم علي وأخبرني بقصته وقال هل
تنشط اليوم للمسير الي فقلت له ما على الارض شئ أحب الي من ذلك ولكني أخبرك بقصتي ولا أكتمك فقال
هاتها فقلت عندي اليوم محمد بن عمرو بن مسعدة وهرون بن أحمد بن هشام وقد دعونا عبيدة الطنبورية
وهي حاضرة والساعة يجيء الرجلان فامض في حفظ الله فاني جالس معهم حتى تنتظم أمورهم وأروح
اليك فقال لي فهلا عرضت علي المقام عندك فقلت له لو علمت أن ذلك مما تنشط له والله لرغبت اليك فيه
فان تفضلت بذلك كان أعظم لمنتك فقال أفعل فاني قد كنت أشتهي أن أسمع عبيدة ولكن لي عليك شريطة
قلت هاتها قال انها ان عرفتني وسألتموني أن أغني بحضرتها لم يخف عليها أمري وانقطعت فلم تصنع شيأ
فدعوها على جبلتها فقلت أفعل ما أمرت به فنزل وردّ دابته وعرّفت صاحبيّ ما جرى فكتماها أمره
وأكلنا ما حضر وقدم الشراب فغنت لحنا لها تقول

قريب غير مقترب * ومؤتلف كمجتنب
له ودّي ولي منه * دواعي الهم والكرب
أواصله على سبب * ويهجرني بلا سبب
ويظلمني على ثقة * بأن اليه منقلبي

فطرب اسحق وشرب نصفا ثم غنت وشرب ولم يزل كذلك حتى والى بين عشرة أنصاف وشربنا معه وقام
ليصلي فقال هرون بن أحمد ويحك يا عبيدة ما تبالين والله متى مت قالت ولم ذلك قال أتدرين من هو
المستحسن غناءك والشارب عليه ما شرب قالت لا والله قال اسحق بن ابراهيم الموصلي فلا تعرفيه أنك
قد عرفته فلما جاء اسحق ابتدأت تغني فلحقتها هيبة واختلاط فنقصت نقصا تاما بينا فقال أعرفتموها من أنا
فقلنا نعم عرفها اياك هرون فقال اسحق نقوم اذا فننصرف فانه لا خير في عشرتكم الليلة ولا فائدة لي ولا لكم
ثم انصرف وكان اذا اجتمع الطنبوريون عند أبي العباس بن الرشيد يوما وفيهم المسدود وعبيدة وقيل له غن
يقول لا والله لا تقدمت عبيدة وهي الاستاذة فما أغني بحضرتها حتى تقدمت هي وكانت تكتب على
طنبورها (كل شئ سوى الخيانة في الحب يحتمل)
وكانت عبيدة بنت رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغساني نديم عبد الله بن طاهر وأبو السمراء أحد
العدة الذين وصلهم ابن طاهر في يوم واحد لكل رجل منهم مائة ألف دينار وكان الزبيدي الطنبوري
يختلف الى أبي السمراء وكان صباح صاحب أبي السمراء فكان الزبيدي اذا سار الى أبي السمراء فلم يصادفه
أقام عند صباح والد عبيدة وبات وشرب وغنى وأنس وكان لعبيدة صوت حسن وطبع جيد فسمعت غناءه

الزبيدي فوقع في قلبها واشتهت الغناء وسمع الزبيدي صوتها وعرف طبعها فعلمها وواظب عليها ومات أبوها وهي صغيرة فحذقت الغناء على الطنبور فخرجت تغني وتقنع باليسير وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدمت وكبر حظها فتزوجها علي بن الفرج الرخجي أخو عمرو وكان حسن الوجه كثير المال فولدت له بنتا فحبها ثم ماتت بنتها من علي بن الفرج وصادف ذلك نكبتهم واختلاط حال علي فطلقها فخرجت

وماتت عبيدة من نزف أصابها فأفرط حتى أتلفها وفي عبيدة يقول اسحق النديم

أمست عبيدة في الاحسان واحدة * فالله جارلها من كل محذور

من أحسن الناس وجها حين تبصرها * وأحذق الناس ان غنت بطنبور

﴿عتبة جارية الخيزران زوجة المهدي وأم الرشيد﴾

وكانت قبلها للريطة ابنة أبي العباس السفاح وكانت رقيقة ظريفة أديبة بارعة في الجمال والكمال وكان يعشقها أبو العتاهية وله فيها أشعار رقيقة ونوادر ظريفة منها أن ريطة بنت السفاح وجهت الى عبد الله بن مالك الخزاعي في شراء رقيق للعتق وأمرت جاريتها عتبة أن تحضر ذلك فانها لجالسة اذ جاءها أبو العتاهية في زي متنسك فقال جعلني الله فداك شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة فان رأيت أعزك الله شرائي وعتقي فعلت مأجورة فأقبلت على عبد الله فقالت له إني لأرى هيئة جميلة وضعفا ظاهرا ولسانا فصيحا ورجلا أديبا فاشتره وأعتقه فقال نعم فقال أبو العتاهية أتأذنين لي أصلحك الله في تقبيل يدك فأذنت له فقبل يدها وانصرف فضحك عبد الله بن مالك وقال أتدرين من هذا قالت لا قال هذا أبو العتاهية وانما احتال عليك حتى يقبل يدك

ولما كثر تشبيب أبي العتاهية بها شكت الى مولاتها الخيزران ما يلحقها من الشناعة ودخل المهدي وهي تبكي بين يدي سيدتها الخيزران فسألها عن خبرها فأخبرته فأمر باحضار أبي العتاهية فأدخل اليه فلما وقف بين يديه قال أنت القائل في عتبة

الله بيني وبين مولاتي * أبدت لي الصد والملامات

ومتى وصلتك حتى تشكو صدها اعتك قال يا أمير المؤمنين فأنا الذي أقول

يا ناق حثي بنا ولا تهني * نفسك فيما ترين راحاتي

حتى تجيئي بنا الى ملك * توجه الله بالمهابات

يقول للريح كلما عصفت * هل لك يا ريح في مباراتي

عليه تاجان فوق مفرقه * تاج جمال وتاج اخبات

قال فنكس رأسه ونكت بالقضيب ثم رفع رأسه فقال أنت القائل

ألا ما لسيدتي مالها * أدلت بأجمل إدلالها

وجارية من جواري الملو * لقد أسكن الحسن سربالها

ثم سأله عن أشياء فأفحم أبو العتاهية فأمر المهدي بجلده نحوا من حد وأخرج مجلودا فلقيته عتبة وهو على تلك الحالة فقال

بخ بخ عتبة من مثلكم * قد قتل المهدي فيكم قتيل

فتغرغرت عيناها وفاض دمعها وصادفت المهدي عند الخيزران فقال مالعتبة تبكي قالوا له رأت أبا العتاهية مجاودا وقال لها كيت وكيت فأمر له بخمسين ألف درهم ففرقها أبو العتاهية على من بالباب فكتب صاحب الخبر بذلك فوجه اليه ما حملك على ان أكرمتك بكرامة فقسمتها فقال ما كنت لآكل ثمن من أحببت فوجه اليه بخمسين ألفا أخرى وحلف عليه أن لا يفرقها فأخذها وانصرف قال المبرد أهدى أبو العتاهية الى المهدي في يوم نوروز برنية صينية فيها ثوب ممسك وعليه سطران مكتوبان بالغالية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها

إني لأيأس منها ثم يطمعني * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم أن يدفع اليه عتبة فقالت له يا أمير المؤمنين أمع حرمتي وخدمتي تدفعني الى بائع جرار يكتسب بالشعر فبعث اليه أما عتبة فلا سبيل لك اليها وقد أمرنا لك بملء البرنية مالا فخرجت عتبة وهو يناظر الكتاب ويقول انما أمر لي بدنانير وهم يقولون بدراهم فقالت أما لو كنت عاشقا لعتبة لما اشتغلت بتمييز العين من الورق وكان أبو العتاهية بائع جرار وكان أقدر الناس على وزن الكلام وكان حلو الالفاظ ومن مختار شعره في عتبة

بالله يا حلوة العينين زوريني * قبل الممات والا فاستزيريني

هذان أمران فاختاري أحبهما * اليك أولا فداعي الموت يدعوني

ان شئت موتا فأنت الدهر مالكة * روحي وان شئت أن أحيا فأحييني

اني لأعجب من حب يقربني * عمن يباعدني عنه ويقصيني

يا أهل ودي اني قد لطفت بكم * في الحب جهدي ولكن لا تبالوني

الحمد لله قد كنا نظنكم * من أرحم الناس طرا بالمساكين

أما الكثير فلا أرجوه منك ولو * أطمعتني في قليل منك يكفيني

ومن مختار شعره فيها قوله

ألا يا عتب يا قمر الرصافه * ويا ذات الملاحة والنظافه

رزقت مودتي ورزقت عطفي * ولم أرزق فديتك منك رافه

وصرت من الهوى دنفا سقيما * صريعا كالصريع من السلافه

أظل اذا رأيتك مستكينا * كأنك قد خلقت على آفه

ومات أبو العتاهية ولم ينل من عتبة أربا مع كونها كانت مغرمة به والذي منعها عن الاقتران به سفالة حسبه

﴿العجفاء المغنية﴾

كانت ذات صوت غرد ولا تغريد البلابل جبت اليها الاسماع ومالت اليها القلوب وتحدثت بحسن صناعتها الركبان في كل مكان وبلغت في زمن صباها مالم ينله غيرها من القيان وفي آخر مدتها رماها الزمان بكلكله وافتقرت وأقامت تعلم جواري الامراء صنعة الغناء وأخيرا انقطعت في دار مسلم بن يحيى مولى بني زهرة وبقيت عنده الى أن اشتراها الامير عبد الرحمن بن معوية الاموي فبقيت عنده الى أن ماتت ومن النوادر

ما قاله الارقى عن هذه الجارية قال قال لى أبو السائب هل لك فى أحسن الناس غناء قلت وأنى لى ذلك قال اتبعنى فتبعته الى أن جئنا دار مسلم بن يحيى فاذن لنا فدخلنا ثم طلعت علينا جارية عفاء كلفاء عليها ثوب أصفر وكأن وركيها فى خيط من ضعفها فقلت لابى السائب بأبى أنت ما هذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

بيد الذى شغف الفؤاد بكم * تفريج ما ألقى من الهم
فاستيقنى أن قد كلفت بكم * ثم افعلى ما شئت عن علم
قد كان صرم فى الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

قال فحسنت فى عينى وبدا ما أذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم تغنت

برح الخفاء فأى ما بك تكتم * ولسوف يظهر ما تسر فيعلم
مما تضمن من غرير قلبه * يا قلب إنك بالحسان لمغرم
ياليت أنك يا حسام بأرضنا * تلقى المراسى طائعا وتخيم
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه * ونكون اخوانا فماذا تنقم

قال فزحفت مع أبى السائب حتى فارقنا النمرقتين وربت العجفاء فى عينى كابر ابو السويق عنه مزنة ثم غنت

يا طول ليلى أعالج السقما * اذ حل كل الأحبة الحرما
ما كنت أخشى فراقكم أبدا * فاليوم أمسى فراقكم عزما

فالقيت طيلسانى وأخذت وسادة فوضعتها على رأسى وصحت كما يصاح على اللوبياء المدينة وقام أبو السائب فتناول ربعة فى البيت فيها قوارير دهن فوضعها على رأسه وصاح صاحب الجارية وكان ألثغ قوانيني يعنى قواريرى فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على رأس أبى السائب وصدره وقال لقد شفاء لقد هجت لى داء قديما ثم وضع الربعة عن رأسه وعوضناه القوارير الى صاحب الجارية وذهبنا وكنا نختلف الى العجفاء حتى اشتراها عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس فانقطع عنا خبرها

﴿العروضية﴾

مولاة أبى المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب سكنت بلنسية وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة ولكنها فاقته فى ذلك وبرعت فى العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالى وتشرحهما وقد قرأ عليها أبو داود سليمن الكاتبين المذكورين وأخذ عنها العروض توفيت بدانية بعد سيدها فى عشر الخمسين والاربعمائة وقد تركت لها ذكرا جميلا وذكرا طويلا تتحدث به الاجيال من بعدها رحمها الله تعالى

﴿عريب﴾

كانت مغنية محسنة وشاعرة صالحة الشعر وكانت مليحة الخط والمذهب فى الكلام ونهاية فى الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب واتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والاوتار والرواية للشعر والادب لم يتعلق بها أحد من نظرائها ولا رؤى فى النساء بعد القيان الحجازيات القديمات مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن على قلة عددهن نظيرها وكانت فيها من الفضائل التى وصفناها ما ليس لهن مما يكون لمثلها من جوارى الخلفاء ومن نشأ فى قصور الخلافة وغذى برقيق العيش الذى لا يدانيه

عيش الحجاز والنشء بين العامة والعرب الجفاة ومن غلظ طبعه وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته الى غيره وكانت عريب لعبد الله بن اسمعيل صاحب مراكب الرشيد وهو الذى رباها وأدبها وعلمها الغناء ونقل صاحب الاغانى من حديث اسمعيل بن الحسين خال المعتصم أنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكى وأن البرامكة لما انتهبوا اسرقت وهى صغيرة وقيل ان أم عريب كانت تسمى فاطمة وكانت قيمة لام عبد الله ابن يحيى بن خالد وكانت صبية نظيفة فرآها جعفر بن يحيى فهويها وسأل أم عبد الله أن تزوجه بها ففعلت وبلغ الخبر يحيى بن خالد فأنكره وقال له أتتزوج من لا يعرف لها أم ولا أب اشتر مكانها مائة جارية وأخرجها فأخرجها الى دار فى ناحية باب الانبار سرا من أبيه ووكل بها من يحفظها وكان يتردد اليها فولدت عريبا فى سنة احدى وثمانين ومائة فكانت سنوها الى أن ماتت ستا وتسعين سنة وقيل ان أم عريب ماتت فى حياة جعفر فدفعها الى امرأة نصرانية وجعلها داية لها فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعتها من سنبس فباعها من المراكبى وقيل ان الفضل بن مروان كان يقول كنت اذا نظرت الى قدمى عريب شبهتهما بقدمى جعفر بن يحيى قال وسمعت من يحكى أن بلاغتها فى كتبها ذكرت لبعض الكتاب فقال وما يمنعها من ذلك وهى بنت جعفر بن يحيى وروى أبو الفرج الاصبهانى عن محمد بن خلف أنه قال قال لى أبى ما رأيت امرأة أضرب من عريب ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجها ولا أخف روحا ولا أحسن خطابا ولا أسرع جوابا ولا ألعب بالشطرنج والنرد ولا أجمع لخصلة حسنة لم أر مثلها فى امرأة غيرها قال حماد فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم فى حياة أبى فقال صدق أبو محمد كذلك قلت أفسمعتها قال نعم هناك يعنى فى دار المأمون قلت أفكانت كما ذكر أبو محمد فى الحذق فقال يحيى هذه مسئلة الجواب فيها على أبيك فهو أعلم منى بها فأخبرت بذلك أبى فضحك ثم قال أما استحييت من قاضى القضاة أن تسأله عن مثل هذا

وأخبر على بن يحيى أنه كان لاسحق صناجة وكان معجبا بها واشتهاها المعتصم فى خلافة المأمون فبينما هو ذات يوم فى منزله اذ أتاه انسان يدق الباب دقا شديدا قال فقلت انظروا من هذا فقالوا رسول أمير المؤمنين فقلت ذهبت صناجتى تجده ذكرها لهذا فبعث الى فيها فلما مضى بى الرسول انتهيت الى الباب وأنا مستحن فدخلت فسلمت فرد على السلام ونظر الى تغير وجهى فقال لى اسكن فسكنت فقال لى عن صوت وقال أتدرى لمن هو فقلت أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين ان شاء الله بذلك فأمر جارية من وراء الستارة فغنته وضربت فاذا قد شبهته بالقديم فقلت زدنى معها عودا آخر فانه أثبت لى فزادنى عودا آخر فقلت هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة قال من أين قلت ذلك قلت لما سمعت لينه عرفت أنه محدث من غناء النساء ولما رأيت جودة مقاطعه علمت أن صاحبته قد حفظت مقاطعه وأجزاءه ثم طلبت عودا آخر فلم أشك فقال صدقت الغناء لعريب وقال يحيى بن على أمرنى المعتمد على الله أن أجمع غناءها الذى صنعته فأخذت منها دفاترها وصحفها التى كانت قد جمعت فيها غناءها فكتبته فكان ألف صوت وسأل ابن خرداذبه عريب عن صنعتها فقالت قد بلغت الى هذا الوقت ألف صوت ونقل الاصبهانى عن محمد بن القاسم أنه جمع غناءها من ديوانى ابن المعتز وأبى العبيس بن حمدون وما أخذه عن بدعة جاريتها فقابل بعضه ببعض فكان ألفا ومائة وخمسا وعشرين صوتا

ودخل ابن هشام على المعتز وهو يشرب وعريب تغنى فقال له يا ابن هشام غن فقال تبت عن الغناء مذ قتل سيدى المتوكل فقالت له عريب قد والله أحسنت حيث تبت فان غناءك كان قليل المعنى لا متقن ولا صحيح

ولا طريب فأضحكت أهل المجلس جميعا منه فخجل فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها ويعيب صنعتها ويقول هي ألف صوت في العدد وصوت واحد في المعنى وهي مثل قول أبي دلف في خالد بن يزيد حيث يقول

يا عين بكي خالدا * ألفا ويدعى واحــدا

قال الاصبهاني وليس الامر كما قال انها الصنعة شبهت فيها بصنعة الاوائل وجوّدت وبرّزت * منها * أأن سكنت نفسي وقل عويلها * ومنها * يقول همي يوم ودّعتها * ومنها * اذا أردت انتصافا كان ناصركم * وعدّد لها جملة أصوات في الاغاني لا لزوم لذكرها هنا وقيل ان مولى عريب خرج الى البصرة وأدبها وخرجها وعلمها الخط والنحو والشعر والغناء فبرعت في ذلك كله وتزايدت حتى قالت الشعر وكان لمولاها صديق يقال له حاتم بن عدي من قوّاد خراسان وقيل انه كان يكتب لعجيف على ديوان الفرض فكان مولاها يدعوه كثيرا ويخالطه ثم ركبه دين فاستتر عنده فمدّ عينه الى عريب فكاتبها فأجابته وكانت المواصلة بينهما وعشقته عريب فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلما من عقب وقيل من خيوط غلاظ وسترته حتى اذا همت بالهرب اليه بعد انتقاله عن منزل مولاها عمدت وقد أعدّ لها موضعا لفت ثيابها وجعلتها في فراشها بالليل ودثرتها بدثارها ثم تسوّرت من الحائط حتى هربت فمضت اليه فمكثت عنده زمانا وقيل انها لما صارت عنده بعث الى مولاها يستعير منه عودا تغنيه به فأعاره عودها وهو لا يعلم أنها عنده ولا يتهمه بشيء من أمرها فقال عيسى بن عبد الله بن اسمعيل المراكبي وهو عيسى بن زينب يهجوا أباه ويعيره بها وكان كثيرا ما يهجوه

قاتل الله عريبا * فعلت فعلا عجيبا

ركبت والليل داج * مركبا صعبا مهوبا

فارتقت متصلا بالنـ * ـجم أو منه قريبا

صبرت حتى اذا ما * أقصد النوم الرقيبا

مثلت بين حشايا * ها لكي لا تستريبا

خلفا منها اذا نو * دي لم يلف مجيبا

ومضت يحملها الخو * ف قضيبا وكثيبا

محة لو حركت خفـ * ـت عليها أن تذوبا

فتسدلت لحب * فتلقاها حبيبا

جذلا قد نال في الدنـ * ـيا من الدنيا نصيبا

أيها الظبي الذي تسـ * ـحر عيناه القلوبا

والذي يأكل بعضا * بعضه حسنا وطيبا

كنت نهبا لذئاب * فلقد أطعمت ذيبا

وكذا الشاة اذا لم * يك راعيها لبيبا

لا يبالي وبأ المر * عى اذا كان خصيبا

فلقد أصبح عبد الـ * ـله كشخانا حريبا

قد لعمري لطم الوجـ * ـه وقد شق الجيوبا

وجرت منه دموع * بلت الشعر الخضيبا

وأخبر بعضهم أنه املته بعد ذلك فهربت منه فكانت تغني عند أقوام عرفتهم يغناء متسترة مختفية فلما كان يوم من الايام اجتاز ابن أخ للمراكبي ببستان كانت فيه مع قوم تغني تسمع غناءها فعرفه فبعث الى عمه من وقته وأقام هو بمكانه فلم يبرح حتى جاء عمه فقلبها وأخذها فضربها مائة مقرعة وهي تصيح يا هذا أنا لست أصبر عليك امرأة حرة ان كنت مملوكة فبعني لست أصبر على الضيقة فلما كان من غد ندم على فعله وصار اليها فقبل رأسها ورجلها ووهب لها عشرة آلاف درهم ثم بلغ محمدا الامين خبرها فأخذها منه قال وكان خبرها سقط الى محمد في حياة أبيه فطلبها منه فلم يجبه الى ما سأل وقبل ذلك كان طلب منه خادما عنده فاضطغن لذلك عليه فلما ولي الخلافة جاء المراكبي ليقبل يده فأمر بمنعه ودفعه ففعل ذلك الشاكري فضربه المراكبي وقال له أتمنعني من يد سيدي أن أقبلها فجاء الشاكري لما نزل محمد فشكاه فدعا محمد بالمراكبي وأمر بضرب عنقه فسأل في أمره فأعفاه وحبسه وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكراع وبعث فأخذ عريب من منزله مع خدم كانوا له فلما قتل محمد هربت الى المراكبي فكانت عنده قال وأنشدني بعض أصحابنا لحاتم بن عدي الذي كانت عنده لما هربت اليه ثم ملته فهربت منه وهي أبيات هذان منها

ورشوا على وجهي من الماء واندبوا * قتيل عريب لا قتيل حروب

فليتك إذ عجلتني فقتلتني * تكونين من بعد الممات نصيبي

وقد ذكر بعضهم رواية تخالف هذه وهي أنها هربت من دار مولاها المراكبي الى محمد بن حامد الخاقاني المعروف بالخشن أحد قواد خراسان قال وكان أشقر أصهب الشعر أزرق وفيه تقول عريب ولها فيه هزج ورمل من روايتي الهشامي وأبي العباس

بأبي كل أزرق * أصهب اللون أشقر * جن قلبي به وليـ * ـس جنوني بمنكر

وقيل ان ابن المدبر قال خرجت مع المأمون الى أرض الروم أطلب ما يطلبه الاحداث من الرزق فكنا نسير مع العسكر فلما خرجنا من الرقة رأينا جماعة من الحرم في العماريات على الجمازات وكنا رفقة وكنا أترابا فقال لي أحدهم على بعض هذه الجمازات عريب فقلت من يراهنني أمر في جنبات هذه العماريات وأنشد أبيات عيسى بن زينب

قاتل الله عريبا * فعلت فعلا عجيبا

فراهنني بعضهم وعدل الرهان وسرت الى جانبها فأنشدت الابيات رافعا صوتي بها حتى أتممتها فاذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت يا فتى أنسيت أجود الشعر وأطيبه أنسيت قوله

وعريب رطبة الشفـ * ـرين قد نيكت ضروبا

اذهب فخذ ما بالغت فيه ثم ألقت السجف فعلمت أنها عريب وبادرت الى أصحابي خوفا من مكروه يلحقني من الخدم

وقال عمر بن شبة كانت للمراكبي جارية يقال لها مظلومة جميلة الوجه بارعة الحسن فكان يبعث بها مع عريب الى الحمام أو الى من تزوره من أهله ومعارفه فكانت ربما دخلت معها الى ابن حامد الذي كانت تميل اليه فقال فيها بعض الشعراء

لقد

لقد ظلموك يا مظلوم لما * أقاموك الرقيب على عريب
ولو أولوك انصافا وعدلا * لما أخلوك أنت من الرقيب
أتنهى المريب عن المعاصى * فكيف وأنت من شأن المريب
وكيف يجانب الجانى ذنوبا * لديك وأنت جالبة الذنوب
فان يسترقبوك على عريب * فما رقبوك أنت من القلوب

وأخبر بعضهم أنه لما نمى خبر عريب الى محمد الامين بعث فى إحضارها واحضار مولاها فأحضرا وغنت بحضرة ابراهيم بن المهدى تقول

لكل أناس جوهر متنافس * وأنت طراز الآنسات الملائح

فطرب محمد واستعاد الصوت مرارا وقال لابراهيم يا عم كيف سمعت قال يا سيدى سمعت حسنا وان تطاولت بها الايام وسكن روعها ازداد غناؤها حسنا فقال الفضل بن الربيع خذها اليك وساوم بها ففعل فاشتط مولاها فى السوم ثم أوجبها له بمائة ألف دينار وانتقض أمر محمد وشغل عنها فلم يأمر لمولاها بثمنها حتى قتل بعد أن افتضها فرجعت الى مولاها ثم هربت منه الى حاتم بن عدى وقيل انها هربت من مولاها الى ابن حامد فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد فتظلم اليه المراكبى من محمد بن حامد فأمر باحضاره فأحضر فسأله عنها فأنكر فقال له المأمون كذبت قد سقط الى خبرك وأمر صاحب الشرطة أن يجرده فى مجلس الشرطة ويضع عليه السياط حتى يردها فأخذ وبلغها الخبر فركبت حمار مكار وجاءت وقد جرد ليضرب وهى مكشوفة الوجه وهى تصيح أنا عريب ان كنت مملوكة فليبعنى وان كنت حرة فلا سبيل له على فرفع خبرها الى المأمون فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضى فعدلت عنده وتقدم اليه المراكبى مطالبا بها فسأله البينة على ملكه اياها فعاد متظلما الى المأمون وقال قد طولبت بما لم يطالب به أحد فى رقيق ولا يوجد مثله فى يد من ابتاع عبدا أو أمة وتظلمت اليه زبيدة وقالت من أغلظ ما جرى على بعد قتل محمد ابنى هجوم المراكبى على دارى وأخذه عريب منها فقال المراكبى انى أخذت ملكى لانه لم يتقد فى الثمن فأمر المأمون بدفعها الى محمد بن عمر الواقدى وكان قد ولاه القضاء بالجانب الشرقى فأخذها من قتيبة بن زياد فأمر ببيعها ساذجة فاشتراها المأمون بخمسة آلاف درهم فذهبت به كل مذهب ميلا اليها ومحبة لها وقيل انه لما مات المأمون بيعت فى ميراثه ولم يبع له عبد ولا أمة غيرها فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم ثم أعتقها فهى مولاته وذكر بعضهم أنها لما هربت من دار محمد لما قتل تدلت من قصر الخلد بحبل الى الطريق وهربت الى حاتم بن عدى وقيل ان المأمون اشتراها بخمسة آلاف دينار ودعا بعبد الله بن اسمعيل فدفعها اليه وقال لولا أنى حلفت أن لا أشترى مملوكا بأكثر من هذا لزدتك ولكنى سأوليك عملا تكسب فيه أضعافا لهذا الثمن مضاعفة ورمى اليه بخاتمين من ياقوت أحمر قيمتهما ألفا دينار وخلع عليه خلعة سنية فقال يا سيدى انما ينتفع الاحياء بمثل هذا وأما أنا فانى ميت لا محالة لان هذه الجارية كانت حياتى وخرج عن حضرته فاختلط وتغير عقله ومات بعد أربعين يوما

وقيل ان ابرهيم بن رباح كان يتولى نفقات المأمون فوصف له اسحق بن ابراهيم الموصلى عريب فأمره أن يشتريها فاشتراها بمائة ألف درهم قال فأمرنى المأمون بحملها وان أحمل لاسحق مائة ألف درهم أخرى ففعلت ذلك ولم أدر كيف أثبتها فحكيت فى الديوان أن المائة الف خرجت فى ثمن جوهرة والمائة الف

الاخرى أخرجت لصانعها ودلالها فجاء الفضل بن مروان الى المأمون وقد رأى ذلك فأنكره وسألني عنه فقلت نعم هو ما رأيت فسأل المأمون عن ذلك وقال أوجب للدلال وصانع مائة ألف درهم وغلط القصة فأنكرها المأمون فدعاني ودنوت اليه وأخبرته المال الذى خرج فى ثمن عريب وصلة لها وقلت أيما أصوب يا أمير المؤمنين ما فعلت أو أثبت فى الديوان أنها خرجت فى صلة مغن وثمن مغنية فضحك المأمون وقال الذى فعلت أصوب ثم قال للفضل بن مروان يا نبطى لا تعترض على كاتبي هذا فى شئ وقيل ان عريب لما صارت فى دار المأمون احتالت حتى واصلت محمد بن حامد وكانت عشقته وكاتبته ثم احتالت فى الخروج اليه وكانت تلقاه فى الوقت بعد الوقت حتى حبلت منه وولدت بنتا وبلغ ذلك المأمون فزوجه اياها وأخبر بعضهم انه لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بالباسها جبة صوف وختم زيقها وحبسها فى كنيف مظلم شهرا لا ترى الضوء يدخل اليها خبز وملح وماء من تحت الباب فى كل يوم ثم ذكرها فرق لها وأمر باخراجها فلما فتح الباب وأخرجت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغنى

لو كان يقدر أن يشك ما به * رأيت أحسن عاتب يتعتب

يجوه عن بصرى فتل تخصه * فى القلب فهو محجب لا يحجب

فبلغ ذلك المأمون فعجب منها وقال لن تصلح هذه أبدا فزوجها اياه

وذكر صاحب الاغانى أن المأمون اصطبح يوما ومعه ندماؤه وفيهم محمد بن حامد وجماعة المغنين وعريب معه على مصلاه فأومأ محمد بن حامد اليها بقبلة فاندفعت تغنى ابتداء

رمى ضرع ناب فاستمرت بطعنة * كحاشية البرد اليمانى المسهم

تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له طعنة فقال لها المأمون أمسكى فأمسكت ثم أقبل على الندماء فقال من فيكم أومأ الى عريب بقبلة والله لئن لم يصدقنى لأضربن عنقه فقام محمد بن حامد فقال أنا يا أمير المؤمنين أومأت اليها والعفو أقرب للتقوى فقال قد عفوت فقال كيف استدل أمير المؤمنين على ذلك قال ابتدأت صوتا وهى لا تغنى ابتداء الا لمعنى فعلمت أنها لم تبتدئ بهذا الصوت الا لشئ أومئ به اليها ولم يكن من شرط هذا الموضع الا ايماء بقبلة فعلمت انها أجابت بطعنة ومن شعرها فى محمد بن حامد

ويلى عليك ومنكا * أوقعت فى الحق شكا

زعمت أنى خؤون * جورا علىّ وافكا

فأبدل الله ما بى * من ذلة الحب نسكا

وأخبر بعضهم أنها كانت تعشق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيره أنها ما عشقت أحدا من بنى هاشم وأصفته المحبة من الخلفاء وأولادهم سواه وكانت لا تضرب المثل الا بحسن وجه أبى عيسى وحسن غنائه وروى أن عريب كانت تتعشق صالحا المنذرى الخادم وتزوجته سرا فوجه به المتوكل الى مكان بعيد فى حاجة له فقالت

أما الحبيب فقد مضى * بالرغم عنى لا الرضا

أخطأت فى تركى لمن * لم ألق منه معوضا

قال فغنته يوما بين يدى المتوكل فاستعاده مرارا وشرب عليه يوما

ودخلت عليها احدى جوارى المتوكل فقالت لها تعالى الى تجاءت فقالت قبلى هذا الموضع منى فانك

تقيد بن ريح الجنة وأومأت الى صدغها فقعات ثم سألتها عن السبب فى ذلك قالت قبلنى صالح المنذرى فى هذا الموضع

وقال عبد الله بن حمدون ان عريب زارت محمد بن حامد ذات يوم وجلسا جميعا للنادمة فجعل يشرقه اليها ويعاتبها على بعض أشياء فعلتها و يقول لها فعلت كذا وكذا فالتفتت اليه وقالت يا هذا أرأيت مثل ما نحن فيه ثم أقبلت عليه وقالت يا عاجز دعنا الآن فى انشراحنا واذا كان الغد فاكتب لى بعتابك ودع الفضول فقد قال الشاعر

دعى عد الذنوب اذا التقينا * تعالى لا أعد ولا تعدى

وقال اسحق بن كنداجين كانت عريب تولع بى وأنا حديث السن فقالت لى يوما يا اسحق قد بلغنى أن عندك دعوة فابعث الى نصيبى منها قال فاستأنفت طعاما كثيرا وأرسلت اليها منه شيأ كثيرا فأقبل رسولى من عندها مسرعا فقال لى لما بلغت الى بابها وعرفت خبرى أمرت بالطعام فأنهب وقد وجهت اليك برسول معى وها هو فى الباب فلما سمعت ذلك تحيرت وظننت أنها قد استقصرت فعلى فدخل الخادم ومعه شئ مشدود فى منديل ورقعة فقرأت الرقعة فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم يا عجمى يا غبى أظننت أنى من الاتراك وحشو الجند فبعثت الى بخبز ولحم وحلواء الله المستعان عليك يا فدتك نفسى قد وجهت اليك زلة من حضرتى فتعلم ذلك من الاخلاق ونحوها من الافعال ولا تستعمل أخلاق العامة فى الظرف فيزداد العيب والعتب عليك ان شاء الله فكشفت المنديل فاذا فيه طبق ومكبة من ذهب منسوج على عمل الخلافة وفيه زبدية فيها الفتان من رقاق وقد عصبت طرفيهما وفيهما قطعتان من صدر دراج مشوى وبقل وطلع وملح ثم انصرف رسولها وعن علوية قال أمرنى المأمون أنا وسائر المغنين فى ليلة من الليالى أن نصير اليه بكرة ليصطبح فغدونا ولقينى المراكبى مولى عريب فى الطريق وهى يومئذ عنده فقال لى يا أيها الرجل الظالم المعتدى أما ترق وترحم وتستحى عريب هائمة بك وتحب أن تراك قال علوية أم الخلافة زانية ان تركت عريب بها ومضيت معه فحين دخلت قلت له استوثق من الباب فانى أعرف خلق الله بفضول البوابين والحجاب فدخلت واذا عريب جالسة على كرسى تطبخ بين يديها ثلاث قدور فجلسنا وأحضر الطعام فأكلنا ودعونا بالنبيذ فجلسنا نشرب ثم قالت يا أبا الحسن صنعت البارحة صوتا فى شعر لابى العتاهية فقلت وما هو فقالت

عذيرى من الانسان لا ان جفوته * صفا لى ولا ان كنت طوع يديه

وانى لمشتاق الى قرب صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

وقالت لى قد بقى فيه شئ فلم نزل نكرره ونردده أنا وهى حتى استوى ثم جاء حجاب المأمون فكسروا باب المراكبى واستخرجونى فدخلت على المأمون فلما رأيته أقبلت أمشى اليه برقص وتصفيق وأنا أغنى الصوت فسمع هو ومن عنده ما لم يسمعوه واستظرفوه وطربوا منه جدا وسألنى فأخبرته الخبر فقال لى ادن منى ورده فرددته سبع مرات فقال لى فى آخر مرة يا علوية خذ الخلافة وأعطنى هذا الصاحب

قال القاسم بن زرزور حدثتنى عريب قالت كنت فى أيام محمد ابنة أربع عشرة سنة وكنت أصوغ الغناء وأنا فى ذلك السن قال القاسم وكانت عريب تكايد الواثق فيما يصوغه من الالحان وتصوغ فى ذلك الشعر بعينه لحنا فيكون أجود من لحنه فى ذلك

لم آت عامدة ذنبا اليك بلى * أقر بالذنب فاعف اليوم عن زللي

فالصفح من سيد أولى لعتذر * وقاك ربك يوم الخوف والوجل

فكان لحنها فيه خفيف ثقيل ولحن الواثق رمل ولحنها أجود من لحنه والثاني وهو

أشكو الى الله ما ألقى من الكمد * حسبي بربي ولا أشكو الى أحد

أين الزمام الذي قد كنت ناعمة * في ظله بدنوي منك يا سندي

وأسأل الله يوما منك يفرحني * فقد كحلت جفون العين بالسهد

فكان لحنها ولحن الواثق فيه من الثقيل الاول ولحنها أجود من لحنه

قال ابن المعتز وكان سبب انحراف الواثق عنها كيادها اياه وسبب انحراف المعتصم عنها أنه وجد لها كتابا الى العباس بن المأمون في بلاد الروم مضمونه اقتل أنت العلج حتى أقتل أنا الاعور الليلي هاهنا تعني الواثق وكان يسهر الليل وكان المعتصم استخلفه ببغداد

وقال صالح بن علي بن الرشيد حادي خالي أبو علي مع المأمون في صوت فقال المأمون أين عريب فجاءت وهي محمومة فسألها عن الصوت فولت لتجيء بعودة فقال لها غنيه بغير عود فاعتمدت على الحائط لعدم قوتها على مفعول الحمى وغنت فأقبلت عقرب فرأيتها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثا فما نحت يدها ولا سكنت حتى أفرغت الصوت ثم سقطت وقد غشي عليها فاقيمت من حضرة المأمون وهو لا يكاد أن يملك نفسه أسفا وقرقا عليها وقيل ان المأمون كان يحبها الحب المفرط حتى انه كان يقبل قدميها ويمرغ عليها الخدود اذا رأى منها انحرافا عنه في شيء ما وقال أبو العباس بن الفرات قالت لي تحفة جارية عريب كانت عريب تجد في رأسها بردا فكانت تغلف شعرها فكان الغسلة بستين مثقالا مسكا وعنبرا وتغسله من الجمعة الى الجمعة فاذا غسلته أعادته كما كان وتقسم الجواري غسالة رأسها بالقوارير وما تسرحه منه بالميزان

وروي عن علي بن يحيى أنه قال دخلت يوما على عريب مسلما عليها فلما جلست هطلت السماء بالامطار فقالت أقم عندي اليوم حتى أغنيك أنا وجواري وابعث الى من أحببت من اخوانك قال فامرت بدوابي فردت وجلسنا نتحدث فسألتني عن خبرنا بالامس في مجلس الخليفة ومن كان يغنينا وأي شيء استحسنا من الغناء فأخبرتها ان صوت الخليفة كان لحنا صنعه بنان فقالت وما هو فأخبرتها انه في هذه الابيات

تجافى ثم تنطبق * جفون حشوها الارق

وذي كلف بكى جزعا * وسفر القوم منطلق

به قلق يململه * وكان وما به قلق

جوانحه على خطر * بنار الشوق تحترق

قال فوجهت رسولا الى بنان فحضر من وقته وقد بلته السماء فأمرت بخلع ملابسه وألبسته ملابس فاخرة وقدم له طعام فأكل وجلس يشرب معنا وسألته عن الصوت فغناه مرارا فأخذت دواة وقرطاسا وكتبت

أجاب الوابل الغدق * وصاح النرجس الغرق

وقد غنى بنان لنا * جفون حشوها الارق

فهات الكاس مترعة * كأن حبابها حدق

قال علي بن يحيى فلم يبق يومئذ الاعلى هذه الابيات

وقال الفضل بن العباس بن المأمون زارتنى عريب يوما ومعها عدة من جواريها فوافتنا ونحن فى شرابنا فحادثناساعة وسألتها أن تقيم عندنا باقى يومها فأبت وقالت قد دعانى جماعة من اخوانى من أهل الادب والظرف وهم مجتمعون فى جزيرة المؤيد فيهم ابراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحيى بن عيسى وقد عزمت على المسير اليهم قال فحلفت عليها بالاقامة عندنا فأقامت ودعت بدواة وقرطاس فكتبت بعد البسملة فى سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة وهى أردت لولا لعلى وأرسلتها فأخذها ابن المدبر وكتب تحت كل حرف هكذا ليت ماذا أرجو ووجه بالرقعة فلما رأتها صفقت وقالت أأترك هؤلاء وأقعد عندكم لا والله اذا تركنى الله من يديه ولكنى أخلف عندكم بعض جوارى يكفيكم وأقوم اليهم ففعلت وأخذت معها بعض جواريها وتركت بعضهن وانصرفت وعتب المأمون يوما على عريب فهجرها أياما ثم اعتلت فعادها فقال لها كيف وجدت طعم الهجر فقالت يا أمير المؤمنين لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل ومن ذم بدء الغضب حمد عاقبة الرضا قال فخرج المأمون الى جلسائه فحدثهم بالقصة تماما ثم قال أترى لو كان هذا من كلام النظام ألم يكن كبيرا

وقال أحمد بن أبى دواد جرى بين عريب والمأمون فكلمها المأمون فى شئ غضبت منه فهجرته أياما قال أحمد بن أبى دواد فدخلت يوما فقال يا أحمد اقض بيننا بالصلح فلما كلمتها فى ذلك قالت لا حاجة لى فى قضائه ودخوله فيما بيننا وأنشأت تقول

وتخلط الهجر بالوصال ولا ٭ يدخل فى الصلح بيننا أحد

فلما سمع المأمون ذلك دخل اليها بالصلح واصطلحا ٭ قال حمدون كنت حاضرا فى مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الاخيرة فى ليلة ظلماء ذات رعود وبروق فقال لى اركب الساعة فرس النوبة وسر الى عسكر أبى اسحق يعنى المعتصم فأد اليه رسالتى قال فركبت ومضيت وبينما أنا فى الطريق اذ سمعت وقع حافر دابة فرهبت من ذلك وجعلت أتوقاه حتى صك ركابى فى ركاب تلك الدابة وبرقت بارقة فتأملت وجه الراكب واذا هى عريب فقلت عريب قالت نعم أنت حمدون قلت نعم من أين أتيت فى هذا الوقت قالت من عند محمد بن حامد قلت وما صنعت عنده قالت عجبت من سؤالك هذا أترى أن عريب تخرج من مضرب الخليفة فى مثل هذا الوقت لتزور محمد بن حامد وتقول لها ماذا كنت تصنعين عنده خرجت لاصلى معه التراويح أو لادرس عليه شيأ من الفقه يا أحمق خرجت لازوره حبيبى كما يتزاور المحبون وما يفعلون من عتاب وصلح وغضب ورضا وشكوى غرام وبث أشواق وما أشبهه فأخجلتنى وغالطتنى ثم رجعت الى المأمون بعد أداء الرسالة وأخذنا فى الحديث وتناشدنا الاشعار وهممت والله أن أخبره خبرها ثم رهبته فقلت أقدم قبل ذلك تعريضا بشئ من الشعر فأنشده

ألا حى اطلالا لواسعة الحبل ٭ ألوف تسوى صالح القوم بالرذل
فلو أن من أمسى بجانب تلعة ٭ الى جبلى طى لساقطة الحبل
جلوس الى أن يقصر الظل عندها ٭ لراحوا وكل القوم منها على وصل

قال فقال لى المأمون اخفض صوتك لئلا تسمعك عريب فتغضب وتظن أنا فى حديثها فلما سمعت ذلك أمسكت عما أردت أن أخبره به واختار الله لى السلامة

وقال اليزيدى خرجنا مع المأمون الى بلاد الروم فرأيت عريب فى هودج فلما رأتنى قالت يا يزيدى أنشدنى شعرا قلته حتى أصنع فيه لحنا فأنشدتها

ماذا بقلبي من دوام الخفق * اذا رأيت لمعان البرق

من قبل الاردن أو دمشق * لان من أهوى بذاك الافق

قال فتنفست تنفسا ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه فقلت لها هذا والله تنفس عاشق فقالت اسكت يا عاجز أنا أعشق بل أنا معشوقة في كل ناد والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس فادعاها من أهل المجلس عشرون رئيسا ظريفا قال أحمد بن حمدون وقع بين عريب وبين محمد بن حامد خصام وكان يجد بها وجدا مفرطا فكادا يخرجان من شرهما الى القطيعة وكان في قلبها منه كالها عنده من الحب فلقيته يوما فقالت له كيف قلبك يا محمد قال أشقى والله مما كان وأشد لوعة فقالت استبدل بديلا فقال لها لو كانت البلوى باختيار لفعلت فقالت لقد طال اذا تعبك فقال وما يكون أصبر مكرها أما سمعت قول العباس بن الاحنف

تعب يكون مع الرجاء بذى الهوى * خير له من راحة في الياس

لولا كرامتكم لما عاتبتكم * ولكنتم عندى كبعض الناس

فلما سمعت ذلك ذرفت عيناها واعتذرت وعاتبته واصطلحا وعادا الى ما كانا عليه من صدق المودة وحسن المعاشرة

وقال ابن المراكبي قالت لى عريب حج بي أبولد وكنت في طريق أطلب الاعراب فأستنشدهم الاشعار وأكتب عنهم النوادر وجميع ما أسمعه منهم فوقف علينا شيخ من الاعراب يسأل فاستنشدته فأنشدني

يا عز هل لك في شيخ فتى أبدا * وقد يكون شباب غير فتيان

فاستحسنته ولم أكن سمعته قبل ذلك فقلت فأنشدني باقي الشعر فقال لي هو يتيم فاستحسنت قوله وبرته وحفظت البيت وغنيت فيه صوتا من الثقيل الاول ومولاى لا يعلم بذلك لانه كان ضمقا فلما كان في ذلك اليوم عشيا قال لي ما كان أحسن ذلك البيت الذى أنشدك اياه الاعرابي وقال لك انه يتيم أنشدنيه ان كنت حفظتيه فأنشدته وأعلمته أني غنيت به ثم غنيته له فوهب لي ألف درهم بهذا السبب وفرح بالصوت فرحا شديدا وقال ميمون بن هرون انه كان في مجلس جعفر بن المأمون وعندهم أبو عيسى وعلى ابن يحيي وبدعة جارية عريب وتحفة وهما تغنيان الصوت فذكر على بن يحيى أن الصوت لغير عريب وذكرتا انها لا تدعيه وكابر في ذلك فقام جعفر بن المأمون فكتب رقعة الى عريب ونحن لا نعلم يسألها عن أمر الصوت وأن تكتب اليه بالقصة فكتبت اليه بخطها بعد البسملة

هنيأ لأرباب البيوت بيوتهم * وللعزب المسكين ما يتلمس

أنا المسكين وحيدة فريدة بغير مؤنس وأنتم فيما أنتم فيه وقد أخذتم أنسي ومن كان يلهيني (تعني بذلك جاريتها تحفة وبدعة) فأنتم في القصف والعزف وأنا في خلاف ذلك هنأكم الله وأبقاكم وسألت مد الله في عمرك عما اعترض فيه فلان في هذا الصوت والقصة فيه ما هو كذا وذكرت القصة بتمامها مع الاعرابي ولما وصل الجواب الى جعفر بن المأمون قرأه وضحك ثم رمى به الى أبي عيسى وقال اقرأ وكان على بن يحيي الى جانبي فأراد أن يستلب الرقعة فمنعته وقت الى ناحية وقرأتها فانكر ذلك وقال ما هذا فوارينا الامر عنه لئلا تقع عربدة وكان مبغضا لها

وقال أحمد بن الفرات عن أبيه انه قال كنا يوما عند جعفر بن المأمون نشرب وعريب حاضرة اذ غنى بعض من كان هنالك

يابدر انك قد كسيت مشابها * من وجه ذاك المستنير اللائح
وأراك تمصح بالمحاق وحسنها * باق على الايام ليس ببارح

فضحكت عريب وصفقت وقالت ما على وجه الارض أحد يعرف هذا الصوت غيرى فلم يقدر أحد من القوم على مسألتها عنه غيرى فسألتها فقالت أنا أخبركم بقصته ولولا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم بها وهو أن أبا محلم وفد بغداد فنزل بقرب دار صالح المسكين فى خان هناك فاطلعت أم محمد ابنة صالح يوما فأعجبها جماله ورقته فولعت به وأحبته حبا مفرطا وأرادت التوصل اليه فجعلت لذلك علة بان وجهت اليه تقترض منه مالا وتعلمه أنها فى احتياج وأنها بعد مدة تردّه اليه فبعث اليها بعشرة آلاف درهم وحلف انه لو ملك غيرها لبعث بها اليها فاستحسنت ذلك منه واتصلت المودة بينهما وكان القرض سببا للوصلة فكان يدخل الى منزلها ليلا وكنت أنا أغنى لهم فشربنا ليلة فى القمر وجعل أبو محلم ينظر اليه ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب

يابدر انك قد كسيت مشابها * من وجه أم محمد ابنة صالح

والبيت الآخر وقال لى غنى فيه ففعلت واستحسناه وشربنا عليه فقالت أم محمد فى آخر المجلس يا أخى قد نبلت فى هذا الشعر الا انه سيبقى علىّ فضيحة الى آخر الدهر فقال أبو محلم وأنا أغيره فجعل مكان أم محمد ابنة صالح ذاك المستنير اللائح وغنيته كما غيره وأخذه الناس عنى ولو كانت أم محمد حية لما أخبرتكم بالخبر

وكتبت عريب يوما الى ابن حامد تستزيره فأرسل اليها انى أخاف على نفسى فكتبت اليه

اذا كنت تحذر ما تحذر * وتزعم أنك لا تجسر
فمالى أقيم على صبوتى * ويوم لقائك لا يقدر

فلما قرأ الرقعة صار اليها من وقته وأرسل اليها يعاتبها فى شئ فكتبت اليه تعتذر فلم يقبل فكتبت اليه هذين البيتين

تبينت عذرى وما تعذر * وأبليت جسمى وما تشعر
ألفت السرور وخليتنى * ودمعى من العين ما يفتر

فلما طلع على البيتين ذرفت عيناه وسعى اليها مسترضيا ومستعطفا عما وقع منه وقد تمت أخبار عريب

﴿عزة الميلاء﴾

كانت عزة مولاة للانصار ومسكنها المدينة وهى أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز وماتت قبل جميلة وكانت من أجمل النساء وجها وأحسنهن جسما وسميت الميلاء لتمايلها فى مشيها وكانت ممن أحسن ضربا بعود وكانت مطبوعة على الغناء لا يعييها أداؤه ولا صنعته ولا تأليفه وكانت تغنى أغانى الصبا من القدائم مثل سيرين وزرنب وخولة والرباب وسلمى ورائقة وكانت رائقة استاذتها فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنيا أغانى بالفارسية فلقنت عزة عنهما نغما وألفت عليه ألحانا عجيبة فهى أول من فتن أهل المدينة بالغناء وحرض نساءهم ورجالهم عليه وكان مشايخ أهل المدينة اذا ذكروا عزة قالوا لله درّها

ما كان أحسن غناءها وأرق صوتها وأندى حلقها وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي وأجمل وجهها وأظرف لسانها وأقرب مجلسها وأكرم خلقها وأسخى نفسها وأحسن مساعدتها

وقال طويس وصف عزة هي سيدة من غنى من النساء مع جمال بارع وخلق فاضل واسلام لا يشوبه دنس تأمر بالخير وهي من أهله وتنهى عن السوء وهي مجانبة له فناهيك ما كان أنبلها وأنبل مجالسها ثم قال كانت اذا جلست جلوسا عاما فكأن الطير على رؤس أهل مجلسها من تكلم أو تحرك نقر رأسه قال ابن سلام فما ظنك بمن يقول فيه طويس هذا القول ومن ذا الذي سلم من لسان طويس

وقال معبد انه أتى عزة يوما وهي عند جميلة وقد أسنت وهي تغني على معزفة في شعر ابن الاطنابة

علاني وعلا صاحبيا * واسقياني من المروق ريا

قال فما سمع السامعون قط بشئ أحسن من ذلك قال معبد هذا غناؤها وقد أسنت فكيف بها وهي شابة

وقال صالح بن حسان الانصاري كانت عزة مولاة لنا وكانت عفيفة جميلة وكان عبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق وعمر بن أبي ربيعة يغشونها في منزلها فتغنيهم وغنت يوما عمر بن أبي ربيعة لحنا لها في شئ من شعره فشق ثيابه وصاح صيحة عظيمة صعق معها فلما أفاق قالت له لغيرك الجهل يا أبا الخطاب قال اني سمعت والله ما لم أملك معه نفسي ولا عقلي وكان حسان بن ثابت معجبا بعزة الميلاء وكان يقدمها على سائر قيان المدينة وكان زيد بن ثابت ختن ابنته فأولم فاجتمع اليه المهاجرون والانصار وعامة أهل المدينة وحضر حسان بن ثابت وقد كف يومئذ وأقبلت الميلاء وهي يومئذ شابة فوضع في حجرها مزهر فضربت به ثم تغنت فكانت أول ما ابتدأت به من شعر حسان قوله

فلا زال قبر بين بصرى وجلق * عليه من الوسمي جود ووابل

وحسان يبكي وابنه يومئ اليها أن تزيد فاذا زادت بكى حسان وقال خارجة بن زيد فلما طال جلوس حسان ثقل علينا مجلسه فأومأ ابنه الى عزة فغنت

أنظر خليلي بباب جلق هل * تبصر دون البلقاء من أحد

فبكى حسان حتى سدر ثم قال هذا عمل الفاسق (يعني ابنه) أما لقد كرهتم مجالستي فقبح الله مجلسكم سائر اليوم وقام فانصرف

وقال عبد الله بن أبي مليكة كان رجل من أهل المدينة ناسك من أهل العلم والفقه وكان يغشى عبد الله بن جعفر فسمع جارية مغنية لبعض النخاسين تغني * بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا *

فشغف بها وهام وترك ما كان عليه حتى مشى اليه عطاء وطاوس فلاماه فكان جوابه لهما أن تمثل بقول الشاعر

يلومني فيك أقوام أجالسهم * فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبره فبعث الى النخاس فاعترض الجارية وسمع غناءها بهذا الصوت وقال لها ممن أخذته قالت من عزة الميلاء فابتاعها بأربعين ألف درهم ثم بعث الى الرجل فسأله عن خبره فأعلمه اياه وصدقه عنه فقال له أتحب أن تسمع هذا الصوت ممن أخذته عنه تلك الجارية قال نعم فدعا بعزة وقال لها غنيه اياه فغنته فصعق الرجل وخر مغشيا عليه فقال ابن جعفر أثمنا فيه الماء الماء فنضح على وجهه فلما

أفاق قال له أ كل هذا بلغ بك عشقها قال وما خفي عليك أكثر قال أفتحب أن تسمعه منها قال قد رأيت مالي حين سمعته من غيرها وأنا لا أحبها فكيف يكون حالي ان سمعته منها وأنا لا أقدر على ملكها قال أفتعرفها ان رأيتها قال أو أعرف غيرها فأمر بها فأخرجت وقال خذها فهي لك والله ما نظرت اليها الا عن عرض فقبل الرجل يديه ورجليه وقال له أنمت عيني وأحييت نفسي وتركتني أعيش بين قومي ورددت الي عقلي فقال ما أرضى ان أعطيكها هكذا يا غلام احمل معها مثل ثمنها لكي لا تهتم به وتهتم بها فأخذها وانصرف شاكرا

وكان ابن أبي عتيق معجبا بعزة الميلاء فأتى يوما عند عبد الله بن جعفر فقال له بأبي أنت وأمي هل لك في عزة فقد اشتقت اليها قال لا أنا اليوم مشغول فقال بأبي أنت وأمي انها لا تنشط الا بحضورك فأقسمت عليك الا ساعدتني وتركت شغلك ففعل فأتياها ورسول الامير على بابها يقول لها دعي الغناء فقد ضج أهل المدينة منك وقالوا افتتنت رجالهم ونساؤهم فقال له ابن جعفر ارجع الى صاحبك فقل له عني أقسم عليك الا ناديت في المدينة أيما رجل أو امرأة افتتنت بسبب عزة الا كشف نفسه بذلك لنعرفه ويظهر لنا ولك أمره فنادى الرسول بذلك فما أظهر أحد نفسه ودخل ابن جعفر اليها وابن أبي عتيق معه فقال لها الا يهولنك ما سمعت فغنينا فغنتهما

أنا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فاهتز ابن أبي عتيق طربا فقال ابن جعفر ما أراني أدركك بعد ان سمعت هذا الصوت من عزة وبقيت عزة في عز واقبال ونعمة وافرة حتى ماتت مأسوفا عليها من كل من سمع صوتها ورأى جمالها

﴿عزة صاحبة كثير﴾

هي عزة بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبد العزى يتصل نسبها الى عبد مناف علقها كثير جارية قد كعبت نهودها

وكان سبب دخول الهوى بينهما أن كثيرا مر بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادي الخبت فأرسلن له عزة بدريهمات تشتري بها كبشا الهن منه فنظرها نظرة متأمل فداخله منها ما كان فرد الدراهم وأعطاها الكبش وقال ان رجعت أخذت حقي فلما عاد سألنه ذلك فقال لا أقتضي الا من عزة فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر احدانا فأبى وأنشد

نظرت اليها نظرة وهي عاتق * على حين أن شبت وبان نهودها

نظرت اليها نظـــرة ما يسرني * بها حمر أنعام البـــلاد وسودها

فجعلن يبرزنها له كارهة ثم داخلها ما داخله ولما اشتدت حالته أنشد

يزهدني في حب عـــزة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان الا من القلب

ودخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت لها ما الحق الذي مطلته كثيرا اذ قال

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت وعدته قبلة فقالت أنجزيها وعلي اثمها

ومن غريب الاتفاق أن كثيرا كان له غلام يتجر على العرب فأعطى النساء الى أجل فلما اقتضى ماله منهن ماطلته عزة فقال لها يوما وقد حضرت فى نساء أما آن أن تفى بما عندك فقالت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاى حيث يقول قضى كل ذى دين البيت فقلن له أتدرى من هى غريمتك فقال لا أدرى فقلن هى والله عزة فقال اشهدكن على أنها فى حل مما عندها ومضى فأخبر مولاه بالحكاية فقال وأنت حر وما عندك لك وكان الذى عنده ألف دينار وأنشد

سيهلك فى الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الدهر غائله

يود بأن يمسى سقيما لعلها * اذا سمعت عنه بشكوى تراسله

ويهتز للمعروف فى طلب العلا * لتحمد يوما عند عز شمائله

ودخلت عزة على عبد الملك بن مروان فقال لها أتروين قول كثير

لقد زعمت أنى تغيرت بعدها * فمن ذا الذى يا عز لا يتغير

تغير جسمى والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أدرى هذا ولكن أروى قوله

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشى بها العصم زلت

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك واتفق أن عزة خرجت الى مكة مع زوجها وكان كثير فى ذلك العير فلما كان فى أثناء الطريق مرت بجمل له فسلمت على الجمل فبلغ كثيرا ذلك فجاء الى الجمل فحله وأطلقه من الحمل وأنشد

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل

لو كنت حييتها ما زلت ذا ثقة * عندى ولا مسك الادلاج والعمل

ليت التحية كانت لى فأشكرها * مكان يا جمل حييت يا رجل

ثم اتفق أن زوجها أمرها أن تستعطى سمنا فلقيها كثير فأخبرته بحاجتها فأخرج اداوة سمن وجعل يسكب فى اناء عزة وهما يتحدثان فلم يشعر حتى غرقت أرجلهما فلما رجعت أنكر زوجها كثرة السمن وأقسم عليها فأخبرته فحلف ليضربنها أو لتخرجن فتشتم كثيرا بحيث يسمعها ففعلت فأنشد كثير

يكلفها الخنزير شتمى وما بها * هوانى ولكن للمليك استذلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

ودخلت عليه وهو يبرى سهاما فجعل ينظر اليها ويبرى ساعده فدخلت ومصت الدم بثوبها * وتوفيت عزة سنة أربع ومائة ورثاها كثير بأبيات منها وقد سأل عبد العزيز أن يرشده الى قبر عزة فلما وقف عليه أنشد

وقفت على ربع لعزة ناقتى * وفى البرد رشاش من الدمع يسفح

فيا عز أنت البدر قد حال دونه * رجيع تراب والصفيح المصرح

وقد كنت أبكى من فراقك حية * فهذا لعمرى اليوم أنأى وأنزح

فهلا فداك الموت من أنت زينه * ومن هو أسوا منك حالا وأقبح

الا لا أرى بعد ابنة النضر لذة * لشئ ولا ملجا لمن يتلمح
فلا زال رمس ضم عزة سائلا * به نعمة من رحمة الله تسفح
فان التي أحببت قد حال دونها * طوال الليالي والضريح المرجح
أرب بعيني البكا كل ليلة * فقد كاد مجرى الدمع عيني يقرح
اذا لم يكن ما تسفح العين لي دما * وشر البكاء المستعار المسيح

وما قال فيها أيضا

كفى حزنا للعين أن رد طرفها * لعزة عير آذنت برحيل
وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكا * فقلت البكا أشفى اذا لغليلي
توليت محزونا وقلت لصاحبي * أقاتلتي ليلى بغير قتيل
لعزة اذ حل بالخيف أهلها * فأوحش منها الخيف بعد حلول
وبدل منها بعد طول اقامة * (١) تبعث نكباء العشى جفول
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم * ومال بنا الواشون كل مميل
ومازلت من ليلى لدن طر شاربي * الى اليوم كالمقصى بكل سبيل

(١) قوله تبعث كذا الاصل وليحرر اه مصحح

وقال فيها أيضا

لا تغدرن بوصل عزة بعدما * أخذت عليك مواثقا وعهودا
ان المحب اذا أحب حبيبه * صدق الصفاء وأنجز الموعودا
الله يعلم لو أردت زيادة * في حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة خاشعين سجودا

﴿عفراء بنت الاحمر الخزاعية﴾

نشأت مع ابن عمها الحرث المشهور بابن الفرند ممتزجين بالالفة الى أن بلغا فتزوج بها فأقاما مدة ينمو الهوى بينهما الى أن عزمت يوما على أن تزور أباها فجهزها اليه فأقامت مدة وكل منهما يأبى أن يجيء بنفسه وزادت الوحشة بينهما وحلف أبواهما على أن لا يأتي أحدهما الآخر مخافة أن تزري العرب به فرض الحرث فكتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * ولي منك في الاحشاء أصدق شاهد
هو الموت ان لم تأتني منك رقعة * تقوم بقلبي في مقام العوائد

فاجابته تقول

كفيت الذي تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذي تهوى برغم الحواسد
ووالله لولا ان يقال تظننا * بي السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما في الرقعة وتنشق ريحها وكانت أعطر أهل زمانها غشي عليه فاذا هو ميت فقيل لها ما كان عليك لو أجبته زورة قالت خشيت أن يقال صبت اليه ولكني قاتلة نفسي ولاحقة به فقربا لم يشعروا بها الا وهي ميتة

﴿عفراء بنت مهاصر بن مالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عذرة﴾

كانت من أعظم مشاهير عصرها حسنا وجمالا وأدبا وظرفا وفصاحة شغف بها عروة بن حزام أخي مهاصر وكلاهما ابنا مالك وهو المشهور بالعشق قيل انه أول عاشق مات بالهجر واشتدت مقاساته في العشق ضرب به المثل وكان سبب عشقه اياها ان أباه حزاما توفي ولعروة من العمر أربع سنين وكفله مهاصر أبو عفراء فانتشآ جميعا فكان يألفها وتألفه فلما بلغا الحلم سأل عمه تزويجها فوعده ذلك ثم أخرجه الى الشام وجاء ابن أخ له يقال له أثالة بن سعيد بن مالك يريد الحج فنزل بعمه مهاصر فبينما هو جالس يوما فناء البيت اذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها وعليها ازار خز فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها من عمه فزوجه بها وان عروة أقبل مع العير في اليوم الذي حملت عفراء مع زوجها فعرفها من البعد وأخبر أصحابه فلما التقيا وعرف الامر بهت لا يحير جوابا حتى افترق القوم فأنشد

وانى لتعروني لذكراك رعدة • لها بين جلدي والعظام دبيب

فما هو الا أن أراها فجاءة • فأبهت حتى ما أكاد أجيب

فقلت لعراف اليمامة داوني • فانك ان أبرأتني لطبيب

فمابي من حمى ولامس جنة • ولكن عمي الحميري كذوب

عشية لاعفراء منك بعيدة • فتسلو ولاعفراء منك قريب

وبي من جوى الاحزان والبعد لوعة • تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة مقول • على مابه عود هناك صليب

وماعجب موت المحبين في الهوى • ولكن بقاء العاشقين عجيب

وحين وصل الحى أخذه الهذيان والقلق وأقام أياما لا يتناول قوتا حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره أحدا وانه ترض بين أهله زمانا ولما يئس من الشفاء وعلم الضجر من أهله قال لهم احملوني الى البلقاء فاني أرجو الشفاء فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر في مرورها عاودته الصحة فأقام كذلك الى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل العذري على زوج عفراء وقال له متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبب بكم فقال له من تعني قال عروة قال أنت أحق بما وصفت والله ما علمت بقدومه وكان زوج عفراء متصفا بالسيادة ومحاسن الاخلاق في قومه فلما أصبح جعل يتصفح الامكنة حتى اتى عروة فعاتبه وأقسم أن لا ينزل الا عنده فوعده ذلك فذهب مطمئنا وأما عروة فانه عزم أن لا يبيت الليل وقد علوا بمخرج فعاوده المرض فتوفي بواد القرى دون منازل قومه ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من الرحم وما عندي من الوجد وان ذلك على الحسن الجميل فهل تأذن لي ان أخرج الى قبره فأندبه فقد بلغني انه قضى قال ذلك اليك فخرجت حتى أتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا ثم أنشدت

ألا أيها الركب المجدون ويحكم • بحق نعيتم عروة بن حزام

فان كان حقا ما تقولون فاعلموا • بأن قد نعيتم بدر كل ظلام

فلا لقى الفتيان بعدك راحة • ولا رجعوا عن غيبة بسلام

ولا وضعت أنثى تماما بمثـــله * ولا فرحت من بعـــده بغلام

وما ان بلغتم حيث وجهـــتم له * ونغصـــتم لذات كل طعام

ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة فدفنت الى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر اليهما ولا يعرفان من أى ضرب من النبات وكثيرا ما أنشدت فيهما الناس فمن ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادى اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الرند والغار

فعانقيهم عن الصب الكئيب فما * على معانقـــة الاغصان من عار

وكانت وفاتها فى عاشر شوال سنة ٢٨ للهجرة ومن قول عفراء

عدانى ان أزورك ياخليلى * معاشر كلهم واش حسود

أشاعوا ما علمت من الدواهى * وعابونا وما فيهـــم رشيد

فاما اذ ثويت اليوم لحدا * فدور الناس كلهـــم اللحود

فلا طابت لى الدنيا مذاقا * لبعدك لا يطيب لى العديد

ومن محاسن شعر عروة قصيدته النونية التى أولها

خليلى من عليا هلال بن عامر * بصنعاء عوجا اليوم وانتظرانى

ولا تزهدا فى الاجر عندى وأجملا * فانكما بى اليــوم مبتليان

﴿ ومنها ﴾

ألا فاحمـــلانى بارك الله فيكما * الى حاضر البلقاء ثم دعانى

على جسرة الاصلاب ناجية السرى * تقطع عرض البيد بالوخدان

ألما عـلى عفراء انكما غـــدا * بشحط النوى والبين مفترقان

فياواشيى عفـــراء ويحكما بمن * وما والى من جئتما تشيـان

بمن لو أراه عانيا لفـــديتـــه * ومن لو رآنى عانيا لفـــدانى

وهى تسعة وسبعون بيتا فقد ضمنها حكاية حاله بألفاظ رقيقة ومعانى أنيقة وقد تركناها لشهرتها وخوف الخروج عن الموضوع

﴿ عقيلة ابنة أبى الضبادين النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور وجدها النعمان صاحب الخورنق ﴾

وهى من أجمل نساء العرب وأعلمهن بالادب وأحوال العرب أيامها وقائع تعلقها عمرو بن كعب بن النعمان المذكور وكان رباه عمه أبو الضباد بعد وفاة والده كعب فشغف بها عمرو واشتد ولوعه وزاد غرامه فخطبها الى عمه فطلب منه مهرا يعجز عنه فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج الى أبرويز بن كسرى لما كان بين جدوده من الوصلة فلما ذهب فى الطريق مر بعراف فبات عنده فاستعلم منه الامر فأخبره أنه ساع فيما لا يدرك فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة لفزارى فهام على وجهه الى اليمامة فلما بنى بها الفزارى وكان عندها من الشوق امر وأضعاف ما عنده لها فكانت تشد الفزارى اذا جن الليل الى

كسر البيت وتبيت فى الخدر فاذا أصبح الصبح تطلقه فيستحى أن يخبر العرب بذلك فأقام على هذا الحال سبعين ليلة فلما كثر توبيخ العرب له واختلاف ظنونهم فيه خرج فلا يدرى أين ذهب وأقامت العقيلة بيت أبيها لا تتناول الا الاقل من الطعام بقدر ما يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك فانه كان لا يرى الا شاخصا الى السماء مستمسكا بحبل علق فوق رأسه من العشاء الى الصباح وهو ينشد

اذا جن ليلى فاضت العين أدمعا * على الخد كالغدران أو كالسحائب

أو تطلوع الفجر والليل قائل * لقد شذت الافلاك بعد الكواكب

فما أسفى الا على ذوب مهجتى * ولم يدر يوما كيف حال الحبائب

فلما كان بعد أيام دخل عليه صديقه فوجده غاصا بالضحك مستبشرا فسأله فقال

لقد حدثتنى النفس ان سوف نلتقى * ويبدل بعد بيننا بتدان

فقد آن للدهر الخؤن بأنه * لتأليف ما قد كان يلتمسان

ثم شهق شهقة فاضت نفسه قال الفرزدق خرجت فى طلب غلام لى آبق فلما صرت على ماء لبنى حنيفة جادت السماء بالامطار فلجأت الى بيت هناك فخرجت لى جارية كأنها القمر فحييت ثم قالت ممن الرجل قلت تميمى قالت من أيها قبيلة قلت من نهشل بن غالب فقالت اذا أنتم الذين يقول فيكم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت نعم فقالت قد هدمه لكم جرير بقوله

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فأعجبنى فلما رأت ذلك منى قالت أين نؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى * بها أهل المروءة والكرامه

ألا فسقى المليك أجش جونا * يجود بصوبه تلك اليمامه

وحيا بالسلام أبا نجيب * فأهلا للتحية والسلامه

قال فأنست بها فقلت أذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم الى الصباح

تقطع قلبه الذكرى وقلبى * فلا هو بالخلى ولا بصاح

سقى الله اليمامة دار قوم * بها عمرو يحن الى الرواح

فقلت لها من هو فأنشدت تقول

اذا رقد النيام فان عمرا * هو القمر المنير المستنير

ومالى فى التبعل من براح * وان رد التبعل لى أسير

ثم شهقت شهقة فسألت عنها فاذا هى العقيلة وضبط اليوم الذى ماتت فيه فوجد موت عمرو فى ذلك اليوم أيضا

عكرشة ابنة الاطروش بن رواحة

كانت فصيحة الالفاظ رقيقة أديبة حرة المنطق ذات عقل وافر جامعة بين مزيتى الشجاعة والادب

حضرت حرب صفين وألقت الخطب البليغة فمما قالته وهي واقفة بين الصفين تحرض جيش علي بن أبي طالب أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يرحل من أوطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين في دينكم مستظهرين بالصبر على طلب حقكم ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم الى الباطل فلبوه فالله الله عباد الله في دين الله اياكم والتواكل فان ذلك ينقض عز الاسلام ويطفئ نور الحق هذه بدر الصغرى والعقبة الاخرى يا معشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير هذا وقد انكفأ عليها العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطروش فلترطب القلوب بدر ألفاظها

ووفدت على معاوية فسألته رد الصدقات فقالت ان صدقاتنا كانت تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا وانا قد فقدنا ذلك قال وما يصنع الوالي قالت فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير فان كان ذلك عن رأيك فمثلك ينبه عن الغفلة ويراجع التوبة وان كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة قال معوية يا هذه انه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق وبحور تندفق قالت يا سبحان الله والله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا على غيرنا وهو علام الغيوب قال معوية يا أهل العراق نبهكم علي بن أبي طالب فلم تطاقوا ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وأنصفها وذهبت وهي مكرمة وبقيت عزيزة في قومها الى أن توفاها الله تعالى

﴿علية ابنة المهدي العباسية﴾

أخت هرون الرشيد أمير المؤمنين الخامس العباسي كانت من أحسن نساء زمانها وجها وأظرفهن خلقا وأوفرهن عقلا ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى بن عيسى العباسي وكان الرشيد يبالغ في اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنه ٢١٠ وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها الى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وحمت وماتت لايام يسيرة وكانت تتغزل في خادمين أحدهما طل والآخر رشأ فمن قولها في طل وصحفت اسمه

أيا سروة الفتيان طال تشوقي * فهل لي الى ظل لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يقضى خروجه * وليس لمن يهوى اليه وصول

وقالت فيه أيضا

سلم على ذاك الغزال * الأغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له * يا غل ألباب الرجال
خليت جسمي ضاحيا * وسكنت في ظل الحجال
وبلغت مني غاية * لم أدر منها ما احتيالي

فبلغ الرشيد ذلك فحلف أنها لا تذكره ثم تسمع عليها يوما فوجدها وهي تقرأ القرآن في آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فما نهي عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبت لك طلا ولا منعتك بعدها عما تريدين وكانت من أعف الناس كانت اذا طهرت لازمت المحراب

واذالم تمكن طاهراغنت ولماخرج الرشيد الى الرى أخذهامعه فلماوصلت الى المرج نظمت قولها

ومقترب بالمرج يبكى بشجوه * وقدغاب عنه المسعدون على الحب

اذاماأتاه الركب من نحوأرضه * تنشق يستشفى برائحة الركب

وغنت بهم فلمابلغ الرشيد الصوت علم أنها قداشتاقت الى العراق وأهلها فأمر بردها ومن شعرها

انى كثرت عليه فى زيارته * فمل والشئ مملول اذا كثرا

ورابنى منه انى لاأزال أرى * فى طرفه قصراعنى اذا نظرا

وقالت أيضا

كتمت اسم الحبيب عن العباد * ورددت الصبابة فى فؤادى

فواشوقى الى أيام خلى * لعلى باسم من أهوى أنادى

وقالت أيضا

خلوت بالراح أناجيها * آخذ منها ثم أعطيها

نادمتها اذلم أجد صاحبا * أرضاه أن يشركنى فيها

وهذا يشبه قول أبى نواس

على مثلها مثلى يكون منادما * وان لم يكن مثلى خلوت بها وحدى

وقالت أيضا

بنى الحب على الجور فلو * أنصف المعشوق فيه لسمج

ليس يستحسن فى حكم الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج

وقليل الحب صرفا خالصا * هو خير من كثير قدمزج

وقالت عريب المغنية أحسن يوم مربى فى الدنيا وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع ابراهيم بن المهدى وأخته علية وعندهم يعقوب وكان أحذق الناس بالمزمار فبدأت علية فغنتهم من صنعتها فى شعرها وأخوها يعقوب يزمر عليها

تحبب فان الحب داعية الحب * وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

تبصر فان حدثت أن أخا الهوى * نجا سالما فارج النجاة من الحرب

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأطيب أيام الفتى يومه الذى * يروع بالهجران فيه وبالعتب

وقالت أيضا

لم ينسينك سرور ولا حزن * وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسن

ولا خلا منك لاقلبى ولا جسدى * كلى بكلك مشغول ومرتهن

وحيدة الحسن مالى عنك من كلف * نفسى بحبك الا الهم والحزن

نور تولد من شمس ومن قمر * حتى تكامل فيه الروح والبدن

فما سمعت مثل ما سمعت منها قط وأعلم أنى لا أسمع مثله أبدا

﴿عمارة جارية ابن جعفر﴾

كانت من مشاهير نساء عصرها حسنا وجمالا ولها اليد الطولى فى صنعة الغناء وكان سيدها وجدبها وجدا شديدا فكان لا يستطيع فراقها سفرا أو حضرا فقدم على معاوية سنة من السنين لاخذ صلته فزاره يزيد فغنت الجارية بحضرته فأخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان قادها فكتم أمرها فلما أفضت اليه الخلافة استشار أهل سره فى أمرها وانه لا يهنأ له قرار دونها فقالوا له ان ابن جعفر عند الناس بمنزلة وتعرف ما كان عليه من أبيك ولا نأمن عليك فى ذلك فالزم المهلة واجتهد فى الحيلة فأخذ فى تدبير ذلك حتى ظهر له فاحضر رجلا عراقيا معروفا بالدهاء والحيل وأطلعه على أمره فقال له مكنى مما أريد ولك على أن آتيك بها فقال لك ذلك دبر بسرك ثم أعطاه مالا وثيابا وجواهر وخرج العراقى كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله بن جعفر وبلغه فاحسن ملتقاه وأخذ العراقى فى التودد اليه فأرسل اليه بقماش وهدايا تزيد على ألف دينار وسأله قبولها وتقبله الى خواصه فزاد فى الهدايا الى أن صار من ندمائه فاحضر الجارية فلما غنت أعجب بها العراقى حتى قال ما ظننت أن فى الدنيا مثل هذه فقال له كم تساوى عندك قال الخلافة فقال عبد الله تقول ذلك لتزين لى شأنها وتطلب بذلك سرورى قال يا سيدى أنا تاجر أجمع الدرهم ولو بعتنيها بعشرة آلاف دينار لاخذتها قال قد بعتك قال اشتريت وقام العراقى بالمال فقال ابن جعفر أنا كنت مازحا فقال له يا سيدى أنت تعلم ان المزاح فى البيع جد وهذا لا يليق بمثلك وأنت معروف بالكرم والصلات فكيف ترضى أن يشيع عنك مثل هذا وطال بينهما الكلام الى أن خدعه فاخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه فرحل بها من يومه وأقام ابن جعفر حزينا باكيا لا يقر له قرار فلما دخل العراق الشام وجد يزيد قد مات فاجتمع بمعاوية ولده فقص الخبر وكان صالحا فقال له اخرج عنى بها فلا ترينى وجهك فخرج العراقى وكان قد قال للجارية أنا لست من رجالك وانما أخذتك للخليفة فاستترت ولم ير لها وجها فلما قال له معاوية ما قال جاء اليها وقال لها قد صرت لى ولكن فاستترى فانى معيدك الى مولاك ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر فلما تلاقيا أخبره بالقضية وانه لم يكن تاجرا ولكن كان مطلوبه الجارية ليزيد وانه من رآه قد ملك لم يرتفسه اهلا لها فأعادها اليه ولم ير لها وجها ثم أخذها فسلمها اليه فلما تلاقيا وتعانقا خرا مغشيين ساعة ثم أدخلها ورفع منزلة العراقى حتى صار أعظم الناس عنده ووهب له المال وانصرف وأقاما على ما كانا عليه فى عز واقبال

﴿عمرة ابنة دريد بن الصمة﴾

سيد بنى جشم الذى قتل يوم حنين فى حرب الاسلام قتله عبد ربيعة بن رفيع سنة ثمان للهجرة (و ٦٣٠) ميلادية

كانت من نساء العرب المتقدمات بالمنزلة النابغات بالفصاحة والادب العالمات بأشعار وروايات العرب لها اليد الطولى فى الكرم والشعر المحكم ومن أشعارها ما قالته رثاء فى أبيها دريد المذكور وتنعى الى بنى سليم احسان دريد اليهم فى الجاهلية

لعمرك ما خشيت على دريد * ببطن سميرة جيش العناق
جزى عنه الاله بنى سليم * وعقتهم بما فعلوا عقاق

وأسقانااذا عدنا اليهم * دماء خيارهم يوم التلاقى

فرب عظيمة دافعت عنهم * وقد بلغت نفوسهم التراقى

ورب كريمة أعتقت منهم * وأخرى قد فككت من الوثاق

ورب منوهٍ بك من سليم * أجبت وقد دعا لا بلا رماق

فكان جزاؤنا منهم عقوقا * وهما ماع منه مخ ساق

عفت آثار خيلك بعد أين * فذى بقر الى نيف النهاق

وقالت فيه أيضا

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا * فظل دمعى على السربال ينحدر

لولا الذى قهر الاقوام كلهم * رأت سليم وكعب كيف تأتمر

اذا لصبحهم غبا وظاهرة * حيث استقرت نواهم جحفل ضفر

﴿ عمرة ابنة الخنساء ﴾

كانت شاعرة مثل أمها الخنساء وأبوها هو مرداس بن أبى عامر وكان العباس ويزيد ابنا مرداس أخويها وتزوجت بنشبة فولدت له ولدا سمته الاقيصر مات صغيرا ومن مراثيها قولها فى أخيها يزيد لما قتل وذلك أن يزيد كان قتل قيس بن الاسلت فى بعض حروبهم فطلبه بثأره هرون بن النعمان بن الاسلت حتى تمكن من يزيد فقتله بقيس بن أبى قيس وهو ابن عمرو فقالت عمرة

أجد ابن أمى أن لا يؤوبا * وكان ابن أمى جليدا نجيبا

نقيا تقيا رحيب المقام * كميا صليبا لبيبا خطيبا

حليما أريبا اذا ما تبدى * سديد المقال مهيبا دريبا

وحسناء فى القول منسوبة * تكشف حاجبها والسبيبا

فشد عنطقه مقصرا * فدارت به تستطيف الركوبا

تشق سنابكها بالعرى * وتطرح بالطرف عنها الغيوبا

فلما علاها استمرت به * كما أفرغ الناضحان الذنوبا

فساروا اليه وقالوا استقم * فلم يجدوه هلوعا هيوبا

بقوم اذا فرغوا أمسكوا * وأدرك منهم ركوبا ركوبا

وطعنة خلس تلافيتها * كعطف النساء الرداء الجنوبا

وحوراء فى القوم مظلومة * كأن على دفتيها كثيبا

تيممتها غير مستأخر * فعرقبتها وهززت القضيبا

فظلت تكوس على أكرع * ثلاث وغادرت أخرى خضيبا

وقلت لصاحبها لا ترع * فلم يعدم القوم نصا قريبا

فراح يعدى على أجرد * أموت وغادرت رحلا جنيبا

ورق سباه لا محابه * فظل يعبا وظلوا شروبا

وقالت عمرة أيضا ترثي أباها مرداسا وكان يقال له الفيض من سخائه كأنه فيض البحر

لقـــد أرانا وفينا سامر لجب * مصارخ فيهـم عز ومرتقب

لا يرقع الناس فتقا ظل يفتقه * ويرقع الخرق قد أعيا فيرتئب

والفيض فينا شهاب يستضاء به * إنا كذلك فينا توجد الشهب

إذ نحن بالأثم نرعاه ونسـكنه * تجول فوارسها كالبحر تضطرب

كأن ملقى المساحي من سنابكها * بين الخيول إلى سعر إذا ركبوا

فيها القلول وفيها كل معترض * يفني ضغينته التعداء والخبب

وقالت عمرة ترثي أخاها يزيد وهذا الشعر في الحماسة

أعيـني لم أختلك إلا بخيانة * أبى الدهـر والأيام أن أتصبرا

وما كنت أخشى أن أكون كأنني * بعيراً إذا ينعى أخي تحسرا

ترى الخصم زوراً عن أخي مهابة * وليس جليس عـن أخي بأزورا

وقالت في أخيها عباس وقد مات في الشأم سنة ١٦ للهجرة و (٦٣٨) للميلاد

لتبك ابن مرداس على ما عراهم * عشـيرته إذ حم أمس زوالها

لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهم * فكان إليها فضلها وجلالها

ومعضلة للعاملين كفيتها * إذا أنهكت هوج الرياح طلالها

وقالت من جملة قصيدة في يزيد

تحمي لها ذات أجياد غضنفرة * فجلس الأثم فالصرداء أحيانا

فيهـن قب كبات الأبابه * يحذين تيبا ولا يحذين قردانا

وتوفيت عمرة بنت الخنساء نحو سنة ٤٨ هجرية

﴿عمرة الخثعمية﴾

هي من نساء بني خثعم الشاعرات الأديبات المتحمسات وشعرها مقبول ولها رثاء في أخوين لها قتلا في بعض الغزوات

لقـد زعموا أني جزعت عليهما * وهـل جزع أن قلت وا أباهما

هما أخوا في الحرب من لا أخا له * إذا خاف يوما نبوة فـدعاهما

هما يلبسان المجد أحسن لبسة * شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما

﴿عمرة ابنة النعمان بن بشير﴾

كانت حسنة الإشارة جميلة المنظر لطيفة المخبر عفيفة دينة متمسكة بالصدق والصداقة عرفت بين أخواتها بالأمانة وحفظ العهد وعند ما شبت تزوجت بالمختار بن أبي عبيد الثقفي ومكثت معه حين قتل فقتلت معه وكان لها علم بمعاني الشعر والأدب ولها فيه بعض مقاطيع ومن ذلك ما قالته تخاطب به أخاها أبان بن النعمان وتلومه فيها على زواج أختها حميدة بروح بن زنباع وكان من بني جذام

أطال الله شأنك من غلام * متى كانت منا كحنا جذام

أترضى بالفواسق والزوانى * وقد كنا بقربنا السنام

وقد سمع ذلك ابن عم لروح بن زنباع زوج أختها حميدة فقال

رضى الاشياخ بالقبطون خلا * وترغب المعاقة عن جذام

يهودى له بضع العذارى * فقبحا للكهول وللغلام

تزف اليه قبل الزوج خود * كأن شمسا تدلت من غمام

فأبقى ذلكم عارا وخزيا * بقاء الوحى فى صم السلام

يهود جمعوا من كل أوب * وليسوا بالغطاريف الكرام

وقتلت عمرة بعد قتل زوجها المختار بن أبى عبيد الثقفى والسبب فى ذلك كما جاء فى التاريخ الكامل لابن الاثير أنه مصعبا بعد أن قتل المختار دعا أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأته وعمرة هذه فأحضرهما وسألهما عن المختار فقالت أم ثابت نقول فيه بقولك أنت فأطلقها وقالت عمرة رحمه الله كان عبد الله صالحا فحبسها وكتب الى أخيه عبد الله بن الزبير انها تزعم انه نبى فامره بقتلها ليلا بين الكوفة والحيرة قتلها بعض الشرط ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهى تقول يا أبتاه يا عترتاه فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال يا ابن الزانية عذبتها ثم تشحطت ثم ماتت فتعلق الشرطى بالرجل وحمله الى مصعب فقال خلوه فقد رأى أمرا فظيعا فقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى فى ذلك

ان من أعجب العجائب عندى * قتل بيضاء حرة عطبول

قتلت هكذا على غير جرم * ان لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصارى فى ذلك أيضا

أتى راكب الآتى بالنبا العجب * بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسب

بقتل فتاة ذات دل ستيرة * مهذبة فى الخيم والعز والنسب

مطهرة من نسل قوم أكارم * من المؤثرين الخير فى سالف الحقب

خليل النبى المصطفى ونصيره * وصاحبه فى الحرب والضرب والكرب

أتانى بأن الملحدين توافقوا * على قتلها لا أحسنوا القتل والسلب

فلا هنأت آل الزبير معيشة * وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب

كأنهم اذ أبرزوها وقطعت * بأسيافهم فازوا بمملكة العرب

ألم تعجب الاقوام من قتل حرة * من المحصنات الدين محمودة الادب

من الغافلات المؤمنات بريئة * من الذم والبهتان والشك والريب

علينا دبات القتل والبأس واجب * وهن عفاف فى الحجال وفى الحجب

على دين أجداد لها وأبوة * كرام مضت لم تخز أهلا ولم ترب

من الخفرات لاخروج بزينة * ولا ذمة تبغى على جارها الجنب

ولا الجار ذى القربى ولم تدر ما الخنا * ولم تزدلف يوما بسوء ولم تجب

عجبت لها اذ كتفت وهى حية * ألا ان هذا الخطب من أعجب العجب

وروى صاحب الاغانى أن مصعبا بعد أن قتل المختار أخذ عمرة وابنة سمرة امرأته الثانية وأمرهما بالبراءة من المختار أما بنت سمرة فبرئت منه وأبت ذلك عمرة فكتب به مصعب الى أخيه عبد الله فكتب اليه ان أبت أن تبرأ منه فاقتلها فأبت فحفر لها حفيرة وأقيمت فيها فقتلت

﴿عوان جارية سليمن بن عبد الملك﴾

كان يحبها مولاها حبا شديدا وهى مشهورة بالجمال والفصاحة وكان شديد الغيرة عليها وانه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارسا معروفا بالشجاعة وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيرا لمعرفته بغيرة سليمن ولكن زاره ضيوف فى تلك الليلة فأكرمهم فقالوا يا سنان لم تكرمنا ما لم تسمعنا الغناء وكان قد أخذت منه الخمرة فأنشد

محجوبة سمعت صوتى فأرقها * فى آخر الليل لما بلها السحر
تثنى على فخذها مثنى معصفرة * والحلى منها على لباتها خصر
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
فى ليلة النصف ما يدرى مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوى على قدم * يكاد من رقة للمشى ينفطر

فلما سمع سليمن الصوت خرج فزعا يتفهمه فجاء الى عوان فرآها على صفة الابيات وكانت بفطانة فلما فطنت به قالت

ألا رب صوت جاءنى من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
قصير نجاد السيف جعد بنانه * الى أمة يدعى معا والى عبد

فسكن ما به وقال قد راعك صوته قالت صادف منى يا أمير المؤمنين خائف لقتلته فأرسلت عبدا يحذره وقالت ان لقيته فلتديته وأنت حر فسبق رسول سليمن فجاؤا به فنظر اليه ثم قال وإنك لجترئ فقال أنا فارسك فاستبقنى فقال لا أقتلك ثم أمر به فخصى

وبقيت عوان عند سليمن معززة مكرمة الى أن مات عنها وآلت الى خلفائه

﴿عوراء بنت سبيع﴾

كانت فصيحة اللسان ثبتة الجنان لها علم بفنون الادب ورواية فى شعر العرب لها شعر قليل وأغلبه رثاء فى أخيها عبد الله بن سبيع حين قتل فى يوم من أيام العرب منه قولها

أبكى لعبد الله اذ * حشت قبيل الصبح ناره
طيان طاوى الكشح لا * يرخى لمظلمة ازاره
يعصى البخيل اذا أرا * د المجد مخلوعا عذاره

﴿حرف الغين﴾

﴿غاية المنى جارية المعتصم بن صمادح﴾

هى جارية أندلسية متأدبة متخرجة فى فنون الغناء لها صوت حسن وصنعة جيدة بالاصوات وكان أكثر

غنائهامن أصوات عريب واسحق ومعبد وقيل ان مهب وصولها الى المعتصم بن صمادح هو أنها لما أدبها وخرجها سيدها قدم بها الى المعتصم فأراد اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المنى فقال لها أجيزي

اســـألوا غاية المنى * من كسا جسمي الضنى

فقالت وأراني مــــــولها * سيقول الهوى أنا

فاشتراها منه بمائة ألف درهم وكانت محظية عنده الى أن ماتت

الشاعرة الغسانية

لم أقف على اسمها الحقيقي وانما قال صاحب نفح الطيب ان هذا اللقب هو نسبة الى بلدة من بلاد الاندلس وهي تشتهر باقليم المرية وهي من أهل المائة الرابعة كانت ذات ظرف وأدب وجمال ولطف وبهاء وكمال عالمة بالعروض وضروبه والشعر وروايته فمن نظمها من أبيات

عهدتهـــم والعيش في ظل وصلهم * أنيق وغصن الوصـل أخضر فينان

ليالي ســـعد لايخاف على الهوى * عتاب ولايخشى على الوصل هجران

ويقال ان لها قصائد وأشعارا غير هذه وهي من الشاعرات الموصوفات بالاندلس

حرف الفاء

فاختة ابنة أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية

بنت عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخت علي بن أبي طالب أمها فاطمة بنت أسد واختلف في اسمها فقيل هند وقيل فاطمة وقيل فاختة كانت تحت هبيرة بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومي أسلمت عام الفتح فلما أسلمت وفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هرب هبيرة الى نجران وقال حين فر معتذرا من فراره

لعمرك ما وليت ظهري محمدا * وأصحابه جبنا ولاخيفة القتل

ولكنني قلبت أمري فلم أجد * لسيفي غناء ان ضربت ولانبلي

وقفت فلما خفت ضيقة موقفي * رجعت لعود كالهزبر الى الشبل

قال خلف الاحمر أبيات هبيرة في الاعتذار خير من قول الحرث بن هشام يعني قوله

الله يعـــلم ماتركت قتالهــم * حتى علوا فرسي بأشقر مزبد

وقال الاصمعي أحســـن ماقيل في الاعتذار من الفرار قول الحرث بن هشام قال ابن اسحق ان هبيرة أقام بنجران فلما بلغه اسلام أم هانئ وكانت تحته قال أبياتا منها

وعاذلة هبت بليـــل تلومني * وتعذلني بالليل ضل ضلالها

وتزعم أني ان أطعت عشيرتي * سأردى وهل يردين الا زوالها

ومنها يخاطب أم هانئ

فان كنت قد تابعت دين محمد * وقطعت الارحام منك حبالها

فكوني على أعلى سحيق بهضبة * ململمة غبراء يبس بلالها

وهي أكثر من هذا وولدت أم هانئ لهبيرة عمرا وبه كان يكنى هبيرة وهانئا ويوسف وجعدة وقيل ما أخبر أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى الا أم هانئ فانها حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل فسبح ثماني ركعات ما رأيته صلى صلاة أخف منها غير أنه كان يتم الركوع والسجود

﴿فارعة ابنة أبي الصلت الثقفية أخت أمية بن أبي الصلت﴾

كانت من أديبات العرب الشاعرات العاقلات الجميلات الهيئة والمنظر وكانت من الصحابيات المحدثات الصادقات في الرواية أخذ عنها كثير من التابعين

فلما مات أمية قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت اني رأيت بينما هو راقد اذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال الذي عند رأسه للذي عند رجليه وعى قال أزكا قال أزكا قال فسألته عن ذلك فقال خيرا أريد بي ثم فطرت عينه ثم غشي عليه فلما أفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر أمره الى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في قلال الجبال أرعى الوعولا
اجعل الموت نصب عينيك واحذر * غولة الدهر إن للدهر غولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * فيه شيب الصغار يوما ثقيلا

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سأأتت بالله أعيديه فأعادت عليه شعر أخيها وأنشدت شعرا جيدا فقالت

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شيء أعلى منك جدا وأمجد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة حتى أتت على آخرها ثم انها أنشدته قصيدته التي يقول فيها

عند ذي العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ما قال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعيد سعادة أنا أرجو * أم مهان بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافاة ظني * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما اجترمت فاني * سوف ألقى من العذاب فريا

وأنشدته قول أخيها أيضا بقصيدته المشهورة التي فيها

باتت همومي تسري طوارقها * أكف عيني والدمع سابقها
ما رغب النفس في الحياة وان * تحيا قليلا فالموت سائقها

ومنها قوله

يوشك من فر من منيته * يوما على غرة يوافقها

من لم يمت غبطة يمت هرما * للموت كأس والمرء ذائقها

وأنشدته قوله عند موته

لبيكما لبيكما * ها أنا ذا لديكما

وقوله

إن تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

فقال صلى الله عليه وسلم كان مثل أخيك كمثل الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية وبقيت فارعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من النساء المعدودات بالفضائل المقدمات عند الصحابة الى أن ماتت

﴿ فارعة ابنة شداد ﴾

كانت من النساء الموصوفات بالادب وعلو الهمة وحسن المدركة لها شعر حسن ومراث مقبولة منها ما قالته فى أخيها أبى زرارة مسعود يوم قتل فى بعض غزواته

ياعين جودى لمسعود بن شداد * بكل ذى عبرات شجوه بادى

من لا يذاب له شحم السديف ولا * يجفو العيال اذا ماضن بالزاد

ولا يحل اذا ما حل منتبذا * يخشى الرزية بين المال والنادى

قوال محكمة نقاض مبرمة * فراج مبهمة حباس أوراد

نحار راغية قتال طاغية * حلال رابية فكاك أقياد

حلال ممرعة حمال معضلة * قراع مفظعة طلاع أنجاد

شهاد أندية رفاع أبنية * شداد ألوية فتاح أسداد

جماع كل خصال الخير قد علموا * زين القرين وخطل الظالم العادى

أبا زرارة لا تبعد فكل فتى * يوما رهين صفيحات وأعواد

هلا سقيتم بنى حرم أسيركم * نفسى فداؤك من ذى كربة صاد

﴿ فاطمة ابنة أسد ﴾

ابن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أم على بن أبى طالب وأم أخوته طالب وعقيل وجعفر قيل انها توفيت قبل الهجرة وليس بشئ والصحيح أنها هاجرت الى المدينة وتوفيت بها قال الشعبى أم على فاطمة بنت أسد أسلمت وهاجرت الى المدينة وتوفيت بها وقال على لامه فاطمة بنت أسد اكفى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاية الماء والذهاب فى الحاجة وتكفيك من الداخل الطحن والعجن وهذا يدل على هجرتها لان عليا انما تزوج فاطمة بالمدينة قال الزهرى هى أول هاشمية ولدت لهاشمى وهى أيضا أول هاشمية ولدت خليفة ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت الحسن ثم زبيدة امرأة الرشيد ولدت الامين لا نعلم غيرهن ثم ان هؤلاء الثلاثة لم تصف لهم الخلافة فأما على فانه كان من اضطراب الامور عليه الى أن قتل كما هو مشهور وأما الحسن والامين فخلعا وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فاطمة بنت أسد فى قميصه واضطجع فى قبرها وجزاها خيرا فقيل له ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه قال انه لم يكن بعد أبى طالب أبر بى منها انما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت فى قبرها ليهون عليها

عذاب القبر قال الزبير انقرض ولد أسد بن هاشم الا من ابنته فاطمة بنت أسد وفاطمة هذه لها فضائل مشهورة ومآثر مشكورة مذكورة في كتب التاريخ واشهرتها وكثرة تداولها اكتفينا بذكر هذا اليسير منها

﴿فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم﴾

ولدت فاطمة قبل ما تبني قريش الكعبة بخمس سنين وهي أصغر بناته صلى الله عليه وسلم وأمها خديجة بنت خويلد وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة وكان النبي يحبها أكثر من كل أولاده الطاهرين وبناته الشريفات تزوجها علي بن أبي طالب عليهما السلام في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وبنى بها في ذي الحجة من السنة المذكورة روى عن أنس انه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيه الوحي فلما أفاق قال يا أنس أتدري ما جاءني به جبريل عليه السلام من صاحب العرش عز وجل وعلا قلت بابي أنت وأمي ما جاءك به جبريل قال قال لي ان الله تبارك وتعالى يأمرك ان تزوج فاطمة من علي فانطلق وادع لي أبا بكر وعمر وعثمن وطلحة والزبير وبعدتهم من الانصار قال فانطلقت فدعوتهم فلما أخذوا مجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المهروب اليه من عذابه النافذ أمره في أرضه وسمائه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا لاحقا وأمرا مفترضا وحكما عادلا وشيرا جامعا أوشج بها الارحام وألزمها الانام فقال الله عز وجل وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا وأمر الله تعالى يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرني ان أزوج فاطمة من علي وأشهدكم اني زوجت فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة جمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وامن الامة أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم قال وكان علي عليه السلام غائبا في حاجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه فيها ثم أمر لنا بطبق فيه تمر فوضع بين أيدينا فقال انتهبوا فبينما نحن كذلك اذ أقبل علي فتبسم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا علي ان الله أمرني ان أزوجك فاطمة واني زوجتكها على أربعمائة مثقال فضة فقال علي رضيت يا رسول الله ثم ان عليا خر ساجدا شكرا لله فلما رفع رأسه قال الرسول صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وعليكما واسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب

وفي المسند عن عائشة قالت أقبلت فاطمة تمشي كان مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا يا بنتي ثم أجلسها عن يمينه وأسر لها حديثا فبكت فقلت استخلصك رسول الله بحديثه ثم تبكين ثم أسر لها حديثا أيضا فضحكت فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عما قيل لها فقالت ما كنت لافشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت أسر الي ان جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وانه عارضني به في هذا العام مرتين ولا أراه الا قد حضر أجلي وانك أول أهل بيتي لحوقا بي ونعم السلف انا لك فبكيت فقال الا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة فضحكت لذلك ولم تضحك فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها قال

فى الجنان روى أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطت جارية لها صدقة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لها امضى الى السوق بها وقولى من يقبل صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قبلها فأتينى به فمضت الجارية الى السوق وقالت من يقبل صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل مغربى أنا موضع صدقة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطته الصدقة وقالت له أجب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها نعم فلما بلغ الباب سألته من أنت فقال لها أنا رجل مغربى فقالت له من أى المغرب فقال من البربر فبكت فاطمة وقالت قال لى والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبى حوارى وحوارى ذريتى البربر سيقتل الحسن والحسين ويفر أولادهما الى المغرب فلا يأويهما الا البربر فيا شؤم من فعل بهم ذلك وطوبى لمن أكرمهم وأعزهم وعن على عليه السلام قال ان فاطمة بنت رسول الله صارت الى قبر أبيها بعد موته ووقفت عليه وبكت ثم أخذت من تراب القبر فجعلتها على عينها ووجهها ثم أنشأت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد * ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو انها * صبت على الايام عدن لياليا

ولها عليها السلام ترثى أباها صلى الله عليه وسلم

اغبر آفاق السماء وكورت * شمس النهار وأظلم العصران
والارض من بعد النبى كئيبة * أسفا عليه كثيرة الاحزان
فليبكه شرق البلاد وغربها * ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود الاشم وجوه * والبيت ذو الاستار والاركان
يا خاتم الرسل المبارك صنوه * صلى عليك منزل القرآن

توفيت عليها السلام ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشرة للهجرة وهى بنت ثمان وعشرين سنة ودفنت بالبقيع ليلا وصلى عليها على عليه السلام وقيل صلى عليها ونزل فى قبرها هو والفضل بن العباس وقيل لبثت فاطمة بعد وفاة النبى عليه السلام ثلاثة أشهر وقال عروة بن الزبير وعائشة لبثت ستة أشهر ومثله عن ابن شهاب الزهرى وهو الصحيح روى ان عليا عليه السلام لما ماتت فاطمة وفرغ من جهازها ومن دفنها رجع الى البيت فاستوحش فيه وجزع عليها جزعا شديدا ثم أنشأ يقول

أرى علل الدنيا على كثيرة * وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة * وكل الذى دون الفراق قليل
وان افتقادى فاطما بعد أحمد * دليل على أن لا يدوم خليل

وكان يزور قبرها فى كل يوم فاقبل ذات يوم فانكب على القبر وبكى بكاء مرا وأنشأ يقول

مالى مررت على القبور مسلما * قبر الحبيب فلم يرد جوابى
يا قبر مالك لا تجيب مناديا * أمللت بعدى خلة الاحباب

فأجابه هاتف يقول

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم * وأنا رهين جنادل وتراب

أكل التراب محاسني فنسيتكم * وحجبت عن أهلي وعن أترابي

فعليكم مني السلام تقطعت * مني ومنكم خلة الاصحاب

وأما أولادها فالحسن والحسين والمحسن وهذا مات صغيرا وأم كلثوم وزينب وزاد الليث بن سعد رقية وماتت صغيرة لم تبلغ ولم يتزوج علي على فاطمة وكانت أول ازواجه عليهما السلام ونفعنا الله بهما آمين

﴿ فاطمة ابنة الحسين ﴾

ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام أمها أم اسحق التيمية بنت طلحة بن عبيد الله وتزوج فاطمة ابن عمها حسن بن الحسن السبط فولدت عبد الله ويلقب بالمحض وانما سمي بالمحض لمكانه من الحسنين وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له لم صرتم أفضل الناس فقال لان الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد وولدت صاحبة الترجمة للحسن المثنى ابراهيم القمر والحسن المثلث وكل منهم له عقب ومات المحض هو واخوته في سجن المنصور العباسي وكان موتهم سنة ١٤٥ ثم مات عنها الحسن المثنى فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وفي الاغاني خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الى عمه الحسين فقال يا ابن أخي قد كنت أنتظر هذا منك انطلق معي فخرج به حتى أدخله منزله فخيره في ابنتيه فاطمة وسكينة فاستحى فقال له قد اخترت لك فاطمة بنتي فهي أكثرهما شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تشبه الحور العين لجمالها ولما مات الحسن المثنى ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين على قبره فسطاطا وكانت تقوم الليل وتصوم النهار فلما كان رأس السنة قالت لمواليها اذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلا يقول هل وجدوا ما فقدوا فأجابه آخر بل يئسوا فانقلبوا ولما مات الحسن خرج عبد الله بن عمرو في جنازته فنظر الى فاطمة حاسرة تضرب وجهها فأرسل يقول لها ان لنا في وجهك حاجة فارفقي به فاستحيت وعرف ذلك منها وخمرت وجهها فلما حلت أرسل اليها يخطبها فقالت كيف بأيماني وكانت قد حلفت لزوجها أن لا تتزوج بعده فأرسل اليها يقول لها لك بكل مملوك مملوكان وعن كل شيء شيئان فعوضها عن يمينها فنكحته وولدت له محمدا والقاسم وكان عبد الله ابن الحسن ولدها يقول ما أبغضت بغض عبد الله بن عمرو أحدا ولا أحببت حب ابنه محمد أحدا

وكانت فاطمة كريمة الاخلاق حسنة الاعراق قيل انه لما جهز يزيد أهل البيت الى المدينة بعد قتل الحسين أرسل معهم رجلا أمينا من أهل الشام في خيل سيرها صحبتهم الى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لاختها سكينة قد أحسن هذا الرجل الينا فهل لك أن تصليه بشيء فقالت والله ما معنا ما نصله به الا ما كان من هذا الحلي قالت فافعلي فاخرجت له سوارين ودملجين وبعثنا اليه بهما فردهما وقال لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا كفاية ولكني والله ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة أكبر سنا من أختها سكينة قال صاحب نور الابصار عن القطب الشعراني ان السيدة فاطمة النبوية بنت الامام الحسين السبط مدفونة بالدرب الاحمر بمصر وقال الشيخ عبد الرحمن الاجهوري الكبير ان السيدة فاطمة النبوية مدفونة خلف الدرب الاحمر في زقاق يعرف بزقاق فاطمة النبوية في مسجد جليل ومقامها عظيم وعليه المهابة والجلال

وفي رحلة ابن بطوطة بعد الكلام على غزة ما نصه وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت

الحسين بن علي رضي الله عنه وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع (بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ماذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين عليه السلام) وفي اللوح الآخر منقوش صنعة محمد ابن أبي سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الابيات

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه * بالرغم مني بين الترب والحجر

ياقبر فاطمة بنت ابن فاطمة * بنت الائمة بنت الانجم الزهر

ياقبر مافيك من دين ومن ورع * ومن عفاف ومن صون ومن خفر

ومن كلام فاطمة عليها السلام والله مانال أحد من أهل السفه بسفههم شيأ ولا أدركوا من لذاتهم شيأ الا وقد ناله أهل المروآت فاستتروا بجميل ستر الله

ومن قولها تنعى أباها

نعق الغراب فقلت من * تنعاه ويحك ياغراب

قال الامام فقلت من * قال الموفق للصواب

قلت الحسين فقال لي * بمقال محزون أجاب

إن الحسين بكربلا * بين الاسنة والحراب

أبكي الحسين بعبرة * ترضي الاله مع الثواب

ثم استقل به الجنا * ح فلم يطق رد الجواب

فبكيت مما حل بي * بعد الرضي المستجاب

وقيل ان هذه الابيات لفاطمة الصغرى وانها تخلفت في المدينة فجاء غراب وتمرغ في دم الحسين في كربلاء وطار حتى وقع على جدار فاطمة الصغرى فرفعت طرفها ونظرت اليه وبكت بكاء شديدا وأنشأت الابيات المذكورة

وقال بعضهم لما زفت فاطمة بنت الحسين عليهما السلام الى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان عارضها موسى شهوات فقال

طلعة الخير جد كم * وخير الفواطم

أنت للطاهرات من * فرع تيم وهاشم

أرتجيكم لنفعكم * وادفع المظالم

وتوفيت السيدة فاطمة المشار اليها سنة عشرة ومائة للهجرة ودفنت في المسجد المعروف بها الآن الكائن خلف الدرب الاحمر بمصر المذكور ومسجدها عامر الشعائر وله أوقاف دارة من ديوان الاوقاف لغاية الآن ولها مولد كل سنة وحضرة في كل أسبوع تجتمع فيها رجال الطريقة والاذكار والصلوات تقام من المساء الى الصباح

﴿فاطمة بنت مر الخثعمية﴾

كانت من كاهنات العرب المشهورة ولهم بالفراسة وقد اشتهر صيتها في علم الكهانة وكانت تقول الشعر

مرّ عليها أبوه عبد المطلب بن هاشم ومعه ولده عبد الله فرأت في وجه عبد الله نوراً ساطعاً فتفرّست فيه أنه سيخرج منه مولود يكون له شأن فأحبت أن يكون منها ذلك المولود فقالت له يا عبد الله هل لك أن تقع على ولك مائة ناقة من الابل فقال لها

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

ثم قال لها أنا مع أبي فلا أقدر أن أفارقه ومضى فزوّجه أبوه بآمنة بنت وهب فأقام عندها ثلاثاً ثم انصرف فمرّ بالخثعمية فدعته نفسه الى مادعته اليه فقال لها هل لك فيما كنت أردت فقالت يافتى ما أنا بصاحبة ريبة ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون لى فأبى الله الا أن يجعله حيث أراد فما صنعت بعدى قال زوّجنى أبي آمنة ابنة وهب فقالت فاطمة بنت مر حين ذاك

انى رأيت مخيلة لمعت * فتلألأت بحناتم القطر
فلمائها نور يضيء به * ماحوله كاضاءة البدر
ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر
فرجوته فخراً أبوء به * ما كل قادح زنده يورى
لله مازهرية سلبت * منك الذى سلبت وما تدرى

وقالت أيضاً فى ذلك

بنى هاشم قد غادرت من أخيكم * أمينة اذ للباه يعتركان
كما غادر المصباح عند خموده * فتائل قد بلت له بدهان
فما كل مايحوى الفتى من تلاده * لحزم ولا ما فاته لتوان
فأجمل اذا طالبت أمراً فانه * سيكفيكه جدان يعتلجان
سيكفيكه اما يد مقفعلة * واما يد مبسوطة ببنان
ولما حوت منه أمينة ماحوت * حوت منه فخراً ماذلك ثانى

فانصرف عبد الله وبقيت هى فى حالها حتى ولد النبى صلى الله عليه وسلم وتربى وكبر ونزل عليه الوحى وفدت عليه وأسلمت على يديه وماتت فى مدته رحمها الله

﴿فاطمة بنت أجحم بن دندنة الخزاعى﴾

كان أبوها أحد سادات العرب تزوج بخالدة بنت هاشم بن عبد المطلب وكانت فاطمة من فصحاء العرب وشاعرات النساء وأشعارها كانت لا تخرج عن الحكم والامثال وأكثرها رثاء وكانت العرب تتمثل بأشعارها ومن قولها فى الجراح زوجها

ياعين بكى عند كل صباح * جودى بأربعة على الجراح
قد كنت لى جبلاً ألوذ بظله * فتركتنى أضحى بأجرد ضاح
قد كنت ذات حمية ما عشت لى * أمشى البراز وكنت أنت جناحى
فاليوم أخضع للذليل وأتقى * منه وأدفع ظالمى بالراح

وأغض من بصري وأعلم أنه * قد بان حد فوارسي ورماحي
واذا دعت قمرية شجنا لها * يوما على فنن دعوت صباحي

وقالت أيضا

إخوتي لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا
لو تملتهم عشيرتهم * لاقتناء العز أو ولدوا
هان من بعض الرزية أو * هان من بعض الذي أجد
كل ماحي وان أمروا * واردو الحوض الذي وردوا

﴿فاطمة ابنة الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشية العدوية أخت عمر بن الخطاب﴾

كانت احدى العشرة الذين أسلموا أول الاسلام وهي أسلمت مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي قبل اسلام أخيها عمر وهي كانت سبب اسلامه وقيل سئل عمر عن سبب اسلامه فقال خرجت بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام فاذا أحد رجال بني مخزوم وكان قد أسلم فقلت تركت دين آبائك واتبعت دين محمد فقال ان فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقا مني قلت من هو قال أختك وختنك قال فانطلقت فوجدت الباب مغلقا وسمعت همهمة ففتح الباب فدخلت فقلت ما هذا الذي أسمع قالت ما سمعت شيئا فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربته فأدميته فقامت الي أختي فأخذت برأسي فقالت قد كان ذلك على رغم أنفك قال فاستحييت حين رأيت الدم وقلت أروني هذا الكتاب فأروه اياه فلما رآه أسلم وذلك مشهور في ترجمته

وبقيت المترجمة تعضد الاسلام وتحرض نساء قريش على اتباعه حتى دخل دين الاسلام نساء ورجال كثيرون بسببها

وكانت أديبة فاضلة عاقلة محبة للخير كارهة للشر آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر توفيت بخلافة أخيها عمر بن الخطاب ودفنت بما لاق بها

﴿فاطمة ابنة قيس بن خالد الاكبر ابن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس﴾

قيل كانت أكبر منه بعشر سنين وكانت أديبة عاقلة فاضلة ذات رأي صائب وفكر ثاقب وكمال باهر وجمال ظاهر هاجرت أول الاسلام مع من هاجر وكانت تحت أبي حفص بن المغيرة فطلقها ثلاثا لاسباب وقعت بينهما فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم فقالت له أليس لي على أبي حفص نفقة فقال لها ليس لك عليه نفقة ولا سكنى فامتثلت

وقيل انه لما طلقها أبو حفص خطبها معاوية وأبو جهم بن حذيفة فاستشارت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لها أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو حذيفة فلا يضع عصاه عن عاتقه وأمرها باسامة بن زيد فتزوجته

وقيل انها قدمت الكوفة على أخيها الضحاك بن قيس وكان أميرا بها من قبل عمر بن الخطاب فلما سمع

بقدومها أهل الكوفة تقاطروا عليها ومن جملتهم الشعبي وقد حدثهم عما سمعته عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها الشعبي جملة أحاديث

وقيل انه لما قتل عمر بن الخطاب اجتمع أهل الشورى في بيتها وقضوا ما ربهم في الخلافة باطلاعها وأخذوا رأيها في ذلك

وقد روت جملة أحاديث رواها عنها بعض الصحابة

﴿ فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية ﴾

كانت تزوجت سالما مولى حذيفة زوجها منه عمها أبو حذيفة بن عتبة وكانت من المهاجرات الاول ومن أفضل أيامى قريش لها عقل وكمال وفضل وجمال ولما قتل عنها سالم يوم اليمامة تزوجها بعده الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي وقيل انها كانت في الشام تلبس الجباب من ثياب الخز ثم تأتزر فقيل لها ما يغنيك هذا عن الازار فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالازار وقد روت جملة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواها عنها بعض الصحابة

﴿ فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية أخت خالد بن الوليد ﴾

أسلمت يوم الفتح وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وهي زوج ابن عمها الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي ويقال انه تزوجها بعده عمر بن الخطاب وقد ولدت للحرث بن هشام عبد الرحمن وأم حكيم وقد خرجت مع زوجها الحرث الى الشام وقد استشارها أخوها خالد في بعض أموره وذلك لوفرة عقلها وحسن تدبيرها ولما مات عنها زوجها الحرث عادت الى المدينة وقد تزوجها عمر بن الخطاب بعد رجوعها بقليل وروى لها عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث رواها عنها بعض الصحابة

﴿ فاطمة ابنة الضحاك الكلابية ﴾

كانت من النساء العاقلات الفاضلات وهي ذات حسن وجمال وبهاء وكمال تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة ابنته زينب وقيل انه خيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عند ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فكانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول أنا الشقية اخترت الدنيا

والظاهر أن هذه الرواية باطلة لانه جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله وهكذا تتابع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كلهن على ذلك وقيل كان عنده تسع نسوة حين خيرهن وهن اللاتي توفي عنهن وروى جماعة أن التي قالت أنا الشقية هي التي استعاذت منه وقد اختلفوا فيها اختلافا كثيرا

﴿ فاطمة ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية العبشمية ﴾

هي أخت هند بنت عتبة وهي خالة معاوية بن أبي سفيان الاموي كانت فصيحة الالفاظ رقيقة أديبة حلوة المنطق ذات عقل وافر جامعة بين مزيتي الحسن والادب أسلمت يوم الفتح وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها أخوها أبو حذيفة بن عتبة ذهب بها وبأختها هند يبايعان رسول الله صلى الله عليه

وسلم وذلك يوم الفتح فقالت فاطمة فلما اشترط علينا النبي صلى الله عليه وسلم قالت هند أو تعلم في نساء قومك هذه الهنات والعاهات فقال بايعيه فهكذا يشترط وقيل ان فاطمة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله قد كانت ومافي الارض قبة أحب الي أن تهدم من قبتك واني اليوم ومافي الارض قبة أحب الي بقاء من قبتك فقال أما إن أحدكم لن يؤمن حتى أكون أحب اليه من نفسه

﴿ فاطمة ابنة المجلل بن عبدالله بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي القرشية العامرية ﴾

وتكنى أم جميل كانت من النساء الفاضلات الاديبات العاقلات وقد اشتهرت بالفضيلة والظرف والرقة وهي من السابقين الى الاسلام

تزوجها حاطب بن الحرث بن المغيرة فولدت له محمد بن حاطب والحرث بن حاطب وقد هاجرت مع من هاجروا الى بلاد الحبشة مع زوجها حاطب فلما توفي زوجها في بلاد الحبشة وقدمت هي وابناها المذكوران الى المدينة في احدى السفينتين اللتين قدمتا بهما من الحبشة وقيل إنها لما قدمت من أرض الحبشة وفدت الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ابنها فقالت يارسول الله هذا ابن أخيك حاطب وقد أصابه هذا الحرق من النار فادع الله له فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالشفاء فشفي

﴿ فاطمة ابنة عبد الملك بن مروان ﴾

كانت فصيحة زمانها وأديبة عصرها وأوانها ذات جمال رائق وحسن فائق ودين وورع لم يسبق اليه أحد من نساء بني أمية تزوجت بعمر بن عبد العزيز الاموي قبل أن يتولى الخلافة فغمرها بأمواله وأقنعها بنواله وهي لم تكن بأقل منه مالا وقد عاشا في بدء أمرهما عيشة الرفاهية والنعيم ولما آلت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رأى أن عبأها ثقيل لا يحمله عاتقه ومن جملة ما صنعه قال لفاطمة ان أردت صحبتي فردي ما معك من مال وحلي وجواهر الى بيت مال المسلمين فانه لهم واني لا أجتمع أنا وأنت وهو في بيت واحد فردته جميعه ولم تبق لها منه خلال ابرة وبقيت معه في عيشة التقشف والضيق مع اتساع الخلافة والملك الى أن مات فلما انتقلت الخلافة الى أخيها يزيد بن عبد الملك قال لها ان عمر قد ظلمك في مالك واني رددته اليك فخذيه قالت كلا والله لا آخذه فما كنت لاطيعه حيا وأعصيه ميتا فأخذه يزيد وفرقه على أهله وبقيت فاطمة في حالة زهد وعبادة وورع حتى لحقت بزوجها عمر رضي الله عنه

﴿ فاطمة ابنة الشيخ الامام المقرئ المحدث جمال الدين سليمن بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن سعد الله بن أبي القاسم الانصاري الدمشقي ﴾

كانت من النساء العالمات العاقلات المحدثات الصادقات في الرواية أخذت الحديث عن والدها وعن أجلاء عصرها وقد أخذ عنها الحديث جملة مثل الصفدي وخلافه وأجازها معظم علماء القرن السابع للهجرة من الشام والعراق والحجاز وفارس وغيرها وكانت ولادتها في سنة ٦٢٠ هجرية وتوفيت في سنة ٧٠٨ وكانت ذات ثروة وافرة فمكنت منها أعمال خيرات ومبرات ومدارس ومارستانات وتكايا وأوقفت لتلك المحلات الخيرية أوقافا ورتبت لمستخدميها رواتب حتى باهت بأفعالها الخيرية أعاظم رجال ونساء عصرها رحمها الله تعالى

﴿ فاطمة ابنة الخشاب ﴾

كانت شاعرة مجيدة وفصيحة بليغة لها قصائد مطولة وأشعار لطيفة ونثر جميل عاصرت الصفدى فى القرن السابع وقد اجتمع عليها جملة من العلماء والاماثل والادباء الافاضل وقد أجازها فى الحديث جملة منهم وروى عنها كثيراً أيضا

وقد راسلها يوما العلامة قاضى القضاة شهاب الدين بن فضل الله بقصيدة غراء نحو سبعة وعشرين بيتا ومطلعها

هل ينفع المشتاق قرب الدار * والوصل ممتنع مع الزوّار
يا نازلين بمهجتى وديارهم * من ناظرى تقطع الاقطار
هجتم شجى فعدت الى الصبا * من بعد ما وخط المشيب عذارى

فأجابته المترجمة بقصيدة على وزنها وقافيتها تزيد عن العشرين بيتا لم نعثر منها الا على هذين البيتين وهما

ان كان غركم جمال ازاير * فالقبح فى تلك المحاسن وار
لا تحسبوا أنى أماثل شعركم * أنى يقاس جداول ببحار

فلما وصلت هذه القصيدة الى قاضى القضاة وجدها كلها ألفاظا درية ومعانى عبقرية أكبر مخاطبته وأخذها بعين الكمال ولم يخاطبها الا بما يوافق مقام العلماء الاعلام وبقيت معززة مكرمة الى أن ماتت وحضر مشهدها جملة من العلماء والاعيان والحكام رحمها الله تعالى

﴿ فاطمة الفقيهة ابنة علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندى ﴾

كانت من الفقيهات العالمات بعلم الفقه والحديث أخذت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذ عنها كثيرون وكان لها حلقة للتدريس وقد أجازها جملة من كبار القوم وكانت من الزهد والورع على جانب عظيم تزوجت بفخر الانام العالم العلامة علاء الدين القاشانى ومكثت عنده زمنا طويلا وقد ألفت المؤلفات العديدة فى الفقه والحديث وانتشرت مؤلفاتها بين العلماء والافاضل وكانت معاصرة للملك العادل نور الدين الشهيد وطالما استشارها فى بعض أموره الداخلية وأخذ عنها بعض المسائل الفقهية وكان دائما ينعم عليها ويعضد مسعاها

وقد توفيت بمدينة حلب ودفنت فى مقبرة من قبور الصالحين وقبرها هنالك مشهور بقبر المرأة وزوجها لانها دفنت بعد وفاته بجانبه

﴿ فاطمة النيسابورية رضى الله عنها ﴾

كانت من ذوى الزهد والورع ولابسات المسوح حجت جملة مرار من بيت المقدس الى مكة وهى ماشية على قدميها وكانت معاصرة لذى النون المصرى وأبى يزيد البسطامى وكان ذو النون المصرى رضى الله عنه يقول فاطمة أستاذتى وكانت تقول من لم يراقب الله تعالى فى كل حال فانه يتحدر فى كل ميدان ويتكلم بكل لسان ومن راقب الله فى كل حال أخرسه الا عن الصدق وألزمه الحياء منه والاخلاص له وكانت تقول من عمل لله على مشاهدة الله اياه فهو مخلص وكان أبو يزيد البسطامى يقول عنها ما رأيت امرأة مثل فاطمة

ما أخبرتها عن مقام الا كان الخبر لها عيانا ماتت فى طريق العمرة بمكة سنة ثلاث وعشرين ومائتين

﴿ فاطمة بنت الامام السيد أحمد الرفاعى الكبير ﴾

كانت عابدة قانتة صالحة حافظة لكتاب الله فقيهة فى دين الله محافظة على الدين مكرمة للصالحين خاشعة قانعة باكية هائمة فى الله تعالى شغلها حب الله تعالى عن غيره رأى الشيخ الفاروقى قدس سره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام والسيدة فاطمة هذه وأختها السيدة زينب بين يديه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فاطمة فاطمى وزينب زينبى بناى وبنتا ولدى أحب أهل هذا البيت يا عمر فأفاق الفاروقى مندهشا وغشى عليه الليل كله فلما أصبح استأذن على السيدة فاطمة فلما وقف وراء الحجاب قالت له بصوت حزين وخشية وأنين قبل أن يذكر رؤياه جدنا بالرحيم صلى الله عليه وسلم أخذ عنها القراءة ولدها السيد أبو اسحق ابراهيم الاعزب وولدها السيد نجم الدين أحمد رضى الله عنهما وسمعا منها حديث الرسول وحدث عنها السيد أحمد الصياد رضى الله عنه فى كتاب الوظائف ونقل عنها الشيخ محيى الدين ابرهيم بن عمر الفاروقى أنها أنشدت فى مجلس درسها بيتا حفظته أخته الصالحة خديجة الفارسية ورواه عنها وهو

نموت على التقوى ونحشر فى غد * على خالص الايمان والبر والتقوى

توفيت بأم عبيدة سنة تسع وستمائة ودفنت بالمشهد الاحمدى رضى الله عنها

﴿ فاطمة بنت السيد عبد الرحيم الرفاعى ﴾

وتلقب ملكة قال الامام أحمد الزاهر جدى الكبير قدس سره حين ذكرها السيدة فاطمة أخت القطب الجليل السيد أحمد الصياد ابن الرفاعى قدس الله سره العزيز يلقبها أهل بيتهم ملكة كانت صالحة عارفة عالمة عابدة خاشعة حجت مع أخيها السيد عز الدين أحمد الصياد الشهير سنة ثلاث وأربعين وستمائة وزارت مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فلما تمثلت أمام قبر جدها عليه الصلاة والسلام قالت

يارب ان قبلت لديك زيارتى * فاجعل بطيبة قرب طه مدفنى

ثم غشى عليها فرفعوها الى محلها فماتت ذلك اليوم ودفنت بالقرب من حرم النبى صلى الله عليه وسلم ومرقدها المبارك معروف يزار بالمدينة ويتبرك به رضى الله عنها وهى حفيدة الغوث الاكبر سيد الاولياء السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه من بنته السيدة العارفة بالله الشريفة زينب ووالدها القطب الاعظم السيد عبد الرحيم الرفاعى الحسينى رضى الله عنهم أجمعين

﴿ فاطمة علية ﴾

هى ابنة العلامة الفاضل المؤرخ الشهير جودت باشا ناظر العدلية العثمانية سابقا ولدت فاطمة علية فى الاستانة العلية ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٧٩ هجرية الموافق ٩ تشرين أول (اكتوبر) سنة ١٨٦٢ ميلادية ولما تولى والدها ولاية حلب الشهباء سنة ١٢٨٢ كان عمرها ثلاث سنوات ولما ظهر عليها من امارات النجابة أحبها حبا شديدا فأخذها معه ومكثت عنده مدة ولايته وهى سنتان تحت مناظرته

ولما رجع الى الاستانة استحضر لها معلمين ومعلمات وهو تقلب فى جملة وظائف مهمة فى الدولة العثمانية الى أن بلغت من العمر أربع عشرة سنة تعين والدها فى ولاية يانيه وكان ذلك فى سنة ١٢٩٢ هجرية فذهبت

معه ولم يمكث بها كثيرا ورجع الى الاستانة ومع ذلك فانها أينما توجهت فانها مشتغلة بالعلوم والمعارف
وفى سنة ١٢٩٥ تولى والدها ولاية سورية فتوجهت معه وأقامت مدة فى دمشق الشام ثم أقامت شتاء
فى بيروت ورجعت برجوع والدها الى الاستانة

وكان أول ما اشتغلت به من العلوم من سن الطفولية تعلم أصول القراءة والكتابة التركية وتلقت دروس
العربية والفارسية من عدة معلمين خصوصيين مختلفى الطبقات ثم اشتغلت بتحصيل اللغة الفرنساوية
وأتقنت الحصول عليها بواسطة انسة باريسية ولما كانت فى سورية تقدمت فى تحصيل اللغة العربية
بكافة فنونها من بديع وعروض ونحو وبيان وخلافه

وأما العلوم العقلية من توحيد وكلام ومنطق ورياضة وهندسة وحساب فانها أخذتها عن والدها بأحسن
مأخذ وأما علم الموسيقى فانها أخذته بكامل أنواعه وفروعه عن ماهرين فيه من ترك وعرب وفرس وافرنج
حتى فاقت أهل زمانها فيه

والذى يرى تفرغها لهذه العلوم يظن أنها أهملت أهم ما يلزم للمخدرات من الاشغال المنزلية حالة كونها
لم تهمل دوام التقدم فى الاشغال اللازمة للمخدرات وقد تفردت بذلك بين مثيلاتها وفاقت كثيرات
من قريناتها

وافتتحت لذاتها منهاجا خصوصيا فى الانشاآت الكلامية ولكنها لم تقتدر على التفرغ لنشر الآثار بالنسبة
لاشتغالها فى أول الامر بالشؤن التى هى طبيعية الحصول لطائفة النساء كتدبير المنزل وتربية الاولاد

ولما عمت العلوم والمعارف فى هذا العصر الحميدى الى عموم الممالك العثمانية وخصوصا فى الاستانة العلية
وابتدأ بعض المخدرات العثمانية فى نشر الآثار والاشتراك فى خدمة التأليف وغيرها بتدرت الترجمة
أن تسابق هاتيك المخدرات فترجمت رواية (دولانته) تأليف (جورج أدنا) أحد مشاهير أدباء الفرنساويين
من اللغة الفرنساوية الى التركية وسمتها باسم (مرام) وأبدعت فيها كل الابداع من جهة الاسلوب والسياق
وهى أول آثار براعتها ولكنها ضنت باسمها فلم تذكره بل أخفته مصونا واحتجابا وانتظرت أقوال أدباء
العصر عنها ولم تتكامل نشرها حتى ظهرت علائم استحسان الادباء الطرز الجديد الذى جرت عليه فى عباراتها
وقد احتفل بها العلامة أحمد مدحت أفندى محرر جرنال ترجمان حقيقت التركى العبارة وكتب جملة
فصول عنها وشوقها الى خدمة العلوم والآداب

وكثر الكلام بين أدباء العثمانيين عن سياق هذه الرواية بالنظر لخفاء اسم مترجمها ولكن عضدها فيه
مدحت أفندى وأمثاله من فضلاء الاتراك وأظهروا لهم حقيقة حالها

وبناء على تعضيد وتنشيط مدحت أفندى لها أظهرت اسمها وابتدأت المباحثات العلمية والادبية بينها
وبينه وصارت تكتب المقالات العديدة وترسلها تحت امضائها لتنشر فى (ترجمان حقيقت) وبذلك
اشتهرت بين الادباء اشتهارا عظيما

ولما شاع ذكرها فى الآفاق وسمعت بها نساء الافرنج السائحات صرن أول ما يردن على الاستانة يقصدن
منازل السيدات العثمانيات المتصفات بالفضيلة ويزرن المترجمة وبذاكرنها فى العلوم والمعارف والفنون
فيجدن منها فاضلة أديبة

وقد جرت بينها وبين ثلاثة من سيدات الافرنج السائحات محاورات مهمة كتبتها فى رسالة وسمتها باسم

(نساء الاسلام) وقد نشرت في جريدة ترجمان حقيقت سنة ١٨٩٢ افرنجية وترجمتها عنها جريدة ثمرات الفنون التي تطبع في بيروت من التركية الى العربية ثم ترجمت هذه الرسالة الى الفرنساوية والانكليزية وبلغت حدّها من الاشتهار

وبما أنها جاءت أحسن مقالة أنشئت من ذوات القناع لما فيها من حسن البلاغة والابداع رأيت أن أدرجها عقيب هذه الترجمة وان كان فيها طول لما فيها من الفائدة وأثرا لهذه الفاضلة

وللمترجمة رواية تركية عثمانية وسمتها باسم (محاضرات) نشرتها باسلوبها التركي البديع في الاستانة العلية

وبالجملة فان المترجمة قد تفننت في العلوم الرياضية والفلسفية والطبيعية كل التفنن ومزجت العلوم الشرقية بالعلوم الغربية حتى صارت من مفاخر المخدرات الاسلامية ولم يضاهها أحد من النساء الشرقيات والغربيات وهي الآن مقيمة بالاستانة العلية كثر الله من أمثالها ووسع الله بها العلوم والمعارف على جنسنا النسائي

وها هي الرسالة الموعود بادراجها قالت

لما كان النوع الانساني مدنيا بالطبع ومحتاجا الى التعاون والتعاضد مع بعضه البعض تمكن في كل جهة من عقد روابط الجمعية وبسط بساط المدنية واستكمال حاجاته الضرورية ثم تسنى له بالتدريج استحصال حوائجه الكمالية أيضا وعلى هذا الوجه ظهر اختلاف في اللغات في أي الاطراف وتباين في العرف والتعامل يخالف بعضه بعضا وقد أدى اختلاف اللسان والمكان الى ايجاد مباينة كلية بين الملل والاقوام حتى انه من القديم أخذ كل فرد من هاته الملل يعيش في عالمه الصغير في حالة العزلة والانفراد لا يعلم شيأ من أحوال سواه

أجل إن الملل المذكورة لم تكن خلوا من وسائط المواصلات كالقوافل والسفن الا أنه بالنظر الى صعوبة الاسفار البرية والبحرية وقلة الواردات كان أهالي البلاد البعيدة غير واقفين تمام الوقوف على أحوال غيرهم من أبناء النوع الانساني وكان اذا ظهر حادث في جهة من أوربا لا يمكن العلم به الا بعد سنة كاملة ومثل ذلك كانت سائر البلاد الاوربية أيضا لا تسمع بحوادث العالم الا بعد مرور زمن طويل

ولما أنشئت السفن التجارية كثرت الواردات وحصلت السرعة والسهولة في النقل والحركة وقد ازدادت هذه السرعة والسهولة في الاسفار والسياحات زيادة تذكر بواسطة الطرق الحديدية ثم اخترع التلغراف فكان واسطة المخابرات بنسبة هذه السرعة في الاسفار حتى إن الحوادث التي كانت لا تعلم في البلاد البعيدة الا بعد سنة صار يمكن الوقوف عليها في خلال ساعة واحدة وبالجملة فان العالم دخل في طور جديد يختلف عن الطرز الاول وعلى ذلك فان الاوربيين المشتغلين بتحقيق وتدقيق جميع الاشياء وان كانوا قد ابتدؤا في بذل الجهد رغبة منهم في الاطلاع على خصوصيات أحوالنا فقد تبين لي في خلال المحاورات التي وقعت بيني وبين بعض النساء الاوربيات من معتبري السواح أن ظنون الافرنج المتعلقة بنا هي من حيث الخطا والوهم في صورة موجبة للتعجب حقيقة حتى انني عند ما سمعت هذه الاخبار الكاذبة من المومى اليهن تعجبت تعجبا يضاهي استغرابهن مما يلقينه من الاخبار الفاسدة المغلوطة وظننت انهن انما يبحثن عن غيرنا من الملل

ومع ذلك فان الكلام الذى سمعته من هؤلاء السائحات انما هو مندرج فى الآثار الاوربية المكتوبة على شكل كتب السياحة وعلى هاته الحال فان كتب السياحات المذكورة ليست من كتب المعلومات الباحثة عن حقائق الاحوال واغا أكثر مندرجاتها تشبه الحكايات الخيالية التى كتبت على طرز القصص (الرومان) فهذه الاوهام والخطيئات كيف نشأت يا ترى وهل هى منبعثة عن أغراض الاوربيين الخصوصية كلا إن السواح المعتبرين يبذلون قصارى جهدهم وينفقون نقودهم فى سبيل الوقوف على الحقائق المنتشرة فى آفاق وأقطار العالم ليستفيد من علمهم واطلاعهم كل فرد من أفراد مواطنيهم فيجب والحالة هذه أن نفتش عن هذا القصور عندنا اذ أنه من موجبات كمال التحرى عن قصور الذات ومن يقيس قبائحه بعد توفيقها على قبائح غيره يكن لا شك فى جانب الحق والصواب ويفوز برفعة القدر وعلو الجناب

معلوم أن الوقوف على أفكار الاهالى وعاداتهم كما ينبغى لا يحصل ولا يتم بالتجول فى أسواق البلد وطرقه ومشاهدة مواقفه المشهورة واغا لاجل الوقوف على أحوال احدى الملل الحقيقية يجب الاجتماع بالذكور والاناث والاخذ معهم باطراف الحديث ولما كانت النساء عندنا محجبات كان الاجتماع بهن مستحيلا على الرجال ومع ذلك فان كثيرا ما يوجد بين هؤلاء السواح نساء لا تقل معارفهن عن معارف الرجال فيمكن بواسطتهن أن يطلع سائر السواح أيضا على أحوال نساء المسلمين الحقيقية بمزيد السهولة لكن هؤلاء النساء العارفات أيضا لا يمكن أن يفهمن بمجرد دخولهن على عائلة لا يفهمن لغتها فانهن يكن حينئذ كالخرس ويكتفين بتبادل النظرات

أجل ان لدينا فى الوقت الحاضر عددا من النساء اللاتى يعرفن اللغة الفرنساوية على أن قسما كبيرا منهن قد تربين تربية افرنجية صرفة بمعرفة المربيات الاوربيات المعروفات باسم (السثينوتريس) فتعلمن اللغة الفرنساوية لا لاجل اكتساب المعارف والعلم واغا رغبة منهن فى أن يكن أفرنجيات محضا ولما كن جاهلات للاحكام الشرعية وكن قد نبذن عاداتهن الملية ظهريا وعشن عيشة أفرنجية كان الاجتماع بهن والاخذ بأطراف الحديث معهن نظير محادثة العيال الافرنجية فى بك أوغلى (قسم من دار السعادة يسكنه الافرنج) فلا يستفيد محادثهن فائدة بالكلية ولا يفهم منهن شيأ على الاطلاق وهاته العيال السالكة مسلك التقليد اذا رغب اليهن أحد فى الحصول على المعلومات المتعلقة بأصول المعيشة الاسلامية فما يكن قد نبذنه نبذ النواة سكتن عن بيان استقامة وطهارة الدين المبين الاسلامى (من حيث انهن قليلات العلم بذلك) وأخذن فى الكلام بحدة وشدة عن مسائل الحجاب زاعمات أن العادات الملية مقتبسة عن الاحكام الشرعية وبالجملة فانهن يصحن فى أشياء لا علم لهن بها فيكن سببا لمفتريات واسنادات بعض الاجانب على الدين المطهر الذى استترنا بمشكاته وتشرفنا بآياته

والغالب أن النساء اللاتى قدمن الى مدينتنا من أوربا بقصد السياحة قد أدركن هذه الدقائق فانهن كثيرات الرغبة فى الاجتماع بالعيال الاسلامية التى ما برحت عائشة على النسق السابق والاصول القديمة

وانه يوجد قسم من العيال الاسلامية أيضا بحسب أفرادهم يعتقدون أن فى تعليم النساء العلوم والمعارف اغلاطا حتى انهم لا يتعصبون فقط بأمر تعليمهن اللغة الفرنساوية بل يتعصبون أيضا فى تدريس اللغة التركية ما زيد عن اللزوم الضرورى والحق يقال ان هؤلاء ممن لا يعلمون ما بلغ اليه الازواج المطهرات والبنات

الزاكيات وكثير من العالمات الاديبات التى كن فى صدر الاسلام من رفيع الدرجات فى العلم والفضل ومع أن كشف وجوه النساء غير محرم شرعا وانما الواجب عليهن أن يسترن شعورهن فانا نرى بعضا من نسائنا يحجبن وجوههن على عكس الايجاب الشرعى ويكشفن شعورهن والحاصل أن الحد الوسط مفقود عندنا فنتلاعب بنا أمواج الحيرة فى عباب التيه فلا ندرى الى أية جهة نسير والحال أن الافراط والتفريط فى كل شئ مضر ومذموم والاعتدال مشكور فى جميع الاحوال فان خير الامور أوسطها فبناء على ذلك يلزم على السواح كى يتمكنوا من الوقوف على حقائق الاحوال أن يجتمعوا ويتباحثوا مع العيال العارفة باللغة الفرنساوية العائشة على مقتضى الاصول الاسلامية حالة كونها محافظة على أحكامها الدينية وأفكارها وعاداتها الملية نعم ان تمييز ذلك مشكل بالنسبة الى الغرباء إذ أن الاجانب الذين ينزلون فى فنادق بك أوغلى يطرحون على التراجمة الذين لا يحيطون علما بما يخرج عن عالم هذا المحل أسئلة بقصد الحصول على بعض الانباء فيأخذ هؤلاء التراجمة بالنظر الى اضطرارهم لتأدية الجواب فى القاء كلمات لامعنى لها فيهرفون بما لا يعرفون ويصفون أحوال النساء وضعا للحكايات الخيالية

ومن الامور المعلومة عند سائر الانام أن الاروبيين لا يعترضون بشئ على أحكامنا الدينية الموافقة للحكمة والعقل وانما يتخيلون ويظنون أن نساء المسلمين مظلومات معذورات فيطلقون ألسنتهم باللوم آخذات التشديد فى هذا الباب

بما أنى فى خلال محاوراتى مع بعض السائحات المميزات قد اطلعت على أوهام الاروبيين وفساد ظنونهم المتعلقة بنا ولم يسعنى أن أستر استغرابى من ذلك فى خفايا القلب رأيت نفسى مضطرة الى بيان ما دار بيننا من الاحاديث فى المحاورات المذكورة على الوجه الآتى

﴿المحاورة الاولى﴾

فى يوم من أيام شهر رمضان الشريف فى السنة الماضية أى سنة ١٣٠٨ هجرية أخبرنا أن عقيلة أوربية تدعى . مادام ف . وراهبة زاهدة فى الدنيا راغبتان فى المجئ الى منزلنا لمشاهدة طعام الافطار وبعد العصر أقبلتا على المنزل وأخذتا تتنزهان فى الحديقة الخارجية ثم بعد مرور نصف ساعة أرسلتا تخبرنا انهما داخلتان الى المنزل ولما كانت وظيفة الترجمة فى منزلنا مفوضة لعهدة هذه العاجزة ذهبت لاستقبالهما فى باب الحديقة تصحبنى جاريتان أصغر لاردا ومظلة كل من الزائرتين

وعند دخولهما رحبت بهما باللغة الافرنسية وتبادلنا المصافحة بالايدى ثم ان مادام ف . مدت يدها الى الجارية التى كانت تصحبنى وهى الجارية القائمة بخدمة رئيسة الخدم فى منزلنا لتصافحها أما الجارية فانها تناولت المظلة من يد الموحى اليها الثانية وانسحبت الى الوراء وأخذت الجارية الثانية رداءهما ونيطتهما ودخلت بهما الى قاعة الضيوف وبعد ذلك قدمتهما لصاحبة البيت وأفراد العائلة وعرفتهما بهن على مقتضى الاصول الجارية

أما مادام ف . فهى امرأة بين الخامسة والثلاثين الى الاربعين من العمر والراهبة بين الاربعين الى الخامسة والاربعين من سنى الحياة وقد علمت أن مادام ف . الموحى اليها وزوجها والراهبة أيضا لم يأتوا الى دار السعادة قبل هذه المدة وبعد أن أكرمناهما بالحلوى والقهوة على النسق التركى طلبت مادام ف . أن

تتفرج على غرفة مفروشة على الاصول التركية فأدخلناها الى القاعة ولما الم ترفيها غير مقعد بسيط أخذتها الحيرة وطلبت منى أن أطوف بها اذا أمكن فى الغرف الاخرى فتكون فى غاية الامتنان فقلت لها ان ذلك مما يزيدنا منة وسارعت حالا فى انفاذ رغبتها وفى خلال ذلك أشارت مادام ف . الى رئيسة الخدم الواقفة أمامها وقالت

أثناء دخولنا اقتمت يدى لهذه السيدة فلم تتناولها وانما أخذت من يدى المظلة والآن أراها واقفة على الاقدام لا تجلس معنا فما السبب فى ذلك فقلت لها

لانها جارية أيتها المادام فقالت

وما شأن البنات اللاتى على مقربة منها فقلت لها

هن مثلها أيضا فقالت

حسن جدا ولكن أيتها السيدة أرى فى أذنيها أقراطا وفى يدها خاتما وعلى صدرها ساعة جميلة وسلسالا وقد ظننت قبلا أنها سيدة والآن علمت انها جارية فأخذتنى الدهشة من تميزها بالحلى عن غيرها من الجوارى فما السبب فى ذلك وأرى أن هاته الفتاة الواقفة فى الطرف الآخر لا تتقلد غير قرط فى أذنيها ولكن هذا القرط ليس بذى قيمة كذلك القرط وفضلا عن ذلك فهى لا تحوى غيره من أنواع الحلى والجارية الواقفة فى تلك الجهة تحمل ساعة بسيطة وسلسالا لا غير فقلت لها

ان الجارية التى ظننت أنها سيدة انما هى رئيسة الخدم فى هذا المنزل أعنى أنها بمنزلة مدبرة لسائر الجوارى فهى التى تعلمهن كيف يجب عليهن أن يحفظن ألبستهن ويسرحن شعورهن ويعتنين بأمورهن الخصوصية لانهن ساذجات غبيات ولا تزال رئيسة عليهن حتى يصرن قادرات على اجراء ذلك وهى التى تكون بمقام الوالدة لهن مهما يكن عددهن كثيرا كان أم قليلا وسيدة المنزل تلقى التبعة عليها بأمر نظافتهن وطهارتهن فهى المرجع المسؤول ولما كانت أعمالها وخدمتها تربو على خدمة غيرها فقد أعطاها سيدها هذه الهدايا بمقابلة خدمتها

وأما هاته الجارية الفتاة فقد جلبت الى هذا المنزل وهى فى السنة الرابعة من العمر وحتى الآن لم يعهد اليها بخدمة وعمل على الاطلاق وهى الآن فى الرابعة عشرة من سنها ولما كانت غير قادرة على العمل الى هذا الوقت لم تعمل خدمة وعملا ورئيسة الخدم التى تنظر بها الآن قد كانت من الخدم ذوات الدراية والاستعداد فى عهد رئيسة الخدم التى كانت قبلها فنالت بمهارتها هذه المرتبة وصارت رئيسة للخدم وكانت قائمة على العناية بهاته الجارية الصغيرة وعلى ذلك فانه من الآن فصاعدا ستنتظر الخدمة من هاته الصغيرة الاعمال التى عهد بها اليها حتى الآن ستقوم بها فى المستقبل بمعنى انها أخذت منذ الآن فى مباشرة الخدمة وأما القرطان اللذان فى أذنيها فقد اشترتهما بالدراهم التى اقتصدتها وادخرتها من راتبها الشهرى والجارية الاخرى التى تفضلت بالسؤال عنها لا تزال حديثة العهد فى هذا البيت فلم تقم الا بعمل قليل قد مكنها من مشترى الساعة والسلسال فقالت

أيتها السيدة ان الكلمات التى أسمعتنيها موجبة للحيرة والاستغراب وسأتقدم اليك بطلب بعض التفصيلات اذا كان ذلك غير داع لازعاجك فقلت لها اسألى ما شئت قالت

ذكرت فى عرض كلامك السابق شيأ عن رئيسة الخدم السابقة فأين مصيرها ومقرها الآن قلت لها

انها قد هيأت خادمات يمكن لهن القيام مقامها ولما كانت قد انتهت وظيفتها أوقف ما يجب عليها زوجناها ولها الآن ثلاثة أولاد قالت

وأين هي الآن قلت

حيث انها ذات بعل هي الآن في بيت زوجها قالت

هل تبقى وظيفة رئاسة الخدم في الاقدم قلت انها

كلا ان سيدة المنزل تنتخب من تشاء من الجاريات اللاتي تهذبن على أيدي رئيسة الخدم أكثرهن ذكاء واستعدادا وتعينها رئيسة الخدم وسائر الجواري ينلن الهدايا بأمثالها مقابلة خدمتهن ولا يمكن أن يكن رئيسات للخدم واكتساب هذا العنوان بمجرد الاقدمية على أن رئيسة الخدم لا تعاملهن معاملة الساذجات ولا تأتيهن بكلام الآمر وانما تصدر اخطاراتها وتنبيهاتها بطريق المجاملة واللطف وتعاملهن معاملة شقيقات لها قالت

ذكرت شيأ يتعلق بالرواتب فهل تدفعون رواتب للجواري قلت

لا ريب في ذلك نعم ان سيد الجاريات هو الذي يقوم بتسوية ما يلزمهن من الالبسة وسائر الحاجات غير أن لهن نفسا كما لا يخفى ولكل نفس ميل ورغبة فربما اشتهين طعاما لم يكن له وجود ذلك النهار في البيت وربما ملن الى الحصول على ألبسة تختلف عن الالبسة التي عملها لهن سيدهن فهذه الرغائب والمشتهيات يأخذنها بالدراهم التي يدخرنها من رواتبهن ولذلك كان لهن رواتب مخصوصة قالت

وهل تعطون الى الجاريات القديمات علاوة على ذلك هدايا فقلت لها لا فقط هدايا أيام المدام وانما متى صارت الجارية مخصصة على أهل المنزل تجهزها الجهاز اللازم واذا نالت الجارية حظوة في عين سيدها أو كان سيدها مقتدرا فانه هو الذي يقترن بها قالت

ألا تشترون الجواري أنتم بالدراهم قلت

أجل غير أن الدراهم التي ندفعها انما تدفع للبائع فالجارية لا تستفيد منها شيأ والفائدة عائدة لاقرباء البائع أو سيده والديانة الاسلامية تأمرنا بان لا نترك الجواري حق علينا ولاجل ذلك تعطى لكل جارية هدايا ودراهم وجهاز عقب انقضاء خدمتها فقالت يستفاد من ذلك أن الجاريات هن نوع من الخادمات قلت

نعم انهن يشبهن الخادمات التي يستخدمن مشاهرة أو بالسنة غير أن الخادمة انما تعين لها أجرة ومدة معلومة فان الجهالة في الاجرة ومقدار الاجل انما هي اجارة فاسدة وأما الجارية فان الدراهم التي ستنفق عليها كما أنها غير معلومة كذلك مدة خدمتها غير معينة بناء عليه كانت معاملتها مماثلة للاجارة الفاسدة ولكن جرت العادة والتعامل على هذا الوجه والدراهم التي ينفقها سيد الجارية عليها انما تكون بمقتضى صداقتها وثروة سيدها وهذا القسم يعينها العرف وترسمها العادة أما مدة خدمتها فانها وان كانت غير معينة الا أن الشريعة تأمرنا بهذا النص (يجب أن تعتقوا الجارية بعد خدمة تسع سنوات واذا لم تكن لكم ثروة واقتدار فبيعوها الى شخص من أهل المروءة يعتقها) ومع ذلك فان العرف والعادة قد تقدمت درجة أخرى بهذا الموضوع حتى صار يعاب على الذين لا يعتقون جواريهن بعد سبع سنوات أما ذوو البيوتات من أهل الديانة والمروءة فانهم لا يقيدونهن بهذه المدة لان في الدين أسبابا كثيرة تقضي بالعتق واطلاق الحرية لهن ومن جملة ذلك أن الشخص متى نال مراما يرجوه يعتق عبدا من قبيل شكر النعمة واذا نذر بعضهم

قال الا انى اذا حصلت على القصد الفلانى أعتق لاجله عبدا وجب عليه أن يقوم بايفاء النذر وأما الجارية التى تقوم بتربية ابن سيدها فانها تعطى حريتها فى اليوم الذى يذهب به الصغير للمدرسة ومن حيث ان أكثر الصغار يرسلون الى المدرسة وهم فى السنة الرابعة من عمرهم كانت مدة اسارة المربيات أربع سنوات حتى انه اذا ارتكب شخص قصدا افساد صوم يوم واحد من صيامه فرض عليه أن يكفر عن ذلك باعطاء الحرية لعبد واحد واذا لم يستطع هذا الامر فالكفارة تكون بصيامه ستين يوما فيستنتج من كل ما تقدم أن اطلاق حرية عبد واحد تقوم مقام صيام ستين يوما وعلى ذلك كان هنالك أسباب شرعية وآداب ملية تجبر أهل الاسلام على عتق العبد قالت

حسن جدا غير أن الخادمة يمكنها أن لا تخدم فى المنزل الذى لا ترضاه أما الجارية فانها مكرهة على البقاء فى الخدمة وان يكن سيدها ظالما قلت

لماذا ان الجارية التى تكون غير مسرورة من المنزل وكانت راغبة فى تركه فيكفى فى ذلك أن تقول بيعونى وحينئذ تباع الى من ترضاه ويحبها وقد جرت العادة أنه لا يمكن أن تباع الى شخص لا يلائمها وأما من حيث الوجه الشرعى فان الظلم والجفاء لا يجوز اتيانه بحق الاسرى على وجه الاطلاق وعند مراجعة المحكمة فى الامر فالعدالة تأخذ مجراها لدى الحاكم قالت

يستفاد من ذلك أنه لا فرق بينهن وبين الخادمات قلت

كلا أيتها المادام ان الساعدين بين الخدمة بهذا القدر فان الخادمة تتناول راتبها الشهرى ليس الا وفى الزمن الذى لا تحتاج به اليها تخرجها الآذن فتذهب الى حيث شاءت ومتى صارت ذات بعل هى التى تهيئ جهازها لنفسها ثم انها اذا لم تتفق مع زوجها ورغبت فى الانفصال عنه فهى بذاتها تبحث عن محل لها وأما الجارية فليست من هذا القبيل لانها متى صارت زوجة ولم تستطع أن تعيش مع زوجها ورغبت فى أن تنفصل عنه أتت توا الى منزل سيدها كأنما هى آتية الى منزل أبيها وحينئذ يترتب على سيدها أن يجرى لها على زوج ملائم تزويجها ثانية تكرارا والاسياد هم الذين يتولون حماية أولاد جواريهم ويساعدونهم فى تعليمهم وتدريسهم وكل جارية تشاهد من زوجها ظلما تشكو أمرها الى سيدها الذى يدافع عنها فاذا توفى زوجها ولم يترك ميراثا كافيا لادارتها تأتى بأولادها الى منزل سيدها نظير هاته الجارية المعتوقة التى تريتها من هذه النافذة قابضة على يد ولدها الصغير وطائفة به فى فناء الدار لانه متى عجزت الجارية المعتوقة عن القيام بادارة نفسها وجب شرعا على معتقها أيا كان أن ينفق عليها فاذا امتنع أكرهه القاضى على ذلك وبعكس الامر اذا توفيت جارية بلا عقب عن ثروة طائلة كان لمانحها الحرية (أيا كان) نصيب من الارث فينتج من ذلك أن الجوارى معدودات من أخصاء العائلة تماما وزيادة عما تقدم اننا نأمن الجوارى على مفاتيح خزائننا ونسلمهن اياها مع اننا لا نأمن الخدم عليها بالكلية فان الجوارى لا يركبن غارب الخيانة لان بين الجارية وسيدها صلة ورابطة كبيرة بهذا المقدار حتى ان الجارية لا يمكن أن تخون مولاها الا اذا كان الاولاد يخونون والديهم فاذا مرض سيدها بذلت روحها وقلبها فى سبيل خدمته مخافة أن تفقده وكان مثلها فى هذا الامر مثل الاولاد الذين تأخذهم الرعدة والمخاوف من فقد وضياع أمهم وأبيهم ثم هى اذا أصابها ألم فى الرأس حصلت بعناية سيدها على مثل ما طلبته تماما ومع أن الجوارى المعتوقات كل الحرية فى الذهاب الى أين شئن فلم ينفق

حتى الآن أن الجارية تركت حماية سيدها الواجبة عليه حتى الموت وعادت الى حيث يقيم أبوها وذوو قرباه قالت

لاجرم ان ذلك متبعث عن نفرتها من أبيها وأمها وذوى قرباها الذين باعوها أليس كذلك فقلت

عفوا أيتها المادام ليس الامر كذلك واذا سمعت أتيتك بالايضاح الوافى قالت يا عجبا أتطلبين منى الاذن للايضاح وأنا أرجوه وأسترحمه انى رأيت الارقاء فى حالة تختلف عما سمعته عنهم حتى ان الذى سمعته منك عن الاسرى هو بباين الذى كنت فهمته على الخط المستقيم فلو تساهلت فى بيان الايضاحات لرأيت من نفسى مايحملنى كرها على تقديم الرجاء اليك بأن توافينى ببيان شاف عنها فأرجوك أيتها السيدة أن تواصلى الحديث قلت

لا يخفى أنه متى ولد للجراكسة ابنة جميلة يأخذون فى اهدائها الى تمام سالكين فى ذلك على طريقة الافرنج الذين يعوّدون أولادهم على أن يسمعوهم وهم فى دور الطفولية اسم رتبة المارشال والجنرال لترسخ فى أذهانهم فيكون لهم ميل الى الانخراط فى الجندية والجراكسة أيضا يسمعون بناتهم الجميلات فى دور الطفولية مثل هذه الاقوال حيث يقولون للطفلة انك تذهبين الى الاستانة فتصيرين زوجة أحد الباشوات فلا تنسين أهلك وذوى قرباك بل اجتهدى فى اعانتهم حتى اذا أدركت الطفلة معنى الكلام علوّن آذانها بمدائح سعادة وحسن حال خالتها أو عمتها الموجودة فى الاستانة فيتجسم الميل فى الطفلة تجسما كبيرا وتبتدئ أن تسأل نفسها عن الزمن الذى تذهب به لتحظى بالسعادة الموعودة أما والداها فانهما يبذلان روحهما ومطلق عنايتهما فى الاهتمام بها والسبب فى ذلك أنها جميلة وأنه سيأتى يوم تصير به ولى نعمتهما وعندما توصل الفتاة الى السن الذى تعرف به نفسها تخجل لا محالة من مخاطبة والديها فتأخذ فى مخابرة الفتيات اللاتى ينبئنها عن المستقبل الذى يبسم لها وتتذمر متشكية من الاهمال الواقع فى ارسالها ومن ههنا يتضح جليا أيتها المادام أن هذا الوالد وهاته الوالدة يرسلان ابنتهما الى البلدة التى ينتظرها بها خاطبها ولكن هو الخاطب الذى يقبل بنتهما بلا جهاز ولا يكلفهما نفقات وفضلا عن ذلك فان الخاطب الذى يميل عليهما من سائر أنواع الحلى والجوهرات وأما الابنة فانها تنفصل عن أبيها وأمها وذوى قرباها التى تبحث لهم عن السعادة والمستقبل الذى ينتظرونه منها ولكن كيف تنفصل انها تنفصل بشجاعة وبسالة تدل على انها تخاطبهم بلسان حالها قائلة لهم (انى لا أحملكم ثقلة فى ايجاد زوج لى وانما سأجده بنفسى فانظروا كيف انى سأفيكم حقوقكم وعنايتكم بى حتى بلغت هذا الطول بصورة تظهر بها العظمة وعزة النفس) ومايشطقها بهذه الاقوال الا الامنية والثقة بأنها بواسطة جمالها المنصوب مثاله فى المرآة ستحصل على الزوج الذى تريده والسعادة التى ترغب فيها والمفهوم أيتها المادام أنهم اذا لم يرسلوها أصبحت فى ذلك الوقت عدوة لهم لتهاتم نأتى الآن للبحث بالفتيات غير الجميلات فهؤلاء لما كن محرومات من آمال أولئك الجميلات من حيث انهن لم يكن الامنية والثقة فى النظر الى مرآة وجوههن بينا يكن مأيوسات من حالتهن واضطرارهن الى صرف العمر والسعى والاهتمام والخدمة فى بلادهن اذ تتوارد عليهن الرسائل من بنات أعمامهن وأخوالهن غير الجميلات مثلهن اللاتى ذهبن الى الاستانة فيقرأن فى سطورها ما يفيد أنهن متمتعات بالراحة وانهن قد حصلن على الاستراحة التامة لتملصهن من عذاب الخدمة والاهتمام بحرث وفلاحة الاراضى ثم يتبين لهن من الرسائل التى يأخذنها بعد ذلك أن الجارية التى قامت بخدمتها قد أخذلها

سيدها منزلا مكافأة لها على صداقتها و زوّجها من رجل ملائم لها ثم متى وضعت طفلا ترسل الى أهلها سلام هذا الطفل بمعنى أنها تلوث أصابع الطفل بالحبر وترسمها فى هامش الرسالة فتنوب هذه العلامة عن اهداء السلام و يظهر لهن من تلك الرسائل أن الجارية بعد زواجها لم تزل متمتعة بحماية سيدها وعنايته بها فتقع هذه الانباء فى قلوب البنات موقعا عجيبا الى حد أنهن ينفرن من البقاء فى منزلهن الذى نشأن به ويصير فى عينهن ظلاما وتتولد فيهن الكراهة من الاطعمة التى ألفنها وكانت لذيذة الطعم فى أفواههن و بالجملة فانهن يرين الخدمة التى تعودن عليها ثقيلة جدا و بالنظر الى هذه الخيالات التى تجسم فى أذهانهن لا يبقى لهن من ميل الى العمل فيستولى عليهن الخمول والكسل ويعرضن حينئذ أنفسهن للاهانة والتكدير من أمهاتهن وآبائهن أو يسمعن منهن كلاما أمر من الصبر وأثقل من اتعاب الاعمال مثل قولهم لهن ان الخبز لا يؤكل بدون عمل وغير ذلك من الكلمات التى تمس كرامتهن فتأخذ كل واحدة منهن أن تناجى نفسها قائلة أليس غريبا أن أضطر أولا الى الزرع ثم الى الحصاد ثم لصنع الخبز لاجل أن آكل لقمة من الطعام فاذا ذهبت الى الاستانة صرت هناك مصاحبة لاحد الافندية فيأتينى الخبز والطعام المطبوخ وفى مقابلة ذلك لا أسأل الا عن خدمة المنزل فاذا أصبحت سيدة أليس أنى أهتم بادارة منزلى وتدبيره أما هنا فما هى المكافأة التى من المحتمل أن أراها بازاء ما أؤديه من الخدمة على أنى اذا خدمت أحد الافندية حصلت ولا ريب على المكافأة ثم أصير حرة وأستخدم الخدم وحينئذ أصبح سيدة وعلى أثر هذه المناجاة تستحيم الرغبة فى الذهاب الى الاستانة واشتغال فكر الفتيات بتصور هذه الخيالات مع محبتها أمها وأباها فتنظر اليهما من قبيل شكرها النعمة واذا كانت هذه الاحوال لا توجب التحسين الكلى الا أنه من حيث انى لم آت بهذه الايضاحات الا على سبيل الحكاية والمعلومات وحيث انى لم أتعرض فيها للحكم على اصابتها والعكس أطلب منك اذا كنت لا ترين هذه الخيالات التى تجسم فى ذهن الفتاة الجركسية موافقة لحب وطنها وعائلتها وتحمليها على حب الذات الصرف فصرحى بملاحظتك المقنعة قالت

أرى أيتها السيدة أنك عرفت الرقيقة تعريفا لطيفا بهذا المقدار حتى يكاد يجعل كل انسان ميالا الى أن يكون رقيقا فقلت

كلا أيتها المدام لا يجب أن نكثر سواد الارقاء الى هذا الحد فان ذلك يصيب نقصا فى عدد حاجتهم بالنسبة اليهم و بالنتيجة تقل قوة الحماية أيضا

و بينما كانحن الثنتان نتضاحك من ذلك كانت الراهبة الى هذا الوقت لم تشترك معنا بالمحاورة ورب عالم تنتبه اليها أيضا كما ينبغى حسب ما استفيد ذلك من مرآها أما أنا فقد انتبهت لكلام المدام انتباها يختلف عن صورته الاولى فقلت

ان المعلومات التى بينتها لك عن الجوارى انما هى مبنية على القواعد الشرعية الاساسية وعلى عادات وأفعال الاسر التى تراعى هاته القواعد مع سائر المقتضيات الانسانية والافات العالم منه المليح والقبيح حتى إن القبيح فى بعض الاشياء متغلب على الحسن والفطرة البشرية منهمكة فى تغيير وتحويل الاشياء الحسنة الى الوجهة الرديئة ميالة مع سوء الاستعمال فبناء على ذلك لا ينكر بالكلية أن يتخلل مسئلة الاسارة أمور شتى من القبائح اذ أنه لابد أن يوجد أيضا آباء يبيعون بناتهم اللاتى يكن غير راغبات فى الخروج عن أوكارهن وذلك لمجرد أن يستفيدوا من ثمنهن كما أن هنالك سادات يعاملون الجارية التى يكونون قد اشتروها

معاملة تخالف المروءة الشرعية فبعد أن يستخدموها ثلاث سنين أو خمس سنين يبيعونها أيضا من شخص آخر تكرارا مسلا في ذلك الى المنفعة الشخصية أليس أن الناس يسيؤن الاستعمال ويخبطون في لجج التأويلات الفاسدة فيما يتعلق حتى بأكثر القوانين نفعا وأشد القواعد فائدة وحسبما تبعا لاغراضهم الذاتية وأماجب الانسانية فان الامر الذي يوجب التأسي والتسلي أن الذين يذهبون هذا المذهب في سوء استعمال الشريعة وسوء تأويل العرف والعادات الاسلامية إنما هم دون الطفيف وهؤلاء من حيث الانظار والافكار العمومية معدودون من أرباب التجاوز الذين خرجوا عن الحق ودائرة المروءة وتلطخوا بالعار

أما المادام فانها قد تلقت هذه الملاحظات بأهمية مخصوصة وبعد أن اعترفت أنه كثيرا ما يطرأ على المروءة أمور من عدم الرعاية بين الاباء والاولاد والازواج والاخوة في أوربا أيضا قالت

أيتها السيدة انه مهما يمكن أن يقال من المطاعن على الرقيق بجميعه قد قيل في أوربا وسطر في الاوراق وأصبح معلوما عند كل انسان غير أن المسائل التي كانت مجهولة لدينا عن الرقيق انما هي النقط التي أتيت على تعريفها وبيانها فلقد أصبحت من جراء بيانك ممتنة شاكرة على أنك شيأ آخر أسألك اياه وهو انك قد أحسنت كل الاحسان في بيان الآمال والرغائب التي تتجسم في تخيلات الفتيات الجركسيات عندما يفارقن أباءهن وأمهاتهن ولكن ما رأيك وقولك فيمن يبيعون الاطفال الذين يكونون لم يبلغوا بعد السن الذي يتسنى لهم فيه أن يميزوا مراكزهم ولا يكونون عرفوا فيه شيأ من أحوال العالم قلت

أيتها المادام ان هؤلاء لا يكتفون بأن تصبح بناتهم ذات يوم من السيدات وانما يتشوقون الى تزينهن بحلى العلم والتربية التي ترفع شأن المرأة وتمكنها من السيادة وهم يحبون أولادهم محبة كافية الى درجة انهم يأبون ابقاءهم في ذل الاحتقار لديهم اذا تعلمين من هم الذين يشترون الجواري الصغيرات قالت

لا جرم ان مجرد التفكر في بيعهن قد أورث فؤادي دهشة هذا حدها حتى انه لم يبق لدي من ميل لان أفتكر فيمن هم الذين يشترونهن قلت

أتمنعك هذه الدهشة من الاصغاء الى ما سألقيه عليك من الايضاحات قالت

كلا انني كلي آذان صاغية اليك قلت

ان بعضا من يشترون الجواري الصغيرات هم العقيمون من البنين فيجعلونهن عناية أولادهن والبعض الآخر يأخذون الجيلات منهن فيهيؤنهن للسيادة بمعنى أنهم يعلمونهن القراءة والكتابة ويربونهن تربية بنات المدن العظيمة ليصبحن في المستقبل بمقام السيدات وعليه فان سيد الجارية التي يمكن في المستقبل أن تباع بخمسمائة ليرا الى ألف ليرا لا يقصر في الاهتمام بها والاحسان اليها بما تصل اليه يد الامكان وأكثر العيال التي تشتري الجواري ليتزوجوا بهن انما هي من هذا البعض الذي اشرت اليه والبعض أيضا يربون هؤلاء البنات الصغيرات في بيوتهم الى أن يكبرن فيكن زوجات لاولادهم ويوجد قسم من هؤلاء الصغيرات تأخذهن العيال الكبيرة ليكن بمنزلة مصاحبات أو رفيقات لاولادها ولكل فتاة من ذوي البيوتات الكبيرة جارية صغيرة مماثلة لها بالسن فهذه الجارية تتعلم القراءة والكتابة مع سيدتها وتتربى التربية عينها ومتى تزوجت السيدة يطلق سراح هاته الجارية في اليوم الذي يحتفل فيه بعرسها ومن المعلوم أن تهذيبها كسيدتها يؤهلها للحصول على زوج ملائم لها فهذه أيتها المادام هي الاسباب التي تبعث على بيع الجواري

الصغيرات

الصغيرات لان الجراكسة بالنظر الى ما يرون من هذه المعاملات الحسنة يبيعون بناتهم اللاتى يتيمن بعد وفاة أمهن فينقلهم بذلك من حضن والداتهن الى أحضان والدات آخر يعتنين بخيرهن ويحصلن فى جانبهن على منتهى السعادة قالت

لا أخفى عنك أن الايضاحات التى سمعتها منك تخيل لى بالنظر الى ما سمعته ووعيته قبلا أنى لم آت الى تركيا وانما أتيت بطريق الغلط الى بلاد أخرى قلت

إن السبب فى ذلك منحصر فى كون الاوربيين الذين يأتون الى دار السعادة يذهبون توا الى الفنادق فى بك أوغلى فيصرفون أوقاتهم بين أهالى هذا القسم من دار السعادة ليس الا ولا يتمكنون الى حد ما من الوقوف على شؤنهم وأما جهات استانبول واسكدار وداخل البوغاز فلا يعرفون منها الا الطرق والارصفة ولا أكتمك أن صور المعيشة فيها وطرق أصولها وعاداتهم لا تنطبق على ما ماثلها فى بك أوغلى بل ليس بينهما قياس على وجه الاطلاق وزيادة على ذلك ان التراجمة الذين يتخذونهم بصفة أدلاء لا يعرفون على الحقيقة شيأ مما خرج عن عالم بك أوغلى ولما كانوا مضطرين الى الاجابة عن الاسئلة التى تلقى عليهم كانوا يتكلمون بما يوافق عقلهم ولا يلائم أفكارهم وبعبارة أوضح انهم يهرفون بما لا يعرفون والسواح أيضا يظنون كلامهم صوابا فينزلونه منزلة الحقائق ويسطرونه فى كتب سياحتهم حتى انك تكادين عند قراءة بعض هذه الكتب تتوهمين وهما أنها تبحث فى احدى البلاد التى لا تعرفها

وفى أثناء ذلك دخلت علينا جارية حبشية ولما كانت منذ ربيت الى ان شبت على محبة الزينة والانتظام كانت زينتها التى دخلت علينا بها حسنة جدا فلما رأتها المادام قالت باستغراب

من تكون هذه أرى حلاها تفوق حسنا وإتقانا على حلى رئيسة الخدم عندكم قلت

انها جارية قد تربت عندنا منذ الصغر الى ان كبرت أما عملها فكثير فلما حان زمن عتقها عرضنا عليها الحرية فأبت قالت لماذا قلت

أبت ذلك محتجة أنها لن ترى فى الحرية ما تراه هنا من الراحة ولكن نحن قد تركناها مخيرة فيما ترغب أى اننا أعطيناها سندا يحق لها بمقتضاه أن تعتق نفسها بنفسها متى شاءت

ثم ان المادام نادت الحبشية المذكورة وأجلستها على مقربة منها وسألتها بواسطتى لماذا تأبى العتق والحرية فترجمت جواب الحبشية للمادام باللغة الافرنسية كما يأتى قالت لها

ما فائدتى من الحرية انى متى رأيت زوجا ملائما لى حينئذ أعتق نفسى بنفسى فعندئذ سألتها المادام عن الزوج الذى ترغب فيه وكيف تحب أن يكون

فأجابتها الحبشية انها اذا لم تحصل على زوج يطعمها نظير الطعام الذى تتناوله فى بيت سيدها ويكسوها بمثل ما تكتسيه من الالبسة ولا يحملها أكثر من الخدمة التى تقوم بها فى منزل مولاها فلا تتزوج

وفى أثناء ذلك أطلق مدفع الافطار فذهبنا الى غرفة الطعام وجلسنا على المائدة أما المادام بعد أن أمعنت النظر فى صينية الافطار قالت

لقد جرت العادة عندنا أيضا أن يكون على المائدة بعض أشكال متنوعة مما يسمونه عرفا واصطلاحا بمقدمات الطعام أو النقول (هوردور) فينتج من ذلك أن هذه العادة مألوفة عندكم أيضا قلت

أجل انها عادة مخصوصة بشهر رمضان ومماثلة للمائدة التى أنزلت على حضرة عيسى عليه السلام

أما الراهبة التي كانت ملازمة للصمت المطلق ولم تشترك معنا بالحديث بل ربما كانت لم تهتم بمحاورتنا أصلا فانها عندما سمعت مني هذا الجواب التفتت الي قائلة

ماهي مائدة عيسى التي تقلدونها قلت

لايخفى أن الحواريين وان كانوا قد أبصروا الحضرة (عيسى عليه السلام) أعمالا كثيرة من خوارق العادات الا أن جميع ذلك كان من المعجزات الارضية فلما رغبوا في أن يبصروا معجزة سماوية قالوا له (ياعيسى ابن مريم أينزل ربك علينا مائدة من السماء) أجابهم قائلا (اذا كنتم مؤمنين فاتقوا الله) فقالوا له حينئذ (نريد أن نأكل من هاته المائدة وتطمئن قلوبنا ونعلم علم اليقين أنك من الصادقين ثم نكون على المائدة المذكورة من الشاهدين) فقال حضرة عيسى (يارب أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك على نبوتي) فقصة المائدة مذكورة في القران الكريم على الوجه المشروح قالت الراهبة

فهل نزلت مثل هذه المائدة قلت

نعم فقد ذهب المفسرون الى انه بناء على دعا حضرة عيسى أنزلت الملائكة مائدة من السماء وكانت مائدة مغطاة بمنديل قد نزلت على حين كانت من طرفيها الاعلى والاسفل ملفوفة بقطعة من نسيج فرفع عيسى عليه السلام غطاءها بعد أن شكر الحق سبحانه وتعالى وقد رأى الحواريون ذلك رأى العين فكان عليها مأكولات متنوعة وقد اختلفت الروايات في أشكال وأنواع هذه المأكولات والرواية المشهورة تفيد أنه قد كان على المائدة المذكورة خبز وسمك وبعض الخضراوات وسمن وعسل وجبن ومقددات فنحن نجمع مثل هذه الاشياء ونرتب مائدة الافطار على هذا الوجه وبعد الافطار نتناول كابدا أجناوله طعام المساء الاصلي

وعقيب هذه المحاورة تكلم الزائرتان عن طعام الاتراك فوقعت لديهما حلوى صدر الدجاج موقع الاستحسان التام وأثنتا على لذتها واعترفتا بان الطعام اجمالا خفيف جدا ثم انتقلنا الى البحث عن الصيام فبعد اذ أحاطت المادام علما ان الصيام هو عبارة عن عدم الاكل والشرب من قبل الفجر الى المساء قالت بلسان رقيق للغاية ان الصيام على هذا الوجه انما هو عبادة صعبة جدا وكأنها تحاول ان تجعلنا نعترف نحن أنفسنا بقدر هذه الصعوبة فقلت لها حينئذ

ليس في ذلك من صعوبة على الاطلاق بالنظر الى ما أوتيناه من الالطاف الالهية لاجرم ان القطاعات والرياضات عند المسيحيين ابست بأقل كلفة من الصيام حتى انه على حين ان أرباب الزهد والتقوى في النصرانية من رجال ونساء وهم الذين انقطعوا اليهما وتجردوا من سائر الاشياء لم يكونوا نادرين نرى انهم لايكادير ون على خواطرهم قضية كونهم عرضوا أنفسهم لصعوبة خارجة عن حد الاستطاعة بانقطاعهم عن الانتفاعات واللذات الدنيوية فما تقولين بذلك ياعزيزتي

قالت الراهبة أقول انه مهما حصل من العبادات في سبيل الشكر للطف الله واحسانه يكون قليلا فقلت لاريب في ذلك حتى انه قد ورد النص في القرآن الكريم بحق الرهبان حيث تفضل الحق سبحانه وتعالى بقوله ان أشد الناس عداوة للمؤمنين اليهود والمشركون وأقرب الناس مودة للمؤمنين الذين قالوا انا نصارى وذلك لان منهم قسيسين (علماء) ورهبانا (زهادا) وانهم لايستكبرون ولا يأبون قبول الحق وبعد ان

انتهينا من الاكل نهضنا عن المائدة ومررنا الى القاعة حيث تناولنا القهوة وبعد هنيهة أخذت أترجم بين الزائرتين وبين صاحبة المنزل وأفراد العائلة ثم ان المادام بناء على الرغبة التى أظهرتها قبلا سارت بصحبة بعض افراد العائلة للتفرج على غرف منزلنا وكنت وقتئذ مرافقة لهم وكان فى احدى الغرف واحدة تقرأ تفسير المواهب وحيث انها كانت تقرؤه وهى مستورة الرأس بكمال الاحترام التفتت الراهبة الىّ وقالت سائلة

هل ان هذه السيدة تقرأ القرآن قلت

تقرأ تفسيره فى اللغة التركية قالت الراهبة

بأى شئ تتعلق الآيات التى تقرؤها ياترى

فسألت القارئة (فى أى سورة تقرئين) قالت

فى سورة آل عمران

فلما فهمت الراهبة جوابها باللغة الفرنسوية قالت

من تعنين بعمران قلت

يوجد باسم عمران اثنان الاول والد حضرة سيدنا موسى عليه السلام والثانى والد حضرة مريم والاثنان من بيوت بنى اسرائيل قالت الراهبة

بأى مناسبة ورد هنا ذكر عمران قلت

ان عمران قد توفى بينما كانت زوجته حنة حاملا وقد نذرت الطفل الذى ستضعه لخدمة بيت المقدس لانه فى ذلك الزمن كانت عادة جارية عند ذوى البيوتات أن يقدموا أولادهم الذكور لخدمة بيت المقدس فحنة أيضا على أمل أنها ستضع ولدا ذكرا كانت نذرته لخدمة بيت المقدس ولما وضعتها أنثى سمتها مريم ومعناها بالعبرانية (عابدة زاهدة) ولكن بما أنها لم تضع ذكرا أصبحت حزينة متحسرة وقالت (رب انى وضعتها أنثى) أما جناب الحق فقد قبلها بقبول حسن ورباها تربية حسنة ولما عرضتها حنة لخدمة بيت المقدس لاجل ان تفى بنذرها تسابق الجميع لاجل تربيتها لانها بنت امامهم ووقعت بينهم المنافسة فاقترعوا عليها فيما بينهم فكانت القرعة لحضرة زكريا فخصص والهاجرة فى المسجد وتعهد حضرة زكريا بتربيتها وفى اثناء ذلك أتته البشرى من الله أنه سيأتيه ولد يكون اسمه يحيى على ان فى القرآن الكريم سورة منسوبة لمريم يقال لها (سورة مريم) فيها تفصيل هذه القصص قالت الراهبة

أرجو تلاوة هذه السورة لنسمعها

وحينئذ فتحت سورة مريم وصار تلاوة الآيات المتعلقة بحضرة زكريا وحضرة مريم وتفاسيرها أما أنا فبادرت بترجمة ذلك بالفرنسوية فأفهمتها أن حضرة مريم رأت جبرائيل عليه السلام بصورة بشر وانه نفخ الروح فى طوق قميصها وبينت لها تفصيلات ان حضرة مريم عندما شعرت من نفسها بعلائم وضع الحمل جاءت الى جذع النخلة وقالت باى وجه أقابل قومى ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ثم كيف جاءها جبرائيل وواساها وكيف تكلم حضرة عيسى وهو فى المهد وما كدت أنتهى من هذا البيان المأخوذ عن القرآن الكريم والتفاسير حتى ظهرت دلائل التأثير العظيم على وجه الراهبة وقالت

يتضح من ذلك أنكم تعتقدون أن حضرة عيسى ولد بلا أب فقلت لها

كيف وعندنا أن من لا يعتقد هذا الاعتقاد يكون كافرا فنحن لا نفرق بين أحد من الانبياء لكن نعلم أن ستة منهم يعني محمدا وعيسى وموسى وابراهيم ونوحا وآدم عليهم الصلاة والسلام هم أفضل الانبياء فان الله الذي خلق آدم من تراب لا يرتاب أحد في كونه قادرا أن يخلق انسانا آخر بلا أب وهذا لا يمكن استبعاده لا عقلا ولا حكمة أيضا قالت الراهبة

أتعتقدون أنتم بالاناجيل الشريفة قلت

أجل نعتقد أن الحق جل شأنه قد نزل على حضرة عيسى كتابا اسمه الانجيل الشريف وقد ورد ذكر الانجيل في عدة مواضع من القرآن الكريم وذكر في القرآن بعض مندرجات الانجيل الشريف وقد صرح القرآن الكريم ان حضرة عيسى عليه السلام بشر بقوله (انه سيأتي نبي بعدي يقال له أحمد) قالت الراهبة ما المعنى من ذلك انى لا أعرف مثل هذه الرواية قلت

فلننظر في الفصل الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من انجيل يوحنا قلت هذا وأخرجت نسخة الاناجيل الفرنسوية من المكتبة ثم فتحت هذه الفصول الثلاثة وقرأت الآية السادسة عشرة والتاسعة والعشرين من الفصل الرابع عشر والآية السادسة والعشرين من الفصل الخامس عشر والآية الاولى والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والثالثة عشرة من الفصل السادس المتعلقة بمجيء نبي بعد حضرة سيدنا عيسى (عليه السلام) قالت الراهبة

ليس في هذه الآية معنى يشير الى مجيء نبي بعد حضرة سيدنا عيسى والكنيسة قد فسرتها تفسيرا يخالف عما ذهبت اليه ولما كان انجيل يوحنا دقيقا كان لا يمكن لكل انسان أن يفهمه قلت

ثم ان فهم انجيل يوحنا كما ينبغي لفي غاية الصعوبة لكن من قراءتنا لهذه الآية يستفاد في أية حالة أنه سيأتي نبي آخر بعد حضرة سيدنا عيسى قالت

والذات التي بشر به أنه سيأتي قد ورد ذكره في الانجيل باليونانية (بارقليط) ومعناه في الفرنسوية (المضري) قلت

نحن نظن ان البارقليط محرف عن (بريقليت) قالت

انى لم أسمع قط بكلمة (بريقليت) قلت

أما أنا فقد رأيتها في الكتب الفرنسوية

وأخرجت ترجمة القرآن الكريم بالفرنسوية من المكتبة وقرأت الآية السادسة من سورة الصف وأشرت الى حاشية المترجم (كازيميرسكي) المتعلقة بذلك وها أنا أنقلها حرفيا وذكرته حرفيا وصار تعريبه كما يأتي

ان لمحمد عند المسلمين عدة أسماء بمعزل عن النعوت وبعض الصفات وهي تبلغ نحو المائة عدا فهو يسمى أحمد والمعظم والمصطفى والمختار ومحمود والمبجل الخ فكلمة (ماهوميت) المستعملة عندنا مأخوذة عن محمد (المبجل) وهذه الكلمة آتية من أصل كلمة أحمد ومعناها تماما وهي (أي كلمة أحمد) مماثلة لكلمة بارقليط باليونانية أي المعظم فالمسلمون يدعون أن يسوع المسيح (عليه السلام) وعد بمجيء محمد أخذ منه معنى بريكليتوس (انجيل يوحنا السادس عشرا ١١) وان البارقليط بارا كليتوس الذي يفسر بنزول الروح القدس ليس الا تغيير عن بريكليتوس وتصوره ضعف ايمان المسيحيين قالت المادام

قد توسعنا بهذا البحث الدينى ونتائج مثل هذه الحقائق انما هى من الاشياء التى لا تظهر الا فى الآخرة قلت لاشك ولا ريب غير اننا نحن منذ الآن لا يمسنا خوف واضطراب من هذا الوجه على الاطلاق فان سيدنا ونبينا (صلى الله عليه وسلم) قد جعل أمته تعرف الانبياء السالفين (عليهم السلام) وتصدقهم وكأننا بذلك قد استحضرنا توجههم وشفاعتهم لاجلنا

وعند ذلك أذن المؤذن العشاء فنهض أهل المنزل لاداء صلاة التراويح وحينئذ نسألت الزائرتان عن سبب ذهابهن فأنبأتهما انهن ذاهبات لاداء الصلاة التى تؤديها فى ليالى رمضان قالت المادام

ألا تذهبين أنت لاداء هذه الصلاة قلت

ان وظيفة اكرام الضيوف منوطة بى هذا الوقت وسأذهب لتأديتها بعدئذ قالت

أيمكن لنا أن نحضر ونرى هذه العبادة قلت

اذا رغبتما فى تحمل المشقة فلا بأس من ذلك ان مثل هذه العبادات عندنا غير ممنوع على أحد أن ينظرها ودين المسلمين ظاهر للعيان وفى ذلك أقوال مشهورة قالت

نكون فى غاية الامتنان فقلت

تفضلا وسرت بهما الى محل النساء المفروز عن محل الرجال وهناك أخذنا فى مشاهدة ومعاينة النساء اللاتى يؤدين الصلاة جماعة وكانت تسألانى عن معانى سورة الاخلاص التى تتكرر بعد كل سلام فاترجمها لهما قالت المادام

لاجرم ان هذا التكرار (السورة الاخلاص) له قدر فان بها ألفاظا جميلة جدا

وعندما قرئت الآية الكريمة وهى (ربنا آمنا الخ) بعد سورة الاخلاص فى آخر سلام التراويح رفع الجميع أيديهن الى العلا فسألتنى الزائرتان بقولهما ما الذى تقرؤه المصليات فقلت

انها آية من القرآن الكريم وهى حكاية كلام الحواريين ومعناها (يا ربنا قد آمنا بالكتاب الذى أنزلته علينا واتبعنا الرسول (عيسى) فاكتبنا مع الشاهدين وهذه الآية تقرأ عادة فى نهاية صلاة التراويح التى تقام فى شهر رمضان فقالت الراهبة

ماقولكم أنتم فى الحواريين قلت

هؤلاء هم من خواص أصحاب حضرة سيدنا عيسى عليه السلام قالت الراهبة

أتقولون ان حضرة سيدنا عيسى ابن الله قلت

كلا نقول انه عبد الله ومن كبار الانبياء قالت الراهبة

أما تعتقدون انه ولد بلا أب قلت

نعم كما تقدم سابقا ان الحق سبحانه وتعالى خلقه بلا أب على وجه خارق للعادة وخلق آدم من التراب بلا أب ولا أم وقد عبر عن آدم انه ابن الله فى آخر آية من الفصل الثالث من انجيل لوقا وورد التصريح فى التوراة بعد وقعة قابيل وهابيل أن أولاد آدم قد انقسموا الى فرقتين فكانوا أبناء الله وأبناء الشيطان ولو اقتضى أن يكون الحق جل جلاله أبا حيث انه ولد بلا أب لزم عن ذلك أن يبحث له عن أم ولو قيل انه ملك لسقط القائل بذلك فى عقائد الميتولوجى الباطلة التى نهت عنها الشرائع والشريعة الموسوية أيضا ولو كان يعبر عن الله بلفظة أب لكان العبيد المؤمنون والاعزاء يقال لهم أبناء الله لاجرم أن لكل ملة مثل هذه التعبيرات

المجازية وبينما كان التعبير عن الله بالاب من هذا القبيل المجازى انتهض للتفتيش عن الابوة الحقيقية فحصل الايهام من تعبير الاب والابن بالابوة والبنوة المادية وبسبب ذلك منع استعمال هذه التعبيرات فى الشريعة الاسلامية والافنا نحن ايضا نسمى الكعبة المكرمة بيت الله يعنى البيت المحترم والمشرف عند الله وذلك لا يفيد ان لله بيتا حقيقيا فان الحق سبحانه وتعالى منزه عن المكان كذلك يقال عندنا يد الله والمراد بها قدرة الله لان الحق جل جلاله منزه عن الجسمانية قالت الراهبة

أتعتقدون بانتقال حضرة سيدنا عيسى الى السماء بعد صلبه قلت

نعتقد بصعوده الى السماء ولا نعتقد بصلبه قالت

يا عجبا ما هذا القول ان اليهود يقولون نحن صلبناه ونحن نقول انهم صلبوه أليس مما يوجب النظر أن دينا يأتى بعد ستمائة سنة يكذب الطرفين قلت

ليس فى هذه المسئلة عند المسيحيين من رواية وصلت اليهم بلا انقطاع من تبع يتعلق بهم وانما أخذوا الشئ الذى سمعوه من اليهود فقبلوه فالاسلامية والحالة هذه لا تجرح رواية النصارى على الاطلاق وانما هى تجرح رواية اليهود لانه من المعلوم أن اليهود أخذوا سيدنا عيسى عليه السلام ليلا الى أحد البيوت واذ ذاك تفرق الحواريون بأجمعهم على انه وان كان أحدهم قد ذهب من خلفه حالة كونه كان بعيدا عنه الا أن هذا أيضا قد ذهب بحال سبيله حينما أدخلوا حضرة سيدنا عيسى عليه السلام الى ذلك البيت ولم يطلع أحد على ما حصل فى الداخل وقد كان فى ذلك اليوم أشخاص أخر حكم عليهم بالاعدام فمن اشتداد الظلمة ظن انهم أخذوا سيدنا عيسى والحال انهم صلبوا شخصا شبه به والحق سبحانه رفع سيدنا عيسى عليه السلام الى السماء فهذا هو الحق الذى بلغناه

وحينئذ نعت الصلاة فتقدمت المرطبات على جارى العادة وأخذنا فى مداولة أحاديث الوداد وبعض النوادر ثم ان المادام أوضحت لنا اذ ذلك أنها قد حصلت على المعلومات اللازمة من سياحتها واطلعت على اشياء كثيرة كانت تجهلها من قبل فشكرت لنا كل الشكر وحمدت ما رأته منا من الاكرام لها والعناية بها واشتركت الراهبة بالثناء أيضا مصرحة بامتنانها وسرورها مما رأته ووقفت عليه وكلاهما ودعتانا أحسن وداع وذهبتا ممتنتين شاكرتين

﴿ المحاورة الثانية ﴾

بعد أسبوع واحد من اجتماعنا بتينك الضيفتين كما فصلنا ذلك فى المحاورة الاولى أخذت كتابا ولما فضضت ختامه وجدت ضمنه رقعة زيارة وكتابا آخر مظروفا وقد خط على رقعة الزيارة كلمات معناها أن مرسلتها تود أن تعلم ماذا كان يمكننا قبولها فى منزلنا أم لا واذا أمكن ففى أى وقت يتسنى لها أن تزورنا وعلى انى لم أعرف اسم المرسلة المومى اليها فضضت ختام الكتاب الثانى فعرفت توقيع صاحبته وهى مادام من معتبرى السواح كانت جاءت منذ السنة الماضية الى دار السعادة واجتمعت بها فى منزلنا وقد ذكرت بكتابها اجتماعنا الماضى ثم قالت ان مادام ر . احدى حبيباتها الاعزاء متهيئة للذهاب بصحبة زوجها لمشاهدة دار السعادة وانها قد طلبت منها الايضاحات اللازمة عن المحال الحرية بالنظر والفرجة فيها من حيث انها كانت ذهبت قبلا اليها وانها كثيرة الشوق والميل للاجتماع مع العائلات التركية وسألتها عن الواسطة التى تمكنها من الفوز بهذه الامنية وان هذه المادام من العالمات الفاضلات اللاتى يسر الاجتماع بهن ولاجل ذلك

أوصتها أن تذهب الى منزلنا وانها على أمل تام من أنها ستلاقي فيه مطلق الحرية ثم زادت على ذلك بان مادام ر وان كانت انكليزية المحتد والنشأة الا أنها عارفة بعدة لغات وهي تعرف اللغة الفرنسوية كما تعرف لغتها وانه لا يمكن أن تجعل لنا ثقلة من التكلم معها واختتمت كتابها بقولها ان مادام ر الموصى اليها حرية بأن تدعى فيلسوفة وانه ليس في هذا الوصف مغالاة على الاطلاق وحيث ان الشخص الذي أحضر الكتاب كان لا يزال في انتظار الجواب بلغته أن يخبر المادام الموصى اليها أن تتفضل لزيارتنا في اليوم الثاني وان تؤانسنا بمناولة طعام الافطار معنا وفي اليوم المذكور وفد على منزلنا عدد من ذوي قربانا للافطار وذلك جريا على العادة المألوفة في شهر رمضان من التزاور الذي يحصل بين الاهل والاقرباء وبينما كنا جالسين في القاعة قبيل الساعة الحادية عشرة من النهار دخلت علينا جارية فقالت

أنبئت من الخارج أن المادام قد أتت وانها على أهبة الدخول الى فناء الدار

وما كادت تتم عبارتها حتى نهضت مسرعة لاستقبال الضيفة الموصى اليها وقد كنت أظن مما اقتبسته من رواية صاحبة الكتاب أنني سأقبل فيلسوفة طاعنة في السن فاذا بي أرى غيداء حسناء لا تتجاوز الثلاثين من العمر وكانت هذه المادام مرتدية بلباس في غاية الحسن وملقية على كتفها كسوة شتوية موافقة لآخر زي ولائقة بأعظم الزيارات وعند مقابلتي اياها رفعت قبعتها عن رأسها فتجلى للعيان شعرها المعقود بيد أمهر المواشط وكان مجموعا في أم رأسها بطريقة تستجلب الانظار

لا جرم أن كتابة صاحبة الكتاب السابق الايماء اليها كانت تحملني على الاعتقاد بأن الفيلسوفة التي سأراها في دار السعادة يجب أن تكون من النساء المسنات اللاتي لا تهمهن الزينة ولا يعتنين بالازياء ولكنني بعد ان تمكنت من معرفة مادام ر . . . علمت أنها ليست من الجاهلات اللواتي يبيضن المطاحن شعورهن وانما هي قد تلقت العلوم والفنون منذ سن الصباء وان الدها الذي يعد من عشاق العلم والمعارف وانها ما فتئت الى الآن صارفة قصارى جهدها وجدها الى اقتباس الآداب فما وصلت الى الثلاثين من عمرها حتى كانت قد صرفت معظمه في سبيل التحصيل وبلغت شأوا رفيعا في التهذيب وثبت عندي مما رأيته فيها من الميل والاجتهاد الى الوقوف والاطلاع على جميع الاشياء انها تعتقد بنفسها انها لم تصل الى الدرجة المطلوبة من العلم والمعرفة وان ما تعرفه دون الطفيف وان الطواحين لن تبيض شعرها الذي لا يزال غير مبيض ولا يمكن أن تصل أوقاتها بالبطالة وانها ستصرف بقية عمرها في طلب المعارف وتحصيل العلوم والفنون كما صرفته الى هذا الوقت فكانت حرية بان يطلق عليها اسم الفاضلة وأما اتقانها للزينة وتغاليها في الكسوة وترتيب شعرها فلم يكن الا لاجل المحافظة على شرف اسمها وعنوانها بين قريناتها ولكي لا يمزق عرضها الناقدون وينسبوا اليها الخسة والبخل مع ما هي عليه من الثروة العظيمة والغريب أن هذه المادام ليست من النساء اللاتي يحملهن جمالهن على الكبر والغرور فانها كانت كأنها لا تعرف هذا الجمال ولا تنظر اليه بل لا تهتم به وانما كانت تنظر الى جمال طبيعتها وأخلاقها وأغرب من ذلك أن هاته الحسناء التي هامت بالعلم وتيمها عشقه ولم يكن في قلبها أدنى فراغ يسع غيره قد اقترنت برجل هو في سن والدها لانها قد سلبت بعلمه وعشقت فضله وكان هذا الزوج العالم واسع الثروة فتمكنت بواسطة ذلك من تحصيل سائر العلوم ووقفت على جملة أشياء ولما كانت راغبة في أن تشرك حاسة النظر بحاسة الادراك وان تشاهد بأم

رأسها مادرسته من الفنون وما اطلعت عليه من سائر آداب وآثار الدنيا أخذت تطوف في كل جهة من العالم بصورة لائقة بمركزها قصد التسوح والتفرج على آثار الكون

وكانت هذه المادام ناقلة مروحة جميلة جداً فقدمتها مع ردائها الى الجارية وهذه المروحة من المراوح ذات القيمة التي تنقلها أكبر المادامات لا لاجل رفع الحر وتطييب الهواء ولكن لاجل اظهارها للناس وبيان قيمتها وغلاء سعرها حتى ولئن كان الهواء رطباً وليس من حاجة اليها ولما كان هواء تلك الليلة غير حار الى حد أن يكون هنالك حاجة الى استخدام المروحة لم تشأ هذه المادام أن تبقيها معها عند دخولها الى القاعة فتركتها مع الجارية في الخارج وقد دل هذا العمل دلالة واضحة على أنها لم تنقل هذه المروحة بقصد الفخفخة وانما بقصد المحافظة على شأنها وشهرتها ليس إلا وبالجملة فان هذه الرقة المجسمة التي لم تكن تعرف ما هو الغرور ولم تختبر العظمة والكبر كانت بادية عليها آثار التواضع ومخايل أنس الجانب وكانت تتكلم بصوت لطيف يقع الى أعماق القلب ويدخل الآذان بلا استئذان وكان شعرها الكستاني النادر في الانكليز وعيناها الزرقاوان تزيدان سيماها الجميلة جمالاً وعذوبة أما ألبستها فانها وان كانت كما فصلت قبلاً حسنة ومن آخر زي غير أنها كانت في غاية البساطة ولم تكن مزينة بالازهار وما ماثل من أنواع البهرجة وكانت تشير الى نباتها وكمالها بعد أن نزعت رداءها وقبعتها وكنت قد سرحت بجملتها النظر الانتقاد فقمت لها مساعدي وقلت

أيتها المادام إن جمعيتنا لما كانت خلواً من الرجال أقدم لك ساعدي فمسألة أن تتفضلي بقبوله قالت أشكرك أيتها السيدة مكارم أخلاقك أفلست أني متشرفة بالسيدة التي أنت عليه صديقتي مادام ج قالت

ان العناية بالضيف فرض واجب القضاء علي فلا حاجة لما تفضلت به من عبارات الشكر والشرف الذي أشرت اليه انه هو الاحسان أولتنيه مادام ج . . . على غير استحقاق

وبعد ان أخذت المادام بذراعها الى القاعة عرفتها بصاحبة المنزل وأفراد العائلة وسائر من كان هنالك من الاقرباء والانسباء كل منهن على حدة وترجمت لصاحبة الدار وافراد العائلة التحيات التي كلفتها بها مادام ج الموصى اليها وبلغتها تشكر كل واحدة منهن وحينئذ تقدمت للمادام القهوة فشربت فنجاناً كاملاً وقالت انها لم تكن تألف شرب القهوة ولكن انها لم تذق الى الآن مثلها ولذلك شربت الفنجان بتمامه أما أنا فقد بينت لها أن للترك طريقة مخصوصة لطبخ القهوة تختلف عن طريقة الافرنج وعرفتها كيفية طبخها ثم أنبأتها أن قهوة البن على عكس التبغ فبمقدار تطوافها في البحر بمقدار ذلك يفسد طعمها وأن هذه القهوة هي من البن اليمني قد أتى بها الى الشام بواسطة عربان غزة وجلبت منها الينا فلم تمر على البحر الا من بيروت الى هنا ولذلك كانت مرجحة على غيرها ثم سألتني المادام عما اذا كان في عزم السيدات الموجودات عندنا أن يبتن في منزلنا هذه الليلة أم لا فقلت ان منازل أكثرهن قائمة على الخليج فسيذهبن اليها على ضوء القمر وان هاته الليلة هي الليلة الرابعة عشرة من الشهر فقد اخترتها للافطار على قصد أن يستفدن بل يتمتعن بلطافة نور القمر وقت ته

قالت اني على حين كنت راضية بان أجتمع بعائلة تركية فاجتماعي هذه الليلة اتفاقاً بسيدة عائلات قد

ملأ فؤادى سرورا فأنا أشكر لهن اختيارهن هاته الليلة للافطار ومجيئهن الى هذا المنزل حيث أسعدنى الحظ برؤيتهن

فترجمت كلام المادام لهن ونقلت اليها كلامهن الدال على أنهن يشعرن بمثل ما تشعر به من المسرة والامتنان ثم قلت لها ان السيدات قد تولتهن الدهشة من جمالها ورقتها وأنهن ان يقنعن ببيان محبتهن لها ولكن يتأسفن لعدم معرفة اللسان لمسامرتها مباشرة وبجملة القول أنى بواسطة الترجمة ونقل كلام الفريقين الى البعض الآخر مكنت الالفة والصحبة بين المادام وبين السيدات ومع أنه لم يمر على مجيء مادام ر . . . الى دار السعادة أكثر من أسبوع واحد فقد خصصت من وقتها ساعة واحدة لتعليم التركية فحفظت منها جملة مفردات وبها كنت أترجم لها كلام السيدات الموما اليهن كانت في بعض الاحيان تجيب بلفظة ثم أولا اشارة الى أنها كانت تفهم بعض الكلمات وكنت أترجم لها ما خفى عنها من سائر العبارات وكانت المفردات التى حفظتها فى خلال الاسبوع مسطرة فى محفظتها وهى كثيرة جدا الى حد يوجب التعجب وقد أنبأتنى أنها عند رجوعها الى بلادها لا تهمل تعلم التركية وانما تستمر على الدرس والمطالعة وكانت تلفظ المفردات التى تعلمتها تلفظا حسنا مما يثبت ان لها الاستعداد الطبيعى ومع أنها انكليزية المحتد والمولد فقد كانت تتكلم الفرنسوية كاحدى الباريسيات

وكانت منذ دخولها الى القاعة تمعن النظر أيما امعان بجميع من كان هنالك من السيدات متنقلة من الواحدة الى الأخرى على انها لم تكن تنظر اليهن بعين البلهاء الجفاة وانما كانت تلقى عليهن نظرة التدقيق والامعان اما أنا فقد حملت ذلك عنها على رغبة التأمل بالنسبة للسيدات التركيات وطريقة زينتهن وبعد مدة انقطعت عن الكلام ثم ازدادت وضاعفت تدقيقها وامعانها الكل من الخواتين على حدة ثم ما عتمت أن ظهرت على وجهها آثار التفكر كما يحصل فى الغالب لكل انسان يحاول الحصول على رأى يعتمد عليه وقرنت حاجبيها قليلا فباحت شفتاها بما فى ضميرها والتفتت الى قائلة

لقد بذلت جهدى هذه الفترة على أمل ان أتمكن من كشف شىء كنت ادعى الحصول عليه فلم أوفق اليه وذهب ذلك التفكر ادراجا فانى ألجأ اليك مرة تلك بازالة ما حصل لى من اليأس على أثر اخفاق مسعاى وعسى ان تعنى بايضاح يكون لى منه ما أرجوه من السلوى فقلت

مرى أيتها المادام قالت

من من هؤلاء السيدات الموجودات فى القاعة ضرة للاخرى قلت

عفوا أيتها المادام أتسمحين لى قبل ان آتيك بالبيان عما أمرت به ان أسألك سؤالا واحدا قالت

تفضلى أيتها السيدة قلت

على أية صورة تدعين كشف المسئلة قالت

بنظر أن كلا منهن ضرة للاخرى فلقد مر على هنا نصف ساعة تحريت بها عمن تنظر الى الثانية منهن بعين الخصومة والبغضاء ولكننى لم أر الا أن كل واحدة منهن تنظر الى الأخرى بعين الحب والتودد لاجرم أن فقدان الضرائر فى مثل هاته الجمعية الكبيرة كان يحملنى على التفكر بان ذلك ممتنع الامكان فى تركيا لعلمى أن عدم وجود الضرائر نادر بدرجة يشير بها الزوج الى زوجته بالبنان أما الآن فقد تأسفت اذ علمت أن نظرى الذى كنت أظنه قد خدعنى قلت

لم يخطئ نظرك أيتها المادام وانما أنت على مثل ما علمت الآن الجهة الثانية معاكسة لما تعلمين على الخط المستقيم لان وجود الضرائر هو نادر الى درجة يشار اليها بالاصابع قالت

عفواً أيتها السيدة فما هذا القول قلت

لا أقول الا الحقيقة أيتها المادام قالت

فاذن لا يوجد ضرائر بين السيدات الموجودات هنا فى الوقت الحاضر قلت

كما أنه لا يوجد بينهن ضرائر كذلك لا ضرة لاحداهن مع الاخرى قالت

انى بحسب الانوثة وانى كنت ممتنة بسبب محبتى وميلى الى السيدات بنات النوع من نضرة تلك الحال الا أنه من حيث وجود الضرائر فلو تمكنت من مشاهدة مثل هؤلاء لاصبحت فى غاية الامتنان قلت

لقد نطقت بالصواب أيتها المادام ان النساء من أى ملة كن فهن على اتفاق بهذا الشأن قالت

يا عجبا يفهم من ذلك انه على حين انك تركية فأنت بهذا الخصوص من رأيى قلت

اننى الى الآن لم أفهم ماهية فكرك أيتها المادام فانى لست منفردة بالتأثر على السيدات اللاتى يتزوج رجالهن بغيرهن وانما السيدات التركيات بجملتهن متفقة معك على فكرك قالت

أما أنا فقد كنت أسمع أن المرأة التى يقترن زوجها بامرأة غيرها لا تتذمر من فعله وانما تحسب ذلك أمرا الهيا فتمتثله بالطاعة والاذعان قلت

لو كان ذلك أمرا الهيا على الاطلاق لوجب على كل رجل أن يقترن بأكثر من زوجة واحدة ان الله سبحانه وتعالى لم يأمر الرجال أن يقترنوا بالازوجات على زوجاتهم وانما سمح وأجاز ذلك عند مسيس الحاجة فلو كان هناك أمر الهى كما تقولين ففى وقت الموت أيطلب فقط أمر الله لا جرم انك تعتقدين مثلنا أن أمر الموت بيد الله ولكن هل أتى عليك زمن طلبت به هذا الامر قالت

لا أنكر عليك الحق فى مثل هذا الوجه ولكننى سمعت أن الله فى الشريعة الاسلامية أمر الرجال أن يقترنوا بأربع زوجات قلت

ان هذا الامر الذى تقولين عنه انما هو بمثابة اذن اجازه الله بحسب الايجاب ولقد كان تعدد الزوجات جائزا فى الشرائع السالفة بل لم يكن له حد معلوم أيضا فالشريعة الاسلامية نهت عن أكثر من أربع وهذا مقيد بقيود وشروط صعبة جدا بحيث ان فى اجرائه على صورة موافقة للشرع اشكالا لا مزيد عليه لان الرجل الذى يقترن بزوجات متعددات يجبر أن يفرز لكل منهن منزلا على حدة وأن تكون نقوش غرفه مماثلة لبعضها البعض الآخر فضلا عن الاثاث والرياش وان لا يكون ثمت بون وفرق بين ألبستهن وزينتهن وفى مثل ذلك لا أزيدك علما بما هنالك من الصعوبة المتعسر تذليلها ولما كان من واجبات الرجل عندنا أن يهتم بادارة زوجته وطعامها وكسوتها وسائر حاجاتها كان تعدد الزوجات نادرا بالنظر الى تعذر القيام بضروريات واحدة فضلا عن كثيرات فى عصرنا الحاضر وزيادة عن ذلك أن المرأة التى لا ترى من زوجها عناية بشؤنها وادارتها يحق لها أن تذهب الى المحكمة فتشكو ظلامتها والمحكمة تأمر الرجل أن ينفق على زوجته كما أن الزوج يصبح حينئذ مجبرا على امتثال هذه الاوامر قالت

ان الرجل المتمول يقتدر على ادارة أربع زوجات فلا يمنعه ذلك من تعددهن قلت

كلا لا يمنعه من ذلك ولكن مشروط عليه أن يساوى بين كل من زوجاته وأن لا يميز احداهن عن الاخرى

بالعطايا

بالعطايا والهدايا ولا يظهر لواحدة منهن حبا يزيد عن حبه للاخرى فاذا خاف أن لا يعدل بينهن فيجب عليه شرعا الاكتفاء بواحدة قالت

يا عجبا ان المشاكل كثيرة ألم يكن أولى من التعصب ووضع هذه المشاكل والعقبات منع هذا الامر قلت

يا أيتها المادام فاذا كانت الزوجة عقيمة والزوج راغبا فى البنين أو كانت المرأة مريضة والزوج يطلب زوجة أفلا يساعد بزوجة أخرى قالت

ألا يوجد طلاق فانه يطلقها ويأخذ غيرها ويجتمع بزوجة واحدة قلت

انا نصرف النظر مراعاة لخاطرك عما تلاقيه المرأة العقيمة من المحنة والمشقة اذا لم تتمكن من الحصول على زوج آخر ولكن كيف نسمح بطرح الزوجة المريضة فى قارعة الطريق قالت

انى أوافق على هذا القول بالنظر الى كونه صوابا فقط ماذا تقولين عن رجل يتزوج على زوجته مع ان له ولدا ومع ان زوجته حسناء ومتمتعة بأحسن صحة قلت

أيتها المادام ان الحمام يكتفى بأنثى واحدة على ان الديك يتسلط على عدة دجاجات أليس الانسان نوعا من أنواع الحيوان قالت

أليس التمثل بالحمام أقرب الى الملاءمة والصواب قلت

لا جرم أن ذلك منتهى الحكمة والحق والاكثرية على هذا المذهب الا ان الشريعة اللازمة لجمعية مدنية مؤلفة من ملايين من الانفس يجب أن يكون لها أحكام موافقة لأى الاحوال تدفع بها عن ذويها سائر المحذورات وتنيلهم ما يبتغون من المسرات والطيبات وانى لا حكم معك أيضا انه فى سوء استعمال المساعدة الممنوحة فى تعدد الزوجات مظلمة للنساء غير أن النساء اللاتى لا يحتملن هذا الظلم والاعتساف لهن حقوق معلومة على حدة تنقذهن من هذا الجور فالمنع القطعى فى تعدد الزوجات قد أورث الجمعيات المدنية اضرارا وخسارات شوهدت رأى العين ومن جملة ذلك أن كثيرا من الرجال الاروباويين فى الوقت الحاضر أصبحوا بلا زوجات وعددا غفيرا من النساء بقين بلا أزواج فاتسع بذلك مجال العادات السيئة ألا وهى كثرة المسكرات والخليلات فلو شئنا أن ننقذ النساء من تأثر الضرار رأى من ان يكون لرجل واحد ثنتان أو ثلاث لفتح خرق أمر وأنكى من الخرق الاول بمعنى انه يظهر اذ ذاك سفالة كثير من الاطفال المعصومين الذين يأتون الى هذا العالم بصورة غير مشروعة ونشأ عن ذلك أكدار لعدد من بنى الانسان وأورثهم هذا الامر خجلا يلازمهم طول العمر على أنه اذا اتفق عندنا أن رجلا كان قليل الوفاء واقترن بامرأة ثانية علاوة على زوجته الحسناء الفتاة الصحيحة البنية أمكن لها أن تطلق منه وتقترن بزوج آخر كما تريد وتجدد سعادة حالها ولكن هل فى وسع الاطفال الذين لا علم لهم بأنفسهم وما يصيرون اليه فى مؤتنف الايام وما يتقلب عليهم يوميا من صنوف الضر الذى تسود به وجوههم أن يمتنعوا عن المجىء الى الدنيا ان المرأة المسلمة تحرم شيأ من الحقوق الانسانية فى أى الاحوال على ان أولئك المساكين الذين يدعون أولادا طبيعيين محرومون من جميع الحقوق الانسانية فانهم مهما بذلوا من السعى والاقدام ومهما أجهدوا نفوسهم ومهما بلغوا من المعرفة والعلم والثروة الواسعة لا يمكن الافتخار بهم وانما يكونون سبة لوالديهم ويضعون من قدرهم ويوجبون لهم الحياء والخجل وليس من عائلة تقبل فى تزويج احدى بناتهم برجل منهم اذ من حيث انه لا عائلة له لا يليق به الانتساب الى عائلة ما أما البنات ومصيرهن فلا أرى

من حاجة للافاضة بهذا الموضوع لما أن ذلك معلوم لديك فانهن محرومات من أن يحببن ويكن محبوبات لان علامة (النقولة) منقوشة على جباههن بصورة لاتخفى على الاطلاق فما ذنب هؤلاء أيتها المادام قالت

لاجرم ان هؤلاء المساكين لم يأتوا الى الدنيا فى الحالة التى يرغبون بل بعد ذلك لامناص ولامخرج لهم من هاته الحال وان كانوا غير راضين عنها قلت

أما المرأة المسلمة فتكون ذمرة برضاها واذا أبت ذلك فتطلق وتذهب الى زوج آخر والشريعة الاسلامية لكى تمنع مجىء أولاد الزنا الى الدنيا منعت الزنا قطعيا وأجازت للرجال الذين لايكتفون بزوجة واحدة تعدد الزوجات ومقابلة لذلك وضعت الطلاق بحيث ان النساء اللاتى لايرغبن ان يكن ضرائر يمكنهن أن يصفحن عن زوج يرضى بزوجة واحدة قالت

لقد أصبت فيما رويت من هذه الجهة فلا أزيد على لفظة الاستحسان شيأ ولكن من حيث انا من نوع النساء يجب أن نتدرج فى مراقى الغيرة قليلا ونتكلم كلمات لاجل حماية أهل النوع ان الزوج والزوجة هما جسم واحد فبينا يجب أن يعيشا بالحب الكائن بينهما دون أن يتخلله شئ من الشبهات اذ ترى الزوجة المسكينة فى كل يوم بل فى كل ساعة تناجى نفسها قائلة (هل ان زوجى يتزوج على بامرأة أخرى) فيحقك أية لذة من حياة الخوف والقلق والاضطراب قلت

اذا وجد نساء يفتخرن بمحبة أزواجهن فليس الا النساء المسلمين أيتها المادام ان تزوج الزوج على زوجته حالة كونها فى قبضة يده أى حالة كونه لم يتركها فيفيد كأنه لم يتزوج لان المحافظة على زوجته دليل محبته لها ولايمكن أن يقام أعظم من هذا الدليل على اثبات حب الزوج ووفائه والرجال عندنا لايكونون تحت منة النساء كما يحصل عندكم بسبب المهر المعكوس لتحاشوا الزواج ثانية بل بعكس ذلك فان الرجل حين الزواج هو الذى يدفع الدراهم لتجهيز البنت وهنالك قسم من المال يبقى دينا بذمته واجب الاداء وهو المهر المؤجل فاذا وقع بينهما طلاق استوفت المرأة دينها من الرجل واضطر ان ينفق عليها ثلاثة أشهر وعشرة أيام بحيث انها لاتحمل شيأ من الضيق حتى تتمكن من الحصول على زوج آخر قالت

فى الواقع انا وان كنا ندفع الاموال الا أن الرجال راغبون فينا كل الرغبة قلت

اذا انتقلنا الى البحث بأمر الرغبة نرى الحرمة والرعاية التى تؤدى للنساء عندنا لاتقل عن مثلها عندكم وربما كانت على نوع ما أعظم فنحن لانغتر بالظواهر ننظر الى الحقائق فان النساء فى الاسلام محترمات برتبة القرآن حتى انه لايجوز لفرقة عسكر بسيارة صغيرة غير مطلقة بالامنية ان تستصحب معها المصحف الشريف والنساء وأما الفرق الكبيرة العسكرية التى تكون سلامتها مأمولة فى الغالب فتستصحب معها المصحف الشريف والنساء أيضا

أما المادام فانها بعد ان أعملت الفكرة قليلا التمست منى أن أترجم كلامها والتفتت الى النساء قائلة لهن اجمالا

من حيث فى الاسلام يجوز للرجال متى أرادوا أن يقترنوا بزوجات علاوة على زوجاتهم أفليس عندكن خوف من ذلك

فأجابت احدى السيدات قائلة

أو ان زوجي يحبني فلا يمكن أن يتزوج

وأجابت الثانية فليتزوج ليرى أنني لست ممن يرضين في البقاء عنده

وقالت الثالثة اذا كان لا يحبني فبعد أن يتزوج لا أخشى من وقوع القحط في الرجال للحصول على زوج لي

وأجابت سيدة أخرى ان زوجي حقا في أن يتزوج لانني أنا أكبر منه بثمان سنوات أو تسع سنوات فهو الآن كهل في الخامسة والاربعين من العمر أما أنا ففي الرابعة والخمسين وانني متى كنت معه في محل واحد لا أخجل من أن نمر معا بازاء المرآة

وبعد أن ترجمت لها هذه الفقرة التزمت المادام الصمت وبعد تفكر قليل التفتت الي قائلة

يقال ان نبيكم (صلى الله عليه وسلم) كان يحب النساء كثيرا أليس كذلك قلت

أجل ان نبينا قد فضل بقوله حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب (أي الرائحة العطرية) والنساء وقرة عيني في الصلاة قالت

الظاهر أنه لذلك أخذ كثيرا من النساء حتى إن أحد عبيده بعد أن طلق زوجته تزوجها وقيل ان ذلك سبب اعتراض بعض المعترضين قلت

ان جواب كلماتك يحتاج الى التفصيل فاذا لم يكن مما يوجب تصديع الخاطر أتقدم الى بيانه قالت

انني أشكرك شكرا جزيلا لانني أرغب كثيرا الوقوف على حقائق هذه الاشياء قلت

ان نبينا (صلى الله عليه وسلم) تزوج في بادئ الامر بخديجة الكبرى وفي مدة حياتها لم يتزوج بامرأة غيرها فالذرية النبوية انما هي باقية عنها وبعد وفاتها زوجه حضرة أبي بكر صديقها الحميم بابنته عائشة فلما ترملت حفصة ابنة حضرة عمر رغب بها كل من أبي بكر وعثمان فلم يتم شيء من ذلك على أن نبينا رغبة منه في تطييب عمر تزوج بها وأنتم تعلمون ما كان عليه حضرة عمر من رفعة الشأن والقدر وجميع نسائه انما اقترن بهن لسر وحكمة مما تقدم بيانه وهناك سبب مستقل يتعلق بمسألة التحري والبحث عن الكفء في أمر الزواج فبهذه المسألة كان يراعيها العرب مراعاة فوق الحد وكانت قبيلة قريش التي هي أشرف القبائل تأنف من أن تصل بناتهن ونساؤهن الى رجال غير أكفاء لهن ومن حيث ان المشركين في أوائل الاسلام كانوا يسومون المسلمين جورا وعسفا وجفاء هاجر عدد من سراتهم بأهاليهم الى بلاد الحبشة ثم بعد ذلك كانت الهجرة الى المدينة بوجه عام وهذه المهاجرة أثرت المسلمين وفي أثناء هذه الجلية أصبح عدد كبير من الرجال عزابا وكثيرات من النساء أرامل ولما كان الزنا من المحرمات العظيمة في دين الاسلام لم تراع مسألة الكفاءة تماما ومع ذلك فان هذه المسألة أي أمل وجود الاكفاء لم تبرح من أذهان المهاجرين ولم تكن تطمئن قلوب المسلمين على النساء اللاتي لم يحصلن على الاكفاء فهذا هو السبب الرئيس في تكثير الزوجات المطهرات بعد الهجرة النبوية وها أنا ذا أورد لك بعض أمثلة في هذا الشان إن أم حبيبة ابنة أبي سفيان من رؤساء قريش كانت أول من آمن فهاجرت مع زوجها الى البلاد الحبشية فتوفاه الله هنالك وبقيت هي ثابتة في دين الاسلام وحيث ان أكثر رؤساء قريش قتلوا في غزوة بدر صار أبو سفيان رئيس القريش في مكة وبلغ مكانة قصوى من النفوذ حتى انه ليقال انه بعد عبد المطلب لم يأت رئيس صاحب نفوذ كأبي سفيان فانه كان يسوق

قريشا بجعلها في السبيل الذي يريده ولو كانت أم حبيبة راغبة في الدنيا لذهبت توا الى مكة على أمل أن تستفيد من نفوذ والدها واقباله ومكانته

غير أنها لم تكن من أولئك الذين يبيعون دينهم بدنياهم فحالة هاته المرأة المتدينة الصابرة التي انقطعت في ديار الغربة قد استجلبت شفقة أهل الاسلام فكان من الامور الطبيعية الافتكار بمعاملتها باللطف لتحصل على السلوى وحيث لم يكن من أهل الاسلام أكفاء لها الا بنو عبد المطلب ولذلك أرسل الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) سفيرا الى النجاشي مظهرا رغبته في الاقتران بأم حبيبة والنجاشي أيضا عقد نكاحها في الحبش على الرسول الاكرم وأرسلها بكمال الاحترام الى المدينة المنورة فالنساء بالطبع لا يردن أن يكون لهن ضرا لا الآن الزوجات المطهرات وعلى الخصوص حضرة عائشة زوجة النبي المحبوبة لديه والمزينة بالعلم والفضل لم يكن يقلن شيأ عن تعدد زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم) لانهن كن يقدرن هذه المسائل المهمة حق قدرها

كذلك أبو سلمة بن برة بنت عبد المطلب كان من أول الذين آمنوا ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهاجر مع زوجته أم سلمة الى الحبش ثم الى المدينة وتوفي من جرح أصابه في حرب أحد فظلت أم سلمة أرملة ولما كانت من أشراف قريش ومن ربات الحسن والجمال طلبها كل من أبي بكر وعمر فلم تقبل ثم طلبها حضرة النبي (صلى الله عليه وسلم) فرضيت فتزوجها وبعد ذلك تزوج الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) أيضا زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة معتوقه فهذا ما بعث المعترضين على الاعتراض كما قلت أما نحن فنعتبر أمر هذا الزواج مسئلة مهمة والراغب في الوقوف على الحقيقة يلزم أن يكون على معرفة من ترجمة حال زيد وزينب اجمالا

أما زيد بن حارثة فهو من قبيلة قضاعة أخذ أسيرا بينما كان صغيرا وبيع في مكة فاشترته حضرة خديجة ووهبته الى الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) فأعتقه وتبناه وكان الناس يسمونه بزيد بن محمد وهو أحد الاربعة الذين آمنوا ابتداء وهم خديجة وأبو بكر وزيد وعلي وكان الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) يستخدم زيدا في أهم الاشغال ويوليه قيادة الجيش الى أية جهة كان يرسل اليها الجند وجملة القول أن زيد ابن حارثة كان مظهر الحسن توجه الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم وكان من أعاظم الملة الاسلامية فزوجه الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم بابنة خالته أي زينب بنت أميمة بنت عبد المطلب غير ان زيد ابن حارثة مع انه كان عربي الاصل لم يكن قرشيا أما بنات قريش فلم يكن يعرفن أكفاء لهن في سائر القبائل خصوصا أولاد عبد المطلب فانه يصعب لهن عن الاكفاء في أشراف قريش على أن حضرة زينب لو كانت مسرورة من زيد لوجب أن تكون متكدرة من حيث إنه لم يكن كفأ لها كما أن زيدا أيضا أخذ يفتكر في تلك المسئلة الدقيقة فحمل أطوار زينب العادية على الكبر والعظمة وهو أمر طبيعي كما لا يخفى فذهب ذات يوم الى الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) وشكا اليه ما يراه من عظمة زينب بالنظر الى قرابتها منها وأنبأه انه سيطلقها اذ بذلك يكون قد أنقذها من زوج غير كفء لها وخلص نفسه من عظمتها على ان الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) قال له ما معناه (دع عنك هذا الفكر وخف الله إن المرأة لا تطلق لمثل هذه الاشياء) ومع هذا فان زيدا لو طلقها لما أمكن أن يكون كفأ لمثل هذه السيدة الشريفة الا صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم) فكان يمر بخاطره الرفيع وجوب الاقتران بها

تطييبا

تطييبا لخاطره واحقاقا للحق وفقها على انه لم يكن يظهر ذلك لان الشخص الذى كان يتخذ ولدا فى ذلك الزمان كان عند الناس بمثابة الولد الحقيقى تماما فكانوا يزعمون بل يعتقدون أن من كان فى مقام الاب لا يجوز له أن يتزوج بمطلقة من تبناه على ان الاحكام الشرعية لمثل هذه المسائل لم يكن حاصل التفصيل بوضعها اذ ذاك أما زيد فانه بعد اذ أظهر أنه لم يعد يتحمل عظمة زينب ذهب اليه فطلقها وبعد ان انقضت عدتها نزلت الآيات الكريمة بالوحى الالهى فى بيان الاحكام الشرعية وبموجب هذا الوحى الربانى تزوج الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) وصدر الامر بالتفريق بين الاولاد بالتبنى وبين الاولاد الحقيقيين وان ينتسب أولئك الى آبائهم وبعد أن كان يدعى زيد بن محمد صار يدعى زيد بن حارثة قالت

يفهم من ذلك أن هذه الكيفية متبعة أيضا عن مسئلة الاكفاء قلت

ثم ان الاصل فيها عبارة عن ذلك وفروع حكمتها أيضا انما هى توثيق الاحكام الشرعية التى ستكون قانونا للامة فى المستقبل

ثم ان المادام أخذت بأطراف الحديث مع السيدات وكانت تسأل عن أسماء بعض مسميات فى اللغة التركية وتقيدها فى محفظتها وبعد انقضاء برهة على مثل هذه الحالة التفتت الى وقالت

الا تشتكين من اجباركن على التستر والحجاب ومن حرمانكن من مصاحبة الرجال قلت

أيتها المادام ان الجواب الذى سأجيب به عن سؤالك ينقسم الى قسمين الاول يتعلق بالامر الشرعى والثانى بالعرف والعادة بمقتضى ايجاب الحال والزمان واليك البيان ان شعور النساء زينة لهن وداعية لاستجلاب الانظار كثيرا بناء على ذلك كما أن الملة الموسوية قد منعت من اراءة هذه الزينة المهيجة للرجال هكذا الشريعة الاسلامية نهت عنها أيضا قالت

اذن كان يجب عليكن أن تسترن شعوركن فقط حالة كونى رأيت النساء المسلمات فى الازقة يحتجبن تمام الاحتجاب غير مكتفيات بستر الشعور قلت

أجل ان ستر الشعر كاف أيتها المادام على ان المرأة يجب أن تحافظ على كل طرف من ألبستها المكتسية بها وان تكون فى حالة لا تجعل بها سبيلا لاظهار قوامها وكسمها فالنساء التركيات اللاتى تريتهن الآن يكتسين بمثل ما تكتسى النساء الاوروبيات والسيدات اللاتى تشاهدينهن فى هاته الجمعية هن الآن بألبسة الزيارات فاذا كان هنالك عرس أو وليمة اكتسين بمثل ما تكتسين أنتن به فى الليالى الراقصة وفى الولائم فاذا لبس شئ عارض الزينة فوق هذه البهرجان وستر الرأس بستار فوق الشعر عد ذلك سترا موافقا للشريعة أما النقاب (ياشمق) والغطاء المسمى (فرجه وچارشاف) فهى من عادات البلاد التى اتخذت مؤخرا وما زال القرويات ونساء العشائر يكتفين بستر الرأس فقط لان ملابسهن خالية من ضروب الزينة فهن والحالة هذه يجالسن الرجال ويجلن معهم ويشاركنهم فى الاشغال وأذكرك قبيلة الملثمين الضاربة فى صحارى افريقيا وهى القبيلة التى تشكل منها دولة فى بلاد المغرب ونساء هذه القبيلة الى الآن يجلن سافرات الوجوه أما الرجال فانهم يسترون وجوههم وهذه عادة مألوفة عندهم فاذا كانت شعور النساء المسلمين مستورة فالوجه شرعا غير محرم وعليه فان النساء لا يمتنعن شرعا من محادثة الرجال والاجتماع بهم اذا كانت أجسامهن مستورة بالملابس ومضروب على شعورهن الخمار قالت

فاذن لماذا لا تجتمعن بالرجال ولا تجالستهم قلت

ان في كل ملة عادات كثيرة واصطلاحات شتى حادثة وهذا أصبح عندنا عادة مألوفة

والحالة هذه لم يكن ذلك من الضروريات الدينية

ان النساء في زمن نبينا (صلى الله عليه وسلم) كن يسترن رؤسهن وكن يجتمعن بالرجال حالة كون شعورهن مغطاة وكل يعلم أن كثيرا من النساء كانوا يذهبون الى حضرة فاطمة الزهراء رضي الله عنها كريمة حضرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم ويتذاكرون معها وفي التواريخ أن أهالي مكة بينما كانوا من ذوي العصيان على النبي صلى الله عليه وسلم وفد أبو سفيان رئيس رؤساء مكة على المدينة بعقد الصلح ولما لم يفز بوعد من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه ذهب الى حضرة فاطمة الزهراء رضي الله عنها يرجوها التوسط في الصلح وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم العلماء وأفاضل الاصحاب الكرام يتواردون على مجلس زوجته المطهرة عائشة رضي الله عنها ويطرحون عليها المسائل ويسألون الاجوبة عنها وكان النساء المباركات في ذلك العصر فاضلات عالمات كالرجال أما حضرة فاطمة وحضرة عائشة رضي الله عنهما فقد اشتهرتا أيما اشتهار بالعلم والفضل وقرض الشعر وفصاحة الانشاء وكان الرجال فضلا عن النساء يستفيدون من علمهما وفضلهما وبعد زمن السعادة كان كثيرون يتعلمون السنة من حضرة عائشة رضي الله عنها وكانوا يذهبون الى مجلسها العالي فيتلقون ذلك عنها فكما أن تبليغ الشريعة كانت على مثل ما وصفت في زمن حضرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم هكذا كان أزواجه وبناته المطهرات يسترن رؤسهن أيضا وكانت أمهات المؤمنين بجملتهن حائزات على شرف لا يضاهى ومنزلة لا تبارى لدى جميع الناس وكانت الناس تتبرك بزيارتهن غير أن حضرة عائشة رضي الله عنها كانت ممتازة عنهن بالعلم والفضل فكان الاصحاب الكرام يرجعون اليها زيادة عن غيرها ويتعلمون منها الاحكام الدينية ولذلك كان كلامها مسموعا ومعتبرا أكثر من سائرهن وكانت هي محترمة كل الاحترام قالت

أهي عائشة التي افترى عليها قلت

هي عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنه التي كان افترى عليها بعض المنافقين أليس أن اليهود قد افتروا هذا الافتراء على حضرة مريم سيدة النساء قالت

أسألك عفوا على قطع حديثك فداوم على ما بدأت به قلت

ان قاعدة التستر ظلت وتسلطوا بلا على مثل هاته الحال الا أن فساد الزمان قد أفرغها في صور أخرى فالعادة منعت النساء من الاجتماع بالرجال ومجالستهم قالت

اذا كانت أحكام الحجاب في دين الاسلام كما وصفت فلماذا لا تسمحون للرجال برؤية البنات اللاتي سيكن لهم زوجات قلت

ان هنالك أماكن تجيز ذلك وخصوصا في بوسنة فان الرجال لا يقترنون بالبنات الا بعد أن تتمكن من الفريقين روابط المحبة وهذه أصبحت عادة عندهم وفي كل محل يجوز شرعا أن يرى الرجل وجه الفتاة التي سيقترن بها حتى إن نبينا صلى الله عليه وسلم قال (انظروا وخذوا واخبروهن) لكن لكل بلدة عادة مخصوصة بها فأهل تلك البلدة لن يتمكنوا من نبذ هذه العادة والخروج عن دائرة الحد المرسوم وجميع ذلك من العادات لا من المسائل الدينية قالت

لاجرم أنها عادة غير لائقة فالواجب تركها أليس أن اقتران الرجل ببنت لا يعرفها وانتقال البنت الى رجل تعرفه من أعظم المشاكل قلت

ان هذا لم يكن من المشاكل العظيمة عندنا فلو كان فى شئ من ذلك لنبذ ظهريا غير أنه بمقتضى المساغ فى ديننا يمكن اذا حصل اتفاق بين عائلتى الفتاة والشاب أن يرى كل منهما الآخر قبل الزواج قالت

أتكفى نظرة واحدة لاجرم أنه يجب عليهما أن يجتمعا اياما بعضهما بعضا وأن يتسامرا ويتناظرا ولا وان يدرس كل منهما طبيعة الآخر وأخلاقه وأحسن من ذلك أن يتحابا وتتمكن بينهما عقود الحب ليعيشا فى الزواج عيشة راضية قلت

فى اعتقادنا أن الوسيلة المفيدة فى الالفة وحسن الامتزاج ليست فى شئ مما ذهبت اليه ان ثمانين بل تسعين فى المائة من الزواج عندنا على مثل هاته الاصول تأتى بافضل نتيجة من حسن الامتزاج مع أن المناكحات التى تحصل فى أوربا جميعها بوجه الحب والعشق لا يترتب عليها امتزاج بين الزوجين فان كثيرا ممن تزوجوا عشقا وهياما فقد انطفأت جذوة حبهم بعد ستة أشهر أو سنة من زواجهم وأصبح عشقهم هباء منثورا كأن لم يكن بالامس شيأ مذكورا ثم كثيرا ما أدى بهم ذلك الى الانفصال عن بعضهما بعضا واضطر كل منهما أن يعيش منفردا ولعمرى ان العشق الحقيقى انما هو أندر من النادر لكن كثيرون الذين يسعون اليه أليس أنه يوجد عدد لا يحصى من الفتيان يتوهمون الوساوس عشقا ويظنونه حبا فيسقطون فى أوحال الخيال أليس أن هذا الظن الخيالى يصل بهم الى حد أنهم ينفصلون عن آبائهم وأمهاتهم فيفرون من منازلهم وينعزلون عن أقاربهم غير أنهم يشعرون بعد ذلك بفساد هذا الوهم والظن فيندمون ولات ساعة مندم ويكرهون ظنونهم وينقلب عشقهم حقدا وبغضا

فيصيرون الى أسوإ الاحوال ومعلوم أنه لا يجب الحكم على الظنون فى انتخاب الزوجة والزوج بل يجب أن تهتم العيال فى الوقوف على الحقائق وعندى أن الشاب والفتاة متى كانا متماشيين متحابين فلا يتأتى لهما أن يدرسا أخلاق بعضهما بعضا ولا آدابهما وطبيعتهما وصفاتهما ومزاياهما ولا أن يقدرا حق قدرها وانما تقدير ذلك منوط بأكابر العائلتين فينبغى للوالدين أن يعقدا العقد بعد استشارة أولادهما وبناتهما واستحصال رضاها وبخلاف ذلك اذا تركت لمثل هؤلاء الفتيان أنتجت أكدارا كثيرة للوالدين والاقرباء والطرفين وربما أبلتهم بلا معنى وأظن ان فى أوربا أيضا لا يطلقون العنان للبنات والشبان ولا يعطونهن الحرية التامة فى مثل هذا الزواج أليس كذلك أيتها المادام قالت

هكذا لا يطلق للفتيان عنان الحرية للتفكر فى نهاية عواقب الامور قلت

وجملة القول انه من الخطإ أيتها المادام حسبان هذه الامور من مقتضى الدين فليست سوى عادات وان الكل بلاد عادات مخصوصة بها والانسان أسير العادة أما تعديل العادة فانه يتم تدريجا والطفرة محال والمسلمون قد ازدادوا تمسكا بعادة ستر الوجه بالنظر الى الفائدة التى رأوها منها والعادات الحسنة والقبيحة ليست مخصوصة بقوم دون آخرين وان ذلك متساو فى جميع الملل ثم اذا أمررت النظر على الشرائع السالفة رأيت ان الدين الذى يصدق على دين جاء قبله قد بدل وعدل بعضا من أحكامه أيضا وللحكم الزمان تأثير كلى فى هذا الباب ان حضرة حواء عليها السلام كانت تضع توأمين ذكرا وأنثى ولم يكن من الجائز فى

ذلك الزمان أن يقترن الفتى بالفتاة في حين انهما نزلا من بطن واحد بل كان من مقتضى شريعة آدم ان يكون الزواج بين وضع في بطن آخر وعليه فان حضرة آدم عليه السلام عندما أمر أن يتأهل قابيل الذي ولد ابتداء بتوأم هابيل وهذا بتوأم قابيل لم يرض بذلك قابيل فقتل أخاه هابيل فمما تقدم يعلم ان اقتران التوأمين كان ممنوعا ثم بعد ذلك حرم نكاح الاخت تحريما مطلقا وكان من الجائز ان يقترن الرجل باخته ويجمع بينهما الى أن جاء حضرة موسى عليه السلام فاصبح هذا الحكم أيضا منسوخا واني أضرب لك مثالا آخر من انجيل متى فقد ورد في الفصل التاسع عشر منه أن حضرة عيسى عليه السلام مع كونه صدق على التوراة فقد منع الطلاق وقت ذلك سئل عما معناه (إذا لماذا أذن موسى بالطلاق) فأجاب حضرة عيسى (ان موسى انما كان أذن بالطلاق بالنظر الى قسوة قلوبكم) وبناء عليه فان حضرة عيسى منع الطلاق لغير علة الزنا

قالت أجل

وفي أثناء ذلك أطلقت مدافع الافطار فذهبنا الى المائدة أما المادام فكانت تتناول من كافة ألوان الطعام بقابلية ولم تره غريبا عن ذوقها وكانت تسألنا عن أسمائها فلما صار الطعام على وشك الختام أقبل الارز فقالت سائلة ان الارز عند الاتراك انما يقدم في آخر الطعام وهو دليل على نفاد الالوان قلت نعم إنه لكما أشرت

قالت ان استانبول هي بمثابة فهرست للانسان كما ان مائدة الاتراك بمنزلة فهرست للطعام فقد أكلت على هذه المائدة من طعام جميع الامم

وفي الواقع ان ما قالته المادام كان صحيحا وقد كنا ذكرنا لها أسماء الطعام اجابة لسؤالها فكان موائدنا في ذلك المساء من اللحم والسمك وكانا مطبوخين على النسق الافرنجي وكان ثم دجاج بركسي وكشك الفقراء المعروف في البلاد العربية وشيخ المحشي والباذنجان بالزيت وكنت أترجم للسيدات اللاتي على المائدة كلام المادام وكانت الغرفة التي تناولنا فيها الطعام قائمة في الطابق العلوي من المنزل وعلى طرف الجنينة وكان لها باب كبير مصراعين يفتحان على جنينتنا فبعد ان نهضنا عن المائدة لم نعد الى القاعة وانما أرسلنا كرسيين الى الجنينة من الباب المطل عليها قصد أن نروح أنفاسنا بعبير الزهر التي كانت تتضوع كأريج المسك وتناولنا القهوة هناك وكان القمر بدرا أي في اليوم الرابع عشر يرسل أشعته فينير ظلمات الارض والهواء كان عليلا لطيفا جدا وبعد اذا انتهينا من شرب القهوة بادلنا مناولة الاذرع وتفرقت جمعيتنا التي كانت مؤلفة من طبقات متفاوتة في السن في أطراف الجنينة العريضة الواسعة وكانت تجتمع أحيانا للمبادلة بعض الكلمات ثم تفترق ذهابا وايابا أما جمعيتنا فكانت مؤلفة من خمس وهن المادام وهذه العاجزة وثلاثة أفراد العائلة وكان أكثر جمعيتنا يتعاطين التدخين بالسيكارات يدخن بعد الافطار بزيادة اللذة وكانت شرارات السيكارات تضيء وتلمع من خلال الازهار والاشجار وكانت تلك الليلة من أحسن الصدف التي تتمناها المادام لانها كانت جامعة عددا كبيرا من الاقارب وهو ما كانت تلك المادام تود مشاهدته ولما أعيانا السير على القدم دخلنا الى كشك جم الفائدة محاط من أطرافه بالنوافذ والشبابيك وألفينا فيه عصا التسيار ثم أقبل سائر الخواتين ودخلن الى هذا الكشك وأخذنا معا باطراف الحديث وقد جلست المادام وهذه العاجزة تجاه النافذة القائمة في الوسط وكانت المياه التي تتدفق من شلالات الحوض الكبير

القائم بازاء المكشك تطرب الآذان بأصوات خريرها وتكسرها وحبوبها المنتشرة فى الحوض كقطع الماس تمثل منظر الطيفا جدا وكان محل جلوسنا وموقعه جميلا للغاية فانا فضلا عن مشاهدة الجنينة والحوض كنا نشاهد البحر من وراء الجنينة ولكن ما أدراك ماهو ذلك البحر انما هو البحر الذى كان يتراءى للعين كأنه من صفائح الفضة واللجين بما انتشر فوقه من أضواء النور المنبعثة من قمر الليل بل البحر الذى تغزلت به الشعراء فوصفوه بأشعارهم وصفا لا يحتمله المقام وكان فى تلك الليلة ساكنا كل السكون والهواء كان يهب صحيحا فيعود عليلا بأرجاء الازهار وكانت السماء صافية والافق خال من الكدورة فكنا لا نعرف أين نوجه الانظار فى تلك الليلة البديعة أنوجهها الى البحر الذى كان صفيحة من لجين أم نوجهها الى الاجرام السماوية التى كانت تلمع وتضىء فى ذلك الفضاء عيانا كغادة حسناء ألقت عنها حجابها أم نوجهها الى البدر المنير الذى كان يفوق عليها ضياء ونورا ولألأة أم نوجهها الى الحصى الصغيرة التى كانت تلمع وتبرق فى الجنينة من انعكاس نور البدر فتمثل دمالج من الماس تلمع فى زنود الحسان لا جرم ان تلك المناظر كانت تحير المرء فلا يهتدى الى أحسنها سبيلا على أن المادام قد وجهت أنظارها الى العلاء فأرسلت عينيها فى فضاء السماء وكانت هذه الخاتون العالمة بفن الهيئة والهندسة قد طبقت دروسها على خريطة العالم بما استفادته تلك الليلة من لمعان السماء فبعد سكوت مستطيل صرفته فى النظر الى هاته المناظر التفتت الى قائلة

هل لك المام بفن الهيئة

قلت قليل جدا

قالت أيمكن لك أن ترى كوكب القطب الشمالى

قلت نعم ان رأس الدب الاصغر يرى من ورائنا

قالت أيمكن لنا تفريج الابراج

قالت ان القمر بدر وكثير اللمعان وفى ظنى أن ذلك متعذر علينا وعلمى فى هذا الفن ناقص جدا فهل لك أن تلذى سمعى ببعض التفصيلات

قالت أجل مع المنة

ثم أخذت المادام تنقل لى أسماء السيارات ووضعيتها ودوراتها وأبعادها وتبدلات أشكالها بصورة بالغة حد الاتقان والكمال فى بسط النقل وحسن البيان حتى دهشت لتلك القوة الحافظة التى وهبتها الانه مهما احصل المرء من العلم والمعرفة فليس من السهل أن يحفظ فى ذهنه أبعاد النجوم عن بعضها ويذكره بتدقيق تام وكانت تروى لى بايضاح وتفصيل أقوال الفلاسفة والحكماء المتعلقة بفن الهيئة ومقدار ما تغلب عليهم من تغير الافكار والآراء وكيف ان المتأخرين قد جرحوا أقوال من تقدمهم وكيف ان الذين جاؤا على اثر هؤلاء المتأخرين قد عادوا الى تصويب واستحسان كلام الاولين والتصديق عليه وتشرح شرحا مستوفيا عن أوضاع النجوم والسيارات ومع أن المادام كانت فى المحاورات الاولى تلقى علىّ كثيرا من الاسئلة فصرت الآن أسألها عن عدة أشياء أماهى فانها بعد ما لم يبق فى كنانة علمها منزع ولم تضن علىّ بايضاح وبيان ما حولت نظرها الى جهة البحر وأخذت تشرح لى بتفصيل عن عكس القمر فى البحر وعن كيفية ضيائه وأسباب لمعانه ثم وجهت نظرها الى الجنينة وصارت تبحث فى المعادن والنباتات وتأتى عليها

بما يحتاج اليه المقام من الايضاحات وكانت تتكلم عن هذه الفنون بلذة تذوق لذة العاشق الذى يتحدث بذكر عشيقته وتظهر على سيماها آثار الرقة واللطف بادية فيها دلائل الكياسة والظرف ولا غرابة فى ذلك لانها انما كانت تتحدث بذكر العلوم الحكمية التى كانت تعشقها وبعد هنيهة ألقت أنظارها على الاشجار الكبيرة وكانت تخمن مقادير أعمارها

فقلت لها انى ما رأيت شجرة معمرة أكثر من أشجار الفستق ثم أخذتها بيدها حتى وصلت بها الى شجرة ضخمة وأريتها اياها فتقربت اليها وبعد أن دققت فيها تدقيقا تاما قالت

أيتها السيدة ان هاته الشجرة هى أقدم من العثمانيين فى الاستانة وهى باقية من زمن الامبراطورية لان وصولها الى هذا الطول يحتاج الى عدة أعصر ثم عدنا بعد ئذ الى الكشك فاستأنفت المادام حديثها العالى وأخذت تلقى على ضروبا من الحكمة ثم قالت

أخشى أن أكون أورثتك الملال بكلامى فى هذا الموضوع ولكن ما حيلتى وأنا أرى فى مثل هذه المحاورات لذة مزيدة

قلت ماذا تقولين أيتها المادام انى كثيرا ما كنت أود أن أبين شكرى لما استفدته فى هذه الليلة من ألفاظك البليغة وعلومك العالية الا أنى خشية من قطع الحديث عليك توقفت عن تأدية الشكر بل لم أتجرأ أن أبديه فانا أهنئك بهذه المنزلة العلية وأشكرك عنايتك فقد استفدت بآدابك كثيرا

قالت أنا أطوف الجهات وأذهب الى المراقص والى الفرح والمسرات ولا أحب الخروج عن دائرة العادات لكن لا بنية اظهار زينتى وعرض نفسى على الانظار كما تفعل أكثر النساء ولا أكتسى بالالبسة الحريرية الرفيعة الاثمان بقصد العظمة والافتخار وانما ألبسها لاجل أن يلتذ سمعى بصدى اهتزاز أمواجها وخشيشها فى الهواء متخذة ذلك بمثابة اختبار لدروس الحكمة التى تلقيتها ماذا أقول عن أولئك الناس الذين يدخلون الى قاعات المراقص فتأخذهم نشأة الحظ والسرور من ضياء القناديل والشموع المتلألئة فيها ومن لمعان الثريات وأنوارها المنعكسة ولكنهم لا يعلمون شيئا من أسباب هذا الحظ ولا يفقهون ماهية تلك الاشياء التى تبعثهم على هاتيك المسرات لعمرى انهم لو أحاطوا علما بالتمثلات لهم فيها حكمة الله بأجلى بيان ولازدادوا التذاذا بقدرته وقوته التى حيرت بنى الانسان ولاشتغلوا بذكره وتسبيحه أكثر من اشتغالهم بالملاهى ثم انى أرى فرقا بين الحجارة الماسية التى أصنها وبين حجارة الثريات العادية وعندى أن هذا الفرق انما هو ناشئ عن الحجارة الماسية بواسطة انعكاس ضياء القناديل والشموع عليها تتشكل لمعان الالوان السبع الاصلية بمنتهى الرقة واللطف والظرف ما لا يوجد فى الحجارة البلورية ويشهد الله أنى لا أنظر الى النساء فى تلك الليالى نظرة الحاسدة لجمالهن الباحثة عن قصورهن الراغبة فى كشف عيوبهن بل ربما كنت أدقق فى أكثرهن جمالا وفى أخلاق أطوار الفتيات المعصومات لانقش هذا الجمال وهاته الاطوار فى مخيلتى وأتخذ الخيال الذى أرسمه قاعدة أتصورها فى كل وقت انى أدخل الى قاعات الميسر فى المراقص وأتفرج على الالعاب ولكن لا لاحد الذين يربحون ولا لتأخذنى الشفقة على من يخسرون (لانهم انما يخسرون أموالهم بطيبة خاطرهم) بل أدخلها لانظر مع التعجب تلاعب هذا المعدن الاصفر بالالباب واستهزاءه بأولئك الذين ينفقونه جزافا على مذابح شهواتهم كأن لا قيمة له مع أنهم لم يجمعوه الا بشق الانفس لم يجمعوه الا بعرق الجبين لم يجمعوه الا بالمتاعب والمشقات التى تقرض العظم قبل اللحم لم يجمعوه الا باهراق الدماء

فهم يلعبون به لكن بعد أن يلعب بألبابهم وأرواحهم وشرفهم أليس من موجبات الدهشة والاستغراب أن أولئك الذين يتلفون أنفسهم فى سبيل الحصول على واحد من هذا المعدن يستبدلون تعبهم ويتغاضون عن مشقاتهم بساعة من الحظ ما من شئ يجرى بالفرجة أكثر من مناظر الجعبة فى المراقص وليالى الافراح والتدقيق بنظر الافراد المجتمعين الذى يتبادله كل منهم بل ما من لذة تضاهى لذة مشاهدة الانظار التى يتسارقها الفتيات العشاق الذين يرهبون من آبائهم ويتصببون أمهاتهم ويتضايقون فى الازدحام فان العيون وهى منافذ القلوب تغنى عن لسان المقال أما اذا اجتمع الجمال فى العيون فان الكلمات التى ترسلها الى الافهام تسمو وتعلو قبولا على الالفاظ التى تخرج من بين الاسنان الدرية والشفاه المرجانية إذ أن الكلمات التى تصدر من الفم لا تكون بجملتها صحيحة وجوابا وانما تصدر موزونة مموهة بالكذب ولكن العيون بعيدة عن التمويه منزهة عن التصنع والتقليد فبينما يتكلم الفم بالمحال اذ تظهر الحقيقة من مجرد النظر على العينين ثم إنه لا حاجة للسؤال فى مثل هذه الجعبة عن أرباب الدسائس والكذبة والمنافقين فان العيون تكشف الخفايا وتشير الى كلام المحبين والاعداء والوالدين والوالدات والاولاد ان حماية الآباء وشفقة الامهات وهيام العشاق ومحبة الاصدقاء وغرض الاعداء كل ذلك يعلم من العينين والعيون تطلع تمام الاطلاع على جملة أشياء لا يستطيع الانسان أن يسأل عنها بلسانه فالعيون ترجمان القلب

فلما وصلت المادام الى هذا الحد من البيان التزمت جانب الصمت ثم وضعت مرفقها على النافذة وأسندت رأسها بيديها كأنما كانت تناجى الارواح ومع أنها قطعت حديثها كنت أصغى اليها كأنها لا تزال تتكلم وبعبارة أقرب للحقيقة ان أذنى كانتا راغبتين فى الاشتغال بعكس خيال هاتيك الالفاظ الدرية كأنهما لا تريدان أن تبعدا عن عين تصورهما ذلك الخيال الفتان وأن تتغذا دون استماع خطبتها المملوءة حكمة وآدابا أليس أن ما تجملت به هاته العالمة العالية الاخلاق من الحسن والظرف انما هو صحيفة جميلة لكتاب الحكمة الدال على حكمة وقدرة الخالق القادر الحكيم أما أنا فقد توغلت فى مطالعة تلك الصحيفة التى فتحت أمامى إن البعض اذا فهموا أن فى أرباب الجمال قصورا لم ينظر بالكلية فبعد أن يفتكروا ملياً بهذا القصور الذى لم تعرف ماهيته يتمكنون من الوصول الى ادراكه بما آتاهم الله من المعرفة التى هى سر من أسرار حكمته المستورة عنا وهكذا المادام فان الخالق قد حباها بنعمته ولطفه ولم يحرمها من هاته الجاذبة التى تسترق الالباب

أليست تلك الجاذبة هى التى تجعل القبيح محبوبا كالجميل ولكن ما هو تعريف هذه الجاذبة لعمرى إنها لا تظهر للعيان ولا تتمثل الا بالاذهان ليس لها شكل معروف ولا جسم موصوف فالبصيرة تدركها ولا تنظرها الابصار وتعشقها القلوب قبل الافكار وكأنها بادية فى الوجه والهيئات فهى أبدا ممثلة فى الكلمات ظاهرة فى الاصوات أما لطافة كلمات هذه المادام وحلاوة صوتها فانها متناسبة مع ملاحة وجهها ولاجل ذلك كانت تلفظ كلماتها اللطيفة بصوت رقيق ولهجة مؤثرة تفوق رقة ولطافة الاصوات الجميلة عند نشيد الاشعار وكانت الجهة المعراة من عنقها ويديها مغطاة بنسيج اسود يسترسل فوق فرعها فكانت تمثل الضياء المنعكس من سماء ذلك الليل أعنى أنها تمثل الالوان الصافية الزرقاء التى تبدو من السماء فى خلال احتجابها بالغيوم وكان جسمها الابيض الشفاف يظهر من تحت النسيج الاسود كأنه صفائح

من الثلج الابيض الناصع والصدف المضيء اللامع وبينما كنت سائحة في فضاء التصور بهذا الهيكل العجيب التفتت الى الموحى اليها وقالت

بأي شيء تفتكرين ولماذا أراك ملتزمة جانب الصمت فقالت

انى أفتكر بك كما تنظرين لاجرم أنك قد وقفت على جميع الاشياء وأمعنت فيها أنظار التدقيق فعرفت حكمتها في حين انك أحطت بها علما يقتضي حتما ان تكوني صرفت وقتا طويلا في النظر الى المرآة لاجل التدقيق بجمالك ومحاسنك لانك لست بمحتاجة الى مثال آخر في مشاهدة الجمال

قالت أجمل انى غيرنا كرة وأعلم قدر احسان حضرة الخالق سبحانه بالحسن والملاحة التي خصني بهما وشاكرة هذا الاحسان ولست كبعض النساء اللاتي يتظاهرن بأنهن لا يعرفن أنفسهن أهن جميلات أم لا وهن يقصدن أن يكن معروفات بأنهن أكثر النساء جمالا ولا أحد اللاتي هن جميلات أكثر مني كما أنى أعرف قصوري أيضا فانظري أيتها السيدة هل ترين تناسبا بين ما أوتيته من الجمال وبين هاته الايدي والاقدام إن كبرهما انما هو نقص محض ولكني لست بآسفة على ذلك بل أنا ممتنة اذ لو لم يكن بي هذا القصور لربما كان استولى على الغرور ولكنت لا أدرك أن الغرور غير لائق بالعبيد على أن قصوري قد عرفني أن العبد لا يمكن أن يكون بلا قصور وأنه لا يليق بنا الغرور ومع هذا النقص ولاجل ذلك لا أشكو مما أراه من النقص في يدي ورجلي وذلك لا كون على الدوام مسرورة

لاجرم أن المادام كانت تتكلم بالصواب لان يديها ورجليها لم تكن متناسبة مع مجموع حسنها ولكنني لا أعلم اذا كان يتيسر لكل عبد أن ينظر قصوره ويكسر عظمته وكبرياءه أما اذا اجتمع العلم مع علو الاخلاق فيتولد من ذلك انسان كامل كالمادام الموحى اليها

ثم قالت المادام وفي حين أن الناس تبدو مظاهر عجزهم وضعفهم لاعينهم بكثير من الدلائل تراهم ينسون أنفسهم ويجترؤن على الغرور كأن لم تكن تلك الادلة شيأ مذكورا مع اننا اذا خفضنا رؤسنا الى الاسفل ورفعناها الى الاعلى نشاهد عظمة الله جل جلاله وضعف ذواتنا نحن لا يلزمنا أن نتوغل في أغوار أرضنا ولا أن نصعد في درجات الاوج الاعلى وانما علينا أن ننظر الى البحر والسماء فاهي المناظر والمظاهر التي تجلوها لنا السماء أليست تقول لنا بلسان حالها انكم عاجزون عن مشاهدة أقماري والوصول الى معرفة أسراري لماذا لا تتسوح في الاجرام السماوية التي فهمنا أن كلا منها انما هو عالم مستقل أم نهتم بذلك كثيرا بلى لقد اخترعنا المنظار زعما منا أننا سنوفق الى الوصول الى تلك الاجرام نخاطب الطين وكنا اذ ذاك في حالة الغرور ولكن كان كل اقتدارنا أن بلغنا بعد الجهد الجهيد والسعي المتواصل للصعود الى عدد معلوم من الكيلومترات هذا ما فهمناه وقد هبطنا من ذلك العلو بصورة هائلة أرتنا الموت عيانا وسمعنا كلمات التهديد تخاطبنا قائلة بلسان الحال انكم غير مأذونين أن تصعدوا الى أعلى من هذا الحد وأنتم لم تخلقوا لتعيشوا في هذا الفضاء فاما أن تعودوا من حيث أتيتم واما أن ترضوا بالموت صاغرين حتى اذا أخذ الدم يتدفق من مسامنا ورأينا هاته الحال المدهشة أجبرنا على الرجوع أفلم يكن ذلك من الغرور المحض

قلت لقد نطقت بالصواب على أن صاحب هذه الافكار يجب أن يكون نظيرك من ذوي الاخلاق الحسنة والعلم الواسع اذ لا يختلف اثنان أن الانسان أينما وجه التفاته وفي أي شيء حصر فكره وتأمله تجلى له عظمة الله ووحدانيته عيانا ولكن هل تحسبين أن أي الناس ينظر الى ذلك بهذا النظر المجرد وأنه يسر

فقط من لون السماء الصافي ولمعان الكواكب وسكون البحر ونور القمر وضياء الشمس فيكفيني بهذا السرور وليس إلا

لاجرم أن الانسان كيفما التفت وأينما وجه نظره يتمثل لدى عينيه عظمة الله ووحدانيته

ولكن أنت تعلمين أن أكثر مذاهب النصارى يعتقدون بالتثليث فلا أدري كيف يمكن توفيق ذلك مع الوحدانية

قالت من المعلوم أن المسائل الدينية مستندة الى الرواية لا الى أدلة عقلية اما أنا فقد افتكرت كثيرا في مسئلة التثليث فلم أتمكن من توفيقها على العقل والحكمة ولاجل ذلك أعتقد بوحدانية الله

قلت اذن يقتضي أن تكوني على مذهب الاربابيين

قالت كلا إن هذا المذهب قد انقرض فان مجمع أزنيق قد محاه محوا فالتثليث عند النصارى انما هو بمثابة سر لا يدركه العقل فليس لهم الا التسليم والاعتقاد

قلت ان الانجيل الشريف خال من النص والتصريح المتعلق بمسئلة التثليث فليس ثمة اكراه في الاعتقاد بشئ لا ينطبق على المعقول أما مسئلة التثليث فقد ظهرت بعد حضرة سيدنا عيسى وبعده باعصر ولا يوجد في الاناجيل قول يثبت ذلك وما هنالك من بعض التعبيرات لا تتخذ مستندا وحجة لان التوراة الشريف والانجيل الشريف لو ظلا كما نزلا دون أن يطرأ عليهما تغيير أو تحريف لكانا حجة على اثبات هاته الامور ومعلوم أن الانجيل الشريف لا يعرف في أية لغة كتب بادي بدء اذ لا يزال ذلك مختلفا فيه فمن المحتمل أن الوقت لم يمكن من كتابته فبقي محفوظا في الاذهان حتى اذا عرج حضرة سيدنا عيسى (عليه السلام) الى الملا الاعلى درج ما بقي مستظهرا في أذهان الحواريين من الآيات الانجيلية في الاناجيل على طرز الحكاية وعلى ذلك فان الاناجيل التي كتبت وهي تزيد عن الخمسين عدا اغمايزى التدقيق بها بعد ثلثمائة سنة من ميلاد سيدنا عيسى (عليه السلام) فأبقي منها أربعة وترك الباقي وفي جهات كثيرة من هاته الاناجيل الاربع مباينات كلية يناقض بعضها البعض الآخر وهذا من الامور الطبيعية لان النصرانية ظلت ثلثمائة سنة تحت طي الخفاء وفي الوقوف على الحقيقة في اخلال هذا المقدار من السنين اشكال لا يحتاج الى ايضاح

قالت ما قولك في التوراة

قلت لا يخفى أن التوراة قد أحرقت وفقدت حينا من الزمن ثم كتبت عن الحفظ مجددا فمن هذه الجهة لا تفيد علم اليقين بخبر واحد وبين أيدينا الآن ثلاث نسخ منها يناقض بعضها بعضا وفي ذلك دليل كاف على أنها محرفة لان كلام الله لا يمكن وجود التناقض فيه

قالت ماهي المناقضات التي رأيتها في التوراة

قلت مهلا فاني سأجد لك فيها تناقضا مهما قلت ذلك والتفت الى جارية كانت على مقربة مني وأشرت اليها ان تأتيني بالمحفظة الحمراء الموضوعة على الطاولة فاسرعت الجارية وجاءت بالمحفظة المطلوبة ودفعتها اليها فاستأنفت الحديث مع المادام وقلت

المك...ان التناقض ان المدة التي مرت من خلقة ادم عليه السلام الى طوفان نوح عليه السلام انما هي بمقتضى النسخة العبرانية (١٦٥٦) سنة وبموجب النسخة اليونانية (٢٢٦٢) سنة وبموجب النسخة السامرية (١٣٠٧) سنوات ولما كان هذا التناقض والاختلاف فاحشا جدا كان يتعذر التوفيق بين هاته النسخ وبموجب النسخ الثلاث أيضا يظهر أن نوحا عليه السلام كان حين الطوفان بالخامسمائة

من العمر وبحسب النسخة السامرية يلزم ان يكون نوح عليه السلام حين وفاة آدم عليه السلام بالغا ٢٢٣ سنة من العمر وهذا امر ودباطل باتفاق المؤرخين والنسخة العبرانية مع النسخة اليونانية أيضا تكذب ذلك لان ولادة حضرة نوح بموجب النسخة اليونانية انما كانت بعد سبعمائة واثنين وثلاثين سنة ثم ان المدة من الطوفان الى ولادة ابراهيم عليه السلام هى ٢٩٢ سنة بمقتضى النسخة العبرانية و ١٠٧٢ بموجب النسخة اليونانية و ٩٤٢ بحسب النسخة السامرية وهذا اختلاف فاحش أيضا ومما تقدم أعلاه يظهر أنه بحسب النسخة العبرانية كانت ولادة ابراهيم عليه السلام بعد الطوفان بمائتين واثنين وتسعين سنة حالة كونه قد جاء مصرحا فى الآية الثامنة من الباب التاسع من سفر التكوين ان نوحا عليه السلام قد عاش ثلثمائة وخمسين سنة بعد الطوفان فمن ذلك يلزم أن يكون ابراهيم حين وفاة حضرة نوح فى الثامنة والخمسين من عمره وهذا باطل باتفاق المؤرخين والنسخة اليونانية والسامرية أيضا تكذبانه لان ولادة حضرة ابراهيم بحسب النسخة الاولى كانت بعد وفاة نوح بتسعمائة واثنين وعشرين سنة وبموجب الثانية بخمسمائة واثنين وتسعين سنة ولما كان من المستحيل العقلى وجود التناقض فى كلام الله كانت آيات التوراة الشريفة المتعلقة بهذا البحث محرفة لا محالة

قالت المادام أجل انى أعلم ان القرآن قد وصل اليكم كما سمع من نبيكم دون أن تطرأ عليه العوارض

قلت هو كذلك وعلاوة على هذا فان المجتهدين عندنا لم يزيدوا شيأ على عقائدنا الدينية مخالفا للعقل والحكم ونحن يمكننا ان نزن عقائدنا فى ميزان الحكمة أما النصرانية فان أبواب الحكمة مقفلة عندها

قالت فى الحقيقة ان دينكم موافق للعقل والحكمة وهو من الاديان التى يمكن لكثير من العلماء الذين يحرمهم مسئلة التثليث من الدين قبوله والتدين به ولقد توصلت بواسطة هذه الايضاحات التى وقفت عليها الى حل إشكال كنت مترددة فى حله وذلك ان المرسلين عندنا فى حين انهم أنفقوا كثيرا من الاموال وألقوا بأنفسهم فى التهالك والاخطار رغبة فى دعوة الخلق الى النصرانية فلم يتجمعوا تمام النجاح وأما حجاجكم وتجاركم فقد تمكنوا من دعوة ألوف من الناس الى الاسلامية بمزيد السهولة فى كثير من الاماكن التى مروا فيها وانقطعوا فيها فتفكرت فى سر هذا الامر وحكمته فلم أهتد اليه سبيلا أما الآن فقد فهمت ان لطافة دينكم وسهولته وانطباقه على الحكمة قد حمل الخلق على قبوله بهذه السهولة وفى الحقيقة ان دينكم لا مرية فى حقيته ولا مطعن عليه ولكن هناك مسئلة واحدة تجعل الناس نفورا منه وتقوم سدا فى وجه حسنه ألا وهى مسئلة الحجاب عند النساء فانه من الصعب جدا على الرجال والنساء من المسيحيين الذين ألفوا الحرية وعدم التستر أن يرضوا به ولو لم تكن فيه هاته المسئلة لاصبح عدد كثير من الخلق الذين يعتنقون عن دينهم مسلمين

قلت لقد بينت لك ان قاعدة الحجاب فى الشريعة انما هى ستر الشعور

قالت وهذا لا يرضونه لانهم متى صاروا مسلمين أجبروا على اتباعه

قلت ان المرأة التى لا تستر شعورها لا تخرج من الدين وانما ترتكب إثما وأساس الدين الاسلامى الاعتقاد بوحدانية الله تعالى وبنبوة محمد عليه الصلاة والسلام فالشخص الذى يعتقد ويسلم بهاتين القضيتين على أى دين ومذهب كان فهو مسلم ولا شرط فى ذلك كليا ثم ان على المسلم بعض تكاليف الهية كالصلاة والصيام وهى الفروض التى أمر بها الحق سبحانه وتعالى وقتل النفس وارتكاب المعاصى وهى الامور التى نهى عنها

لان

لان الذين لا يمتثلون أمر الله ولا يجتنبون نهيه يكونون من الفاسقين ويستحقون فى الآخرة العذاب ولكن مع ذلك فهم مسلمون اذ ينالون فى نهاية الامر جنة النعيم والله ان شاء عفا عنهم وان شاء عذبهم بقدر آثامهم ثم يدخلهم جنته ولا يدخل بين الله والعبد والمسلمون لا يحتاجون فى استحصال العفو عن آثامهم كالنصارى الى القسس وليسوا مجبرين على الذهاب ولا الى الجامع لاداء العبادة نظير المسيحيين الذين يكونون مجبرين فى عباداتهم للذهاب الى الكنيسة فاذا رغبوا فى التوبة والاستغفار انصبوا الى زاوية ما فناجوا الحق سبحانه وتعالى وليسوا مجبرين أن يكشفوا ضمائرهم وخفاياهم لغير الله أما المادام فانها بعد صمت قليل عادت الى التفكر والتأمل بمقتضى لطافتها الطبيعية وصرت واياها على اتفاق فى الرأى وأما اللاتى كن فى الرواق فكان بعض منهن يتحادثن مع البعض الآخر وبعض يجلسن فى الرواق مسرورات بضوء القمر حتى انهن طلبن القهوة مرة ثانية وأحببن ان يكرمننا بفنجان آخر على اننا اعتذرنا عن قبوله وكانت احدى الزائرات فى تلك الاثناء تنشد نشيدا تركيا بصوت خافت وقد لاحظت على المادام انها سرت من صوتها ونشيدها فانها كانت ترعاها السمع ثم ما عتمت أن باحت بسرورها وانشراحها من صوت المنشدة فى مثل هذا الوقت الذى كان الهواء ساكنا به أما أنا فالتفت الى المنشدة وقلت انه حسن فأنشدى شيئا محزنا مؤثرا يناسب هذا الصوت المهموس

قالت ما الذى يجب أن أنشده

قلت شيئا من الحجاز

فأخذت السيدة تنشد نشيدا لطيفا من الحجاز بصوت رخيم مؤثر للغاية وكانت المادام تصغى اليها تمام الاصغاء

فقلت أيتها المادام أليست الامواج التى تحصل من ارتجاج الهواء على ثوبك الحريرى فى المراقص تشابه هذا الصوت

قالت أجل انى أفتكر بهذا الامر ويلذ فى سماع الانغام على اختلاف نوعها وفى الحقيقة ان المادام كانت تستمع الغناء بلذة لا مزيد عليها وبعد انتهاء الانشاد حولت المادام ذهنها الى التفكر فى الصدى والموسيقى من حيث العلوم الحكمية كأن هاته العابرة على كونى لست بواقفة تماما على ما يمر فى ذهن هاته المرأة العالمة من ضروب الحكمة العالية الا أنى قد أخذت افتكر ببعض أشياء توارت على ذهنى القاصر فسبحت فى فضاء التصور مدة لا أعرف مقدارها ولكننى أعلم ان يدا مستنى وصوتا دخل فى أذنى فالتفت واذا بجارية خدمتى الخاصة تنبهنى قائلة

ياسيدتى لقد مسك البرد

قلت ان يدك حارة فمن أين أنا لك انى بردت حتى أيقظتنى

قالت انى منذ هنيهة قد شعرت بالبرد فارتديت بالكساء ولما رأيتك جالسة هنا ملتزمة جانب الصمت ظننتك راقدة فخفت أن تصابى بالبرد ولذلك نبهتك لانى ما تمكنت من مشاهدة وجهك فلما لمست يدك شعرت انك باردة حقيقة

قلت فالحق معك فاذهبى وأتينا بغطاءين لان ضيفتنا المادام تكون قد بردت أكثر منى من حيث ان يديها وعنقها لا يسترهما الا ستار شفاف

أما المادام فقد استيقظت على صوت محاورتنا فهبت من بحرانها وأخذت تلتفت ذات اليمين وذات الشمال فلم تر غير الجارية اذ أن رفيقاتنا كن خرجن وأبقيننا وحدنا فقالت

لقد ضاقت صدورهن من سكرتى فتفرقن وتركننا منفردتين فى هاته الحال الغريبة لاجرم أنه ليس من أحد يرضى عمن يكونون فى حالة الصمت والراقدون لا يريدون أحدا عندهم وقد تذكرنا حال الرقاد بحالتنا أوان الموت وفى الحقيقة ان حالتنا الحاضرة تمثل حالة الموت

قلت هيهات أيتها المادام أن يكون فى النوم وفى الموت راحة مثل التى رأيناها فى هاته الليلة حينما كانت أفكارنا سائحة فى بحور التصورات اللذيذة

أما هذه الكلمات فقد ذهبت بصفاء وانشراح كل منا فان ذكر الموت الذى سيكون خاتمة عمرنا قد جعلناه ختاما لفرحنا وسرورنا فى تلك الليلة على ان الموت الذى مع كوننا نرغب أبدا فى أن نهرب منه نرى أنفسنا متقربين اليه فقد تمثل لنا كثيرا فى تلك الليلة فتجلى لنا كأنه يقول بلسان الحال إيا كما أن تنسيانى وفى هذا الوقت أيضا قد بدت لنا عظمة الخالق الباقى وظهر لدينا عجزنا فرأينا بعين الحقيقة أن كل شئ فان ولا دائم الا الله سبحانه فهذا الفكر الرهيب لم يمكنا من البقاء حيث كنا فخرجنا نفتش على رفيقاتنا لنجتمع بهن ثم دخلنا جملة الى القاعة فى صحن المنزل وقد أثرت فينا تلك الافكار تأثيرا شديدا فصرنا نرجف من هولها وتنتفض من دهشتها وفى تلك الاثناء أتى بالمبردات فطافت بها الجوارى على الزائرات غير ان المادام ترددت فى قبولها وملاحظة منها قالت

انى راغبة فى كأس من الشاى فهل ترغبين أيتها المادام أن يؤتى بكأس منه قالت لله أيتها السيدة انى أشكر لك وأرغب بالشاى وأرجو أن يؤتى الى بكأس منه

ومامر على ذلك بضع دقائق حتى أتى بالشاى المطلوب فشربناه فعاودتنا الحرارة وبعد جلوس هنيهة من الوقت اتصل بالآذان صدى ترتيب مائدة السحور فهبت المسافرات لاستدعاء القوارب

أما المادام فأوصت أن يؤتوها بعجلتها ولما كانت القوارب رابطة على الرصيف وكانت تهيئتها أسهل من تهيئة العجلة تمكن الزائرات من ركوبها قبل مجئ العجلة فذهبت كل واحدة منهن فى وجهتها المقصودة ثم جاء النبأ الى المادام بتهيئة العجلة فنهضت على أقدامها وارتدت بثوبها وأخذت مروحتها بيدها ثم قالت وهى على قدم الذهاب

انى أشكر لك شكرا جزيلا لما أوليتنى من المعروف فى هاته الليلة ولا يخفى ان المقصد من السياحة انما هو مشاهدة مالم تشاهده العين ومعرفة الاشياء غير المعروفة وكانى ميالة الى الوقوف على أحوال كل مكان هكذا كان من أخص آمالى ان أطلع على تركيا وعاداتها وأفكارها وعقائدها ولاجل ذلك صرفت فى هذا السبيل وقتا طويلا ولم أقصر فى النفقات ولكننى أقول الحق ان المعلومات التى حصلت عليها الى الآن لا توازى شيأ من العلم الصحيح الذى وقفت عليه هذه الليلة فأنا ممتنة جدا

فقلت لها ان اكرام الضيف ماترتم عندنا فهما حصل فى سبيل ذلك من المشقة فانه نحسبه الا محض راحة لاجرم ان رغائبك لاتتعدى حد الكلام وهذا سهل للغاية فيا حبذا لو تكرر هذا الاجتماع ويا حبذا لو أمكن مصادفة كثيرات من أمثالك لان محادثة عالمة وفاضلة تطيرك انما هو من حسن الطالع ولذلك أقدم لك تشكراتى القلبية على ما أنلتينيه من الحظ فى هاته الليلة وهاته العابرة فقد تحصلت بهذه المدة الوجيزة على

معلومات

معلومات كثيرة كان يلزم ان أطالع عدة كتب حتى أتمكن من الحصول عليها فأبلك أيتها المادام شكرى وأعلن امتنانى الحقيق

قالت المادام سيبقى أثر هاته الليلة وأثر الاجتماع بك ثابتا فى الذهن الى ماشاء الله

قالت هذه العبارة الاخيرة ثم ودعتنى وذهبت فى عجلتها

على انى وان كنت لا أعرف ماذا كانت تحافظ حقيقة على الذكرى كما قالت قد شعرت بتأثير كلماتها فى قلبى فانى لا أزال أهتز بذكرى تلك الليلة وأفتكر بمعاد تنتاغرانى لم آخذ منها حتى الآن كتابا وقد علمت أنها ذهبت للتفسح فى البلاد العربية وسمعت أنها ستضع كتابا فى سياحتها فلا ريب ان هذا الكتاب سيكون مجمعا للحقائق وهذا متوقف على اتمام السياحة ومتعلق بالتوفيق الالهى

﴿ المحاورة الثالثة ﴾

ان شهر مايس (نوار أو ايار) بغاية اللطف والنشاط فهو متوسط بين حر الصيف وبرد الشتاء بمعنى ان حره أقل من حر الصيف وبرده أخف من برد الشتاء ففى مثل هذا الشهر الذى انتشرت به الروائح الذكية وضاعت أرواح الازهار المتنوعة كنت جالسة صباح يوم منه فى احدى غرف البستان وكانت نوافذ الغرفة مفتوحة يدخل منها ألطف الروائح العطرية التى تشابه المسك أستغفر الله انى لم أحسن الوصف والتمثيل فشتان بين تلك الرائحة وبين رائحة المسك التى قد توجب لبعض الناس سرورا ولبعضهم كدرا فى حين أن رائحة الورد والقرنفل والياسمين وساماثل من الازهار التى كانت منتشرة فى أرض الجنينة وفى جدرانها يتضوع منها أريج ينعش الارواح وروائح الاشجار التى كانت قريبة من نوافذ الغرفة وأزهارها الناصعة البياض كل هاته الروائح الذكية كانت تتفوق بنشرها على رائحة المسك ومع هذا فان رائحة كل فصيلة منها تختلف عن الاخرى فلم يكن ثم مشابهة بينها على الاطلاق حتى ان رائحة الجنس الواحد منها كانت تختلف باختلاف أشكاله بين الاصفر والاحمر والابيض وهكذا يقال عن سائر أنواع الازهار وفى ذلك حكمة صمدانية تدق على الافهام أما البلابل فكانت فى صباح اليوم المذكور تطرب الجماد بنغماتها الشجية وتغرد تغريدا ترقص له القلوب فى الصدور وتردد باصواتها المطربة ما يمثل حالة العاشق الذى يطارح معشوقه كلمات الحب حتى اذا لم ينل منه جوابا ظهرت فى عنقه اشارات الذل والانكسار

وجملة القول أن روائح الازهار المتنوعة وأصوات البلابل ومناظر الاشجار المنتشرة فى البستان كانت تشترك بلذتها حاستا السمع والنظر

وعلى مثل ما تقدم وصفه كانت هذه العاجزة جالسة حوالى منفذة يحيط بها اثنتان من صويحباتى لمناولة قهوة البن بالحليب وكانت احداهما تدعى ص . . . هانم أما هذه السيدة فانها تحسن اللغة الانكليزية وتعرف قليلا من الافرنسية بمعنى أنها تفهم هذه اللغة ولكن ببطء وتتكلم ولكن بصعوبة وتكتب فى اللغة التركية بدرجة تتمكن بها من التعبير عن فكرها وافهام مرادها والسبب فى تضلعها فى اللغة الانكليزية بزيادة عن اللغة التركية انما كان منشؤه مربيتها التى كانت انكليزية المحتد ولاجل ذلك تلقت منذ الصغر عنها اللغة الانكليزية فأتقنتها كل الاتقان وكانت أخلاق هاته السيدة قريبة من أخلاق الانكليز اذ أن للتربية تأثيرا كليا فى الاخلاق كما لا يخفى فكانت منزهة عن شوائب الكلفة تحب الصحة

وتألف العزلة وتميل الى الازياء ولما كنت على بينة من صفاء نيتها وحسن طويتها وكانت من قلبها ظاهرة للعيان ظهور الشمس فى رابعة النهار قلت لها انى سأعرض بذكرها فى رسالتى والتمست منها أن تأذن لى فى ذلك فلبت طلبى وأجابت سؤلى وصرحت بسذاجة تامة أنه لامانع من ذلك أصلا حتى حملنى هذا التصريح على أن أسألها عن الطريقة التى تحب بها أن آتى على ذكرها فى هاته الرسالة فقالت جوابا عن ذلك انها على يقين من محبتى لها فهى واثقة بانى لايمكن أن أذمها أو أعرض فى ذكرها بالسوء ثم قالت وهب أنك هجوتنى أو طعنت علىّ فلا يؤثر ذلك شيأ فى قلبى لما أنك ستكتمين اسمى ولا تصرحين به بل ان الانتقاد علىّ أحسبه مفيدا جدا لى لما أنى أضطر والحالة هذه الى اصلاح الفاسد من صفاتى وأخلاقى

وأما رفيقتى الثانية فكان اسمها ن . . . خانم وكانت تحسن لغتها التركية تكلما وقراءة وكتابة على أنها كانت تدل بعلمها وتحسب نفسها فوق درجتها وهذا الوهم قد بعثها على الوقوف عند الحد الذى كانت فيه فلم تتقدم عن تلك الدرجة شيأ على أنها لم تكن خالية من الذكاء وكانت أيضا ميالة الى مساعدة غيرها راغبة فى فائدة السوى وكانت ودودة راسخة فى الصداقة لاصحابها تكره الازياء الا أنها كانت تضطر عند الذهاب الى الولائم وجمعيات الافراح أن تجارى غيرها فى الاكتساء بألبسة على آخر طرز وأما فى سائر أوقاتها فكانت تلبس الالبسة التركية وهذه الالبسة التركية هى عبارة عن ثوب بسيط مما يقال له ثوب الغرفة على أن هذا الثوب ان لم يكن يعرف حقيقة ماذا كان يصح أن يقال له ثوب تركى الا أنه يستعمل على هذه الصورة وجملة القول أن السيدة ن كانت تميل الى الازياء التركية فى حين أن السيدة ص . . . كانت لا تهوى ولا تحب سوى الالبسة الافرنجية

وكانت السيدة ص . . . كثيرة الملل والضجر فى ذلك الصباح لانها قد اضطرت الى عمل ثوب جديد للذهاب به الى أحد الافراح كلفها ٣٥ ليرة وحيث ان الزفاف تأخر الى فصل الشتاء مست الحاجة بها الى عمل ثوب آخر اذ أن الثوب الاول لا يصلح للفصل المذكور وفضلا عن ذلك فانها لو قصدت أن تلبس ثوب السنة الماضية الذى لم تلبسه أصلا لامتنع عليها الامر بسبب ما طرأ على الزى من التغيير وقد صرحت هذه السيدة بضجرها وكدرها من التغييرات المذكورة ومن غلاء الاسعار فى قيم الاقمشة وغيرها من صاحبات الاثواب ذاكرة أنها ابتاعت ذراع التخريم بثلاث ليرات ونظرا لتغير الزى الاول قد أحوجها الامر الى طرحه فى زاوية الاهمال

وكانت السيدة ص . . . تروى أسباب كدرها على الوجه المذكور غير أن السيدة ن . . . التى كانت تكره الازياء قد أدت بها تلك الرواية الى الحدة والانتقاد فصرحت بما أورثها بيان تلك السيدة من التأثر والكدر ثم عقب ذلك جرت المباحثة الآتى بيانها بين السيدتين فقالت السيدة ص . . .

انى منذ السنة الماضية قد ازددت سمنا بحيث ان متسد الالبسة قد ضاق علىّ فهل يمكننى أن أجد من جنس القماش لاجل توسيعه وعلى كل فانى لو وضعت له قماشا بسيط اللون لوجب من جهة لا فقط من جهة الصدر بل من سائر أطرافه

قالت السيدة ن . كلا لا يجب أن تحملى نفسك ثقلا لهذا الامر

قالت ص لها ولماذا

قالت ربما هزلت الى أن يحل الاجل المضروب فحينئذ ينطبق عليك المشد كما يلزم

قالت لها انك تحملين عنا بهذا الفكر

فقالت كلا انني لم أقصد ذلك وانما أنت التي تحملين نفسك عناء فلا أخفي عنك أنني سأدعى الى ذلك الزفاف ولكنني اذا رأيت أنه سيطول الاجل على الذهاب اليه فانني استغني عن ذلك

فقالت السيدة ص كأنما تعنين بما تقولين انك لا تحبين أن تكتسي في الافراح على مقتضى أصول الزي

قالت لا لا أقصد ذلك وانما متى أردت أن أصنع ثوبا آخذ القماش الى الخياطة وأطلب منها أن تصنع لي ثوبا من آخر زي وعند الحاجة أكتسي بهذا الثوب

قالت فاذا بطل زي الثوب الذي تكونين لم تكتسي به فماذا تصنعين

قالت لها أنادي الخياطة وأطلب منها أن تحوله الى الزي الجديد

قالت لا أعترض على ذلك وانما أخبرك انني أنفقت على هاته الاثواب خمسا وثلاثين ليرة وبالنظر الى التغيير الذي طرأ على كمه أصبح يحتاج الى خمسة أو ستة أذرع من قماش آخر ومعلوم ان القماش العاطل لا يصلح أن يضاف على الجيد وأقل ثمن ذراع القماش فهو من نصف ليرة الى ثلاث ليرات ويلزمه خمسة عشر ذراعا من التخريم فاذا كان الذراع بخمسين غرشا بلغ ثمن الاذرع سبعمائة وخمسين غرشا واذا أضيفت اليه أجرة الخياطة وهي ثلاث ليرات كان المجموع ثلاث عشرة ليرة ونصفا ثم ان الخياطة لا بد أن تضيف الى ذلك لا أقل من ليرتين بحجة انها أنفقت على بعض اللوازم الطفيفة فتصبح النفقات خمس عشرة ليرة ونصفا أليس ان هذه القيمة تكون قد ذهبت جزافا

قالت السيدة ن اذن ما تقولين عن الخمس والثلاثين ليرة الاولى ألم تذهب جزافا أيضا

قالت لسنا نجول عراة كما لا يخفى

قالت السيدة ن لا أقول يجب أن نكون عراة الابدان ولست أتأسف على الدراهم التي تنفق في مشترى الاقمشة وانما أتأسف على الاموال التي تصرف في سبيل التخاريم وما ماثل ذلك من الزوائد والاطراف وعلى القيم التي تدفع للخياطة لانها تكاد توازي نصف الخمس والثلاثين ليرة

قالت السيدة ص ما العمل هل يمكننا أن نلبس القماش كما هو ألست أنت تخيطين أثوابك أيضا ثم تلبسينها

قالت لها لقد أتيت بشيء يمنع ضرر الازياء في الوقت الحاضر فانني فصلت ثوبا على الزي التركي من القماش الثقيل لا يضيق ولا يحتاج الى الابدال والتغيير وجعلته بسيطا لا زخرفة فيه ولا زوائد وقد اقتصدت من اهمال التكاليف وزوائد عقد الاثواب واشتريت قطعة من الماس البرلنتي بحيث انني متى رغبت في بيعها لا أخسر من ثمنها شيئا بمثلها او بما ماثلها

قالت السيدة ص ستكونين بمعزل عن العالم

قالت لها أنا لا أقول انه يجب على الجميع أن يكتسوا بمثل كسوتي ولكن لو اكتسيت بالثوب الذي تغير زيه الاول لعرضت نفسي للهزء والسخرية

فقلت للسيدة ص ان ذلك ليدهش كثيرا ولست بمفردة فيه بل ان الاوربيات أنفسهم يرينه غريبا

أتحسين متانة أقمشتنا الوطنية ورخص أثمانها قبحا ونبتاع ذراع القماش الافرنجي المزركش بالنحاس بليرتين ولا تعجبنا أقمشة حلب والشام وبغداد وديار بكر وكلها من الفضة الخالصة لان ذراعها لا يتجاوز ثمنه الحسين غرشا ان كون القماش من متاعنا لا يمنع من أن نخيطه على الطرز الافرنجي أفلا يعجبك هذا القماش الذي ترينه علي فانه عبارة عن ثوبين طولهما عشرون ذراعا دفعت ثمنهما ثمانية مجيديات فيكون ثمن الذراع ثمانية غروش ولو كان هذا القماش من أقمشة أوروبا الحريرية ما أمكن مشترى الذراع منه بأقل من عشرين غرشا واقمشتنا مزية أخرى وهي أنه اذا تلوث بشئ فيمكن غسله وكيه وحينئذ يعود الى حالته الاولى

فقالت السيدة ص ... لاجرم غيران أقمشتنا كلها على نسق واحد فلا يمكن تغيير أزيائها

قلت لها الانصاف أيتها السيدة لو كان عندنا للاقمشة الوطنية نصف الرغبة في الاقمشة الافرنجية لترقت أقمشتنا أيما ترق فعلينا في بادئ الامر أن نسعى في أن تباع أقمشتنا الحاضرة ليمكن ايجاد ألوان أخرى وان نهتم بها اهتمامنا بالاقمشة الاوروبية اذ لا يحق لنا أن نقول انا طلبنا اللون الفلاني من الاقمشة الوطنية فلم نحصل عليه ومعلوم ان في الوقت الحاضر أخذت تنسج في البلاد العثمانية الشاهانية جميع الاقمشة كالاطلس والخز وغير ذلك وهي أكثر مما يلزمنا وهذه الاقمشة لها محل من القبول في أوروبا فلا أدري لماذا نحن ننفر منها أتظنين ان الافرنج يرضون ويسرون بما نفعله وما نسلكه من طرق التقليد لهم كلا انهم يعيبون علينا هذا الامر ولقد حدثني ما تقول كثيرات من النساء الافرنجيات عن ميل الاوروبيين الى أقمشتنا ونفورنا منها اذ أن هاته الاقمشة ترسل الى أوروبا على سبيل الهدايا ونحن لا نكتسي بها على الاطلاق نعم اننا مضطرون الى الاكتساء ببعض الالبسة الافرنجية ولكن هاته الالبسة هي كناية عن الفانيلات والجوارب والشيت والباتستة فان بلادنا خالية منها

قالت السيدة ن ... أليس عندنا من القماش الكتاني ما يعادل الشيت (بصمم)

فقلت لها كلا ان الاقمشة الكتانية لا تغني عن الشيت شيأ فان الفقير يمكنه أن يشترى ذراع الشيت بستين باره ثم يخيطه ثوبا فيلبسه ويغسله وهلم جرا أما الاقمشة الكتانية فانها قاسية بحيث اذا غسلت ازدادت خشونة عن الاول انظري الى هذا الجمع الحاضر فانك ترين ان الالبسة الملبلة التي نكتسي بها في هذا الوقت كلها من الباتستة ولا يمكن أن نظفر لهذه الغاية بأحسن منها أما أنت فترجحين الاقمشة الكتانية عليها

قالت السيدة ن ... كلا ان ألبستي الملبلة كلها من الباتستة ولا أكتسي بقماش آخر على الاطلاق

قلت لها اذن يجب على الانسان في بادئ الامر أن يهتم بنفسه ثم بغيره وأنا لا أقول انه يجب ان نحرم أنفسنا من المتاع الافرنجي تماما ولكن أريد انه يلزمنا أن نروج بضائعنا ولا ننبذها ظهريا

قالت السيدة ن ... صدقت فان الشيت أفادنا كثيرا واستنفد أموالنا أيضا

قلت لها أجل ان الشيت والباتستة تتوارد الى بلادنا من أوروبا بكثرة لان الحاجة اليها عمومية ولا شك انه اذا أردنا أن نحسب الاموال التي تخرج من بلادنا في مقابلة هذه الاقمشة لرأيناها كثيرة جدا وموجبة للحيرة والدهشة

قالت

قالت السيدة ص ... اذن عزمت ان اشترى بالخمس عشرة ليرة التى سأنفقها على اصلاح ثوبى للسنة الماضية قماشا وطنيا وأخيطه على الزى

قالت السيدة ن ... ما المانع من ان تخيطيه على الطرز التركى

قالت لها أى طرز تعنين . أمثل ثوبك الذى تلبسينه الآن يعنى ثوب الغرفة وثوب الصباح فان هذا لما انه يسمى العلوى أيقال عنه انه طرز تركى

قالت السيدة ن ... ان ثوب الغرفة (روبدى شامبر) انما يكتسى به فى الغرف يعنى انه لا يمكن الظهور به امام الناس والقصد منه أن يحصل المرء على راحته وثوب الصباح يكتسى به لكى يكون الانسان مرتاحا فى وقت الصباح أى انه بعكس ثوب الغرفة أما نحن فانه يمكننا أن نلبس أياشئنا منهما مقصد الحصول على الراحة فى جميع الاوقات

فقلت لها ان السيدة ص ... يميل قلبها الى الازياء الافرنجية فتخيطها كما تريدون وأنت أيتها السيدة تميلين الى الزى التركى وهكذا تفعلين أما أنا فلانى لا أكره الطرزين ترينى أخيطها أحيانا على الزى الافرنجى وأوقاتا على الطرز التركى حسب ما تميل اليه نفسى ولقد قلت انه بما أننا لم نخرج عن عاداتنا فلذلك لا نعرض أنفسنا للهزء على أنه متى أردنا أن نكتسى على الطرز الافرنجى يجب أن يكون الثوب من آخر زى حتى لا يضحك علينا الافرنجيات ولا شك أن حريتنا فى مسائل الكسوة انما هى نعمة مخصوصة والخلاصة أقول وأرجو أن لا يصعب عليكما مقالى انى لا أذهب مذهب احدا كما من جهة التمسك بالتقاليد الافرنجية ما أقيد نفسى فيها تقييدا ولا أرد بعض الفوائد التى تشاهد فى الالبسة الافرنجية تعصبا للعادات التركية اذ أنه لا يشكر أن الازيا مقدأ تت بفائدة أخصها منع جر الاذيال

قالت السيدة ن ... أن الازياء تختلف كثيرا فلا تستقر على حال فبينا تكون على النسق الفلانى اذا انتقلت الى طرز آخر وبينا تكون ضيقة على الحقوين اذ تنفرج عنهما وبينما يجب أن تكون بسيطة للغاية اذ تتغير تغييرا مطلقا ثم ترين أيضا أن زى الاذيال قد عاد تكرارا فقلت لها نحن يجب علينا أن نتبع الازياء التى تعجبنا ونرضاها فالتى نراها غير ملائمة فى ذلك الوقت يلزمنا أن ننبذها ظهريا

وفى تلك الاثناء دخلت علينا سيدة مسنة فقالت

آه من فتيات هذا الزمان أرى أنهن لا يزلن مكتسيات بألبسة النوم حتى انهن لم يسرحن شعورهن أيضا وأسفاه عليهن من مسكينات انى لما كنت مثلكن لم أكن أعرف المحل الذى أطؤه

فقلت لها ألم تكونى تفتكرين بأى انسان

قالت العجوز كلا يا روحى لا أقصد ذلك مما قلت وانما قصدت فيما ذكرت مجرد المزاح لا غير ولعمرى انى الى مثل هذه الساعة لم أكن أقف فى محل معلوم بل كنت ألبس ثيابى وأطير ركضا

قالت السيدة ص ... هل لك أن تنبئينا كيف كانت كسوتك فى أيام صباك

قالت عند النهوض من الرقاد كنت أقف أمام المرآة فأربط عصابتى المسماة (حوطوز) وألبس ثيابى التى كانت مفتوحة تماما على الصدر

قالت السيدة ص ... هل كان الثوب المفتوح من الصدر موجودا فى ذلك الزمان اذن يفهم مما قلت أن هذا الزى كان هو الزى الدارج فى العصر السابق

قالت العجوز لا جرم فانه كان من جهة مفتوحا على الصدر ومن جهة ضيقا كثيرا وأسفاه عليكن أيتها الفتيات انكن لم ترين شيأ فأين هذا العصر من عصرنا الماضى

قلت لها ألم يكن فى عصر صباك عجائز لم يكن يستحسن ذوقك

قالت كيف لا فان عجائز ذلك العصر لم يكن يرضين ذوقنا وزينا

قلت ماذا كن يقلن عنه وكيف كانت كسوتهن

قالت العجوز ان العصابة المسماة (حوطوز) لم تكن عامة وانما كانت للعجائز عصائب مخصوصة بهن يسمينها (قايق حوطوز) وكانت مؤلفة من سبعة أو ثمانية مناديل يعلوها ثلثمائة ابرة

قالت السيدة ص . . . (خطابا الى السيدة ن . . .) أيتها السيدة المائلة الى الازياء التركية انك مادمت شديدة الميل الى هذه الازياء فعليك بعمل هاته العصابة لانها تمثل الاكسام التركية كل التمثيل والا فاقصرى عن التضجر من الالبسة الغربية كأثواب الصباح والغرفة وأمثالها كالخ

قالت السيدة ن . . . انى أرى راحة فى استعمال الاثواب التركية ولاجل ذلك أكتسى بها وما الفائدة من وضع مثل هذه الاحمال على رأسى

قالت السيدة ص . . . اذن أرجوك أن لا تعترضى على كل الناس لانه قد تبين لك أن الازياء تتغير من وقت الى آخر وان هاته الحال موجودة عندنا أيضا على أن الفرق بين الزمانين أن الالبسة فى الماضى كانت تتغير مرة فى كل أربعين أو خمسين سنة أما الآن فانها تتغير فى كل ستة شهور

فقلت أجل ان ذلك تأثير السرعة فى أزمنتنا فان سكان الدنيا الذين يتقلبون أبدا من حال الى حال لا يمكن أن تبقى ألبستهم على حال واحدة

قالت فاذن صار يجب أن نلبس ثيابنا

قلت فلنبدأ بتوابألبستك الى هنا

وبعد أن قلت ذلك جاؤا اليها بالالبسة فأخذت الجارية تلبسها وبينما كانت تربط رباطات المشد قالت آه اننى حتى الآن لم أتعود تحمل هذا المشد فانه يضايقنى ويسلب راحتى فكيف أعمل لا أدرى

فقلت لها الا تلبسيه

قالت اذا لم يلبس لا يبقى من كسم للاثواب

فقلت لها البسيه اذا

قالت أنا لم أقل لشأنه يؤثر فى معدتى

فقلت لها ماذا أقول يا سيدتى فاما أن تلبسيه أولا

قالت الامران ممتنعان

قلت لها اذا وجدت لهما ثالثا فعليه

قالت السيدة ن . . . آه يا عزيزتى ان ثوبى الواسع لا يحملنى شيأ من هاته الاثقال

فقالت السيدة ص انه لا يعرف له كسم لانه لا يتطرى بل يبقى محجوبا

فقالت لها أيحسب ذلك عيبا فانه اذا كان مقصورا فلا يشاهد

فقلت للسيدة ص ألم تقرئى ما كتبه مدحت أفندى بشأن المشد فى كتابه المسمى بالمصاحبات الليلية

قالت

قالت أما تاعزيزتي ماذا قال بهذا الشان

فقلت لها ها هو على مقربة منك فخذيه واقرئيه

قالت أريني المحل المقصود منه

فأخذت الكتاب ولما عثرت على الفقرة المتعلقة بالمشد دفعته الى السيدة ص فما أتمت بعد قراءته أن قالت

يا عزيزتي انه لم يضع له قرارا قطعيا فقد استصوب الامرين أى ان يلبس وان لا يلبس

فقلت لها اذا تريدين أن يقول أكثر من ذلك فانه وافق على قول الحكماء وعلى قول الخياطين فقد قال مدحت أفندي اذا شاءت المرأة عمرا عزيزا فلا تلبسه واذا أرادت عمر الذبذ فعليها أن لا تلبسه وأنت مخيرة بين الامرين

وبعد أن انتهت الجارية من تلبيس السيدة وتشكيل الازرار أخذت ملاقط الشعر لتحميها على النار ثم تعود بها لتصلح شعر سيدتها فقالت السيدة ص

ما هذا الكسل أيتها السيدات أليس في امكانكن أن تلبسن أثوابكن

فقلت لها لا يجب أن تهتمي بهذا الامر انى أستطيع أن ألبس ثيابي قبل أن تنتهي من تزيين شعرك

فقالت مخاطبة الى جاريتي اذهبي أنت وألبسي سيدتك ثيابها فانى أراها لا تحب أن تفعل ذلك من نفسها

فقالت لها الجارية إن سيدتي تكتسي بيدها ولا تحب أن ألبسها ثيابها

قالت أصحيح أنها متعودة على ذلك لعمرى انها لا تعرف راحتها

فقلت لها لا يمكن أن أتصور تعبا يزيد عن الاحتياج الى شخص آخر في أمر اللبس وكثيرا ما كنت ألاقي من العذاب ألوانا عندما كانت تأتى البنات أحيانا الى ويطلبن منى أن أسمح لهن في مساعدتي بلبس الثياب وقد قلت لهن مرارا انكن اذا كنتن راغبات في راحتي فدعنني وشأني ولا تتعرضن لمساعدتي ومذ حينئذ أصبحن لا يتعرضن لي بشيء من ذلك

قالت كيف تستطيعين أن تعقدى رباط المشد

فقلت لها عندما ألبسه لاول مرة أضيقه من الوراء الى الدرجة اللازمة وأتركه معقودا هكذا فلا يبقى الا ربطه من جهة الصدر وتزريره فأفعل ذلك بنفسي خصوصا وأنت تعلمين انى لا أستعمل المشد يوميا اذ لست بمائلة اليه كل الميل ومتى استعملته لا أشد كثيرا

قالت أنت تسرحين شعرك بنفسك أيضا أما أنا فانى منذ صغرى كانت مربيتي هي التي تسرحه والآن قد تعلمت هذه الفتاة طريقتها فصارت ترتب شعري أحسن ترتيب

قلت لها فاذا لم تكن هذه الفتاة ماذا تفعلين

قالت لا جرم انني حينئذ ألاقي كثيرا من المشقة لانى ميالة الى الترتيب التام وأولئك البنات لا قدرة لهن على هذا العمل

فقالت جاريتي ان سيدتي تحسن تنظيف وتصفيف الشعر كل الاحسان حتى اننا عندما نكون متهيآت للذهاب الى فرح ما تأخذهن في تسريحنا اذ ترى أننا لم نحسن صنعته

فقالت لعمرى ان ذلك حسن جدا فان أمكن رتبي لي شعرى الى أن تكون الفتاة قد انتهت من احماء الملاقط

فقلت لها أتحبين ان أرتبه كما كان مرتبا بالامس

قالت نعم

فبادرت فى الحال الى جمع الشعر وتسريحه ثم قلت قد تم المقصود ياسيدتى

قالت ياعجبا ماهذه العجلة

فقلت ماذا يهمك الاستعجال ماعليك الاأن تنظرى اذا كان أتى حسب المرغوب أم لا

فأخذت السيدة ص شعرها بيدها ونظرت اليه مليا ثم قالت

لاجرم أنه فى غاية الاتقان

غيرأن زينتها لم تكن قد تمت لانها كانت تنتظر لكيه بالملقاط وفى تلك الاثناء دخلت جاريتها بالملاقط المحماة فخرجت الى غرفة ثانية لالبس ثيابى وبعدان لبستها عدت الى حيث السيدة ص فوجدت أن عملية الكى لم تنته

فقالت ياعجبا أرالك قد لبست ثيابك وزينت شعرك فى هذه الفترة

قالت السيدة ن لقد رأيت هنالك رسما فما هذا الزى فقلت انها وجدته فى غرفة صناديق والدتى فهو رسم احدى المادامات فى الزمن القديم

قالت ماهذا القسطان أرى انه لافرق بينه وبين المضرب (الخيمة) انظرى الى هذه العصبة وأنت أيتها السيدة ص تعالى وشاهدى زى ذلك العصر

فقالت لها أتقصدين أن استعمل احترق جبينى

قالت السيدة ن اذا كنت لاأصنع مثل هذا القسطان فانى أقدر أصنع نظير عصبتها أنت تزيت بالزى الجديد وأنا أتزيا بالقديم أليس كله يحسب زيا فلافرق بين ان يكون جديدا أو قديما ثم قالت لى ياعزيزتى وصديقتى أيوجد عندك قليل من البطانة السودا وشئ من القصب

فقلت لها بلا كسل أتشغلين نفسك بهذا الا ن

قالت لاجرم ان الزهور الموجودة فى البستان هى مرجحة على الزهور المنتشرة فى هذا الرسم لكونها طبيعية فاذا لم يكن ثمة مانع ان أجمع شيأ منها

قالت ذلك وخرجت الى الجنينة ثم عادت بالزهور التى رغبت فيها فصنعت شيأ مماثلا تماما لشكل العصبة المرسومة فى الرسم تعصبت بها وقد اشتهينا أن أحدا يسمع قهقهتنا اذ ذاك

فقالت السيدة ص عجبا هل كانت هاته العصبة فى زمن عصبة القايق الذى أشارت اليه المربية فان من تأمل شكلها الغريب أدرك انهما كانتا متعاصرتين قلت يحتمل ذلك

وفى تلك الاثناء أطلت احدى الجوارى رأسها من الباب قائلة لقد جاءت السيدة الكبيرة أما السيدة ن فانها لم تجد فرصة لرفع العصبة عن رأسها ولذلك دخلت الخزانة الموجودة فى الداخل لتعلق الثياب محتجبة عن أعين والدتى التى دخلت علينا وخاطبتنا بما يأتى

لقد ذهب عنى ان أخبركن أيتها الفتيات انه جاءنا أمس خبر يفيد انه سيأتينا اليوم زائرات أجنبيات وانهن يرجون ان نستقبلهن بالازياء التركية

وفى ذلك الوقت ظهر وجه السيدة ن وكشفت العصبة لان المومى اليها لم تتمكن من اخفاء نفسها ضمن الخزانة فتمسكت بالتعاليق ولكن لم يجدها ذلك نفعا حيث فتح باب الخزانة وظهرت العصبة التى كانت تحاول

اخفاءها فأخذنا جميعنا بالقهقهة بحيث اضطرت السيدة ن ان تهرب الى خارج الغرفة ولما سكنت ضوضاء القهقهة سألتنا الوالدة عن أسباب الضحك فأفهمناها حقيقة الواقعة

فقالت الوالدة أسرعن بارتداء ملابسكن فان الساعة قريبة من الرابعة

فقلت يا عجبا ترى في أية ساعة عزمن على المجيء فقالت لقد أنبأن انهن يحضرن بعد الظهر على انهن لم يعين ساعة معلومة

ثم خرجت ولما كانت السيدة ن . . تحب الاكتساء بألبسة تركية لم تكن معرضة للنقلة وقد قضت الضرورة ان أحضر رداء للسيدة ص . . فاحضرت ثوبين من الاثواب التركية أحدهما للسيدة ص . . والآخر لي وبعد أن ارتديناهما وضعت كل منا على رأسها عصبة مزينة بالازهار المماثلة للون الاثواب مما كنت صنعتها بيدي ولما صرنا من امام المرآة رأيت ان زينة السيدة ص . . تفوق زينتنا حسنا وجمالا وقد اعترفت لها بذلك لان المشد الذي كانت تلبسه قد زاد بحسن جسمها فظهرت بمظهر لا يكون الا عن يستعملن المشدات وقد تبين لي ان المشد يجعل انتظاما كليا للالبسة التركية أكثر منه للالبسة الافرنجية كما ان وضع الازهار في مفرق الشعر مما يزيد الوجه رونقا ولطافة

فقالت السيدة ص . . اذا كان أعجبك هذا المظهر فعليك ان تفرقي شعرك كشعري وان تلبسي المشد

فقلت لها نعم انى سألبس المشد ولكن فرق الشعر يستغرق وقتا طويلا ولقد آن وقت مناولة الطعام وكما كنا لا نعلم الساعة التي يأتي بها القادمات الينا أرى من المناسب ان نكون على استعداد لاستقبالهن

وبعد عشر دقائق كنا جميعا على قدم الاستعداد اذ دعونا الى المائدة وبعد الطعام عدنا الى غرفتنا

فقالت السيدة ص . . لله أتمنى انه لو وجدت معنا السيدة ق . . لكان بذلك حسنا للغاية

فقلت انها القدم وقت طويل ولم نرها

قالت السيدة ص . . ان الظلم الذى تلاقيه من زوجها قد سلب راحتها ومنعها من الخروج

قالت السيدة ن . . من العبث ان يعيشا معا على انهما اذا افترقا زالت تلك الصعوبة في الحياة وكثيرا ما قالت له السيدة ق اني لا أريدك فلنفترق أما هو فقد كان له عن قولها اذن صماء

قلت ما هي أسباب عدم راحتهما

قالت السيدة ص . . ان الرجل سيء الاخلاق وهو لاقل سبب يضربها وهي كثيرا ما قالت له انه يتركها لانها لم تعد تحتمل معاملته وهو كان يقول لها انه يموت ولا يتركها

قلت فاذا هو يحبها

قالت السيدة ص ليتها لم تكن هذه المحبة

قالت السيدة ن ان الرجل لا اخلاق له فانه لا فقط يعامل امرأته هذه المعاملة بل هو كذلك مع الخادم والخادمة ولا قبل له على نبذ هذه الاخلاق السيئة ولا على ترك امرأته

قالت السيدة ص ان زوجته لا تقبله فهل تجبر على البقاء معه

قالت السيدة ن أجل انها في اليوم الماضي كانت تقول انه من نفسه لا يريد ان يتركها وانها ستضطر في آخر الامر الى مراجعة المحكمة

قالت لها ان الطلاق انما هو راجع لارادة الرجال لا غير فاذا قصدوا أن يطلقوا نساءهم أمكن لهم ذلك

بكلمة واحدة أما المرأة فاذا كانت راغبة في الطلاق فتضطر الى مراجعة المحكمة ثم قالت لي وأنت كنت تقولين منذ مدة ان الامر مشكل عند المسيحيين فانهم لا يستطيعون أن ينفصلوا عن بعضهم بعد الزواج وانما يجبر الرجل أو المرأة أي منها كان سيء الاخلاق ان يصرف عمره بالنكد والكرب بعدم جواز الطلاق والآن ظني أحسن حالا لوجود الطلاق عندنا فانظري لنا وسيلة للطلاق

فقلت لها كيف ترغبين ان يكون

قالت أرغب أن يكون في الامر مساواة بين الرجل والمرأة بمعنى أن النساء يكن كالرجال قادرات أن يطلقن رجالهن بنفس السهولة الموجودة عند الرجال

فقلت لها من يرغب في ذلك فيذهب الى اناطاكية و يعقد فيها عقد نكاحه قالت ماذا تقصدين بذلك

قلت ان المرأة متى لبست ثوبا أزرق تطلق من زوجها والسلام

قالت السيدة ن أتقولين حقيقة أم أنت راغبة في المزاح

قلت لها اذا كنت ترتابين في قولي اذهبي الى اناطاكية تتأكدي ما قلت

قالت السيدة ص . . . وضحي أكثر من ذلك وزيديني معرفة

قلت ان المرأة في اناطاكية عند زفافها تأخذ معها ثوبا أزرق في أي وقت أرادت ترك زوجها تلبس الثوب الازرق وحينئذ يعتقد بأنها صارت مطلقة وهذه الحال معتبرة في عرف البلدة أيضا

وأما المرأة الفقيرة التي لا تملك ثوبا أزرق فانها تستعيره من امرأة أخرى وتلبسه ومتى انتهت من غرضها تعيده الى صاحبته

قالت السيدة ن . . . كيف يمكنهم توفيق هذا الامر على الاحكام الشرعية

فقلت ألم تكن مسئلة الشرط موجودة شرعا فالظاهر أنهم حين الزواج يتزوجون بهذا الشرط فيعتقدون مقاولة من مقتضاها ان المرأة تطلق متى لبست ثوبا أزرق

قالت الذي أعلمه أن النساء يشترطن على رجالهن الامر الذي يرغبنه فاذا فعلوه أصبحن طالقات منهم على انني ما كنت سمعت بما تقولين الآن

فقلت يفهم من ذلك أن نساء اناطاكية أعقل منا كثيرا فانهن متى تزوجن يضعن شروطا و يتزوجن بزوجها وليس ذلك منحصرا بنساء اناطاكية فقط وانما في عشيرة عنزة عادة مألوفة وهي أن يربط سجف في المضارب ويبقى مربوطا على الاستمرار فاذا كانت المرأة راغبة في ترك زوجها حلت رباط السجف وفي ذلك اشارة الى أنها أصبحت طالقة منه ولعشيرة التركمان المسماة (تحيرلي) عادة أخرى من هذا القبيل وذلك ان المرأة متى أرسلت سفيرا الى زوجها تخبره بواسطته انها نفرت منه فحينئذ تصير طالقة وكل ذلك موقوف على الشرط

قالت السيدة ص . . . لعمري انهم عند النكاح عندنا لو وضعوا شرطا بثوب وردي أو اقلاطوني لكان ذلك حسنا جدا

فقلت لو وضعوا عندنا مثل ذلك من يعلم عدد الرجال الذين كانطلقهم في كل شهر

قالت لاي سبب أليس عندنا عقل يوازي عقل نساء اناطاكية ونساء العشيرة

قلت ان الاشياء التي تولد عندنا الاسباب كثيرة اذ من المعلوم أن نساء الخارج متى شبعت بطونهن ولبسن

ثوبا مالم تبق لهن حاجة من الحاجات وليس عندهن ما عندنا من ضروب النزهة والترف حتى تأخذهن الحدة من أزواجهن اذا منعوهن عن الذهاب الى الحدائق والمنتديات

قالت ما معنى هذا الكلام ان أكثر رجال الخارج والعشائر يتزوجون عدة نساء فهل من سبب يبعث على الحدة والكدر أكثر من هذا السبب

فقلت انهن يكن مسرورات من الضرائر وهن اللاتى يرغبن فى تزويج رجالهن حتى تبلغ أزواجهم أربعا لانه كلما كثرت الضرائر قلت عنهن الخدمة فاذا أخذ الرجل على زوجته امرأة ثانية خفت عنها نصف الخدمة فاذا اقترن بثالثة كانت مطالبة بالثلث واذا أخذ الرابعة هبطت خدمتها الى الربع وهؤلاء النساء المسكينات يرغبن فى تخفيض خدمتهن الى الخمس لو كان ذلك بالامكان ولكن الشريعة لا تأذن بأكثر من أربع

قالت ان ذلك العجب لاجل الخدمة يقبلن الضرائر

قلت أيتها السيدة أعندك تطبيرهن حيوانات وبهائم وجمال ومعاول لنقب الارض وهل تضطرين الى تحميلها الاخشاب والاعشاب أذهب عنك كيف نستثقل عقص الشعر وتسريحه وانا مفتقرات الى أن نستمد المونة والمساعدة من الجوارى

قالت أنا لا أريد هذه الخدمة التى يتحملنها ولا الضرائر أيضا وانما يعجبنى من عاداتهن مسئلة الثوب الازرق

قالت السيدة ن . . . لننظر فيما اذا كان ذلك حسنا هنا والا فانه كما قالت رفيقتنا اذا لبس النساء ثوبهن أبصرن الى حالة الرجل غير المتأهل .

قلت انى أنقل لكن فقرة تكون مثالا للباحثين بصدده فقد اتفق ان امرأة كانت فى أثناء بحثها مع زوجها عن محبتها له تقول له دائما (آه ياسيدى انى أسأل الله أن يقبض روحى بين يديك فانى أفضل الموت على الانفصال عنك) وكان الرجل نبيها واقفا على أسرار العالم وأما المرأة فقد كانت جاهلة بالقراءة والكتابة لا تعلم شيأ من أحوال الدنيا ففى ذات يوم جاء الرجل الى بيته وكان مغموما جدا بحيث انه كان لا يقوى على فتح فيه والتلفظ بكلمة من الكلمات فزوجته حملت ذلك على انحراف فى صحته وأخذت تسأله عن سبب كدره أما هو فأجابها انه لم يكن منحرف الصحة وانما طرأ عليه حادث عظيم كدره جدا وان هذا الحادث مهم الى حد أنه لا يقوى على بيانه وبعد إلحاح كلى من المرأة عقبه سكوت طويل من الرجل قال لها أخيرا (آه يازوجتى المحبوبة أنت تعلمين انه لحد الآن كان الرجال يطلقون نساءهم ولكن وضعت الآن أصول جديدة من مقتضاها انه يجوز من الآن فصاعدا للنساء أن يطلقن رجالهن فأنت لا تنكرين على محبتى لك وتعلمين انه لما كان عدم الانفصال عنك متعلقا بى دون غيرى لم يكن لى أقل هم وكدر من هذا القبيل أما الآن فانى أفتكر ماذا يحل بى من القهر والنكد لو قصدت أن تطلقينى) فأجابته هى قائلة اقلع عن هذا الفكر ولا تهتم به فأنا لا أتركك ولا أطلقك بالكلية)

وبعد ان مر على ذلك نصف ساعة طلب الرجل منها شربة ماء فالتفتت اليه قائلة (عفوا أنا لست بقاعدة قم أنت واشرب) فأجابها الرجل بقوله (ياعزيزتى هل من العدل ان أقوم أنا وأنت لا تقومين انى أشتغل من الصبح الى المساء لاجل القيام بحاجتك ورغائبك والله يعلم ما ألاقى من المتاعب حتى إذا أتيت الى البيت بعد تلك المشقات ألا يلزم أن أرتاح فيه قليلا) أما هى فأجابته قائلة (ان رجليك غير مكسورتين فقم

واشرب) وفى خلال هذه المحاورة بينهما غلبت الحدة على المرأة فقالت له (لاتردنى فوق طاقتى فانى أسمعك من فمى مالاتحب)

قالت السيدة ص . . . ان هاته الامثلة قد وضعت بقصد المزاح بين الرجال والنساء وانى أتأسف على كلامك الذى قلته

فقلت لها أنالم أروما رويت حقيقة وانما قلته من الفكاهة ولكنه مثل ما يجرى بالنقل ومع ذلك فانه لايسعنا أن ننكر أن النساء هن أقل صبرا وجلدا من الرجال

قالت لماذا انه لو بحث بين النساء من هن أكثر عقلا وأشد صبرا من الرجال كان كثيرا من الرجال هم أدنى معرفة وأقل جلدا وأعظم جهلا من النساء

قلت نعم لاأنكر صواب القول ولكن ذلك من قبيل الاستثناء أيتها الصديقة والاعتبار فى كل شئ للاكثرية وهكذا تصدر الاحكام حتى ان الاوربيين الذين يطلقون عنان الحرية لنسائهم لما أنهم يعلمون أن النساء أدنى معرفة من الرجال يسلمون المهر الذى يخصصونه كثمن جهاز لبناتهم الى الرجال ولا يبقونه بأيدى النساء

قالت وهذا لاأريد بأن أرى أموالى بيد زوجى

قلت حيث ان الرجال يستطيعون أن يحسنوا ادارتها جرت العادة عندهم أن يسلموها اليهم

قالت فاذا خطر للرجل ابتلاع أموال زوجته ميلا مع أهوائه واسترسالا الى اهانتها واحتقارها

قلت هذا محول على طالعها

قالت كلا أنا لا أمكنه أن يخوننى بواسطة دراهمى

قلت ماذا تعملين

قالت انى أطلقه من تلك الساعة

قلت ان الطلاق عندهم لفى غاية الاشكال والطلاق لاجل بلع أموال المرأة انما هو فى عداد المستحيلات وأما عندنا فلا حاجة أن تتحمل مشقة الطلاق لاجل ذلك لان أموال المرأة لاتدخل تحت حكم الرجل حتى يتمكن من هضمها

وحينئذ سمعنا صوت تأثير ان احدى السفن تقرب من الشاطئ فانصرف ذهننا الى أن الضيوف قادمون عليها فنهضنا ووقفنا على النافذة المطلة على الساحل فرأينا فى جملة الخارجين منها ثلاث نساء مرتديات بألبسة جميلة

قالت السيدة ص . . . انظرى الى هاته الملابس البيضاء وتأملى فى حسن ألبستهن البسيطة

قلت لعلهن من ضيفاتنا

قالت ولكن أراهن قد تجاوزن الباب

قالت السيدة ن . . . ربما أنهن يأتين الينا من باب المنزل انظرى الرجل الذى يصحبهن وهذا طبيعى لانهن لايحضرن منفردات

قالت السيدة ص . . . أنهن ها قد دخلن من باب المنزل ولعمرى انهن جميلات وألبستهن من آخر زى فكيف تحبين أن تدخلى عليهن بألبستى الحاضرة لاجرم أنهن يحسبننا لاندرك شيأ فلا أحب أن أظهر أمامهن بألبسة بسيطة فى حين أنهن مكتسيات بأطاف كسوة ولو عرفت أن الامر سيكون كذلك للبست

احسن

أحسن الأثواب وأكملها فتفضلي يا عزيزتي باعطائي ثوبا من الأثواب الافرنجية الجميلة لأرتديه وأظهر به أمامهن

قلت لها يا عزيزتي هل من الممكن أن تحضر خياطة لتخيط لنا أثوابا موافقة ثم ان ثوبي التركي قد جاء ملائما لأني حيث انه مفتوح الصدر ولكن مشتدي لا يمكن أن يلائم كسمك وأنت تعلمين أنه لو وجد قماش من لونه وأحضرنا خياطة مخصوصة لتخيطه على طريقته موافقا لك من آخر زي لازم لاجل ذلك نهار كامل فهل نؤجل مقابلة ضيفاتنا الى غد قالت لعمري انني أخجل من الظهور أمامهن في حالتي الحاضرة

قالت السيدة ن . . يا عزيزتي يمكن أن تحتجبي فلا تظهري أمامهن

قالت ماشاء الله كيف يمكن ذلك وأنا راغبة في التفرج عليهن وعلى ألبستهن الجميلة

قالت أيتها السيدات ان المادامات القادمات الينا لو لم يكن عارفات بأن لنا ألبسة أفرنجية ما كن طلبن منا أن نكتسي بألبسة تركية ومن المعلوم أنه يجب علينا أن نخدم ذوق ورغبة الضيف أكثر من ذوقنا ورغائبنا

وبينما كنا نهزل ونهذر على هذا الوجه كانت المادامات دخلن الى القاعة فنهضنا لاستقبالهن وبعد أن حييناهن جلسن الى مقربة منهن وقد تبين لنا من منظرهن أن احداهن ذات بعل وتبلغ السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين من سني العمر ممشوقة القوام طويلة حسنة الكسم زرقاء العينين شقراء الشعر بيضاء البشرة جميلة الجملة والثانية ذات خدر في التاسعة عشرة أو العشرين من العمر وكانت هاتان الصبيتان شقيقتين والشقيقة الثانية معادلة للاولى بحسنها ولطفها ومع أن الجمال واحد لا أكثر غير أن أنواعه متعددة جدا الى حد أن ما يراه هذا جميلا يراه ذاك بالعكس بمعنى أن الاميال مختلفة في الناس لا يمكن أن تتفق على وجه واحد وذلك مما يمنعنا من البحث في أسرار الطبيعة ألا ترى أن فلانا يستحسن الحاجب الاسود والعين السوداء وفلانا يميل الى الشعر الاشقر والعين الزرقاء وفلانا يقف بين الذوقين فيعجبه الحد الاوسط من النوعين والبعض لا يرى جمالا في غير السمينات والآخر يحسب الجمال كل الجمال في الرفيعات الهزيلات وكثيرا ما نسمع قول فلان عندما يرى ذات سمن آه لو كانت أقل سمنا مما هي عليه الآن وقول الآخر عن الهزيلة لو كانت أكثر سمنا لبلغت أقصى درجات الجمال

لاجرم أن القول بجمال هذه وعدم جمال تلك بالنظر الى الامزجة والاذواق ليس من الانصاف في شيء . نعم إن كلا من الناس مخير في ميله ورغبته له أن يستحسن ما يستقبحه الآخر وبالعكس غير أنه لا يناسب أن يقال هذا جميل وذاك غير جميل بالنسبة الى الاميال والاذواق لان الحق سبحانه وتعالى قد برأ أهل الجمال على ألوان وأشكال شتى فأغماض العين عن قدرته وحكمته غير موافق للعقل أبية

وقد كانت الصغيرة جميلة الصورة الا أن جمالها يختلف عن جمال الكبرى ومع انها أقصر من شقيقتها باصبعين غير أن هيف قامتها ووجود الاولى أكثر سمنا منها يظهر للعين أنهما متساويتان قدا

وهي أن الصغيرة ذات عينين زرقاوين مائلتين الى الاخضرار وأهدابهما طويلة سوداء وحاجباها معتدلان في الوضع والرسم متوسطان بين القصر والطول وشعرهما أسود وشعر رأسها كالف (كستاني) وهي بيضاء اللون كشقيقتها غير أن الفرق بين بياض الاثنتين أن بياض الكبرى مشرب بلون أحمر على حين أن بياض الصغرى كان ناصعا شفافا

وكان جمال الكبرى لاول نظرة يبهر العين الناظرة وأما الثانية فكانت على حد قول الشاعر

يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا

والمباينة الموجودة بينهما فى الهيئة من حيثان الاولى كانت شقراء الجلة والثانية سوداء شعر الحاجبين والهدبين زرقاء العينين كستنائية الشعر على كونهما شقيقتين لا تعد غريبة فى بابها لان الاولاد الذين يأتون من آباء شقر وأمهات شقر تكون هيأتهم كهيئات آبائهم وأمهاتهم وهكذا الذين يكونون من أب أشقر ووالدة سوداء العينين والحاجبين والشعر وبالعكس فان بعضهم يشبه الاب والبعض الآخر يشبه الام كما حصل فى هيئة ذات الخدر المختلفة عن هيئة شقيقتها

ولما زايلتا ظهر السفينة رفعتا عنهما ثوب الزيارة الذى كان نظرنا عليهما فتبدت للعين ألبستهما التى كانت مستورة بالثوب المذكور وكانت جميلة جدا وكانت ذات الخدر تلبس ثيابا حريرية بيضاء وقلنسوة بسيطة للغاية والثانية لابسة ثوبا يضرب الى لون الفضة ظريفا وبسيطا أيضا

فلنأت الآن على وصف الضيفة الثالثة التى عرفنا أنها ذات خدر أيضا وهى كانت حسنة فى وقتها أما الآن فانها تبلغ نحو الخمسين من سنى الحياة ومع أن محياها وجسمها قد أثّر فيهما العمر من عذاب الزى والزينة الا أنها كانت تحملهما هذه المشقة فقد كانت ألبستها وشعرها الممزوج بياضا فى غاية الترتيب ومنتهى الانتظام

وقد كنا فى القاعة مع الضيفات والوالدة وسائر أفراد العائلة فعرفتهن بالوالدة وتبادلن معها رسم السلام بالاشارة وقد فهمنا أن ذات الخدر المسنة تكون خالة الصبيتين الشقيقتين

وكانت السيدة ص . . . تشارك هذه العاجزة فى الترجمة باللغة الافرنسية فأخبرتنا الضيفات انه لم يمر على مجيئهن الى الاستانة الا ثلاثة أيام صرفن اليوم الاول فى الراحة من عناء السفر واليوم الثانى فى قبول زيارة أقربائهن وأحبابهن الساكنين فى دار السعادة واليوم فى التفرج على أسواق بك أوغلى ومخازنها بحيث اتضح لنا من افادتهن أنهن كن ينظرن الينا كأنهن من عالم الترك ونسائهم

وفى خلال ذلك أخذت الشقيقتان تتكلمان معا باللغة الانكليزيه

فقلت خطابا للسيدة ص . . . اليك أقدم الامر فانهما تتكلمان باللسان الانكليزى بمعزل عنا ولذلك يلزم أن لا تجعلى لهما سبيلا يدركان أنك تفهمين اللسان المذكور

قالت كلا لا أتركهما يفهمان ولكن أرى أنهما بينما هما يتكلمان بالانكليزية خالتهما ملتزمة جانب الصمت فالظاهر أنها لا تعرف اللسان المذكور

فقلت لهما ماذا تقولان

قالت السيدة ص انهما قالتا انا نعرف المعاملة الحسنة أما عزيزتى ألم أقل لك انه يجب أن نلبس من آخر زى ثم نظهر أمامهن فلا نشك انهن يحسبننا جاهلات لا ندرك شيأ

وفى خلال ذلك التفتت الينا ذات البعل قائلة انا كنا رجونا كن أن تكتسين ألبسة تركية فهل كان ثمة مانع لو أنكن قبلتن رجاءنا

فحينئذ التفتت الى ص قائلة بحيرة واستغراب (يا عجبا أيوجد أكثر من هذه الالبسة ألبسة تركية) وكادت تصرح عن فكرها وتلفظ هذه الكلمات بالانكليزية الا أنها لما كانت على مقربة منى وكان كلامها همسا وقد فطنت الى الزائرات اجتهدت فى تحويل الكلام الى الافرنسية ثم مزجته بالتركية فصار كلامها مركبا

من ثلاث لغات بحيث لا يمكن لاحد أن يفهمه وعلى ذلك لم يشعر الزائرات بان أحدا منا يعرف اللسان الانكليزي وكان هو المطلوب

فقلت ان ألبستنا وأكسامنا هي تركية محضة

قالت ذات البعل لا يا عزيزتي ليست هي الاكسام التركية فاننا نرغب في مشاهدة الاكسام المذكورة

قالت السيدة ص . . . كيف تكون الالبسة التركية أتشيرين اليها

قالت ألا يوجد أثواب مذهبة

قلت الى ن خانم . . اذهبي يا صديقتي والبسي ثوبي المقصب الذي أعجبك منذ برهة وتعالي به ثم التفت الى ذات البعل وقلت ان السيدة ستلبس الثوب المذهب وتأتي به على الفور

قالت ذات البعل أشكركن كل الشكر ولعمري إنكن عنوان الرقة

وما مر على ذلك غير برهة قصيرة حتى دخلت . ن خانم . مكتسية بثوبي المذهب غير أن زائراتنا لم يكن مطمئنات تمام الاطمئنان

قالت ذات البعل لا ليس مقصدنا هذا وانما نحن راغبات في الاكسام التركية الصرفة

قالت ذات الخدر نعم الزي التركي ما أجمله

فقلت أيمكنكما أن تفهمانا ما هي الاكسام التركية التي ترغبانها وقد أعجبتكما وكيف يكون شكلها

قالت ذات البعل انما اباكيته (نوع ملبوس يصل للحزام فقط) قصيرة مطرزة بالذهب وقميص رفيع وشروال مقصب

فقلت لها الآن ترين هذا الزي

قالت السيدة ص ماذا تقولين من أين يمكنك ايجاد هذا الزي والظهور به

قلت الآن تنظرين

وحينئذ نهضت فاحضرت مجموعة الرسوم وقد كنت شاهدت في الطريق امرأة مكتسية بصدرة مطرزة بالذهب وشروال مقصب فأخذت رسمها وقد خصت المجموعة وعرضت على الزائرات الرسم المذكور وقلت أهذا هو الزي الذي تطلبينه فاجاب الزائرات الثلاث بصوت واحد

نعم نعم هذا هو بعينه وكنا نود أن نراكن وأنتن مكتسيات بمثل هذا الزي قلت أين رأيتن النساء اللاتي يلبسن هذه الازيا

قالت ذات البعل لم نشاهد المكتسيات به عيانا وانما رأين رسمهن في باريز

قلت لها في مثل هذه الحال لا يمكنك هنا أيضا أن تشاهدي أكثر من ذلك

قالت ذات البعل لماذا لم يبق بين النساء التركيات من يكتسين بهذا الزي

فقلت لها كلا

قالت ذات الخدر وا أسفاه انه لزي جميل للغاية فاذا لا يتسنى لنا أن نشاهد في دار السعادة من ربات هذا الزي

فقلت لها لا يمكن أن تشاهدن الا مثل هذا الرسم

قالت الخالة من هي صاحبة هذا الرسم

فقلت لا أدري لقد رأيتها في الطريق فأخذت رسمها

فقالت ذات البعل كأنما هي من ممثلات الروايات

قالت الخالة لاجرم انها كما شرت

فقلت ان ممثلات الروايات عندنا جميعهن مسيحيات ففي مثل هذه الحال لا تكون هذه المرأة تركية وانما هي امرأة مسيحية

قالت ذات البعل انني في باريز نتطلع الى مثل هذه الرسوم كأنما هي من رسوم السيدات التركيات وندقق كثيرا في زينتهن ووجوههن فاذا بفهم من ذلك أن الزينة ليست بزينة تركية وذوات هاته الازياء لسن من السيدات التركيات

قلت أجل فكما أنه يمكن لأي الناس أن يرتسم بالزي الذي يرغب فيه هكذا أيضا بعض النساء المسيحيات يرتسمن بمثل هذه الازياء غير انني لا أدري ما هو الزي الذي تلبسه لانه على نحو ما تشاهدن في هذا الرسم تزين على رأس صاحبته كفية من صنع البلاد العربية وعلى عاتقها صدرة من صدرات نساء الارناؤط وفي رجليها الشروال والكرسي المنزل بالصدف الذي على قرب منها انما هو من صنع الشام والقضبان الموضوع عليه من متاع الهند والنارجيلة التي في يدها لا أعرف حقيقتها من استعمال نساء أية ملة من الملل أما شعرها فانه مقصوص على الزي الافرنجي وقد قص من أسفل على النسق الاوربي فاذا أمعنت النظر به حققت ذلك

قالت ذات البعل لاجرم أنه على الزي الافرنجي تماما فاذا كان هذا الزي لم يكن من الازياء التركية كذلك لم يكن هو زيا منه آخر فالبس الازيا قد ركب من عدة أزياء

ثم جاؤا الينا بصينية القهوة على العادة التركية وقد وضع الابريق في السلسلة (أو السنبل) أو العازق باللغة المصرية وهي مغطاة بمنديل فأعجب المسافرات بها كل الاعجاب واستأذنتا في معاينة كل قطعة منها على حدة وقد استحسنّ غطاء الصينية لانه كان مزركشا بالذهب وسألننا عن المحل الذي يباع به أباريق القهوة الفضية فهديتهن الى سوق الصاغة ثم بين لنا رغبتهن في مشترى الاقمشة التركية وطلبن الينا أن نعرفهن عن الموضع الذي يباع به أحسنها فعرفتهن أن أقمشتنا متنوعة جدا وأوصيتهن أن يشترين من أقمشة بورسة أو الاقمشة العربية وقد صرفنا في هذا الحديث قسما من الوقت وبعد ذلك فهمنا أن الشقيقتين هما ابنتا تاجر كثير الثروة وأن أمهما وأباهما في باريز وان الاخت الكبيرة متأهلة من خمس سنوات وأن زوجها أيضا من ملاك والدها وان خالتهما تسكن مع والديهما وان ذات البعل تقيم في بيت زوجها

قالت السيدة ص الى الخالة لماذا أنت لم تتأهلي

قالت هكذا كان نصيبي

فقالت لها أأنت لم ترغبي في الزواج

قالت ان الزواج عندنا لا يخلو من الصعوبة

فقالت لها لاي سبب

قالت لمسئلة المهر (الدوتة)

فقالت ولكن أليس ان عدم الحصول على زوج بلا مهر انما هو مخصوص بغير الجميلات فانا نسمع أن الجميلات يتزوجن بلا مهر

قالت نعم يتفق مثل ذلك ولكن غير الجميلات ذوات المهر كثيرا ما كن سببا فى حرمان الجميلات اللاتى لا مهر لهن من الازواج لانه لا تبقى واحدة منهن بلا زوج على حين أنه يندر وجود من يقترن بالجميلات الخاليات من المهر

فقالت لها ألم تقترن شقيقتك

قالت خالة البطل ان والدى أخذ والدتى عن حب ولقد كان يهوى أن يقترن بها ولو لم يكن لها مهر غير أن جدى دفع المهر بارادته وبعد تأهل والدتى بست أو سبع سنوات أفلس جدى وكانت خالتى فتاة فى ذلك الوقت

قالت السيدة ص . وبعد ذلك ألم يتفق لها راغب على الاطلاق

قالت الخالة نعم تيسر ذلك وليس فقط أنه رغب فى الاقتران بى وانما حصل بيننا حب

فقالت السيدة ص ففى هذه الحالة لم يبق حكم لمسئلة المهر ولماذا لم تقترنى به

قالت لها انى أنقل اليك المسئلة من أولها فاقول بعدما افلس والدى كنت قطعت أملى من الزواج على الاطلاق ثم اتفق لى أن صادفت شابا غنيا بالمال والتهذيب والمعرفة محبا للعمل موافقا من سائر وجوهه قد اكتسب ثروة بكده واجتهاده فوقع فى قلب كل منا حب الآخر وهو الحب الطاهر الذى يتم به الزواج ولما كنت خالية من المهر اجتهدت كثيرا أن أتغلب على حبى وأنبذه ظهريا الا أن ما رأيته فيه من الميل القلبى الى الزواج قد ولد فى الجراءة على توطيد الآمال وتقررت المسئلة بيننا قطعيا كما أن والدى قد قبل بكمال الامتنان حسن نية هذا الشاب الذى سيقبلنى على علاتى خالية الوفاض من المال وثروته كافية لان أعيش فيها بكمال الراحة والهناء وكنا الى ذلك الوقت نعرف هذا الرجل انه ينتسب الى احدى العائلات من الايالات فلما حان الزمن الذى سيتقرر به زواجنا تهيأنا للاجتماع به والدى اجتماعا طويلا وتحادثا مليا وطلب منه ايضاحات عن أحواله وعن عائلته ففهم حينئذ أنه لا ينتسب الى عائلة معلومة وانما هو من الاولاد الطبيعيين (المنبوذين)

قالت السيدة ص . . وأسفاه ما أصعب ذلك اذا وجد الحب

قالت لها نعم انى كنت أحبه ولكن أيبقى موجب بعد ذلك لهذه المحبة ان معرفتى كونه ولدا منبوذا كافية لان تبعثنى على النفرة منه ولا يلزم الحب أكثر من هذا النفور

قالت لها وهل أمكن له أن يتناسى ذلك بمثل هذه السهولة

قالت كلا انه تأسف أسفا لا مزيد عليه وأصر كثيرا على الفرار الى بلد آخر حيث يقترن بى قائلا لى انه لا يتركنى أن أفتقر الى أى كان ما دامت عائلتى لا تقبله أما أنا فكيف يمكننى أن أرضاه فانى اذا لم أفتكر بنفسى يجب أن أفتكر باولادى لانى من حيث وضعتهم فى هذا العالم من أب منبوذ (نغل) سأبقى مخجولة أمامهم طول العمر وعندما افتكرت بأنى سأترك اسم عائلتى للانضمام الى رجل لا تعرف له عائلة ولا اسم لكى افتخر بالانتساب اليه رددته خائبا وأخبرته أنى ان أقترن به وانى صممت على أن لا أكلم رجلا فلست بمكلمته على الاطلاق

قالت السيدة ص هل تزوج هذا المنكود الحظ بعد ذلك بسوال قالت لم أعد أره بعد هاته الحادثة لانه زايل بارير قاصدا وجهة أخرى ولا أدري ما الذي جرى به أما أنا فحيث لم يكن عندي مهر (دوته) لم يتقدم لي طالب آخر وبعد فأنبئيني أنت ألا يوجد عندكم بنات متقدمات في السن بلا ازواج

قالت لها لو دفع مليون من الدراهم لما وجد واحدة على الاطلاق فان القبيحات والفقيرات لا يكن قواعد في البيوت

قالت ذات البعل انه يوجد عندكن مسئلة لا تخلو من الاشكال ألا وهي أن الرجال يستخدمون النساء كالجواري

قلت ان ادارة البيت والانفاق على الزوجات عندنا انما هو من وظائف الرجال والنساء مهما كن مثريات فلسن مطالبات بالانفاق على البيت أما الرجل المقتدر فانه يستخدم في بيته خادمة وطباخة واذا لم تجاوز مقدرته حد خدمة نفسه فزوجته مروءة تقوم بخدمة البيت والا فان الرجل لا يستطيع أن يجبرها شرعا بذلك فقد اتفق في أيام خلافة عمر أن رجلا من الاصحاب الكرام جاء الى دار الخلافة متظلما متشكيا من زوجته فنظر عمر خارجا من حرمه وهو يتكلم بحدة فقال له (أي شيء حدث يا أمير المؤمنين) فأجابه عمر بقوله (ان حال النساء معلوم لا يحتاج الى ايضاح فزوجتي قد سببت لي هذه الحدة) وأنت ما الذي جاء بك الى هنا فأجابه انني أتيتك لاشكو اليك زوجتي أما وقد رأيتك على مثل هذه الحال فلا أرى محلا للشكوى فقال له عمر (صه لا يجب أن نرفع صوتنا فان نساءنا يقمن بادارة بيوتنا مع ان ذلك خارج عن وظيفتهن ويرضعن أولادنا ولسن مكلفات به فاذا أظهرنا هذه المسائل ينتج عنها ضرر لنا) ففي هذه القصة يتضح لك جليا أن النساء غير مطالبات ولا مكلفات شرعا بالخدمة

قالت ذات البعل أحسنت وانني سائلة منك سؤالا من عاداتكم أن الازواج عندما يدخلون على زوجاتهم في غرفتهن ينظرون من داخل باب الغرفة فاذا رأى الزوج أن زوجته وضعت خفها أمام الباب يدخل الى الداخل حسبان أن ذلك اشارة على السماح له بالدخول وان لم ينظر الخف فيعود من حيث أتى

قالت السيدة ص . . . باللغة التركية أحسنت أن يكون ذلك من الغلط المأخوذ عن الفرجية الزرقاء قالت ذلك ولم نستطع نحن الاثنتان من ضبط قهقهتنا أما السيدة ن . . . فلما كانت لم تعلم شيأ عن مسئلة الفرجية ولم تكن أحاطت علما بعبارة الخف التي أشارت اليها الزائرة التفتت الي قائلة ما الذي طرأ عليكما فأفهمتها القضية وحينئذ اشتركت معنا بالضحك وكان دوي قهقهتنا ملأ فضاء القاعة أما الزائرات فقد استغربن مناذلك وقد لاحظت استغرابهن فقلت عفوا أيتها الزائرات انا لم نضحك من كلامكن وانما قد اتفق ان سبقت بيننا عبارة قبل مجيئكن مشابهة لعبارة صدرت منكن فكان ما كان من داعي الضحك ثم نقلت لهن مسئلة الفرجية الزرقاء وقلت انه كما يوجد بعض منا لا يكون لهن علم بأشياء واقعة في بلادنا هذه الايستبعد أن تتصل بكن معلومات مغلوطة عن كثير من الاشياء ولا جرم انه كلما بعدت المسافة كثر الوهم وزاد الغلط

قالت ذات الخدر المسموع عندنا أن النساء التركيات كلهن سمينات ينسدر بينهن وجود الهزيلات فهل ذلك صحيح

قلت انها عجبا فما الموجب لذلك يا ترى

قالت يقال ان ذلك ناشئ عن احتجابهن وعدم خروجهن الى الاسواق الا نادرا على انى مذ وصلت الى هذه العاصمة دققت كثيرا بنسائها فرأيت عكس ما سمعت أى ان السمينات بينكن قليلات جدا كما انى قد رأيت فى الطريق من بك أوغلى حتى وصلت الى الوابور كثيرا من النساء المستترات وفى الوابور أيضا وجدنا مستترات متحجبات

فقلت ان النساء عندنا لا يحبسن فى البيوت وانما يمكن لهن أن يخرجن الى الاسواق فى أى وقت شئن وأن تشترى ما ترغب

فقالت ذات البعل ان النساء التركيات هن أسيرات بأيدى أزواجهن فاننا نسمع أنهن لا يستطعن أن يملن شيأ بدون اذن رجالهن

قلت لا جرم انه من وظيفة النساء فى أية ملة كانت أن يطعن أزواجهن على ان مثل هذه الوظائف هى عند المسيحيين أشد منها عند المسلمين لان صك النكاح عندكن انما يحرر بمشر وطا فيه أن تكون الزوجة فى كل حال تابعة لزوجها ومرتبطة به ففى مثل هاته الحال يحق للرجل أن يذهب بزوجته مجبرا الى أى محل شاء

قالت لا شك ولا ريب فى وجوب ذلك فانه من الامور الحسنة أن يكونا دائما مجتمعين

قلت فما قولك اذن فيما لو كان الزوج من عشاق السياحة وأراد الصعود توا الى القطب للاكتشاف أو كان ممن يميلون الى السياحة البحرية وأحب التوغل فى أعماق البحر على ظهر جارية تميل مع الارياح أو كان من المنطاديين (البالونجيين) ورغب فى الصعود على طبقات الهواء

قالت ألا يحق للرجال عندكم اجبار النساء على الذهاب معهم

قلت يمكن لهم أخذهن الى الاماكن القريبة غير أنهم اذا كانوا قاصدين الاسفار الطويلة الشاسعة فالمرأة ذات الشهامة انما تذهب مع زوجها طوعا ومروءة لا غير واذا لم تذهب فلا تجبر وعندكم لا يجوز للمرأة أن تبيع شيأ من مالها الا باذن من الرجل أما نحن فان المرأة عندنا حرة مستقلة فى بيع واستهلاك ما تملكه

قالت الخالة كما سمعنا ان السيدات التركيات يلبسن الالبسة الافرنجية أكثر من الالبسة التركية وذلك ما حدانا الى الرجاء بأن تقبلننا وأنتن بالاكسام التركية أحقيق ذلك

قلت أجل ان أكثرهن على مثل ما وصفت

ثم التفتت ذات البعل الى البيانو قائلة أتعرفين بالبيانو (آلة موسيقية) فأجبت مشيرة الى السيدة ص . . ان هذه السيدة تحسن العزف أكثر منى بها لانها درسته نحو عشر سنوات

قالت لا جرم أن الضرب على هذه الآلة لا يمكن بأقل من عشر سنوات فقلت انما يمكن الضرب على البيانو بعشر سنوات على شريطة الاستمرار والتعود بلا انقطاع ولكن فى كم سنة يمكن حفظه تماما

قالت أما أنا فقد ابتدأت بممنذ السنة السادسة من عمرى وها أنا ذا فى الثامنة والعشرين وقد مر على زواجى ست سنوات كنت الى ذلك العهد أى مدة ست عشرة سنة أعزف يوميا بهذه الآلة أربع ساعات وعندما تأهلت صرت أعزف به يومين فى الاسبوع وحتى الآن لم أتعلم البيانو أتعلمين ما المراد وما المعنى يعلم البيانو

قلت ثم ان علي به قد حمدني الى صرف النظر عن تعلمه فما أكثر العازفين عندنا وأقلهم معرفة تامة به لان علم البيانو انما هو علم يراد به معرفة الانغام من أول مرة بحسب أية نوطة كانت وسرعة عزفها والوصول الى هذا الحد من المعرفة لا يحصل بمدى عشر سنوات وان كانت متمادية وها نحن الآن نكلف هذه السيدة أن تضرب على الآلة فتنظرين انها تحسن الضرب جيدا ولكن ليكن معلومك ان الانغام التي ستطربنا بها قد كررتها على النوطة عدة مرات حتى أمكن لها الاجادة بها على ان المقصد من البيانو هو غير ذلك ومادام انه يوجد من يعزف البيانو في هذا المجلس فالبيانو موجود والنوطة موجودة أيضا وفي هذا الحال يجب ضرب النغم على البيانو عند النظر الى النوطة لان مراجعة الانغام على النوطة عدة مرات وتكرير العزف بها لا يسمى عزفا ولا يترك في المرء ميلا لسماعها أما أنا فانني عندما بدأت في درس البيانو اشتغلت به أربع سنوات متوالية بمزيد الرغبة والاجتهاد وتعلمت النوطة بسرعة لا مزيد عليها وقد أخبرني العارفون بالبيانو أن عزفي به كان حسنا ولهذا غير أن وصولي الى الدرجة المقصودة حقق عندي ما يجب من المدة لبلوغ المطلوب فان تجربتي أرتني أن أستاذي لم يتوفق الى هذا الامر فحملت ذلك على عدم كفاءته واستبدلته باستاذ طائر الشهرة في هذا الفن وأول عمل بدأت به انني فتحت امامه نوطة لم يكن له بها عهد سابق فلم يحسن نغمها الا بعد ان كررها ثلاث مرات فعدلت عن التحري على أستاذ آخر ولكن أخذوا يستغربون علي و يقولون انه لا يمكن الحصول على أستاذ أعرف منه فاخبرتهم بمطلوبي فانبؤني انه قد يمكن أن يوجد في دار السعادة شخص أو شخصان من الطرز المطلوب وعلمت من نتيجة تحقيقاتي أن مع الاستعداد التام والاستمرار على العزف يوميا أربع أو خمس ساعات يمكن تعلم البيانو في خلال خمس عشرة سنة من حياتي على تعلم هذه الآلة تأسفت على التعب الذي نالني في مدة أربع سنوات وضربت صفحا عن درس البيانو فالآن صرت اذا رأيت نغما أعجبني أفتح النوطة ولا أتمكن من اتقانه الا بعد ان أكرره لا أقل من خمس عشرة مرة فهل ذات الخدر تحسن العزف بالبيانو

قالت ذات البعل نعم تعرف أن تعزف به ولكنها لم تصل بعد الى درجتي بل يلزمها وقت أيضا

قلت المطلق وأسمعينا قليلا من أنغامك اللطيفة

فنهضت ذات البعل وجلست الى البيانو ورفعت غطاءه وبعد ان نظرت الى العلامة التي في داخله قالت انه بيانو باريزي لا جرم ان أحسن أجناسه انما تصنع في بار يزغيران في بعض الجهات في أوربا يصنعون منه جنسا حسنا ما أمكن ولقد نظرت في حوانيت بك أوغلي كثيرا من هذه الآلات التي تنتسب الى عدة أماكن فسألت عما اذا كان يوجد من صنع هذه البلاد فأخبروني انه لا يوجد فتعجب ولاجل ذلك أسألك ألا يصنعون عندكم من هذه الآلات

فقلت لها كلا فان المعامل عندنا لم تترق الترقي المطلوب الى هذا الحد ولقد كانت هذه الاشياء في الازمنة السالفة ترسل من الشرق الى أوربا فانعكس الموضوع وأصبحت ترد الى الشرق من أوربا

قالت هل ان البيانو أرسل الى أوربا من الشرق

قلت معلوم أن شارلمان كان أرسل بعض الهدايا الى هرون الرشيد وبالمقابلة أهداه هرون الرشيد ساعة (وأرغون) وبعض الاقمشة النفيسة بحيث لما وصلت الى أوربا كان لها عند الاهالي وقع أشبه بالامور السحرية فكما ان الشرقيين يقلدون الاوربيين في هذه الايام هكذا كان شارلمان في عصره يقلد الدولة

العباسية بعلومها ومعارفها الا انه لم يتوفق الى ذلك ولا يخفى ان الارغون الذى يعزف به فى كنائس أوربا فى الوقت الحاضر انما ورد اليها من بغداد فى الازمنة السالفة أما البيانو فلبس الافرعا منه

قالت يا عجبا أيصنع الى الآن (أرغون) فى بغداد

فقلت كلا فانه ليس فى بغداد حتى ولا من يعرف ما هو الارغون

قالت ان ثروة البلاد انما تحصل بترقى مثل هذه الصنائع والمعارف

قلت ان العلوم والمعارف والصنائع انما هى مع المدنية نظير اللازم والملزوم تترقى بنسبة ترقى المدنية اما المدنية فهى تطير سائح يطوف العالم مصحوبا بالعلوم والمعارف وسائر أنواع التجملات واللطائف ففى الازمنة المتوغلة فى القدم جالت فى مصر وبابل ومرت فى طريقها على البلاد اليونانية حتى اذا سقطت هذه البلاد وصارت خرابا سارت الى الاسكندرية وأشرقت أنوارها فى حكومة الملوك البطالسة وزادت أيام بهاء رونقها وبهاء ثم ذهبت فى أيام الدولة العباسية الى العراق وألقت عصا التسيار فى بغداد مستعيضة بها عن بابل ثم سرت أشعة عمرانها الى ايران وتركستان وفى خلال ذلك امتدت من جهة الى العرب فحلت فى الاندلس ثم وردت على أوربا فاشرقت فيها اشراقا وكان الحكماء المسلمين أخذوا العلوم الحكمية عن اليونانية وأضافوا محصول أفكار الحكماء اليونانيين على اختراعاتهم فوصلوا بالعلوم الى درجة هى من الرفعة والتقدم بمكان عال هكذا فعل الاوربيين فانهم رأوا محصول مساعى العرب حاضرا مهيأ فصرفوا اليه أفكارهم وغاياتهم ورفعوا بجدهم شأن العلوم والمعارف الى درجة تحير العقول وتسحر الالباب وفى الوقت الحاضر يوجد سهولة كلية للاستفادة من محصول مساعى الاوربيين المشاهدة عيانا لاجل انتشار العلوم والصنائع عندنا

قالت اذا كان الواقع هكذا يلزم الاعتصام باصدقائكم القدماء

قلت لاشك انا راغبون فيهم فى حضرة سلطاننا الحالى فانه منذ جلوسه الهمايونى قد تقدمت المعارف والصنائع فى بلادنا تقدما خارقا للعادة ولا نرتاب انه فى وقت قريب نرى المعارف والصنائع اجمالا بحالتى الكمال والاتقان ولا جرم أن مجىء السواح من أصحاب المعارف نظير كن انما هو علامة بينة على ما تقدم

قالت ذات الخدر اذا حسن لديك اعطنا نوطة يروق لديك نغمها وشقيقتى تعزف فيها البيانو

فلبيت الطلب وأتيتها بنوطة مخصوصة (بالاوبرا) فاخذتها ذات البعل ولحنتها على البيانو باحسن تلحين أطربنا وأدهشنا ولم أر الحق انى الى هذا العهد ما كنت سمعت بمثل عزفها وقد كانت كلما حدثتها بنوطة تبادر الى تلحينها فى الحال فتحققت من ذلك انها بلغت فى هذا الفن الدرجة المطلوبة ثم أطربتنا بايقاع بعض الالحان المحفوظة فى ذاكرتها فجعلنا حيارى من مهارتها ثم أخذت الشقيقتان تعزفان على البيانو بوقت واحد أى باربع أيد عما يقال له بالافرنسية (كاترمن) فاطربتنا أيما اطراب وشهدنا لذات الخدر انها من البارعات جدا فى هذا الفن

فقلت لهما ناشدتكما الله أن تعفيانا من الايقاع على البيانو بعد هذا الذى سمعناه

قالت ذات البعل اذا حسن أطربنا ببعض الانغام التركية فقلت لها لابأس اتلو لكن بعض الالحان التركية واذا شئت بآلة تركية

قالت أكون ممتنة للغاية

وبعد أن توقعت والسيدتين صرون كل منا بفصل على البيانو من الانغام التركية نهضت احدانا الى العود

والثانية الكمنجة والثالثة القانون فوقع على هاته الآلات في نفس النادات البعل وشقيقتها عما اذا كان يمكن ايقاع الالحان الافرنجية على العود والقانون مثل الكمنجة التي نطمن في هذه الالحان فاجبتهما ان ذلك ممكن على أن عند الوصول الى نغمة سريعة تنفرد الكمنجة في الايقاع وبناء على ذلك أخذنا نطمن بعض القطع الافرنجية الممكن تلحينها ثم نهضت الى البيانو ووقعت عليه بالاشتراك مع السيدة ن التي كانت توقع على الكمنجة قطعا افرنجية فقطعنا على هذه الصورة مرحلة من الوقت وبعد مناولة الطعام أحضرنا للضيفات أثمارا محلية وجبنا محليا وزيتونا ومقددات وغيرها من الاشياء المسماة عندنا قهوة آلتي فاستحسن جبننا كل الاستحسان وأنبأتنا ان مربياتنا مصنوعة على النسق الاوربي تماما وجملة القول أنهن تناولن منها بكمال الشكر والتقدير فجعلتنا ممتنات منهن امتنانا لا مزيد عليه ثم طفنا بهن في الحديقة وخضنا عباب الحديث المعقود بأهداب الولاء فلما أزفت الساعة الحادية عشرة موعد مجيء الوابور تناولت كل منهن قبعتها وسترتها وكانت الشقيقتان في خلال الحديث تتكلمان في اللغة الانكليزية أحيانا وكان كلامهما يتعلق بالثناء علينا وبيان امتنانهما منا فالحمد لله ان كلامهما لم يكن علينا لان سماع المذمة مواجهة مما لا تصبر عليه النفوس الابية ولما كان احترام الضيف دينا واجبا كان عدم مقابلة احترامها بالمثل مما يؤثر في قلوبنا كل التأثير وقد تصورت السيدة ص ... أن تبدي امتنانها للضيفات بلهجة انكليزية فصحى غير أن تستترها في أثناء الاجتماع منعها عن ايفاء هذا الواجب لعلمها ان التظاهر بمعرفة الانكليزي بعد التجاهل به لا يكون مشكورا وقد صرفنا ذلك النهار بالسرور والانشراح فانا قطعنا قسما منه أي من الصباح الى الظهر بمنتهى ما يكون من الحبور حتى اذا جاءت السائحات الافرنجيات صرفنا القسم الباقي على نغمات الالحان فكان ذلك من الطف الصدف أما السيدتان ص . ون . فانهما بقيتا تلك الليلة عندنا لانهما من جهة لم تريدا ترك تلك الجمعية ومن جهة أخرى لم يتيسر لهما الوابور بعد ذهاب الضيفات فصرفنا تلك الليلة كما صرفنا ذلك النهار بغاية ما يمكن من امرار الوقت بالسرور وقد كنا في أثناء حديثنا مع الضيفات المومى اليهن بينا لهن ان سنصرف ليلة لطيفة مع رفيقاتنا المذكورات ثم قالت السيدة ن ان طالعنا اليوم فتح بالزهو والمسرات فهل من ساعة أشرف منها فقلت لها لا جرم انا لو قصصنا حوادث هذا النهار على أحد المنجمين لانبأنا ان طالعنا اليوم في برج الدلو من البروج الهوائية ولكان أفاض في بيان ان السعد يتناظر في بيت شرفه مع عطارد وان السعد الاكبر ناظر اليه بعين المودة والولاء والى غير ذلك من الاصطلاحات الفلكية لا جرم ان هاته الاشياء انما هي اتفاق حسن فنسأل الله ان يحفظنا من الصدف المعكوسة والمنكوسة وحقيقة ما يقال أخيرا انا صرفنا هذا النهار والحمد لله على أحسن حال من الزهو والسرور (انتهى)

﴿ فاطمة بنت الامير أسعد الخليل ﴾

هي بنت الامير أسعد الخليل أحد أمراء الشيعة القاطنين في جبل عامل من أعمال سورية وهو من كبراء (عائلة علي صغير) ولدت سنة ١٢٥٦ من الهجرة وتوفي والدها وهي صغيرة جدا فتولى تربيتها شقيقها الامير محمد بيك الاسعد فلما بلغت سن التعليم سلمها للعالمين لتدرس العلوم فتلقت جملة علوم في أقرب وقت وكانت ذات عقل وفطنة ونباهة وكياسة فحفظت القرآن الشريف ودرست التفاسير الجمة وأخذت

الدروس الفقهية على أشهر العلماء الشيعية ودرست النحو والصرف والبيان حتى فاقت نساء عصرها وأهل جلدتها فذاع صيتها في الآفاق ولما بلغت الثامنة عشرة من سنيها تقدم اليها الامير على بيك الاسعد بالخطوبة فأتم له شقيقها بها

وكان الامير المذكور حاكما على بلاد بشارة ومحل اقامته قلعة تبنين التي هي قاعدة بلاد بشارة وتلك القلعة بناها هيوسنت أومر صاحب طبرية سنة ١١٠٧ وجعلها معقلا لاغزو صور وما يليها وهي على مرتفع صعب المرتقى في وسط بقعة خصبة وعامرة بين الجبال تكثر فيها الكروم والثمار والغابات ويسميها الافرنج طورون وكانت حصنا منيعا مهما وسمى بها عائلة أصحابها وسنة ١٥٥١ أقيم هونفردى صاحب تبنين عاملا للملك بلدوين الثالث وقد فتح هذه البلاد صلاح الدين الايوبي سنة ١١٨٧ الموافقة لسنة ٥٨٣ هجرية) وذلك انه قد سير اليها ابن أخيه تقي الدين ففتحها وأخرج الافرنج منها وسنة ٥٩٤ كانت تبنين بيد الملك العادل بن صلاح الدين فرحل اليها الافرنج وحاصروها وقاتلوا من بها وجدوا في القتال ونقبوا الحصن من جهاتهم فلما رأى من بالقلعة ذلك خافوا على أنفسهم وأموالهم فنزل بعضهم يطلب الامان على أنفسهم وأموالهم ليسلموا القلعة فقال لهم بعض الافرنج ان سلمتم استأسركم صاحب الجيش وقتلكم فعادوا وأصروا على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمي نفسه وكان الملك العادل قد كاتب أخاه الملك العزيز بمصر فسار مجدا حتى وصل الى عسقلان فلما علم الافرنج ذلك وان ليس لهم ملك أرسلوا الى ملك قبرص وزوجوه ملكتهم وكان هذا محبا للسلم فكف عن حصار تبنين ثم اصطلحوا مع الملك العادل وتعاقبت الملوك والامراء على تلك القلعة مدة مديدة حتى تملكها أمراء بيت علي صغير المذكورين الذين منهم الامير علي بيك الاسعد وكانت السيدة فاطمة من تلك العائلة وانهم كانوا في ذلك الوقت يحافظون على نسبهم الشريف من أن يختلطوا به نسب آخر من عامة الناس ولا يزوجون الا بعضهم البعض وكان الامير علي بيك الاسعد اذ ذاك كبير تلك العائلة مقاما ورفعة وهو الحاكم الوحيد على بلاد بشارة من قبل الدولة العلية وكان مشهورا بالكرم وحسن السياسة ومتصفا بالعدل في أحكامه ولما زفت اليه السيدة فاطمة نقلها من (الطيبة) التي هي بلدها ومسقط رأسها ومنبت صباها ومهد طفوليتها الى تبنين فشق ذلك على شقيقها محمد بيك الاسعد وعلى أهلها وأهل بلدتها لانها كانت محسنة الى الفقير من أهل البلد ومعينة للمسكين وعائدة للمريض وكان يحبها كل من في تلك البلدة وكان شقيقها يعتمد عليها في بعض الآراء الادارية وغيرها على صغر سنها

ولما انتقلت الى تبنين نالت بحسن آدابها وكمال عقلها ورقة لطفها ونضارة جمالها حظوة عظيمة عند زوجها حتى ملكت زمام الامور فضلا عن تملكها فؤاد زوجها وتقلدت ادارة الاشغال المنزلية وفازت على كل نسائه وأهل ذلك النادي فلما رأى منها علي بيك ذلك الحزم والعزم الذي يفوق حزم أعاظم الرجال أحب مشاركتها في الاحكام واعتمد على آرائها السديدة فتعاطت الاحكام مع زوجها وشاركته بالرأي وحكمت وعدلت في حكمها بين الناس حتى أحبها الكبير والصغير والغني والفقير ولم يغيرها في مركزها الحقيقي ما صارت اليه من الدولة والسلطة عن حبها لفعل الخير والاحسان الى الفقراء كما كانت تفعل في بيت أبيها بل جعلت في دارها محلا مخصوصا لتربية الاولاد اليتامى وأولاد السبيل واشتهرت بفعل الخير وقصدها المضطرون ولجأ اليها الخائفون وكل ذلك لم يبذل لها حجاب بل كانت تتعاطى الاحكام من

وراء الحجاب وتنظر في الدعاوى داخل الحجاب وكان كل من في ديوان الامير علي بيك يعجبون با آرائها وسمو أفكارها الدقائق من الامور الغامضة من الاحكام الشرعية ولم تزل كذلك الى سنة ١٢٨١ هجرية وكان البيك الموصى اليه قد تأخر عليه شيء من الاموال الاميرية لان كرمه الحاتمي كان يضطره الى ذلك حيث انه كان في دولة عظيمة وكان إذا ركب يركب معه فوق المائتي فارس من حشمه وذلك خلاف الخدم والسياس والعمال والطباخين والفراشين وما يتبع دائرة الحريم من وكلاء وخدم وطباخين وغير ذلك وكان في قلعة تبنين محل للضيوف يسع الي شخص وفيه من المفروشات والاثاث ما يليق بذلك القصر الفاخر كل غرفة بما يلزم لها لراحة الضيوف وله فراشون مختصون لخدمة الضيوف فقط والطباخون كذلك غير الذين يخدمون المقيمين من العائلة وكل هؤلاء الاتباع لهم الرواتب من دائرة الامير الموصى اليه وكانت تأتي الشعراء والطالبون من كل صوب وهو لا يرد أحدا بدون جائزة وتفد اليه الزائرون من كل المدن الشهيرة من كبار المتوظفين وغيرهم يمضون عنده فصل الصيف في القلعة لحسن هوائها وطيب مركزها وخصب تربة تلك الاراضي والجبال النضرة وقد كان له حساد وأعداء من أقرب الناس اليه قد أضمروا له الضغينة وألقوا الدسائس حسدا منهم لما ناله من المجد والرفعة وعملوا على القاء القبض عليه ومحاسبته على الاموال الاميرية فحوسب في مدة ثمانية شهور وهو تحت الحجز وظهر طرفه مبالغ جسيمة فقامت السيدة فاطمة في أثناء ذلك باعباء هذا الحمل الثقيل وتدبرت الاموال المطلوبة من بعلها وقد جمعتها من مالها وأموال عائلتها وباعت حليها وحلي كل امرأة في دائرتها حتى تمكنت من سداد تلك الاموال المطلوبة وكانت تفعل ذلك بكل حزم بذوق وشهامة الرجال وصدر الامر بخلاصه في أواخر سنة ١٢٨١ هجرية وبعد ذلك أراد الرجوع الى وطنه من محل ما كان محجورا عليه وهي قلعة دمشق الشام فدخلت سنة ١٢٨٢ هجرية التي جاء فيها الوباء العام المشهور (بالكوليرة) وهناك قبل انتقاله الى وطنه أصيب بالكوليرة بدمشق الشام ومكث ثلاثة أيام وتوفاه الله تعالى وكان برفقته أخوها الامير محمد بيك الاسعد فأصيب الامير أيضا بهذا الداء ولحق بابن عمه وكانت وفاتهما في أسبوع واحد تاركين لآلهما الحزن الطويل فكانت نكبة عظيمة على السيدة فاطمة المذكورة ونكبت تلك العائلة أيضا بوفاة أميرها فلازمت الترجمة الاحزان والاكدار بسبب فقد بطليها الزوج والاخ في آن واحد وانقطعت الى (الزرارية) وهي مزرعة من مزارع زوجها فاقتسمت ما يخصها ويخص بناتها الثلاثة لانها كانت ولدت له جملة أولاد من ذكور واناث فلم يعش لها الا هؤلاء الثلاث بنات وكان للامير علي بيك أولاد من غيرها ذكور واناث أيضا فضمتهم جميعا بحسن ادارتها الى بعضهم وقسمت عليهم الارض بحسب الفريضة الشرعية بدون أن تجعل للحكومة مدخلا في ذلك وشرعت في بناء دار لكل من أولادها وأولاد زوجها للسكنى وأرضت الكل بحسن تدبيرها وسداد آرائها وأتمت تلك البناء على ما أحب الاولاد

وخصصت من مالها شيأ مخصوصا لتربية اليتامى وذلك كرب المكروب وقسمت وقتها بين سكناها (بالزرارية) (والطيبة) عند شقيقها الاصغر الامير خليل بيك الاسعد ولم تزل حفظها الله على هذه السجايا الحسنة الى الآن يضرب بها المثل في تلك الاصقاع

ولها في الشعر شيء قليل وأما في النثر فيشهد لها البراع وتنطق لها الطروس

نكبة

﴿فكيهة جارية أحيحة بن الجلاح﴾

كانت أحسن الناس صوتا فى زمانها وأعلمهم فى ضروب الغناء وأنواعه وكانت قينات المدينة يأخذن عنها فنون هذا العلم ومن حسن صوتها قد افتتن بها كثير من النساء والشبان ولها حكاية مع تبع لطيفة نذكرها لحسن موقعها وثبات جاش تلك الجارية وهى ان تبعا أبا كرب بن حسان بن سعد الحميرى كان سائرا من اليمن يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل فمر بالمدينة فخلف بها ابناله ومضى حتى قدم الشام ثم سار من الشام حتى قدم العراق فنزل بالمشقر فقتل ابنه غيلة بالمدينة فبلغه وهو بالمشقر فكر راجعا الى المدينة وهو يقول

يا ذا المعاهد لا تزال ترود * رمد بعينك عادها أم عود

منع الرقاد فما أغمض ساعة * نبط بيثرب آمنون قعود

لا تستقى بيديك ان لم تلقها * حربا كأن أشاءها مجرود

ثم أقبل حتى دخل المدينة وهو مجمع على خرابها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسبى الذرية فنزل بسفح أحد فاحتفر بها بئرا وهى البئر التى يقال لها الى اليوم بئر الملك ثم أرسل الى أشراف أهل المدينة ليأتوا فكان فيمن أرسل اليه زيد بن أمية بن زيد وابن عمه زيد بن ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف وابن عمه زيد بن أمية بن زيد وابن عمه زيد بن عبيد بن زيد وكانوا يسمون الازياد وأحيحة بن الجلاح فلما جاء رسوله قال الازياد انما أرسل الينا ليملكنا على أهل يثرب فقال أحيحة والله ما دعاكم لخير وقال ليت حظى من أبى كرب ان يردخبره حيله فذهبت مثلا فخرجوا اليه وخرج أحيحة ومعه فكيهة جاريته وخباء وخمر فضرب الخباء وجعل فيه الجارية والخمر ثم خرج حتى استأذن على تبع فاذن له وأجلسه معه على زربية تحته وتحدث معه وسأله عن أمواله بالمدينة فجعل يخبره عنها وجعل تبع كلما أخبره عن شئ منها يقول كل ذلك على هذه الزربية يريد بذلك تبع قتل أحيحة ففطن أحيحة انه يريد قتله فخرج من عنده فدخل خباءه فشرب الخمر وقرض أبياتا وأمر فكيهة ان تغنيه بها وجعل تبع عليه حرسا والابيات هى

يشتاق شوقى الى فكيهة لو * أمست قريبا ممن يطالبها

لتبكنى قينة ومزهرها * ولتبكنى قهوة وشاربها

ولتبكنى ناقة اذا رحلت * وغاب فى سردح مناكبها

ولتبكنى عصبة اذا جمعت * لم يعلم الناس ما عواقبها

فلم تزل فكيهة تغنيه بذلك يومه وعامة ليلته فلما نام الحرس قال لها انى ذاهب الى أهلى فسدى عليك الخباء فاذا جاء رسول الملك فقولى هو نائم فاذا أبوا الا أن يوقظوه فقولى قد رجع الى أهله وأرسلنى الى الملك برسالة فان ذهبوا بك اليه فقولى له يقول لك أحيحة اغدر بقينة أودع ثم انطلق فتحصن فى أطمه الضحيان وأرسل تبع من جوف الليل الى الازياد فقتلهم على فقارة من فقار تلك الحرة وأرسل الى أحيحة ليقتله فخرجت اليهم فكيهة فقالت هو راقد فانصرفوا وترددوا عليها مرارا كل ذلك تقول هو راقد ثم عادوا فقالوا لتوقظنه أو لندخلن عليك قالت فانه قد رجع الى أهله وأرسلنى الى الملك برسالة فذهبوا بها الى الملك فلما دخلت عليه سألها عنه فأخبرته خبره وقالت يقول لك اغدر بقينة أودع فذهبت كلمة أحيحة هذه مثلا فجرد له كتيبة من خيله ثم أرسلهم فى طلبه فوجدوه قد تحصن فى أطمه فحاصروه ثلاثا يقاتلهم بالنهار ويرميهم

بالنبل والحجارة ويرمى الهيثم بالابل بالتمر فلما مضت الثلاث رجعوا الى تبع فقالوا تبعثنا الى رجل يقاتلنا بالنهار ويضيفنا بالليل فتركه وانصرف

﴿فريدة مولاة آل الربيع﴾

هى مولدة نشأت بالحجاز ثم وقعت الى آل الربيع فعلمت الغناء فى دورهم ثم صارت الى البرامكة فلما قتل جعفر بن يحيى ونكبوا اهربت وطلبها الرشيد فلم يجدها ثم صارت الى الامين فلما قتل خرجت فتزوجها الهيثم بن مسلم فولدت له ابنه عبد الله ثم مات عنها فتزوجها السندى بن الحرشى وماتت عنده ولها صنعة جيدة منها فى شعر الوليد بن يزيد

ويح سلمى لو ترانى * لعناها ما عنانى
واقفا فى الدار أبكى * عاشقا حور الغوانى

ومن صنعتها أيضا

ألا أيها الركب النيام ألا هبوا * نسائلكم هل يقتل الرجل الحب
ألا رب ركب قد وقفت مطيهم * عليك ولولا أنت لم يقف الركب

﴿فريدة جارية الواثق﴾

كانت لعمرو بن بانة فأهداها الى الواثق وكانت من الموصوفات المحسنات وكانت حسنة الوجه حسنة الغناء حادة الفطنة والفهم وتزوجها المتوكل بعد الواثق. وقال صاحب الاغانى عن محمد بن الحرث انه قال كانت لى نوبة فى خدمة الواثق فى كل جمعة اذا حضرت ركبت الى الدار فان نشط الى الطرب أقمت عنده وان لم ينشط انصرفت وكان رسمنا ان لا يحضر أحدنا الا فى نوبته فانى لفى منزلى فى غير يوم نوبتى اذ أرسل الخليفة من هجموا على وقالوا لى أجب أمير المؤمنين فقلت هذا اليوم لم يحضرنى أمير المؤمنين قط لعلكم غلطتم فقالوا الله المستعان لا تطول وبادر فقد أمرنا ان لا ندعك تستقر على الارض فداخلنى فزع شديد وخفت ان يكون ساع قد سعى بى أو بلية حدثت فى رأى الخليفة على فتقدمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار فذهبت لأدخل على رسمى من حيث كنت أدخل فمنعت وأخذ بيدى الخدم فادخلونى وعدلوا بى الى طرق لا أعرفها فزادذلك فى جزعى وغمى ثم لم يزل الخدم يسلمونى من خدم الى خدم حتى أفضيت الى دار مفروشة الصحن ملبسة الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب ثم أفضيت الى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك واذا بالواثق فى صدره على سرير مرصع بالجواهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب والى جانبه فريدة جاريته عليها مثل ثيابه وفى حجرها عود فلما رآنى قال جودت والله يا محمد الينا فقبلت الارض ثم قلت خيرا يا أمير المؤمنين قال خيرا ترى أما تنظر ما نحن فيه أنا طلبت والله ثالثا يؤانسنا فلم أر أحق منك فحياك بادر فكل شيأ من الطعام وبادر الينا فقلت قد والله يا سيدى أكلت وشربت أيضا قال فاجلس فجلست وقال هاتوا لمحمد رطلا فى قدح فاحضر ذلك ثم قال لفريدة غنى فغنت

أهابك اجلالا وما بك قدرة * على ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس يا ليل أنها * قلتك ولا ان قل منك نصيبها

فجاءت والله بالسحر وجعل الواثق يجاذبها وفى خلال ذلك تغنى الصوت بعد الصوت وأغنى أنا فى خلال

غنائهما فرأنا أحسن ما مر لاحد فأنا كذلك اذ رفع رجله فضرب صدر فريدة بها ضربة تدحرجت من أعلى السرير الى الارض وتفتت عودها ومرت تعدو وتصيح وبقيت أنا كالمنزوع الروح ولم أشك ان عينه وقعت الى وقد نظرت اليها ونظرت الى فأطرق ساعة الى الارض متحيرا وأطرقت أتوقع ضرب العنق فانى لكذلك اذ قال يا محمد فوثبت فقال ويحك أرأيت أغرب مما تهيأ علينا فقلت يا سيدى الساعة والله تخرج روحى فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله فما كان سبب الذنب قال لا والله ولكن فكرت أن جعفرا يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هى قاعدة معى فلم أطق الصبر وخامرنى ما أخرجنى الى ما رأيت فسرى عنى وقلت بل يقتل الله جعفرا ويحيا أمير المؤمنين أبدا وقبلت الارض وقلت يا سيدى الله الله ارحمها ومر بردها فقال لبعض الخدم الوقوف من يجيء بها فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفى يدها عودها وعليها غير الثياب التى كانت عليها فلما رآها جذبها وعانقها فبكت وجعل هو يبكى واندفعت أنا بالبكاء فقالت ما ذنبى يا مولاى وبأى شئ استوجبت هذا فأعاد عليها ما قاله لى وهو يبكى وهى تبكى أيضا فقالت سألتك بالله يا أمير المؤمنين الا ضربت عنقى الساعة وأرحتنى من هذا الفكر وأرحت نفسك من الهم بى وجعلت تبكى وهو يبكى ثم مسحا أعينهما ورجعت الى مكانها وأومأ الى الخدم الوقوف بشئ لا أعرفه فمضوا وأحضروا أكياسا فيها دراهم ودنانير ورزما فيها ثياب كثيرة وجاء خادم بدرج ففتحه وأخرج منه عقدا ما رأيت قط مثل جوهره فألبسها اياه وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدى وخمسة تخوت فيها ثياب وعدنا الى أمرنا والى أحسن مما كنا فلم نزل كذلك الى الليل ثم تفرقنا وضرب الدهر ضربه وتقلد المتوكل فوالله انى لفى منزلى بعد نوبتى اذ هجم على رسل الخليفة فما أمهلونى حتى ركبت وصرت الى الدار فادخلت والله الحجرة بعينها واذا المتوكل فى الموضع الذى كان فيه الواثق على السرير بعينه والى جانبه فريدة فلما رآنى قال ويحك أما ترى ما أنا فيه من هذه أنا منذ غدوة أطالبها بأن تغنينى فتأبى ذلك فقلت لها يا سبحان الله أتخالفين سيدك وسيدنا وسيد البشر بحياتى غنى فعرفت والله انه تم التناول ثم اندفعت تغنى

مقيم بالمجازة من قنونا ✱ وأهلك بالاجيفر فالثماد

فلا تبعد فكل فتى سيأتى ✱ عليه الموت يطرق أو يغادى

ثم ضربت بالعود الارض ورمت بنفسها عن السرير ومرت تعدو وهى تصيح واسيداه فقال لى ويحك ما هذا فقلت لا أدرى والله يا سيدى فقال فما ترى فقلت أرى أن أنصرف أنا وتحضر هى ومعها غيرها فان الامر يؤل الى ما يريد أمير المؤمنين قال فانصرف فى حفظ الله فانصرفت ولم أدر ما كانت القصة

وقال محمد بن عبد الملك سمعت فريدة تغنى

أخلاى بى شجو وليس بكم شجو ✱ وكل امرئ مما بصاحبه خلو

أذاب الهوى لحمى وجسمى ومفصلى ✱ فلم يبق الا الروح والجسد النضو

وما من محب نال ممن يحبه ✱ هوى صادقا الا سيدخله زهو

بليت وكان المزح بدء بليتى ✱ فأحببت جهلا والبلايا لها بدو

وعلقت من يزهو على تجبرا ✱ وانى فى كل الخصال له كفو

قال فما سمعت قبله ولا بعده غناء أحسن منه وقال عمرو بن بانة غنيت امام الواثق يوما

قلت خلى فاقبلى معذرتى ✱ ما كذا يجزى محب من أحب

فقال لى تقدم الى الستارة فألقه على فريدة فالقيته عليها فالت هو غلى أو خل كيف هو فعلمت انها سألتنى عن صاحبة لها اسمها خل وكانت ربية معها وأخفت ذلك عن الواثق

وبقيت مدة فى دار خلافة الواثق حتى ماتت عنده

﴿فضل المدنية﴾

كانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها لاحدى بنات هرون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد ودرجت من هناك الى المدينة المنورة فازدادت طبقتها فى الغناء وأخذ عنها جملة من المغنين ولها أصوات حسنة مذكورة بالاغانى وبقيت بالمدينة الى أن ماتت بها

﴿فضل الشاعرة﴾

كانت فضل جارية مولدة من مولدات البصرة وكانت أمها من مولدات اليمامة بها ولدت ونشأت فى دار رجل من عبد القيس وباعها بعدان أدبها وخرجت واشتريت وأهديت الى المتوكل وكانت هى تزعم أن الذى باعها أخوها وان أباه وطئ أمها فولدتها منه فأدبها وخرجها معترفا بها وان بنيه من غير أمها تواطؤا على بيعها وجحدها ولم تكن تعرف بعدان أعتقت الا بفضل العبدية وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام أديبة فصيحة سريعة البديهة مطبوعة فى قول الشعر ولم يكن فى نساء زمانها أشعر منها

قال أحمد بن أبى طاهر كانت فضل الشاعرة مع رجل من النخاسين بالكرخ ببغداد له حسنويه فاشتراها محمد ابن الفرج أخو عمر بن الفرج الرخجى وأهداها الى المتوكل فكانت تجلس للرجال ويأتيها الشعراء فالقى عليها يوما أبو دلف القاسم بن عيسى

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطى الى مالم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فقالت فضل مجيبة له

ان المطية لا يلذ ركوبها * مالم تذلل بالزمام وتركب

والدر ليس بنافع أصحابه * حتى يؤلف للنظام بثقب

ولما دخلت على المتوكل يوم أهديت اليه قال لها أشاعرة أنت قالت كذا زعم من باعنى واشترانى فضحك وقال أنشدينا شيأ من شعرك فأنشدته

استقبل الملك امام الهدى * عام ثلاث وثلاثينا

خلافة أفضت الى جعفر * وهو ابن سبع بعد عشرينا

انا لنرجو يا امام الهدى * أن تملك الناس ثمانينا

لا قدس الله امرأ لم يقل * عند دعائى لك آمينا

فاستحسن الابيات وأمر لها بخمسة آلاف درهم وأمر عريب فغنت فيها

وكان المعتمد بن المتوكل عرضت عليه جارية وهو صغير فى خلافة أبيه فاشتط مولاها فى السوم فلم يشترها وخرج بها مولاها الى ابن الاغلب فبيعت هناك ولما ولى المعتمد الخلافة سأل عن خبرها فقيل له انها بيعت وأولدها مولاها الذى اشتراها فقال لفضل قولى فيها شيأ فقالت

علم الجمال تركتني * في الحب أشهر من علم
ونصبتني يا منيتي * غرض المظنة والتهم
فارقتني بعد الدنو * فصرت عندي كالحلم
لو أن نفسي فارقت * جسمي لفقدك لم تلم
ما كان ضرك لو وصلت * فخف عن قلبي الالم
أولا فطيفك في المنا * م فلا أقل من اللمم
صلة المحب حبيبه * الله يعلم كرم

وكتب محمد بن العباس اليزيدي يوما لها هذه الابيات

أصبحت فردا هائم العقل * الى غزال حسن الشكل
أضنى فؤادي طول عهدي به * وبعده عني وعن وصلي
منية نفسي في هوى فضل * أن يجمع الله بها شملي
أهواك يا فضل هوى خالصا * فما يبالي عنك من شغل

﴿فأجابته﴾

الصبر ينقص والسقام يزيد * والدار دانية وأنت بعيد
أشكوك أم أشكو اليك فانه * لا يستطيع سواهما المجهود
اني أعوذ بحرمتي بك في الهوى * من أن يطاع لديك في حسود

وكانت تهوى أحد جلسائها في مجلس الخليفة والخليفة لا يعلم ذلك فكتب لها ذات ليلة يوما رقعة وسلمها لها بحيث لا أحد يراهما فلما فتحتها وجدت فيها

ألا ليت شعري فيك هل تذكرينني * فذلك ذكرا لك في الدنيا الي حبيب
وهل لي نصيب من فؤادك ثابتا * كما لك عندي في الفؤاد نصيب
ولست بموصول فأحيا بزورة * ولا النفس عند اليأس عنك تطيب

﴿فكتبت اليه﴾

نعم والهي انني بك صبة * فهل أنت يا من لا عدمت مثيب
لمن أنت منه في الفؤاد مصور * وفي العين نصب العين حين تغيب
فثق بوداد أنت مظهر مثله * على أن بي سقما وأنت طبيب

ومرة اتكأ المتوكل على يدها ويد بنان الشاعر وجعل يمشي في داره وقال لهما أجيزا لي قول الشاعر

تعلمت أسباب الرضا خوف عتبها * وعلمها حبي لها كيف تغضب

﴿فقالت فضل﴾

تصد وأدنو بالمودة جاهدا * وتبعد عني بالوصال وأقرب

﴿فقال بنان﴾

وعندي لها العتبي على كل حالة * فما منه لي بد ولا عنه مذهب

وألقى أحد أصحاب أحمد بن أبي طاهر عليها يوما

ومستفتح باب البلاء بنظرة * تزود منها قلبه حسرة الدهر

﴿فقالت بديهة﴾

فوالله لا أدري أدري بما جنت * على قلبه أو أهلكته وما تدري

وكان علي بن الجهم يوما عند فضل الشاعرة فلحظها لحظة استرابت بها فقالت

يارب رام حسن تعرضه * يرمي ولا يشعر أني غرضه

﴿فقال مجيبا لها﴾

أي فتى لحظك لم يمرضه * وأي عقد محكم لم ينقضه

فضحكت وقالت خذ في غير هذا الحديث

وكان بينها وبين سعيد بن حميد الشاعر مراسلات ومواصلات أدبية فحضر مجلسها يوما ومعه بنان فأقبلت على بنان وتركته وذهب مغاضبا لها وظهر لها في وجهه ذلك فكتبت اليه

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى * لأقصرت عن أشياء في الهزل والجد

ولكنني أبدي لهذا مودتي * وذاك وأخلو فيك بالبث والوجد

مخافة أن يغري بنا قول كاشح * عدو فيسعى بالوصال الى الصد

﴿فكتب اليها سعيد﴾

تنامين عن ليلي وأسهره وحدي * وأنهى جفوني أن تبثك ما عندي

فان كنت لا تدرين ما قد فعلته * بنا فانظري ماذا على قاتل العمد

وجاءها أبو يوسف بن الدقاق الضرير وأبو منصور الباخرزي زائرين فحجبا عن الدخول اليها ولما رجعا وعلمت بجيئهما وانصرافهما قبل مقابلتها إياهما ذلك فكتبت اليهما تعتذر

وما كنت أخشى أن تروا لي زلة * ولكن أمر الله ما عنه مذهب

أعوذ بحسن الصفح منكم وقبلنا * بصفح وعفو ما تعوذ مذنب

﴿فكتب اليها أبو منصور الباخرزي﴾

لئن أهديت عتبا لي ولا خوتي * فضلك يا فضل الفضائل يعتب

اذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه * وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

وقال المتوكل يوما لعلي بن الجهم كان بيني وبين فضل موعد وقبل مجيئها قد شربت وسكرت فنمت وجاءت فضل للوعد فحركتني بكل ما ينتبه به النائم فلم أنتبه فلما علمت ان لا وصلة لها في كتبت رقعة ووضعتها على مخدتي وانصرفت فلما انتبهت وجدتها فاذا مكتوب فيها

قد بدا شبهك يا مو * لاي يحدو بالظلام

قم بنا نقضي لبانا * ت التزام والتثام

قبل أن تفضحنا عو * دة أرواح النيام

وكانت فضل تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف وكانت شاعرة فكان أبو شبل عاصم بن وهب يعاون فضلا عليها ويهجوها مع فضل وكان القصيدي والحفصي يعينان خنساء على فضل وأبي شبل فقال أبو شبل على لسان فضل

خنساء

خنساء طيري بجناحين * أصبحت معشوقة نذلين
من كان يهوى عاشقا واحدا * فأنت تهوين عشيقين
هذا القصيديّ وهذا الفتى الـ * ـصافعيّ قد زارا المذفردين
فضعت من هذا وهذا كما * يتم خنزير بحشين

﴿فقالت خنساء تجيبها﴾

ماذا مقال لك يا فضل بل * مقال خنزير بن فردين
يكنى أبا الشبل ولو أبصرت * عيناه شبلا راث كربين

﴿وقالت فضل في خنساء﴾

ان خنساء لا جعلت فداها * اشتراها الكسار من مولاها
ولها نكهة يقول محادثـ * ـها أهذا حديثها أم فساها

﴿وقالت خنساء في فضل وأبي شبل﴾

تقول له فضل اذا ما تخوفت * ركوب قبيح الفعل في طلب الوصل
حرام فتى لم يلق في الحب ذلة * فقلت لها الا بل حرام أبو شبل

﴿وقالت خنساء تهجو أبا شبل لمساعدته فضل عليها﴾

ما ينقضي فكري وطول تعجبي * من نعجة تكنى أبا الشبل
لعب الفحول بسفلها وعلائها * فتمردت كتمرد الفحل
لما كنيت بما كنيت به * وسمت النقصان بالفضل
كادت بنا الدنيا تميد ضحى * وترى السماء تذوب كالمهل

ولما وصلت هذه الابيات الى أبي شبل غضب منها ولم يجب عليها وقال يهجو مولاها هشاما

نعم مأوى العذاب بيت هشام * حين يرمى اللئام باغي اللئام
من أراد السرور عند حبيب * لينال السرور تحت الظلام
فهشام نهاره ودجى اللـ * ـيل سواء نفسي فداء هشام
ذاك حرز وانه ليس تخلو * أبدا من تخرق الاقلام

وزارت فضل سعيد بن حميد ليلة على موعد بينهما فلما حصلت عنده جاءتها جاريتها مبادرة تعلمها أن رسول الخليفة قد جاء يطلبها فقامت مبادرة فمضت فلما كان من غد كتب اليها ابن حميد

ضن الزمان بها فلما نلتها * ورد الفراق فكان أقبح وارد
والدمع ينطق للضمير مصدقا * قول المقر مكذبا للجاحد

وقال لها عبيد بن محمد صبيحة قتل المنتصر والمعتز ماذا نزل بكما البارحة فقالت

ان الزمان بذحل كان يطلبنا * ما كان أغفلنا عنه وأسهانا
مالي وللدهر قد أصبحت همته * مالي وللدهر ما للدهر لا كانا

وخرجت قبيحة جارية المتوكل الى سيدها يوم نيروز وبيدها كأس بلور بشراب صاف فقال لها ما هذا قد بنك قالت هديتي لك في هذا اليوم عرفك الله بركته فأخذها من يدها ونظر اليها فاذا مكتوب على خدها

نقطة جعفر بالمسك فشرب الكأس وقبل خدها وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا * بنفسي سواد المسك من حيث أثرا
لئن أثرت بالمسك سطرا بخدها * لقد أودعت قلبي من الحزن أسطرا
فيامن مناها في السريرة جعفر * سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

ثم قالت أيضا

سلافة كالقمر الباهر * في قدح كالكوكب الزاهر
يديرها خشف كبدر الدجى * فوق قضيب أهيف ناضر
على فتى أروع من هاشم * مثل الحسام المرهف الباتر

فلما سمع المتوكل هذه الابيات طرب طربا شديدا وأمر فغنى بها وأنعم على فضل إنعاما زائدا
وكتبت فضل الى سعيد بن حميد يوما

تبث هواك في بدني وروحي * فألف فيهما طمع بياس

فأجابها سعيد في وقتها

كفانا الله شر الياس اني * لبغض الياس أبغض كل آس

قال ابن أبي المدور الوراق كنت يوما عند سعيد بن حميد وكان قد بدأ ما بينه وبين فضل يتشعب وقد بلغه ميلها الى بنان المغني وهو بين المصدق والمكذب بذلك فأقبل على صديق له فقال قد أصبحت والقمن أمر فضل في غرور أخادع نفسي بتكذيب العيان وأمنيها ما قد حيل دونه والله إن ارسالي بعد ما قد لاح من تغيرها الذل وان عدولي في أمرها شبيه بالعجز وان تصبري لمن دواعي التلف ولقد رحم محمد بن أمية حيث يقول

ياليت شعري مايكون جوابي * أما الرسول فقد مضى بكتابي
وتعجلت نفسي الظنون وأشعرت * طمع الحريص وخيفة المرتاب
وترو على حركات كل محرك * والباب يقرعه وليس ببابي
كم نحو باب الدار لي من وثبة * أرجو الرسول بطمع كذاب
والويل لي من بعد هذا كله * ان كان ما أخشاه رد جوابي

قال ابن المعتصم غضب بنان المغني على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها فاعتذرت اليه فلم يقبل معذرتها فأنشدت في ذلك مصبرة نفسها

يا فضل صبرا إنها ميتة * يجرعها الكاذب والصادق
ظن بنان أنني خنته * روحي اذا من بدني طالق

وقال المتوكل لعلي بن الجهم قل بيتا وطالب فضل الشاعرة باجازته فقال علي أجيزي يا فضل

لاذ بها يشتكي اليها * فلم يجد عندها ملاذا

فأطرقت هنيهة ثم قالت

فلم يزل ضارعا اليها * تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد عشقا * فمات وجدا فكان ماذا

فطرب المتوكل وقال أحسنت وحياتي وأمر لها بمائتي دينار وأمر عريب فغنت بها وكتب سعيد بن حميد الى فضل رقعة قال في آخرها

تظنون أني قد تبدلت بعدكم * بديلا وبعض الظن إثم ومنكر
اذا كان قلبي في يديك رهينة * فكيف بلا قلب أصافي وأهجر

قال اسحق بن مسافر كنت يوما عند سعيد بن حميد اذ دخلت عليه فضل على غفلة فوثب اليها وسلم عليها وسألها أن تقيم عنده فقالت قد جاءني وحياتك رسول من القصر فليس يمكنني الجلوس وكرهت ان أقيم ببابك ولا أراك فقال سعيد من وقته على البديهة

قريب ولا نرجو اللقاء ولا نرى * لنا حيلة يدنيك منا احتيالها
فأصبحت كالشمس المنير ضوءها * قريب ولكن أين منا منالها
وظاعنة ضنت بها غربة النوى * علينا ولكن قد يلم خيالها
تقربها الآمال ثم تعوقها * مماطلة الدنيا بها واعتلالها
ولكنها أمنية فلعلها * يجود بها صرف النوى وانتقالها

وتغاضب سعيد بن حميد وفضل أياما ثم كتب اليها

تعالي نجدد عهد الرضا * ونصفح في الحب عما مضى
ونجري على سنة العاشقين * ونضمن عني وعنك الرضا
ويبذل هذا لهذا هواه * ويصبر في حبه للقضا
ونخضع ذلا خضوع العبيد * لمولى عزيز اذا أعرضا
فاني مذ لج هذا العتاب * كأني أبطنت جمر الغضى

فسارت اليه وصالحته

وكان سعيد بن حميد صديقا لأبي العباس بن ثوابة فدعاه يوما وجاءه رسول فضل يسأله المصير اليها فمضى معه وتأخر عند أبي العباس فكتب اليه رقعة يعاتبه معاتبة فيها بعض الغلظة فكتب اليه سعيد

أقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يعدل تارة ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه * الا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة ألمت مدة * ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون الى الاخاء جماعة * ان حصلوا أفناهم التحصيل
ولعل أحداث الليالي والردى * يوما ستصدع بيننا وتحول
فلئن سبقت لتبكين بحسرة * وليكثرن علي منك عويل
ولتفجعن بمخلص لك وامق * حبل الوفاء بحبله موصول

وحضر سعيد يوما في منزل بعض اخوانه فوجد عندهم فضل فأقام معهم عامة يومهم وآخر النهار غضبت منهم على النبيذ ثم انصرفوا وهم على ذلك وبعد أيام اجتمع سعيد مع اخوانه المذكورين وتصادف مجيء فضل على غير موعد فدخلت عليهم وسلمت عليهم سواء فقالوا لها أتهجرين أبا عثمان فقالت أحب أن تسألوه ان لا يكلمني فقال سعيد

اليوم أيقنت أن الهجر متلفة * وأن صاحبه منه على خطر
كرب الحياة لمن أمسى على شرف * من المنية بين الخوف والحذر
يلوم عينيه أحيانا بذنبهما * ويحمل الذنب أحيانا على القدر
تنأون عنه وينأى قلبه معكم * فقلبه أبدا منه على سفر

فوثبت اليه وقبلت رأسه وقالت لا أهجرك والله أبدا ما حييت وبعد ذلك بمدة غضبت عليه فكتب اليها

يا أيها الظالم مالي ولك * أهكذا تهجر من واصلك
لا تصرف الرحمة عن أهلها * قد يعطف المولى على من ملك
ظلمت نفسا فيك علقتها * فدار بالظلم على الفلك
تبارك الله فما أعلم الله بما ألقى وما أغفلك

فراجعت وصله وسارت اليه جوابا بالرقعة

وكان سعيد يوما في مجلس الحسن بن مخلد اذ جاءه غلام برقعة فضل فقرأها وضحك فقال الحسن بن مخلد بحياتي عليك أقرئنيها فدفعها اليه فقرأها واذا هي تشكو فيها شدة شوقها الى سعيد فضحك وقال قد وحياتي ملحت فاجب فكتب اليها

يا واصف الشوق عندي من شواهده * قلب يهيم وعين دمعها يكف
والنفس شاهدة بالود عارفة * وأنفس الناس بالاهواء تأتلف
فكن على ثقة مني وبينة * أني على ثقة من كل ما تصف

فلما وصل اليها الجواب طاب قلبها وسارت اليه وأقامت عنده عامة النهار وكرت راجعة ولما تعشقت بنان ابن عمر المغني وعدلت عن سعيد أسف عليها وأظهر تجلدا ثم قال فيها

قالوا تعزى وقد بانوا فقلت لهم * بان العزاء على آثار من بانا
وكيف يملك سلوانا لحبهم * من لم يطق للهوى سرا وكتمانا
كانت عزائم صبري أستعين بها * صارت علي بحمد الله أعوانا
لا خير في الحب لا تبدى شواكله * ولا ترى منه في العينين عنوانا

قال محمد بن السري انه توجه الى سعيد بن حميد في حاجة له فوجده في منزل الحسن بن مخلد فقصده واذا برسول فضل ناوله رقعة منها وفيها الابيات التي أرسلتها الى محمد بن العباس اليزيدي وأولها

* الصبر ينقص والسقام تزيد *

وفي آخرها أتاك أبا عثمان في حال التلف ولم تعدني ولا سألت عن خبري فاخذ بيد ابن السري ومضيا اليها فسألها عن خبرها فقالت هو ذا أموت وتستريح مني فانشأ يقول

لا مت قبلي بل أحيا وأنت معا * ولا أعيش الى يوم تموتينا
لكن نعيش بما نهوى ونأمله * ويرغم الله فينا انف واشينا
حتى اذا قدر الرحمن ميتتنا * وحان من أمرنا ما ليس يعدونا
متنا جميعا كغصني بانة ذبلا * من بعد ما نضرا واستوسقا حينا

ثم السلام علينا في مضاجعنا * حتى نعود الى ميزان منشينا

وبلغها حينما كانت مائلة الى بنان ان سعيدا عشق جارية من جوارى القيان فكتبت اليه

يا عالى السن سيئ الادب * شبت وأنت الغلام فى الطرب

ويحك ان القيان كالشرك الـ * منصوب بين الغرور والعطب

لا يتصدين للفقير ولا * يطلبن الا معادن الذهب

بينا تشكى هواك اذ عدلت * عن زفرات الشكوى الى الطلب

تلحظ هذا وذا وذاك وذى * لحظ محب وفعل مكتسب

واقتصد سعيد بن حميد يوما فقالت فضل لعريب وهل لك ان نذهب فنزور سعيدا قالت لها فلا مانع من ذلك وأرسلت اليه قبل زيارتهما هدايا منها ألف جدى وحمل وألف دجاجة فائقة وألف طبق ريحان وفاكهة ومع ذلك طيب كثير وشراب وتحف حسان فكتب اليها سعيد وان سرورى لا يتم الا بحضورك فجاءته فى آخر النهار وجلست معه على الشراب وغنتهم عريب عالزم فبينما هم كذلك واذا بالغلام يستأذن لبنان فأذن له فدخل اليهم واذا هو شاب طرير حسن الوجه حسن الغناء نظيف الثياب شكل فذهب بفضل كل مذهب فاقبلت عليه تحدثها ونظرها فتنمر سعيد واستطير غضبا وتبين بنان القصة فانصرف وأقبل عليها سعيد يعذلها ويؤنبها ساعة ثم أمسك فقالت منشدة

يا من أطلت تفرسى * فى وجهه وتنفسى

أفديك من متدلل * يزهو بقتل الانفس

هبنى أسأت وما أسأت * بلى أقول انا المسى

أحلفتنى ان لا أسا * رق نظرة فى مجلسى

فنظرت نظرة مخطئ * أتبعتها بتفرس

ونسيت انى قد حلفـ * ـت فما عقوبة من نسى

فقام سعد وقبل رأسها وقال لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته ونتجافى عن اساءته وغنت عريب فى هذا الشعر وشربوا عليه بقية يومهم ثم افترقوا وأثر بنان فى قلبها وعلقت به ثم لم تزل حتى واصلته وقطعت سعيدا

وكان ابراهيم بن المهدى يقول ان فضل كانت من أحسن خلق الله خطا وأفصحهم كلاما وأبلغهم فى مخاطبة وأثبتهم فى محاورة فقال يوما لسعيد بن حميد أظنك يا أبا عثمن تكتب لفضل رقاعها وتجيدها وتخرجها فقد أخذت نحولك فى الكلام وسلكت سبيلك فقال له وهو يضحك ما أخيب ظنك ليتها تسلم منى لا آخذ كلامها ورسائلها واقها بالله انى لو أخذ أفاضل الكتاب وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك (انتهى)

﴿قصة النوبية﴾

هى جارية السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت من النساء العاقلات الصادقات وقد اشتهرت بالفضيلة وقيل عن أبى العباس فى قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) قال مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما صلى الله عليه وسلم وعادهما عامة العرب فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك نذرا فقال على

إن برأتما بهما صمت لله عز وجل ثلاثة أيام شكرا وقالت فاطمة كذلك وقالت جاريتهما فضة النوبية ان برأ سيداي صمت لله عز وجل شكرا فلبس الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فانطلق علي الى شمعون الخيبري فاستقرض منه ثلاثة آصع من شعير فجاء بها فوضعها فقامت فاطمة الى صاع فطحنته واختبزته وصلى علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه اذ أتاهم مسكين فوقف على الباب فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من أولاد المسلمين أطعموني أطعمكم الله عز وجل على موائد الجنة فسمعه علي فأمرهم باعطائه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة الى الصاع وخبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ووضع الطعام بين يديه اذ أتاهم يتيم فوقف بالباب وقال السلام عليكم أهل بيت محمد يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهد والدي أطعموني فأعطوه الطعام فمكثوا يومين ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة الى الصاع الباقي فطحنته واختبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ووضع الطعام بين يديه اذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال السلام عليكم أهل بيت النبوة تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا أطعموني فاني أسير فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا الا الماء فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ما بهم من الجوع فأنزل الله تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا الى قوله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

ومن ذلك يعلم أن المترجمة ساوت نفسها بسيدتها فاطمة الزهراء فنالت بذلك فخرا لم ينله غيرها من نساء العرب وبقيت بخدمة هذا البيت حتى توفاها الله رضي الله عنها

فطنت بنت أحمد باشا والي طرابزون

ولدت في طرابزون سنة ١٢٥٨ هجرية وتربت في بيت أبيها أحسن تربية الى أن ترعرعت وصارت قابلة للتعليم فقدمها والدها الى مكتب حافظ آفندي أحمد معلم القراءة بتلك المدينة فصار يعلمها مبادي القراءة التركية والفارسية والقرآن الشريف فلما تعلمت تلك المبادي انتقل والدها الى الروملي الشرقية فأحضر لها المعلمين للخط وتدريس باقي العلوم حتى تعلمت كافة ما تحتاج اليه من التهذيب والتأديب ومالت نفسها الى العروض وبحوره وبرعت فيه أيضا حتى صارت نادرة زمانها ولها ديوان شعر باللغة التركية ومثله بالفارسية ولما أتمت علومها وبرعت في كل ما ألقي اليها آن أوان زواجها زوجها والدها من أحد الادباء الافاضل فعاشت معه عيشة حسنة وولدت له أولادا وبنات وتوفي عنها وهي في زهرة شبابها وبعد وفاته بمدة خطبها محمد علي بك أفندي كاتب أول نظارة البحرية في الاستانة وهي معه لغاية الآن في عيشة راضية

ولها مؤلفات عقلية وحكمية باللغة التركية وأشعار غزلية وغيرها منها

سرنكون ايتمدي فلك اسايي بيمانه سن * چونكه دلشادايلرناشاد اولان مستانه سن

عزم سوى ميكده الورمسدى چكدم اياق * باشنه چالسون همان أول يوفاد مخانه سن

عيش ونوش وصحبتي دكزالك هيچ بربوله * نيلرم ظل سراب آسابو مهمانخانه سن

جرعه نوش بادة الطافي أولمقدر محال * بند كان ترك ايتسونمي مجلس شاهانه سن

وادئ الام وغمده قالدم آی ساقئ دهر * محرم ایتدی یاززیرا مجلسه بیگانه سن
شمعهٔ سوزانه حاجت قالمدی چونکه یتر * آتش کورنده یاقدی عاقبت پروانه سن
پرتو جام جم دارا ایله فخر ایلسون * بعد ازین یادایتسون (فطنت) کبی دیوانه سن

(ومنها)

ایلسون تأثیر دردك جانه الله عشقنه * کیرمسون فمخانه بیگانه الله عشقنه
کیم بیلور درداهلنك حالن بنه یاری بیلور * قیل ترحم دیدهٔ کریانه الله عشقنه
بزم جانانم اوزاق بوسوزش حسرت ایله * کل سنکله یانه یم پروانه الله عشقنه
زخم فرقت بك بتوردی قالمدی بنده مجال * سویلدك بوحالی جانانه الله عشقنه
دل خراب آباد عشقکدر اتوقه رحم ایدوب * فطنتی کل ایله دیوانهٔ الله عشقنه

(ومنها)

ایتمه رغبت دشمن بدکاره الله عشقنه * ویرمه فرصت أو یله هرمکاره الله عشقنه
أولسون محرم رقیب اسراره الله عشقنه * سن ایدرسك راضیم ازاره الله عشقنه
(قیل مروت و یرمه یوز اغیاره الله عشقنه)

قایلادی مرآت قلبم غم ورنج ملال * بستر غمده یاتوب درد کله أولدم بی مجال
حسرت دیدارلنا یله ایلدی بك خسته حال * او یله زار اولدی تنم کاسه أجل بولمق محال
(بن شهید غمزه کم برچاره الله عشقنه)

ای طبیب جان ودل رحم ایله بو بیمارکه * منتظر در کوز کوز اولمش زخله تمارکه
باری بر کون مظهر ایله مهر لطف آثارکه * دست لطفکله دوا قیل خستهٔ ناچارکه
(مرهم کافور ایستر یاره الله عشقنه)

هی نه سحر ایتدك بکا أول چشم جادولر ایله * ایلدك عقلم پریشان زلف شبولر ایله
شانه وش صد چاك سینه م فکر کیسولر ایله * تازه یاره ایلمه چکان وابرولر ایله
(بندزخمی اچمدك بیماره الله عشقنه)

قالمدی دلده تحمل غیری درد فرقته * ایله محرم سودیکم برکره بزم وصلته
صون لب جانبخشکی بومبتلای محنته * نعل تابك ایله جان ویرتا أمید صحته
(صولك نفسده برمدد ناچاره الله عشقنه)

سرو قدك صورتی آیرلمز أصلا دیده دن * رخلرك کیتمز خیالی خاطر رنجیده دن
قونم الم قاچه لطف ایت عاشق غم دیده دن * صاقلامه کل رو یی بو بلبل شوریده دن
(عرض دیدار ایله ای مه پاره الله عشقنه)

غمزه دنکم تاب ییدن کاه خون آلود أولور * لحظه ده بیك عاشق اشفته دل نابود اولور
نظرهٔ خشمك دخی احساندن معدود اولور * هر نکاهك آفت جان دل یته خشنود اولور
(نه بلا یه دوشمش اول آواره الله عشقنه)

زنك غمدن صاف ایله سودیکم اینه کی * قیل چراغ بزم وصلك عاجز بی کینه کی

شويله دلسوز ايلدى بو بندهٔ ديرينه كى * سينه سينه ياندى سينه م كورميلدن سينه كى

(مرحمت قيل (فطنت) غمخواره الله عشقنه)

(ومنها)

هر يرده سنك سايه صفت همدمك أولسه م * قلب ايله لرساكى بنى همدمك أولسه م

بيله م كيمه دردمى ... نهانى درونك * كيرسه م بوركك ايچنه هب محرمك أولسه م

غرق ايلر ايدم قطرهٔ ناچيز وجودم * كلبرك جمالكده سنك شبنمك أولسه م

فكتوريا ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

كانت ولادة فكتوريا فى الرابع والعشرين من شهر ايار (مايو) احدشهور سنة ١٨١٩ وأبوها دوق كنت ابن الملك جورج الثالث ملك الانكليز وأمها الاميرة فكتوريا مارى لويزا اخت ليوبولد ملك بلجيكا وتوفى أبوها دوق كنت فى أوائل سنة ١٨٢٠ وعمرها ثمانية أشهر فقط وكان من الرجال العظام المشهورين بالفضائل والفواضل الساعين فى ترقية شأن الامة السابقين الى عمل الخير والاحسان فانه كان مشتركا فى أكثر من ستين جمعية خيرية فقامت أمها على تربيتها واهتمت بامرها فوق ماينتظر من الوالدات ولاسيما اذا كن أميرات فان أولاد الملوك والاشراف قلما ينالهم من الاعتناء الوالدى ماينال غيرهم من أولاد العامة ولكن فكتوريا نالت من ذلك الحظ الاوفر لاسيما لانها كانت وحيدة لامها فانقطعت الى تربيتها منتظرة أن يسلم لها زمام الملك يوما ما وتناط بها مهام السلطنة ولما صار لفكتوريا خمس سنوات من العمر عين لها البارلمنت أى مجلس الشورى الانكليزى ستة آلاف ليرة فى السنة لتنفق على تعليمها وتهذيبها فأكبت على الدرس حتى اذا صار لها من العمر احدى عشرة سنة فقط كانت تتكلم بالفرنسوية والجرمانية جيدا وتقرأ اللاتينية والطليانية وبرعت فى الموسيقى والتصوير وظهر منها ميل شديد الى العلوم الرياضية ولم يقتصر فى تربيتها على تهذيب عقلها وتوسيع معارفها بل صرفت الى ترويض جسمها لان العقل السليم لا يكون فى الجسم السقيم فمرنت على ركوب الخيل وقطع البحار ونحو ذلك من الاعمال التى تقوى البنية وتجيد الصحة وتزيد الشجاعة وتنزع الخوف وبغير ذلك لم يكن ممكنا لامرأة أن تحكم على مئات الملايين وتتولى أمورهم أكثر من خمسين سنة متوالية على اختلاف أجناسهم وبلدانهم وأغراضهم وحياتها عرضة للخطر من الخارجين عليها من أهل البغى والمجانين

وسنة ١٨٣٠ رقى عمها الملك وليم الرابع الى سدة الملك ولم يكن له أولاد أحياء من زوجته الشرعية فعينت فكتوريا وارثة له قبل أن تبلغ أشدها وجعل راتبها السنوى ستة عشر ألف جنيه ولكن لم تزل مكبة على الدرس والتجول فى البلاد لتقرن معارفها التاريخية والجغرافية بالمشاهدة وتطلع على أحوال البلاد من حيث الزراعة والصناعة ولما بلغت سن الرشد عند الانكليز وهو السنة الثامنة عشرة وذلك سنة ١٨٣٧ جرى لها احتفال عظيم فى البلاد وفى تلك السنة توفى عمها الملك وكانت وفاته فى العشرين من شهر يونيو (حزيران) فجاءها رؤساء المملكة وكانت نائمة فأيقظوها من نومها وأخبروها بوفاة عمها وبأن الملك صار اليها فابدت من الحزم والنباهة ما أدهشهم وفى اليوم التالى نودى بها ملكة بريطانيا العظمى وارلندا فى قصر سنت جمس وللحال شرعت تحمل مهام مملكتها الواسعة وتهتم فى شؤونها حتى خيف على صحتها من الاعتلال وأشار عليها الاطباء أن تنقطع مدة عن الاشغال

وفى العشرين من نوفمبر (ت ٢) فتحت البرلمنت أول مرة وعين راتبها السنوى فيه ٣٨٥ ألف ليره وكان وزيرها الاعظم اللورد ملبرن وكان رجلا جليلا محنكا فى السياسة الا أنها علمت أنه لا يدوم لها وأنه لا بد لها من أن تهتم بسياسة مملكتها بنفسها فكانت تطلب منه أن يشرح لها كل قضية من القضايا السياسية ولم تكن تمضى ورقة ما لم تفهم مؤداها جيدا

وفى الثامن والعشرين من يونيو (حزيران) سنة ١٨٣٨ توجت فى دير وستمنستر ووزعت أوراق على المدعوين بقدر ما يسع المكان ولكن أتى جم غفير من كل أنحاء البلاد لمشاهدة تتويجها فصارت ورقة الدخول تباع بخمسين جنيها لشدة ما فى نفوس رعاياها من التشوق الى مشاهدتها وكان التاج الذى توجت به مرصعا بالحجارة الكريمة وثمنه (١١٢٧٦٠ ليرة انكليزية) وبلغت نفقات تتويجها ٦٩٤٢١ ليرة وهذا المبلغ قليل فى جانب المبلغ الذى أنفق على تتويج عمها فانه بلغ ٢٣٨ ألف ليره وأما تاجها فانه صاغه لها أبرع الصناع الموجودين فى تلك السنة وهو معجزة هذا الزمان وفيه يقال ليس فى الامكان أبدع مما كان قد صيغ من الذهب على شكل بديع ورصع بالفين وسبعمائة وثلاثة وثمانين حجرا من الماس بألطف ترصيع وفى مقدمه ياقوتة كبيرة حمراء تضىء كالمشكاة فى الليلة الليلاء قيل انها أهديت من الملك فشتيلة بالاندلس الى الامير الاسود أحد ملوك الانكليز سنة ١٣٦٧ ميلادية وفى ذلك التاج ياقوتة زرقاء على غاية من الرونق والبهاء

وكانت قد رأت أميرا جرمانيا فى صغرها اسمه البرنس البرت بن دوق كوبرج والظاهر أنها أحبته من ذلك الحين فلما استوت على عرش المملكة أرادت أن تتبع سنة الله فى خلقه فكاشفت مجلس الشورى بانها عازمة أن تتزوج بهذا الامير فصوب المجلس رأيها وعين له ثلاثين ألف ليرة راتبا سنويا ولكنه اختلف فى نسبته اليها وفيمن منهما يكون له التقدم فقضت الملكة هذا المشكل بقولها ان مقامه يكون بعد مقامها بالنسبة الى المملكة فاقترنت به فى العاشر من فبراير (١٠ شباط) سنة ١٨٤٠ وكان لاقترانهما احتفال عظيم فى البلاد كلها

وفى الحادى والعشرين من نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٤٠ ولدت ابنته وهى التى صارت زوجة ولى عهد جرمانيا وفى السنة التالية ولدت ولى عهدها برنس أوف وليس فعم الفرح والحبور فى البلاد كلها وقدروا النفقات التى أنفقت احتفالا بميلاده بمائتى ألف ليره وفى السنة التالية أى سنة ١٨٤٢ زارت اسكتلندا فاحتفل الشعب الاسكتلندى بها وبزوجها احتفالا عظيما ثم زارتها مرارا كثيرة وكانت أحوال المملكة فى اضطراب بسبب مرض البطاطا وما ترتب عليه من الضيق فى ارلندا فصرفت عنايتها وعناية مجالسها الى تخليص رعاياها من هذا الضيق والاقتصاص من المجرمين الذين يكثر عددهم فى كل بلاد اشتد الضيق فيها فوقعت فى مخاطر كثيرة بسبب ذلك كما سيجىء .

وسنة ١٨٥٢ توفى القائد العظيم دوق ولنتون الذى قهر بونابرت فى واقعة واترلو فحزنت عليه الملكة حزنا شديدا وكتبت تقول انهم افتقدوا فخر انكلترا ومجدها ورأسها وأعظم من قام فيها وهذا شأن كل ملك عظيم يقدر رجاله قدرهم ولا يبخس الناس أشياءهم

ثم انتشبت حرب القرم وكان الشعب الانكليزى يرى من واجباته مساعدة الدولة العلية ضد هجمات الروس فظن أن رأى البرنس البرت زوج الملكة مخالف لرأيه فى ذلك فاتهمه بالخيانة والتشيع للروس

وكثرت القلاقل والاشاعات فأشاع بعضهم أنه ألقى القبض عليه وأودع السجن وألقى القبض على الملكة أيضا لتشيعها له ولكن البرنس أعرب عن آرائه السياسية فى البرلمنت فهدأت أفكار الناس وزال اضطرابهم وفى الشهر التالى استعرضت الملكة الجيوش الذاهبة الى القرم وزارت العمارة البحرية قبل سفرها الى البلطيك واهتمت بحوادث هذه الحرب أشد اهتمام وفى ابريل (نيسان) سنة ١٨٥٥ زارهما الامبراطور نبوليون وزوجته فردت لهما الزيارة فى شهر أوغسطس مع زوجها

ثم جاءتها سنة ١٨٦١ بأشد المصائب فتوفيت أمها فى السادس عشر من مارس (اذار) وتوفى زوجها فى الرابع عشر من ديسمبر وله من العمر اثنتان وأربعون سنة فحزنت عليهما حزنا مفرطا ولم تعد ترى فى المحافل العمومية الا نادرا حتى لما احتفل بزواج ابنها ولى العهد لم تحضر الا الى الكنيسة

وسنة ١٨٦٧ زارها جلالة السلطان عبد العزيز خان وملكة بروسيا وامبراطورة فرنسا ودهمتها مصيبتان أخريان الاولى وفاة بنتها الاميرة ايس سنة ١٨٦٨ والثانية وفاة ابنها دوق البني سنة ١٨٨٤ وما الملوك بمعزل عن المصائب والنوائب ولا يحميهم منها حصن ولا معقل

وقد مر الآن على هذه الملكة السعيدة زيادة عن خمسين سنة وهى مستولية على سدة الملك ولم يملك أحد غيرها من ملوك الانكليز خمسين سنة فأكثر الا ثلاثة وهم الملك هنرى الثالث الذى ملك من سنة ١٢١٦ الى سنة ١٢٧٢ والملك ادورد الثالث الذى ملك من سنة ١٣٢٧ الى سنة ١٣٧٧ والملك جورج الثالث الذى ملك من سنة ١٧٦٠ الى سنة ١٨٢٠ .

وقد ارتقى الشعب الانكليزى مدة ملكها ارتقاء لا مثيل له وامتدت السلطنة الانكليزية فى الاقطار المسكونة حتى يقال ان الشمس لا تغرب عنها كلها فى الاربع والعشرين ساعة * وحدث فى السلطنة الانكليزية حوادث كثيرة تستحق الذكر غير ما ذكر منها تخفيض أجرة البوسطة وتعديل شريعة المساكين واسكتلندا وارلندا حتى صاروا يتمتعون نفعا حقيقيا من مساعدة الحكومة وصارت المساعدة تصل الى الذين يحتاجونها حقيقة ومنها الغاء شرائع الحبوب وكانت هذه الشرائع تمنع ادخال الحبوب الى انكلترا الا عند الغلاء الشديد بما تفرضه عليها من المكس الفاحش فى أوقات الرخص فاذا كان ثمن الكوارتر (نحو ٢٠٠ أقة) من القمح ٦٢ شلنا أخذت الحكومة مكسا عليه ٢٤ شلنا وثلثى الشلن وكلما قل الثمن شلنا زاد المكس شلنا واذا زاد الثمن عن ذلك قل المكس كثيرا فاذا بلغ الثمن ٦٩ شلنا صار المكس ١٥ شلنا وثلثين واذا بلغ الثمن ٧٣ شلنا صار المكس شلنا فاذا اشترى أحد قمحا حينما كان ثمن الكوارتر ١٨ شلنا ثم رخص القمح فصار ثمن الكوارتر ٦٩ شلنا بلغت خسارته فى كل كوارتر ١٨ شلنا وثلثى الشلن لانه يلتزم حينئذ أن يدفع عليه مكسا ١٥ شلنا وثلثين بدلا من دفع شلن واحد

ومنها انتقال أملاك شركة الهند الشرقية الى الحكومة الانكليزية وبالتالى استيلاء الحكومة على كل بلاد الهند وجعلها قسما من السلطنة الانكليزية مع ان أهاليها يبلغون مائتى مليون وأهالى بريطانيا وارلندا لا يبلغون الآن ٣٥ مليون ومنها اباحة دخول البرلمنت لليهود ووضع نظام التعليم الجديد ولم يكن فى بلاد الانكليز نظام عام للتعليم حتى سنة ١٨٧٠ وما بعدها فأقرت الحكومة ترتيب المدارس على نظام ثابت وساعدتها بالاموال الوفيرة ففتحت أبواب المعرفة لكل ولد من أولاد الامة

ومنها اكتشاف الذهب فى استراليا وكولمبيا ومد التلغراف بين انكلترا وأمريكا وبين كل ولايتها واتساع نطاق الزراعة والصناعة والتجارة باتساع نطاق المعارف والاكتشافات العلمية وتكاثر السكك الحديدية والسفن التجارية

وفى الجملة تقول ان الشعب الانكليزى بلغ أوج مجده فى مدة هذه الملكة وتمتع بما يتبعه الناس من الحرية الشخصية حتى ان الحقوق التى طلبها الفيلسوف جون ستوروت فى كتابه المعنون بالحرية لم يبق لها داع لان الجميع تمتعوا بها او باكثرها

ونودى الملكة فكتوريا امبراطورة الهندستة ١٨٧٦ وقد ولد لها تسعة أولاد أربعة بنين وخمس بنات وهذه أسماؤهم مع ذكر رواتبهم السنوية

ليره	عدد	
٨٠٠٠	١	البرنسيس فكتوريا ارايلز وجة ولى عهد بروسيا
٤٠٠٠٠	٢	البرنس البرت برنس أوف ويلس
٦٥٠٠٠		دخل دوقية كورنول
١٠٠٠٠		لزوجة البرنس المذكور
	٣	البرنسيس السن وقد توفيت
٢٥٠٠٠	٤	الغرددوق أدنبرج
٦٠٠٠	٥	البرنسيس هيلانة
٦٠٠٠	٦	البرنسيس لويزا
٢٥٠٠٠	٧	البرنس أرتردوق كونوت
٦٠٠٠	٨	البرنس ليوبلد دوق اليني فقد توفى وجعل لزوجته فى السنة
٦٠٠٠	٩	الاميرة بياترس
٣٨٥٠٠٠		راتب الملكة السنوى
٤٥٠٠٠		داخل دوقية لنكستر

والملكة فكتوريا مشهورة فى حسن تدينها وشدة اهتمامها بتربية أولادها على مبادئ الديانة والتقوى وفى اهتمامها بالفقراء والمساكين والمحتاجين من رعاياها فتنفق عليهم من مالها وتشتغل بيدها أحزمة وأكسية وترسلها اليهم وتهتم أيضا فى شأن العلوم والمعارف شديد الاهتمام وتثيب المشتغلين فيها وتقطع لهم الرواتب السنوية جزاء لخدمتهم فالاستاذ هكسلى مثلا له راتب سنوى قدره ٣٠٠ ليرة والدكتور مرى له ٢٧٠ ليرة فى السنة ومتبوارنلد له ٢٥٠ ليرة والفردولس ٢٠٠ ليره

ومع فضل هذه الملكة العظيمة وشدة تعلق شعبها بها وحبهم لها لم يصف لها كأس الحياة من المعتدين الطالبين قتلها فقد صدق من قال ان المناصب محفوفة بالمتاعب فبعد زواجها بأربعة أشهر كانت ذاهبة فى مركبة مفتوحة مع زوجها فدنا منها شاب اسمه اكسفرد وأطلق عليها طبنجة مرتين ولكنه لم يصبها بمكروه فحكم عليه بالموت ثم وجد فيه اختلال فى عقله فابدل الحكم بوضعه فى بيمارستان المجانين مدى الحياة وسنة ١٨٤٢ حاول واحد آخر قتلها وأطلق عليها طبنجة فحكم عليه بالموت ولكنها خففت الحكم وحكمت

عليه بالنفى المؤبد وبعد أسابيع قليلة حاول واحد آخر أن يطلق عليها طبنجة فحكم عليه بالسجن وسنة ١٨٤٩ حاول رجل ارلندى قتلها ورماها بالرصاص فلم يلحق بها ضررا فحكم عليه بالنفى سبع سنوات وفى السنة التالية هجم عليها أحد الجنود وضربها بالعصا على وجهها فحكم عليه بالنفى سبع سنوات وسنة ١٨٧٣ أطلق عليها شاب طبنجة محاولا قتلها فلم يصبها ولدى النظر فى أمره وجد مجنونا فاودع البيمارستان وفى تلك السنة أرسل بعضهم رسالة الى السير هنرى بولسونبى يتهدد به الملكة بالقتل فهذه حياة الملوك وهذا هو نعلها او غيرها

وللملكة فكتوريا مؤلفات شهيران الاول فى تاريخ حياة زوجها أنشأه الجنرال غراى بارشادها والثانى تاريخ حياتها معه من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٨٦١ وأتبعته بكتاب آخر من نوعه نشرته فى أواخر سنة ١٨٨٣ وهو يمتد من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٨٢

اما زوجها البرنس البرت فهو ابن دوق سكس كوبرج كوتا وهى ولاية فى سكسونيا ولد فى السادس والعشرين من شهر أغسطس آب سنة ١٨١٩ ودرس العلوم العالية فى مدرسة بون الجامعة وبعد أن تخرج فى العلوم السياسية تعلق بالكيمياء والتاريخ الطبيعى والتصوير والموسيقى ويقال انه نظم رواية من نوع الاوبرا مثلت فى لندن بعد ذلك وكان بديع المنظر ماهرا بالفروسية

ولما اقترنت به الملكة فكتوريا على ما تقدم كان فى الحادية والعشرين من عمره فتح الاعانة الانكليزية وأعطيت له قيادة آلاى من الفرسان ورقى الى رتبة فيلد مرشال ثم وجهت اليه ألقاب ورتب كثيرة لان الشعب الانكليزى رأى منه رجلا حازما ساعيا فى خير الامة من غير أن يعرض نفسه للمسائل السياسية التى تعرض لها ومع حزب من حزبى المملكة والملكة وجدته زوجا أمينا محبا أما السبيل الذى اختاره للسعى فى خير الامة من غير أن يعرض نفسه لمقاومة أهل السياسة فهو تنشيط العلوم والفنون فجعل رئيس المدرسة كمبرج الجامعة لكثير من المجامع العلمية ولما كان رئيسا للمجمع العلمى البريطانى سنة ١٨٥٩ أعرب عن رأيه من جهة وجوب اهتمام الدولة بشأن العلم فقال سيزيد التفات الدولة الى العلم كما رجوحتى لا يبقى العلم معتمدا على احسان المحسنين بل يخاطب الدولة كما يخاطب الابن أمه وانما بحنوها ورغبتها فى نجاحه وستجد الدولة فى العلم عنصرا من عناصر قوتها ونجاحها وبسعيه فتح المعرض العام ببلاد الانكليز سنة ١٨٥١ ولكن لم يفسح الله له فى الاجل فوافته المنية وله من العمر اثنتان وأربعون سنة

﴿فكتوريا ودهول﴾

ان هذه السيدة من بنات أمريكا الجديرين بالذكر والمدح وممن يفتخر بهن فى الاجتهاد والتقدم لانها ربيت مع أختها تنس كلفن فى بلاد أمريكا تربية حسنة ومن عهد نشأتهما ربيت معهما ملكة التقدم وحب التظاهر ومناظرة الرجال بالاعمال اليدوية والمضاربات التجارية ومن شدة رغبتها فى التقدم قام بفكرهما أن يسويا بين الرجال والنساء فى الحقوق والمعاملات فأخذتا فى عهدتهما من بدء نشأتهما نشر هذه الافكار والبرهنة على كفاءة النساء فى ادارة الاعمال المالية وغيرها مما لم يقم باداءه الى الآن سوى الرجال وبالفعل فانهما قد أسستا بيتا ماليا كتبتا عليه عنوانهما فتعجب من ذلك أصحاب المضاربات (البورصة) وتضاعف اندهاشهم لما سمعوا بعد تأسيس المحل المذكور بعدة أسابيع أن صاحبتيه

اكتسبتا عدة ملايين من الريالات وقد أعقب ذلك وقوع أرباب البنوكة ذوى اللحى والشوارب في وهدة الافلاس

وقد رسم بعض المصورين هاتين البنتين وعلى رأس كل منهما تاج رمز اعلى القوة والتسلط وأطلقت الجرائد ألسنتها بالثناء الجميل والشكر الجزيل على مهارتهما وتغالت في ذلك حتى ان جريدة تلغراف نيويورك نشرت في صدر احد أعدادها صورة تمثل البنتين راكبتين على عجلة يجرها رؤساء أكبر البيوت المالية فقامت جريدة نيويورك هرالد تصوب نحوهما سهام الانتقاد والتعزير وقالت إن الشرائع الاميريكية وعاداتها الاهلية تمنع النساء من السير في المناهج السياسية والدخول في ميادين الاعمال الاجتماعية مهما بلغت بهن درجة العلم والمعرفة ولما اتصل بهما هذا الكلام لم تعبا به بل أخذتا في اتباع طريقهما الاول وحثتا السير فيه وانتهى الامر بهما الى أن أستأجرتا جريدة أسبوعية بلغ عدد مشتركيها في زمن يسير (٥٠٠٠٠) نفس ولما كانت القوانين الاميريكية تخول لجميع أبناء الوطن الذين بلغوا رشدهم الحق في اعطاء أصواتهم بشرط أن يدفعوا ما عليهم من العوائد والرسوم التى اقتضتها نظامات الحكومة وكانت السيدة ودهول من بنات الوطن اللاتى توفر فيهن شروط بلوغ الرشد ولكنها لم تدفع ما استحق عليها من العوائد والرسوم فقد عرضت على هيئة الحكومة أن تعطى لها الاذن بالدخول في مصاف الهيئة الاجتماعية ونفت عن استعدادها لدفع الرسوم المطلوبة ثم أخذت تبرهن بعبارات فصيحة وقياسات صحيحة على وجوب مساواة النساء بالرجال في الحقوق الوطنية وتحزب لمذهبها جم غفير من الناس وخمسمائة عضو من مجلس النواب نائبين عن ست وعشرين مقاطعة

وقد أخذ نجاح الاختين يتدرج في مدارك الزيادة والنمو حتى انهما عولتا على نشر مبدئهما الجديد ألا وهو تحسين أحوال المرأة في العائلة وكانتا في كل أقوالهما وكتاباتهما توجهان سهام الانتقاد والتبكيت على كيفية تعليم الفتيات وقالتا انها مشحونة بقواعد طويلة مملة ومبادى تميل بهن الى اتخاذ التملق واختلاق التمويه آلة لنوال مآربهن وذكرتا غير مرة أن البنت تتعلم لتكون في المستقبل امرأة صالحة ووالدة مربية لا لتزين بنهاوتهيئتها الان لتكون داعية لاستلفات أنظار الشبان وأن أهلها وذوى قرابتها ومعلماتها يخفون عنها أنها ستكون في يوم من الايام ربة بيتها ومدبرة شؤن عائلة ستكون هى قوام نظامها وركن سعادتها ودعامة عزها وشوكتها ثم انهم فوق ذلك لا يذكرونها بواجبها اذا صار بينها وبين الزواج زمن يسير وبالجملة فكانت جميع هذه الاقوال باعثة على قيام الجميع ضد هاتين الاختين فاتهموهما بنشر المبادى الفاسدة والعبث بصفة النساء الطاهرات الذيل وقد تغالوا في اتهامهما فنسبوهما الى بث المبادئ العاطلة في العادات السليمة والاخلاق الحالية وبناء عليه صار وايغلوهما في غياهب السجن ورغما عن كون المحكمة قد برأتهما وأطلقت سراحهما فان الناس استمر وايسومونهما الخسف وقالت احدى الجرائد الاميريكية في ذلك ما نصه

كانت اذا احتاجت فكتوريا ودهول أن تستأجر حجرة للمبيت فيها وكانت أجرة هذه الحجرة ٢٠٠٠ ريال لا يسمح لها بسكناها بأقل من ٣٠٠٠ ريال (واذا نزلت باحدى الفنادق كانت تدفع عشرة أمثال ما يدفعه غيرها وكثيرا ما قضت الليالى خارج المنازل لعدم قبول أحد أن يضيفها في منزله)

ولما وصلت الى هذا الحد حالتهما ورأتا عدم طيب المقام بارحتا أمريكا قاصدتين مدينة لوندره حيث

ذكرت مثواهما احدى النساء الانكليزيات ولم يذهب سعيهما فى بلاد أمريكا هباء منثورا فانه لا يرى الانسان فى الولايات المتحدة بالقارة المذكورة محلا من المحلات الا وجدت المرأة فيه بجانب الرجل تؤدى الاعمال كما يؤديها هو وتحقق من أن حقوقها صارت مرعية فهى لا تمتنع من اكتساب ما يقوم بمعاشها ومعاش أولادها من أى عمل رضيت به فهذه هى النساء وهذا هو الفخر اذ أن امرأة تعجز عن أعمال الرجال فى بلاد مثل أمريكا

﴿ فيدرا ابنة مينوس الكريتى ﴾

هى حليلة تيزى ملك أثينا هامت أثناء تغيب زوجها بابنه أبيوليت المولود من زوجته الاولى انيوبا ملكة الامازون وكان جميلا فتانا وأماتة ادى بها الوجد والالم وابتلاها الكتمان بالسقم باحت بما تجده من حر الجوى وبرحاء الهوى الى أمينة سرها أوتون أما أبيوليت فكان مفتونا بحب ادبسيا حفيدة أبيه ذات النسب الملكى التى كانت أيضا كلفت به دون أن يعلم كل بما له فى قلب الآخر فكانوا يمثلون سلسلة عشاق ومعاشيق ولكن تحت طى الستر والخفاء مخافة الافتضاح اذا قدر الجفاء

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا ❊ وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

فلما أرجف بموت تيزى زينت أوتون لفيدر مطارحة أبيوليت أحاديث الوجد واطماعه تراث العرش بالنيابة عن ابنها الطفل الذى كانت الامة تتردد فى الاختيار بينه وبين ادبسيا تلك التى استبشرت بالفكاك من الاسر حال ايقافها أبيوليت على دخيلة الامر بعد اذ كانت يئست من الخلاص وتلا عليها لسان الحال ذوقى عذاب ربك لات حين مناص فعاتبته كلتاهما بحديث وجد مقيم مقعد بلسان أغن ينشد

أرى فى فؤادى لوعة الحب لا تهدا ❊ أهذا الذى سماه أهل الهوى وجدا

قال أدبسيا عقدى ودادى وولاء ورمى فيدر بسهمى نفرة وجفاء ولم عض الامثل حسوة طائر أو لهنة مسافر حتى قيل عاد تيزى حيا فسقط فى يدى فيدر وقالت وبلاء لقد جئت شيأ فريا ثم عضت بنانها الخضيب بثنايا الندامة وتوقفت الى قيمتها أوتون نبال التقريع والملامة ولكن كان قد سبق السيف العذل فالجأت الى الغدر والختل حتى اذا حل زوجها الصرح قابلته بوجه باسر ودمع ماطر وخرطوم كخلب كاسر وقالت بصوت بقصف كالهزيم ما جزاء من أراد باهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم إن ابيوليت رمانى لاقتناص عن قوس احتياله بحربات نافذات كادت تفرى عرضا وفروتثلم سد المآرب وفى رواية ان ذلك كان بلسان أوتون ليتم الدست على تيزى المغبون فانطلت عليه زخارفها وجهر فى مجاهل مخارفها فنشبت برجلها الحبالة ولم يدر أن عرسه أروغ من ثعالة ففار على ابنه غيظا كما يفور المرجل واعنه وهو يحرق عليه الأرّم قائلا امض الى حيث ألقت رحلها أم قشعم ثم توسل الى معبود البحر نبتون أن يهلك ابنه الخؤن فمضى أبيوليت فى رهط من حاشيته أسيفا حزينا قاصدا مدينة ميسينة وكان أوعز الى أريسيا أن تلحق به ليشهدا المعبودات على اقترانهما وليقطعا غار البحر فى جر بعضهم مافبينما هو سائر على شاطئ البحر اذا بالامواج عات كالشواهق ثم هوت منكسرة كأنما رميت بجلاهق فبان من تحتها تنين أقشر هائل المنظر أجش الصوت تنوب أنيابه عن ملك الموت ففر القوم هاما متوارين عن الابصار الا ابيوليت فانه قابله بقلب من فولاذ وصدر كأنه ثبار ورمى فؤاده بحربة هى للارواح أسرق أخبار وللاعمار أقطع

بنار فانهار عند أرجل الخيل كالنخلة السحوق متخبطا بدمه كادما الصخر بفمه فنفرت الخيل وأى نفار وشردت المركبة متسابقة بين الصخور في القفار حتى تكسرت العواجل وسقط ابيولبت على الصحصان وكانت قد علقت رجله بالعنان فجعلت تجره الخيل مذعورة تتلاطم مدهوشة حتى تمزقت جثمانه بفعل الاشواك والصخور وتفجرت ينابيع دمه منسابة في تلك الشعاب والوعور ولم يدركه أصحابه الا والجريض في ثغره والحشرجة في صدره فأوصاهم أن يبلغوا أباه ما كان وأنه برئ من افتراء دلالة المكر والبهتان وأن يتوسلوا اليه عنه بان يتخذ خطيبته أديسيا بدلا منه عزاء لمصابه وشهدا على جام صابه ويعدمونه بدقائق أقبلت أديسيا تخطو دونه اهماج السرابق وانقضاض الصواعق فلما رأت محبوبها في تلك الحالة صعقت بصوت تدوى له الجو وانطرحت الى جانبه لا تفرق ولا تعي ولما ثاب اليها حلمها عادا بجميع أدراجها واتخذوا تؤا الى المليك منهاجا فقصوا عليه ذلك النبأ الفاجع وكان قبل ذلك أن أوتون أم البدائع ألقت بنفسها الى البحر كدا المـاجرى عن يدها من الفظائع ولما كاد صبح الحقيقة أن يلوح شربت فيدر سما ناقعا وقابلت تيزى كاسرة طرفا دامعا وأنبأته عن بوصمتها بعاصيرته على هامة من الويل بداعية تلبيته نداء شهوتها وكان السم قد استحكم في دورة دمائها فتحرقت مفردات أحشائها وسقطت أمامه جثة بلا روح فقامت عليه القيامة وعاد على نفسه بالتوبيخ والملامة وقطع مع اديسيا التي اصطفاها ابنة وخليلة عيشا ينغصه ذكرى (من نزوع العجلة بحصد الندامة)

﴿فيروزخونده﴾

بنت السلطان علاء الدين ملك دهلي في بلاد الهند كانت فريدة الزمان حسنا وبهاء وعقلا وذكاء ذات أدب وفصاحة وكياسة وملاحة محبة للمكرمات تفعل الخير مع كل من تراه مستحقا شاركت أخاها السلطان شهاب الدين في صعاب الامور وسلم اليها زمام الاحكام حتى انها باصالة رأيها اضبطت المملكة أحسن مما كانت عليه في مدة أبيها وكان أخوها لا يقطع أمرا الا برأيها ومن شدة محبته لها لم يرض أن يزوجها خارجا عن مملكته وزوجها الشخص غريب اسمه الامير غدا ابن الامير هبة الله بن مهنى أمير عرب الشام بقصد أن يقيم عنده كما قاله ابن بطوطة في رحلته

قال انه لما جاء الامير غدا ابن الامير هبة الله سائحا في بلاد الهند مر على دهلي فأكرمه السلطان شهاب الدين اكراما زائدا وأحب أن يأخذه ضيفه من محبته للعرب فزوجه أخته المذكورة وعمل له فرحا عظيما وكيفيته أن عين للقيام بشأن الوليمة ونفقاتها الملك فتح الله المعروف بشونويس وعين ابن بطوطة لملازمة الامير غدا والكون معه في تلك الايام فأتى الملك فتح الله بالصيوانات فظلل بها فسحات القصر الاحمر وضرب في كل واحد منها قبة ضخمة جدا وفرش ذلك بالفرش الحسان وأتى شمس الدين التبريزي أمير المطربين ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات والراقص وكلهن مماليك السلطان وأحضر الطباخين والخبازين والشوايين والحلوانيين والشربدارية والتبول وذبحت الانعام والطيور وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوما ويحضر الامراء الكبار والاعزاء ليلا ونهارا فلما كان قبل ليلة الزفاف بليلتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلا الى هذا القصر فزينه وفرشنه بأحسن الفرش واستحضر الامير سيف الدين لكونه غريبا غريبا لا أقران له وحفقن به وأجلسنه على مرتبة معينة له وكان السلطان قد

أمر أن تكون ربيبة أم أخيه مبارك خان مقام أم الامير غدا وأن تكون امرأة أخرى من الخواتين مقام أخته وأخرى مقام عمته وأخرى مقام خالته حتى يكون كأنه بين أهله ولما أجلسته على المرتبة بعد ما جعل له الحناء في يديه ورجليه وأقام باقيهن على رأسه يغنين ويرقصن وانصرفن الى قصر الزفاف وأقام هو مع خواص أصحابه وعين السلطان جماعة من الامراء يكونون من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة وعادتهم أن تقف التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذي تكون به جلوتها على زوجها ويأتي الزوج بجماعته فلا يدخلون الا إن غلبوا أصحاب الزوجة أو يعطونهم الآلاف من الدنانير ان لم يقدروا عليهم ولما كان بعد المغرب أتى اليه بخلعة حرير زرقاء مزركشة مرصعة قد غلبت الجواهر عليها فلا يظهر لونها لما عليها من الجوهر وبشاشية مثل ذلك ثم ركب الامير سيف الدين في أصحابه وعبيده وفي يد كل واحد منهم عصا قد أعدها وصنعوا شبيها بالاكليل من الياسمين والنسرين والريتون وله زخرف يغطي وجه المتكلل به وصدره وأتوا به وأعطوه الى الامير ليجعله على رأسه فأبى من ذلك وكان من عرب البادية لا عهد له بأمور الملك والحضر فحاوله ابن بطوطة وحلف عليه حتى جعله على رأسه وأتى باب الحرم وعليه جماعة الزوجة فحمل عليهم بأصحابه حملة عربية وصرعوا كل من عارضهم فغلبوا عليهم ولم يكن لجماعة الزوجة من ثبات وبلغ ذلك السلطان فأعجبه فعله ودخل الى القصر وقد جعلت العروس فوق منبر عال مزين بالديباج مرصع بالجوهر ملآن بالنساء والمطربات قد أحضرن أنواع الآلات المطربة وكلهن وقوف على قدم اجلالا له وتعظيما فدخل بفرسه حتى قرب من المنبر فنزل وخدم عند أول درجة منه وقامت العروس قائمة حتى صعد فأعطته التنبول بيدها فأخذه وجلس تحت الدرجة التي وقفت بها ونثرت دنانير الذهب على رؤس الحاضرين من أصحابه ونقطها النساء والمغنيات تغنين حينئذ والاطبال والابواق والانفار تضرب بخارج الباب ثم قام الامير وأخذ بيد زوجته ونزل وهي تتبعه فركب فرسه يطأ بها الفرش والبسط ونثرت الدنانير عليه وعلى أصحابه وجعلت العروس في محفة وحملها العبيد على أعناقهم الى قصره والخواتين بين يديها راكبات وغيرهن من النساء ماشيات واذا مر وابدار أمير أو كبير خرج اليهم ونثر عليهم الدنانير والدراهم على قدر همته حتى أوصلوها الى قصره ولما كان بالغد بعثت العروس الى جميع أصحاب زوجها الثياب والدنانير والدراهم وأعطى السلطان لكل واحد منهم فرسا مسرجا ملجما وبدرة دراهم من ألف دينار الى مائتي دينار وأعطى الملك فتح الله للخواتين ثياب الحرير المنوعة والبدر وكذلك لاهل الطرب وعادتهم ببلاد الهند أن لا يعطي أحد شيأ لاهل الطرب انما يعطيهم صاحب العرس وأطعم الناس جميعا ذلك اليوم وانقضى العرس وأمر السلطان أن يعطى الامير غدا بلاد المالوة والجزرات وكنباية ونهر والة وجعل فتح الله المذكور نائبا عنه عليها وعظمه تعظيما شديدا وكان الامير جافيا فلم يقدر ذلك حق قدره وغلب عليه جفاء البادية فأداه ذلك الى النكبة بعد عشرين ليلة من زفافه وذلك من تعديه على زوجته واحتقاره لها ولاهلها ورجال مملكتها فحقدوا عليه وأخرجوه من بينهم طريدا فريدا بدون زاد ولا راحلة وبقيت المترجمة في منزل أخيها معززة مكرمة لا ينقصها شيء سوى ما فاتها من صحبة زوجها وهكذا الزمان لا يصفو لاحد

(حرف القاف)

قتيلة بنت النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشية العبدرية

كان أبوها طبيب العرب وحارب النضر في يوم بدر مع قريش فأسر ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقتل قال التبريزي كان النبي صلى الله عليه وسلم تأذى به فقتله صبرا وكان من جملة أذاه أنه كان يقرأ الكتب في أخبار العجم على العرب ويقول ان محمدا يأتيكم بأخبار ثمود وعاد وأنا منبئكم بأخبار الاكاسرة والقياصرة يريد بذلك القدح بنبوته وقال ابن عباس في قول الله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا) انها نزلت في النضر بن الحرث وكان يشتري كتب الاعاجم من فارس والروم وكتب أهل الحيرة فيحدث بها أهل مكة واذا سمع القرآن أعرض عنه واستهزأ به فلما أسر يوم بدر أمر النبي عليا أن يضرب عنقه وعنق عقبة بن أبي معيط صبرا فقتلا فقالت قتيلة ترثي أباها وفي بعض الروايات أنها أخت محمد فانشدت الابيات الآتية فرق لها النبي وبكى وقال لها لو جئتني من قبل لعفوت عنه ثم قال لا تقتل قريش صبرا بعد هذا والابيات رواها كثيرون وشرحها شارح الحماسة وهي

يا راكبا إن الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتا فان تحية * ما أن تزال بها الركائب تخفق
مني اليه وعبرة مسفوحة * جادت لمائحها وأخرى تخنق
فليسمعن النضر ان ناديته * ان كان يسمع ميت أو ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
قسرا يقاد إلى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد أولست ضنو نجيبة * في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنت قابل فدية لفديته * باعز ما يغلو لديك وينفق
فالنضر أقرب من تركت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق

وبعد ما انتهت من قصيدتها وقال لها النبي ما قال قالت تمدحه بقصيدة مطولة عثرنا منها على هذا البيت

الواهب الالف لا يبغي به بدلا * الا الاله ومعروفا بما اصطنعا

وهذه القصيدة لعمري انها من القصائد التي يحق الافتخار بها لانها صادرة من ذات قناع وقد علمت قوة قائلتها من انسجام هذا البيت الذي ذكرناه لانه في غاية الرقة والانسجام

وتزوجت قتيلة بعبد الله بن الحرث بن أمية الاصغر بن عبد شمس فولدت له عليا والوليد ومحمدا وأم الحكم وقد أسلمت بعد قتل أبيها وصارت من الصحابيات المروي عنهن الحديث توفيت في خلافة عمر بن الخطاب

﴿ قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب ﴾

كانت جارية صفراء مدلاة حسنة الغناء والضرب حاذقة قد أخذت عن ابراهيم وعن ابنه اسحق ويحيى المكي وزبير بن دحمان وكانت لصالح بن عبد الوهاب واشتراها الواثق وكان الواثق قد جمع أرباب الغناء فغنى أحدهم بين يديه لحنا لقلم في شعر محمد بن كناس وهو

في انقباض وحشمة فاذا * صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها * وقلت ما قلت غير محتشم

فسأل لمن الصنعة فيه فقيل لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب فبعث الى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره فقال ويلك من هو صالح بن عبد الوهاب هذا فأخبره به قال ابعث له فأشخصه هو وجاريته فقدما على الواثق فدخلت قلم فأمرها بالجلوس والغناء فغنت فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها فقال صالح أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر فغضب الواثق من ذلك وردها عليه ثم غنى بعده زرزر الكبير في مجلس الواثق صوتا لقلم وهو

أبت دار الاحبة أن تبينا * أجدك ما رأيت لها معينا

تقطع نفسه من حب ليلى * نفوسا ما أثبن ولا جزينا

فسأل لمن الغناء فقيل لقلم جارية صالح فبعث الى ابن الزيات أن أشخص صالحا ومعه قلم فلما أشخصهما دخلت على الواثق فأمرها أن تغنيه هذا الصوت فغنته فقال لها الصنعة فيه لك قالت نعم يا أمير المؤمنين قال بارك الله فيك وبعث الى صالح فأحضر فقال أما اذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملك شيأ له فيه رغبة وقد أهديتها الى أمير المؤمنين فان من حقها علي اذا تناهيت في قضاء حقها أن أصيرها ملكه فبارك الله فيها فقال له الواثق قد قبلتها وأمر ابن الزيات أن يدفع له خمسة آلاف دينار وسماها احتياطا فلم يعطه ابن الزيات المال ومطله به فوجه صالح الى قلم من أعلمها ذلك فغنت الواثق وقد اصطبح صوتا فقال لها بارك الله فيك وفيمن رباك فقالت يا سيدي وما نفع من رباني مني الا التعب والغرم علي والخروج مني صفرا قال أولم آمر له بخمسة آلاف دينار قالت بلى ولكن ابن الزيات لم يعطه شيأ فدعا بخادم من خاصة الخدم ووقع الى ابن الزيات بحمل خمسة آلاف دينار اليه وخمسة آلاف أخرى معها قال صالح فصرت مع الخادم اليه بالكتاب فقربني وقال أما الخمسة آلاف الاول فخذها فقد حضرت والخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها اليك بعد جمعة فقمت ثم تناساني كأنه لم يعرفني وكتبت اليه كتابا أقتضيه فبعث الي اكتب لي قبضها (أي وصلا) وخذها بعد جمعة فكرهت أن أكتب قبضها فلا يحصل لي شيء فاستترت منه في منزل صديق لي فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه الى الواثق فبعث الي بالمال وأخذ كتابي بالقبض وابتعت بالمال ضيعة وتعلقت بها وجعلتها معاشي

﴿قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمي صاحب اشبيلية﴾

كانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصنعة الالحان وجلبت اليه من بغداد وجمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع وكانت تقول الشعر بفضل أدبها ولها في مولاها تمدحه

ما في المغارب من كريم يرتجى * الا حليف الجود ابراهيم

اني حللت لديه منزل نعمة * كل المنازل ما عداه ذميم

ومن قولها تشوقا الى بغداد

آها على بغدادها وعراقها * وظبائها والسحر في أحداقها

ومجالها عند الفرات بأوجه * تبدو أهلتها على أطواقها

متبخترات في النعيم كأنما * خلق الهوى العذري من أخلاقها

نفسي الفداء لها فأي محاسن * في الدهر تشرق من سنى أشراقها

ومن حسن صوتها وجمالها وتهذيبها حظيت عند مولاها وبقيت عنده في عز واقبال الى أن ماتت فأسف عليها أسفا شديدا

(حرف الكاف)

كاترينة هنريات دو بلزاك دوانتراغ

مركيزة فرنل خليلة هنري الرابع ملك فرانسا ولدت في اورليان سنة ١٥٧٩ للميلاد توفيت في باريس ٢٤ شباط سنة ١٦٣٣ وهي ابنة فرنسوا دو بلزاك دوانتراغ من زوجته الثانية ماري توشيت التي كانت قبل أن تزوجها عشيقة شارل التاسع ملك فرانسا أما كاترينة فكانت بديعة المعاني غاية في الجمال والدلال والذكاء فتنة للناس ذكرها رجال الدولة لهنري الرابع بعد موت عشيقته غبريالة دواستري فهام بها قبل أن يراها ولما التقيا ألقته في شرك الغرام فلم يجد عنها بعد ذلك سلوى وكانت برشاقتها ورقتها تزيده شغفا بها فأعطاها ٥٠٠ ألف فرنك وعاهدها خطا على أن يتزوجها اذا ولدت له ولدا ذكرا فلما أتى الخبر الى وزيره سلي استشاط غيظا ومزق المعاهدة أما هنري فكتبها ثانية وقدمها لها في تشرين الاول سنة ١٥٩٩ وسنة ١٦٠٠ أسقطت فتزوج الملك بماري دومديتشي وبعد تزوجه بها التقى كاترينه فأوسعته شتائم ولم يتمكن من اخماد غضبها الا بجعلها مركيزة لفرنيل وطلب اليها أن تتقرب الى الملكة وتؤانسها وألح عليها بذلك فأجابته الى طلبه ورضيت أن تقيم في اللوفر وولدت هنالك عدة أولاد وكانت فيه سببا لتنغيص عيشه وعيش الملكة وجرى لها مع سلي مناقشات شديدة فكان يذكر لها أمورا تغيظها وكانت تطلب الى الملك أن يفصله فلم يجب طلبها أما ماري دومديتشي فكانت تلح على هنري الرابع باسترجاع معاهدة الزواج التي عقدها معها وهي تمانع في ذلك أشد الممانعة وتريه الكل من رغب في الاطلاع عليها غير أن تمنعها أوقع بينها وبين هنري خصاما فطلبت اليه أن يسمح لها بالذهاب الى انكلترا مع أولادها فسمح لها بذلك بشرط أن ترد عليه المعاهدة ولكنها لم تسلمها الا بعد أن قبضت ١٠٠ ألف فرنك وعدلت عن السفر الى انكلترا فبقيت في فرنسا وواطأت جماعة على خلع الملك من جملتهم أبوها والكونت دوفرن أخوها لامها فلما كشفت المؤامرة حكم عليها بالموت وذلك في شباط سنة ١٦٠٥ غير انه كان لم يزل لجمالها سطوة على الملك فاسترضته عنها فبدل قصاصها هذا بالسجن وأطلق سبيلها أيضا ولم يلبث أن قربها ثانية فصار لها عنده من المنزلة والحب والاكرام ما كان لها أولا ولم تزل هذه حالها الى أن قرب الملك غيرها فهجرها فتركت البلاط الملكي وصرفت أيامها الاخيرة في فرنل وباريس ولما استنطقت ابنة كومان رفيقة الملكة مرغريتا بعد أن قتل هنري الرابع اتهمت كاترينا بالاشتراك في قتله غير أنه لما كان قد حكم على الابنة المذكورة بالسجن مدة حياتها بطولها لانها شهدت شهادة زور في غير تلك المسئلة لم يتمكن المؤرخون من الاستناد الى ما اتهمت به المركيزة ومن جملة الاولاد الذين ولدتهم كاترينة لهنري الرابع غبريالة انجليك التي تزوجت دوق ابرنون وتوفيت سنة ١٦٢٧ وغستون هنري دو فرنل ولد سنة ١٦٠١ وسمي اسقفا لمتس قبل لبس ثوب القسيسية غير انه لم يتم لبسه بل جعل دوقا لبيرام وتزوج بنت الكانشيليار سقير وتوفي سنة ١٦٨٢ ومن أراد الوقوف على تفاصيل هذه الحوادث فعليه بمطالعة الكتاب الذي ألفه دولسكور وترجمته عنوان عشق هنري الرابع وقد طبع في باريس سنة ١٨٦٣

﴿ كاترينه دوماوفنادشكوف ﴾

أميرة روسيا ولدت في سنة ١٧٦٤ توفيت بقرب موسكو سنة ١٨١٠ كانت ثالثة بنت الكونت (رومان فودوتشروق) تربت تربية علمية عند عمها الوزير الاول وكانت منذ نعومة أظفارها ميالة الى الافكار الحرة وحب الاستقلال دخلت البلاط وهي صغيرة أخت ولية العهد كاترينة الثانية وتزوجت في سنة ١٧٦٢ بالبرنس وشكوف فأقامت معه مدة في موسكو ثم رجعت الى البلاط وكانت أختها اليصابات قد صارت نديمة الامبراطور بطرس الثالث الجديد فحملتها الغيرة من أختها وكرهتها الارتباك البلاط وأعمال رجاله على الاشتراك عندما بلغت الثامنة عشرة من السن في مؤامرة ادارتها وخلعت الامبراطور بطرس الثالث وقتلته وولت امرأته الالمانية الامبراطورة وليس من المحقق ان ما استخدمت من الوسائل لتقوية تلك المؤامرة كان موافقا للناموس فعند قتله لبست ثوب رجل وامتطت جوادا وقادت فرقة من العساكر ولم تكن المكافأة التي حصلت عليها من الامبراطورة كافية ورفضت أن تجعلها قائدة للحرس الامبراطوري وآن ميلها الى الاستقلال وخشونة طبعها الى حرمانها من رضا الامبراطورة فاعتزلت عن البلاط وأكبت على الدرس والمطالعة ومعاشرة العلماء وبعد وفاة زوجها ساحت في غربي أوروبا وسنة ١٧٨٢ عهدت اليها الامبراطورة رياسة الاكادمية العلمية وسنة ١٧٨٤ عينتها لرياسة الاكادمية الروسية الجديدة ولها من الكتابات النثرية والشعر بشيء كثير وبعد وفاة الامبراطورة كاترينة سنة ١٧٩٦ أمرها الامبراطور بولس أن تنزل في قرية صغيرة من ولاية نفنودودفتوسط وأمرها فعفا عنها وخرجت من المنفى وصرفت باقي أيامها في أملاك لها بقرب موسكو

﴿ كاترينه امبراطورة الروسيا الاولى ﴾

ولدت كاترينا في شمالي ولاية ليفونيا سنة ١٦٨٢ وسميت مرتا وأبوها من صغار الانفار في الجيش الاسوجي واسمه يوحنا رابه توفي قبل ولادتها بزمن قصير فربتها أمها ثلاث سنوات بالحزن والفاقة الشديدة وتوفيت وتركتها عالة على الناس فشفق عليها رجل من أهالي قريتها وعالها مدة ثم أتى بها كاهن لوتري الى بيته في مدينة مرينبرج خادمة لاولاده ويقال انها بقيت في بيته الى أن توفي وانها كانت تلتقط من أولاده مبادي العلوم التي كانوا يتعلمونها في المدارس ولكن كل ما يروى عنها في حداثتها أقاصيص لا يركن اليها والذي يذكره المؤرخون أنها تزوجت في مرينبرج بجندي اسوجي سنة ١٧٠١ وانه في السنة التالية فتح الروسيون مدينة مرينبرج وقتلوا زوجها وأخذوها أسيرة فضمها الجنرال بور اليه ثم اتصلت بالامير منشكوف ورآها عنده الامبراطور بطرس الاكبر فراعه جمالها ولطف حديثها فقربها منه وكان قد طلق زوجته لمخالفتها له في المبدإ والرأي فعمد كاترينا في كنيسة الروم وسماها باسم كاترينا الكسيونا وأشهر زواجه بها سنة ١٧١٢ وكان قد تزوج بها سرا قبل ذلك ويقال ان الداعي لاشهار زواجه بها انه لما فتح الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٧١١ رأى أنه لا صبر له على فراقها لحبه اياها ولمشاركتها له في الرأي واجتهادها في مرضاته واعجابها باعماله ومآثره فسافر بها معلنا الى ميدان القتال كملكة محفوفة بالمجد والجلال وكانت تركب معه وتعرض نفسها للمتاعب والاخطار وتتلطف بالجنود وتزور المرضى منهم وتطيب قلوبهم ثم اشتدت الازمة على الامبراطور وضيقت عليه الجنود العثمانية حتى أيقن بالوبال ويقال

انه دخل خيمته حينئذ وأمر حرسه أن لا أحد يدخل عليه فجاءت كاترينا ودخلت عليه بالرغم عن أمره فلما رآها لم يتضرر من دخولها لاحتياجه الى سديد رأيها فأشارت عليه انه يصالح العثمانيين ويرد لهم البلاد التى أخذها منهم وقالت انها تتكفل بارضاء بلطجى محمد قائد الجيش العثمانى فسر منها وفوض اليها تدبير الامر فاختارت ضابطا حكيما وأرسلته الى عسكر العثمانيين بهدية سنية من الجواهر الغراء والنقود فعقدت شروط الصلح وأمضاها الفريقان وقد ارتاب كثيرون من المتأخرين فى صحة هذا الخبر وقالوا انه لا صحة لما يروى من مداخلة كاترينا فى عقد الصلح ومهما يكن من الامر فلا شبهة فى أن الامبراطور نفسه كان يحسب لها فضلا فى نجاته من الجنود العثمانية هو وجنوده وبعد ثلاث سنوات ولدت له ابنة ففرح بها فرحا عظيما وصنع رتبة سماها رتبة القديسة كاترينا اكراما لزوجته وجعل لها عيدا كل سنة تذكارا لها واتفق أنه تغلب قبيل ذلك على الاسطول الاسوجى وأسر أميره فأتى بالاسرى فى هذا العيد ودخل بهم مدينة بطرس برج باحتفال عظيم ثم سافر فى ممالك أوربا ليتطرف فى سياستها ويسبر غور رجالها وأخذ زوجته معه فولدت فى أثناء الطريق ولدا لم يعش الا يوما واحدا وكان هو قد سبقها قليلا فأسرعت اليه وهى نفساء لكى لا تمل من انتظارها وهذا دليل على أن رفاهية البلاط الملوكى لم تغير من طباعها ولا أضعفت من همتها وكانت تتفقد معه الاماكن التى زارها فى سياحته الاولى حينما زار أوربا لكى يتعلم صنائع أهاليها وفنونهم وسنة ١٧٢٤ ألبسها التاج وأوصى لها بالملك من بعده وقال انه سار معها الى الكنيسة ماشيا بصفة قائد لفرقة جددها سماها شفالية الامبراطورة ووضع التاج على رأسها بيده وأمر بان يقرأ الاعلان الآتى الذى أنشأه قبل ذلك وهو من حضرة الامبراطور المتولى على جميع الدولة الروسية الى جميع فئات القسيسين والضباط الملكيين والعسكريين والاهليين عموما الموصوفين بالامانة

لا يخفى على كل منكم العادة المستمرة الجارية فى الممالك المسيحية التى بمقتضاها يتوج الملوك زوجاتهم كما هو جار الآن وكما فعل الملوك المسيحيون الشرقيون فى الازمان الغابرة كالقيصر بازلند الذى توج زوجته زنوبيا والقيصر يوستنيانوس الذى توج زوجته لوبسينا والقيصر هرقل الذى توج زوجته مرتينه والامبراطور ليون الفيلسوف الذى توج زوجته ماريا وكذا جماعة غيرهم من القياصرة قد وضعوا التاج الامبراطورى على رؤس نسائهم ولا محل لذكرهم هنا جميعهم ومن المعلوم أننا طالما خاطرنا بأنفسنا واقتحمنا الشدائد والاهوال مدة الحرب الاخيرة التى مكثت احدى وعشرين سنة متوالية لحفظ وطننا وقد أنهيت هذه الحروب بعون الله بالشرف الكامل وبالصلح الذى لم يسبق انه وقع مثله لدولة روسيا ولم تحز قط من الفخار ما حازته بهذه الحروب وحيث ان زوجتنا الامبراطورة كاترينا قد ساعدتنا على الخلاص من ربقة هذه الاخطار فى عدة وقائع ولا سيما التى حصلت بيننا وبين الجنود العثمانية على نهر بروت حيث تضعضع حال جيوشنا وآل أمرها الى ٢٢ ألف مقاتل وكانت العساكر العثمانية ٢٧٠ ألفا وأظهرت فى تلك الازمنة غيرة عظيمة وشجاعة فائقة كما هو معلوم عند جيوشنا فبالنظر الى ذلك وبمقتضى التصرف والنفوذ الموهوب لنا من الله تعالى يتم تتويجها فى فصل الشتاء من هذه السنة بمدينة موسكو وقد أعلنا ذلك قبلا لرعايانا المحبين الامناء ومحبتنا الامبراطورية لا تزال لهم بدون نقص ولا تغيير

ثم ساء ظن الامبراطور بها فى أواخر سنة ١٧٢٤ وهى السنة التى توجها فيها وأمر بقتل الرجل الذى

اتهمها به والارجح أن تهمته لها كانت باطلة ولم تطل حياته بعد ذلك لانه توفى بداية سنة ١٧٢٥ فأخفت هى ورجال بلاطها خبر موته الى أن يستتب لها الامر من بعده وقد اتهمها البعض بانها دست له السم وهذا أيضا لادليل على صحته ولاسيما لانها لم تكن على يقين من وصول الامر اليها وتضاربت الاراء بعد وفاته فيمن يخلفه ولكن تحزب لها الامير منشكوف وغيره من أهالى المناصب الرفيعة والكلمة النافذة وتقدم رئيس اساقفة بلوسكو وأقرّ أمام الجنود والشعب أن الامبراطور رأوصى لها بالملك من بعده اذ قال انه لا يرى كفؤا لخلافته غيرها ولما قال ذلك انكسرت شوكة اضدادها وأقرّ الجميع على مبايعتها فاستقرت على عرش روسيا فى خطة زوجها لانها سلمت تدبير أمور المملكة الى منشكوف الحكيم ومن الاعمال العظيمة التى عملتها أنها أبطلت مجلس الاعيان وألغت ألقاب المجمع المقدس وقيدت خدمة الدين ضمن دائرة الكتب المقدسة وعضدت مجالس المعارف وعينت لاعضائه المرتبات الطائلة وأناطت أشغال الدولة بمجلس شوراها السرى ولكنها لم تختم حياتها بالخير كما بدأتها اذ يقال انها مالت الى المسكر فى أواخر أيامها وعاشت عيشة أسرعت بها الى القبر فتوفيت فى السابع عشر من شهر مايو (ايار) سنة ١٧٢٧ ولا مشاحة فى أنها كانت امرأة عظيمة رقت نفسها من الذل وتسلطت على قلب ملك من أعظم ملوك عصرها ولم تقنع نفسها الكبيرة بانها صارت زوجة شرعية لهذا الملك العظيم بل رفعتها همتها الى عرش روسيا فصارت عالية على أشراف الروس العريقين فى النسب وأحسنت السياسة فيهم وأبقت لها بينهم ذكرا مجيدا

﴿كاترينا الثانية امبراطورة روسيا وهى ابنة دوق انهلت زربست﴾

هذه الملكة كانت أديبة عاقلة عالمة بضروب السياسة تبوأت الملك فى سنة ١٧٦٢ وتوفيت سنة ١٧٩٦ فكانت مدة ملكها أربعا وثلاثين سنة وفى أيامها اكتسبت روسيا نفوذا أوّليا قاطعا فى السياسة الاوروباوية واعترف بانها من دول أوربا العظمى وأدركت منافع السلم الخارجى بتوجيه خواطرها واجتهادها الى تقدم امبراطوريتها وبعد استوائها على عرش الملك بمدة وجيزة أرجعت العساكر المشتركة بحرب السبع سنين وجعلت عرشها محفوفا بجمهور من رجال السياسة والحرب المشهورين بالحذق أكثر من اشتهارهم بالسجايا ومنهم غالتسين ورومياتزف وبانين وأورلوف وستلينكوف وسوفادوف وتشرنشيف وربنين وبوتمكين وكانت لها اليد الطولى بتقسيم بولونيا فى عام سنة ١٧٧٢ وسنة ١٧٩٣ واستولت على نحو ثلثيها وفى اثر حروب كثيرة ضمت الى روسيا القرم وأزوق وغيرهما ومساحة ما ضم الى امبراطوريتها أيام ملكها نحو مائتين وخمسة وعشرين ألف ميل مربع ومنها كورلند وأما أعمالها الايلة الى تقدم البلاد الداخلى فلم تكن أعمالها الحربية أعظم منها فان نحو خمسين ألفا من الغرباء المجدين استوطنوا أراضى روسيا الزراعية الجنوبية وأنشأت عدة بيوت للتعليم والاحسانات الى المعوزين وأكسبت التجارة البرية والبحرية والصناعة نجاحا عظيما ورواجا كثيرا وأصلحت ادارة الامبراطورية حق الاصلاح وسنة ١٧٦٦ عقدت جمعية من وكلاء الولايات لوضع قانون ونظام جديد وكانت درجة تعليم النساء فى أول ملكها منحطة جدا فأفرغت هذه وسعها فى سبيل ترقية قواهن العقلية واعلاء درجتهن فى الهيئة الاجتماعية ومن الوسائل التى استعملتها انشاؤها مدرسة كاثرينية للبنات فى بطرس برج من

قوانينها أن الابنة متى دخلتها لا تتمكن من تركها الا بمضى سبع سنوات لاعتقادها ان هذه المدة تعتبر كافية لكمال التهذيب وكانت المدرسة المذكورة مقسومة الى قسمين القسم الاول لاجل تربية بنات الشرفا والثانى للدرجة الوسطى من الشعب وكان عدد البنات اللواتى تلقين التربية فيها ٥٠٠ ومن ذلك الحين سنة (١٧٦٤) أخذت مدارس الاناث بالازدياد فى كل روسيا وأنشأت لهن الامبراطورة محلات للرياضات الجسدية فى كل انحاء المملكة وبلغ عددها (سنة ١٨٧٣) ٢٠٠ وعدد التلميذات ٢٣٠٠٠ وتجمع دراهم خصوصية من البلديات للقيام بمصاريف المدارس المذكورة التى لم تنحصر نفعها فى تربية النساء الروسيات فقط والآن آل تقليل النفور والبغضاء الناتجة عن التفاوت فى حقوق الولادة والمركز والثروة فتذهب التلميذات الى محل الرياضات الجسدية بدون تمييز النسب والقرابة ويلبسن فى ظروف كثيرة ملابس واحدة وفى المدينة المؤلفة من أجناس مختلفة من الاهالى لا يراعون الجنسية فترى البنات التتريات والبشكيريات مختلطات مع الروسيات فى الشرق كاختلاط الروسيات والبولونيات فى الغرب واذا اعتبرنا الزمان الذى ابتدئ فيه بالاعتناء بتربية النساء فيها نحكم بانهن قد أظهرن من الذكاء والميل الطبيعى لتلقى العلوم والتربية الحسنة شيأ كثيرا وسنة ١٨٧٢ كان فى مدرسة زوريخ الكلية ٦٣ تلميذا و ٥٤ منهن من الروسيات ولا يراعون اختلاف الاديان فى ادخال التلميذ الى المدارس فحقوق الطوائف متساوية فى هذا الصدد ويوجد فى كل مدرسة كهنة مخصوصون للاهتمام بامور التلامذة الدينية فلا يتعرضون للمسلمين واليهود فى شئ من أمورهم الدينية واذا فرضنا ان عدد التلاميذ من مذهب واحد لم يكن كافيا لتعيين المدرسة لهم مدرسا دينيا فيترك الاعتناء بامر دينهم الى والديهم أو أقاربهم وقد أبطلت الامبراطورة فيها القصاصات بالقتل أو الضرب ولا يحكمون بالقتل الآن الا على مرتكبى أكبر الجنايات ولا تقوى المجالس الجنائية على الحكم به ولكن تحال الدعوى الى مجالس عالية تتشكل فى هذه الظروف ولا يزالون فى سيبيريا يقاصون المجرمين بالضرب وذلك لاجل المحافظة على الترتيب بينهم وذكر فى تقرير سنة ١٨٦٠ و ١٨٦٨ ان معدل عدد المذنبين فيها ٣٤٠٠٠ من ذنوب مدنية وجنائية وسياسية وعدد الذين حكم عليهم بالقصاصات من المذنبين وحكم على ١٢١١ منهم بالاشغال الشاقة وعلى ٢١٧٢ مذنبا بالابعاد الى سيبيريا وعلى ٢٤٨٨ بالنفى المؤبد وعلى ٦٦٦٧ بالسجن فى القلاع حيث يشتغلون بالصنائع اليدوية الشاقة وعلى ١٣٦٦٩ مذنبا بالسجن وعلى ٥٧٧٥٧ مذنبا بقصاصات خفيفة وأما جرائم السرقة فكانت ٣١ فى المائة من عدد المذنبين وحوادث القتل ٢ فى المائة وكان عدد النساء المذنبات فى الاربعة وثمانين ألفا نحو ١٨٨٠٠ وأكثر قليلا من عشرة فى المائة وبالجملة فان نتيجة اجتهاد هذه المالكة جعلت البلاد فى تقدم ظاهر حسدتها عليه باقى الدول وكانت مع ماهى عليه من سمو الافكار واتساع المدارك لا تألو جهدا من اشتغالها بفن التطريز والتصوير والنقش والحفر بالمعادن والعاج وذلك لتعلقها فى الصناعة وكانت محبة للعلماء مقربة لهم وأخصهم الفلاسفة المشهورون وكانت مرة أهدت الى فولتير علبة من العاج من صنع يدها فسر فولتير لهذه الهدية وبعد قليل كافأها بان قدم لها زوجا من الجرابات الحريرية من صنع يده وأرسل لها رسالة يقول فيها ان جلالتك تكرمت باهداء ماهو من أعمال الرجال ولكنه مصنوع بأيدى النساء فاهديتك ماهو من أعمال النساء ولكنه مصنوع بايدى الرجال وانى أرجو قبول هديتى وعساها أن تنال حظا لديك

ولما وصلت لها هذه الهدية سرت سرورا لامزيد عليه وأكرمته اكراما زائدا وبالجملة فان هذه الملكة لم يتول تخت روسيا من النساء مثلها

﴿ كبشة بنت معدى كرب الزبيدى أخت عمرو بن معديكرب المشهور صاحب الصمصامة ﴾

كانت مشهورة بين نساء زمانها بالحسن والجمال والذكاء والشجاعة والاقدام وكانت تقول الشعر وتغلب على شعرها الحماسة وطالما كانت تعرض على أخيها عمرو وتفاخره وكانت تزوجت عبد الله بن منقذ الهلالى وقد ائتلفت معه ائتلافا شديدا وأحبته حبا لامزيد عليه ومكثت معه مدة وهما على غاية مايرام من الراحة والرفاهية حتى كان ذات يوم غزا غزوة فى العرب فكان فيها يومه وبلغ الخبر كبشة فشقت عليه الجيوب ولطمت الخدود ورثته بمراث كثيرة منها قولها

وأرسل عبد الله اذحان يومه * الى قومه لاتعقلوا لهم دمى
ولاتأخذوا منهم افالا وأبكرا * وأترك فى بيت بصعدة مظلم
ودع عنك عمرا ان عمرا مسالم * وهل بطن عمرو غير شبر لطعم
فان أنتم لم تثأروا واتديتم * فمشوا بآذان النعام المصلم
ولاتشربوا الا فضول نسائكم * اذا ارتملت أعقابهن من الدم

﴿ كبك خاتون زوجة السلطان أوزبك ﴾

قال ابن بطوطة كبك خاتون (بفتح الكاف الاولى وفتح الباء الموحدة) بنت الامير نغطى (بنون وغين معجمة وطاء مهملة مفتوحات وياء مسكنة) وأبوها كان مبتلى بعلة النقرس قال وقد دراً يته فى غد دخولنا على الملكة دخلنا على هذه الخاتون فوجدناها على مرتبة تقرأ فى المصحف الكريم وبين يديها نحو عشر من النساء القواعد ونحو عشرين من البنات يطرزن ثيابا فسلمنا عليها وأحسنت فى السلام والكلام وقرأ قارئنا فاستحسنته وأمرت بالقمز فأحضر وناولتنى القدح بيدها كمثل مافعلته الملكة وانصرفنا عنها

وقد أجزلت لنا العطاء وهكذا عادتها فانها تكرم كل من تسمع به انه غريب ولها مآثر حسنة وخيرات واسعة ومبرات على الفقراء والمساكين لم يسبقها عليها أحد من نساء زمانها

﴿ كريمة بنت محمد بن حاتم ﴾

جاورت بمكة المكرمة وروت صحيح البخارى عن الكشميهنى وروايتها من أصح روايات البخارى وروت عن زاهر السرخسى وكانت تصنف كتبها وتقابل بنسخها وهى فى الفهم والنباهة وحدة الذهن بحيث ترحل اليها أفاضل العلماء وكان لها مجلس بمكة المكرمة تجتمع فيه الطلبة والافاضل من رجال كل علم وهى تلقى على كل نوع مايطلبه بعبارة فصيحة المأخذ مفهومة المعنى وكان أكثر ميلها الى الحديث حتى بلغت فيه حدا لم يبلغه غيرها ولم تتزوج قط وبلغ عمرها ١٠٠ سنة وتوفيت بمكة المكرمة

﴿ كليوباتره ملكة مصر ﴾

هى من الملوك البطالسة الذين تغلبوا على مصر عقيب دولة الفراعنة اقترنت بأخيها بطليموس ديونيسيوس

سنة ٢٥ قبل الميلاد وكان فى سن الثالثة عشرة وهى فى سن السابعة عشرة فراودتها نفسها على الاستئثار
بالعرش دونه فقاومها رجال البلاط وأوصياء زوجها القاصر حتى اذا أعيتها الحيلة عمدت على الاستنصار
باغسطوس قيصر الرومان فألف ذات بينهما ولكنها بعد قليل تزوجت بأخيها الثانى ولم يكن قد أتى عليه
احدى عشرة سنة فنودى به بأمر قيصر ملكا على مصر ثم مات هذا مسموما بعد زواجه بأربعة أعوام ولما
خلا العرش من ملك بعث انطنيوس أحد مشتركى دولة الرومان الاربعة فاستدعى كليوباتره الى
طرسوس حيثما كان ذاهبا الى محاربة بروتوس الرومانى فلبت الدعوة وسارت على أجنحة الرياح حتى
بلغت نهر طرسوس وهنالك اتخذت لها سفينة فاخرة الاثاث أرجوانية السجف والقلاع مزدانة ببديع
الاوانى ونفائس الجوهر وأفرغت على قدها الفتان حلة كسروية مدبجة بالدر وكللت جبينها الوضاح
بتاج وهاج وألبست وصائفها الحور ثيابا خضرا من سندس واستبرق وتصدرت بينهن كأنها الشمس
وكأنهن البدور وهن يضربن بالعيدان والقياثر ويطلقن البخور والند حتى عبق الشاطئ برياحها
وماج النهر طربا بنغمات أعوادهن ولألاء محياهن فلما القيها انطونيوس استطار فؤاده شغفا وذهب
رشده هياما وكلفا فاعتزم أن عاد معها الى الاسكندرية وهنالك زفت عليه حليلة فلم يستطع بعد على فراقها
صبرا فغادر واجباته ومهامه الى التقادير وأصبح لا يستفيق من خمرة حبها سكرا ولما طار الخبر الى زوجته
الاولى أوكتافيا نزغها من شيطان الغيرة نازغ فأغرت أخاها أوكتافيوس أحد الشركاء الاربعة على مخاصمته
والانتقام منه فحشد جيشا خميسا وقصد به الديار المصرية فتغلب عليها بعد نزال يشيب لهوله الوليد ولما
حمى الوطيس وأحس انطونيوس بسوء المنقلب سقط فى يده ولات حين ندامة فتناول مديه وطعن بها نفسه
فكانت القاضية وأما كليوباتره فلما لم تنطل أحابيلها على أوكتافيوس ولم تقو على احتماله بما أوتيت
من الجمال الباهر واللطف الساحر بفوات عرشها بعدان أحاطت به جواريها وأترابها وكانت قد زينت
رأسها بالتاج وأفرغت على جسدها البلورى حلة من نفيس الديباج ثم زحزحت غلالتها عن نهديها
العاجيين وأطلقت حية خبيثة على صفحة صدرها المزرى باللجين فلدغتها لدغة مشوق ملهوف أوردها
حياض الحتوف وكان ذلك سنة ٣٠ قبل المسيح وبموتها انقرضت دولة البطالسة بعد أن حكمت
مصر ٢٩٤ عاما فسبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون

كانت مدة ملك كليوباتره ٢٢ سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب
مصنفة فى الطب والزينة وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها منسوبة اليها معروفة عند صنعة الطب وقال
العلامة المسعودى فى كتابه المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر ان سبب وفاة كليوباتره كانت عند
ماجمعت فى مجلسها أصناف الرياحين استحضرت حية من الحيات التى تكون بين الحجاز ومصر والشام وهى
نوع من الحيات التى تراعى الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من أعضائه قفزت أذرعا كثيرة
كالريح فلم تخطئ ذلك العضو بعينه حتى تتفل عليه سما فتأتى على الانسان ولا يعلم بها احد من فوره
ويتوهم الناس انه قد مات حتف أنفه فجاءت بحية وضعتها فى اناء بلورى ثم لما علمت أن أغسطس
أوكتافيوس أراد الدخول فى قصر ملكها أمرت بعض جواريها ومن أحبت فناءها قبلها وان لا يلحقها
العذاب بعدها فسمتها باناء نحمدت من فورها ثم جلست كليوباتره على سرير ملكها ووضعت تاجها على
رأسها وعليها ثيابها وزينة ملكها وجعلت أنواع الرياحين والزهور والفاكهة والطيب وما تجمع بمصر

من عجائب الرياحين وغيرها مبسوطة فى مجلسها وامام سريرها وعهدت بما احتاجت اليه من أمورها وفرقت حشمها من حولها فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم لما قد غشيهم من عدوهم ودخوله عليهم فى دار ملكهم وأدنت يدها من الاناء الزجاج الذى كانت فيه الحية فقربت يدها من فيه فتفلت عليها فجفت مكانها وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد حجرا ولا منفذا تذهب فيه لاتقان تلك المجالس بالرخام والمرمر والاصباغ فدخلت فى تلك الرياحين ودخل أغسطس أوكتافيوس حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك فى أنها تنطق فدنا منها فتبين أنها ميتة وأعجب بتلك الرياحين فمد يده الى كل نوع منها يلمسه ويتبينه ويعجب من خواص من معه ولم يدر ما سبب موتها فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها اذ نفرت عليه تلك الحية فرمته بسمها فيبس شقه من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه فتعجب من فعلها وقتلها النفسها واختيارها للموت على الحياة مع الذل ثم ما كان من القاء الحية بين الرياحين فقال فى ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وأقام بعد ما نزل به ماذكرنا يوما وهلك ولولا الحية قد أفرغت سمها على الجارية ثم على الملكة لكان أغسطس أوكتافيوس قد هلك من ساعته

وكانت كليوباتره دائما تحب القصف والخلاعة وتألف الملاهى وطالما تمنت أن يكون لها حبيب تركن اليه وتعول فى أمورها عليه

ولها أيام لطيفة وليال ظريفة ووقائع حسنة ونوادر مستحسنة

﴿ كنزة أم شملة بن برد المنقرى من ولد قيس ﴾

كانت من شاعرات العرب المتقدمات فى الادب اشتراها برد المنقرى وتزوجها فولدت له شملة بن برد وكان من الشجاعة على جانب عظيم وطالما اقتحم الحروب وأباد الاقران فمن شعرها حينما هجمت عليهم العرب عند غياب ولدها شملة قولها

انى لك ظنى صادقا وهو صادق * بشملة يحبسهم بها محبسا أزلا
فياشمل شمر واطلب القوم بالذى * أصبت ولا تقبل قصاصا ولا عقلا

﴿ وقالت أيضا ﴾

اهيى على قومى الذين تجمعوا * بذى السيد لم يلقوا عليا ولا عمرا
فان يك ظنى صادقا وهو صادق * بشملة يحبسهم بها محبسا وعرا

وقد صدق قولها وبلغ الشعر ولدها فقال والله لاصدقن اقوالها وقصد القوم فقابلهم وأبلى بهم بلاء حسنا واسترد منهم ما سلبوه من قبيلته ومن شعرها قولها

ألاحبذا أهل الملا غير أنه * اذا ذكرت مى فلا حبذا هيا
على وجه مى مسحة من ملاحة * وتحت الثياب الخزى لو كان باديا
ألم تر أن الماء يخلف طعمه * وان كان لون الماء أبيض صافيا
اذا ما أتاه وارد من ضرورة * تولى بأضعاف الذى جاء ظاميا
كذلك مى فى الثياب اذا بدت * وأثوابها يخفين منها المخازيا
فلو أن غيلان الشقى بدت له * مجردة يوما لما قال ذا ليا

كقول مضى منه ولكن أرده * الى غيرمى أو لاصبح ساليا

كلابة مولاة ثقيف

كانت عند عبد الله بن القاسم الاموى العبلى وكان يبلغها تشبيب العرجى بالنساء وذكره لهن فى شعره وكانت كلابة تكثر أن تقول لشدما اجترأ العرجى على نساء قريش حين يذكرهن فى شعره ولعمرى مالق أحدا فيه خير ولئن لقيته لاسودن وجهه فبلغه ذلك عنها وكان العبلى نازلا على ماء لبنى نصر بن معاوية يقال له الضيق على ثلاثة أميال من مكة والعرج أعلاها قليلا مما يلى الطائف فبلغ العرجى أنه خرج الى مكة فأتى قصره فأطاف به فخرجت اليه كلابة وكان خلفها فى قصره فصاحت به ايلك ويلك وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر فاستسقاها فأبت أن تسقيه وقالت لا توجد والله أثرك عندى أبدا فيلصق بى منك شر فانصرف وقال ستعلمين وقال هذه الابيات ليتهمها الناس ويوقع بها أمام سيدها

حور بعثن رسولا فى ملاطفة * ثقفا اذا عقل الغفلة الوهم
الى ان أتنا هدأ اذا عقلت * أمرا سنا وافتضضنا انهمو علموا
فجئت أمشى على هول أجشمه * تجشم المرء هولا فى الهوى كرم
اذا تخوفت من شئ أقول له * قد جف فامض بشئ قدر القلم
أمشى كما حركت ريح يمانية * غصنا من البان رطبا طله الديم
فى حلة من طراز السوس مشربة * تعفو بهدابها ما أثرت قدم
خلت سبيلى كما خليت ذا عذر * اذا رأته عتاق الخيل تنجم
وهن فى مجلس خال وليس له * عين عليهن أخشاها ولا ندم
حتى جلست ازاء الباب مكتتما * وطالب الحاج تحت الليل مكتتم
أبدين لى أعينا نجلا كما نظرت * أدم هجان أتاها مصعب قطم
قالت كلابة من هذا فقلت لها * أنا الذى أنت من أعدائه زعموا
انا امرؤ جد بى حب فأحرمنى * حتى بليت وحتى شفنى السقم
لا تكليني الى قوم لوانهمو * من بغضنا أطعموا الحمى اذا طعموا
وأنعمى نعمة تجزى باحسنها * فطالما مسنى من أهلك النعم
سترالحبين فى الدنيا لعلهمو * أن يحدثوا توبة فيها اذا أثموا
هذى يمينى رهن بالوفاء لكم * فارضى بها ولأنف الكاشح الرغم
قالت رضيت ولكن جئت فى قمر * هلا تلبثت حتى تدخل الظلم
فبت أسقى بأكواب أعل بها * من بارد طاب منها الطعم والنسم
حتى بدا ساطع للفجر نحسبه * سنا حريق بليل حين يضطرم
كغرة الفرس المنسوب قد حسرت * عنه الجلال تلالا وهو يلتجم
ودعتهن ولا شئ يراجعنى * الا البنان والا الاعين السجم
اذا أردن كلامى عنده اعترضت * من دونه عبرات فانثنى الكلم
تكاد اذ رمن نهضا للقيام معى * أعجازهن من الانصاف تنقصم

وقد أعطاه العرجي جماعة من المغنين وسألهم أن يغنوا فيه فصنعوا في أبيات منه عدة ألحان وقال لا أجد لهذه الأمة شيئا أبلغ من ايقاعها تحت التهمة عند ابن القاسم ليقطع راتبها من ماله فلما سمع العبلي بالشعر يغنى به أخرج كلابة واتهمها ثم أرسل بها بعد زمان على بعير الى مكة فاحلفها بين الركن والمقام ان العرجي كذب فيما قاله فحلفت سبعين يمينا فرضي عنها وردها فكان بعد ذلك اذا سمع قول العرجي (طالما سنى من أهلها الذم) قال كذب والله ما سمعه ذلك قط

(حرف اللام)

﴿لبنى بنت الحباب الكعبية﴾

كانت أحسن نساء زمانها وجها وأرقهن شمائل وأعذبهن منطقا وألطفهن اشارة ذات فصاحة وأدب ومعرفة باشعار العرب وهي صاحبة قيس بن ذريح العذري رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب وكان سبب علاقته بها أنه ذهب لبعض حاجاته في بني كعب وقد احتدم الحر فاستقى الماء من خيمة منهم فبرزت اليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته إداوة ماء فلما صدر قالت له ألا تبرد الحر عندنا وقد تمكنت من فؤاده فقال نعم فمهدت له وطاء واستحضرت ما يحتاج اليه وجاء أبوها فلما وجده رحب به ونحر له جزورا وأقام عندهم ضياء اليوم ثم انصرف وهو أشغف الناس بها فجعل يكتم ذلك الى ان غلب عليه فنطق فيها بالاشعار وشاع ذلك عنه ومر بها ثانيا فنزل عندهم وشكا اليها حين تخاليا ما نزل به من حبها فوجد عندها أضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل واحد ما عند الآخر فمضى الى أبيه فشكا اليه ذلك فقال له دع هذه وتزوج باحدى بنات عمك فغم منه وجاء الى أمه فكان منها ما كان من أبيه فتركها وجاء الى الحسين بن علي بن أبي طالب وأخبره بالقصة فرق له والتزم أن يكفيه هذا الشأن فمضى معه الى أبي لبنى فسأله في ذلك فأجاب فقال يا ابن رسول الله لو أرسلت لكفيت بيد أن هذا من أبيه أليق كما هو عند العرب فشكره ومضى الى أبي قيس حافيا على حر الرمل فقام ذريح ومرغ وجهه على أقدامه ومشى مع الحسين حتى زوج قيسا بلبنى وأدى الحسين المهر من عنده ولما تزوجها أقام مدة مديدة على أرفع ما يكون من أحسن الاحوال ومراتب الاقبال وفنون المحبة ولكن لم تلد لبنى فتعاظم أبويه فعرضا على قيس انه يتزوج بمن تجيء بولد وذلك أحفظ لنفسه وأبقى لماله فامتنع امتناعا يؤذن باستحالة ذلك وقال لا أسوءها قط وقام يدافعهما عشر سنين الى ان أقسم أبوه أن لا يكنه سقف الا أن يطلق قيس لبنى فكان اذا اشتد الحر يجيء فيظله بردائه ويصلي هو بحر الشمس حتى يجيء الفيء فيدخل الى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهي تقول له لا تفعل فتهلك الى أن قدر الله وطلقها فلما أزمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد سأل الجارية عن أمرهم فقالت سل لبنى فأتى اليها فمنعه أهلها وأخبروه أنها ترحل الليلة أو غدا فسقط مغشيا عليه فلما أفاق أنشد

وانى لمفن دمع عيني بالبكا * حذار الذى قد كان أوهو كائن

وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكفيك الا أن ما حان حائن

فلما جاءت الى المدينة بئس قيس واشتد شوقه وزاد غرامه وأفضى به الحال الى مرض ألزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال فلام الناس أباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به فلما أيس منه

استشار قومه في دائه فاتفقت آراؤهم على أن يأمروه بتصفح أحياء العرب فلعل أن تقع عينه على من تسليه عن حب لبنى ففعل حتى نزل بحي من فزارة فرأى جارية قد حسرت عن وجهها برقع خز وهي كالبدر حسنا فسألها عن اسمها فقالت لبنى فسقط مغشيا عليه فارتاعت وقالت ان لم تكن قيسا فمجنون ونضحت على وجهه الماء فلما أفاق استنسبته فاذا هو قيس لبنى وكان أمرهما اشتهر في العرب وجاء أخوها فأخبرته فركب حتى استرده وأقسم عليه أن يقيم عنده شهرا فقال له لقد شققت على وأجاب فكان الفزاري يعجب به ويعرض عليه المصاهرة حتى لامته العرب وقالوا نخشى أن يصرفه لان هذا سنة في العرب فقال دعوني ففي مثل هذا فليرغب الكرام وألح عليه وزوجه باخته فلما بلغ لبنى قالت انه لغدار ولقد طالما خطبت فأبيت والآن أجيب وكان أبوها قد اشتكى قيسا الى معاوية وقال انه يشبب بابنته فكتب الى مروان يهدر دمه وأمره أن يزوج ابنته بخالد بن حلزة الغطفاني ففعل وأباحت حين علمت بزواج قيس فجعل النساء يغنينها ليلة الزفاف

لبنى زوجها أصبح * لا حر بواديه
له فضل على الناس * وقد باتت تناجيه
وقيس ميت حقا * صريع في بواكيه
فلا يبعده الله * وبعد النواعيه

ولما بلغ ذلك قيسا اشتد به الغرام فركب حتى أتى محل قومها فقالت له النساء ما تصنع بها وقد رحلت مع زوجها فلم يلتفت حتى أتى محل خبائها فتمرغ به وأنشد

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا * الى الله فقد الوالدين يتيم
يتيم جفاه الاقربون فجسمه * نحيل وعهد الوالدين قديم

وحجت لبنى في تلك السنة فاتفق خروج قيس أيضا فتلاقيا فبهت وأرسلت اليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال وأنشد

اذا طلعت شمس النهار فسلمي * فآية تسليمي عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس أشرقت * وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قولي اسلمي * بكت جزعا وارفض منها دموعها

وحين انقضى الحج مرض مرضا شديدا فانهمك فأكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر لبنى وعدم رؤيته لها فأنشد

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتي * غداة غد اذ حل ما أتوقع
تمنينني نيلا وتلوينني به * فنفسي شوقا كل يوم تقطع
ألومك في شأني وأنت مليمة * لعمري وأجفى للمحب وأقطع
وأخبرت أني فيك مت بحسرة * فما فاض من عينيك للوجد مدمع
اذا أنت لم تبكي علي جنازة * لديك فلا تبكي غدا حين أرفع

فحين بلغتها الابيات جزعت جزعا شديدا وخرجت اليه خفية على ميعاد فاعتذرت عن الانقطاع وأعلمته أنها انما تركت زيارته خوفا عليه أن يهلك والا فعندها ما عنده ولكنها بالمدة وجاء قيس الى المدينة بناقة من

بها ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ثم قال له ائتني غدا في دار كثير بن الصلت أقبضك الثمن فجاءه وطرق الباب فأدخله وقد صنع له طعاما وقام لبعض حاجاته فقالت لبنى لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيرا شاحبا فتنفس الصعداء ثم قال هكذا حال من فارق الاحبة فقالت استخبريه عن قصته فاستخبرته فشرع يحكي أمره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها ساعة لا ينطق بلفظ ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال مالك عد لتقبض مالك وان شئت زدناك فلم يكلمه ومضى فدخل على لبنى فقالت له ما هذا انه لقيس فحلف أنه لا يعرفه وأنشد قيس معاتبا لنفسه

أتبكي على لبنى وأنت تركتها * وكنت عليها بالملا أنت أقدر

فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت * فللدهر والدنيا بطون وأظهر

كأني في أرجوحة بين أحبل * اذا فكرة منها على القلب تخطر

وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له وكان قد أهدر دمه فقال له ان شئت كتبت الى زوجها بطلاقها فقال لا ولكن ائذن لي أن أقيم ببلدها ففعل فنزل حين زال هدر دمه بحيها وتضافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض وأضرابهما وقد قصد قيس ابن أبي عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروءة فجاء ابن أبي عتيق الى الحسن والحسين وأعلمهما أن له حاجة عند زوج لبنى وطلب أن يغدوا عليه فضيا معه حتى اجتمعوا به وكلموه في طلب ابن أبي عتيق وهم لم يعلموا الغرض قال سلوا ما شئتم فقال ابن أبي عتيق أهلا كان أو مالا قال نعم فقال أريد أن تطلق لبنى ولك ما شئت عندي فقال أشهدكم أنها طالق فاستحيوا منه وعوضه الحسن مائة ألف درهم وقال له لو علمت الحاجة ما جئت ونقلت الى العدة زعاتبت لبنى قيسا على تزوجه الفزارية فخاف لها أن عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها الفتلة واحدة وأنه لو رآها لم يعرفها وأخبرته أنها كارهة زوجها وأعلمته أنها لم تتزوج به رغبة فيه بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلي عنها وتوفيت لبنى في العدة سنة

٣٣ وان قيسا حين بلغه ذلك خرج حتى وقف على قبرها وأنشد

ماتت لبنى فموتها موتي * هل ينفعن حسرة على الفوت

اني سأبكي بكاء مكتئب * قضى حياة وجدا على ميت

ثم بكى حتى أغمي عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وله فيها أشعار كثيرة منها

اذا انحدرت رجلي تذكرت من لها * فناديت لبنى باسمها ودعوت

دعوت التي لو أن نفسي تطيعني * لفارقتها في حبها فقضيت

بريت نبالها للصيد لبنى وريشت * وريشت أخرى مثلها وبريت

فلما رمتني أقصدتني بنبلها * وأخطأتها بالسهم حين رميت

وفارقت لبنى ضلة فكأنني * قرنت الى العيوق ثم هويت

فياليت أني مت قبل فراقها * وهل ينفعن بعد التفرق ليت

فوطن لهلكي منك نفسا فانني * كأنك بي قد يا ذريح قضيت

وقال أيضا

عيد قيس من حب لبنى ولبنى * داء قيس والحب صعب شديد

فاذا عادني العوائد يوما * قالت العين لا أرى من أريد

ليت لبنى تعود لى ثم أقضى * انها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها * داء خبل فالقلب منه عميد

وقال وقد سأله الطبيب مذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت فأنشد

تعلق روحى روحها قبل خلقنا * ومن بعد ما كنا نطافا وفى المهد
فزاد كما زدنا وأصبح ناميا * وليس اذا متنا بمنفصم العقد
ولكنه باق على كل حادث * وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد

﴿لبانة ابنة ريطة بن على بن عبد الله بن طاهر﴾

كانت من أحسن نساء زمانها وأوفرهن عقلا وأعظمهن أدبا فصيحة المنطق عذبة اللسان شاعرة وشعرها مقبول ولها علم بضروب الغناء تزوجها محمد الامين بن هرون الرشيد فقتل ولم يبن بها فقالت ترثيه

أبكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالى والرمح والفرس
أبكى على سيد فجعت به * أرملنى قبل ليلة العرس
يا فارسا بالعراء مطرحا * خانته قواده مع الحرس
من للحروب التى تكون بها * ان أضرمت نارها بلا قبس
من لليتامى اذا هم سغبوا * وكل عان وكل محتبس
أم من لبرّ أم من لفائدة * أم من لذكر الاله فى الغلس

ولما قتل الامين رجعت الى منزل والدها ولم تتمالك أن تبقى مع السيدة زبيدة بنت جعفر أم الامين لانها تشاءمت منها فخشيت على نفسها من الاهانة والاحتقار

وبعد أن استتب الامر الى المأمون جعل لها إدرارات ورواتب تنفق منها ولم يتركها تذهب الى حيث شاءت بل جعلها كأنها من حرم دار الخلافة وبقيت على ذلك الى أن ماتت بآخر خلافته

﴿لطيفة الحذائية﴾

توفى أبوها وتركها صغيرة فكفلها عمها وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الاخلاق والخصال فربيت فى بيت عمها حتى بلغت وكان لعمها ولد شاب يدعى واصفا وكان كامل الحسن والظرف واللطف والعفة فكانت لطيفة تنظر اليه فيعجبها الى أن تمكن حبه منها فمرضت وهى تكتم أمرها وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للامور رقاء ففتنتها فوجدتها تغيب عن حسها أحيانا فاذا دخل الغلام أفاقت والتمست تأكل فأخبرت أباه فقال يا لها نعمة ثم زوجه بها فأوقع الله حبها فى قلبه فأقاما على أحسن حال مدة وهو يأمرها أن تكون دائما متزينة مطيبة ويقول لها لا أحب أن أراك الا كذا فلم يزالا على ذلك فضعف الشاب فمات فوجدت به وجدا شديدا فكانت تتزين بأنواع زينتها كما كانت وتقضى فتمكث على قبره باكية الى الغروب قال الاصمعى مررت أنا وصاحب لى بالجبانة فرأيتها على تلك الحالة فقلنا لها علام ذا الحزن الطويل فأنشأت

فان تسألانى فيم حزنى فاننى * رهينة هذا القبر يا فتيان

وانى لأستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه حين يرانى

فعينا منها ثم اعتزلنا فجلسنا بحيث لا ترانا ننظر ما تصنع فانشأت

ياصاحب القبر يا من كان يؤنسنى * وكان يكثر فى الدنيا مواساتى

قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل * كأننى لست من أهل المصيبات

أردت ما كنت تهوى أن تراه وما * قد كنت تألفه من كل هيآت

فمن رآنى رأى عبرى مولهة * مشهورة الزى تبكى بين أموات

ثم انصرفت فتبعناها حتى عرفنا مكانها فلما جئنا الى الرشيد قال حدثنى باعجب ما رأيته فأخبرته بامرها فبعث فكتب الى عامله على البصرة أن يمهرها عشرة آلاف درهم ففعل ووجه بها اليه وقد أنهكها السقم فتوفيت بالمدائن قال الاصمعى فلم يذكرها الرشيد مرة الا ذرفت عيناه

﴿لويزا مارى كارولين﴾

لويزا كونتة اليبى زوجة آخر رجل من عائلة ستورت ولدت فى منس من بلجيكا سنة ١٧٥٣ وتوفيت فى فلورنسا سنة ١٨٢٤ وهى ابنة البرنس غستافوس أدولفوس تزوجت سنة ١٧٧٢ بشارل أدورد ستورت حفيد جمس الثانى وكان يدعى بحق الجلوس على تخت ملك بريطانيا ويعرف بكونت اليبى وكان أكبر منها بثلاث وثلاثين سنة ويقال انه تزوجها أملا أن يولد له منها وارث شرعى لبيت ستورت الذى كان مناظر الملك انكلترا الا أنهما لم يتفقا فانها كانت جميلة فتينة مهذبة عاقلة وكان هو هرما خشن الطباع سيء الخلق فعاش فى فلورنسا وهنالك تعرفت بالغيارى الشاعر فحصل لها عنده اعتبار عظيم ويقال انه عشقها عشقا مفرطا وانها هى التى حركته الى تأليف تراجيدياته ولم تتهم قط بخيانة زوجها الا أن شدة فظاظته حملتها أخيرا على تركه فالتجأت الى دير فى فلورنسا ثم انتقلت الى دير فى رومية وسنة ١٧٨٣ تمكنت من فسخ زواجها بتوسط غستافوس الثالث ملك أسوج وسعى لها غستافوس المذكور برتب عينته لها الحكومة الفرنساوية غير انه قطع عنها عند حدوث الثورة ويقال انها بعد نحو سنتين من وفاة زوجها سنة ١٧٨٨ تزوجت الغيارى سرا وكان لها فى فلورنسا سطوة عظيمة جدا فى المصالح السياسية ونفوذ بين أكابر رجال الدولة فكان نابوليون يخافها وبعد وفاة الغيارى المذكور كانت تصرف معظم وقتها فى فلورنسا ويقال انه جرى لها مع (فرنسوا كزافيه فابر) وهو مصور فرنساوى علائق ودادية متينة ولما توفيت دفنت فى كنيسة (سنتا كروتشا) فى فلورنسا فى نفس القبر الذى دفن فيه الغيارى وأقام لها كانوفا فوقه قبة جميلة

﴿ليلى الاخيلية﴾

هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية وهو الاخيل من بنى عامر بن صعصعة وهى من النساء المتقدمات فى الشعر من شعراء الاسلام وكان توبة بن الحمير بن عقيل الخفاجى يهواها ويقول فيها الشعر فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه اياها وزوجها فى بنى الادلع فجاء يوما كما يجىء لزيارتها فاذا هى سافرة ولم ير منها اليه بشاشة فعلم ان ذلك لامر ما كان فرجع الى راحلته فركبها ومضى وبلغ بنى الادلع انه أتاها فتبعوه فقال توبة فى ذلك قصيدته المشهورة وهى

نأتك بليلى دارها لا تزورها * وشطت نواها واستمر مريرها
وخفت نواها من جنوب عفيرة * كما خف من نبل المرامي جفيرها
يقول رجال لا يضيرك نأيها * بلى كل ما شق النفوس يضيرها
أليس يضر العين أن تكثر البكى * ويمنع منها نومها وسرورها
لكل لقاء نلتقيه بشاشة * وان كان يوما كل حول تزورها
خليلي روحا راشدين فقد أتت * ضرية من دون الحبيب ونيرها
يقربني ان أرى العيس تعتلي * بنا نحو ليلى وهي تجري صقورها
وما طلقت حتى تقاقل عرضها * وسامح من بعد المرام عسيرها
وأشرف بالارض اليفاع لعلني * أرى نار ليلى أو يراني بصيرها
فناديت ليلى والحمول كأنها * مواقير نخل زعزعتها دبورها
فقالت أرى أن لا تفيدك صحبتي * لهيبة أعداء تلظى صدورها
فمدت لي الاسباب حتى بلغتها * برفقي وقد كاد ارتقائي يغيرها
فلما حللت الخدر أطت نسوعه * وأطراف عيدان شديد سيورها
فأرخت لنضاخ القفار منصة * وذي سيرة قد كان قدما يسيرها
واني ليشفيني من الشوق ان أرى * على الشرف النائي المخوف أزورها
وان أرك العيس الحسير بأرضها * يطيف بها عقبانها ونسورها
حمامة بطن الواديين ترنمي * سقاك من الغر الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعما * ولا زلت في خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى * فتفنى وتهوى النفس ما لا يضيرها
وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها
وقد رابني منها صدود رأيته * واعراضها عن حاجتي وقصورها
أرتك حياض الموت ليلى وراقنا * عيون نقيات الحواشي تديرها
ألا يا صدى النفس كيف بقولها * لو ان طريدا خائفا يستجيرها
تخبر ان شطت بها غربة النوى * ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها
وقالت أراك اليوم أسود شاحبا * وأي بياض الوجه حر حرورها
وغيرني أن كنت لما تغيرت * هواجر لا أكتنها وأسيرها
اذا كان يوم ذو سموم أسيره * وتقصر من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى بأني فاجر * لنفسي تقاها أو عليها فجورها
فقل لعقيل ما حديث عصابة * تكنفها الاعداء نأت نصيرها
فان لا تناهوا أركب اللهو نحوها * ونخفت برجل أو جناح يطيرها
لعلك يا قيسا ترى في مرية * معذب ليلى ان رآني أزورها
وأدماء من سر الهجان كأنها * مهاة صوار غير ما مس كورها

من الناعبات المشي نعبا كأنما * نياط بجذع من أراك جريرها
من العركانيات حرف كأنها * مريرة كيف شد شدا مغيرها
قطعت بها موماة أرض مخوفة * مخوف رداها حين يستن مورها
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم * دعاميص ماء نش عنها غديرها
وقسورة الليل التي بين نصفه * وبين العشاء قد دببت منها أسيرها
أبت كثرة الاعداء أن يجنبوا * كلابي حتى يستثار عقورها
وما يشتكي جهلي ولكن غرتي * تراها بأعدائي ليناطر ورها
أمخترمي ريب المنون ولم أزر * جواري من همدان بيضا نحورها
تنوء بأعجاز ثقال وأسوق * خدال وأقدام لطاف خصورها
أظن بها خيرا وأعلم أنها * ستنفك يوما أو يفك أسيرها
أرى اليوم يأتي دون ليلى كأنما * أتت حجة من دونها وشهورها
على دماء البدن إن كان بعلها * يرى لي ذنبا غير أني أزورها
وأني اذا ما زرتها قلت يا اسلمي * وما بأبي قولي اسلمي ما يضيرها

قيل وكان توبة اذا أتى ليلى الاخيلية خرجت اليه في برقع فلما شهر أمره شكوه الى السلطان فاباحهم دمه ان أتاهم فكمنوا له في الموضع الذي كان يلتقيان فيه فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد وانها اسفرت لذلك تحذره فركض فرسه فنجا وذلك قوله (وكنت اذا ما جئت ليلى تبرقعت) البيت المتقدم ضمن القصيدة وقيل أيضا انه كان يكثر زيارتها فعاتبه أخوها وقومها فلم يعتب وشكوه الى قومه فلم يقلع فتظلموا منه الى السلطان فاهدر دمه ان أتاهم وعلمت ليلى بذلك وجاء هازوجها وكان غيورا فحلف لئن لم تعلمه بمجيئه ليقتلنها ولئن أنذرته بذلك ليقتلنها قالت ليلى وكنت أعرف الوجه الذي يجيئني منه فرصدوه بموضع ورصدته بآخر فلما أقبل لم أقدر على كلامه لليمين فسفرت وألقيت البرقع عن رأسي فلما رأى ذلك أنكره فركب راحلته ومضى ففاتهم

وخرج يوما شخص من بني كلاب ثم من بني العجمة يبتغي ابلا له حتى أوحش وأرمل ثم أمسى بارض فنظر الى بيت بارز فاقبل حتى نزل حيث ينزل الضيف فابصر امرأة وصبيانا يدورون بالخباء فلم يكلمه أحد فلما كان بعد هدأة من الليل سمع جرجرة ابل رائحة وسمع فيها صوت رجل حتى جاء بها فاناخها على البيت ثم تقدم فسمع الرجل يناجي المرأة ويقول ما هذا السواد حذاءك قالت راكب أناخ بناحيتنا حين غابت الشمس ولم أكلمه فقال لها كذبت ما هو الا بعض خلانك ونهض يضربها وهي تناشده قال الرجل فسمعته يقول والله لا أترك ضربك حتى يأتي ضيفك هذا فيغيثك فلما عيل صبرها قالت يا صاحب البعير يا رجل وأخذ العجمي هراوته ثم أقبل يحضر حتى أتاها وهو يضربها فضربه ثلاث ضربات أو أربعا ثم أدركته المرأة فقالت يا عبد الله ما لك ولنا نح عنا نفسك فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كلها وقد ظن انه قتل الرجل وهو لا يدري من الحي بعد حتى أصبح في أخبية من الناس ورأى غنما فيها أمة مولدة فسألها عن أشياء حتى بلغ بها الذكر فقال أخبريني عن أناس وجدتهم بشعب كذا وكذا فضحكت وقالت انك تسألني عن شيء وأنت به عالم فقال وما ذاك لله بلادك فوالله ما أنا به عالم قالت ذاك ليلى الاخيلية وهي

أحسن الناس وجهاو زوجهارجل غيور فهو يعزب بها عن الناس فلا يحل بها مهم والله ما يقربها
أحد ولا يضيفها فكيف نزلت أنت بها قال انما مررت فنظرت الى الخباء ولم أقربه وكتمها الامر وتحدث
الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجل ولم يدر من هو فلما أخبر باسم المرأة وأقر على نفسه
تغنى بشعر دل فيه على نفسه فقال

ألا يا ليل أخت بنى عقيل * أنا العصمى ان لم تعرفينى
دعتنى دعوة فعجزت عنها * بصكات رفعت بها يمينى
فان تك غيرة أبريك منها * وان تك قد جننت فذا جنونى

وكان الحجاج يقول لليلى الاخيلية ان شبابك قد ذهب واضمحل أمرك وأمر توبة فاقسم عليك الا
صدقتنى هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك فى ذلك قط فقالت لا والله أيها الأمير الا انه قال لى ليلة وقد
خلونا كلمة ظننت انه قد خضع فيها لبعض الامر فقلت له

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا الموت قال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك قالت وجه
صاحبا له الى حضرنا فقال اذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل فاعل شرفا ثم اهتف بهذا البيت

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة * من الدهر لا يسرى الىّ خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه * عزيز علينا حاجة لا ينالها

ولم يزل على ذلك حتى فرق بينهما الموت ومات توبة فى بعض الغزوات قتله بنو عوف بن عقيل فى خبر يطول
شرحه وكان ذلك سنة ٨٠ هجرية و ٦٩٥ مسيحية فلما بلغ خبر قتله ليلى الاخيلية رثته بمراث
كثيرة منها

نظرت وركن من ذنانين دونه * مفاوز حوضى أى نظرة ناظر
لآنس ان لم يقصر الطرف عنهم * فلم تقصر الاخبار والطرف قاصرى
فوارس أجلى شأوها عن عقيرة * لعاقرها فيها عقيرة عاقر
فآنست خيلا بالرقىّ مغيرة * سوابقها مثل القطا المتواتر
قتيل بنى عوف وبنبر دونه * قتيل بنى عوف قتيل لجابر
توارده أسيافهم فكأنما * تصادرن عن اقطاع أبيض باتر
من الهندوانيات فى كل قطعة * دم زل عن أثر من السيف ظاهر
أتته المنايا دون زغف حصينة * وأسمر خطى وجوصاء ضامر
على كل جرداء السراة وسابح * لهن بشبالك الحديد زوافر
عوابس تعدو الثعلبية ضمرا * وهن شواح بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله توبة انما * لقاء المنايا دارعا مثل حاسر
فان لا تك القتلى بواء فانكم * ستلقون يوما ورده غير صادر

وان السليل اذ يبارى قتيلكم * كرجومة من عركها غير طاهر
فان تكن القتلى بواء فانكم * فتى ماقتلتم ال عوف بن عامر
فتى لاتخطاه الرفاق ولا ترى * لقدر عيالا دون جار مجاور
ولا تأخذ الكوم الجلاد رماحها * لتوبة فى نحس الشتاء الصنابر
اذا مار أته قائما بسلاحه * اتقته الخفاف بالثقال البهازر
اذا لم يجد منها برسل فقصره * ذرا المرهفات والقلاص النواحر
قرى سيفه منهن شاسا وضيفه * سنام المهاديس البساط المشافر
وتوبة أحيى من فتاة حيية * وأجرأ من ليث بخفان خادر
ونعم فتى الدنيا وان كان فاجرا * وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها * فيطلعها عنه ثنايا المصادر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يبن ابراد اعتاقا لفتية * كرام ويرحل قبلهم فى الهواجر
ولم يتجل الصبح عنه وبطنه * لطيف كطى السب ليس بحادر
فتى كان للمولى سناء ورفعة * وللطارق السارى قرى غير باسر
ولم يدع يوما للحفاظ وللعدا * وللحرب ترمى نارها بالشرائر
وللبازل الكوماء يرغو حوارها * وللخيل تعدو بالكماة المساعر
كأن لم تكن تقطع فلاة ولم تخ * قلاص لدى مأوى من الارض غابر
وتصبح بوماة كأن صريفها * صريف خطاطيف الملى فى المحاور
طوت نفعها عنا كلاب وأثرت * بنا أجهلوها بين غاو وشاعر
وقد كان حقا أن تقول سراتهم * لعا لأخينا عاثنا غير عاثر
ودوية قفر يحار بها القطا * تخطيتها بالناعجات الضوامر
فتالله تبنى بيتها أم عاصم * على مثله احدى الليالى الغوابر
فليس شهاب الحرب توبة بعدها * بغاز ولا غاد بركب مسافر
وقد كان طلاع النجاد وبين اللسان ومدلاج السرى غير فاتر
وقد كان قبل الحادثات اذا انتحى * وسائق أو مغبوطة لم يغادر
وكنت اذا مولاك خاف ظلامة * دعاك ولم يعدل سواك بناصر
فان يك عبد الله آسى ابن أمه * وآب بأسلاب الكمى المغاور
فكان كذات البو تضرب عنده * سباعا وقد ألقينه فى الحواير
فان تك قد فارقته لا تغادرا * وأى لحى غدر من فى المقابر
فاقسمت أبكى بعد توبة هالكا * وأحفل من نالت صروف المقادر
على مثل همام ولا ابن مطرف * لتبكى البواكى أو لبشر بن عامر

غلامان

غلامان كانا استوردا كل سورة * من المجد ثم استوثقا فى المصادر
ربيعى حيا كانا يفيض نداهما * على كل مغمور تراه وغامر
كأن سنا باريهما كل شتوة * سنا البرق يبدو للعيون النواظر

وقالت ترثيه أيضا

أيا عين بكى توبة بن الحمير * بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤن العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه * ولا يبعث الاحزان مثل التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم يسر * بنجد ولم يطلع من المتغور
ولم يرد الماء السدام اذا بدا * سنا الصبح فى بادى الحواشى منور
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ الـ * جفان سديفا يوم نكباء صرصر
ولم يعل بالجرد الجياد يقودها * بسيرة بين الاتمسات قياصر
وصحراء موماة يحار بها القطا * قطعت على هول الجنان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها * سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت أرض العدو سقيتها * مجاج بقيات المزاد المقير
ولما أهابوا بالنهاب حويتها * بخاظى البضيع كرة غير أعسر
عزكك الاندرىّ مشابر * اذا ماونين مهلب الشد محضر
فألوت باعناق طوال وراعها * صلاصل بيض سابغ وسنور
ألم تر أن العبد يقتل ربه * فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه * اذا الخيل جالت فى قنا متكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندا * ويا توب للمستنبح المتنور
ألا رب مكروب أجبت ونائل * بذلت ومعروف لديك ومنكر

وقالت ترثيه

أقسمت أرثى بعد توبة هالكا * أحفل لمن دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عار على الفتى * اذا لم تصبه فى الحياة المعاير
وما أحد حىّ وان عاش سالما * بأخلد ممن غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعا * فلا بدّ يوما أن يرى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مقصر * وليس على الايام والدهر غابر
ولا الحىّ مما يحدث الدهر معتب * ولا الميت ان لم يصبر الحىّ ناشر
وكل شباب أو جديد الى بلى * وكل امرئ يوما الى الله صائر
وكل قرينى ألفة لتفرق * شتاتا وان ضنا وطال التعاشر
فلا يبعدنك الله حيا وميتا * أخا الحرب ان دارت عليك الدوائر

ويروى

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا * أخا الحرب ان دارت عليك الدوائر
فآليت لا انفك أبكيك ما دعت * على فنن ورقاء أو طار طائر
قتيل بني عوف فيا لهفتا له * وما كنت إياهم عليه أحاذر
ولكنما أخشى عليه قبيلة * لها بدروب الروم باد وحاضر

وقالت ترثيه

كم هاتف بك من باك وباكية * يا توب للضيف اذ تدعى وللجار
وتوب للخصم ان جاروا وان عندوا * وبدلوا الامر نقضا بعد امرار
ان يصدروا الامر تطلعه موارده * أو يوردوا الامر تحلله باصدار

وقالت ترثيه

هراقت بنو عوف دما غير واحد * له نبأ نجد به سيغور
تداعت له أفناء عوف ولم يكن * له يوم عضب الردهتين نصير

وقالت ترثيه

يا عين بكي بدمع دائم السجم * وابكي لتوبة عند الروع والبهم
على فتى من بني سعد فجعت به * ماذا أجن به في الحفرة الرجم
من كل صافية صرف وقافية * مثل السنان وأمر غير مقتسم
ومصدر حين يعيى القوم مصدرهم * وجفنة عند نحس الكوكب الشبم

وقالت لقابض وتعذى عبد الله أخا توبة

دعا قابضا والموت يخفق ظله * وما قابض اذ لم يجب بنجيب
وآسى عبد الله ثم ابن أمه * ولو شاء نجى يوم ذاك حبيبي

وسأل معاوية بن أبي سفيان يوما ليلى الاخيلية عن توبة بن الحمير فقال ويحك يا ليلى أ كما يقول الناس كان توبة قالت يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقا والناس شجرة بغي يحسدون أهل النعم حيث كانت وعلى من كانت ولقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان حديد اللسان شجا للاقران كريم المختبر عفيف المئزر جميل المنظر وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له قال وما قلت له قالت قلت ولم أتعد الحق وعلمي فيه

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره * ألد ملد يغلب الحق باطله
اذا حل ركب في ذراه وظله * ليمنعهم مما تخاف نوازله
حماهم بنصل السيف من كل فادح * يخافونه حتى تموت خصائله

فقال لها معاوية ويحك يزعم الناس أنه كان عاهرا خاربا فقالت من ساعتها ارتجالا

معاذ الهي كان والله سيدا * جوادا على العلات جما نوافله
أغر خفاجيا يرى البخل سبة * تحلب كفاه الندى وأنامله
عفيفا بعيد الهم صلبا قناته * جميلا محياه قليلا غوائله
وقد علم الجوع الذي بات ساريا * على الضيف والجيران أنك قاتله

وأنك رحب الباع يا توب بالقرى * اذا ما الشيم القوم ضاقت منازله

يبيت قرير العين من بات جاره * ويضحى بخير ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية ويحك يا ليلى لقد جزت بتوبة قدره فقالت والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أني مقصرة في نعته وأني لا أبلغ كنه ما هو أهله فقال لها معاوية من أي الرجال كان فقالت

أتته المنايا حين تم تمامه * وأقصر عنه كل قرن يصاوله

وكان كليث الغاب يحمي عرينه * وترضى به أشباله وحلائله

غضوب حليم حين يطلب حلمه * وسم زعاف لا تصاب مقاتله

فأمر لها بجائزة عظيمة وقال لها خبريني بأجود ما قلت فيه من الشعر قالت يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيأ الا والذي فيه من خصال الخير أكثر منه ولقد أجدت حين قلت

جزى الله خيرا والجزاء بكفه * فتى من عقيل ساد غير مكلف

فتى كانت الدنيا تهون بأسرها * عليه ولا ينفك جم التصرف

ينال عليات الامور بهونه * اذا هي أعيت كل خرق مشرف

هو الذوب بل أسدى الجلا يا شيمة * بدرياقة من خمر بيسان قرقف

فيا توب ما في العيش خير ولا ندى * يعد وقد أمسيت في ترب نفنف

وما نلت منك النصف حتى ارتمت بك الـ * ـمنايا بسهم صائب الوقع أعجف

فيا ألف إلف كنت حيا مسلما * لالقاك مثل القسور المتطرف

كما كنت إذ كنت المرجى من الردى * اذا الخيل جالت بالقنا المتقصف

وكم من لهيف محجر قد أجبته * بأبيض قطاع الضريبة مرهف

فأنقذته والموت يحرق نابه * عليه ولم يطعن ولم يتنسف

قيل وكان الحجاج جالسا اذ استؤذن لليلى فقال الحجاج وأي ليلى قيل الاخيلية قال أدخلوها فدخلت امرأة طويلة دعجاء العينين حسنة المشية فسلمت فرد الحجاج عليها ورحب بها وأمر الغلام فوضع لها وسادة فجلست فقال ما أقدمك قالت السلام على الامير والقضاء لحقه والتعرض لمعروفه قال وكيف خلفت قومك قالت تركتهم في حال خصب وأمن ودعة أما الخصب ففي الاموال وأما الامن فقد أمنهم الله عز وجل بك وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم ثم قالت ألا أنشدك قال ان شئت فقالت

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما الـ * ـمنايا بكف الله حيث تراها

اذا هبط الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القناة سقاها

سقاها دماء المارقين وعلها * اذا جمحت يوما وخيف أذاها

اذا سمع الحجاج صوت كتيبة * أعد لها قبل النزول قراها

أعد لها مصقولة فارسية * بأيدي رجال يحلبون غذاها

أحجاج لا تعطي العصاة مناهم * ولا الله يعطي للعصاة مناها

ولا كل خلاف تقلد بيعة * فأعظم عهد الله ثم شراها

فقال الحجاج لجلسائه بلادها ما أشعرها ثم أقبل على جلسائه فقال لهم أتدرون من هذه قالوا لا والله ما رأينا امرأة أفصح ولا أبلغ منها ولا أحسن انشادا قال هذه ليلى صاحبة توبة ثم قال لها أي النساء تختارين أن تنزلي عندها قالت سمهن لي فسماهن فاختارت هند بنت أسماء فدخلت عليها فصبت هند حليها عليها حتى أثقلتها لاختيارها اياها ودخولها عليها دون سواها ولما كان الصباح قال الحجاج لعبيد بن موهب حاجبه مر لها بخمسمائة درهم واكسها خمسة أثواب أحدها خز ثم قالت أصلح الله الامير قد أضر بنا العريف في الصدقة وقد خربت بلادنا وانكسرت قلوبنا فأخذ خيار المال فقال الحجاج اكتبوا الى صاحب اليمامة بعزل العريف الذي شكته وقيل ان ليلى لما دخلت على الحجاج فلما قالت (غلام اذا هز القناة سقاها) قال لها لا تقولي غلام وقولي همام فأمر لها بمائتين فقالت زدني فقال اجعلوها الثمانية فقال بعض جلسائه انها غنم قالت الامير أكرم من ذلك وأعظم قدرا من أن يأمر لي الا بالابل قال فاستحى وأمر لها بثلثمائة بعير وانما كان أمر لها بغنم لا ابل

وبينما الحجاج بن يوسف جالس يوما دخل عليه الآذن فقال أصلح الله الامير بالباب امرأة تهدر كما يهدر البعير قال أدخلها فلما دخلت استنسبها فانتسبت له فقال ما أتى بك يا ليلى قالت اخلاف النجوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله المرد قال فأخبريني عن الارض قالت الارض مقشعرة والفجاج مغبرة وذو الغنى مختل وذو الحد منفل قال وما سبب ذلك قالت اصابتنا سنون مجحفة مظلمة لم تدع لنا فصيلا ولا ربعا ولم تبق عافطة ولا نافطة فقد أهلكت الرجال ومزقت العيال وأفسدت الاموال ثم أنشدته الابيات التي ذكرناها متقدما وقال في الخبر قال الحجاج هذه التي يقال فيها

نحن الاخايل لا يزال غلامنا * حتى يدب على العصا مشهورا

تبكي الرماح اذا فقدن أكفنا * جزعا وتعرفنا الرفاق بحورا

ثم قال لها يا ليلى أنشدينا بعض شعرك في توبة فأنشدته قولها لعمرك ما بالموت عار على الفتى القصيدة فقال الحجاج لحاجبه اذهب فاقطع لسانها فدعا لها بالحجام ليقطع لسانها فقالت ويلك انما قال لك الامير اقطع لسانها بالصلة والعطاء فارجع اليه واستأذنه فرجع اليه فاستأمره فاستشاط عليه وهم بقطع لسانه ثم أمر بها فدخلت عليه فقالت كاد وعهد الله يقطع مقولي وأنشدته

حجاج أنت الذي لا فوقه أحد * الا الخليفة والمستغفر الصمد

حجاج أنت سنان الحرب ان نهجت * وأنت للناس في الداجي لنا تقد

ودخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معوية فرأى عندها امرأة بدوية أنكرها فقال لها من أنت قالت له أنا الوالهة الحرى ليلى الاخيلية قال أنت التي تقولين

أريقت جفان ابن الخليع فأصبحت * حياض الندى زالت بهن المراتب

فلهى وعفى بطن قودى وحوله * كما انقض عرش البئر والورد عاصب

قالت أنا التي أقول ذلك قال فما أبقيت لنا قالت الذي أبقاه الله لك قال وماذاك قالت نسبا قرشيا وعيشا رخيا وامرة مطاعة قال أفردته بالكرم قالت أفردته بما أفرده الله به قالت عاتكة انها جاءت تستعين بنا عليك في عين تسقيها وتحميها لها ولست ليزيد ان شفعتها في شيء من حاجاتها لتقديمها اعرابيا جلفا على أمير المؤمنين فوثبت ليلى على رجلها واندفعت تقول

ستحملني ورحلي ذات رحل * عليها بنت آباء كرام
اذا جعلت سواد الشام جيشا * وغلق دونه باباب الشام
فليس بعائد أبدا اليهم * ذووا الحاجات في غلس الظلام
أعاتك لو رأيت غداة بنا * عزاء النفس عنكم واعتزامي
اذا لعلمت واستيقنت أني * مشيعة ولم ترعى ذمامي
أأجعل مثل توبة في نداه * أبا الذبان فوه الدهر دامي
معاذ الله ما عسفت برحلي * تغذ السير للبلد التهامي
أقلت خليفة فسواه أحجى * بامرته وأولى بالشام
لئام الملك حين تعد كعب * ذووا الاخطار والخطر الجسام

فقيل لها أي الكعبين عنيت قالت ما إخال كعبا ككعبي

وقيل ان ليلى الاخيلية دخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت وعجزت فقال لها ما رأى توبة فيك حين هويك قالت ما رآه الناس فيك حين ولوك فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها وكانت دخلت على مروان بن الحكم يوما فقال لها ويحك يا ليلى بالغت في نعت توبة فقالت أصلح الله الامير والله ما قلت الاحقا ولقد قصرت وما رأيت رجلا قط كان أربط منه على الموت جاشا ولا أقل انحاشا يتقدم حين يرى الحرب ويحمي الوطيس بالضرب فكان وعهد الله كما قلت

فتى لم يزل يزداد خيرا لدى الذنب * الى ان علاه الشيب فوق المسائح
تراه اذا ما الموت حل بورده * ضروبا على أقرانه بالصفائح
شجاع لدى الهيجاء يثبت مشايح * اذا انحاز عن أقرانه كل سائح
فعاش حميد الاذمما فعاله * وصولا لقرباه يرى غير كالح

فقال لها مروان كيف يكون توبة على ما تقولين وقد كان خاربا والخارب سارق الابل خاصة فقالت والله ما كان خاربا ولا للموت هائبا ولكنه فتى له جاهلية ولو طال عمره وأنسأ لارعوى قلبه ولقضى في حب الله نحبه وأقصر عن لهوه ولكنه كما قال عمه مسلم بن الوليد

فلله قوم غادروا ابن حمير * قتيلا صريعا للسيوف البواتر
لقد غادروا حزما وعزما ونائلا * وصبرا على اليوم العبوس القاطر
اذا هاب ورد الموت كل غضنفر * عظيم الحوايا ليثه غير خاثر
مضى قدما حتى تلاقى بورده * وجاد بسيب في السنين القواشر

فقال لها مروان يا ليلى أعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء فوالله لقد مات توبة وان كان لمن فتيان العرب وأشدائهم ولكنه أدركه الشقاء فهلك على أحوال الجاهلية وكان بينها وبين الجعدي مهاجاة وذلك أن رجلا من قشير يقال له ابن الحيا وهي أمه واسمه سوار بن أوفى بن سبرة هجاه وسب أخواله من أزد في أمر كان بين قشير وبين بني جعدة وهم باصبهان فأجابه النابغة بقصيدته التي يقال لها الفاضحة سميت بذلك لانه ذكر فيها مساوي قشير وعقيل وكل ما كانوا يسبون به وفخر بما ترقومه وبما كان من بطون بني عامر سوى هذين الحيين من قشير وعقيل فقال

جهلت على ابن الحيا وظلمتني ✱ وجمعت قولا جاء بيتا مضللا

وقال أيضا في هذه القصة قصيدته التي أولها

أماترى ظلل الايام قد حسرت ✱ عني وشمرت ذيلا كان ذيالا

وهي طويلة يقول فيها

ويوم مكة اذ ماجدتم نفرا ✱ حاموا على عقد الاحساب أزوالا

عند النجاشي اذ تعطون أيديكم ✱ مقرّنين ولا ترجون ارسالا

اذ تسحقون عند الخذل أن لكم ✱ من آل جعدة أعماما وأخوالا

لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم ✱ وتجعلوا جلد عبد الله سربالا

يعني عبد الله بن جعدة بن كعب

اذا تسربلتم فيه ليخجيكم ✱ مما يقول ابن ذي الجدين ان قالا

حتى وهبتم لعبد الله صاحبه ✱ والقول فيكم باذن الله ما قالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن ✱ شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بانهم سقوا رجلا من جعدة أدركوه في سفر وقد جهد عطشا لبنا وماء فعاش فلما ذكر النابغة ذلك وفخر بماله وغض مما لهم دخلت ليلى الاخيلية بينهما فقالت

وما كنت لو فارقت جل عشيرة ✱ لاذكرقعبي حازر قد تثملا

فلما بلغ النابغة قولها قال

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا ✱ فقد ركبت أمرا أغر محجلا

وقد أكلت بقلا وخيما نباته ✱ وقد شربت من آخر الصيف ايلا

دعي عنك تهجاء الرجال وأقبلي ✱ على أذلعي يملأ استك فيشلا

وكيف أهاجي شاعرا رمحه استه ✱ خضيب البنان لا يزال مكحلا

فردت عليه ليلى فقالت

أنابغ لم تنبغ ولم تك أوّلا ✱ وكنت صنيا بين صدّين مجهلا

أنابغ ان تنبغ بلؤمك لا تجد ✱ للؤمك إلا وسط جعدة مجعلا

تعيرني داء بأمك مثله ✱ وأي جواد لا يقال له هلا

فغلبته فلما أتى بني جعدة قولها هذا اجتمع ناس منهم فقالوا والله لنأتين صاحب المدينة وأمير المؤمنين فليأخذن لنا بحقنا من هذه الخبيثة فانها قد شتمت اعراضنا وافترت علينا فتهيؤا لذلك وبلغها أنهم يريدون أن يستعدوا عليها فقالت

أتاني من الانباء أن عشيرة ✱ بشوران يزجون المطي المذللا

يروح ويغدو وفدهم بصحيفة ✱ ليستجلدوا لي ساء ذلك معملا

وأخبر بعض الرواة قال بينما معاوية يسير يوما اذ رأى راكبا فقال لبعض شرطه ائتني به واياك أن تروعه فأتاه فقال أجب أمير المؤمنين فقال اياه أردت فلما دنا الراكب حدر لثامه فاذا هي ليلى الاخيلية ثم أنشأت تقول

معاوي لم أكد آتيك تهوي * برحلي راذة الاصلاب ناب
قريح الظهر يفرح أن يراها * اذا وضعت وليتها الغراب
تجوب الارض نحوك ما تألى * اذا ما الأكم قنعها السراب
وكنت المرتجى وبك استغاثت * لتنعشها اذا بخل السحاب

فقال ما حاجتك فقالت ليس لمثلي أن يطلب الى مثلك حاجة فأعطاها خمسين من الابل ثم قال أخبريني عن مضر فقالت فاخر بمضر وحارب بقيس وكاثر بتميم وناظر باسد ومن جيد أشعارها ما مدحت به آل مطرف قولها

يا أيها السدم الملوي رأسه * ليقود من أهل الحجاز بريما
أتريد عمرو بن الخليع ودونه * كعب اذا لوجدته مرؤما
ان الخليع ورهطه في عامر * كالقلب ألبس جؤجؤا وحزيما
لا تغزون الدهر آل مطرف * لا ظالما أبدا ولا مظلوما
قوم رباط الخيل وسط بيوتهم * وأسنة زرق تخال نجوما
ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما

وذكر الاصمعي أن ليلى حينما كانت عند الحجاج أمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها هل لك من حاجة قالت نعم أصلح الله الامير تحملني الى ابن عمي قتيبة بن مسلم وهو على خراسان يومئذ فحملها اليه فأجازها وأقبلت راجعة تريد البادية فلما كانت بالري ماتت فقبرت هناك هكذا ذكر الاصمعي وقيل انها حينما كانت عند الحجاج فقال لها هل لك من حاجة قالت نعم تدفع الى النابغة أحكم فيه بما أرى فلما سمع النابغة بذلك هرب الى الشأم فتبعته ثم استأذنت عبد الملك فيه فأذن لها ولم تزل في طلبه حتى توفيت بقومس بلدة من أعمال بغداد على جانب الفرات وقيل بحلوان والمدى بينهما قريب وفي رواية أخرى ان ليلى الاخيلية أقبلت من سفرة فمرت بقبر توبة ومعها زوجها وهي في هودج لها فقالت والله لا أبرح حتى أسلم على توبة فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى الا أن تلم به فلما كثر ذلك منها تركها فصعدت أكمة عليها قبر توبة فقالت السلام عليك يا توبة ثم حولت وجهها الى القوم فقالت ما عرفت له كذبا قط قبل هذا قالوا كيف قالت أليس القائل

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * علي ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقى * اليها صدى من جانب القبر صائح
وأغبط من ليلى بما لا أناله * ألا كل ما قرت به العين صالح

فما باله لم يسلم علي كما قال وكانت الى جانب القبر بومة كامنة فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الجمل فنفر فرمى ليلى على رأسها فماتت من وقتها ودفنت الى جانبه وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها

﴿ليلى العامرية بنت مهدي بن سعد﴾

صاحبة قيس بن الملوح بن مزاحم الشهير بالمجنون ولم يكن مجنونا الا من العشق بدليل قوله

يسمونني المجنون حين يرونني * نعم بي من ليلى الغداة جنون

وكان سبب عشقه لها أنه مر على ناقة وعليه حلتان من حلل الملوك بزمرة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فأعجبهن فاستنزلنه للمنادمة فنزل وعقر لهن ناقته وأقام معهن بياض اليوم وكانت ليلى مع من حضر وحين وقعت عينه عليها لم يصرف عنها طرفا وشاغلته فلم يشتغل فلما نحر الناقة جاءت لتمسك معه اللحم فجعل يحز بالمدية في كفه وهو شاخص فيها حتى أعرق كفه فجذبتها من يده ولم يدر ثم قال لها ألا تأكلين الشواء قالت نعم فطرح من اللحم شيأ على الغضى وأقبل يحادثها فقالت له انظر الى اللحم هل استوى أم لا فمد يده الى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر فلما علمت ماداخله صرفته عن ذلك ثم شدت يده بهدب قناعها ثم ذهب وقد تحكم عشقها من قلبه وقد استدعته بعد هذا المجلس للمحادثة وقد داخلها الحب فقالت له هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف قال ومن لي بذلك فقالت له اجلس فجلس وجعلا يتحادثان حتى مضى الوقت ولم يزالا على ذلك حتى حجبها أبوها عنه وزوجها من غيره كما هو مشهور في قصتها ومن رقيق شعر ليلى

لم يكن المجنون في حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * وانني قد ذبت كتمانا

وقال له رجل من قومه اني قاصد حي ليلى فهل عندك شيء تقوله لها قال نعم أنشدها اذا وقفت بحيث تسمعك هذه الابيات

الله أعلم أن النفس قد هلكت * باليأس منك ولكني أمنيها
منيتك النفس حتى قد أضر بها * وأبصرت خلفا مما أمنيها
وساعة منك ألهوها ولو قصرت * أشهى الي من الدنيا وما فيها

قال الرجل فمضيت حتى وقفت بخيامها فلما أمكنتني الفرصة أنشدت بحيث تسمع الابيات فبكت حتى غشي عليها ثم قالت أبلغه عني السلام وأنشدت

نفسي فداؤك لو نفسي ملكت اذا * ما كان غيرك يجزيها ويرضيها
صبرا على ماقضاه الله فيك على * مرارة في اصطباري عنك أخفيها

وقال رباح بن عامر دخلت من نجد أريد الشام فأصابني مطر عظيم فقصدت خيمة رفعت لي فاذا بامرأة فسألتها التظليل فأشارت الى ناحية فدخلت ثم قالت لعبيد سلوه من أين الرجل فقلت من نجد فتنفست الصعداء ثم قالت نزلت عن قيم اقلت بني الحريش فرفعت ستارة كانت بيننا واذا بامرأة كأنها القمر ثم قالت أتعرف رجلا فيهم يقال له قيس ويلقب بالمجنون قلت إي والله سرت مع أبيه حتى أوقفني عليه وهو مع الوحش لا يعقل الا ان ذكرت له ليلى فبكت حتى أغمي عليها فقلت ثم تبكين ولم أقل الا خيرا فقالت أنا والله ليلى المشؤمة عليه غير المساعدة له ثم أنشدت

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة * متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسي من لا يستقل برحله * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

وكان آخر مجلس للمجنون من ليلى أنه لما اختلط عقله وتوحش جاءت أمه اليها فأخبرتها وسألتها أن تزوره فعساها أن تخفف ما به فقالت أما نهارا فلا خيفة من أهلي وسآتيه ليلا فلما جن الليل جاءت فسلمت عليه ثم قالت

أخبرت أنك من أجلي جننت وقد * فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه اليها وأنشد

قالت جننت على رأسي فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين

لو تعلمين اذا ما غبت ما سقمي * وكيف تسهر عيني لم تلوميني

وقد امتحنته يوما لتنظر ما عنده من المحبة لها فدعت شخصا بحضرته فسارته ثم نظرته فقد تغير حتى كاد ينفطر فأنشدت

كلانا مظهر للناس بغضا * وكل عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون بما أردنا * وفي القلبين ثم هوى دفين

وأسرار الملاحظ ليس تخفى * وقد تغرى بذى لخطأ الظنون

وكيف يفوت هذا الناس شئ * وما في الناس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد أن يذهب عقله فانصرف وهو يقول

أظن هواها تاركي بمضلة * من الارض لا مال لدى ولا أهل

ولا أحد أقضى اليه وصيتي * ولا صاحب الا المطية والرحل

محاحبها حب الألى كن قبلها * وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

﴿ ليلى بنت طريف ﴾

وقيل الفارعة وقيل فاطمة والاول أشهر أخت الوليد بن طريف الشيباني الخارجي الذي خلع ربقة الطاعة في خلافة الرشيد فأرسل اليه يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فظهر عليه وقتله سنة ١٧٩ هجرية (٧٩٥) ميلادية وكانت أخته من شواعر العرب تجيد الشعر وكانت من الفروسية على جانب عظيم ولما قتل أخوها صدمت القوم وعلى جسدها الدرع ولامة الحرب وجعلت تحمل على الناس ومن شجاعتها وفروسيتها قال القوم ان الوليد قد قتل وليست هذه الا أخته ليلى لانها تشابهه بالفروسية وبالتحقيق عرفت أنها ليلى وكان يزيد بن مزيد قريبا للوليد بن طريف لكونهما جميعا من شيبان فقال يزيد اتركوها ثم خرج اليها وضرب بالرمح قطاة فرسها وقال اعزبي عزب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت ورثت أخاها بمراث كثيرة لم يبق منها الا القليل وكانت تسلك سبيل الخنساء في مراثيها لاخيها صخر ومن جملة ما أنشدت فيه قولها

بتل نباثى رسم قبر كأنه * على جبل فوق الجبال منيف

تضمن مجدا عدمليا وسوددا * وهمة مقدام ورأى حصيف

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يريد العز الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف

ولا الذخر الا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف

فقدناه فقدان الربيع فليتنا * فديناه من ساداتنا بألوف

كأنك لم تشهد هناك ولم تكن * مقاما على الاعداء غير مخيف
ولم تستلم يوما لورد كريهة * من السرد في غضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح * وسمر القنا ينكزنها بأنوف
حليف الندى ماعاش يرضى به الندى * فان مات لا يرضى الندى بحليف
خفيف على ظهر الجواد اذا عدا * وليس على أعدائه بخفيف
ومازال حتى أزهق الموت نفسه * شجا لعدو أو نجا لضعيف
ألا يا لقومي للحمام وللبلى * وللارض همت بعده برجوف
ألا يالقومي للنوائب والردى * ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر ما بين الكواكب اذ هوى * وللشمس اذ ما أزمعت بكسوف
ولليث كل الليث اذ يحملونه * الى حفرة ملحودة وسقيف
ألا قاتل الله الجثا حيث أدمرت * فتى كان للمعروف غير عيوف
فان يك أرداه يزيد بن مزيد * فرب زحوف لفها بزحوف
عليك سلام الله وقفا فانني * أرى الموت وقاعا بكل شريف

(وقولها فيه أيضا)

ذكرت الوليد وأيامه * اذا الارض من شخصه بلقع
فأقبلت أطلبه في السماء * كما يبتغي أنفه الاجدع
أضاعك قومك فليطلبوا * إفادة مثل الذي ضيعوا
لو ان السيوف التي حدها * يصيبك تعلم ما تصنع
نبت عنك أو جعلت هيبة * وخوفا لصولك لا تقطع

(حرف الميم)

(ماء السماء)

هي ماوية بنت عوف بن جشم وقيل بنت ربيعة التغلبي ملكة العراق التي من سلالتها النعمان و باقي الملوك المناذرة انبت بماء السماء لانها كانت في عصرها آية الجمال وعنوان المجد والجلال وكانت المناذرة تفتخر بها وجميع عرب العراق تخاف بحياتها وكانت مآثرها ومفاخرها على العرب لا يوصف لها حد ولا يدرك لها عد وكانت مكرمة عند الاكاسرة ونسائهم وطالما قدمت لها نساء الاكاسرة الهدايا النفيسة والاكاليل والجواهر اللطيفة وحق لمثلها أن تفتخر على نساء العرب والعجم بما جاء لها من الاولاد النجباء الذين دانت لهم البلاد وخدمتهم العباد مدة من الزمان حتى أذلوا جبابرة العرب والعجم فسبحان الحي الذي لا يموت

(ماريا أدجورت بنت أدورد الثالث ملك انكلترا)

ولدت في بلد شيرسنة ١٧٦٧ وتوفيت في أدجورت تون من ارلانده سنة ١٨٤٩ أخذت العلم عن

أبيه وكانت من البشاشة على جانب عظيم ومحبوبة عند الجميع وكان لها من الامل والرغبة الذين لابد منهما لنمو القوى العقلية نموًا تامًا ما حملها على مداومة اجتهادها في سبيل المطالعة والدرس وكانت مولعة بالروايات فأتحفت قومها بروايات كثيرة النفع مفيدة وكانت كل رواياتها أدبية مؤثرة فاكتسبت رضا العموم ومديحهم وقد طبعت كتابها في ١٤ مجلدا في لندن سنة ١٨٢٥ ثم طبعته ثانية في ١٨ مجلدا سنة ١٨٣٢ وفي ٩ مجلدات سنة ١٨٤٨ وفي ١٠ مجلدات سنة ١٨٥٦ وكرر طبعه في الولايات المتحدة الامريكانية

﴿ماجدة القرشية﴾

ذكر في طبقات الشعراني أنها كانت من المتعبدات الصالحات الزاهدات القائمات الليل الصائمات النهار وكانت رضي الله عنها تقول ما حركة تسمع ولا قدم توضع الا ظننت أني أموت في اثرها وكانت تقول يا لها من عقول ما أنقصها سكان دار أوذنوا بالنقلة وهم حيارى يركضون في المهلة كأن المراد غيرهم والتأذين ليس لهم ولا عني بالامر سواهم وكانت تقول لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنة ورضا الرحمن الا بتعب الابدان

﴿ماريا تريزا ابنة كارلوس الرابع أمبراطور النمسا﴾

ولدت سنة ١٧١٧ وتزوجت بدوق توسكانا سنة ١٧٣٦ ولما توفي والدها سنة ١٧٤٠ ورثت الملك عنه واشتركت زوجها فيه وقد قامت بعبء هذا المنصب الخطير والبلاد تئن تحت وطأة الدين المتثاقل والخسائر الفاحشة التي لحقتها بسبب الحروب مع روسيا وسكرنيا وغيرهما من دول أوروبا وزادت مهاجمات هذه الدول مع وفاة والدها واستولى كل منها على مقاطعة من النمسا بدعوى انقطاع المذكور من عائلة أبيها فاستولى فريدريك الكبير ملك بروسيا على سيليسيا وهي أخصب مقاطعات المملكة النمساوية وأغناها واستولت اسبانيا ونابولي على أملاكها في ايطاليا فقطعت أوصال مملكتها وتركتها اسما بلا مسمى غير أن ذلك لم يوهن عزم الملكة ماريا تريزا التي فاقت الرجال حكمة ودراية فجمعت الاموال وحشدت الجنود ودافعت عن بلادها دفاع اليأس فانكسرت والتجأت الى رعاياها المجريين فأنجدوها عن طيبة خاطر قيل انها جمعتهم في قصرها ودخلت عليهم حاملة ابنها ولي العهد وكان طفلا وأخذت تخاطبهم باللاتينية وتحثهم على الدفاع والذود عن الوطن وكان جمالها مفرطا وكلامها عذبا وفصاحتها تأخذ بمجامع القلوب فسحر المجريون بها وذرفوا الدموع وجردوا سيوفهم وعاهدوها على الدفاع الى الموت وبمساعدة المجريين تمكنت من عقد هدنة أكس لاشابل سنة ١٧٤٨ بعد حرب سبع سنوات وخسارة كثير من أملاكها غير أنها تمكنت بذلك من أن سمت زوجها أمبراطورا واضطرت بقية الدول الى الاعتراف به ثم صرفت همتها الى ترقية العلوم والصناعة والزراعة والتجارة فزادت المكاسب وتحسنت الاحوال وانتشلت البلاد من ضيقتها المالية وكانت تسوس البلاد بمساعدة زوجها ووزيرها كونتز المشهور ثم تجدد الحرب بينها وبين فريدريك الكبير ملك بروسيا ودامت سبع سنوات فضعفت البلاد وخسرت ما كانت قد كسبته في زمن السلم ثم عقب هذه الحرب سلم طويل فعادت الى ترقية العلوم والصنائع وأدخلت الى بلادها اصلاحات شتى وسنة ١٧٦٣ توفي زوجها فأشركت ابنها يوسف معها في الملك واشتركت مع روسيا وبروسيا في اقتسام بولاندا فنالها من ذلك الثلث وأضافت الى ذلك غاليسيا ولودوميريا وأخذت من

الدولة العلية بوكونيا وتوفيت سنة ١٧٨٠ بعد ان ملكت أربعين سنة أظهرت فى خلالها من الشجاعة والحزم والعزم والحكمة فى السياسة وتدبير الرعية وترقية المعارف والصنائع ما فاقت به على الرجال ووصلت بها النمسا فى أيامها الى أوج مجدها وتوفيت عن ثلاثة بنين وست بنات وخلفها فى الملك ابنها المذكور آنفا باسم يوسف الثانى

﴿ماريا متشل الفلكية الاميركية﴾

ماريا متشل ابنة رجل أمريكى من طائفة الكواكر ولدت سنة ١٨١٨ وكان أبوها مولعا بعلم الهيئة والحسابات الفلكية فتعلمت منه الحساب وكان لها ميل شديد الى العلوم الرياضية فبرعت فيها مع انها كانت تقوم بخدمة البيت من غسل الصحاف وما أشبه ذلك ولم يحاول أبوها صرفها عن ميلها الطبيعى بل قواه فيها بتعليمه اياها العلوم الرياضية كلها حتى سلك الابحر كاعلم بنيه الذكور وكانت تقول ان المرأة تستطيع أن تتعلم سبع لغات وهى تعمل بيديها فى الخياطة والتطريز وكان أبوها مستخدما فى اللجنة التى تمسح الشواطئ البحرية فاستعان بها على أعماله الحسابية ومن ثم تعرفت بكثيرين من مشاهير علماء العصر وكان هؤلاء العلماء يزورونها ويحاورونها فى المباحث العلمية ولم يكن أبوها فى بسطة من العيش فعزمت على أن تساعده على السعى لعائلته فجعلت مديرة لاحد المكاتب العمومية وبقيت فى هذا المنصب عشرين سنة منقطعة الى الدرس فى منتخبات الكتب وكثيرا ما كانت تصنع الجوارب بيديها والكتاب مفتوح أمامها وهى تطالع فيه هذا فى النهار وأما فى الليل فكانت ترصد الكواكب فى أفلاكها وسنة ١٨٤٧ اكتشفت نجما جديدا من ذوات الاذناب اكتشفته بالتلسكوب وحسبت ميله وصعوده المستقيم بالتدقيق فكتب أبوها الى مدير مرصد كمبردج يعلمه بذلك فلم يمض على هذا الاكتشاف الأسابيع قليلة حتى اشتهر اسمها فى محافل العلماء وأذاعته الجرائد العلمية ومنحها ملك الدانيمرك نيشانا ذهبيا

ولما اكتشفت هذا الاكتشاف الفلكى كان لها فى المكتبة عشر سنوات فأقامت فيها عشر سنوات أخرى عاكفة على الدرس ورصد الافلاك والمساعدة فى تأليف الزيج (النتيجة أو التقويم) الاميركى السنوى ومكاتبة الجرائد العلمية وسنة ١٨٥٧ أتت أوروبا قاصدة مشاهدة مراصدها الفلكية والتعرف بعلمائها المشهورين فرحب بها العلماء وأكرموا مثواها الان شهرتها كانت تتقدمها حيثما ذهبت ولم تلبث فى أوروبا الا سنة واحدة ثم عادت الى أمريكا واستمرت على تأليف الزيج للحكومة الى أن أنشأ مسيو فاسار مدرسة جامعة للبنات ومرصدا فلكيا فيها فجعلت مديرة لهذا المرصد وأستاذة لعلم الهيئة فى المدرسة المذكورة وهى الآن عضو فى مجمع العلوم الاميركى وفى جمعية الفنون والعلوم ولها تأليفان الواحد فى أقمار زحل والثانى فى أقمار المشترى ورصود معتبرة فى النيازك وعبور الزهرة وقد بلغت فوق السبعين من عمرها وكلل الشيب رأسها ولكنها لم تزل تراقب الافلاك وتعلم بنات نوعها مراقبتها ومشاركة الرجال فى أسمى المطالب العلمية

﴿ماريا مورغان الاميركية﴾

ولدت فى جنوب ارلندا سنة ١٨٢٨ من أبوين من ذوى المقامات الرفيعة وربيت على ظهور الصافنات الجياد منذ نعومة أظافرها فلم تناهز العاشرة حتى صارت تسابق الفرسان وتكسب الرهان ثم توفى أبوها

فانتقلت أملاكه كلها الى بكره بحسب شريعة البلاد فاضطرت أن تسعى لنفسها فى طلب رزقها وكان لها أخت أصغر منها تعلمت فن التصوير وأرادت أن تتقنه فى مدينة رومية أم المصورين ومرضعتهم فذهبتا اليها سوية وتعرفت هنالك بهربرت هو سمر النحات الاميركى وكان نزيلا فى رومية وعنده كثير من جياد الخيل فجعلت تركبها وتروضها حتى ذاع صيتها فى بلاد ايطاليا ولما مضى عليها سنتان فى رومية قصدت مدينة فلورنسا وكانت كرسى ملوك ايطاليا فدعاها الملك (فكتور عمانوئيل) اليه ورحب بها وأجلسها بجانبه وجعل يحدثها بأمر الخيل فرآها من أعرف الناس بها فأقامها مديرة على الاصطبلات الملكية وبقيت فى هذا المنصب العالى سنين كثيرة وكانت تذهب الى انكلترا وارلندا من وقت الى آخر لتبتاع له الجياد وأهداها خاتما من الماس وساعة من الذهب عليها اسمه بحجارة الماس لما رآه فيها من الهمة والاجتهاد وسنة ١٨٦٩ قصدت الولايات المتحدة الاميركية ومعها مكاتيب التوصية من سفير الولايات المتحدة فى ايطاليا الى رجل من أخصائه فوجدت أن الرجل مات فجأة قبل وصولها فسقط فى يدها ولم تعلم ماذا تعمل وعرض عليها مدير جريدة الشمس التى تطبع فى مدينة نيويورك أن تنشئ له ما يكتب فى جريدته عن الخيول وأخبارها فترددت فى قبول ذلك ولما لم تجد عملا آخر يقوم بمعيشتها قبلته وجعلت تتردد على أسواق الخيل وميادينها وتكتب فيها الفصول الضافية وتصدت لها بقية الجرائد فى أول الامر وسلقتها بألسنة حداد ولكنها عادت فأثنت عليها بما هى أهله لما رأت من بلاغة انشائها وسمو مداركها ولين عريكتها وواسع خبرتها وأقامت فى هذا المنصب أكثر من عشرين سنة وكانت تكاتب كثيرا من الجرائد العلمية والادبية واشتهرت ببلاغة الانشاء وقوة الحجة وكانت ثقة قومها فى معرفة الخيول وزارت أوربا مرارا عديدة وأختها المصورة برفقتها ومنذ عهد غير بعيد أخذت تبنى دارا كبيرة وكانت تدفع نفقات البناء من المال الذى أحرزته بقلمها وأختها تعتنى بنقش الدار وتزويقها ولكن عاجلتها المنية قبل أن تسكنها وهى فى الرابعة والستين من عمرها وقد كتبت على جبين الدهر (ليس دون الرجال النساء)

﴿ماري جان غومرد دوفوريني﴾

كونتس بارى خليلة لويس الخامس عشر ولدت فى فوكولور من شمپانيا سنة ١٧٤٦ وقتلت فى باريس سنة ١٧٩٣ كانت بنت خياطة واستخدمت فى مخزن بباريس تباع فيه ملابس الرأس وكانت ذات جمال بارع سلبت فيه قلوب كثيرين من باريس ومن ضمن من تعلقوا بها الكونت جان دو بارى فأوعز الى بعض خدمه أن يصفها للملك ويذكر له محاسنها ودلالها محاولا بذلك بلوغ المناصب العالية وجمع ثروة وافرة فلما نمى خبرها الى لويس الخامس عشر زوجها بأخى الكونت المذكور ثم فتح لها أبواب البلاط الملكى فكانت تدخله كالخواتين الكريمات وسرى حبها فى عروق الملك فتمكن فيها ولم يعتره فتور مدة حياته بطولها أما ما أنفق عليها من خزينة فرنسا فبلغ أكثر من خمسة وثلاثين مليون فرنك أمدت بجانب منها أقرباءها وأصدقاءها وتصدقت بجانب آخر على الفقراء كفارة عن اثمها وكانت تتداخل فى مصالح الدولة فحصل لها أهمية كبرى وهى التى حملت الملك على نفى دوق سوازول كبير وزرائه لانه كان أشد أعدائها وبهمتها أيضا على فض المجلس العالى الذى التأم سنة ١٧٧١ وابعاد أعضائه غير أن للزمان نكبات فلم يسلم منها من سلك مسالك الغرور فلما توفى الملك نفاها لويس السادس عشر من بلاطه غير أنه

سمح لها بالرجوع الى جناح القصر الملكي الذي بني لها في لوسيانة قرب فرساليا فأقامت فيه مع دوق برتياله عشيقها وكانت عيشتهما عيشة تنعم وسنة ١٧٩٢ سافرت الى انكلترا ولما رجعت منها ألقي عليها القبض سنة ١٧٩٣ بدعوى اختلاسها الاموال ومؤامرتها على الجمهورية ولبسها ثوب الحداد في لوندرة على العائلة الملكية فحكم عليها بالقتل وكانت قد تشددت مدة المحاكمة غير أن عزيمتها خارت في طريقها الى دكة الدم واستمرت الى آخر دقيقة من حياتها تسأل العفو بكلام يدعو الى الشفقة فلم يغن عنها ذلك شيأ وكانت ساعدت بعض الشعراء وقربتهم واقتبست منهم بعض معارف واستعانت بها على مقاصدها وبالجملة كانت بارة بالفقراء والمساكين

﴿ماري انتوانت ابنة دوق توسكان من ماريا تريزيا﴾

ولدت سنة ١٧٥٥ وتزوجت وهي في السادسة عشرة من عمرها بولي عهد فرنسا لويس السادس عشر وكانت حينئذ على غاية البساطة وصفاء النية محبة للمزح أنيسة العشرة بعيدة عن التأنف والرسوم المرعية في قصور الملوك ومتى زوجها ملكا على فرنسا سنة ١٧٧٤ وكان ذلك بدأة أتعابها فكرهها الشعب الفرنساوي واتهمها بدسائس عديدة لم يقدر أن يثبت واحدة منها وكانت هفواتها العظيمة حب الفخفخة والولائم والمسرات وقد ورهاعن ادراك ويلات البلاد ومصائبها

قيل انها رأت الفقراء يتضورون جوعا فقالت الى أحزن لفقرهم فاذا لم يكن لهم خبزيأ كلونه فليأكلوا كعكا وكان الفرنساويون يزدادون بغضا لها وعداوة واتهموها بسرقة أموال البلاد وانفاقها على مالا فائدة منه وهجم جمهور من رعاعهم على قصر فرساليا بقصد قتلها وطلبوا أن تخرج اليهم فخرجت بشجاعة وثبات يندر وجودهما في مثل تلك الاحوال وأمسكت بيدها ولي العهد ابنها الطفل فلم يجسر أحد أن يرميها بشئ مخافة أن يصيبه وكان ذلك سبب نجاتها ثم أرادت مصالحة الامة فزارت بعض المعامل وأظهرت سرورها من تقدم الصناعة فيها وبينت اهتمامها بأحوال الشعب غير أن الخرق كان اتسع على الراقع فازداد الفرنساويون بغضا وكرها لها ولما رأت منهم ذلك صممت على الهرب من البلاد هي وزوجها فانعها زوجها حاسبا أن هربه في تلك الاحوال ضرب من الخيانة لبلاده وكان شريف النفس أبيا محبا للامة لا يشوبه الاضعف الهمة وفي أحد الايام هجم البعض عليه وأوقفوا مركبته فساءه ذلك وحسبه تعديا شخصيا فهرب مع عائلته في ٢٠ يونيه سنة ١٧٩١ ولسوء حظه أمسك في فاران وأرجع أسيرا الى باريس وزاد هياج الشعب ضد الملكة واتهموها بدسيسة مع النمسا وتوبخت جهة فرنسا وبعد عراك طويل ومعاناة أخطار شتى أظهرت أثناءها شجاعة غريبة وقوة نادرة وعزما وحزما تقصر عنهما الرجال حكم عليها المجلس بالقتل في ١٥ اكتوبر سنة ١٧٩٣ وأنفذ الحكم في اليوم الثاني وذلك بعد ما قتل زوجها بثمانية أشهر وهكذا انتهت حياة هذه الملكة الفريدة التي فاقت الرجال عزيمة وثباتا وقاسمتهم الاتعاب والمشاق

﴿ماري ستوارت ابنة يعقوب الخامس دوق سكوتلانده﴾

هي شهيرة عصرها جمالا ونجابة وزينة العالم الغربي علما ومهابة ولدت سنة ١٥٤٢ من زوجته (ماري دي لورين) التي ماتت بعد ولادتها بثمانية أيام وفي سنة ١٥٥٨ تزوج بها فرنسوا الذي تولى تخت

فرنسا باسم فرنسيس الثاني ثم مات عنها بعد سنة ونصف فعادت الى بلادها حزينة وهنالك ودعت فرنسا
بأبيات هي غاية في الرشاقة واللطف تعريبها ما يأتي (وداعا يا فرنسا الانيقة يا بلادي التي ربيت صباي
والتي فيها أقصى مشتهاي وداعا يا أيامي الغراء في مملكة العز والصفاء ان الفلك الذي فصلني عنك لم يفصل
سوى شطري وأما الشطر الآخر فهو ملك لك سأتركه في مغناك ذريعة لذكراك) وكان تغاليها في الاستمساك
بالمذهب اللاتيني الذي كان استبدله قومها بمذهب لوثير جعلها بغيضة لدى الاهلين فرأت أن تتزلف
اليهم بزواجها بابن عمها هنري الذي لم يكن له من مزية سوى بسطة في جسمه ومسحة في جمال وجهه
فزفت عليه سنة ١٥٦٥ وكان اشمأز من مرافقتها بحب كاتم أسرارها داود ريزيو الايطالي الذي كان
جميلا فتانا وموسيقيا شهيرا فهجم عليه ليلة من باب سري في قصرها ولما رآه يعزف أمامها اشتعل
حسدا وغيرة فقتله غيلة عند الباب الخارجي وفي سنة ١٥٦٧ هلك هنري بكيفية تجلب الشك
في أمر موته فاتهمت به وعقيب ثلاثة أشهر تزوجت بلا تدبر في العواقب بالكونت بوتويل الذي قيل
عنه انه المجهز بأمرها على زوجها فهاج فعلها هذا القوم فاتهموها بالخيانة والفاحشة وزجوها في معتقل
(لوس ليفان) وساموها جحد مذهبها الذي فأبت وأبت بحمية حتى اغتصبت عن ولدها جمس الاول الذي
وحد مملكتي سكوتلاندا والانكليز ثم حاولت الفرار فتدلت من شرافة عالية ونجت بنوع عجيب وكتبت
اذ يئست من الملك مستجيرة بابنة عمها الملكة اليصابات وذلك سنة ١٥٦٨ فاستقدمتها بأمان ولما
رأت ما أوتيت من محاسن الذات والصفات أضمرت لها شرا وحسدا ثم افترت عليها أمورا منها أنها قتلت
زوجها وأودعتها حبسا ضيقا مكثت فيه ١٨ عاما اتخذت في خلالها وسائل جمة للخلاص
فلم تفلح ومن تلا نبأ محنتها وما لقيت فيه من الضيق والنكد لا يكاد يملك عبراته حزنا ووجدا ولو كان فؤاده
جمرا صلدا ولم يكف اليصابات ذلك حتى اتهمتها ظلما وأوهاما بأنها عاونت فريقا من أهل مذهبها على
اهلاكها فخفرت ذمتها وحكمت عليها بالموت ثم أمرت الامير بيل وكان من أشد الناس عداوة لماري بأن
يزورها في السجن وينذرها بوشك القتل فسار مع فريق من الامراء وأبلغها الرسالة بلسان أمر من الصبر
وفؤاد أقسى من الصخر فأجابته متجلدة اني لست من رعية ابنة عمي فكيف تأمر بقتلي واذا كان رضاها
بموتي فأهلا به الآن نفسا لا تسمح لجسم بأن يحتمل ضربة جلاد فهو واذن غير جدير بنعيم الملك الجواد ثم
دعت قسيسها وكانوا قد حالوا بينهما فقال لها بعض النبلاء لو فاوضت أسقفا لوتيريا لكان أقرب للتقوى
فأبت وكان أمير كنت متحمسا في البروتستانتية فقال ان حياتك لدينا موت وموتك حياة لنا ولما انصرفوا
أمرت بالطعام وتناولت قليلا منه على عادتها وحانت منها التفاتة فرأت خدامها يبكون فقالت لهم كفوا
يا أخوتي وافرحوا بانطلاقي من هذا العالم عالم الشقاء ثم شربت بعد العشاء على أسمائهم رجالا ونساء
فشربوا معها ركعا وقد مزجوا شرابهم من عيونهم بماء والتمسوا عفوها فعفت عنهم واستعفتهم عنها ثم
كتبت وصيتها ووزعت بينهم حلاها وألبستها وكتبت الى ملك فرنسا رسائل وصاة في حق جميع حاشيتها
ثم تودعت من النوم بالغرار وأحيت سائر ليلها بالتهجد والاستغفار ولما ألقت الغزالة لعابها جاء أمر
في طلابها وكان النهار صاحيا ووجه السماء ضاحكا ضاحيا فلبست أبهى ثيابها وأسدلت عليها
رداء من كتان وخرجت على الفور وسبحتها في بنانها وعلى محياها الصبح الوقور وسمات الطهر والتجلد
وكان المجد والاجلال يسيران في خدمتها ولما بلغت مقتلها استقبلها الاعيان والامراء وبينهم خادمها

ملفن يشرق بالبكاء فقالت له رويدك ياملفن وكفاك نحيبا فانك عما قليل ترى مارى معتوقة من قيد أحزانها فقل لاهل سكوتلانده انى أموت كاثوليكية حافظة لفرنسا وسكوتلانده عهدى الهى اغفر لمن ظمئ الى دمى كما تظمأ الابل الى الماء الهى انك تعلم سرائرى وخفايا ضمائرى فبرئنى عندابنى اليتيم أولهمه أن حياتى لم تدنس حرمته ولم تشن مملكته الهى وفقه الى أن ينهج مع ملكة الانكليز منهج صدق وولاد انك لغفور رحيم جواد ثم ذرفت مدامعها ككريات من الماس تقذف من الجبين وتدحرج على على صفحتى الجبين وودعت خادمها الوداع الاخير فاندفع فى البكاء حتى تولاه الاغماء ثم التفتت بجلال الى الامراء ورغبت اليهم أن يساعدوا خدمتها على احرازما لهم من وصيتها وان يمكنوهم من القيام حولها ساعة قتلها فتجافى أمير كنت عن مطلبها الثانى لوساوس شيطانية فقالت له لا تخف دركا من هذه النعاج الوديعة الوريقة التى لا مأرب لها الا التملى منى بهذا الوداع الاليم وعندى أن حبيبتى لا تمنعنى ذلك كيف لا وأنا ملكة أيضا وابنة ملك وزوجة ملك وأقرب الناس اليها والله يعلم أنى أقول ذلك بقلب سليم وضمير مستقيم فلبوها حينئذ وسار أمامها الامراء وخادمها الخاص وراءها رافع رداءها حتى اذا بلغوا المذبح استوت على أريكة سوداء فتلى أمر قتلها فسمعته باصغاء ثم حاول الاساقفة أن يميلوا بها عن مذهبها فأجابتهم انى أموت على ما ولدت فطلب الامراء أن يشتركوا معها فى الصلاة والدعاء فقالت لكم دينكم ولى دين ثم جثت وأخذت تصلى باللاتينية فتابعها خدمتها ولما فرغت كررت الاستغفار عن الملكة والدعاء لابنها فتقدم الجلاد مستسمحا فأجابته مسامحة ثم نزع عنها خدامها رداءها الاعلى باكيات نائحات فقابلتهن بالصبر وكفف العبرات ثم غطت وجهها بقناع أسود واستوت على الخشبة قائلة الهى استودعتك روحى واستقبلت الموت

بعزمة بعثتها همة زحل * من دونها مكان الارض من زحل

فتقدم الجلاد وقطع هامتها فهتف الاسقف هكذا التلاف أعداؤنا ثم حنطت جثتها ودفنت باحتفال فى كنيسة (بيتير بورغ) وصنع لها فى باريس مأتم حافل وكان لها من العمر يوم قتلها أربع وأربعون سنة وشهران ومازال رسمها محفوظا فوق سريرها فى ايدنبورغ قاعدة سكوتلانده ولها رسم آخر فى محبسها الاول محذوظا مع تاج الملك والسيف والصولجان ووسام وخاتم ياقوتى فصه أكبر من البندقة وقد ألف مشاهير الكتبة بحياة مارى وبراءتها روايات كثيرة شعرا ونثرا تركوها بعدها للناس أمثولة وذكرى

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضى الارض داهن فى القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضى الارض من قاضى السماء

وكتبت الى اليصابات وهى فى سجنها تقول من مارى ستوارت الى اليصابات ملكة انكلترا لقد برح الخفاء أيتها السيدة وظهرت عقبة من يتكل على عدلك فى حفظ الذمام وكرم الاخلاق وقد تبين لى أن المستجير بك عند البلاء كالمستجير بالنار من الرمضاء فعلام لا تقابلينى ولاى ذنب تلقينى فى السجن وقد كنت آمل أن أرتع عندك فى القصور المنيعة ولماذا لم أرمنك الا الضغينة والبغضاء عوضا عن المودة والولاء وهل السجون والقبور لمثل مارى ستوارت حتى يحكم عليها مجلسك بها وعلى أى ذنب بنوا حكمهم ووافقتهم عليه يا ترى أساءك منى أن معتقدى يخالف معتقدك وانى لست ابنة كنيستك أو تعدين هذا ذنبا سياسيا حتى انقضيت على من أجله منتقمة متشفية على حين سلمت نفسى اليك وألقيت أمرى بين يديك وقلت خذوها فغلوها . امالقد قضى أهل المروءة فواحر قلباه وآخر ما أقوله أيتها السيدة انك اذا كنت لا تنظرين فى سوء

حالى وشدة مصابى فتنازلى وانظرى بعض النظر فى مقامى واعلمى أن فى مارى ستوارت خلفا وأى خلف لعرش اسكتلانده انما أنا عالمة أنك تقصدين التنكيل بى وأعلم السبب الداعى الى ذلك ولكننى لا أخاف تنكيلا ولا أرهب وعيدا ولا تم ميدا فان اليصابات لم تعرف بعد أى عظمة ضمها صدر مارى ستوارت فسأتحمل الظالم بنفس راضية دون أن أفوه ببنت شفة مكتفية بأن لى ربا ينصف المظلوم من الظالم وهو الذى يشيد الممالك ويقوضها ويرفع الملوك ويخفضها فليهنأ لك الملك يا اليصابات ولتقر عينك به وقد خلا لك الجو فاملكى واسرحى وامرحى ولكننى أذكرك فى الختام أن لا تحكمى بغير العدل والانسانية والسلام

فأجابتها اليصابات بما يأتى

انى لا أقابلك أيتها السيدة حتى يبيض فودالك وتصفر خدالك من سجون انكلترا وأنت لا تتركينها ساعتئذ الا لتمثلى رواية محزنة يكون لك فيها الدور الاول والسلام

﴿ مارى دوارليان ﴾

وهى ابنة الملك لويس فيليب الثانية ولدت فى بالرمو سنة ١٨١٣ وتزوجت سنة ١٨٣٧ بالكسندر دوق دوودتمبرغ وتوفيت سنة ١٨٣٩ كانت مغرمة بالفنون المستظرفة ولاسيما صناعة الحفر ومن محفوراتها تمثال جان دارك حفرته ولها من العمر ٢٠ سنة وهو الآن فى قاعة التحف فى فرساليا وقد حفرت تماثيل أخرى وصورت صورا كثيرة ظريفة جدا

﴿ مادام بلانشار ﴾

كانت من اللواتى اشتهرن بفن البالون أى المركبة الهوائية وكان زوجها بلانشار قد سقطت ثروته وخسر كل ما كان قد جمعه فأمسى فقيرا حتى انه قال لها وهو على فراش الموت انه لا يرى لها فرجا بعد موته الا بأن تقتل نفسها اشنقا أو غرقا ولكنها صممت على المسير فى السبيل الذى كان زوجها يسير فيه وبناء على ذلك شرعت فى الصعود فى الهواء وغير ذلك فصعدت مرارا كثيرة ونجحت كل النجاح وأتقنت العمل وتشجعت حتى انها كانت تعرض نفسها للاخطار كثيرة وكانت هذه المخاطرات واسطة لتشديد رغبة القوم فى التفرج على أعمالها وبالنتيجة كانت تزيد مداخيلها المالية وكثيرا ما كانت تصادف من المخاطر ما كان يكاد يأتيها بالهلاك وصعدت مرة فأفلت منها عنان مركبتها فسقطت بها الى مكان موحل يغرق من سقط فيه فتعلقت المركبة فى الاشجار وكانت تندفع من مكان الى مكان بشدة مخيفة حتى ظن القوم الذين كانوا يتفرجون عليها انها تهلك اذا لم يبادر أهل القرى المجاورة لتخليصها أما عدد صعودها فى الهواء صعودا ومهما فكان بين الخمسين والستين مرة وكانت فى كل مرة تعمل أعمالا تختلف عن التى عملتها فى غيرها وفى سنة ١٨١٩ للميلاد صممت على أن تقيم وهى طائرة فى المركبة أعمالا نارية كالتى يقيمونها فى الافراح والاعياد والولائم وكانت تربط الاسهم النارية فى المركبة بحيث تقدر أن تشعلها بقضيب طويل فى رأسه نار مشتعلة وكانت تشعلها وتقطع الرباط فتقع مشتعلة الى أسفل فيراها المتفرجون هذا ومعلوم أن من أغرب الاعمال التى عملتها بشرهذا العمل الذى كانت تجاسر أن تعمله امرأة لانها كانت تصعد الى الهواء وتبعد عن الارض ألوفا من الاقدام بواسطة مادة قابلة جدا للاحتراق وموضوعة فى ظرف رقيق قابل

للاحتراق أيضا وتأخذ في إشعال البارود وغيره من المواد السريعة الاشتعال بقضيب طويل مشتعل وكان البعض يتطرون الى ذلك بعين الخوف لانهم كانوا يعلمون أن شرارة واحدة من القضيب المشتعل الرأس أو من المواد التي كانت تحرقها كافية لحرق تلك المركبة الكبيرة اذا وصلت الى الهيدروجين الذي كان يرفعها وهكذا حدث فان النار اشتعلت فاشتعل أسفل المركبة فأخذت تسقط بسرعة ثم احترقت الحبال التي كانت تربط مجلس المركبة وسقط فسقطت مادام بلانشار على سطح من سطوح بيوت المدينة ومنها على الارض فماتت حالا

المتجردة هند زوجة المنذر بن ماء السماء

كانت من أعظم نساء العرب جمالا فلما مات عنها أخذها ولده النعمان فكان يجلس مع نديميه النابغة والمنخل فشغفت بالمنخل وامتزجا حبا فأمر النعمان يوما النابغة أن يصفها فقال

واذا طعنت طعنت في مستهدف * رابي المجسة بالعبير مقرمد

واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل ان هذا وصف معاين وحرض النعمان على قتله فهرب وكان عفيفا فلما خرج النعمان الى الصيد رجع بغتة فوجد المتجردة مع المنخل وقد ألبسته أحد خلخاليها وشدت رجله الى رجليها فقتله وللمنخل فيها أبيات منها

ان كنت عاذلتي فسيري * نحو العراق ولا تحوري

ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر في اليوم المطير

والكاعب الحسناء تر * فل في الدمقس وفي الحرير

فدفعتها فتدافعت * مشي القطاة الى الغدير

فلثمتها فتنفست * كتنفس الظبي البهير

فدنت وقالت هل بجسـ * ـمك يامنخل من فتور

ماشف جسمي غير حبـ * ـك فاهدئي عني وسيري

وأحبها وتحبني * ويحب ناقتها بعيري

ولقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير

فاذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير

واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير

ياهند هل من نائل * ياهند للعاني الاسير

متيم الهاشمية

كانت متيم صفراء مولدة من مولدات البصرة وبها نشأت وتأدبت وغنت وأخذت عن اسحق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المغنين وكانت من تخريج بذل المغنية وتعليمها وعلى ما أخذت عنها كانت تعتمد فاشتراها على بن هشام بعد ذلك فازدوت أحدا ممن كان يغشاه من المغنين وكانت من أحسن الناس وجها

وغناء وأدبا وكانت تقول شعرا مستحسنا من مثلها وحظيت عند علي بن هشام حظوة شديدة وتقدمت عنده على جواريه أجمع وهي أم أولاده كلهم فولدت له صفية وتكنى أم العباس ثم ولدت محمدا ويعرف بأبي عبد الله ثم ولدت بعدها ابنا يقال له هرون ويعرف بأبي جعفر سماه المأمون وكناه بهذا الاسم والكنية قال ولما توفي علي بن هشام عتقت وكان المأمون يبعث اليها فتجيبه فتغنيه فلما خرج المعتصم الى سرمن رأى أرسل اليها فاستخلصها وأنزلها داخل الجوسق في دار كانت تسمى الدمشقي وأقطعها غيرها وكانت تستأذن المعتصم في الدخول الى بغداد الى ولدها فتزورهم ثم ضم اليها قلم وهي جارية لعلي بن هشام قال الحسن بن ابراهيم بن رباح سألت عبد الله بن العباس الربيعي من أحسن من أدركت صنعة قال اسحق قلت ثم من قال علويه قلت ثم من قال متيم قلت ثم من قال أنا فعجبت من تقديمه متيم على نفسه فقال الحق أحق أن يتبع

وكانت متيم جالسة بين يدي المعتصم ذات يوم ببغداد وابراهيم بن المهدي حاضر فغنت متيم

لزينب طيف تعتريني طوارقه * هدوا اذا ما النجم لاحت لواحقه

فأشار اليها ابراهيم أن تعيده فقالت متيم للمعتصم ياسيدي ابراهيم يستعيدني الصوت وكأني أراه يريد أن يأخذه فقال لا تعيديه فلما كان بعد أيام كان ابراهيم حاضرا مجلس المعتصم ومتيم غائبة فانصرف ابراهيم بعد حين الى منزله ومتيم في منزلها بالميدان وطريقه عليها وهي في منظرة لها مشرفة على الطريق فسمعها تغني هذا الصوت فضرب باب المنظرة بمقرعة وقال قد أخذناه بلا حمدك وكان المأمون سأل علي بن هشام أن يبيعها له وكان بها معجبا فدفعه عن ذلك ولم يكن له منها ولد وقتئذ فلما ألح المأمون في طلبها حرص علي على أن تعلق منه حتى حملت ويئس المأمون منها فيقال ان ذلك كان سببا لغضبه عليه حتى قتله

وقال علي بن محمد الهشامي انه أهدى الى علي بن هشام برذون أشهب قرطاسي وكان في النهاية من الحسن والفراهة وكان علي به معجبا وكان اسحق يرغب فيه رغبة شديدة وعرض لعلي بطلبه مرارا فلم يرض أن يعطيه له فسار اسحق الى علي يوما يعقب صنعة متيم في هذا الصوت

فلا زال حمري ظلّعا كم حملنها * الى بلد ناء قليل الاصادق

فاستعاده اسحق واستحسنه ثم قال له بكم تشتري مني هذا الصوت فقال علي بن هشام جاريتي تصنع هذا الصوت وأشتريه منك قال قد أخذته الساعة وأدّعيه فيقول من يصدق قولي أو قولك فاختر الآن مني خلة من اثنتين إما أن تهبني البرذون وتحملني عليه وإما أن أبيت فأدّعي والله هذا الصوت لي وقد أخذته قال علي يؤخذ قولك ويترك قولي لا والله ما أظن هذا ولا أراه يا غلام قدم هذا البرذون الى منزل أبي محمد بسرجه ولجامه لا بارك الله لك فيه

وكلم ابن هشام متيم يوما في كلام فأجابته جوابا لم يرضه فدفع يده في صدرها فغضبت ونهضت فتثاقلت عن الخروج اليه فكتب اليها

فليت يدي بانت غداة مددتها * اليك ولم ترجع بكف وساعد

فان يرجع الرحمن ما كان بيننا * فلست الى يوم التنادي بعائد

فصنعت له لحنا وخرجت اليه وصالحته وغنته الصوت . وعتبت عليه مرة فتمادى عتبها وترضاها فلم ترض فقال الدلال يدعوا الى الملال ورب هجر دعا الى صبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه ولقد صدق

العباس بن الاحنف حيث يقول

ما أراني الا سأهجر من ليس * يراني أقوى على الهجران

قد حداني الى الجفاء وفائي * ما أضر الوفاء بالانسان

فخرجت اليه من وقتها وقال الهشامي كانت متيم تحبني حبا شديدا محبة الاخت لاخيها وكانت تعرف أني أحب النبق فبينما أنا جالس في داري في ليلة من الليالي في وقت السحر اذا ببابي يدق فقيل من هذا فقالوا خادم متيم يريد أن يدخل اليك فقلت يدخل فدخل ومعه صينية فيها نبق فقال لي ان متيم تقرئك السلام وتقول لك كنت عند أمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءه نبق من أحسن ما يكون فأمر أن يوضع في صينية ويقدموها الى متيم ففعلوا فأمرتني أن آتي بها اليك ودفعت الي تكية من النقود حتى أدفعها الى الحراس ليخرجوني بها وها هي عند المعتصم

ووفدت على علي بن هشام جدته من خراسان فقالت له يوما اعرض علي جواريك فعرضهن عليها ثم جلس على الشراب وغنت متيم وأطالت جدته الجلوس فلم ينبسط ابن هشام اليهن كما كان يفعل فقال هذين البيتين

أيبقى على هذا وأنت قريبة * وقد منع الزوار بعض التكلم

سلام عليكم لا سلام مودع * ولكن سلام من حبيب متيم

وكتبها في رقعة ورمى بها الى متيم فأخذتها ونهضت الى الصلاة ثم عادت وقد صنعت فيه لحنا فغنت فقالت شاهك وهي جدة ابن هشام ما أرانا الا قد ثقلنا عليكم اليوم وأمرت الجواري فحملن محفتها وأمرت بجوائز للجواري وساوت بينهن وأمرت لمتيم بمائة ألف درهم

ومرت متيم في نسوة وهي مستخفية بقصر علي بن هشام بعد قتله فلما رأت بابه مغلقا لا أنيس عليه وقد علاه التراب والغبرة وطرحت في أفنيته المزابل وقفت وقالت

يا منزلا لم تبل أطلاله * حاشى لأطلالك أن تبلى

لم أبك أطلالك لكنني * أبكيت عيشي فيك اذ ولى

قد كان لي فيك هوى مدة * غيبه الترب وما هلا

فصرت أبكي جاهدا فقده * عند ادكاري حيثما حلا

فالعيش أولى ما بكاه الفتى * لا بد للمحزون أن يسلى

ثم سقطت من قامتها وجعل النسوة يناشدنها ويقلن الله الله في نفسك فانك لا تؤاخذين الآن فبعد كل جهد حملت تتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع

وقالت متيم بعث الي المعتصم بعد قدومه بغداد فذهبت اليه فأمرني بالغناء فغنيت

هل مسعد لبكاء * بعبرة أو دماء

وذا الفقد خليل * لسادة نجباء

فقال اعدلي عن هذا البيت الى غيره فغنيته غيره من معناه فدمعت عيناه وقال غني غير هذا فغنيته

أولئك قومي بعد عز ومنعة * تفانوا والا تذرف العين أكمد

فبكى وقال ويحك لا تغني في هذا المعنى شيأ فغنيت

لا تأمن الموت فى حل وفى حرم * ان المنيات تغشى كل انسان
واسلك طريقك هونا غير مكترث * فسوف يأتيك ما يجرى لك الجانى

فقال والله لولا أنى أعلم أنك غنيت بما فى قلبك لصاحبك وانك لم تتشاءم بى لقتلتك ولكن خذوا بيدها فاخرجوها فأخرجت

ولما مات على بن هشام جاء النوائح فطرح بعض من حضر من مغنياته عليهن نوحا من نوح متيم وكان حسنا جيدا فابطأ نوح النوائح التى جئن لحسنه وجودته وكانت زين حاضرة فاستحسنته جدا وقالت رضى الله عنك يا متيم كنت علما فى السرور وأنت علم فى المصائب وماتت متيم هى وابراهيم بن المهدى و بذل فى آن واحد وكانت للمعتصم جارية ذات مجون فقالت يا سيدى أظن أن فى الجنة عرسا فطلبوا هؤلاء اليه فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره فلما كان بعد أيام وقع حريق فى حجرة هذه القائلة فاحترق كل ما تملكه وسمع المعتصم الجلبة فقال ما هذا فاخبر عنه فدعا بها فقال ما قصتك فبكت وقالت يا سيدى احترق كل ما أملكه فقال لا تجزعى فان هذا لم يحترق وانما استعاره أصحاب ذلك العرس

(مرغريتا الفرنساوية ملكة انكلترا)

هى مرغريتا آف انجو زوجة هنرى السادس كانت من النساء العاقلات العالمات بضروب السياسة والاحكام تربت تربية مجد وشرف ولما اقترن بها هنرى السادس استحوذت على قلبه وملكت الشعب الانكليزى بحسن سياستها وتدبيرها ملكا لم يسبق لغيرها من الملكات قبلها وكانت ظالمة عاتية على المذنبين لديها وكان زوجها حليما قليل الهمة سليم الطباع لا يلاقى الحوادث بقوة ونشاط حتى نشأ من سبب ضعفه وعدم اقتدار مرغريتا بمفردها على تدبير المملكة رجوع عائلة يورك على ما كانت تدعيه سابقا من حقوق الملك وكان كبار حزب لنكستر وهم الكردينال بوفورت ودوق دولدفورد ودوق دوغلوستر الذين دبروا الملك لما كان هنرى السادس قاصرا قد توفوا عن آخرهم فقام رتشرد دوق يورك وهو والد ادورد الرابع وأخذ يظهر بكل رفق ودقة حقه فى الملك فعضده فى ذلك ارل ورويك وارل سلزبرى وكان من أعيان انكلترا الاقوياء فجرد السيف لمقاتلة سمرست آخر الاشراف الكبار من عائلة لنكستر فانتصر فى سنت البنس سنة ١٤٥٥ وكان ذلك الانتصار بداية الحرب بين حزب وردة لنكسترا الحمراء وحزب وردة يورك البيضاء وتقلبت الاحوال على رتشرد فكان ينجح مرة ثم يصادف فشلا مرة أخرى الى أن كسرته الملكة مرغريتا وذبحته فى ويكفيلد سنة ١٤٦٠ فتقلد ابنه ادورد رياسة جيش مؤلف من سكان حدود ولس ومن سكان الجبال وهزم عساكر جرارة تحت قيادة ارل بمبروك وارل أرمند بالقرب من هرد فرد ثم سار الى الجهة الجنوبية وأتى لنجدته ارل ورويك الذى انكسر فى برنت فسار الى لندن فدخلها من دون ممانعة واستمال اليه الناس بحداثة سنه وجراءته وجماله وأقره المجلس العالى على تخت الملك فى ٤ اذار (مارس) سنة ١٤٦١ فصار للمملكة ملكان وجيشان مختلفان فى البلاد واستعد الفريقان للقتال كل الاستعداد واجتمع فى توتون بالقرب من يورك ١٠٠ ألف مقاتل من الانكليز من كلا الفريقين واصطفوا للقتال وقر الرأى على انه لا يعفى عن أسرى الحرب وابتدأت المواقعة فى ٢٩ اذار (مارس) سنة ١٤٦١

والمظنون أنها أشد موقعة جرت فى انكلترا فانها دامت أكثر من يوم وقتل فيها ٣٠ ألف رجل
وانكسر حزب لنكستر الذى كانت قائدته الملكة مرغريتا انكسارا تاما وثبت الملك لادورد الرابع
فسافرت مرغريتا الى فرنسا وطلبت مساعدة ملك الفرنسويين وفى سنة ١٤٦٤ رجعت الى
اسكوتسيا بخمسمائة مقاتل من الفرنسويين واجتمع اليها قوم من الاسكوتسيين فأضرمت نار الحرب
وجرى لها مع اللورد مونتا كيوت الجنرال الانكليزى موقعة بالقرب من هكسام فدارت عليها الدائرة
وأسر الملك هنرى زوجها وكثيرون من الرؤساء والقواد وأما هى فهربت الى فرنسا أيضا وذبح ادورد
أعداءه مذ كان ادر يعاقب أوائل الانتصار ثم عمد الى الحلم والرفق بالرعية وانتهز فرصة غياب مرغريتا فأطلق
لنفسه العنان وتزوج سرا بامرأة اسمها اليزابيت أرملة البارجون غراى وابنة رتشرد وودفيل وهو
البارون ريفرس وكان قد قابلها فى بيت أبيها وهو فى الصيد فى غابة غرفتون وفى شهر ايلول (سبتمبر)
أعلن جهارا أنها زوجته وملكة انكلترا ووجه الى أبيها لقب ارل فساء هذا الاقتران ارل ورويك العاتى
المتكبر لان ادورد كان يود أن يقترن بالبرنسيس بونة دوساقوا وعهد اليه مخابرتها بذلك واستمالتها اليه فنجح
فى مخابرته فكان من أدورد ما تقدم فكبر الامر على الارل واستعظمه واتحد مع شقيق ادورد وهو دوق
كلارنس وجاهر بالعصيان سنة ١٤٦٩ فظهرت فى الحال نتيجة اتحاده مع أشراف البلاد وأكابرها
غير المرتضين بتصرفات ادورد وامتدت الثورات فى كل جهات البلاد وجند (روبين) من ردسدال فى
كونتية يورك ٦٠ ألف مقاتل وشهر الحرب فسار اليه ادورد وكان ورويك قد ذهب الى فرنسا
فاستمال اليه لويس الحادى عشر وصالح مرغريتا عدوته القديمة ورجع الى انكلترا بعساكر قليلة فنزل
فى درتموت ولم يمض الا أيام قلائل حتى صار عنده ٦٠ ألف مقاتل ونيف لان الشعب كان يحبه كثيرا
فتقدم الى الشمال وكان تقدمه سببا لانحلال عزائم الجنود الملكية فهرب ادورد الى هولاندة سنة
١٤٧٠ وأخرج خصمه من القصر الذى كان محبوسا فيه فسمع الناس فى أزقة لندن وشوارعها تضج
مرة أخرى بذكر اسمه والتأم المجلس العالى بأمر الملك الجديد فحكم فيه على ادورد بأنه غاصب وصادف
المحزبون له اهانة واحتقارا نقضت كل الاعمال التى جرت فى أيامه وكانت سطوة مرغريتا فى الشعب
الانكليزى نافذة وأحزابها كثيرون وكلما أرادت الثورة تجد من يساعدها وآلت على نفسها أن لا تدع
انكلترا فى راحة ما دامت على قيد الحياة ولذلك صارت تلقى الدسائس والفتن وكلما سمعت بثورة كانت أول
من بادر اليها الا أن دوق برغنديا كان يساعد ادورد سرا فجمع ادورد جيشا من الفلمنك فى مدة قصيرة
وسار بهم الى رافنسبور وتقدم الى داخلية البلاد متظاهرا أنه لم يأت انكلترا الا للحصول على الاملاك
التى ورثها من آبائه وكان يوصى رجاله بأن يصرخوا قائلين فليعش الملك هنرى الى ان وردت اليه نجدات
كافية لمقاتلة أعدائه فجاهر بالعدوات والتقت العساكر فى برنت فى ١٤ نيسان (ابريل) سنة ١٤٧١
فدارت الدائرة على اللنكستريين وقتل ورويك فاستولى ادورد على لندن مرة ثانية وقبض على هنرى
أيضا وأرجعه الى الحبس وفى تلك الاثناء خرجت مرغريتا من فرنسا وأتت انكلترا مع ولدها ادورد وكان
له من العمر ١٨ سنة فنزلت فى ويموت بجيش فرنسوى فى نفس النهار الذى جرت فيه موقعة برنت وحدث
بينها وبين دوق سمرست قتال فى تيوكسبرى فى ٤ ايار (مارس) سنة ١٤٧١ فانكسرت جنودها
وقتل ابنها وأسرت هى فبقيت فى الاسر خمس سنين الى ان افتداها ملك فرنسا أما زوجها الملك هنرى

فمات

فمات فى الحبس بعد تلك المعركة بأسابيع قليلة وفى سنة ١٤٧٤ تواطأ كل من ادوارد ودوق برغنديا على قسمة فرنسا الى قسمين أحدهما يشتمل على الولايات الشمالية والشرقية تستولى عليه برغنديا والآخر تستولى عليه انكلترا فعبر أدوارد فى مضيق كالى بجيش انكليزى الا أن دوق برغنديا لم يف بعهده فأرسل لادوارد تحريرا يعتذر فيه عن قصوره ولما علمت مرغريتا بذلك سعت بكونها عقدت معاهدة مابين أدوارد ولويس ملك فرنسا آلت الى نفع ادوارد فانه تقرر فيها ان لويس يدفع لادوارد ولكل من كبار رجاله مرتبات سنوية وافرة وجرت هذه المعاهدة من دون قتال ثم ان مرغريتا أوقعت خلافا شديدا بين ادوارد وأخيه كلارنس لان ادوارد منع كلارنس عند خلته من التزوج بابنة دوق برغنديا وكانت وارثة الملك بعد أبيها وذات ثروة وافرة وبعد ذلك بمدة وجيزة قتل اثنان من أصحاب كلارنس اتهامات كاذبة كان من جملتها أنهما ساحران فأخذ كلارنس فى تبرئتهما فقتله سرا فى شهر شباط (فبراير) سنة ١٤٧٨ بدعوى أنه طعن فى عدالة الحكومة وانهمك ادوارد فى آخر حياته فى اللذات والملاهى وأهمل مصالح المملكة وبقيت بعده مرغريتا مدة من الزمن حتى ماتت فى فرنسا وهى قريرة العين بأخذ ثارها من ادوارد حيث نكدت عليه كل حياته وتوفيت بعده بمدة طويلة

﴿ مرغريتا دى فالوا ﴾

هى شقيقة فرنسيس الاول ملك فرنسا ومن أشهر النساء الكاتبات اللواتى نبغن فى عهده ولدت فى أنكولايم سنة ١٤٩٢ وتزوجت بشرل دى فالوا دوق الانسون سنة ١٥٠٩ ثم توفى زوجها سنة ١٥٢٧ فحزنت عليه حزنا شديدا وزاد حزنها لما كان وقتئذ من أسر أخيها وما ألم بصحته من الاعتلال فسارت الى مدريد وخاطبت الامبراطور شرلكان ووزراءه فى أمره فاضطروا الى معاملته بالاكرام لما رأوه فيها من الحزم وعند رجوع فرنسيس الاول فرنسا فى حافظ الاخته ذكرا جميلا وعقد زواجها سنة ١٥٢٧ على هنرى دالبريت ملك نافار فرزقت منه دالبريت والدة هنرى الرابع وكانت مرغريتا دى فالوا المجاهرة بالمحاماة عن البروتستانت فرفعت الشكوى عليها الى أخيها وحرضت احدى الجرائد الكاثوليكية أن يبتدأ بعقوبتها اذا رغب فى استئصال الهرتقات من مملكته فتصام الملك عن استماع ذلك وقال ان أختى لا تعتقد الا ما أعتقده ولا يمكن أن تدين بدين يضر بمملكتى وقد اشتهرت هذه الكاتبة بطيبة القلب ومكارم الاخلاق وحب الفقراء فكانت تحسن بالاموال الطائلة على المستشفيات فى لانسون ومورتانى وبنت مكانا للقطاء أطلق عليه اسم الاولاد الحمر واتصفت بجميع المناقب حتى سماها بعض شعراء عصرها بالنعمة الرابعة وعروس الشعر العاشرة ومن الامور المقررة التى لا يختلف فيها اثنان أن أشغال هذه الملكة بالمركز الاعلى فى مراتب الآداب بين بنات عصرها واحرازها قصب السبق على جميع كتاب القرن السادس عشر وجمعها بين حدة الذكاء وقوة التصور ودقة النقد وشدة الاطلاع فكانها هى روض زاهر بالمعارف لا يفوتها شئ من متفرقات الفوائد وقد نبغت فى الشعر والنثر والسياسة واللاهوت واليونانية والعبرانية ودرست الموسيقى والهندسة وأتقنتهما وكانت غيورة على العلم تجل شأن العلماء وتحب معاشرتهم فلا يكاد يخلو اجتماع لها منهم وقد امتازت بسهولة الكتابة نثرا ونظما ومن أشهر مؤلفاتها كتاب اسمه الهبتاميرون وهو مجموع حكايات حكمية على نسق كليلة ودمنة اتخذه لافونتين نموذجا يجرى عليه فى تأليف حكاياته الشهيرة

وانتقى منه المواضيع الادبية التي بنى عليها كتابه ويقال ان مرغريتا كتبت القسم الاكبر من هذا الكتاب في هودجها أثناء تجوالها وأسفارها وكانت تكتب بسهولة وبلا مراجعة كأنها تكتب انشاء على علمها وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب أنه حدثت أمطار وزوابع عظيمة في جبال البيرنيس وكان الناس يتقاطرون في كل سنة الى جهة هناك ذات ينابيع مفيدة للاستحمام بها والشرب منها طلبا للصحة والعافية فاضطروا أن يهجروها على اثر هذه الزوابع وتركوا أفواجا هربا من الموت المفاجئ فسقط بعضهم في النهر فالتهم المياه الطاغية وأغرقتهم وهرب آخرون الى الغابات فافترستهم الوحوش الكاسرة وانهزم فريق منهم الى بعض القرى التي بعثوا اليها اللصوص وقطاع الطريق فسلبوهم أشياءهم وأوقعوا بهم أما العقلاء منهم فلجؤا الى دير سيدة سيراس ومكثوا هناك ينتظرون الفرج وكان قد وشر ببناء جسر يقطعون عليه النهر فلما طال أمر بنائه عقدوا العزم على أن يقص كل منهم قصته على رفقائه في كل يوم حتى لا يشعروا بطول المدة التي يقضونها بالانتظار وهذا الكتاب مجموع القصص المذكورة وفيها من الوقائع الادبية والنكات اللذيذة المفيدة ما ترتاح اليه الخواطر وقد ألحقت كل قصة من هذه القصص بتأملات لا تقل أهميتها عن بقية المؤلف من حيث اصابة المرمى وحسن الوضع أما منظومات هذه الملكة فنذكر منها المجموعة التي طبعت سنة ١٥٤٧ وهي تتألف من روايات وأسرار وهزليات ثم منظومة أخرى اسمها انتصار الحمل ورثاء حصين وكلاهما من خيار الاشعار النفيسة وكانت مولعة بالصنائع والفنون الجميلة فشيدت قصر ليو وضمت اليه الجنات البديعة ثم توفيت في قصر أودوس في التاريخ سنة ١٥٤٩ وفي سنة ١٥٥٠ كتبت (ملوت سنت مارت) سيرة حياتها وصدرتها بصورة مواعظ في اللاتينية والفرنساوية بعبارة فصيحة جدا فانتشرت بين الناس وأحرزت شهرة عظيمة ولا تزال الى يومنا هذا موضوع أحاديث الادباء وقد نصب لها تمثال في جنينة لكسمبرج اظهارا لفضلها واقرارا بما كان لها من عظمة الشأن بين آل الادب والعرفان

﴿ مريم بنة عمران ﴾

ابن ساهم بن أمود بن منشا بن حزقيا بن أحزاق بن يوثام بن عزاريا بن أنصيا بن ناوس بن فوثا بن بارض بن نهنا ساط بن رادم بن ابيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام

كان زكريا بن يوحنا وعمران بن ساهم متزوجين باختين احداهما عند زكريا وهي اليصابات بنت فاقود أم يحيى والاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقود أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت مكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقد نذرت على نفسها ان رزقها الله بولد تتصدق به على البيت المقدس فيكون من خدمته ورهبانه فتقبل الله دعاءها وحملت بمريم فحررت ما في بطنها ولكن لم تعلم ما هو فقالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا عن الدنيا وأشغالها خالصا لك وخادما لبيتك المقدس فقال لها زوجها ويحك ماذا صنعت ان كان في بطنك أنثى لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في وهم من ذلك وفي حالة حملها توفي زوجها عمران فلما أتمت مدة حملها وضعت جارية فقالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى في خدمة بيتك المقدس واني سميتها مريم وكانت مريم أجمل النساء وأفضلهن

وأحسنهن وأنبتها الله نباتا حسنا وكانت أخذتها أمها ولفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار كما نذرت على نفسها وقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار وكل منهم أراد أخذها وقال لهم زكريا وكان أكبرهم أنا أحق بها منكم لان عندي خالتها فقالت له الاحبار لا نفعل ذلك ولا نسلمها اليك ولكن نقترع عليها ومن خرج سهمه أخذها فاقترعوا فطلعت من سهم زكريا فأخذها وكفلها وضمها الى خالتها أم يحيى واسترضعت منها حتى بلغت مبالغ النساء وبنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه مرتفعا لا يرتقي اليها الا بسلم فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها في كل يوم وكان اذا خرج من عندها أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها وجد عندها رزقا أي فاكهة فيقول لها من أين أتى لك هذا فتقول هو من عند الله فلما ضعف زكريا عن حملها خرج الى قومه وقال لهم اني كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدي ويقوم بأداء خدمتها كما كنت أفعل بها فقالوا لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فلم نجد من يحملها فتقارعوا عليها بالسهام فخرجت من سهم رجل صالح نجار يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عمها فتكفل بها وحملها فقالت له مريم يا يوسف أحسن الظن بالله سيرزقنا من حيث لا نحتسب فجعل يوسف يرزقه الله برزق حسن ويأتي كل يوم لها بما يصلحها من كسبه فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق فتقول له هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فلما بلغت من العمر خمس عشرة سنة وهي اذ ذاك في خدمة البيت المقدس وكان اعتراهم يوم شديد الحر وقد فنيه ماؤها فأخذت قلتها وانطلقت الى العين التي فيها الماء لتملأها منها فلما ان أتت الى العين وجدت عندها جبريل قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله بعثني اليك لأهب لك غلاما زكيا قالت أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال لها انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها وكانت وضعته اليه فلما انصرف عنها لبست درعها فحملت بعيسى باذن الله ثم ملأت قلتها وانصرفت الى مسجدها فلما ظهر عليها حملها كان أول من أنكر عليها ذلك ابن عمها يوسف النجار واستعظم ذلك الامر ولم يدر ما يصنع وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه وأعياه الأمر كلمها وقال لها انه قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري فقالت له قل قولا جميلا قال لها أخبريني يا مريم هل نبت زرع من غير بذر قالت نعم قال هل نبتت شجرة من غير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر يكون من الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق كل واحد منهما على حدته أو تقول إن الله لا يقدر أن ينبت شجرا حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته فقال لها يوسف نعم إن الله قادر على كل شيء وقادر على أن يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها من أمر الله وأنه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وضعف قوتها فلما أثقلت مريم ودنا نفاسها خرجت من المسجد الى

بيت خالتها التي ولدت فيه فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها وأدخلتها ثم قالت لها يا مريم شعرت أني حاملة وانك أنت أيضا حاملة مثلي فاني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك ولما أقامت في بيت خالتها أوحى الله اليها انك ان ولدت بجهة قومك قتلوك أنت وولدك فاخرجي من عندهم فأخذها يوسف النجار ابن عمها وخرج بهما هاربا وقد حملها على حمار له حتى أتى قريبا من أرض مصر أدركها النفاس فألجأها الى أصل نخلة وكان ذلك في زمن الشتاء وكانت هذه النخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف وهي في موضع يقال له بيت لحم قال فلما اشتد الامر بمريم تضرعت الى ربها وقالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فنوديت أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فلما ولدت ونزل الغلام من بطنها ناداها وكلمها باذن الله تعالى وقد أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد ولما يسر الله لها أسباب ولادتها رجعت به الى قومها وكانت قد غابت عنهم أربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فاني عبد الله فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فمن أين لك هذا الولد فأشارت لهم مريم الى الصبي أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فقال عند ذلك الصبي وهو ابن أربعين يوما (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) فلما شاع خبره بين قومه أراد هيردوس ملكهم أن يهم بقتله فأخذهما يوسف النجار وهرب الى مصر فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين الى أن بلغها أن هيردوس الملك قد مات فرجعت هي وابن عمها يوسف النجار الى أن أتوا الى جبل يقال له الناصرة فسكنوا فيه الى أن بلغ ولدها من العمر ثلاثين سنة ثم خرجوا الى قومهم وقيل ان وفاتها قبل رفع ولدها عيسى عليه السلام بست سنين

﴿مدام نكر﴾

هي ابنة رجل فقير الحال من خدمة الدين اشتهرت في حداثتها بجمالها وآدابها ورآها المؤرخ كبن الانكليزي الشهير وكان اشتغافي أوروبا فراعه جمالها وذكاؤها ووقعت منه موقعا عظيما وعزم على الاقتران بها ثم رجع الى بلاده وكاشف أباه بذلك فلم يسلم له بل تهدده بطرده من بيته وحرمانه من ميراثه ان فعل فوقع كبن بين عصيان الهوى وعقوق الوالدين فاختار أصغرهما وهو الاول وبقيت محبة هذه الفتاة في فؤاده ثم اضمحلت مع الايام الى الاكرام والاعتبار وبعد قليل مات أبوها ولم يخلف مالا تعيش به فأقلعت الى مدينة جنيفا وأخذت تعيش من أجرة التعليم وهنالك رآها المسيو نكر وكان كاتبا في أحد البنوك فأحبها وعزم على أن يقترن بها حينما تنصلح أموره ولم يمض عليه سنون كثيرة حتى صار من كبار الاغنياء فتزوج بها سنة ١٧٦٤ واتخذها معينة له ومشيرة وأحبها حبا مفرطا وهي كانت أهلا لمحبته واعتباره لانها جعلت غرضها من الحياة ارضاءه ودخلت باريس وعمرها ٢٥ سنة وهي غير معتادة على المعيشة في المدن الكبيرة ولا متربية تربية تؤهلها للدخول بين أهل الجاه والمجد وكان بباريس حينئذ أشهر فلاسفة فرنسا وكتابها فسولت لها نفسها أن تجعل لزوجها مقاما بين علمائها مثل مقامه بين أغنيائها ففتحت بيتها لهؤلاء الفلاسفة وجعلته ناديا لهم وكانت ترحب بهم وتجول معهم في الحديث وتحاول أن تقتادهم الى

التدين والتقوى وكان زوجها يعتمد عليها فى مقابلة زواره وضيوفه وكان اذا دعا بعضهم الى بيته يقول لهم هلم نتمتع بحديث مدام نكر واعتزل الاشغال التجارية كلها وأناط بزوجته تدبير منزله وأمواله فكانت تحل وتربط وتبيع وتشترى وقد بينت ابنتهما مدام دوستايل الكاتبة الشهيرة سبب ذلك بقولها المار أى أبى أن أمى فقيرة لا مال معها ورآها شاعرة بذلك خاف أن تستصغر نفسها فسلمها كل أمواله وخوّلها التصرّف المطلق فيها لكى تشعر من نفسها أن المال لها فتنفذ وتخلص من صغر النفس وذهب كبن المؤرخ المتقدم ذكره الى باريس فدعاه زوجها الى بيته وأحسن ضيافته وترحبت هى به وأخبرته أن دخل زوجها السنوى لا يقل عن عشرين ألف دينار ثم عين المسيو نكر وزير المالية فرنسا ومدبر الها فأصلح شؤن المالية واهتم باصلاح السجون والمستشفيات وكان الفضل الاول فى ذلك لزوجته لانها كانت تتعهد السجون بنفسها وتتفقد كل أحوالها وتدبر الطرق المناسبة لاصلاحها وأنشأت بمارستانا بباريس فسمى باسمها الى هذا اليوم وأقام زوجها فى هذا المنصب الرفيع خمس سنوات وكانت هى المدبرة لاموره واصعوبتها وأقرّ زوجها بفضلها وكان زوجها يفتخر بها ويعدد فضائلها فلامه اللائمون على ذلك لكنهم أخطؤا فى لومهم خطأ بينا لانه اذا حق للانسان أن يفتخر بآبائه وجدوده وبعلمه وآدابه كما فعل عمرو بن كلثوم والسموأل بن عادياء وأبو العلاء المعرّى فى قصائدهم الفخرية حق له أيضا أن يفتخر بآل بيته ولاسيما بزوجته اذا كانت ممن يفتخر بها كمدام نكر هذه التى كانت مرشدة لزوجها ومدبرة لأموره وزهرة فضل عرفها فى بيته ولكن المناصب محفوفة بالمتاعب ومن رقى العلى استهدف لوقع أسهم الردى فلم يمض على المسيو نكر خمس سنوات فى هذا المنصب حتى كثر حساده وخيف عليه من عدوانهم فعزم على الاستعفاء وحثته عليه زوجته حتى استعفى وتخلى عن الاشغال السياسية فأسف جمهور فرنسا على استعفائه ولامها البعض منهم لانها حثته على الاستعفاء ولكن عذرها واضح واجتهادها مفهوم وهى أنها خافت عليه من العدوان وما تنتج المناصب والحياة فى خطر والى ذلك أشارت فى كتاب كتبته الى كبن المؤرخ حيث قالت انى راغبة فى هذا المنصب ولكنى لم أتأمل فى عواقبه فاضطررت فى الآخر أن أرغبه فى تركه وقد أسفت فرنسا كلها على استعفائه ونحن أيضا آسفون جدا لاضطرارنا الى ترك هذا المنصب ولاسيما لاننا نخاف أن لا تجرى أموره فى مجراها بعد أن تركناه اما مسيو نكر فلم يترك الاشتغال بعد تركه للمنصب المذكور بل أكبّ على تأليف كتاب جاء من أبدع الكتب فبيع منه فى أسبوع واحد ثمانون ألف نسخة وألفت مدام نكر كتابا فى الطلاق أودعته آيات البلاغة وطبعته سنة ١٧٩٤ وتوفيت فى تلك السنة بعد أن أصابها مرض عصبى مؤلم فحزن عليها زوجها حزنا مفرطا وأروى ضريحها بالعبرات وحق له الحزن والبكاء عليها لانها رفعت لواء عزه وأنارت سبل حياته بذكاء عقلها وسمو آدابها

﴿مريم مكاريوس﴾

ولدت مريم نمر مكاريوس فى ربيع سنة ١٨٦٠ فى حاصبيا مدينة من مدن سوريا قبل حدوث المذبحة الشهيرة فيها ببضعة عشر يوما وتيتمت من أبيها بتلك المذبحة التى شابت لهولها الولدان فحملتها أمها مع أخيها الى مدينة صيدا بعد ما فرّت بهم الى قرية مجدل شمس بقرب جبل الشيخ ثم أتت الى مدينة بيروت وهى تغذيها بألبان الحزن وتغسل وجنتيها بدموع الحسرات وقامت عليها وعلى أخويها تربيهما عالشهر عنهما من

الحكمة والذكاء الى أن بلغت سن التمييز فأدخلتها في احدى مدارس القدس الشريف لتتعلم بها العلم الذى لم يكن لأمها حظ منه لانها ولدت وربيت في عصر كان تعليم البنات محظورا فيه بحجة انه غير لازم لهن ويخشى منه عليهن كذا ظن أهل ذلك العصر وهو ظن أقبح من إثم فلم تلبث المترجمة في القدس الا زمانا يسيرا حتى اختارت لها أمها مدرسة من أحسن مدارس بيروت أدخلتها ولم ترض أن تخرج منها قبل أن تتم دروسها كلها وتأخذ شهادتها فدرست من اللغة العربية وفنونها الصرف والنحو والبيان ومن الانكليزية كذلك ومن العلوم التاريخية والجغرافية والحساب والفلسفة الطبيعية والهيئة وغير ذلك وتمرنت على الاعمال اليدوية من خياطة وتطريز ونحوهما ونالت الشهادة المدرسية سنة ١٨٧٧ وكانت وهي في المدرسة مشهورة باخلاص النية وسلامة الطوية وذكاء العقل وشدة الحياء

وبعد خروجها من المدرسة بقليل اقترن بها شاهين مكاريوس فأنشأت له بيتا زينته بلطفها ودبرته بحكمتها وفتحت أبوابه للاصدقاء الادباء من رجال ونساء فكانوا على مائدتها كأنهم في نادٍ من النوادي العلمية والمحافل الادبية وهي تطربهم بعذب كلامها وتسكرهم بخمرة معانيه ورزقها الله ثلاثة أولاد ذكرين وأنثى فربتهم أحسن تربية وعلمت كبيرهم مبادى العربية والانكليزية وكانت عازمة أن تعلم أخاه وأخته متى بلغوا سن التمييز ولكن أدركتها المنية قبل تحقيق المنى فخسر أطفالها خسارة لا تعوض وفي غرة سنة ١٨٨٠ اتفقت مع البعض من صديقاتها وعقدت جمعية أدبية سمتها باكورة سورية وانضم اليهن عدد من السيدات المهذبات فكن يتداولن الخطب والمناظرات ومن خطبها خطبة تاريخية انتقادية في الخنساء الشاعرة العربية الشهيرة جمعت فيها ما تفرق في كتب الادب وشفعته بانتقاد مكين يدل على توقد ذهنها ودقة نظرها وقد أدرجها المقتطف في سنته التاسعة ولها أيضا مقالة عنوانها الحرارة والماء أدرجت في السنة الثانية منه ونبذ أخرى ورسائل ومناظرة عنوانها البنات والبنون مع البكباشي الدكتور سليم موصلي ومناظرة عنوانها دفاع النساء عن النساء مع الدكتور شبلي أفندي شميل مؤلف الشفاء سنذكرها في هذه الترجمة لانها لا يزال صداها يدوي في الآذان حتى الآن وقد كان هذان الدكتوران طبيبيها الخاصين حتى ساعة موتها وقد بذلا كل الجهد والعناية حفظا لحياتها الثمينة وأعياهما الداء العياء ولها في اللطائف مقالة رنانة في حياة زنوبيا ملكة تدمر ورسائل شتى لم تطبع وقالت مرة في مطالعة النساء القصص والكتب الفكاهية ما نصه (نحن نميل طبعا الى قراءة سير الناس ولذلك نرى أكثر نساء العالم تقتبس معارفهن وفوائدهن من قراءة الكتب التي من هذا الباب ولا يخفى عليكن أن المرأة الصادقة لا تقصد بمطالعة الروايات وسير الناس مجرد تسلية الخاطر واشغال المخيلة بما يهيج الاطفال ويسلي الاولاد الصغار ولكنها تقصد أولا تحصيل الفوائد اللازمة لها في حياتها مثل معرفة الاخلاق واختلاف الاحوال وصروف الزمان والتصرف في النوائب وفضل ممارسة الفضيلة ووخامة مرتع الرذيلة واعتبار العواطف الشريفة والاقتداء بالذين فاقوا في حسن صفاتهم وكرم أخلاقهم وفازوا بجميل صبرهم وأفادوا بحسن تربيتهم واهتمامهم بجبر القلوب الكسيرة وتشجيع النفوس الصغيرة واصلاح شؤون هذه الفضائل وأمثالها تقصدها المرأة الحكيمة أولا في مطالعة الروايات والسير وتقصد الفكاهة والتسلية ثانيا ولى طالما وددت لو كان لنا نحن بنات اللغة العربية ما لغيرنا من الروايات التي اذا قرأناها لم تعل وجوهنا حمرة الخجل ومن السير التي نجد فيها ما يوسع العقول ويهذب الاخلاق ويلطف العواطف ويكمل الادب ويعلم أحوال

العالم

العالم ويكشف لنا خبايا الطبع البشري فلم أنل المنى الا في قليل مما وقفت عليه ولم أزل أضطر الى مطالعة كتب الافرنج لتحصيل ما أشتهيه من هذا القبيل مع اننا في زمان تتبارى فيه أقلام الكتاب ويتباهى فيه أولوا النباهة والذكاء) وقالت أيضا منتقدة إغفال ذكر الامهات من تراجم البنين والبنات ما نصه (ولم يذكر لنا المؤرخون عن اسم أم الخنساء ولم يكلفوا النفس أي كلمة عن التي قاست الاهوال وأحيت الليالي حرصا على حياة بنتها وحبا لتربيتها فأين الانصاف من ذلك وفضل البنت من فضل أمها وقد قال الفيلسوف إن الباري اذا شاء أن يخلق في أرض فيلا عظيما خلق فيلة عظيمة تلده وما أدرانا أن الخنساء لولا فضل أمها لم يكن فيها فضل تشتهر به ولولا حسن تربية أمها لها ما نبغت بما نبغت ثم انها لو ولدت من نسل امرئ القيس أشعر شعراء العرب والاقرب الى العقل أن تكون قريحته قد اتصلت اليها بحكم الوراثة ولكنها اتصفت أيضا بصفات أدبية أسمى من صفاتها العقلية ومن المعلوم أن امرأ القيس لم يفق في آدابه ولو فاق الشعراء في شعره فالمتأمل في سيرة الخنساء يجد مندوحة لاسناد الفضل الى أمها وان يكن على سبيل الزعم والتخمين ولو تنازل المؤرخون الى ذكر أم الخنساء وصفاتها الظهر الحق وانتفت الظنون وكفى بذلك فائدة ان لم يكن في ذكر الام غيرها) وقالت أيضا منتقدة سكوت الكتاب في السير والتراجم عما يحدث للانسان في صباه من الحوادث والنوادر ونحوها (وقد ضربوا صفحا أيضا عما جرى للخنساء في صباها ولم يشيروا الى أيام حداثتها والحال أن الانسان لا يتكمل الفائدة ولا اللذة في مطالعة سير غيره الا متى اطلع على أحوالهم فعرف نقائصهم وقضائلهم وحسناتهم وسيآتهم وما فاقوا فيه وقصروا عنه وكيف طرأت عليهم التجارب والمصاعب فتخلصوا منها او تغلبوا عليها وكيف توسعت قواهم العقلية واستقامت قواهم الادبية ونمت أبدانهم واشتدت قواهم الجسدية وما كانت نوادرهم ومزاياهم وسائر خصائصهم وهذه الامور كلها تظهر في زمان الطفولية والصبا أحسن ظهور ولذلك يجد القارئ معظم اللذة والطلاوة ان لم نقل معظم الفائدة أيضا في معرفة أحوال الشخص في طفوليته وحداثته) وقد عرفت المترجمة في ردها على الدكتور شبلي شميل بقولها ان الزوجة الفاضلة هي المعزية الحزين المفرجة الكروب الصابرة على مضض العيش ونغص الحياة الراضية بمشاركة الرجل في سرائه وضرائه المحافظة على ولائه الطالبة ستره الناسية نفسها في خدمته الباذلة حياتها في مسرته وتربية عائلته الممتازة بالوداعة والعفاف والطهارة وهذه الاوصاف قد كانت دأبها في حياتها وقد استكملتها واحدة فواحدة كما يعلم ذلك أصدقاؤها ومعارفها وأما أنا فلم يسعدني الحظ برؤيتها او بالاقتباس من أنوار معارفها

وفي سنة ١٨٨١ أنشأ بعض المحسنات الاميركانيات والوطنيات جمعية لتعليم النساء البائسات والتصدق عليهن فشاركتهن في هذا العمل المبرور وجعلت بيتها دار التلاث الجمعية فكن يجتمعن فيه كل أسبوع يتعلمن ويأخذن ما يتصدق به عليهن من كساء ونقود وفي أواخر سنة ١٨٨٥ انتقلت المترجمة مع زوجها الى الديار المصرية ولما استقر بها القرار عكفت على المطالعة والدرس استعدادا لعمل جديد كانت ناوية أن تشرع فيه خدمة لبنات عصرها وقسم في أجلها ولكن باغتها على غرة مرض له باشلس يدخل الابدان مع الهواء وينشب في الرئتين أظفاره وهو المنية بعينها ولا دافع له من دواء ولا رقية

أمر رب العباد يقضي علينا * تعالى عن الخلائق يرد

فأرجعت مريضة الى بر الشام في صيف تلك السنة ونزلت في قرية من أطيب قرى لبنان هواء وماء فأقامت

هذا الشتاء على ربى لبنان تصارع الداء بجودة الهواء الى أن دخل فصل الشتاء فقال الاطباء قد أزف الرحيل ومصر لمن كان مثلها خير دواء فرجعت الى مصر ومضت الى حلوان وعادت الى القاهرة وامتحنت كل علاج قديم وحديث أشار به الاطباء وكلهم من صفوة المعارف وأخلص الاصدقاء لها ولكن ماذا ينفع الدواء والداء عياء

ولم يذهب المرض الطويل والالم الشديد بشئ من بشاشة وجهها ولا من طلاوة حديثها ولا من حصافة رأيها فكانت تبش بوجه العوّاد مهما كانت آلامها قوية وتسامرهم وتطايبهم وترتئي الآراء السديدة وتقص الاحاديث المفيدة وهي عارفة بسير مرضها وبأن الشفاء فيه نادر ولما قطعت الرجاء من الحياة كاشفت ذويها فأرادوا أن يقووا آمالها فقالت ابكم عن المحال فقد أزف الرحيل وستحضرني الوفاة هذه الليلة ونادت زوجها وأخاها وكل واحد من أصدقائها باسمه وتكلمت معهم كلاما يلين له الجماد ويفتت الاكباد ثم أغمضت جفنيها وأسلمت الروح في الساعة الاولى من يوم ٢٢ اذار (مارس) سنة ١٣٠٦ في غرة فصل الربيع وهي في غرة ربيع الحياة

ومن آثارها رسالة بعثت بها الى جمعية السيدات اللواتي نلن الشهادة المدرسيّة في مدرسة البنات السورية في بيروت وذلك في شهر نيسان (ابريل) سنة ١٨٨٧ وهي

الى حضرة الرئيسة المحترمة والاعضاء المكرمات بعد التحية أقول اني لو خيرت لاخترت الحضور بينكن والتمتع بمجالستكن واجتناء لذيذ أحاديثكن على المكاتبة وتبادل الاشواق بالحبر والقرطاس ولكن هذا نصيبنا فقد قسم لنا أن نترك الوطن العزيز وان نفارق صاحبات حبيبات ودارا ضمتنا جميعا فقضينا فيها أوقات أنس من أظرف الاوقات وتعلقت قلوبنا بها فصارت تحن اليها وتحسر عليها ألا وهي المدرسة التي أنتن مجتمعات فيها الآن والتي تغذينا منها بألبان المعارف والعلوم لاريب عندي أن كلا منكن تذكر الآن تلك الايام التي كنا نجتمع فيها معا كالاخوات بنات العائلة الواحدة مشمولات بنظر اللواتي كن يسهرن علينا سهر الامهات على البنات ونحن نرتع في نعيم الطهر والصبا نملأ منه صافي كأس الحياة لاهم لنا الا العلوم ولا غم الا عدم حفظ الدروس أما الآن فقد تبدلت تلك الاحوال وتشتت عمائنا في كل الجهات حتى صار يصعب علينا الاجتماع جميعا في محل واحد ومكان كما هو مقتضى جمعيتنا هذه وقد وصلت دعوتكن الي وأنا بعيدة عنكن غير قادرة على الاجتماع معكن وقد قيل ان الطاعة خير من الذبيحة فلذلك رأيت أن أكتب اليكن ببعض ما شاهدته بعد اجتماعنا الاخير اجابة لطلبكن في الدعوة راجية منكن المعذرة على اشغال وقتكن بها العتمة لما تضمن من الفوائد فأقول فارقت بيروت في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٨٥ مع رفيقتي الصادقة الوداد السيدة ياقوت صروف قاصدين القاهرة محل اقامتنا الآن فمررنا بمدن رأيت فيها جماعة من بنات مدرستنا اللواتي سبقننا الى هذه البلاد ثم ركبنا القطار وسرنا أسرع من الطير في تلك المركبات العجيبة التي أزالت عناء الاسفار وقربت ما بعد من الديار فقطعنا في نحو ساعات ما يقطع عندنا في أسبوع من الزمان ولما دخلنا القاهرة وجدناها مدينة كبيرة متسعة الازقة والشوارع تختلف عن بيروت اختلافا عظيما ولكن لم تطل اقامتي فيها حتى صرت أشعر بالوحشة العظيمة لجبال لبنان التي حوت بيروت في كنفها والبحر المتوسط المنبسط أمامها كانبساط الازرق في رواق أجل القصور هذا ومن يسمع عن القاهرة أو يقرأ كلام الكتاب فيها يتوهم أنها هي الفسطاط المدينة

القديمة الشهيرة والحال أن تلك لم يبق منها الا أطلال بالية وبيوت قليلة خربة أو متداعية وكلها في جهة تعرف بعصر العتيقة في هذه الايام وأما المدينة ففي ٣٠ درجة من العرض الشمالي و ٢٨ درجة من الطول الغربي في وسط سهل فسيح قد اختلطت فيه رمال البادية بالطين الذي جرفه نهر النيل الى مصر من قلب أفريقا ويحاذيها من ناحية الشرق الجبل المقطم وهو كبعض التلال المنبسطة في ربى لبنان أو أوطأ منها ومن ناحية الغرب نهر النيل ملاصقا للبيوت التي على أطرافها ولغزارة مائه واتساعه العظيم يسمونه هنا بحرا وقد صدقوا فلو جمعت أنهار سوريا كلها ما ساوت جانبا منه والمدينة مؤلفة اليوم من بيوت قديمة وبيوت جديدة فالقديمة مبنية ومرتبة على الاصطلاح الشرقي والشوارع بينها ضيقة والازقة يغلب أن تكون قذرة والهواء غير نقي لانحصاره والمباني غير جميلة ولكنها لا تخلو من محاسن كثيرة يلذ بها ذو الذوق السليم كخوخها المعروف بالمشربية فانه بديع الجمال ويزيده طول عهده حسنا وجمالا لان طول الزمان كبعد المكان يكسو الشيء أثوابا من الجمال والجديدة مبنية على الطراز الغربي الجديد ولا حاجة لوصفه وأحقر المباني القديمة أكواخ الفلاحين وهي صغيرة قذرة في جميع أنحاء القاهرة فيرى الانسان في الارض الواحدة قصورا فخيمة ومباني رشيقة وزخارف تسبي العقول وتبهر الابصار بجانبها تلك الاكواخ الحقيرة البناء القذرة الظاهر النتنة الداخل المعروفة عند المصريين بالعشش فكأني بمصر قد جمعت أبدع الصناعة الاوربية مع أحقر الصناعة الافريقية في رقعة صغيرة من الارض وكانت القاهرة قديما محاطة بسور لا تزال آثاره ظاهرة في بعض الجهات الى الآن ويقال إن الرياح كانت تسوق عليها رمال الصحراء قديما حتى تغشيها كما تغشى الضباب جوانب الانهار ولذلك كثر رمد العينين فيها وتلفت عيون الجانب الكبير من أهاليها ولكن لما حكم محمد علي باشا وابراهيم باشا الذي تغلب على سوريا وحكم عليها زمانا ولا يزال اسمه أشهر من نار على علم عندنا في بلاد مصر عمّرها الى درجة سامية في التمدن فأنشأ المدارس والمعامل وبنى المستشفيات وفتح الطرقات وغرس الاشجار وجعل القاهرة ثانية القسطنطينية في الاتساع وبنى جامعه المعدود من أشهر جوامعها العديدة على مقربة من الجبل وكله مبني من المرمر اللامع الذي يكاد يشف عما تحته ومزين بالنقوش والكتابات البديعة وفيه الثريات الكبيرة والطنافس النفيسة التي لم ترعيني أعظم منها ولا أبدع صفة ولما توفي الى رحمة ربه دفن فيه وأحيطت الحجرة التي دفن فيها بشبك من النحاس الاصفر المتقن الصنعة البديع الشكل والجامع يطل على المدينة وقد وقفت بجانبه فرأيت أمامي معظم القاهرة مقطعة بالشوارع تقطعا هندسيا وقد رفعت فيه قباب الجوامع على ما سواها من المباني وعلت المآذن منها كأنها شجر غاب في سهل أو سواري السفن في البحر وعلى المدينة غربا نهر النيل جاريا بين حقول الزرع وغياض الشجر وغابات النخيل كأنه سيف صقيل مسلول على بساط أخضر ونير وعلى حواشيها اصفرار رمال الصحراء والاهرام الناطحة عنان السماء وهذا المنظر من المناظر التي تستحق أيدي أبدع المصورات وتمرضها قرة للعيون ونزهة للنفوس وبجانب هذا الجامع قلعة عظيمة كانت تسك فيها النقود ويعرف مكان سكها بالضربخانة والقلعة اليوم في قبضة الجنود الانكليزية التي دخلت بلاد مصر بعد النازلة العرابية وفي القاهرة جوامع عديدة بعضها موصوف بجمال داخله ورونق ولكن أشهرها في الاسم يكاد يكون أدناها في البناء أريد به الجامع الازهر الذي سمعت به كثيرا فهو جامع للتدريس وفيه من الطلبة ما ينيف عن عشرة آلاف طالب على ما يقال فهو أكثر مدارس

الارض طلبة وأقدمها عهدا فيما يقال ومنه يخرج أشهر علماء العربية والفقه والادب من المسلمين والذى اعتنى كثيرا بتحسين القاهرة وهندستها وترتيبها اسماعيل باشا والد سمو الخديوى الحالى قيل انه كان معلقا خارطة باريس فى غرفته الخاصة حيث يقع عينه عليها فى دخوله وخروجه وكان باذلا جهده فى تخطيط القاهرة بحسبها فمد الطرق الواسعة فيها من طرف الى طرف حتى صارت المركبات تخترقها فى أكثر جهاتها وغرس الشجر على جانبيها ونور أشهر شوارعها بنور الغاز وشيد فيها المبانى الضخمة من قصور ونحوها وأشهرها مرسح للتمثيل يسمونه (الاوبرا) بالاسم الفرنساوى قد أنفقت عليه أموال كثيرة جدا حتى صار الناس لا يستكثرون فيها أعظم المبالغات وددت لو أن قلمى العاجز يستطيع وصف محاسن هذه (الاوبرا) فكنت أوفيها حقها أما الآن وأنا على ما أنا عليه من العجز والقصور فأكتفى بوصف وجيز لها فى وسط قاعة التمثيل ثريا (أى تحفة) تنار بالغاز لها أنابيب من الصينى على هيئة الشمع فيتوهم الناظر اليها أنها شمع وقد صنع بعضها أكبر من بعض حتى كأنه ذاب مشتعلا وبعضها كأنه الشمع الذائب يقطر عن جوانبه وقد عبث النسيم باللهيب فأصاب حافة الشمعة فأذابها الى غير ذلك مما قلد فيه الشمع تمام التقليد وحجم هذه الثريا معتدل الاتساع وفى وسط القاعة أمام مرسح الملعب نحو ثمانمائة كرسى مشدودة بالمخمل العنابى وحولها أربع طبقات مستديرة بعضها فوق بعض وقد قسمت كل طبقة الى أربعين غرفة فى كل غرفة خمس كراسى ومقعد مشدود بالمخمل العنابى اللون وجدرانها مدهونة بمثل ذلك اللون وعلى بابها ستار من لونها وقد علقت مرآة كبيرة على جدار منها وفرشت أرضها بالطنافس وكل غرفة معدة لخمسة أشخاص وأما سقف القاعة فمرسوم فيه صور أشهر الممثلين والموسيقيين وللخديوى غرفة خاصة ولحرمه غرفة خاصة مقابلها وكلتاهما على غاية الاحكام والهندام وفيهما من الفرش والوشى والتطاريز ما يدهش الانظار هذا عدا ما فيها من قاعات الجلوس ومخازن الملابس والآلات وسائر المعادن وملابس للمثلين من المنسوجات المختلفة الالوان والاشكال من حرير وقطن وكتان ومن يجول فى مخازن الاوبرا يحسب أنه يجول فى أسواق مدينة قد حوت مخازنها من القماش والحلى والملابس والاحذية والاسلحة والآلات والدواليب والامراس ما لا يوصف بخط القلم على القرطاس ومن مشاهد القاهرة أيضا الجسر الكبير على نهر النيل تمر عليه المركبات لاتساعه ويمشى على رصيفين بجانب طريق المركبات ولطوله لا تقطعه المركبات فى أقل من ثلاث دقائق أو أربع وكله من الحديد المفروش بالبلاط وهو يفتح ويقفل فى ساعة معينة من اليوم لمرور السفن بالجسور التى نقرأ وصفها فى كتب الافرنج ومن مشاهد القاهرة مدارسها العلمية وأشهرها مدرسة قصر العينى حيث يعلم فيها الطب والجراحة وهنالك صف من النساء يمرن على التمريض ويدرسن علم الولادة وبعض فروع الطب ويمتحن جهارا كبقية التلامذة من الشبان ومدرسة المهندسخانة وتدرس فيها العلوم العالية ولا سيما الرياضيات وصناعة الهندسة والمدارس فى مصر كثيرة أعظمها وأشهرها للحكومة ولكن أكثرها تعلم بالاجرة ومن المشاهد العامة أيضا المرصد الفلكى والمعمل الكيماوى والمكتبة الخديوية ولعلها أحسن مكتبة فى الشرق وخصوصا فى كتبها العربية وأعظم مشاهد القاهرة اعتبارا معرض الآثار المصرية المعروفة هنا بالانتيكخانة ففيه من الآثار المصرية ما لم يوجد فى غيره من معارض الدنيا من تماثيل وصور ونقوش وكتابات وآنية وأجسام محنطة قد حنط بعضها من قبل أيام موسى الكليم ولا تزال على رونقه

الاصلي حتى ان الكفن ماعليه من الالوان كالزنجاري والاصفر والاحمر لاتزال على ما كانت عليه من البهاء منذ آلاف من السنين مع ان ألوان هذا الزمان لاتقيم بل تحول ويباؤها يزول وهذه الآثار يمتد زمانها من أيام أقدم الفراعنة الى الاسكندر فالبطالسة فالرومانيين فالاقباط بعدهم وبينها كثير من جثث ملوك المصريين وعيالهم محنطة من قبل أيام الخليل ابراهيم ولاتزال شعورها على رؤسها ولفائفها وأكفانها باقية عليها غير بالية وشاهدت هنالك شيأ كثيرا من الجواهر والحلي القديمة المصنوعة كحلي هذه الايام من أقراط وخواتم وأساور وعقود مرصعة بالحجارة الكريمة ترصيعا متقنا ومن الغريب أن بين الاساور ماهو على شكل الحية وعيناه حجران كريمان كأساور هذه الايام وشاهدت أيضا أسلحة كثيرة الانواع مختلفة الاشكال ومرايا مصنوعة من المعادن الصقيلة وأحذية ذات سيور وقمصا وحصا وفولا وعدسا وبيضا واجاصا ودوما وهو كبير يشبه السفرجل في هيئته وكانا من أحسن أنواع البوص وأمراسا ومكانس وأدوات البناء من الخشب والنحاس المعروف بالبرنز ولم أر بين تلك التحف أثرا للحديد حتى مسامير التوابيت وغيرها كلها من الخشب أو النحاس اذ الحديد كان لايزال مجهول الاستعمال في تلك الايام على ما أظن وهنالك تماثيل لاكثر الملوك القدماء منها من المرمر أو الحجر الصلد أو النحاس وأبدع ما في صنعها وضع العيون التي رأيتها وهي متخذة من الحجارة الكريمة ولاتقان صناعتها في الشكل واللون واللمعان لاتمتاز عن عيون الاحياء الا بالجهد وهي أفضل كثيرا من العيون التي يصنعها أبناء هذا الزمان ومن أغرب التماثيل التي رأيتها هنالك تمثال من الجميز قد أمسك بيده عصا أظنها من العرعر والمظنون أنه صنع قبل أيام النبي موسى وأنه من أقدم مصنوعات البشر ومع ذلك فكأنه تمثال رجل من المصريين في هذه الايام ويسمى عندهم شيخ البلد وكل من دخل هذا المعرض علم بعض العلم عن عبادة المصريين واعتبارهم لجثث موتاهم بما يرى فيه من تماثيل الآلهة التي على صورة التمساح والسلحفاة والقرد والسنور والضفدع والخنفساء وغيرها من تماثيل الحيوانات بما يرى من الجثث المحنطة الملفوفة لفا محكما باللفائف الكتان المتناهي في الرقة وهي موضوعة في توابيت من الخشب وهذه التوابيت ترسم على ظواهرها صور ورموز وتغطى ظواهرها وبواطنها بكتابات بالخط المصري القديم المعروف بالهير وغليف ويوضع فيها من الجثث المحنطة والمآكل المحنطة المجففة مثل الارز والبيض واللحم والاثمار ونحوها وكانت عادتهم أن يضعوا التابوت المتضمن الجثة ضمن تابوت آخر وهذا ضمن آخر وهكذا حتى يبلغ عدد التوابيت أربعة أو أكثر أحيانا ثم يضعونها داخل تابوت من الحجر الاصم وقد رأيت تابوتا لاحدى الملكات قد صنع كله من الكتان المرصوص طاقا على طاق ثم عولج بنوع من الطلاء حتى صار كالخشب سمكا وصلابة والغالب أن كل أثر من هذه الآثار يكون مقرونا بكتابة هير وغليفية تبين ماهيته وما حالته وقد رافقنا داخل المعرض رجل مصري يقرأ هذا الخط ويترجمه لنا كما نقرأ نحن كتب الافرنج ونترجمها وفي القاهرة متنزهات مختلفة عظيمة الاتقان فيها تصدح الموسيق وتسمع آلات الطرب في كثير من الاحيان بعضها في وسط المدينة وبعضها خارجها كمتنزه شبرا وهو قديم العهد والعباسية والازبكية والجزيرة وقد فضلت الجزيرة على ماسواها الا انها قريبة الشبه من بقاع كثيرة في سوريا ولبنان والمفاوز نظرة واحدة وهي تبعد نحو ميل عن وسط المدينة والطريق اليها واسعة نظيفة محاطة بالاشجار الملتفة على الجانبين ترش بالماء يوميا بجميع طرق المدينة فيتلبد ترابها ولا يثور غبارها تحت الحوافر والعجلات والاقدام وتطهر من خلالها

المروج المختلفة الالوان والنيل ينساب فى وسطها انسياب الافعوان وهى تؤدى الى قصر فخيم بناه اسمعيل باشا الخديوى السابق فى وسط حديقة غناء كثيرة الاشجار لطيفة الازهار واسعة الطرق عديدة التماثيل وجلب اليها الانواع العديدة من الوحش والطير حتى أشبهت معارض الحيوانات فى أوربا ولم يبق بها الا القليل فى هذه الايام والمتنزه العمومى قرب هذا القصر من كرم يعرف بالجبلاية ولعل المراد بها تصغير الجبل وهى تقليد الجبل الطبيعى قد صنعت حجارتها من الحصى والرمل عز الصاعد الى قمتها فى مغارة واسعة كثيفة الظل رطبة الهواء يتسلسل الماء من نواحيها ويتدفق من بعض الثقوب التى فيها ويقطر من سقفها خيوط مدلاة قد رسب الكلس عليها وكستها الطبيعة فأشبهت الرواسب الكلسية التى تتدلى من سقوف بعض الكهوف السورية وفى جوانبها حياض كالنقر من الصخور قد سدت بالزجاج السميك كأنه ماء قد جمد فكوّن جدارا من الجليد وفى أرضها الحجارة كأنها أخذت من سقف المغارة وجوانبها وتدحرجت فى أرضها على ممر السنين وتوالى الحوادث والايام ثم يرقى على درج ملتف وكأنه طبيعى لم تمسه يد البشر حتى يصل الى قمتها فيجد هنالك فى طريقه بقعة كانت مزروعة بالاعشاب والازهار والاشجار ويرى حوله منظرا فسيحا من غياض الصنوبر (من شجر الفتنة ولعلها كتبت الصنوبر سهوا) والبسط وسهول القمح والحبوب والنيل ينسحب بينها كاسلاك الفضة وصحارى الرمال الى غير ذلك مما يشرح الصدر ويطيل العمر وأخبرت أنه يوجد ما هو أجمل من هذه الجبلاية فى قصر يسمى قصر الجيزة ولكنى لم أره ويوجد جبلاية أصغر منها فى المتنزه الكبير فى وسط المدينة المعروفة بجنينة الازبكية وهى جنينة مساحتها لا تقل عن مساحة احدى قرى لبنان المتوسطة فى الاتساع فى وسطها بحيرة متسعة تسير فيها القوارب الصغار والكبار ودائر البحيرة الاشجار الكبيرة والازهار النضرة والاراضى الخضراء والحدائق الغناء وفيها مرسح للتمثيل وميات للطعام وقباب تضرب الموسيقى العسكرية فيها يوميا وأبوابها مفتوحة لعموم الناس ومخازن القاهرة الكبرى بيد الافرنج من الاجانب وأكثر جهاتها المطروقة من الخاصة والعامة مزدحمة بالقهاوى والحانات والخمارات ولم يترك الاوربيون المتعاطون الاسباب فى القاهرة واسطة الا أجروها لاجتذاب الاهالى الى الاسراف واللهو والطرب ولذلك ترى العامة من الاهلية يتهافتون على ما يضر ابهم ويبوارهم تهافت الفراش على لهب النار ولم نسمع حتى الآن بجمعية علمية أو أدبية للاهالى تذكرنا جمعيات بيروت أو اجتماعات مفيدة للشبان والشابات كالاجتماعات التى عندنا الا أننا منذ مدة حضرنا افتتاح جمعية علمية أدبية فى دار المرسلين الامريكيين كان فيها نحو مائة وخمسين نفسا حاضرين واجتماعاتها أسبوعية وقد تزايد عدد الحضور جلسة فجلسة حتى صار يبلغ خمسمائة فى هذه الايام وقد ضاقت القاعة دونهم فالامل أن هذه الجمعية تثبت وتنمو وتكون سببا لقيام غيرها من الجمعيات العلمية الادبية حتى ينتشر التهذيب الصحيح بين الشبان والاهالى الذين أوتوا حظا وافرا من اللطف الطبيعى ولين العريكة وسهولة الانقياد والله أسأل أن يقدرنا على قضاء خدمة نافعة لبنات هذه البلاد . انتهى

ومن كلامها مقالة أدرجت فى السنة الاولى من جرنال اللطائف تحت عنوان تربية الاولاد وهى خطبة ألقتها فى احد الاحتفالات قالت (قال الحكيم رب الولد فى طريقة أدب فتى شاب لا يحيد عنها وقال علماء الاخلاق من أدب ولده صغيرا سرّ به كبيرا وهما قولان جديران بالمراعاة وحريان بكل اعتبار لانهما صادران من أعقل الناس وأحكمهم متعلقان بأهم ما فى العالم من الاعطية والكنوز فان الاولاد هم عماد الهيئة

الاجتماعية منهم يقوم الافاضل ومنهم يقوم العلماء وولاة الامور ومنهم تتألف القبائل والامم والشعوب فهم أساس الهيئة الاجتماعية وبهم يتم انتظامها وتمدنها وارتقاؤها فى مراتب الكمال

ولما كانت تربيتهم أقوى الوسائط المثقفة لعقولهم المهذبة لاخلاقهم المقومة لاعوجاجهم وكانت هذه التربية متوقفة على الوالدين خصوصا وغيرهم عموما كانت واجبات الوالدين نحو أولادهم من أعظم الواجبات والوديعة التى أمنهم البارى تعالى عليها أجل الودائع ولذلك لا يسع الوالدين التهاون الا الاهتمام بتربية أولادهم والبحث عما يجعلها قويمة المنهاج شافية العلاج وهذا ما قصدت الكلام فيه بوجه الاختصار فأقول إن التربية ليست علما بقواعد وأصول كسائر العلوم يتعلمه الانسان من بطون الصحف ولكنها نوع من السياسة يراعى فيها الانسان أحوال الاولاد والزمان والمكان مع أنها لا تخلو من مباد عمومية يصح الجرى عليها فى كل حال لكن أكثرها يتوقف على حكمة المربى وفطنته وغيرته وحسن أخلاقه ويكفينى أن أقول بالاجمال إن التربية يلزم لتمامها شروط بعضها يتعلق بالمربى وبعضها بالمربى فمن أعظم الشروط اللازمة فى المربى أن يكون هو نفسه مربى حسن الطوية مهذب الاخلاق والاقوال حميد السيرة صافى السريرة والا ذهبت مساعيه عبثا وربما زادت أضرارها على منافعها لان المربى جبل بالطبع الى الاقتداء بمربيه فى كل شئ وتقليده قولا وفعلا حتى كأنه صورة خالقته أو صدى صوته فاذا لم يجر المربى على حسب تربيته للمربى كذبت أقواله وأفعاله وأبطلت أمياله ومساعيه

يحكى أن السرطان أراد يوما أن يقوم خطوات ابنه فقال له مالك يا بنى تمشى مجانبا ولا تقوم خطواتك قال رأيتك يا أبى تمشى كذلك قبلى فاقتديت بك وحسبى أن أشبهك ولقد أصاب قول من قال (ومن يشابه أبه فما ظلم) ويلزم المربى أيضا مع ذلك أن يكون حكيما ملما تماما بالمربى خبيرا بعواقب الاقوال ونتائج الافعال فيجعل كلامه مع المربى على قدر الحاجة اللازمة لتقويم أوده وتهذيب أخلاقه ويقصر أفعاله على ما يؤثر فى نفس الطفل أحسن تأثير بحثه على الخير ونهاه عن المنكر وأما الشروط اللازمة فى المربى فسأتكلم عليها فى أواخر هذه المقالة (قلت) إن التربية تتوقف خصوصا على الوالدين وعموما على غيرهم ومعلوم أن معظم تربية الوالدين يتوقف على الامهات لا على الآباء لوجودهن غالب الاحيان مع أولادهن أيام الطفولية ولكون الاهتمام بهم من أخص واجباتهن وبما أن كثيرات منا نحن الحاضرات ههنا أمهات أولاد يقصدن تربية أولادهن أحسن تربية ويتقدن غيرة على تحسين طباعهم وتهذيب أخلاقهم فقد رأيت ان أبدى بعض ما عندى فى هذا الشأن لعله يقع موقع القبول عند احدى السامعات فيفيد أو أسمع عنه ملاحظات من احداهن فأستفيد فأتقدم فى الكلام بناء على أن الشروط اللازمة متكملة فى المربيات السامعات لعلى أنهن من اللواتى ربين أحسن تربية ولكن يعوزنا الاختبار والانتفاع بأثمار التجارب

أرى أن الوالدة لا تقدر أن تربي ولدها على ما تريد الا بعد ما تستولى على عقله وعواطفه وتعرف طباعه والذى يدلنى على ذلك هو أن التربية لا تنمى فى نفس الطفل ما ليس له أثر ولا وجود فيها بل ما هو موجود قد أودعه البارى تعالى فيها ولا تقتصر على انماء هذا الموجود بل تقدم النامى وتهذبه وتقويه وتشدد فمثل الوالدة فى تربية ولدها مثل الغارس فى تربية غرسه ألا ترى كيف يمهد له الارض ويسويها ويسمدها ويرويها حتى يتأصل فيها كلما نما وطال يقومه اذا رآه معوجا ويقضبه ويهذبه حتى يقوى ويعلو ويحسن منظره هكذا تعمل الام فى ولدها بالتربية تنظر الى جسده وتقويه وتنميه بالطعام والرياضة والاتقاء من الآفات وتنظر الى عواطفه وقواه العقلية والادبية فتوسعها وتقويها وتقوم اعوجاجها وتهذبها فان لم تكن هذه بيدها وطوع أمرها فكيف تقدر عليها ولكن تكون خاضعة لها وطوع ارادتها

يجب على الوالدة أن تنتبه على تربية ولدها وهو طفل صغير ضعيف الارادة وتتعهده منذ ذلك الحين تارة بالامر والنهى كالسلطان المطلق وطورا بالحب والرفق كالصديق الحبيب حتى تكون مهيبة عنده مسموعة الكلمة ومحبوبة منه ومقبولة الاوامر وهذا غاية عظمة الملوك والحكام ومنتهى ما يبلغون اليه فى سياستهم مع الرعية وهو أن يكونوا مهيبين محبوبين مسموعى الكلمة معززى الجانب

اذا راقبت الام ولدها وجدت أنه لا يبلغ من العمر نصف سنة حتى تظهر عليه علامات الفهم وتبدو منه أفعال الارادة فيغضب ويرضى ويبكى وقت الغيظ ويتبسم وقت الرضا وحينئذ يجب على الام أن تصرف ما عندها من الحكمة لتطبع ارادتها على لوح نفسه وتغرس محبتها فى أعماق فؤاده وتنفذ كلمتها فى أمرها ونهيها له متدرجة من الامور الصغيرة الى المبادى الكلية على توالى الايام فمتى صار يطلب شيأ لا يناسب اعطاؤه اياه تمنعه عنه ولا تطاوعه ولو بكى وصرخ صراخا شديدا حتى يرسخ فى ذهنه أن البكاء والصراخ لا ينيلانه المطلوب اذا لم ترد الوالدة ذلك وأن الطاعة خير من العناد واذا أصر الطفل على مسئلة ما لا يخصه بعد ما منعته والدته من ذلك مرارا فلا تخضع من أمامه خوفا من بكائه بل تردعه عنه بكل لطف وحزم وتفهمه بقدر الطاقة ان ذلك الشئ لا يخصه وأنه يجب أن يطيع والدته ويخضع ارادته لارادتها ولا تزال تعامله بمثل هذين المثلين حتى تتأصل الطاعة لوالدته فى نفسه وتنمو فيه مع نماء قوى عقله ولكن ليس بالغضب والعنف بل بالرفق واللين واللطف

ومن خطأ الوالدين والوالدات فى التربية أنهم يحبون البشاشة فى وجه الولد والملاطفة فى معاملته تؤول الى استخفافه بكلامهم وتمرده عليهم فلذلك تراهم لا يكلمونه الا زجرا ولا ينظرون اليه الا شزرا واذا ارتكب أقل ذنب أوسعوه ضربا وتعنيفا واذا ضحك أو لعب فى حضرتهم وبخوه وانتهروه كأنه قد جنى ذنبا زاعمين أن ذلك كله يزيد سطوتهم عليه ويمكن الطاعة فى نفسه لهم وهذا صحيح ولكن الى حد معين لان هذه المعاملة تمكن سلطة الوالدين على أولادهم ولكنها تكون ثقيلة عليهم مكروهة عندهم يترقبون الفرص لخلعها ويتحايلون للتخلص منها ولذلك كثيرا ما تكون نتيجتها فيهم تربية الخوف والخيانة والبغض

والكراهة

والكراهة فى نفوسهم ويتلو ذلك المكر والرياء أو العصيان والتمرد كما لا يخفى اذ القسوة والعنف فى التسلط يجعلانه مهيبا ولكن مكروها ومطاعا ولكن مستثقلا والنفوس الابية لا تذل الا الى حين ولا تصبر على الضيم الا ريثما تجد بابا للدفعه

فيجب على الوالدين والوالدات خصوصا أن يعاملوا أولادهم فى التربية بالرفق وأن يقابلوهم بوجوه باشة الا حيث لا تقبل البشاشة وأن يكون كلامهم فى الانذار والتوبيخ مقرونا بالتأنى والهدو حتى يفهم الولد مؤداه ويقبله عن اقتناع لا عن خوف ورعدة كما يكون اذا أدبته أمه عن غضب وحنق واطفاء لنار غيظها والحزم والهدو والتأنى فى تربية الطفل وتأديبه تلقى لمربيته هيبة فى فؤاده ليس فوقها هيبة فتبقى مقرونة بالطاعة له طول أيامه ولا سيما لانها تكون ممزوجة فى نفسه بالحب والمودة والخلاصة أنه يجب على الام أن تجعل لها فى نفس ولدها طاعة مؤسسة على الحب تدوم الى طويل لا طاعة مؤسسة على الخوف تدوم الى قصير وكما يطلب من الوالدة أن تكون حاكمة متسلطة على عقل ولدها وعواطفه يطلب منها أن تكون بمنزلة الصديق والرفيق له تخصص جانبا من وقتها للملاعبته بالملاعب المختلفة وتسليه تارة بقص القصص المفيدة عليه وطورا بتعليمه ما ينير ذهنه وحثه على ما يميل اليه من طبعه حتى تتعلق نفسه بها تعلقا شديدا ويفضل مجالستها واستماع أقوالها على مجالسة كل واحد سواها فيكتسب منها فى أثناء ذلك ما تريد أن تلقيه فى ذهنه من الافكار والمبادئ وينمو على ما تحب أن ينمو عليه وههنا مندوحة واسعة للكلام على الالعاب التى يجب على الوالدة أن تهيئها لاولادها حتى تدفع عنهم الملل والضجر وما ينشأ عنهما من المساوى الكثيرة التى تفسد التربية والاخلاق وههنا محل الكلام على تدبير ما يلزم لتحسين ذوق الولد وتعويده على حسب ما هو جميل واعتبار ما هو نافع ومفيد وتربيته على مراقبة الامور وملاحظة ما حواليه من الكائنات وعجائب طبائعها وغرائب أفعالها وههنا محل الكلام أيضا على ترويضه وتقوية جسده ولكنى لا أتعرض لشئ من ذلك كله لئلا يضيق المقام واعتمادا على ما هو شائع منه فى كتبنا وجرائدنا

وصدق الوالدة مع ولدها فى كل مواعيدها أمر لا بد منه فى التربية وكذبها عليه يربيه على الكذب لا محالة والدعاء عليه يحط قيمتها فى عينه ويفسد آدابه وتكثير الاوامر عليه والطلبات منه تلقيه فى الحيرة والارتباك فيصير يطلب الابتعاد عنها ولا يصدق أن يتيسر له الفرار من وجهها حتى يفارقها ويسرع الى أصدقائه وملاعبه قال بعض الحكماء الصدق أهم ما يجب اتباعه فى تربية الصغار وتهذيبهم فمن كذب على ولده كذبه عليه الكذب وقال أيضا ان تهذيب الولد يبتدئ بنظرة أمه والتفات أبيه وتبسم أخته أو أخيها أو أخيه

ومن أغلاط التربية عندنا انه اذا قامت الام لتأديب ولدها فكثيرا ما يعارضها الاب ويحمى الولد من التأديب كأن أمه عدوة له تقصد الانتقام منه واذا قام الاب لتأديب ولده عارضته الام وكل ذلك مما يمنع فوائد التربية عن الولد ويحمله على الظن بأنها صادرة عن الغضب والانتقام لا عن حب الواجب وحسن

المقصد ومن أغلاطنا فى التربية أيضا التى لا تقصرى تعويد الاولاد على الاعتماد على أنفسهم والاستقلال عن سواهم بل اذا رأينا فى ولدنا ميلا الى شئ من ذلك أمتناه اجابة لدواعى الخوف والشفقة التى فى غير محلها فاذا رأت الام ابنها يميل الى حز الخشب والتجارة بسكين أخذت السكين من يده خوفا من أن يجرح اصبعه جرحا طفيفا ولا يخطر لها أن توصى أباه ليبتاع له عدة صغيرة للنجارة ليتمرن بها على عمل أعمال كثيرة تنفعه فى أيامه وتبعد عنه الضجر والسآمة والحال ان أكثر مخترعى الافرنج يربون على حب الاختراع بأمور كهذه وهم أولاد صغار واذا رأت الام ولدها يركض فى الشمس وراء الفراش والجنادب صاحت وولولت خوفا عليه من حر الشمس وكان الاولى بها أن تشترى له كتابا ذا صور وتربيه على مراقبة المخلوقات الطبيعية قيل ان لنيوس المعدود من أعظم علماء النبات كان فى صغره يحب الازهار فزرع له أبوه أرضا وقسمها على وفق ذوقه فكان يتفقدها ويعتنى بها ولما شب ولع بدراسة علم النبات حتى طار صيته فى الآفاق ويجب الحذر فى التربية من اضعاف عزيمة الولد وارادته فان والدات كثيرات يذللن الولد حتى لا تبقى له ارادة فاذا شب كان ضعيفا وكانت تربيته أعظم مصيبة عليه وكثيرون ينكرون فوائد التربية ويقولون ان وجودها وعدمها سيان ويستشهدون على ذلك بقولهم ان فلانا ربى فى صغره أحسن تربية فكان أحسن الاولاد وكان يقدر له أعظم النجاح فلما كبر أتى المنكرات ولم يجن الا ثمار الذل والفشل والآخر ربى فى صغره أردأ تربية ولما كبر فاق فضلا ونبلا وكرم أخلاق وخالف ظن الناس فيه (أقول) ان إنكار هؤلاء الناس لمنافع التربية مبنى على وهم فاسد وهو أن التربية انماء الموجود وتحسينه كما مر فى بدء الكلام ولا توجد ما ليس موجودا فقد يخص البارى بمواهب أناسا دون آخرين حتى انهم مع قلة التربية يفوقون سواهم ممن ربى تربية حسنة ولكن لو تساوت مواهب الفريقين لفاق المربى بالاخلاق ولذلك اشترط فى المربى أن يكون قابلا للتربية من طبعه وقليل من لا يقبلها ومهما اقوى فى الفطرة حب الشرور وغلظت أصول المساوى والآثام فانها تضعف حتى تضمحل وتزول بحسن التربية وجميل الاعتناء اه

ومن كلامها المقالة التى أدرجت فى جريدة المقتطف العلمية ردا على الدكتور شبلى شميل ونصها بحروفها ان حضرة الفاضل الدكتور شبلى شميل يعد من جملة الذين اذا أطعموا أشبعوا واذا ضربوا أوجعوا فمقالته التى عنوانها الرجل والمرأة وهل يتساويان (المندرجة فى الجزأين السادس والسابع من مقتطف هذه السنة) قد حوت من الشواهد والحقائق ما يشبع عقول القارئين ومن التحامل على المرأة والاجحاف بحقها ما يوجع نفوس القارئات وليس لنا وجه لدفع قوله بانه خصم ذو غرض أو رجل قليل المعارف لا يعبأ بقوله لانه قال وأعاد القول مرارا انه ليس قصده حط شأن المرأة بل تقرير الحق الواقع والذى نعهده فيه من الصدق فى القول والاخلاص فى القصد يكذبنا ان سميناه خصما أو نسبنا اليه الغرض وأقواله وكتاباته تشهد له بسعة الاطلاع وغزارة المعارف فلا نصدق انا حططنا فى علمه ومعارفه ومع ذلك فلا ريب انه لم ينصف فى حكمه على المرأة ولم يعدل فى ذكر مناقبها واخلاقها فهل وماذا الشفى حكمى الاعن سهو اذ الانسان عرضة للسهو

والنسيان

والنسيان والظاهر أن اعتقاده فى المرأة منقول أصلا عن ألسنة العامة فلما تحرك فى أقوال العلماء وغاص على آدابهم لم يلتقط منها الا ما أيد ذلك الاعتقاد المتداول خلفا عن سلف وأغفل ما يؤيد خلافه وكم من مرة زل العلماء وضل الفقهاء من تأثير الاوهام المتوارثة والاغلاط السائرة ولولا ذلك لكان من المحال أن يرضى حضرة الدكتور الفاضل بما فى خطبته من الانحراف والاجحاف كما سترى

أولا ان القسم الاول من المقالة المذكورة مقصور على اثبات ان الذكور من الحيوانات العالية أشد من الاناث وان الرجل أضخم من المرأة جثة وأكبر جمجمة وأثخن عظما وأقسى عضلا وأنضر بشرة ودمه أثقل نبضا وأغلظ قواما وجسده أكثر فسادا وانحلالا لاذ يفرز من الحامض الكربونيك أكثر مما تفرز هى وغير ذلك مما يدل على ان الرجل أشد من المرأة وما لبث أن جعل هذه الاوصاف دليلا على الشدة حتى انتقل الى جعلها امتيازا يمتاز بها الرجل ولم يؤيد هذا الامتياز بان حضرة الدكتور يذكر مقابله امتياز المرأة على الرجل بالجمال واعتدال القوام ولطف التركيب والغضاضة والبضاضة ونحوها من الاوصاف التى تميزها عليه كما هو مسلم به اجماعا أيضا لانه ان كانت ضخامة الجسم والقوة الوحشية تعد امتيازا للرجل من وجه فلطف القد وحسن الخلق يعدان امتيازا للمرأة من أوجه والانصاف يقتضى ذكرهما عند ذكر غيرهما لكن حضرة الدكتور أغفلهما تمام الاغفال

ثم انه ذكر تقوس القدم فى الرجل وانبساطها فى المرأة دليلا على ارتقائه فى الخلق أكثر منها وكذلك يزرر ثيابه عن اليمين وهى تزررها عن اليسار وكذلك بطء نموه وسرعة نموها الى غير ذلك من الادلة التى لم يسلم بصحة مدلولها واحد حتى يفهم آحاد وترك الامر والانصاف يقتضى ذكر الامر المقرر قبل الشواهد التى لم تثبت صحتها ولا صحة ما يستشهد عليه بها

ثانيا ان فحوى القسم الثانى من مقالة حضرة الدكتور هى إثبات أن الرجل أعظم عقلا وادراكا من المرأة وقد عدد فيه القوى العقلية التى زعم أن الرجال يفوقون فيها النساء ولم يذكر للنساء قوة يفقن فيها والذى أعلم ان كل الباحثين (حتى الذين بحثوا قديما عما اذا كان للمرأة نفس) لم ينكروا أن المرأة تفوق الرجل فى بعض القوى العاقلة مثل الادراك عن طريق الحواس المعروف بالشعور وسلامة البداهة والذوق العقلى ثم ان حضرته بنى حكمه بصغر عقل المرأة عن عقل الرجل بكون دماغه أثقل من دماغها ولما كان لا يحق لى الاعتراض فى معرض مثل هذا فحسبى ان أسأل جنابه هل يعتبر ثقل الدماغ دليلا قاطعا على كبر العقل لان الذى نعلمه (وهو مأخوذ عن أحدث مناقشة للعلماء فى هذا الشأن) ان كبر العقل بمعزل عن ثقل الدماغ فقد يكون الانسان من أعقل أهل زمانه ودماغه خفيف جدا أو متوسط فى الثقل وقد يكون من أصغر الناس عقلا ودماغه ثقيل جدا ولذلك لا تقنع عقولنا القاصرة بأن ثقل الدماغ دليل كبر العقل حتى يتبين لنا ذلك بالبرهان القاطع

ثالثا ان معظم الاجحاف كان فى كلام حضرة الدكتور عن آداب المرأة وفضائلها وهنا لا أخشى ان أخالف

حضرتها تمام المخالفة ان الحقق المشهوران الفضائل نصيب المرأة فهى المعزية الحزين المفرجة المكروب الصابرة على مضض العيش ونغص الحياة الراضية بمشاركة الرجل فى سرائه وضرائه المحافظة على ولائه الطالبة لمسرته الناسية نفسها فى خدمته الباذلة حياتها لمسرته وتربية عائلته المتازة بالوداعة والعفاف والطهارة الى غير ذلك مما يعد منه ولا يقدر حق قدره ماذكرت

﴿مريم بنت يعقوب الانصارى﴾

سكنت اشبيلية وأصلها على ماقيل من شلب وكانت صدر نبهائها وأدبائها ومن لهن قدر مخصبها ونجبائها سردت البديع أحسن سرد واقترست المعانى كالاسد الورد وأبرزت درر المحاسن من صدفها وحازت من أنفر الاجادة وشرفها ومدحت ملوكا طوقتهم من مدائحها قلائد وزفت اليهم من معانيها خرائد وجلتها عليهم كواعب بالالباب لواعب فأسالت العوارف وما تقلص لها من الحظوة ظل وارف وقد أثبت المقرى مايعترف بحقها ويعرف به مقدار سبقها وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا واشتهرت باشبيلية بعد الاربعمائة وذكرها الحميدى وأنشد لها جوابها لما بعث المهدى اليها بدنانير وكتب اليها

مالى بشكر الذى أوليت من قبل * لو أننى حزت نطق اللسن فى الحلل

يافذة الظرف فى هذا الزمان ويا * وحيدة العصر فى الاخلاص والعمل

أشبهت مريم العذراء فى ورع * وفقت خنساء فى الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك فى قول وفى عمل * وقد بدرت الى فضل ولم تسل

مالى بشكر الذى نظمت فى عنقى * من اللآ لى وما أوليت من قبل

حليتنى بحلى أصبحت زاهية * بها على كل أنثى من حلى عطل

لله أخلاقك الغر التى سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل

أشبهت مروان من غارت بدائعه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل

من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل

تدب دبيب الطفل تسعى على العصا * وتمشى بها مشى الاسير المكبل

﴿مريم صوفيا امبراطورة الروسية﴾

هي ابنة ملك الدانيمرك وشقيقة امبراطورة استوريا والبرنسيس قرينة الدوق أورف وليس ولي عهد انكلترا أميرة نساء هذا الزمان وأديبتهن في هذا العصر والاوان ربيت في بيت أبيها بهيئة بسيطة لا تعلو عن حالة المتوسطات بالغنى والثروة من نساء العالم وقد طرحت كل كبرياء وتشامخ من صبوتها ولم تزل على ذلك حتى الآن وهي في مقام تحنى أمامها أعناق نحو مائة مليون من البشر وقد زادها الله عزا وكمالا بالمواهب الطبيعية فانها على جانب كبير من اللطف والرقة ودماثة الاخلاق ولين العريكة وعلى جانب أعظم من غزارة العقل وحدة الذهن وصدق التصور وحسن البديهة وقد استودع الله في هيكلها اللطيف من القوة والشجاعة ما يعز وجوده في خير أشداء الرجال ومن شريف طباعها أنها شديدة الحب لجلالة الامبراطور قرينها ميالة الى عمل الحسنات منشطة للمعارف لا تحب التداخل في شؤون السياسة كثيرا نزوعة الى العمل شديدة الكره للكسل والكسالى مولعة بمطالعة الكتب المفيدة تخيط أكثر ثيابها بيدها الامر الذي يكشف عن ضعة في نفسها الكريمة لا تحب الاسراف والتبذير تقوم بنفسها مع مساعدة احدى الفاضلات بتعليم بنيها الثلاثة وابنتيها ولشدة ميلها للدروس والمطالعة أصبحت تتكلم بعدد من اللغات وبالاجمال ان شريف خلالها تقوم واعظا ونذيرا في نساء العالم قاطبة برد المتكبرات الى الضعة واللين والواهنات القوى الى النشاط والاقدام والمسرفات الى الاقتصاد والمتبعدات عن عمل البر والاحسان الى حبه والعمل به

(مزروعة بنت عملوق الحميرية)

كانت من فصحاء زمانها ومن اللواتي كن في فتوح الشام حضرت الحروب مع خالد بن الوليد بالشام ومصر وشهدت حرب النسوة في وقعة صحورم مع خولة بنت الازور ولها شعر في رثاء ولدها وهو مأسور في وقعة انطاكية وهو

أياولدي قد زاد قلبي تلهبا * وقد أحرقت مني الخدود الدوامع

وقد أضرمت نار المصيبة شعلة * وقد حميت مني الحشا والاضالع

وأسأل عنك الركب كي يخبروني * بحالك كيما تستكن المدامع

فلم يك فيهم مخبر عنك صادقا * ولا منهم من قال انك راجع

فياولدي مذ غبت كدرت عيشتي * فقلبي مصدوع وطرفي دامع

وفكري مقسوم وعقلي موله * ودمعي مسفوح وداري بلاقع

فان كنت حيا صحت لله حجة * وان تكن الاخرى فما العبد صانع

فقالت لها ولمن معها سلمى بنت سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت من الزاهدات العابدات أيهذا أمركن الله أمركن بالصبر ووعدكن على ذلك الاجر أما سمعتن ما قال الله سبحانه وتعالى الذين اذا أصابتهم مصيبة

قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فاصبرن تؤجرن فقالت لها من روعة إن كلامك هو الحق وأثبت بالصدق ثم سكتن عن البكاء

(مسكة جارية الناصر محمد بن قلاوون)

قد نشأت في داره وصارت قهرمانة منزله يقتدى برأيها في عمل الاعراس السلطانية والمهمات الجليلة التي تعمل في الاعياد والمواسم وترتيب شؤن الحريم السلطاني وتربية أولاد السلطان وطال عمرها وصار لها من الاموال الكثيرة والسعادات العظيمة ما يجل وصفه وصنعت براً ومعروفاً كبيراً واشتهرت وبعد صيتها وانتشر وتقدمت عند السلطان وكانت مسموعة الكلمة عنده وعند حرمه وذلك لحسن خدمتها وصنيعها وصيانتها المنزلة وقد صنعت مصانع كثيرة مثل مساجد وتكايا ومدارس وغير ذلك جميعها تهدم

ومن مآثرها الجامع الذي أنشأته بخط الحنفي بمصر قال فيه صاحب خطط مصر الجديدة التوفيقية ان سوق مسكة قرب جامع الشيخ صالح أبي حديد بخط الحنفي له بابان منقوش باعلى أحدهما بالرخام (بسم الله الرحمن الرحيم أمرت بانشاء هذا المسجد المبارك الفقيرة الى الله تعالى الحاجة الى بيت الله الزائرة الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الست الرفيعة مسكة سنة ست وأربعين وسبعمائة) ومنقوش بدائره من الخارج بالجرس رقيس وبه منبر مكتوب عليه انما يعمر مساجد الله الآية وكان الفراغ من الجامع المبارك في شهور سنة ست وأربعين وسبعمائة الى غير ذلك من الاوصاف الجيدة

ولما توفيت الست مسكة دفنت فيه وقبرها ظاهر للآن وانما الجامع معطل وغير مقام الشعائر لتخربه حالة وجود أحكاره في ديوان الاوقاف المصرية

(مفضلة الفزارية بنت عرفجة الفزاري)

كانت تحت محمد بن عوف الطائي وكانت بديعة الجمال فصيحة المقال عالمة بضروب الشعر وشعرها فيه بلاغة تستحسن ومن قولها في زوجها محمد المذكور حين قتل في بعض غزواته

ألا لا أرى لما تلبد بالثرى * ولا ميتاً حتى ذكرت محمدا

حرام على عيني بعد محمد * طوال الليالي لا تسان اثمدا

فكم من فتى مؤنه لو تجردت * له الحرب لم يقن الجمار المقيدا

وأجدر بدعوا الله كل عشية * ليبعده لا بل هو الآن أبعدا

ألم تريا ما كان أحلى محمدا * وأجله ان راح في القوم أوغدا

ترى منكبيه ينفضان قميصه * كنفض الرديني الرداء المنضدا

(منقوشة)

(منفوسة بنت زيد بن أبي الفوارس رضي الله تعالى عنها)

كانت اذا مات ولدها تضع رأسه على حجرها وتقول والله لتقديمك أمامي خير عندي من تأخرك بعدي واصبري عليك أولى من جزعي عليك ولئن كان فراقك حسرة فان في توقع أجرك لخيره ثم تنشد قول عمرو ابن معديكرب رضي الله عنه

وإنا القوم لا تفيض دموعنا * على هالك منا وان قصم الظهر

(مهجة القرطبية صاحبة ولادة)

كانت من أجمل النساء في زمانها وأخفهن وعلقت بها ولادة ولازمت تأديبها وكانت من أخف الناس روحا ووقع بينها وبين ولادة ما اقتضى أن تهجوها ومن شعرها في ولادة حيث كانتا مصطلحتين

لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم * فما زال يحمى عن مطالبه الثغر

فذلك تحميه القواضب والقنا * وهذا حماه من لواحظها السحر

ولها أشعار كثيرة لم نأت جميعها واقتصرنا منها على هذا المقدار

(مي ابنة طلابة بن قيس بن عاصم الغساني)

كان جدها قيس من اجلاء ملوك العرب وأفاضلهم حتى ضربت به الامثال لجلالة وسماحته وحسن جواره ودماثته وكانت مي قصيرة عذبة الكلام بليغة غزالة العينين زجاء الحاجبين من عليها غيلان بن معدي الكناني المعروف بذي الرمة وكان غيسانيا مليحا وشاعرا فصيحا فأدركه الظمأ فمال الى سرادق علا عروضه وأطنابه وامتدت أوتاده وأسبابه واذا بمي تمشط رأسها وقد أسبلت شعرها كأنه عثا كيل النخل ووجهها يشف من خلاله فقال غيلان هل من إداوة تنقع الاوام وتشفي من السقام فأسرعت الى ماء شيب باللبن وسقته ثم رحبت به وأنزلته فجلس يأكل عماهيأت وعيونها تروي له عن الايام ما خبأت فما انصرف آخر النهار الا وفي قلبه لاعج وأوار كأنهما مارج من نار فعطف يعاودها على طول الشقة وفرط المشقة وينشد

وكنت اذا ما جئت ميا أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض وتجليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وحكت يوما عقبة الفزاري فقال سامعناه أتاني يوما ذو الرمة فقال إن في مية خلوفا فهل لك ان تسعدني في الزيارة فقلت لبيك ثم سرنا حتى اذا أتينا الربع نظرت النساء الى غيلان فعرفنه فجئن يتهادين وبينهن مي حتى جلسن لانثنات بمقالت حسناؤهن أسمعنا ياذا الرمة ما قلت فالتفت الي وقال لي أنشدها ما رويت

عنى فانذفعت أقول قصيدته التى أولها

وقفت على ربع لمية ناقتى * فمازلت أبكى عنده وأخاطبه

ولما بلغت قوله

نظرت الى أظعان مى كأنها * ذرى النخل أو أثل تميل ذوائبه

فأسبلت العينان والقلب كاتم * بغمر ورق غمت عليه سواكبه

بكى وامق حال الفراق ولم تحل * حوائلها أسراره ومعاتبه

هوالالف قد حان الفراق ولم تحل * محاولها أسراره ومقاتبه

قالت الحسناء لكن اليوم فلتحل ثم مضيت فى الانشاد فلما انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذى * أحدثها الا الذى أنا كاذبه

اذا فرمانى الله من حيث لا أرى * ولا زال فى أرض عدو أحاربه

قالت مى ويحك ياذا الرمة خف عواقب الله ثم مازلت فى الانشاد حتى بلغت قوله

اذا رحت من حبلى سوارح * على القلب أمنه جميعا عوازبه

قالت الحسناء قتلته يامى قتلك الله فقالت مى ما أصحه وهنيأله فأصعد ذو الرمة زفرة كاد حرها يحرق عارضيه

أما أنا فداومت انشادى حتى انتهيت الى قوله

اذا راجعتك القول مية أوبدا * لك الوجه منها أو نضى الدرع سالبه

فيالك من خد أسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعلل شاربه

فقالت الحسناء يامية قد رجع الآن القول وبدا الوجه فمن لنا بأن ينضى الدرع سالبه فضحكت مى ثم

قالت الحسناء ان لهذين شأنا فقوموا عنهما فقمت مع من قام وجلست بحيث أراهما فمعا نباطو يلا

ولم يبرح غيلان من مكانه ولم يسمع من حديثهما سوى قولها كذبت والله ولا أدرى بم كذبته ثم جاءنى

ومعه نافجة طيب أهدته اياها فقال شأنك وهذه ثم قال وهذى قلادة أعطتنيها فوالله لا قلدتها بعيرا ثم

عقدها فى سيفه كالحمائل وانصرفنا ثم وقفنا على أطلال مى فأنشد

ألا ياسلمى يادارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وان لم تكونى غير شام بقفرة * تجربها الاذيال صيفية كدر

وانضمت عيناه بالعبرة وقال انى جلد صبور وان كان منى ما ترى ثم انصرفنا وكان آخر العهد به فوالله

ما رأيت أشد منه صبابة ولا أحسن صبرا ومن لطائف أشعاره قوله

اذا هبت الارياح من نحو جانب * به آل مى زاد قلبى هبوبها

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

﴿ مية بنت ضرار الضبية ﴾

كانت ذات أدب وفصاحة وحماسة ولها شعر موزون ورثاء مستحسن في أخيها قبيصة وكان قتل في احدى الغزوات ومنه قولها

لا تبعدن وكل شيء ذاهب * زين المجالس والندى قبيصا

يطوى اذا ما الشيخ أبهم فضله * بطنا من الزاد الخبيث خميصا

﴿ مية بنت عتبة ﴾

كانت صاحبة حسن وجمال في زمانها وكان أبوها أميرا في قومه مطاعا في عشيرته وكانت هي لعلو منزلة أبيها مسموعة الكلمة أيضا وكان رأيها حسنا يستشيرونها في أمورهم وكان لها معرفة بمعاني الشعر ولما مات أبوها رثته بأبيات منها ما عثرنا عليه وهو

تروحنا من اللعباء عصرا * وأعجلنا الالاهة أن تؤوبا

على مثل ابن ميسة فانعياه * بشق نواعم البشر الجيوبا

وكان أبي عتيبة شمريا * ولا تلقاه يدخر النصيبا

ضروبا باليدين اذا اشمعلت * عوان الحرب لا ورعا هيوبا

﴿ مريم نحاس نوفل ﴾

هي ابنة جبرائيل نصر الله نحاس ولدت في بيروت في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٥٦ (يناير) وتهذبت في المدارس الانكليزية السورية مدة ثمان سنوات بين خارجية وداخلية فتعلمت اللغتين العربية والانكليزية مع التاريخ والجغرافيا والحساب والبيانو وجميع أشغال الابرة واليد وفي ١٤ تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٨٧٢ اقترنت بنسيم أفندي نوفل في المركز الصيفي في جبل لبنان اذ كان والدها وقرينها المذكور من متوظفي الحكومة اللبنانية

وفي خلال سنة ١٨٧٣ شرعت بتأليف كتاب عام لاحياء ذكر بنات جنسها اللطيف وسمته بكتاب معرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء وهو يتضمن تراجم شهيرات النساء من الاموات والاحياء مرتبا على نسق القواميس الافرنجية وقد أعلنت في أكثر الجرائد عن هذا المشروع المبتكر وصرفت باقي عزيمتها على الاشتغال به باذلة في سبيله كل ما أحرزته من الحلى والجوهرات حتى لا يقال ان الفرجال العلم والادب وللنساء الجمال والذهب وريثما أصبح القسم الاول منه على وشك النهاية رفعته الحسن اشتهرت بين بنات جنسها مؤسسة المدرسة السيوفية في مصر القاهرة التي كان فيها نحو الثلثمائة تلميذة يغتذين من ألبان معارفها وآدابها حضرة الاميرة جشم آفت هانم أفندي ثالث حرم مرحوم اسمعيل باشا الخديوي السابق

فأفاضت عليها من نم القبول ما حمل مقدمته الى نشر جميل الشكر والامتنان في جريدة الاهرام الغراء ذاكرة ما وعدت به الاميرة من المكارم والاحسان وفي حزيران (يوليو) سنة ١٨٧٩ طبع بأمر دولتها مثال الكتاب يتضمن المقدمة وترجمة حياة الاميرة المشار اليها وتراجم بعض النساء الشهيرات وقد وزع في كثير من البلدان العربية غير أن سفر الجناب الخديوي السابق مع آل بيته الكرام الى نابولي في تلك السنة أوقف السعي باتمام القسم الثاني من تراجم الاحياء ومن ثم فان الحوادث الغريبة التي أضاعت قسماً من المعدات والصور التي حضرت لتزيين الكتاب اضطرت المؤلفة أن تصبر على مضض الايام وفي صدرها حزازات من حكم الزمان ومن كساد بضائع الآداب في البلاد الشرقية

وهذه الاسباب والمسببات التي قضت بتأخير هذا الكتاب الى حين من الزمن ما برحت تتردد مع الايام في فكر المؤلفة حتى توفاها الله في صباح يوم الاثنين من شهر ابريل نيسان سنة ١٨٨٨ بعد أن أوصت قرينها باتمام مشروعها الذي قضت بين محابره ودفاتره مدة العمر .

وقد رثاها حضرة الشاعر الاديب الياس أفندي نوفل بقصيدة رنانة فمن جملة ما قال فيها عن وصف الفقيدة

كانت لها التقوى كأبهى حلة * وصنيع أيديها أجلّ خضابها
وجمال عنوان أسرّ جمالها * وبياض باطنها كلون ثيابها
وردت سماحة وجهها عن قلبها * وبدت معارفها بطيّ كتابها

(حرف النون)

﴿ نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص ﴾

ابن عمرو وقيل ابن عفر بن ثعلبة بن الحرث بن حصن بن ضمضم بن على بن جناب الكلبية زوجة عثمان بن عفان وكان سبب زواجه بها أن سعيد بن العاص تزوج هند بنت الفرافصة فبلغ ذلك عثمان فكتب اليه أما بعد فانه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب فاكتب الى بنسبها وجمالها فكتب اليه أما بعد فان نسبها انها بنت الفرافصة بن الاحوص وجمالها انها بيضاء مديدة فكتب ان كانت لها أخت فزوجنيها فبعث سعيد الى الفرافصة يخطب ابنته على عثمان فأمر ابنه ضباً أن يزوجها اياه وكان ضب مسلماً وكان الفرافصة نصرانياً فلما أرادوا حملها اليه قال لها أبوها يا بنية انك تقدمين على نساء قريش هن أقدر على الطيب منك فاحفظي عني خصلتين فتكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر فلما حملت كرهت الغربة وحزنت لفراق أهلها فانشدت تقول

ألست ترى يا ضب بالله انني * مصاحبة نحو المدينة أركبا
اذا قطعوا حزناً تحث ركابهم * كما زعزعت ريح يراعاً منقبا

لقد كان فى أبناء حصن بن ضمضم * لك الويل ما يغنى الخباء المطنبا

فلما قدمت على عثمان قعد على سريره ووضع لها سريرا حياله فجلست عليه فوضع عثمان قلنسوته فبدا الصلع فقال يا ابنة الفرافصة لا يهولنك ما ترين من صلعى فان وراءه ما تحبين فسكتت فقال اما أن تقومى الىّ واما أن أقوم اليك فقالت أما ما ذكرت من الصلع فانى من نساء أحب بعولتهن اليهن السادة الصلع وأما قولك اما أن تقومى الىّ واما أن أقوم اليك فوالله ما تجشمته من جنبات السماوة أبعد مما بينى وبينك بل أقوم اليك فقامت فجلست الى جانبه فمسح رأسها ودعا لها بالبركة ثم قال لها اطرحى عنك رداءك فطرحته ثم قال لها اطرحى خمارك فطرحته ثم قال لها انزعى درعك فنزعته ثم قال لها حلى ازارك فقالت ذاك اليك فحل ازارها فكانت من أحظى نسائه عنده

وروى عن أبى الجراح مولى أم حبيبة أنه قال كنت مع عثمان فى الدار فما شعرت الا وقد خرج محمد بن أبى بكر ونائلة تقول هم فى الصلح واذا بالناس قد دخلوا من الخوخة ونزلوا برأس الحبال من سور الدار ومعهم السيوف فرميت بنفسى وجلست عليه وسمعت صياحهم فنشرت نائلة بنت الفرافصة شعرها فقال لها عثمان خذى خمارك فلعمرى لدخولهم على أعظم من حرمة شعرك وأهوى رجل اليه بالسيف فاتقته بيدها فقطع اصبعين من أصابعها ثم قتلوه وخرجوا يكبرون ولما قتل عثمان قالت نائلة

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبى الذى جاء من مصر
ومالى لا أبكى وتبكى قرابتى * وقد غيبت عنا فضول أبى عمرو

وكتبت نائلة الى معاوية بن أبى سفيان وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير وهذه صورة ما كتبت من نائلة بنت الفرافصة الى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فانى أذكركم بالله الذى أنعم عليكم وعلمكم الاسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر ونصركم على عدوكم وأسبغ عليكم نعمه أنشدكم بالله وأذكركم حقه وحق خليفته الذى لم تنصروه وبعزمة الله عليكم فانه قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله وان أمير المؤمنين بغى عليه ولو لم يكن له عليكم حق الا حق الولاية ثم أتى اليه ما أتى لحق على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره لقدمه فى الاسلام وحسن بلائه وأنه أجاب داعى الله وصدق رسوله والله أعلم انه اذا انتخبه فأعطاه شرف الدنيا والآخرة وانى أقص عليكم خبره لانى كنت شاهدة أمره كله حتى قضى الله عليه ان أهل المدينة حصروه فى داره يحرسونه ليلهم ونهارهم قياما على أبوابه بسلاحهم يمنعونه كل شئ قدروا عليه حتى منعوه الماء يحضرون فيقولون له الافك فمكث هو ومن معه خمسين ليلة وأهل مصر قد أسندوا أمرهم الى محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر وكان على مع المحضريين من أهل المدينة ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ولم ينصره ولم يأمر بالعدل الذى أمر الله تبارك وتعالى به فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من مزينة

وجهينة وأنباط يثرب ولا أرى سائرهم ولكني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره ثم إنه رمي بالنبل والحجارة فنهاهم علي وأمرهم أن ردوا عليهم نبلهم فردوها إليهم فلم يزدهم ذلك على القتال إلا جراءة وفي الأمر إلا إغراء ثم أحرقوا باب الدار فجاءهم ثلاثة نفر من أصحابه فقالوا إن في المسجد أناسا يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مظلة عليه من كل ناحية وما أرى أحدا يعادل فدخل الدار وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح فلبس درعه وقال لأصحابه لولا أنتم ما لبست درعا فوثب عليه القوم فكلمهم الزبير وأخذ عليهم ميثاقا في صحيفة وبعث بها إلى عثمان إن عليكم عهد الله وميثاقه أن لا تضروه بشيء فكلموا وتخرجوا فوضع السلاح فلم يكن إلا وضعه حتى دخل عليه القوم يقدمهم ابن أبي بكر حتى أخذوا بلحيته ونبجوه ودعوه باللقب فقال أنا عبد الله خليفته فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه في صدره ثلاث طعنات وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا بها فأتتني بنت شيبة بن ربيعة فألقت نفسها على عليه فتواطؤنا وطأ شديدا وعرينا من ثيابنا وحرمة أمير المؤمنين أعظم فقتلوه رحمة الله عليه في بيته وعلى فراشه وقد أرسلت إليكم بثوبه وعليه دمه وإنه والله لئن كان سلم من قتله لم يسلم من خذله فانظروا أين أنتم من الله عز وجل فإنا نشتكي ما مسنا إليه ونستنصر وليه وصالح عباده ورحمة الله على عثمان ولعن من قتله وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة وشفى منهم الصدور فحلف رجال من أهل الشأم أن لا يطؤا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم فكانت هذه الرسالة بسببها واقعة صفين

﴿ ناجية بنت ضمضم المرى ﴾

هي أخت هرم بن ضمضم كانت من شاعرات العرب الذين يحضرون الوقائع ويحرضون على القتال ولها أشعار قالتها في أخيها هرم المذكور حين قتله ورد بن حابس العبسي في حرب داحس

يالهف قلبي لهفة المفجوع * أن لا أرى هرما على مودوع
من أجل سيدنا ومصرع جنبه * علق الفؤاد بحنظل مجدوع

وقالت فيه أيضا

دعته المنايا دعوة فأجابها * وجاور لما سار جاري الغمائم
عشية راحوا يحملون سريره * تعاوره أصحابه في التراحم
فإن يك غالته المنايا وريبها * فقد كان معطاء كثير التراحم

ولها أيضا

الواهب المائة النسـلا * دلنا ويكفينا العظيمة

والدافــع الخصم الالـــدّ اذا تقوضح فى الخصومـــة
بلســــان لقمان بن عا * دوفصـــل خطبته الحكمية
أبجتهـــم بعـــــد التجا * ذب والتـــدافع فى الحكومة

﴿ زهون الغرناطية ﴾

جوهرة لم يسمع بمثلها الدهر وفريدة فاقت على نساء العصر فى الآداب الانقطعت من بحرها الرائق وما الجمال الامن نور وجهها الشارق لها نادلم يؤمه الا الافاضل ومجلس لم يجتمع فيه الا كل عاقل وكانت لطيفة المسامرة حسنة المحاضرة حافظة لاشعار العرب وأمثالها ولم يكن بغرناطة اذ ذاك أحد من أمثالها وهى من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الامثال مع جمال فائق وحسن رائق وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمعاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها فكتب لها مرة

يا من له ألف خـــل * من عاشـــق وصديق
أراك خليـــت للنا * س منـــزلا فى الطريق

فأجابته

حللت أبا بكـــر محلا منعته * سواك وهل غير الحبيب له صدرى
وان كان لى كم من حبيب فانما * يقـــدم أهـــل الحق حب أبى بكر

ولما قال فيها المخزومى

على وجه زهون من الحسن مسحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا
قواصـــد زهون تواركـ غـــيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت

ان كان ماقلت حقا * من بعد عهـــد كريم
وصرت أقبح شئ * فى صورة المخـــزوم
فصار ذكرى ذميما * يعزى الى كل لوم

وقال لها بعض الثقلاء ما على من أ كل معك خمسمائة سوط فقالت

وذى شـــقوة لما رآنى رأى له * تمنيه أن يصلى معى جاحم الضرب
فقلت له كلها هنيأ فانما * خلقت الى لبس المطارف والشرب

وقد اجتمعت مرة مع ابن قزمان فى دار الوزير أبى بكر فقالت له عقب ارتجال بديع وكان يلبس جبة صفراء أحسنت يا بقرة بنى اسرائيل الا أنك لاتسر الناظرين فقال لها ان لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين وانما

يطلب سرور الناظرين منك يافاعلة ياصانعة وتمكن السكر من ابن قزمان وآل الامر الى أن تدافعوا معه حتى رموه فى البركة فما خرج الا وهو قد شرب كثيرا من الماء وثيابه تهطل فقال اسمع ياوزير وقال له أبياتا أضربنا عنها العدم اللزوم وخروجها عن حد الآداب فأمر له بما يليق من الثياب وأجزل له الصلة وكانت تقرأ على أبى بكر المخزومى الاعمى فدخل عليهما أبو بكر الكندى فقال يخاطب المخزومى

* لو كنت تبصر من تجالسه * فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيأ فقالت نزهون
لغدوت أخرس من خلاخله * البدر يطلع من أزرته * والغصن يمرح فى غلائله

ومن شعرها

لله در الليالى ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد

﴿نعمى جارية طريف بن نعيم﴾

كانت أديبة ظريفة ذات جمال زاهر ولطف باهر وكان سيدها شغف بها شديدا فلما كان يوم وهو جالس فى داره اذا بشرطة الحجاج دخلت عليه فأخذوه حتى أدخلوه عليه فقال على بالجارية فقال أصلح الله الامير انها روحى فلا تكن سبب هلاكى فأمر بالقبض عليه وأرسل من جاء بالجارية فلما رآها علم أنها لا تبقى له ان عرف الخليفة بأمرها فوجهها الى الشام من ليلتها الى عبد الملك وحبس الشاب فما زال عقله أطلقه وأخذ ماله وتوجه الشاب الى دمشق فأقام بها مدة متنغص الحياة فأراد أن يحتال على الاجتماع بالجارية فلم يمكن فوقع فى رقعة ان رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته نعمى أن تغنى لى ثلاثة أصوات اقترحتها ثم يفعل ما يشاء أن يفعل فلما قرأ القصة اشتد غضبه ثم عاوده الحلم فلما انصرف أحضر الشاب والجارية وقال مرها بما شئت فقال لها غنى قول قيس بن ذريح

لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا * ولكنما الدنيا متاع غرور
سأبكى على نفسى بعين غزيرة * بكاء حزين فى الوثاق أسير
وكنا جميعا قبل أن يظهر النوى * بأنعم حالى غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا * بطون الهوى مقلوبة بظهور

فغنت فخرق أثوابه ثم قال لها غنى قول جميل

فياليت شعرى هل أبيتن ليلة * كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر
تجود علينا بالحديث وتارة * تجود علينا بالرضاب من الثغر
فليت الهى قد قضى ذاك مرة * ويعلم ربى عند ذلك ما شكرى
ولو سألت منى حياتى بذلتها * وجدت بها ان كان ذلك من أمرى

فدفنت فغشي عليه ثم أفاق فقال غني قول المجنون

عرضت على نفسي العزاء فقيل لي * من الآن فايأس لا أعزك من صبر
اذا بان من تهوى وأصبح نائيا * فلا شيء أجدى من حلولك في القبر

فلما غنت قام فألقى نفسه من شاهق فمات فقال عبد الملك لقد عجل على نفسه أيظن أني أخرجت جارية وأعودفيها خذها يا غلام فأعطها لورثته أو فتصدقوا بها عليه فلما أنزلوا بها نظرت الى حفيرة معدة للسيل فجذبت يدها من الغلام وهي تقول

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير في عشق بلا موت

وألقت نفسها في الحفيرة فماتت

﴿السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب﴾

قال المقريزي ان أمها أم ولد تزوجها اسحق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر فولدت له ولدين القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا وبعده تزوجت بالحسن بن زيد فولدت له نفيسة وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه فيقال انها حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار فقيل لها ألا ترفقين بنفسك فقالت كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها الا الفائزون وكانت تحفظ القرآن وتفسيره وكانت لا تأكل الا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة وذكر أن الامام الشافعي رضي الله عنه زارها من وراء الحجاب وقال لها ادعي لي وكان صحبته عبد الله بن عبد الحكم وماتت رضي الله عنها بعد موت الامام الشافعي بأربع سنين وقيل انها كانت فيمن صلى على الامام الشافعي رضي الله عنه وقد توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين للهجرة ودفنت في منزلها المعروف بخط درب السباع بمصر ويقال انها حفرت قبرها هذا وقرأت فيه مائة وسبعين ختمة وانها لما احتضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت في حزبها الى قوله تعالى قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ففاضت نفسها مع قوله تعالى الرحمة وكان سبب دخولها الى مصر كما قال ابن خلكان أنها دخلت مصر مع زوجها (٢) اسحق بن جعفر وقيل مع أبيها الحسن وانها لما استقر بها المقام ودخل الشافعي الى مصر حضر اليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو الى الآن باق كما كان ولما توفي الامام الشافعي أدخلت جنازته اليها وصلت عليه في دارها

ولما ماتت عزم زوجها على حملها الى المدينة فسأله المصريون بقاءها عندهم فأبقاها ودفنت في الموضع المعروف بها الآن

وقال الشيخ محمد الصبان في كتابه اسعاف الراغبين ان السيدة نفيسة رضي الله عنها ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة في العبادة والزهد وكانت ذات مال ولما ورد الشافعي الى مصر كانت

(٢)

تحسن اليه وربما صلى بها في رمضان ولما قدمت مصر كانت بها بنت عمها السيدة سكينة واهابها الشهرة التامة فخامت عليها الشهرة فصار للسيدة نفيسة القبول التام بين الخاص والعام وماتت وهي صائمة فالزموها الفطر فقالت واعجباه لي منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة أأفطر الآن هذا لا يكون ثم قرأت سورة الانعام فلما وصلت الى قوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم ماتت ودفنت بمدفنها المشهور الآن

وقال السخاوى في كتاب المزارات ان سبب قدوم السيدة نفيسة الى مصر أنها حجت ثلاثين حجة وفي الحجة الاخيرة توجهت مع زوجها الى بيت المقدس فزارت قبر الخليل ابراهيم وأتت مع زوجها مصر في رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة وكان لقدومها الى مصر أمر عظيم تلقاها الرجال والنساء بالهوادج من العريش ونزلت أولا عند كبير التجار بمصر وهو جمال الدين عبد الله بن الجصاص وكان من أصحاب المعروف والوفا فاقامت عنده شهورا يأتي اليها الناس من سائر الآفاق للتبرك ثم تحولت الى مكانها المدفونة به وهبه لها أمير مصر السرى بن الحكم وسبب ذلك ان بنتا يهودية زمنة تركتها أمها عندها وذهبت الى الحمام فقدر الله شفاءها على يد السيدة رضى الله عنها وعند ذلك اسلمت البنت وأبواها وجماعة من الجيران يبلغ عددهم نحو السبعين نفرا ولما شاع ذلك لم يبق أحد في مصر الا قصد زيارتها وكثر الناس على بابها فطلبت الرحيل الى بلاد الحجاز فشق على أهل مصر ذلك وسألوها الاقامة فأبت فركب اليها السرى بن الحكم وسألها الاقامة فقالت انى امرأة ضعيفة وقد شغلونى عن عبادة ربى ومكانى قد ضاق بهذا الجمع الكثيف فقال لها السرى أما ضيق المكان فان لى دارا واسعة بدرب السباع فأشهد الله أنى قد وهبتها لك وأسألك أن تقبليها منى وأما الجموع الوافرة فقررى معهم أن يكون ذلك يومين في كل أسبوع وباقى أيامك في خدمة مولاك فجعلت لهم يوم السبت ويوم الاربعاء الى أن توفيت

وقد أقبل على زيارتها في الحياة وبعد الممات خلق كثير لا يحصون من العلماء والخلفاء والاولياء وغيرهم وقيل ان الحنفى كان يقول عند زيارتها السلام والتحية والاكرام من العلى الرحمن على نفيسة الطاهرة المطهرة سلالة البررة وابنة علم العشرة الامام حيدرة السلام عليك يا ابنة الحسن المسموم أخى الامام الحسين سيد الشهداء المظلوم السلام عليك يا ابنة فاطمة الزهرا وسلالة خديجة الكبرى رضى الله تبارك وتعالى عنك وعن جدك وأبيك وحشرنا في زمرة والديك وزائريك اللهم بما كان بينك وبين جدها ليلة المعراج اجعل لنا من همنا الذى نزل بنا انفراج واقض حوائجنا في الدنيا والآخرة يارب العالمين وكان بعض زائريها يقول عند مشهدها

يارب انى مؤمن بمحمد * وبآل بيت محمد بتوالى

فبحقهم كن شافعا لى منقذا * من فتنة الدنيا وشر مآل

وكان بعضهم يقول أيضا

يابني الزهراء والنور الذي ✱ ظن موسى أنه نار قبس

لا أوالي قط من عاداكم ✱ انهم آخر سطر في عبس

وبعد وفاتها صارت أرباب الدولة تبني ضريحها الشريف تبركا بمقامها المنيف فمنهم ذات الحجاب المنيع والقدر الرفيع والدة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أنشأت رباطا بجوارها والملك الناصر محمد بن قلاوون أمر بانشاء جامع بخطبة وشيد بناءه ولما توفي الخليفة أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن العباس المعروف بالاسمر في سنة احدى وسبعمائة أمر السلطان الناصر أن يدفن بالمشهد النفيسي فدفن هناك وأقيمت عليه قبة

ومن النوادر التي حصلت في مشهد السيدة نفيسة كما قال الجبرتي في تاريخه والامير علي باشا مبارك في خططه انه في سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف اجتمع الخدام في المشهد النفيسي بواسطة كبيرهم الشيخ وأظهروا عنزا صغيرا وزعموا أن جماعة أسرى من بلاد النصارى توسلوا بالسيدة نفيسة وأحضروا ذلك العنز لذبحه في الليلة التي يجتمعون فيها الذكر والدعاء ويتوسلون في خلاصهم من الاسر فاطلع عليهم الكافر فزجرهم وسبهم ومنعهم من ذبح العنز فرأى في المنام رؤيا اهالته فاعتقهم وأعطاهم دراهم وصرفهم مكرمين فحضروا الى مصر ومعهم العنز فذهبوا بها الى المشهد النفيسي وكثرت فيه الخرافات وتقاويل الناس فمن قائل انهم أصبحوا وجدوها عند المقام ومن قائل فوق المنارة ومن قائل سمعناها تتكلم ومنهم من يقول السيدة أوصت عليها وان الشيخ سمع كلامها من القبر ثم بعد هذه الشهرة أبرزها للناس وجعلها بجانبه وجعل يقول من الخرافات التي يستجلب بها قلوب الناس ويجمع بها الدنيا وتسامع الناس بذلك وأقبلوا من كل فج رجالا ونساء لزيارتها وأتوا للشيخ بالنذور والهدايا وعرفهم انها لا تأكل الا قلب اللوز والفستق ولا تشرب الا ماء الورد والسكر المكرر فأتوه من كل جانب بالقناطير من ذلك وعملوا للعنز القلائد والاطواق الذهبية وافتتنوا بها وشاع ذلك الخبر عند الوزراء والامراء وأكابر النساء فجعلن يرسلن كل على قدر مقامه من النذور وازدحمن على زيارتها فأرسل الامير عبد الرحمن كتخدا الى الشيخ عبد اللطيف يلتمس منه الحضور اليه بالعنز ليتبرك بها هو وحريمه فركب الشيخ بغلته والعنز في حجره وصحبته الطبول والبيارق والجم الغفير من الناس حتى دخلوا الى بيت ذلك الامير على تلك الحالة وصعد بها الى المجلس وعنده كثير من الامراء فتملس بها وأمر بادخالها الى الحريم للبركة وكان قد أوصى بذبحها وطبخها فلما ذبحوها وطبخوها أخرجوها مع الغداء فأكلوا منها وصار الشيخ يأكل والامير يقول كل يا شيخ من هذا التيس السمين فيقول والله انه طيب ونفيس وهو لا يعلم انه عنزه وهم يتغامزون ويضحكون فلما أكلوا وشربوا القهوة طلب الشيخ العنز فعرفه الامير أن الذي كان بين يديه وأكل منه هو العنز فبهت الشيخ عند ذلك ثم بكته الامير ووبخه وأمر أن يوضع جلد العنز على عمامته وأن يذهب به كما جاء بموكبه وبين يديه الطبول والاشائر ووكل به من

أوصلها الى شغلها على الصورة المذكورة وفى ذلك يقول الاديب الكامل والشاعر الناثر عبد الله بن سلامة الادكاوى

بنت رسول الله طيبة الثنا * نفيسة الظفر عاشت من عز
ورم من جداها كل خير فانها * لطالبها يا صاح أنفع من كنز
ومن أعجب الاشياء نيس أراد أن * يضل الورى فى حبها منه بالعنز
فعاجلها من نور الله قلبه * بذبح وأضحى الشيخ من أجلها مخزى

نصرة ايلياس غريب

ولدت نصرة غريب بطرابلس الشام عام ١٨٦٢ من عائلة غريب وأمها من فاضلات النساء فورثت منها طيب الاخلاق وصفاء النية ورقة الجانب وكانت وحيدتها فاعتنت بتربيتها وأرضعتها لبان العلوم فى أحسن مدارس طرابلس فتمكنت منها المناقب الحسنة بالقدوة والتربية وهذه القوى الثلاث أى الوراثة والقدوة والتربية مصدر الاخلاق ودعامتها فقلما طاب فرع أصله خبيث وقلما خبث فرع أصله طيب ولما بلغت السابعة عشرة اقترنت بجناب الوجيه عزتلو ادوار بيك ايلياس وسكنا فى مدينة الاسكندرية مدة ثم انتقلا الى مصر القاهرة واشتهرت بين معارفها وسيداتها بالذكاء وصفاء النية وعزة النفس وحب الانسانية وقيل انها كانت تتصدق على الارامل والمحتاجين الصدقات الكثيرة مع ما كانت عليه من الاقتصاد فى النفقات والابتعاد عن الاسراف فى المعيشة

وكانت تعين زوجها فى جميع أشغاله وفى تدبير بيتها ولها الرأى الصائب والقول السديد كما شهد هو نفسه ولما جاءت الى القاهرة ورأت أن ليس فيها عند الطائفة الارثوذكسية جمعية خيرية أخذت تحث وجهاء هذه الطائفة على انشاء جمعية مثل جمعية الاسكندرية لمساعدة المساكين

وكانت تحب جريدة المقتطف العلمية وتطالعها وتذاكر فى بعض مواضيعها وتلتذ بالمذاكرة العلمية فتصغى اليها بكليتها لكن بفهم دقائق الامور وكانت كثيرة المطالعة دقيقة الانتقاد واذا أعجبها كتاب أشارت على صديقاتها بمطالعته واذا رأت فى كتاب ما لا يستحسن ذمته ولامت واضعيه

وكانت اجتمعت مع مريم مكاريوس وأخريات من الفاضلات يتذاكرن فى حالة المرأة الشرقية و وددن أن يعم تعليم البنات وتهذيبهن على أسلوب يصرفهن عن الاكتفاء بقشور التمدن الاوربى ويرغبهن باقتباس الفضائل السامية التى ترفع شأن المرأة وتؤهلها لتربية النوع الانسانى

ولما كانت على هذه الصفات الحسنة فلم تكن طويلة العمر مديدة الحياة حتى كانت تنفع بنات جنسها ولكن اختطفتها المنية وهى فى ريعان الشباب فتوفيت مأسوفا عليها من الجميع

﴿ نوار بنت أعين بن صعصعة ﴾

ابن ناجية بن عقال المجاشعي كانت أحسن نساء زمانها وجها وأجملهن خلقا وأفصحهن منطقا وكانت ذات أدب زائد ومعرفة تامة بالاوابد مكرمة عند قومها مسموعة الكلمة فيهم تزوج بها الفرزدق الشاعر المشهور رغما عنها قيل إن سبب زواجها به أنه كان خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيت به وكان الفرزدق وليها وهو ابن عمها فارسلت اليه أن زوجني من هذا الرجل فقال لها لا أفعل الا أن تشهدي بانك قد رضيت بمن أزوجك به ففعلت فلما توثق منها قال أرسلي الى القوم أن يأتوا فجاء بنو عبد الله بن دارم فلما اجتمعوا في مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها وأشهدكم اني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدق فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص الى عبد الله بن الزبير حين أعياها أهل البصرة أن لا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة فلم تجد من يحملها اليه وأتت فتية من بني عدي بن عبد مناة ويقال لهم بنو أم النسير فسألتهم برحم تجمعهم وكانت بينها وبينهم قرابة وأقسمت عليهم ليحملنها فحملوها فبلغ ذلك الفرزدق فاستنهض عدة من أهل البصرة فانهضوه وأوقروا له عدة من الابل وأعين بنفقة فتبع النوار وقال

ولولا أن يقول بنو عدي * ألم تك أم حنظلة النوار

أتتكم يا بني ملكان عني * قوافٍ لا تقسمها التجار

وقال فيهم أيضا

لعمري لقد أردى النوار وساقها * الى اليوم أحلام خفاف عقولها

أطاعت بني أم النسير فأصبحت * على قتب يعلو الفلاة دليلها

وقد سخطت مني النوار الذي ارتضى * به قبلها الازواج خاب رحيلها

وان امرأ أمسى يخبب زوجتي * كساعٍ الى أسد الشرى يستبيلها

ومن دون أبواب الاسود بسالة * وبسطة أيد يمنع الضيم طولها

وان أمير المؤمنين لعالم * بتأويل ما أوصى العباد رسولها

فدونكها يا ابن الزبير فانها * مولعة يوهي الحجارة قيلها

وما جادل الاقوام من ذي خصومة * كورهاء مشنوء اليها حليلها

فادركها وقد قدمت مكة فاستجارت بخولة بنت منظور بن زبان الفزاري وكانت عند عبد الله بن الزبير فلما قدم الفرزدق الى مكة اشرأب الناس اليه ونزل على بني عبد الله بن الزبير فاستنشدوه واستحدثوه فكان مما أنشدهم قوله

أمسيت قد نزلت بحمزة حاجتى * إن المنـــــوّه باسمه الموثوق
بأبى عمارة خير من وطئ الحصى * وجرت له فى الصالحــين عروق
بين الحوارىّ الاغــر وهاشم * ثم الخليفة بعد والصــــديق

وقال أيضا

يا حمز هل لك فى ذى حاجة عرضت * أنضاره بمكان غــــير ممطـــور
فأنت أحرى قريش أن تكون لها * وأنت بين أبى بكر ومنظـــور
بين الحوارىّ والصديق فى شعب * (٢) صبثين فى طلب الاسلام والخير

(٢) ثم شفعوه الى أبيهم فجعل يقبل شفاعتهم فى الظاهر حتى اذا جاء الى خولة قلبته عن رأيه فمال الى النوار فقال الفرزدق فى ذلك

أما بنـــوه فلم تقبـــل شفاعتهم * وشفعت بنت منظـــور بن زبانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

فبلغ ذلك ابن الزبير فدعا بالنوار فقال ان شئت فرقت بينكما وأقتله فلا يهجونا أبدا وان شئت سيرته الى بلاد العدو فقــال فقالت لا أريد واحدة منهما فقال لها انه ابن عمك وهو فيك راغب فأزوجك اياه فقالت وقد فضلت عـــدا بيم اعلى هــلا كهم قد رضيت فدعا بالفرزدق وقال له جئنى بصداق النوار والا فرقت بينكما فقال الفـــرزدق أنا فى بلاد غربة فكيف أصنع والك تحكم على لتثب عليها وتصطفيها لنفسك وكان ابن الزبير حديدا فقال لها هل أنت وقومك الا جالية العرب ثم أمر فأقيم الفرزدق من مجلسه وأقبل على من حضره فقال ان بنى تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الاسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه فاجمعت العرب بما انتهكت منــه مالم ينتهكه أحــد قط فأجلتهم من أرض تهامة ثم حتم على الفرزدق ان لم يحضر صـــداقها ليقتلنه شرقته فبلغ ذلك الفرزدق فقال ان ابن الزبير يعيرنا بالجلاء ثم قال

فان تغضب قريش أو لتغضب * فان الارض توعبها تمــيم
هم عــــدد النجوم وكل حىّ * سواهم لا تعــد لهم نجـــوم
ولولا بيت مكة ما ثويتم * بماصح المنابت والاروم
بها كثر العديد وطاب منكم * وغــيركم أخيذ الريش هيم
فهـــلا عن تعالى من غدرتم * بخونتـــه وعــــذبه الحـــيم
فعبـــد الله مهلا عن أذاتى * فانى لا الضعيف ولا السـؤم
ولكــنى صفا لم تدنس * تزل الطـــير عنها والعصـــوم
أنا ابن العاقر الخــور الصفايا * بصنوا حــين قحت العـلاهم

فبلغ هـــذا الشعر ابن الزبير فأسره فى نفسه وخرج يوما للصلاة فرأى الفرزدق فى طريقه فمد الى عنقه

فكاد يدقها وقال له لابد أن تنفذ حكمي فتركه لا يدري ما يفعل فقيل له عليك بسلم بن زياد فانه محبوس في السجن يطالبه ابن الزبير بمال فذهب اليه وقص عليه قصته فقال له كم صداقها قال أربعة آلاف دينار فأمر له بها وبألفين للنفقة فقال الفرزدق في ذلك

دعي مغلق الابواب دون فعاله * ولكن تمشي بي هبلت الى سلم

الى من يرى المعروف سهلا سبيله * ويفعل أفعال الرجال التي تنمي

ولما ذهب الى ابن الزبير ونقده المال سلمها له ومالها معها فقال الفرزدق خرجنا ونحن متباغضان فعدنا ونحن متحابان وأنشد يقول لها

(هلمي لابن عمك لا تكوني * كمختار على الفرس الحمارا)

فجاء بها الى البصرة فقال جرير

ألا تلكم عرس الفرزدق جامحا * فلو رضيت رمح استه لاستقرت

فقال الفرزدق مجيبا له

وأمسك لولا قيتها بي مرة * وجاءت بها يرف استها لاستقرت

وقيل انها لما كرهت الفرزدق حين زوجها نفسه جاءت الى بني قيس بن عاصم فقال فيها

بني عاصم لا تجنبوها فانكم * ملاجي للسوآت دسم العمائم

بني عاصم لو كان حيا أبوكم * للام بنيه اليوم قيس بن عاصم

فبلغهم ذلك الشعر وقالوا له والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة

وكانت النوار دائما تخاصم معه وتغضب منه وتنفر عنه ومكثت معه زمانا طويلا وهي في نكد وعدم راحة وكانت عندما تغضب منه تقول ويحك أنت تعلم انك انما تزوجتني ضغطة وخدعة على ولم تزل في كل ذلك على مضض حتى حلفت اليمين الموثق ثم حنثت بها وتجنبت فراشه فتزوج عليها امرأة يقال لها جهيمة من بني النمر بن قاسط حلفاء لجرير بن عباد بن ضبيعة فجعل يأتي النوار وبه ردع وعليه الاثر فقالت له النوار هل تزوجتها الا هداديه تعني حيا من بني أزد بن عمان فقال الفرزدق

تريك نجوم الله والشمس حية * كرام بنات الحرث بن عباد

أبوها الذي قاد النعامة بعدما * أبت وائل في الحرب غير تمادي

نساء أبوهن الاغر ولم تكن * من الازد في جاراتها وحداد

ولم يك في الحي الغموض محلها * ولا في العمانيين رهط زياد

عدلت بها مثل النوار أصبحت * وقد رضيت بالنصف بعد بعاد

ولم تزل النوار بالفرزدق ترفق به وتستعطفه حتى أجابها الى طلاقها وأخذ عليها أن لا تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج برجل غيره بعده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له وأخذت عليه أن يشهد الحسن

البصري على طلاقها فأجابها الى ذلك واستصحب معه راوية أبي شفقل وراوية أخرى وصحبت النوار رجالا كثيرة كانوا يلوذون بالسواري خوفا من الفرزدق أن يراهم فساروا جميعا حتى أتوا الحسن البصري فقال له الفرزدق يا أبا سعيد اشهد أن النوار طالق ثلاثا فقال الحسن قد شهدنا فلما انصرفوا قال الفرزدق لابي شفقل قد ندمت فقال له والله اني لاظن أن دمك يترقرق أتدري من أشهدت يعني بذلك الحسن البصري والله ان رجعت لترجمن بالاحجار ومضى وهو يقول

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار

ولو أني ملكت يدي وقلبي * لكان علي للقدر الخيار

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

وكنت كفاقئ عينيه عمدا * فأصبح ما يضيء له النهار

وقيل ان النوار أوصت الفرزدق قبل موتها أن يصلي عليها الحسن البصري فأخبره الفرزدق في ذلك فقال له ان كانت وفاتها قبلنا فأخبرني بها فكان كذلك وقد توفيت وأخرجت وجاء الحسن البصري وسبقهما الناس فانتظروهما فأقبلا والناس منتظرون فقال الحسن ما للناس فقال الفرزدق ينتظرون خير الناس وشر الناس فقال الحسن لست بخير الناس ولا شرها ثم صلوا عليها ودفنوها وقال له الحسن ما أعددت لهذا المضجع قال شهادة أن لا إله الا الله منذ سبعين سنة ثم نظر الى قبر النوار وأنشد

لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا

أخاف وراء القبر ان لم يعافني * أشد من القبر التهابا وأضيقا

اذا جاءني يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يقود الفرزدقا

﴿نيكتوريس﴾

هي ملكة فرعونية من ملوك مصر وهي من ملوك الدولة السادسة المصرية كانت أكثر نساء عصرها لطفا وجمالا وأشهر بنات مصرها فضلا وكمالا وأغزر علماء زمانها عقلا ودهاء وأوفر الناس حزما وذكاء قيل ان المصريين أشربوا حبها وفتنوا بها فأدخلوها بعد الممات في مصاف المعبودات ومما ذكر عن دهائها أن فريقا من رجال الدولة وثبوا على أخيها وقتلوه اذ كان ملكا قبلها وكان ذلك منهم بغيا وظلما ولما خلفته على العرش دعت الباغين الى مأدبة أعدتها لهم في قصر عظيم جميل قائم على أخدود بجوار نهر النيل ولما مدت الاسمطة وابتدؤا بالطعام وآلات الطرب عازفة تبدد بالحانها كتائب الاشجان وتغنيهم باغاريد تغنيهم عن ارتشاف سلافة الحان أمرت اذ ذاك بجلب نهر النيل فانساب عليهم حتى أغرقهم عن آخرهم وكانوا زهاء الخمسين فلقوا كنودهم الذميم وأملت عليهم ان كيدي عظيم

ومامن يد الا يد الله فوقها * وما ظالم الا سيبلى بظالم

(حرف الهاء)

﴿ هاجر زوجة ابراهيم الخليل عليه السلام ﴾

كانت جارية مصرية ذات هيئة جميلة قد وهبها فرعون ملك مصر لسارة زوجة ابراهيم عليه السلام حينما كانت عنده وقد وهبتها سارة لابراهيم عليه السلام وقالت له انى أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها ولدا فتزوجها ابراهيم وقد رزقه الله منها اسمعيل عليه السلام وذهب بهما الى مكة لسبب ان اسحق بن سارة اقتتل مع اسمعيل ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنينى فى بلد وأمرت ابراهيم بعزلهما عنها وقد أوحى الله اليه أن يأتى بهما مكة ففعل وأنزلهما موضع الحجر وأمرها أن تتخذ عريشا ثم قال (ربى انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)
ثم انصرف فاتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر قربة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبى فنظرت الى الجبال التى أدنى من الارض فصعدت الى الصفا وتسمعت لعلها تسمع صوتا أو ترى أنيسا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت أصوات سباع الوادى نحو اسمعيل فأقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم انها سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تدرى السعى كالانسان المجهد فهى أول من سعى بين الصفا والمروة ثم صعدت المروة فسمعت صوتا كالانسان الذى يكذب سمعه منه حتى استيقنت وجعلت تدعو اسمعيل اعنى يا الله قد أسمعتنى صوتا فأغثنى فقد هلكت ومن معى فاذا هى بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركنى وابنى ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال فقد وكلكما الى كاف ثم جاء بهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر قربة لها وجعلت تستقى فيها تدخره فقال لها جبريل عليه السلام انها روى وجعلت أم اسمعيل تجعلها بئرا بحيث لا يخرج منها الماء الى خارجها خوفا من نفادها فقال لها جبريل لا تخافى الظمأ على أهل هذه البلدة فانها عين لشرب ضيفان الله تعالى وقال لها أما ان أبا هذا الغلام سيجئ فيبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء فأشرفوا فاذا هم بالماء فقالوا لها ان شئت كنا معك فآنسناك والماء ماؤك فأذنت لهم فنزلوا بها وهم سكان مكة حتى شب اسمعيل وماتت هاجر قبل سيدتها سارة ودفنت فى الحجر

﴿ هجيمة أم الدرداء ﴾

كانت فقيهة عاقلة جليلة وهى أم بلال بن أبى الدرداء قيل خطبها معاوية بعد ان توفى زوجها فلم تجب وروى

عنها جماعة من التابعين الكبار وكانت تقيم ببيت المقدس ستة أشهر وبدمشق ستة أشهر وكانت تجالس للصلاة فى صفوف الرجال وكانت تحب مجالس العلماء وكانت تقول أفضل العلم المعرفة وتقول تعلموا الحكمة صغارا تعملوا بها كبارا وكانت لا تفتر عن الصلاة ملازمة للعبادة وكانت معظمة عند بنى أمية وتوفيت بعد أبى الدرداء بدمشق ودفنت بباب الصغير

﴿هزيلة الجديسية﴾

كانت بنو طسم بن لوذ بن أزهر بن سام بن نوح وبنو جديس بن عامر بن أزهر بن سام بن نوح ساكنين فى موضع اليمامة وكان اسمها حينئذ جوا وكانت من أخصب البلاد وأكثرها خيرا وكان ملكهم أيام ملوك الطوائف عمليقا وكان ظالما وقد تمادى فى الظلم وان هزيلة هذه طلقها زوجها وأراد أخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق وقالت أيها الملك حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا حتى اذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد أن يأخذه منى كرها ويتركنى بعده ورها فقال زوجها أيها الملك أعطيت مهرها كاملا ولم أصب منها طائلا الا وليدا خاملا فافعل ما أنت فاعل فأمر الملك بالغلام فصار فى غلمانه وان تباع المرأة فيعطى زوجها خمس ثمنها ويباع الرجل وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها فقالت هزيلة

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فأنفذ حكما فى هزيلة ظالما

لعمرى لقد حكمت لا متورعا * ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما

ندمت ولم أندم وأنى بعترتى * وأصبح بعلى فى الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها أمر أن لا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها حتى يفترعها فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلا ولم يزل يفعل ذلك حتى زوجت الشموس وهى عفيرة بنت عفار وقيل بعفر وقيل عبار أخت الاسود فلما أرادوا حملها الى زوجها انطلقوا بها الى عمليق لينالها قبله ومعها الفتيان فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها فخرجت الى قومها العثر فى دمائها وقد شقت درعها من قبل ومن دبر والدم يبين وهى فى أقبح منظر تقول

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس

يرضى بذا يا قوم بعل حر * أهدى وقد أعطى وسيق المهر

وقالت أيضا تحرض قومها

أيجمل ما يؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل

وتصبح تمشى فى الدماء عفيرة * جهارا وزفت بالنساء الى بعل

ولو اننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقر بذا الفعل

فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم * ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل

وإلا فخلوا بطنها وتحملوا * الى بلد قفر وموتوا من الهزل

فللبين خير من مقام على الأذى * وللموت خير من مقام على الذل

وان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تغيب عن الكحل

ودونكم طيب النساء فانما * خلقتم لأثواب العروس وللغسل

فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا * ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فلما سمع أخوها الاسود قولها وكان سيدا مطاعا قال لقومه يا معشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم الا بملك صاحبهم علينا وعليهم ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لانتصفنا منه فأطيعوني فيما آمركم فانه عز الدهر وقد حمي جديس لما سمعوا من قولها فقالوا نطيعك ولكن القوم أكثر منا قال فاني أصنع للملك طعاما وادعوه وأهله اليه فاذا جاؤا يرفلون في الحلل أخذنا سيوفنا وقتلناهم فقالوا افعل فصنع وجعله الشاد ودفن هو وقومه سيوفهم في الرمل ودعا الملك وقومه فجاؤا يرفلون في حللهم فلما أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم بالأكل أخذت جديس سيوفهم وقتلوهم وقتلوا ملكهم وقتلوا بعد ذلك السفلة منهم وقد نجى الله هذه القبيلة بسبب تلك الفتاة

﴿هند أم سلمة﴾

بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومية وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة كانت امرأة لأبي سلمة عبد الله بن عبد الاسد وهاجر بها الى أرض الحبشة في الهجرتين فولدت له هناك زينب ثم ولدت سلمة ودرة وعمر وقيل انهما لما هاجرت الى المدينة قالت حينما أجمع أبو سلمة الخروج رحل لي بعيراله وحملني وحمل معي ابني سلمة ثم خرج يقود بعيره فلما رآه رجال بني المغيرة قاموا اليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوني وغضبت عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبي سلمة وأهووا الى سلمة وقالوا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة وبذلك فرقوا بيني وبين زوجي وولدي فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالابطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبها حتى مر بي رجل من بني عمي من بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة لزوجها فرقتم بينها وبينه وبين ابنها فقالوا الحقي بزوجك ان شئت ولما علم بنو عبد الاسد بذلك ردوا علي ابني فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله تعالى فقلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار فقال أين يا ابنة بني أمية فقلت أريد زوجي بالمدينة فقال هل معك أحد فقلت لا والله وابني هذا فقال والله مالك من منزل فأخذ بخطام البعير فانطلق معي

يقودني فوالله ما صحبت رجلا من العرب كان أكرم منه اذا بلغ المنزل أناخ بي ثم تنحى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فقدمه فرحله ثم تأخر عني وقال اركبي فاذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ننزل فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي الى المدينة فلما نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال زوجك في هذه القرية وكان أبو سلمة نازلا بها فادخليها على بركة الله تعالى ثم انصرف راجعا الى مكة وكانت تقول ما أعلم أهل بيت في الاسلام أصابهم ما أصاب بيت أبي سلمة وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة وهي أول ظعينة هاجرت الى المدينة وقيل انه لما انقضت عدتها بعث أبو بكر اليها يخطبها عليه فلم تزوجه فبعث اليها النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب يخطبها عليه فقالت أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أني امرأة غيرى واني امرأة مصبية وليس أحد من أوليائي شاهدا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال ارجع اليها فقل لها أما قولك اني امرأة مصبية فستكفين صبيانك وأما قولك ليس أحد من أوليائي شاهدا فليس أحد من أوليائك شاهدا أو غائبا يكره ذلك وقولك انك امرأة غيرى فسندعو الله يصرف عنك الغيرة فلما بلغها ذلك قالت لابنها عمر قم فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه وحكي عنها انها قالت في بيتي نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وكانت من أجمل النساء وشهدت غزوة خيبر وتوفيت بعد قتل الحسين أي سنة ٦١ للهجرة وقيل بل توفيت سنة ٥٩ وسند الرأي الاول ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أم سلمة ترابا من تربة الحسين حمله اليه جبريل فقال لها اذا صار هذا التراب دما فقد قتل الحسين فحفظته في قارورة عندها فلما قتل الحسين صار التراب دما فأعلمت الناس بقتله وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة حديث وثمانية وعشرين حديثا وقد عاشت أربعا وثمانين سنة وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع من أرض الحجاز

﴿هند بنت النعمان بن بشير﴾

كانت أحسن نساء زمانها خلقا وخلقا وأدبا ولطفا وفصاحة ولها الالمام بالنثر والنظم فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم وأقام بها بالمعرة مدة طويلة ثم انه رحل بها الى العراق فأقامت معه ما شاء الله ودخل عليها في بعض الايام فسمعها تقول وهي واقفة على المرآة

وما هند الا مهرة عربية * سلالة أفراس تحللها بغل

فان ولدت أنثى فلله درها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف راجعا ولم تكن علمت به وأراد طلاقها فانفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر

عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر أنا كنا فما حمدنا وبنا فما ذممنا وهذه المائتا ألف درهم هي لك بشارة بخلاصي من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها لنفسه فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين اني لا أجري العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط أقول أن يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك الذي أنت فيه ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولا فلما قرأ كتابها ضحك ضحكا شديدا وأرسل الى الحجاج بذلك فأجاب ولم يخالف وامتثل الامر وأرسل الى هند يأمرها بالتجهيز وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند في محمل وركب حولها جواريها وخدمها فترجل الحجاج ومشى حافيا وأخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فأخذت هند تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها اكشفي لي ستارة المحمل لاشم رائحة النسيم فكشفتها فوقع وجهها في وجهه فضحكت عليه وأنشدت

وما نبالي اذا أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نشب

فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

فلما سمع ذلك منها الحجاج قال مجيبا لها

فان تضحكي يا هند يارب ليلة * تركتك فيها تسهرين نواحا

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت من بلد الخليفة فرمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال سقط منا درهم فردّه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل درهم فقال بل دينار فقالت الحمد لله اذ سقط منا درهم فعوّضنا الله دينارا فخجل وسكت ولم يرد جوابا ودخلت على عبد الملك بن مروان فأعجب بها وبجمالها وسقه رأى الحجاج بتخليه عنها وكانت عنده حظوة زائدة

﴿هند جارية محمد بن عبد الله بن مسلم الشاطبي﴾

كانت أديبة شاعرة كتب اليها أبو عامر بن سعيد يدعوها للحضور عنده بعودها وكانت تحسن ضرب العود بهذين البيتين

يا هند هل لك في زيارة فتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل

سمعوا البلابل قد شدت فتذكروا * نغمات عودك في الثقيل الاول

فكتبت اليه في ظهر رقعته تقول

يا سيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول

حسبي من الاسراع نحوك أنني * كنت الجواب مع الرسول المقبل

سارت اليه كما وعدته وأقموا ليلة قلما يسمح بمثلها الدهر حتى عاجلهم نور الفجر فتفرقوا وكل منهما يسخط

على يوم الفراق ويتمنى أن يكون بعدها التلاق

﴿هند بنت النعمان﴾

ابن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم

كانت هند من أجمل نساء أهلها وزمانها وأمها مارية الكندية وكان يهواها عدى بن زيد بن حماد بن زيد ابن أيوب الشاعر العبادى ولها يقول

علق الاحشاء من هند علق * مستسر فيه نصب وأرق

وهى قصيدة طويلة وفيها أيضا يقول

من لقلب مدنف أو معتمد * قد عصى كل نصوح ومفند

وهى طويلة أيضا وفيها يقول

ياخليلىّ يسرا التعسيرا * ثم روحا فهجرا تهجيرا

واعوجا بى على ديار لهند * ليس ان عجتما المطىّ كثيرا

وقد تزوجها وكان سبب عشقه لها انها خرجت فى خميس الفصح تتقرب فى البيعة ولها حينئذ احدى عشرة سنة وذلك فى ملك المنذر وقد قدم عدى حينئذ بهدية من كسرى الى المنذر والنعمان يومئذ فتى شاب فاتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدى ليتقرب وكانت مديدة القامة عبلة الجسم معتدلة القوام فرآها عدى وهى غافلة فلم تنتبه له حتى تأملها وقد كان جوار يها رأين عديا وهو مقبل فلم يقلن لها وذلك كى يراها عدى وانما فعلن هذا من أجل أمة لهند يقال لها مارية قد كانت أحبت عديا فلم تدر كيف تأتى له فلما رأت هند عديا ينظر اليها شق عليها ذلك وسبت جواريها ونالت بعضهن بضرب فوقعت هند فى نفس عدى فلبث حولا لا يخبر بذلك أحدا فلما كان بعد حول وظنت مارية ان هندا قد أضربت عما جرى وصفت لها بيعة رومية ووصفت لها من فيها من الرواهب ومن يأتيها من جوارى الحيرة وحسن بنائها وسرجها وقالت لها سلى أمك الاذن لك فى اتيانها فسألتها ذلك فأذنت لها وبادرت مارية الى عدى فأخبرته الخبر فبادر فلبس قباء كان أهداه له فرخان شاه مرد وكان مذهبا لم ير مثله حسنا وكان عدى حسن الوجه مديد القامة حلو العينين حسن المبسم نقى الثغر وأخذ معه جماعة من فتيان الحيرة فدخل البيعة فلما رأته مارية قالت لهند انظرى الى هذا الفتى فهو والله أحسن من كل ما ترين من السرج وغيرها قالت ومن هو قالت عدى بن زيد قالت أتخافين أن يعرفنى ان دنوت منه لاراه من قريب قالت ومن أين يعرفك وما رآك قط فلا تخافى من حيث يعرفك فدنت هند منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله وحسن كلامه وفصاحته وما عليه من الثياب فذهلت لما رأته وصارت تنظر اليه وعرفت مارية ما بها وتبينته فى وجهها

فقالت لها كلميه فكلمته وانصرفت وقد تبعته تنسمها وهو يتبعه وانصرف هو يعشق حالها فلما كان الغد تعرضت له مارية فلما رآها هش لها وكان قبل ذلك لا يكلمها وقال لها ما غدا بك قالت حاجة اليك قال اذكريها فوالله لا تسأليني شيأ الا أعطيتك اياه فعرفته انها تهواه وان حاجتها الخلوة به على أن تحتال له في هند وعاهدته على ذلك فأجاب طلبها ثم أتت هندا فقالت أما تشتهين ان ترى عديا قالت وكيف لي به قالت أعده مكان كذا وكذا في ظهر القصر وتشرفين عليه قالت أفعل فواعدته الى ذلك المكان فأتاه وأشرفت هند عليه فكادت أن تموت وقالت ان لم تدخليه الي هلكت فبادرت مارية الى النعمان فأخبرته خبرها وصدقته الخبر وذكرت انها قد شغفت به وسبب ذلك رؤيتها اياه في يوم الفصح وأنه ان لم يزوجها به افتضحت في أمره وماتت فقال لها ويلك وكيف أبدؤه بذلك فقالت هو أرغب من أن تبدأه أنت وأنا احتال في ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره وأتت عديا فأخبرته الخبر وقالت ادعه فاذا أخذ الشراب منه فاخطب اليه هندا فانه غير رادك قال أخشى أن يغضبه ذلك فيكون سبب العداوة بيننا قالت ما قلت لك هذا حتى فرغت منه معه فصنع عدي طعاما واحتفل فيه ثم أتى النعمان بعد الفصح بثلاثة أيام وذلك في يوم الاثنين فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه ففعل فلما أخذ منه الشراب خطبها الى النعمان فأجابه وزوجه وضمها اليه بعد ثلاثة أيام فكانت معه حتى قتله النعمان فترهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة حتى ماتت وكانت وفاتها بعد الاسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة وخطبها المغيرة وقدم بدير هند فنزل ودخل عليها بعد أن استأذن عليها فأذنت له وبسطت له مسحا فجلس عليه ثم قالت له ما جاء بك قال جئتك خاطبا قالت والصليب لو علمت أن في خصلة من جمال أو شباب رغبتك في لاجبتك ولكنك أردت أن تقول في المواسم ملكت مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته فبحق معبودك أهذا أردت قال اي والله قالت فلا سبيل اليه قال لها اذا سألتك عن أمور هل أنت مجيبة لي عنها قالت نعم قل فقال اخبريني ما كان أبوك يقول في هذا الحي من ثقيف قالت ينسبهم من اياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف أحدهما من بني سالم والآخر من بني يسار فسألهما عن انسابهما فانتسب أحدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال أبي ما الحي معه على اياد فضل فخرجا وأبي يقول

إن ثقيفا لم تكن هوازنا * ولم تناسب عامرا ومازنا

الا حديثا أثبت المحاسنا

فقال المغيرة أما نحن فمن هوازن وأبوك أعلم ثم قال أخبريني أي العرب كان أحب الى أبيك قالت أطوعهم له قال ومن أولئك قالت بكر بن وائل قال فأين بنو تميم قالت مستنفتهم (٢) في طاعة قال فقيس قالت ما قربوا اليه بما يحب الا استعقبوه بما يكره قال فكيف أطاع فارس قالت كانت طاعتهم اياه فيما يهوى (٢)

فاكتفى المغيرة بذلك ثم قام وانصرف وقال فيها

أدركت ما منيت نفسي خاليا * لله درك يا ابنة النعمان

فلقد رددت على المغيرة ذهنه * ان الملوك نقية الاذهان

يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي * فالصدق خير مقالة الانسان

﴿هند بنت أثاثة﴾

كان أبوها أثاثة من أمراء العرب المشهورين بالشجاعة والفروسية والكرم وكانت هي من ذوات الشهامة والمروءة والحكم أديبة فاضلة كاملة عاقلة لها معرفة بالشعر والعروض ومما قالته رثاء في أبيها حين قتل هذه الابيات

لقد ضمن الصفراء مجدا وسوددا * وحلما أصيلا وافر اللب والعقل

عبيدة فابكيه لاضياف غربة * وأرملة تهوي لاشعث كالجذل

وبكيه للاقوام في كل شتوة * اذا احمر آفاق السماء من المحل

وبكيه للايتام والريح زفزف * وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلي

فان تصبح النيران قد مات ضوءها * فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل

لطارق ليل أو لملتمس القرى * ومستنبح أضحى لديه على رسل

﴿هند بنت زيد بن مخرمة الانصارية﴾

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأوفرهن عقلا وكمالا وأفصحهن منطقا ومقالا لها مقالات بليغة وأشعار بديعة وكانت مع ما هي عليه من التنعم ثبتة الجنان قوية البنية جريئة على الحروب حضرت جملة وقائع مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لانها كانت من شيعته وكانت لها غيرة شديدة على علي وأصحابه وكان كل من قتل ترثيه بمراث جيدة وتحرض القوم على اتباع خطة علي وطالما أراد معاوية أن يوقع بها ولم يتيسر له ذلك

ولما قتل معاوية حجر بن عدي بن حاتم الطائي أقامت له مأتما ورثته بقصائد طويلة وأشعار غزيرة منها قولها

ترفع أيها القمر المنير * تبصر هل ترى حجرا يسير

يسير الى معاوية بن حرب * ليقتله كما زعم الامير

تجبرت الجبابر بعد حجر * وطاب لها الخورنق والسدير

وأصبحت البلاد لها محولا * كأن لم يحيها مزن مطير

ألا يا حجر حجر بني عدي * تلقتك السلامة والسرور

أخاف عليك ما أردى عديا * وشيخا في دمشق له زئير

يرى قتل الخيار عليه حقا * له من شر أمته وزير
ألا ياليت حرامات موتا * ولم يحضر كما حضر البعير
فان يهلك فكل زعيم قوم * من الدنيا الى هلك يصير

ومنها قولها

دموع عيني ديمة تقطر * تبكي على حجر ولا تفتر
لو كانت القوس على أسرة * ما حمل السيف له الاعور

ومنها قولها

لتدمات بالبيضاء من جانب الحمى * فتى كان زينا للكوا كب والشهب
يلوذ به الجاني مخافة ما جنى * كالاذت العصماء بالشاهق الصعب
تقلل بنات الم والخال حوله * صوادى لايروين بالبارد العذب

وماتت في خلافة معاوية بعد ما وفدت عليه وأكرمها اكراما زائدا

﴿ هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية ﴾

كانت تحت الفاكهة بن المغيرة المخزومي وتزوجت بعده بأبي سفيان بن حرب وهي أم معاوية أسلمت في الفتح بعد اسلام زوجها أبي سفيان وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم على نكاحها وكان بينهما في الاسلام ليلة واحدة وكانت امرأة لها نفس وأنفة ورأي وعقل وشهدت أحدا كافرة وكانت تحرض الناس على القتال وترتجز

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي القطى البارق
والمسك في المفارق * والدر في المخانق * ان تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

وتقول أيضا

ويها بني عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار

وكان أبو دجانة الانصاري أخذ سيفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجم على المشركين وأبلى بلاء حسنا حتى وصل الى هند وهي ترتجز وخلفها النساء يضربن الدفوف خلف الرجال فأراد أن يعلوها بالسيف ثم امتنع خشية العار ثم انه لما قتل حمزة مثلت به وشقت بطنه واستخرجت كبده فلاكتها فلم تطق إساغتها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليها وأصابه حزن شديد على ذلك ولما بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من ضمن كلامه للنساء وهند معهن تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيأ قالت هند انك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه وقال ولا تسرقن قالت والله اني كنت لأصيب من مال

أبي سفيان الهنة والهنة فقال أبو سفيان وكان حاضرا أما ما مضى فأنت منه في حل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهند قالت أنا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك قال ولا تزنين قالت وهل تزني الحرة قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتم يوم بدر كبارا فأنت وهم أعلم فضحك عمر بن الخطاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قالت والله ان إتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق قال ولا تعصينني في معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك فقال النبي لعمر بايعهن واستغفر لهن فبايعهن ثم قالت هند للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها فقال لها خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك وبعد ذلك شهدت اليرموك مع زوجها وتوفيت في خلافة عمر سنة ثلاث عشرة للهجرة

وكانت شاعرة أديبة فصيحة ولها أشعار كثيرة منها ما قالته في أبيها عتبة حين قتل يوم بدر

أعيني جودا بدمع سرب * على خير خندف اذ ينقلب

تداعى له رهطه غدوة * بنو هاشم وبنو المطلب

يذيقونه حد أسيافهم * يعلونه بعد ما قد عطب

يجرون منه عفير التراب * على وجهه عاريا قد سلب

وكان لنا جبلا راسيا * جميل المراح كثير العشب

(٢) وأما بري فلم أعنه * فأوتى من خير ما يحتسب

وقالت أيضا

يريب علينا دهرنا فيسوءنا * ويأبى فما نأتي بشئ نغالبه

أبعد قتيل من لؤى بن غالب * يراع امرؤ أن مات أو مات صاحبه

الارب يوم قد رزئت مرزأ * تروح وتغدو بالجزيل مواهبه

فأبلغ أبا سفيان عني مألكا * فان ألقه يوما فسوف أعاتبه

فقد كان حرب يسعر الحرب إنه * لكل امرئ في الناس مولى يطالبه

وقالت أيضا

لله عينا من رأى * هلكا كهلك رجاليه

يارب باك لي غدا * في النائبات وباكيه

كم غادروا يوم القليب * غداة تلك الداعيه

من كل غيث في السنين * اذا الكواكب خاويه

قد كنت أحذر ما أرى * فاليوم حق حذاريه

قد كنت أحذر ما أرى * فأنا الغداة مراميه

يارب قائلة غدا * ياويح أم معاويه

وقالت أيضا

ياعين بكي عتبة * شيخا شديد الرقبه
يطعم يوم المسغبة * يدفع يوم الغلبه
اني عليه حربه * ملهوفة مستلبه
ليهبطن يثربه * بغارة منشعبه
فيه الخيول مقربه * كل سواء سلهبه

هند بنت معبد بن خالد بن نافلة

كانت أشعر نساء زمانها وأحسنهن أدبا وأكملهن رأيا وأجملهن وجها قيل انه لما قتل ابن أخيها خالد بن حبيب بن خالد ندبته واتبعها نساء العرب حتى لم يرى امرأة من قبيلتها الا وكانت باكية ورثته بقصائد وأبيات منها ما قالته يوم مأتمه

أمسى يواكيك ملان البكا * وشر عهد الناس عهد النسا
فابن حبيب فابكيا خالدا * بطعنة ملأى وزق روى
وابن حبيب فابكيا خالدا * لطعنة يقصر عنها الأسا
إن تبكيا لاتبكياهينا * وماء ماسكا من خفا
اذ تخرج الكاعب من خدرها * يومك لاتذكر فيه الحيا

وقالت ترثي أباها خالدا

أأميم هيهات الصبا ذهب الصبا * وأطار عني الحلم جهل غراب
أين الاولى بالامس كانوا جيرة * أمسوا دفين جنادل وتراب
ماتوا ولو أني قدرت بحيلة * لاتخذت صرف الموت عن أحبابي
ماحيلتي الا البكاء عليهم * إن البكاء سلاح كل مصاب

هند بنت كعب بن عمرو بن ليث الهندي

زوجة عبد الله بن عجلان يتصل نسبها مع نسبه كانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال وسبب زواجها الى عبد الله بن عجلان انه خرج يوما الى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور رآهن على تلك الحالة فكث ينظر اليهن مستخفيا فصعدن حتى بقيت هند وكانت طويلة الشعر فأخذت

غسله وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها في خلال سواد الشعر ونهض ليركب راحلته فلم يقدر وقعد ساعة وكان يقال عنه قبل ذلك ان العرب كانت تصف له ثلاثة رواحل قائمة فيعلقها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وعطل حركاته فأنشد فورا

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة * اذا شئت لمسا للثريا لمستها

أتتنى سهام من لحاظ فأرشقت * بقلبى ولو أسطيع ردا رددتها

ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فأخبر صديقا له فقال اكتم ما بك واخطبها الى أبيها فانه يزوجكها وان أشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فأجيب وتزوج بها وأقاما على أحسن حال وأنعم بال لا يزداد فيها الا غراما فمضى عليه ماثمان سنين ولم تحمل وكان أبوه ذا ثروة وليس له غيره فأقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد لحفظ النسب والمال فعرض عليها ذلك فأبت أن تكون مع أخرى فعاود أباه فأمره بطلاقها فأبى فألح عليه وهو لم يجب الى أن بلغه يوما أن عبد الله قد تمكن السكر منه فعدها فرصة وأرسل اليه يدعوه وقد جلس مع أكابر الحى فمنعته هند وقالت والله لا يدعوك لخير وما أظنه الا عرف انك سكران فيريد أن يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لتموتن وأظن أنك فاعل فأبى عبد الله الا الخروج فجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران فأثرت في ثوبه فلما جلس مع أبيه وقد عرف أكابر العرب حاله أقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجدا كاد أن يقضى معه وأنشد

طلقت هندا طائعا * فندمت بعد فراقها

فالعين تذرف دمعها * كالدر من آماقها

متحليا فوق الردا * فتجول فى رقراقها

خود رداح طفلة * ما الفحش من أخلاقها

ولقد ألذ حديثها * فأسر عند عناقها

ان كنت ساقية بمز * ل الادم أو بحقاقها

فاسق بنى نهد اذا * شربوا خيار زقاقها

فالخيل تعلم كيف تلـ * ـحقها غداة لحاقها

بأسنة زرق صبا * حا القوم حذر رفاقها

حتى ترى قصد القنا * والبيض فى أعناقها

فلما رجعت هند الى أبيها خطبها رجل من بنى نمير فزوجها أبوها منه فبنى بها عندهم وأخرجها الى بلده فلم يزل عبد الله بن عجلان دنفا سقيما يقول فيها الشعر ويبكيها حتى مات أسفا عليها وعرضوا عليه بنات الحى جميعا فلم يقبل واحدة منهن وقيل ان بنى عامر الذين تزوجت هند منهم كان بينهم وبين نهد مغاورات

تهوى اليها الافئدة والقلوب ولها اليد الطولى فى نظم الغزل والنسيب فمن ذلك قولها

وعاذلة تغدو على تلومنى * على الشوق لم تمح الصبابة من قلبى

فمالى ان أحببت أرض عشيرتى * وأبغضت طرفاء القصية من ذنب

فلو أن ريحا بلغت وحى مرسل * حفى لناجيت الجنوب على النقب

فقلت لها أدى اليهم رسالتى * ولا تخلطيها طال سعدك بالترب

فانى اذا هبت شمالا سألتها * هل ازداد صداح النميرة من قرب

وهيبة بنت عبد العزى بن عبد قيس

كانت من شاعرات العرب اللاتى لهن علم بالادب وكانت متزوجة بشخص من قومها يسمى زيد بن مية وكان جارا للزبرقان بن بدر فشد عليه رجل يقال له هزال من بنى عوف بن كعب بن سعد بن عبد مناة فقتله بجوار الزبرقان فقالت امرأته ترثيه وتوبخ الزبرقان على تركه ثاره

متى تردوا عكاظ توافقوها * بأسماع مجادعها قصار

أجيران ابن مية خبرونى * أعين لابن مية أوضمار

تجلل خزيها عوف بن كعب * فليس لخلعها منها اعتذار

فانكم وما تخفون منها * كذات الشيب ليس لها خمار

فلما سمع الزبرقان ذلك الشعر منها حلف ليقتلنه وبعد ذلك سعت العرب بينهما صلحا فاصطلحا وفدى ابن مية بمال وتزوج هزال بخليدة أخت الزبرقان وانصرف الامر

ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر لدين الله الاموى

كانت واحدة زمانها المشار اليها فى أوانها حسنة المحاورة مشكورة المذاكرة مشهورة بالصيانة والعفاف أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتجادل الادباء وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط وكانت نهاية فى الادب والظرف حضور شاهد وحرارة آبد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب على أنها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها وقيل انها بالغرب كعلية ابنة المهدى العباسى بالشرق الا أن ولادة تزيد بمزية الحسن الفائق وأما الادب والشعر والنوادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة فى الغناء ولها نوادر كثيرة مع الادباء والشعراء ومن أخبارها مع أبى الوليد بن زيدون

كما قاله الفتح بن خاقان في القلائد أن ابن زيدون كان يكلف بولادة ويهيم ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتيم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى أخلاق الشباب فلما حل بذلك الضرب وانحل عقد صبره بيد الكرب فر الى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية موافيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونشر سوسنه ووردها وأترع جداولها وأنطق بلابلها فارتاح ارتياح جميل بوادي القرى وراح بين روضتها بانع وريح طيبة الثرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط قلقه وضيق أمده اليها وطلقه ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله * كأنما رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه اذ عاينت أرقي * بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته * فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعد عنها الصدر أن ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام أخلاقا
لا سكن الله قلبا عن تذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى أضناه مالاقى
يا علقي الاخطر الاسنى الحبيب الى * نفسي اذا ما اقتنى الاحباب أعلاقا
كان التجاري بمحض الود من زمن * ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وكانت ولادة معجبة بنفسها مفتخرة على بنات جنسها حتى من زيادة اعجابها كتبت بالذهب على الطراز الايمن من عصابتها

أنا والله أصلح للمعالي * وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر

وأمكن عاشقي من صحن خدي * وأعطي قبلتي من يشتهيها

وكانت قد طالت مدة هاجرتها مع ابن زيدون فهاج بها الشوق والغرام وتضاعف عندها الوجد والهيام وذلك بعد ما دلت عليه إدلالها وتسربلت من القنع أعظم سربالها فكتبت اليه قائلة

ترقب اذا جن الظلام زيارتي * فانى رأيت الليل أكتم للسر

وبي منك مالو كان بالشمس لم تلح * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

فلما وصلت رقعتها الى ابن زيدون أعلمها أنه لها بالانتظار وفى فؤاده تأجج لهيب نار ولا يطفئها الا اللقاء وأعد لها مجلسا انضر أوجد فيه من جميع الازهار واللطائف ومن كل فاكهة زوجين ولما آن الوقت المعين للحضور أقبلت ترفل بالدمقس وبالحرير كأنها من الحور العين فتقابلا وتصافيا وداربينهما العتاب وقضيا مجلسهما يتعاطيان أكؤس الآداب الى أن آن أوان الانصراف مالت اليه مودعة بانعطاف

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على أن لم يكن * زاد فى تلك الخطا اذ شيعك

يا أخا البدر سناء وسنى * حفظ الله زمانا أطلعك

إن يطل بعدك ليلى فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

وانصرفت على أمل اللقاء ومكثت زمانا لم يحصل مقابلتهما للدواعي سياسية أخرت ابن زيدون عن التمكن من الاجتماع بها فكتبت اليه

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق * سبيل فيشكو كل صب بما لقى

وقد كنت أوقات التزاور فى الشتا * أبيت على جمر من الشوق محرق

فكيف وقد أمسيت فى حال قطعه * لقد عجل المقدور ما كنت أتقى

تمر الليالى لا أرى البين ينقضى * ولا الصبر من رق التشوق معتقى

سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا * بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

وكتبت بعد الشعر فى أثناء الكتابة وكنت ربما حثثتني على أن أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا وانى انتقدت عليك قولك * سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا *

فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له وأما المستحسن فقول الآخر

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

فأجابها متشكرا لها على انتقادها وعلم أنها مصيبة بهذا الانتقاد وفى آخر رقعته قال

لحى الله يوما لست فيه بملتق * محياك من أجل النوى المتفرق

وكيف يطيب العيش دون مسرّة * وأىّ سرور للكئيب المؤرّق

وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا * لم تهو جاريتى ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله * وجنحت للغصن الذى لم يثمر

ولقد علمت بأننى بدر السما * لكن ولعت لشقوتى بالمشترى

فخجل من ذلك وأرسل اليها يتنصل ويستعطفها فلم تسامحه واستحكمت النفرة بينهما وكانت لقبته بالمسدّس فقالت فيه مرة

ولقبت المسدّس وهو نعت * تفارقك الحياة ولا يفارق

فلوطىّ ومأبون وزان * وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه أيضا

انّ ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لأخصى على

وكان ابن عبدوس الوزير يهواها وهى تأبى مسامرته ودائما تتهكم عليه ومن تهكمها مرت يوما به وهو جالس أمام داره وبجانبه بركة تتولد من كثرة الامطار وربما تجدت بشئ من الاقذار وقد نشر أبو عامر الوزير كمه ونظر فى عطفيه وحشد أعوانه اليه فقالت له

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفا ولا يرد طرفا

وبسبب تعلق ابن عبدوس بولادة أرسل ابن زيدون اليه بالرسالة المشهورة التى شرحها غير واحد من أدباء الشرق كالجمال بن نباتة والصفدى وغيرهما وفيها من التلميحات والتهديدات ما لا مزيد عليه وأرسل ابن زيدون لابن عبدوس أيضا رسالة لاشتراكهما فى هواها يقول فى آخرها

أثرت هزبر الشرى اذ ربض * ونبهته اذ هدا فاغتمض

وما زلت تبسط مسترسلا * اليه يد البغى لما انقبض

وان سكون الشجاع النهو * ش ليس بمانعه أن يعض

عمدت لشعرى ولم تتئد * تعارض جوهره بالعرض

أضاقت أساليب هذا القريـ * ـض أم قد عفا رسمه فانقرض

لعمرى فوّقت سهم النضال * وأرسلته لو أصبت الغرض

ومنها

وغرّك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض

هي المايعز على قابض * ويمنع زبدته من مخض

ومن كلام ابن زيدون فيها قصيدته المشهورة التي منها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

وأخبارها مع ابن زيدون كثيرة

وكان لها مداعبات مع الادباء ومنهم الاصمعي المشهور فقالت تهجوه يوما

يا أصمعي اهنأ فكم نعمة * جاءتك من ذي العرش رب المنن

قد نلت باست ابنك ما لم ينل * بفرج بوران أبوها الحسن

وحكاية بوران مفصلة بترجمتها ولولادة حكايات غير ماذكر في جملة كتب متفرقة لم يمكن الحصول عليها لعزة وجودها وماتت الليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربعة وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى

(حرف اللام ألف)

﴿لانيلسون المغنية الأسوجية﴾

هي من أشهر مغنيات الافرنج ولدت هذه الفتاة من أبوين فقيرين من الفلاحين في أسوج ولكنها اشتهرت شهرة عظيمة فأحرزت قصب السبق والتقدم على أقرانها ونالت الحظوة عند الملوك والعظماء فلم يبق أحد من رؤساء الحكومات الا أتحفها بوسام أو شيء من علامات الشرف بحيث لو أرادت أن تتزين بكل ما عندها من النياشين لما وسعها صدرها وتزوجت الكنت دي ميراندا وعند ذهابها أخيرا الى بلادها أسوج وزوجها مع المسيو ستراكوف احتفل مواطنوها باستقبالها احتفالا عظيما وأطلق لها مائة مدفع ومدفع اجلالا لشأنها ولما سافرت سنة ١٨٧٠ الى أميركا بلغ مدخولها اليومي ثلاثين ألف فرنك جمعت في الشهور الستة الاول من إقامتها هنالك ما ينيف عن ستة ملايين فرنك أو ثلثمائة ألف ليرة فليتأمل

﴿لادي رسل ابنة توماروتسلي وزير مالية انكلترا﴾

ولدت سنة ١٦٣٦ وتزوجت بأمير لندي اسمه اللورد فوغان سنة ١٦٥٣ فتوفي عنها بعد أربع سنوات ثم اقترن بها الشريف وليم رسل فأحبها وأحبته حبا مفرطا وكان رسل شهما مقداما نافذ الكلمة فاستعان به بعض أهل الثورة الخارجين على الملك فالاهم على قصدهم ثم كشف الامر فقبض عليه وألقي في السجن وهي تجهل السبب الذي سجن لاجله ولما قيد الى المحكمة وقفت بجانبه وسمعت الحكم الذي صدر عليه بالموت وعادت معه الى السجن مظهرة الجلد الشديد لكي لا تنكسر قلبه وجعلت تشدد عزائمه وتذاكره في الوسائط التي يمكن استخدامها للتخفيف قصاصه أو لتأجيله وكان يعلم أن السعي فذلك

يذهب سدى ولكنه تركها تسعى لانه قال فى نفسه لو تركتنى الى التقادير بدون أن تستعمل كل الوسائط الممكنة لنجاتى لما وجدت الى الصبر عنى سبيلا فانتجعت كل روض وألقت دلوها فى كل حوض ولكنها عادت بخفى حنين لانها لم تجد للقضاء مردا وجعلت تشدد عزائم زوجها وكان لسان حالها يقول

جانب السلطان واحذر بطشه * لا تعاند من اذا قال فعل

ثم ودعته الوداع الاخير فودعها وهو يقول انى أودع الحياة طيب النفس قرير العين لانى تركت ورائى أولادا لا يفقدون شيأ بفقدى وزوجة عفيفة فاضلة فيها الكفاية لان تدبر أمورها وأمور أولادها على أتم المراد فقد وعدتنى أنها تتقى بنفسها من أجل أولادها وهذا حسبى ولما قضى عليه أرسل الملك يخبرها أنه غير قاصد أن ينتفع بموت زوجها فيبقى لها ولاولادها كل مقتنياته فرأت أن حبها الاولادها يدعو الى شكره ولو مكرهة فارسلت اليه كتابا تشكره به وكانت من فريدات عصرها فى الكتابة والانشاء ثم انتقلت بأولادها الى الريف وأطلقت العنان للزفرات والعبرات التى كانت قد حجبتها مخافة شماتة الاعداء وكتبت فى ذلك الحين الى أحد القسوس الفضلاء تقول له أنت تعرف تماما فلا تلمنى على الحزن ولو أفرط نعم ان كثيرات أصبن بما أصبت ولكن أين فقيدهن من فقيدى حتى يتجدد حزنهن كما يتجدد حزنى وكتبت بعد ذلك تقول اللهم أرنى مقاصد عنايتك فيما بليتنى به لكى لا أسقط تحت ثقل كآبتى انى أستحق هذا القصاص ولا أشكو منه ولكن قلبى حزين وقد عزت السلوى لان رفيق حياتى وقسيم أفراحى وأحزانى ليس معى أراه لان نفسى تتوق الى مسامرته ومساكنته ومواكلته فقد صارت الحياة على حملا ثقيلا ولكن لا بد من الصبر على مضض الايام والترفع فوق أفراح الدهر وأحزانه ثم دالت تلك الدولة وصار الملك الى الملك الذى كان زوجها من حزبه فعزى حماها وابنها بالانعام تعويضا لهما عما فقداه بفقد زوجها ولكن ابنها لم يعش طويلا حتى يتمتع بهذا الانعام لان الجدرى وافاه وهو فى الثلاثين من عمره وقصف غصن شبابه وعاشت بعد ذلك سنين كثيرة وماتت عن سبع وثمانين من العمر وقد اجتمع فى هذه المرأة الفاضلة لطف النساء وصبرهن وفطنتهن وهمة الرجال وحكمتهم واقدامهم وعاشت وماتت طاهرة السيرة والسريرة ولها رسائل كثيرة تحلها محلا رفيعا بين مشاهير الكتبة . انتهى

﴿يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة الزاهرة ببولاق مصر القاهرة الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى أعانه الله على أداء واجبه الكفائى والعينى﴾

سبحانك يامن أحسنت خلق الانسان وجعلته بحلية البيان واختصصت بمزيد اللطائف من نوعه الرجال وشغفت ألبابهم بربات الجمال حليتهن بعد الحسن بالدلال والخفر فظفرن بملك الافئدة أيما ظفر فهن للب الحازم يسلبن وبه يلعبن ولا سود العقلاء يغلبن فيتحكمن ميزت بعضهن بعد هذا بفائق اللطف وبديع الظرف فحذقن فيما وجهن اليه أنظارهن من دقائق الفنون

ودقائق الشؤن حتى سبقن فى هذا المجال كثيرا من أبطال الرجال وصارت الواحدة منهن بعبارته من أكمل المعارف وأجل النوادر والطوارف ما اشتهرت به فى زمانها ومن أبهج المآثر وجليل المفاخر ما امتازت به على أمثالها فى آنها واعتنى لذلك بشأنهن فضلاء الاذكياء وجهابذة النجباء فدونوا مناقبهن وتراجمهن وما اشتهر لهن من جليل الآثار وملؤا بذلك بطون الاسفار وممن جاراهم فى ذلك المجال على فاره النجب ففتح عن خبايا أخبارهن الكنوز وأزال عن محاسنهن الحجب السيدة التى تشرف بها بيت السيادة والفاضلة التى بث اللطائف لها عادة النجيبة الجهبذية والذكية الالمعية العلامة الشهيرة والفائقة النحريرة سيدة من اتسم بالكمال وامتاز الست زينب فواز أدام الله كمالها وبهجتها وأطال فى بث المعارف حياتها ومدتها فانها حفظها الله ألفت هذا الكتاب وغرست فى روضته من شهى الثمرات الادبية كل لذيذ مستطاب وسمته (الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور) أبرزت فيه عوارف ربات النقاب وأماطت عن محيا نوادرهن وغرائبهن النقاب وأبدت لنا من نفائسهن العلمية والحكمية العجب العجاب بعبارات على احكام نسجها مفوّفة ومعان على قدر متانتها لطيفة مستطرفة فلله حسن ما ألفت وجودة ما صنفت لقد أنعشت الالباب وأفادت الطلاب بكل حليف الحق صواب فشكر الله لها هذا الصنع الجليل وجزاها عليه الجزاء الجزيل ولما كان نادرة بهية وفكاهة شهية يشتاقه كل فؤاد ويبلغ به مطالعه من السرور كل مراد انتهض لطبعه رغبة فى عموم نفعه الجناب الامجد والملاذ الاسعد حضرة محمد أفندى زهران أدام الله حضرته وأدام فى روض القبول نضرته بالمطبعة الزاهية البهية ببولاق مصر المعزية فى ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة المهيبة الداورية من بلغت به رعيته غاية الأمانى أفندينا المعظم ﴿عباس باشا حلمى الثانى﴾ أدام الله أيامه ووالى على رعيته إنعامه ملحوظا هذا الطبع الجليل بنظر من عليه أخلاقه تثنى حضرة وكيل المطبعة الاميرية محمد بك حسنى فى أواخر شهر رمضان المعظم عام ثلاثة عشر بعد الثلثمائة وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم

ولما آذن بدره بالتمام وفاح من أردانه مسك الختام قرظته مؤرخا عام طبعه وابتسام زهره وكمال ينعه بقولى

خود بدت للناظرين حسان * يحلو لضوء جبينها الوسنان

أم هذه درر نظمن بعسجد * بهج تحار بحسنه الاذهان

أم روضة أنف تنظم زهرها * سطرا تخلل نظمه الريحان

بل ذاك كتاب أحكمت آياته * يتلو به سور الهوى الانسان

سفر حوى من كل لطف بجه * تشنق بطيب حديثه الآذان

كنز تجمع فيه كل بديعة * ونفيسة تغلو لها الاثمان

بحر عميق ليس يدرك غوره * ألدر يخرج منه والمرجان

نظمت فرائده بنان خبيرة * بالنظم يحكم صنعها العرفان

فهامة نحريرة وذكية * شهدت بجودة ذهنها الاعيان

الست زينب فرع دوحة سادة * شادوا العلا فى الاكرمين وزانوا

أبدت لنا ذا السفر من آثارها الـ * حسنا وأظهر ضبطه الاوزان

وازداد بالطبع البهيج جماله * وكساه حلة زينة الاحسان

واذا انتهى فى الطبع قلت مؤرخا * الطبع بالدر النضيد يزان

سنة ١٣١٣ ١ ١١٢ ٢٣٧ ٨٩٥ ٦٨